

دعـــــوة المقاومة الإسلامية العالمية

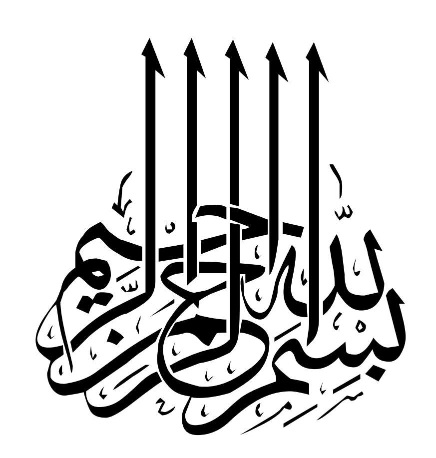
الدعوة والمنهج والطريقة

الجزء الثاني

بقلم الباحث الفذّ

عمر عبد الحكيم "أبو مصعب السوري"





1438 هـ - 2017 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

الناشر



دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



الجزء الثاني

بقلم الباحث الفذّ

عمر عبد الحكيم " أبو مصعب السوري"

¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤¤

بيت المقدس

المقاومة الإسلامية العالمية

(الجزء الثاني)

(الدعوة – المنهج – الطريقة)

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84)

الفهرس

الجزء الثاني: (الدعوة – المنهج– الطريقة)

الفصل الثامن: نظريات المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب الأول: نظرية المواجهة: العقيدة الجهادية والفكر والمنهج.

الباب الثاني: النظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب الثالث: نظرية التربية المتكاملة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب الرابع: النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب الخامس: نظرية التنظيم ونظام بناء سرايا المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب السادس: نظرية الإعداد والتدريب في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب السابع: نظرية تمويل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية.

الباب الثامن: نظرية الإعلام والتحريض لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

الفصل التاسع: وصايا وبشائر.

مسك الختام.

الفهرس التفصيلي للجزء الثاني

- مقدمة الجزء الثاني.
- الثابت والمتحول في الفكر الجهادي.
- نظريات دعوة المقاومة نظريات عملية.
- آلية توليد نظريات المقاومة و منهج الثبات والتصحيح والتطوير.
- خصائص وملامح نظريات دعوة المقاومة.

❖❖❖❖❖❖❖

الفصل الثامن: نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

- **الباب الأول: نظرية المنهج والعقيدة القتالية.**
  - العقيدة القتالية.
  - الفارق بين المقاتل والجندي العقائدي.
  - العقيدة الجهادية عند المسلمين.
  - أثر غياب العقيدة الجهادية لدى المسلمين.
  - **العقيدة الجهادية في الصحوة الإسلامية المعاصرة والتيار الجهادي.**
  - حالة العقيدة الجهادية في الأمة اليوم.

- **من تكتيكات حرب الأفكار الأمريكية.**
- **مقومات العقيدة الجهادية والفكر والمنهج في دعوة المقاومة.**
- موجز في المناحي العامة لعقيدة أهل السنة والجماعة.
- من آثار وجود العقيدة الإسلامية حية في قلب المسلم.
- من آثار غياب العقيدة الإسلامية عند المسلمين.
- المناحي العامة للعقيدة الجهادية لدعوة المقاومة.
- **دستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.**
- **الأدلة الشرعية على النقاط الأساسية للعقيدة الجهادية للمقاومة.**
- أدلة كفر الحكومات الموالية للكفار الحاكمة بغير ما أنزل الله.
- عقيدة الولاء والبراء وحكم موالاة الكافرين.
- الإجماع على وجوب الخروج على الحاكم المرتد.
- أحكام الديار.
- بلاد المسلمين محتلة اليوم والجهاد فرض عين على كل مسلم.
- أدلة ردة كل من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين.
- أعذار الجهل والإكراه والتأويل وانتفاء القصد.
- بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين.
- وجوب أو جواز قتال الصائل المسلم على المسلمين.
- حرمة دماء المسلمين وحل دماء الكفار المعتدين.
- وجوب نصرة المسلمين ، والغزو مع كل بر وفاجر منهم.
- مسألة الحكم الشرعي في الديمقراطية وتجارب الإسلاميين فيها.

- مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة والجماعة.
- مسألة التكفير.
- **الباب الثاني: أسس النظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.**
- **مفاهيم ومبادئ سياسية عامة.**
- مكانة السياسة الشرعية.
- العلاقة بين الشريعة والسياسة.
- أعمال المقاومة وبعدها السياسي.
- المقاومة ونظرية التجنيد والتحييد والتفكيك.
- نظرية الحشد ومفتاح الصراع والمناخ الثوري.
- حدود دائرة الصراع.
- مفهوم القواسم المشتركة في الصراعات السياسية.
- الإستراتيجية والتكتيك وهوامش المناورة السياسية.
- نظرية البناء والهدم في التحرك الإستراتيجي.
- المحاكمات الثلاثة للقرار السياسي الشرعي التحرك.
- استناد أحكام الجهاد لمعطيات الواقع.
- **خلاصة واقع الحملات الأمريكية والواقع العربي والإسلامي إزاءها.**
- طبيعة الحملات الأمريكية ومحاورها وأهدافها ووسائلها.
- واقع الأمة الإسلامية والعربية في مواجهة الحملات الأمريكية.
- معسكر المقاومة ومعسكر الحياد ومعسكر العدو.
- أمريكا وحلفاؤها في الخارج.
- **حلفاء أمريكا في الصف الإسلامي.**

- قوى المقاومة وأنصارها وحلفاؤها.
- واقع معسكر الجهدبين المقاومة والحلف الأمريكي.
- **أركان الإستراتيجية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.**
- **الباب الثالث : نظرية التربية المتكاملة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.**
- **مناحي التربية عند مدارس الصحوة.**
- **المجال الأول في التربية : العقيدة والعلم الشرعي.**
- منزلة العلم وفضله.
- العقيدة.
- العلم الشرعي.
- أحكام شرعية ومسائل هامة لمجاهدي المقاومة.

1- جهاد العدو الأبعد.
2- حكم الاستئذان في الجهاد.
3- الجهاد في غياب الأمير الواحد.
4- قتال الواحد إذا قعد الناس.
5- الجهاد مع الفساق والفجار.
6- قتل المدنيين من الكفار وإفساد أموالهم.
7- حكم العمليات الاستشهادية.
8- حكم أسرى العدو.
9- حكم الجاسوس الكافر والذي ظاهره الإسلام.
10- حزمة بيع العدو ما يتقوى به على المسلمين.
11- تترس الكفار في الحرب بغير المحاربين منهم أو بالمسلمين.

12- لفتة هامة في مسألة التهاون في دماء المسلمين بدعوى التترس.

13- حكم السكن في ديار المشركين.

14- حكم منع التمثيل والتشويه ، والتعامل مع جيف المشركين.

15- البيعة في الحرب.

16- أحكام الشهيد.

- **المجال الثاني في التربية: الأدب والعبادة والأخلاق والرقائق.**

- **الآداب العامة.**

- **أدب الصحبة والأخوة.**

- **من آداب الجهاد.**

- **العبادات والنوافل.**

- الصلاة.

- الزكاة.

- صوم رمضان.

- الحج.

- فضائل الأعمال والنوافل والأذكار.

- أذكار الصباح والمساء.

- **الأخلاق والتربية السلوكية.**

- بيان فضل حسن الخلق ومذمة سوء الخلق.

- الإخلاص.

- الإحسان.

- الاستقامة.

- **الصدق.**
- التوكل.
- الأمانة.
- الحياء.
- **حفظ اللسان.**
- اليقين.
- الصبر.
- الكرم.
- الإيثار.
- **الرفق والحلم.**
- الرحمة.
- القوة.
- العفو والإعراض عن الجاهلين.
- الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين.
- التواضع.
- السمع والطاعة للأمير الشرعي.
- **التحذير من سوء الخلق.**
- الرياء والسمعة.
- العجب والغرور.
- البخل.
- الظلم.

- **حب السلطان والإمارة.**
- الكذب.
- الغيبة.
- النميمة.
- ذو الوجهين.
- **إشاعة الفاحشة في اللذين آمنوا.**
- شهادة الزور.
- الفحش والبذاءة.
- لعن الإنسان والدواب.
- سب المسلم بغير حق.
- الإيذاء.
- الحسد.
- التجسس والتسمع إلى كلام من يكره ذلك.
- **سوء الظن بالمسلمين.**
- احتقار المسلمين.
- إظهار الشماتة بالمسلم.
- الغش والخداع.
- الغدر.
- المن بالعطية.
- الافتخار والبغي.
- هجران المسلم فوق ثلاث بغير سبب شرعي.

- **الرقائق والزهد وأمراض القلوب.**
- ذكر الموت وقصر الأمل.
- ذكر الجنة والنار.
- المراقبة والمحاسبة.
- الخوف.
- الرجاء.
- التوبة.
- الورع.
- الخشوع.
- الزهد.
- فضل الزهد في الدنيا.
- فضل الجوع وخشونة العيش.
- أمراض القلوب وعلاجها.
- **برنامج تربوي ووصايا للمجاهد.**
- **المجال الثالث: الفهم السياسي وفقه الواقع.**
- **المجال الرابع : التربية العسكرية والإعداد.**
- **المجال الخامس: التربية العملية بأداء فريضة الجهاد.**
- **مراتب الجهاد: جهاد النفس والشيطان والكفار والمنافقين**
- **خصائص القاعدة الصلبة المجاهدة.**
- **أثر الذنوب والمعاصي في نزول البلاء والهزيمة بالمسلم.**

- **الباب الرابع: النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.**
- **استعراض أساليب الجهاد في مسارنا الماضي (1960-2001م).**
- **مدرسة التنظيمات (القطرية – السرية– الهرمية).**
- **مدرسة الجهاد في الجبهات المفتوحة.**
- **مدرسة الجهاد الفردي والخلايا الصغيرة.**
- **فكرة الانتماء للأمة.**
- **النظرية العسكرية لدعوة المقاومة.**
- **مقومات الجهاد في الجبهات المفتوحة.**
- **جهاد الإرهاب الفردي والخلايا الصغيرة.**
- مفهوم الإرهاب.
- إرهاب الأعداء فريضة شرعية واغتيال رؤسهم سنة نبوية.
- الضرورات التي تحتم استخدام المقاومة لأسلوب الجهاد الفردي.
- الأسس العامة لنظرية الجهاد الفردي.
- ساحات العمل الأساسية في جهاد الإرهاب الفردي.
- أهم الأهداف المعادية في جهاد الإرهاب الفردي.
- البعد الاقتصادي للاحتلال الأمريكي.
- ضرب حلفاء العدو الإستراتيجيين في بلادنا.
- **تنبيه هام : جهاد علماء الضلالة المنافقين بالحجة وليس بالسلاح.**
- **ضرب الغزاة في بلادهم وأهم الأهداف في ذلك.**
- **استراتيجية الردع بالإرهاب.**

- آلية عمل سرايا المقاومة ونظريتها العسكرية ونظام عملها.
- خصائص طريقة عمل سرايا دعوة المقاومة.
- أنواع سرايا المقاومة ومستوى عملياتها.
- الثقافة الإرهابية والملكة الإرهابية والصفات المكتسبة للمقاتل.
- العلاقة بين جهاد الجبهات وجهاد الإرهاب الفردي.
- الباب الخامس: نظرية التنظيم ونظام عمل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية.
- أسس ومقومات بناء التنظيمات التقليدية.
- أسس ومقومات بناء سرايا دعوة المقاومة.
- الدوائر التنظيمية الثلاثة لدعوة المقاومة.
- أنواع سرايا المقاومة الإسلامية العالمية.
- إيضاحات على طريق بناء سرايا المقاومة.
- الباب السادس: نظرية الإعداد والتدريب في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.
- استعراض طرق التدريب في التجارب الجهادية الماضية.
- التدريب السري في البيوت.
- التدريب في المعسكرات السرية الصغيرة.
- التدريب في معسكرات دول الملاذات الآمنة.
- التدريب العلني في معسكرات الجبهات المفتوحة.
- التدريب شبه العلني في مناطق الفوضى.

- مفهوم الإعداد وسببه وهدفه.
- ظاهرة معاصرة غريبة في دنيا الإعداد.
- أسلحة المقاومة والعصابات الجهادية.
- تدريب سرايا المقاومة اليوم (الأسلوب والأسلحة).
- فكرة مختصرة عن برنامج تدريب السرية.
- الباب السابع : نظرية تمويل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية طرق.
- التمويل في التجارب الجهادية الماضية.
- الطرق المقترحة لتمويل سرايا المقاومة.
- الأموال التي يحل غنيمتها للمجاهدين.
- طريقة تقسيم غنائم سرايا المقاومة.
- الباب الثامن: نظرية الإعلام والتحريض في دعوة المقاومة.
- طرق التحريض على الجهاد قديما.
- خلاصة نظرية التحريض في دعوة المقاومة.
- سرايا التحريض والإعلام.
- أساليب وأفكار إعلامية تحريضية على الجهاد والمقاومة.
- شواهد مختارة للتحريض.
- فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- من تراث الإمام الشهيد عبد الله عزام في التحريض.
- الجهاد بالمال.
- القعود وطمس البصيرة.

- مبررات الجهاد.
- فضل الشهادة في سبيل الله.
- فضل الهجرة.
- ضل الإعداد والرمي.
- فضل الرباط.
- نصوص في الجهاد والإعداد والقتال.
- رعاية أسر المجاهدين والشهداء.
- من أنواع الجهاد.
- مبررات القتال ودوافعه.

۞۞۞۞۞۞۞

الفصل التاسع: وصايا ومبشرات.
- وصايا ومحاذير.
- استشراف المستقبل وبشائر النصر.

مسك الختام.
- جولة مع مختارات من أحاديث الملاحم والفتن.
- وأحداث آخر الزمان وأشراط الساعة.
(1) - فساد الأحوال في آخر الزمان ، وبلاء المؤمنين فيه.

(2) – العلماء في آخر الزمان.

(3) - غربة الصالحين في آخر الزمان.

(4) - علامات الساعة.

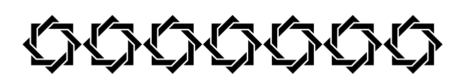
(5) – المهدي وعلاماته ، والرايات السود والسفياني والقحطاني.

(6) – الملاحم مع الروم.

(7) – خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

(8) – خروج يأجوج ومأجوج.

وهذه وصيتي.



مقدمة الجزء الثاني

الحمــد لله أهــل الحمــد والثنــاء. الحمــد لله المحمــود في الأرض والسماء. الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عنده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. الحمد لله الذي أمر رسول ﷺ أمراً يعم كل مؤمن من أمته ﷺ . فقال عز من قائل: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ (النساء:84).

والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه. نبينا وسيدنا وقائدنا وحبيبنا الضحوك القتال نبي المرحمة ونبي الملحمة. القائل صلوات الله وسلامه عليه: " **بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده. وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم** " صدق رسول الله ﷺ. وبعد:

فقبل أن ألج إلى هذا الجزء الهام الذي لم يكن الجزء الأول على طوله وبكل ما فيه ، إلا مقدمات ومتكآت شرعية وتاريخية وسياسية وفكرية ومنهجية لما سيحتويه هذا الفصل إن شاء الله.

وقبل ذلك أحب أن أقدم لأبواب هذا الفصل بجملة من النقاط توطئ له وتساعد على مزيد من فهمه إن شاء الله.

أولاً: الثابت والمتحول في الفكر الجهادي ونظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

ذكر المباركفوري في كتابه القيم (الرحيق المختوم) الذي اختصر فيه سيرة رسول الله ﷺ خلاصة ذلك الخبر فقال :

" وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر. ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه. فنزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر. وهنا قام الحباب بن المنذر (رضي الله عنه) كخبير عسكري وقال: (يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال: يا رسول الله! فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء القوم – قريش – فننزله ونغور – أي نخرب – ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء. ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ : **(لقد أشرت بالرأي)**.

وقد حوى هذا الأثر العظيم حكماً عظيمة يعلمنا بها رسول الله ﷺ فوائد عظيمة ومن ذلك..

1. **أدب المسلم مع دين الله فما كان وحياً فلا نتقدم ولا نتأخر.**
2. **ضرورة الاجتهاد فيما كان من مسائل (الرأي والحرب والمكيدة).**
3. **أدب الجندي مع قائده في العرض.**
4. **أدب القائد مع أعوانه عندما تعرض عليه الاجتهادات والإبداعات.**

5. **وجوب عرض الآراء دون وجل مهما علت منزلة وعلم القائد، وأمامنا مثال عرض فيه الرأي على المعلم الأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

6. **الوضوح والجزم في عرض الرأي بعد أن تأكد أنه من مجالات الاجتهاد: (ليس هذا بمنزل).**

7. **أخذ القيادة بما تبين صوابه ، وعدم التجاوز على حق ظهر ، بصرف النظر عن صغر قيمة قائلة.**

ونذكر منها إشارة تهمنا في هذه المقدمة إلى أنه وضع قاعدة ذهبية للثابت والمتحول التي يجب أن يقوم عليه الفكر الجهادي الحركي ، وفقه العمل والحركة في الصحوة الإسلامية كلها. بل أعتقد بأنه على أساس هذه القاعدة مدار كافة وجوه نشاط وحركة المسلم في حياته كلها.

وهذه الإشارة تقسم القواعد والقوانين محط التفكير والعمل إلى قسمين:

– **ثابت** من أساسيات الدين والمعتقد وقواعد المنهج الراسخة. وهذه فرضية التعامل معها على أساس: " منزل أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ".

- **متحول** بحسب الأحوال والوقائع ، وهو ميدان تسابق العقول و الأفهام و الخبرات والتجارب، ومجال الإبداع فيها ، وهو: ما كان من قضايا (الرأي والحرب والمكيدة).

الحكمة الثانية الهامة من فقه هذا الأثر العظيم هي تعليم القائد والمقود و كل من جاء بعد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام. كيف يكون التعامل مع مسائل الثابت والمتحول من قضايا الاعتقاد والعمل والتطبيق فعلى كل إنسان أن يعمل هذا العقل الذي أنعم الله به عليه وجعله مناط التكليف في كل أمر يستقبله ، وأن يسأل ويتبين إن لم يكن يعلم. يسأل أهل الذكر عما يعترضه من مسائل هل هو من ثوابت الاعتقاد والأحكام الشرعية الثابتة ؟ فيكون حاله معه التسليم والانقياد (فلا يتقدم ولا يتأخر). أم أنه من مسائل الاجتهاد في الرأي والحرب والمكيدة وما شابها من وجوه النشاط الإنساني ؟. فإن تبين له أنها من هذه ، فليقدم رأيه وخبرته واجتهاده بكل رجولة وأدب ومسؤولية. كما فعل ذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه. وعلى كل قائد ابتلاه الله بحسم القرار.. أن يفسح المجال ويستمع. ويشجع المقود على تحمل مسؤولية التفكير والاقتراح والإبداع. كما فعل رسول الله ﷺ ، وهو المستغني بالوحي دون من بعده عن كل ذلك. بل ويتعدى ذلك للنزول على رأي المجتهد الخبير، إن أصاب. وأن يقول إزاء ذلك ما قاله ﷺ: (لقد أشرت بالرأي). بل وينقاد لذلك الرأي.

وهما مدرستان في القيادة ! مدرسة تقبل المقترحات في ميدان الرأي والحرب والمكيدة.. وتشجيع المبدعين على الشورى ؛ (**لقد أشرت بالرأي**).

ومدرسة الفرعون التي أخبر عنها تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر:29)، وكان كل مستنده في ذلك أنه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف51).

مما أوصله للزعم الفاجر عندما نفخه الشيطان: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ (النازعات:24).

وليس هنا مجال الاستفاضة بما تجيش به النفس ويستطرد القلم في كنوز تلك النصوص الإلهية العظيمة. والآثار النبوية الكريمة. وفيما مر من الإشارة كفاية لما نحن بصدده.

وما أقدمه فيما سيتلو من نظريات أضعها كخطوة ، ضمن خطوات أولى يجب أن تحصل اليوم ، قبل فوات الأوان في التيار الجهادي ، وميدان الفكر العملي في الصحوة الإسلامية المجيدة.. كي نفتح باب التصحيح والتطوير من خلال قرارنا الاستراتيجي العقدي بالثبات.. الثبات على درب الجهاد..

ما أقدمه هو في معظمه أفكار من نوع قضايا (الرأي والحرب والمكيدة). ولاسيما ما يختص منها بقطاع العمل التطبيقي للجهاد في عالم ما بعد سبتمبر كما أتصورها.

وهناك جانب منها هو من قطاع الثابت بمقتضى اعتقادنا بأساسيات ديننا الحنيف ومعتقداتنا الدينية وأحكامها الشرعية الثابتة. وهي ثوابت منهجية لدينا توارثناها في هذه الصحوة الإسلامية المباركة، وفي التيار الجهادي المجيد ، عبر عقود متتالية ، عن الثقاة الأثبات من قادتنا وعلمائنا ومشايخنا المجاهدين العاملين. ومعظم هذه الثوابت التي أنقلها ، مبثوثة في هذا الكتاب في الأبواب التي عنت بالفكر والمنهج والعقيدة القتالية، والأساسيات الثابتة في السياسة الشرعية عند ما نتطرق للنظرية السياسية للمقاومة. بالإضافة للمناحي التربوية الدينية أيضاً.

ويستطيع القارئ تميز ذلك بسهولة. وسأشير إليها في مكانها لتميز ما هو معتقد دين ثابت. أو حكم شرعي موقفنا معه أن لا نتقدم عنه ولا نتأخر وإنما ؛ **سمعنا وأطعنا**..

كما أن هناك اختيارات فقهية أخذنا بها ، وهذه خاضعة للقاعدة الذهبية التي لخصها الإمام الفقيه الجليل الإمام مالك رحمة الله في الأثر العظيم عند ما قال: (**كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف ﷺ**) فهي نظريات مطروحة للحوار والنقاش والتجربة

والتطبيق ، من أجل إطلاق دعوة وطريقة عمل ومقاومة أرى ساحة العمل الإسلامي والصحوة المباركة بأمس الحاجة لمثلها.

وقد أسميتها (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**) .. ووضعت لإطلاقها أسسا في مختلف مناحي ومقومات الحركة ، عبر نظرياتها الثمانية التي تكون الفصل الثامن ، والذي يشغل معظم مساحة الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وهو لبه والغاية منه.

أقدم هذه النظريات بعد أن وصلت بحسب ما اعتقد اليوم إلى مستوى كاف في نضجها ، وأقنعتني تداعيات عالم ما بعد سبتمبر، ووقائع سير الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الغربية الجديدة ، وأهدافها الشاملة لكل الصعد والمجالات الحضارية.. أقنعتني وزادتني إيماناً بصواب معظم ما كنت قد ذهبت إليه في تطوير هذه النظريات عبر أربعة عشر عاماً. منذ 1990م وإلى اليوم.

وأرجوا من الله الهدى للحق. وأن يلهمني الإخلاص ، ويهديني للصواب ، ويمن علي بالقبول. فما كان من توفيق للصواب فهو من الله تعالى. وما كان من زلل فهو من نفسي القاصرة ، ومن الشيطان. والقصور طابع عمل ابن آدم. واستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

ثانياً: نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، نظريات عملية:

في كتابي (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا) الذي كان باكورة إنتاجي سنة 1987م ، ذكرت في الفصل الثالث من الجزء الأول بعض التعريف المهم لما اصطلحت عليه بـ (**النظرية العملية**).. وكنت أتمنى لو كان الكتاب بمتناولي ، لأنقل منه تلك الفقرة هنا.

فقد كتبت فيه ما فحواه ؛ أن هناك فرقا جوهريا بين (النظريات النظرية) ، و(النظريات العملية) . فالنظريات النظرية ؛ هي تصورات فكرية يضعها أصحابها من خلال بنات أفكارهم و سبحاتهم الفكرية والفلسفية ، ليثبت الواقع بعد ذلك خطأها من صوابها. وكثيراً ما تتسم تلك النظريات ببعدها عن الواقع ، وبقائها متصفة بصفات الأبراج العاجية حيث يجلس أصحابها. ولاسيما عند ما يتناولون في نظرياتهم ، مجالات بعيدة عن مجالات تجاربهم العملية، وخبراتهم الواقعية.

أما النظريات العملية. فهي نظريات عمل تولد في مجال الحركة والتطبيق من قبل أصحابها ،الذين يولدونها من خلال المسار العملي. ومن أجل تصحيحه والسير به نحو الأفضل وصولاً لتحقيق الأهداف. وفي مجال الجهاد والمعركة.

و **يمكن تعريف النظريات العملية بأنها** : نظريات تولد في ميدان المعركة والمواجهة. يصوغها المفكرون المجاهدون المتحركون في أرض

الواقع. والعلماء العاملون في ميدان المعركة. وتسطرها الأقلام المجاهدة الميدانية. ولا تنزل عليهم من فوق ، من قيادات قاعدة ، ولا من علماء قد يبّست مفاصلهم المكيفات ، في جلسات الترف الفكري على الطاولات الفارهة ، بعد عشاء دسم قد حفل بالملذات.

لأن المخلص من أولئك الكتاب – إن وجد فهم مخلصون – يمكنهم أن يكتبوا في فقه الجهاد وأحكامه . ليعيدوا تلصيق النصوص القديمة ، ويعيدوا كتابتها ، ويمهروها بأسمائهم المسبوقة بألقاب الشيخ والأستاذ والدكتور والمفكر.. ثم يسّوقوها في طبقات أنيقة ، على ورق ثمين. ليقرأها جمهور لا يقل عنهم ترفاً. وقد يستفيد مما فيها من حكمة مؤمنون تحركوا بها وبغيرها من آفاق الحكمة في ميادين القتال.

إن نظريات الجهاد العملية ، يولدها أصحابها في ميدان الجهاد والمواجهة وساحات المعركة. تأتي وتولد بعد هضم تجارب الماضي ، واستعراض الأثمان الباهظة لسلسلة تجارب الفشل سعياً إلى التصحيح والتطوير، من خلال استراتيجية الثبات واختيارها كما أسلفت. فالعالمون في الناس قليل. والعاملون فيهم أقل. والعالمون العاملون منهم أنذر من الحجار الكريمة في هذه السلاسل المترامية الأطراف من ركام الحجارة والتراب. والمخلصون في هؤلاء.. ثلة من الأولين وقليل من الآخرين. نسأل الله بجميل كرمه أن يجعلنا منهم.

إن النظريات العملية مهمة من حملوا على عانقتهم أمانة السيف والقلم. ووفقهم الله لفهم حكمة التجارب والدروس.

وقلت في ذلك الكتاب قبل سبعة عشر عاماً إن لم تنحني الذاكرة ما فحواه:

إن الانتصارات في تجارب المواجهات قليلة ، إذا ما قيست بالتجارب الفاشلة. ولكن دروس الفشل أكثر إغناء من دروس الانتصارات. وأفدح منها ثمناً. وهي بفوائدها تسير بالعامل نحو النصر والنجاح.

إن دروس الفشل مزدوجة الفائدة ، لأنها تعلمنا العبرة من التجربة. وتوجد لنا المجرب. فإذا ما قدر للمجربين الثبات ، فإنهم يتأهلون بموجب تلك الدروس الإنتصارت كبرى بإذن الله.

وفي هذا السياق أقول..

إن نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي أضمنها هذا الكتاب ، هي وليدة أمرين اثنين بعد توفيق الله تعالى..

أولوهما : التجربة الميدانية المباشرة على مر نحو ربع قرن من مواكبه تجارب الصحوة الإسلامية تماساً وإطلاعا. ومن العمل الميداني وسط التيار الجهادي منخرطاً في العديد ، منها ، ومحتكاً مع الكثير من روادها وقادتها وعناصرها..

وثانيهما : توليدها من خلال دراسة فاحصة ، ومراجعة متأنية لتجارب الصحوة الإسلامية الماضية عامة ، والمحاولات الجهادية خاصة. مطلعاً على أدبياتها وتاريخها ومنشوراتها. وروايات أصحابها مباشرة، حيث لم تتوفر كتابة. ثم اعتماد مبدأ التصحيح والتطوير لتلك التجارب ، بعد تبني خيار الثبات. كمرتكز شرعي ديني وعقدي ، وأساس استراتيجي حركي..

وبهذا تأتي هذه النظريات في التيار الجهادي والصحوة الإسلامية بصفتها نظريات عملية.

لقد أخذت هذه النظريات - بعون الله - آلاف الساعات ، من المطالعة والتأمل والتفكير والمقارنة ، ومتابعة دقيقة ويومية لمختلف وسائل الإعلام للوقوف على مستجدات واقع المسلمين ومخططات أعدائهم. ومثل ذلك الجهد والوقت من الحوار والمدارسة والنقاش ، مع مختلف المستويات في وسط التيار الجهادي ، وغيرهم من رجال الصحوة. ولاسيما في قطاع المفكرين والدعاة والقادة المجاهدين أصحاب التجارب.

وقد يسر الله بعد تلك الساعات الكثيرة من الدراسة والمحاورة ، ولادة كثير من الأفكار الإشراقات ، التي ربما التقطت بعضها من أفواه بعض أفراد المجاهدين العاديين البسطاء من روايتهم وآرائهم عن تجاربهم. أو من قيادات مجربة عاملة ، من غير المهتمين بالتأليف أو

القادرين على الكتابة. فصغتها بأسلوبي ووضعتها في سياقها. وجمعتها كما يفعل الصائغ بحبات الجوهر الثمين.

وربما سبب لي حوار مع البعض ، أن تنقدح في ذهني تداعيات فكرةُ طرحت لتتطور عندي وتتداعى تبعاتها الفكرية لتأخذ مكانها في السياق. ويعود كثير من الفضل فيما يبدو إبداعياً ومبتكرا في هذه النظريات ، لعشرات من حاورتهم من الرجال والدعاة والمجاهدين العاملين. وبذلك أستطيع الادعاء بأنها نظريات عملية. وإثبات ذلك. ومن هنا اعتقد أن هذه النظريات تأخذ قيمتها. ولهذا أذكر هذه المراحل في توليدها ، وأسال الله الإخلاص.

ثالثاً: آلية توليد النظريات من خلال منهج الثبات والتصحيح والتطوير:

لقد تكلمت على هذا المنهج في آخر الفصل السادس ومطلع السابع من الجزء الأول ، ما فيه الكفاية عن استراتيجية وخيار الثبات. وعن أهمية التصحيح. واستناده لمبدأ عرض العلة بلا حرج ودراستها. وعن مبدأ استعراض أساليب العمل وتناولها بعيداً عن التقديس لأنها آلة ووسيلة. وتطويرها أو إلغاؤها ، أو استحداث ما يناسب الوقت مما لم يسبق تجربته كأسلوب.

وقد أدى بي ذلك إلى استعراض حصاد تجارب التيار الجهادي بكل انفتاح وحرية ، وبفقه منهج نقد ذاتي يهدف إلى أهداف سامية. وهل هناك أسمى من الجد في البحث عن سبيل للجهاد نرجو أن يحقق النصر وينهض بهذه الأمة من ضحضاح الهزيمة؟.

وقد تناولت مناحي ذلك الحصاد في الفصل السابع ، بعد أن مر مختصر تاريخ التجارب في الفصل السادس. وهو من أطول فصول الكتاب. ولكني هنا أشير إلى آلية توليد النظريات بعد إجراء عملية استعراض علل وأخطاء تلك التجارب والأساليب ، التي لم يكن غالبها خطأً وإنما كانت أساليبا استهلكت وتجاوزها الزمن. بمعنى أنها لم تكن خطأً ولم تعد صواباً. ولقد كان من أهم الفقرات إفادة للبحث عن نظريات الصواب المفترض. فقرة البحث في الأسباب الداخلية الذاتية لفشل مشاريع الجهاديين ، وأخطاء المنهج والبنية والمسار، وأخطاء طريقة الأداء التي عرضتها في الفصل السابع.

وبعد ذلك قمت بعملية البحث عن الصواب أو عن المناسب المقابل لما اعتقدت أنه خطأ. أو أنه لم يعد مناسباً.

و كما كان مجموع الأخطاء يساوي فشلاً في المحصلة. أو يشكل أهم أسباب الفشل. شكلت مجموعة فرضيات الصواب (**نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**).. بهذا الشكل الذي يوضحه هذا الجدول التمثيلي.

خطأ مفترض	صواب مفترض	النظرية الجديدة
أخطاء منهجية	تصورات منهجية صحيحة	نظرية الفكر والمنهج في دعوة المقاومة
أخطاء تربوية	تصورات منهجية صحيحة	نظرية التربية في دعوة المقاومة
أخطاء سياسية تطبيقه	تصورات سياسية صحيحة	نظرية السياسية في دعوة المقاومة
أخطاء في الأساليب العسكرية أو أساليب استهلكت	تصورات عسكرية مناسبة	النظرية العسكرية لدعوة المقاومة

وهكذا.. في باقي مجالات نظريات الدعوة ، التي سعيت أن تكون شامة ومتكاملة. بدءً من الأساسيات العقدية والفكرية والسياسية ، ومروراً بالمنهج التربوي المناسب ، وانتهاءً بالأساليب التطبيقية للعمل العسكري. وما يلزمه من الإعداد والتدريب والتنظيم والتمويل. من دون أن ننسى الأساليب المناسبة للدعوة والإعلام والتحريض.

رابعاً: اعتماد منهج حشد الأمة من أجل المقاومة دون المساس بثوابت المنهج:

لا يمكن إثبات صحة نظرية ما ، إلا بإثبات خطأ ما يناقضها في مجالها. وهو ما أسميته في بعض محاضراتي القديمة بـ (**مبدأ الهدم والبناء**). وهو مبدأ معتمد في الدعوات كلها.

فأساس دعوة الإسلام يقوم على ذلك:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (البقرة: 256). فلا يمكن أن يبني الإيمان بالله ، إلا على هدم الإيمان بالطاغوت والكفر به. وينسحب هذا المبدأ على ما هو أقل مستوى في التناقض. من مجالات الحق والباطل. إلى مجالات الخطأ والصواب. وهي افتراضات اجتهادية في مجالات العمل والحركة خاصة.

فلا يمكن إثبات أن الجهاد هو الحل للخروج من أزماتنا. إلا بإثبات أن البرلمان ليس الحل. وقل مثل ذلك عن الأساليب المتعددة المطروحة في سوق الصحوة الإسلامية.

وعند ما يتعلق الأمر باستعراض التجارب وتقييمها تشتد حساسية المسألة. فالتجارب دعوات. والدعوات أفكار ومناهج. ونقدها يثير حساسية أصحابها. وأكثر من هذا حساسية ، أن الدعوات أشخاص

ورموز، وأعمال عاملين. وانتقادها يثير حساسية أكبر. بل يثير الشعور بالعدوان ، ويستفز للرد.

وهنا لا بد من العودة إلى أصول الخلاف وأدب الخلاف وفق قواعد الإسلام. فنظريات (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**) تقف مع مختلف شرائح مكونات خط الحرب المفترض حشده في هذه الأمة في مواجهة أعدائها أمام مستويين من التعارض: **مستوى إختلاف ، ومستوى خلاف.**

ففي التعرض لما يمس ثوابتنا العقدية والمنهجية الفكرية فنحن ومن يرى غير ذلك بمن فيهم بعض مكونات وحركات الصحوة الإسلامية ومناهجها ومدارسها وإعلامها في مجال خلاف. خلاف تضاد. فالفارق مثلا بيننا وبين الإسلاميين (البرلمانيين والديمقراطيين) هو مجال خلاف تضاد وليس اختلاف تنوع مقبول.

وأظن أن هذا المثال الصارخ الإشكالية يوضح نظائره من المشاكل المنهجية.

وأما ما يمس أساليب العمل ، وآليات المواجهة ، ضمن التيار الجهادي ومدارس العمل الإسلامي ، فنحن في مجالات اختلاف تنوع ممكن ، وربما مفيد. فهو اختلاف في وسائل العلاج.

وهنا ربما تكون الحساسية أقل. أو هذا ما يجب على الأقل.

وقد حرصت رغم الطبيعة الثورية لمثل هذه الأفكار المطروحة في هذا الكتاب. أن ألطّف من كافة تبعات هذا الخلاف والاختلاف. لكوننا في حالة مواجهة صائل ليس أوجب بعد توحيد الله من دفعه. ويجب رص الصف وتأليف القلوب. رغم صعوبة المسألة. فالنفوس جبلت على تقديس الأفكار والأشخاص. وهي اكبر المعضلات التي قامت في طريق الأنبياء فمن بعدهم ، من أتباعهم وورثة دعواتهم.

ولكني جهدت وسأجهد في أن لا تؤثر جدية الطرح ، وعمق انقلابيته وأبعاده التجديدية ، على ما أقصده من الحشد للمقاومة. فإني هنا بصدد إنشاء نظريات دعوة. وليس إرساء قواعد تنظيم أو تجمع حركي ينافس الآخرين في ميدان العمل. ويصارعهم على تجاذب مقومات العمل ، البشرية والمادية. كما حصل ويحصل وللأسف في ميدان الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي..

بل لقد ذهبت في هذا الطرح لما هو أبعد من ذلك في رص الصفوف ومحاولة جمع الأمة. وذلك أن مجالات الخلاف والاختلاف، تصبح مجالات تناقض وعداء ، عندما نخرج من دائرة الصحوة الإسلامية ، إلى مختلف الشرائح والمكونات الفكرية والثقافية والسياسية للأمة الإسلامية ، بمجموعها البشري ، وتركيبها الثقافي والحضاري المعقد. من مثل التيارات ذات الأفكار المستوردة مثل التيارات القومية ، والوطنية العلمانية ، وغيرها التي تشتمل –

للإنصاف – رغم تناقضنا مع أفكارها ، وعدائنا لما تحتويه من الإنحراف والضلال .. فإنها تشتمل على قطاع عريض من الشرفاء الذين يريدون بإخلاص الاشتراك في المقاومة لذات أعدائنا. ويقصدون – من حيث لم يوفقوا للصواب – إلى خلاص هذه الأمة ، ويرجون انتصارها ورفعتها.. وقد شاركونا كإسلاميين الكثير من ضرائب العناء مع الأنظمة الطاغية ومن وراءها من القوى الاستعمارية.

فحتى هذا القطاع ، حرصت في نظريات المقاومة ، دون أن أجاوز ما يسمح به المعتقد وثوابت الدين المقدسة ، أن أتألف تلك القلوب ما أمكن. وأن أدخل من بوابات مجالات الإتفاق معها ، معتمداً على ما لديهم من النخوة والشرف والحمية ، والعاطفة الإسلامية عند من تتوفر عندهم. وصولاً إلى كسبهم إلى أن يكونوا على يمين خط حرب المقاومة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها من المرتدين والمنافقين. إن لم يكن حلفاً على نصرة الحق ، فحياداً تجاهنا على الأقل.

وهذا من أهم واجبات من يتصدرون لعملية الحشد. حشد الأمة على المقاومة.. وهذا ما سعيت إليه كواحد ممن يرجون الوقوف في هذا الصف.

وأرجوا أن تتسع الصدور جميعها ، وهي تستعرض ما لم أستطع أن أتجاوزه من نقد بعض الأمور. أو ما لم يحالفني الأسلوب المناسب في تناولها. وخاصة من قبل إخوة العقيدة والسلاح من الجهاديين. أو أخوة

طريق الصحوة وخدمة الإسلام من الإسلاميين. أو من يجمعنا بهم الهدف النبيل والشرف والنخوة للسعي نحو تحقيقه.

خامسا : خصائص وملامح في نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

(1) – **تعتمد الدعوة منهج التجديد في أساليب العمل الجهادي و الفكر الحركي للصحوة الإسلامية.**

ومرد ذلك إلى التغيرات الجذرية لظروفنا المحيطة ، منذ قيام النظام العالمي الجديد ، وانطلاق الحملات الصليبية الصهيونية واعتمادها على تحالف أنظمة الردة وقوى النفاق في بلادنا معها. ولاسيما بعد ما عرف بعالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. ثم تكشف برامج الحملات الصهيونية الصليبية الأمريكية على عالمنا الإسلامي. ومشاريعها الحضارية الشاملة لعالمنا الذي أسمته (الشرق الأوسط الكبير). وهجمت عليه عسكرياً وسياسياً وثقافياً وعلى كل صعيد. فجذرية التجديد اقتضتها جذرية التحولات الناشئة عن الحملات وتركيبة الصف المعادي.

(2) – **السمة الأساسية للدعوة – رغم شمولية المنهج– أنها دعوة مقاومة جهادية للعدو الخارجي أساساً.**

فقد قامت معظم مدارس الصحوة الإسلامية ، ولاسيما السياسية منها ، وخاصة الجهادية من أجل الإطاحة سياسياً أو جهادياً بأنظمة

الحكم ، القائمة على غير شرع الله. ومن أجل إقامة الحكم الإسلامي على أنقاضها. وكان هذا هو هدف الصحوة بكل مدارسها. وبسبب هذه الهدف تحددت خصائص المناهج ، وأساليب الحركة ، وكانت كما كانت.

ولكن الهدف الذي تقوم من أجله دعوة المقاومة مختلف الآن. وهو تحديدا دفع صائل العدو الخارجي. وإن كان نجاحنا في تحقيق هذا الهدف ، سيؤدي تلقائياً لنفس الهدف الشامل للصحوة الإسلامية والجهادية. وهو إقامة دولة الإسلام وتحكيم شريعة الله. ولكن الهدف الاستراتيجي المرحلي الذي فرضه الواقع الآن. ليس إقامة تنظيم أو تنظيمات تطيح بحكومات محلية. سواءً عبر تنظيمات سرية ، أو أحزاب سياسية (قانونية). لأن الداهية الآن أكبر. والتصدي لها أعجل وآكد.

فهدف دعوة المقاومة هو:

مقاومة صائل الحملات الصهيونية الصليبية الغازية بقادة أمريكا وحلفائها اليهود والصليبيين من قوى الكفر الخارجية. ومن قوى الردة والنفاق المحلية المتعاون معها. وبتغير الهدف الإستراتيجي القديم ، وهو مواجهة الحكومات ، تتغير معطيات المناهج المطلوبة والأساليب الحركية المناسبة.

ويجب أن لا يفهم أحد من هذا ، أنه ليس من أهداف دعوة المقاومة (إقامة حكم شرع الله) ، معاذ الله . وهل يكون مؤمناً من لا يكون هذا هدفه؟. ولكننا نعتبر هذا الهدف النهائي نتيجة لنجاح المقاومة في دحر هذه الحملات.. وإسقاط القوة العظمى أمريكا.

لقد بينا فيما مر في الجزء الأول. بما فيه الكفاية. ما أدت إليه الأساليب القديمة. الجهادية منها ، أو السياسية على طريق الصراع مع الحكومات القائمة. وترك القوى الخفية التي دعمتها. وما أدى إليه ذلك من الاحتراب الداخلي ، والدوران في حلقات مفرغة. ومن حسن الحظ ، ولكي تكون المعركة على بينة. جاءتنا تلك القوى اليوم صراحة بخيلها ورجلها ولله الحمد. وإن دحرها سيؤدي تلقائياً إلى سقوط حلفائها المرتدين والمنافقين. ومن يصر على الردة منهم بتحالفه مع الأعداء الغزاة. ولا ينعطف لينضم إلى جموع الأمة المقاومة.

وبحكم طبائع الأشياء ، ستكون القوى السياسية و الجهادية المنتصرة في المقاومة إن شاء الله هي المرشحة تلقائياً لملء ذلك الفراغ. وهل ستملؤه بعد كل ذلك المسار الجهادي من التضحيات إلا بتحكيم شرع الله وإقامة دولة الإسلام ؟. وهل ستجرؤ قوى محلية ظلامية جديدة ، على الوقوف في وجه ذلك الهدف حينئذ ، مع غياب القوى الدولية العظمى – التي زرعت أحزاب الكفر وجموع العملاء في بلادنا – واستراحة البشرية من شرورها.

إن انتصار مشروع المقاومة وسقوط أمريكا ، بإذن الله. سيبدل موازين القوى. ويجعل الأرض غير الأرض. ولن يحكمنا عندها إلا شرع الله. ولهذا الهدف يجب أن نعمل الآن.

فالهدف الاستراتيجي للمقاومة هو صد الحملات. وجمع الأمة على ذلك. تحت شعار الجهاد ومنهج الإسلام. في دعوة تربوية شاملة متكاملة . ستولد بإذن الله جيلا ، بل أجيالا لا ترضى بغير الله ربا ، وبغير الإسلام دينا ، وبغير القرآن كتاباً ودستورا ، وبغير نبينا مُحَّد ﷺ نبياً ورسولاً وقائداً وإماماً..

(3) - **نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تحمل في كثير من جوانبها أبعاداً سياسية شرعية.**

والسياسة الشرعية ، كما هو ظاهر من تركيب هذا (المصطلح) هي وليدة :

(شريعة + سياسة). والشريعة أحكام ثابتة ، وخطوط عريضة تحد مجالات السياسة . لتسير وفق الهدى الرباني لسياسة واقع.

والواقع متحول يقوم على حركة بشر، وسلوك متحول يعتمد فن الممكن ، وقلوب متقلبة ضمن أصابع الرحمن جل وعلا يقلبها كيف يشاء.

ولذلك يجب أن تتحرك دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ضمن هذه الآفاق.. بضوابط السياسية الشرعية، بثبات ثابتها ، وتحول

متحولها. بانسيابية حركية تناسب التجدد والتقلب الهائل في الظرف والمعطيات. فإن من خصائص النظريات العملية. القدرة على التجديد ومواكبة المتغيرات. من قبل العاملين ذاتهم. واتصال سلسلة السائرين على بصيرة من دينهم. بعد اختيار استراتيجية الثبات والاستمرار بعون الله.

(4) - **إن دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. دعوة لتنظيم جهد المجموع من خلال إبراز دور الفرد.**

فهي مستوحاة من قوله تعالى:

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾

(النساء:84) .

فدعوة المقاومة هي دعوة قامت كي يستطيع الفرد كفرد ، والمجموعة الصغيرة مهما قلت إمكانياتها ، أن تؤدى فريضة الجهاد العيني لدفع الصائل ، بما يناسب حالها وقناعتها وقدرتها على التجمع والتنظيم . كما قال تعالى :﴿ **فقاتل**﴾ ، ﴿**لا تكلف إلا نفسك**﴾. فتطلق الفرد للعمل ، إذا لم يجد من لا يضم جهده إليه. فإن وجد من يعينه ، وينضم إليه. فبها ونعمت.

وهو ليس قتال على أي مبدأ كان ! وإنما ﴿ **فقاتل في سبيل الله** ﴾.. وسبيل الله منضبط – باختصار- بشرع الله. وهو معتقد دين. وأحكام شريعة. ينتج سلوكاً ومنهجاً.

وهي إذ تكلف الفرد، كل فرد مهما قل شأنه وإمكانياته ، ما خلا أصحاب الأعذار الشرعية – وليس أعذار القعدة والمنافقين – تكلفه بالقتال. وتضيف تكليفاً آخر لكل بحسب قدرته عامة: ﴿**وحرض المؤمنين**﴾، فتخص أهل الذكر ، وأهل العلم ، ورجال الفكر، وأصحاب الرأي. تضيف إليهم فريضة أخرى وهي القيام بالتحريض على المقاومة ، ﴿وحرض المؤمنين﴾. فعليه أن يحرض ويدعو للمقاومة. فضلا عن واجبه القتالي.

ومجال التحريض هو للمؤمنين ، وهم الذين آمنوا ، كل الداخلين تحت مسمى لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله. وهم دائرة التحريض العامة.

كل ذلك من أجل هدف تحققه هو بيد الله تعالى توقيتاً وكيفاً. ونحن مكلفون بالسعي إليه. فكل ذلك الجهد والمقاومة والقتال ؛ ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ يكف بأسهم وعدوانهم. ثم ليؤمن كل مجاهد تحقيقه عقدية من أساسيات الإيمان ، وهي قوله: ﴿ والله أشد بأساً وأشد تنكيلا ﴾.

فهم سيهزمون ببأس الله وسيؤولون في الدنيا والآخرة إلى نكاله.

والعاقبـة للمتقـين. ﴿ كَتَـبَ اللَّهُ لَأَغْلِـبَنَّ أَنَا وَرُسُـلِي إِنَّ اللَّهَ قَـوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة:21) . ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات:173)

وكما قال عليه الصلاة والسلام. وكفى بها شحنة معنوية دافعة: (**ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار**). فلا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله والله أكبر ولله الحمد. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى النظريات الثمانية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية نبدؤها.. بأهمها و مرتكزها كما هو مستند كل دعوة وطريقة.. نظرية المواجهة ، (المنهج والعقيدة القتالية).

۞۞۞۞۞۞

الفصل الثامن

نظريات المقاومة الإسلامية العالمية

الفصل الثامن

الباب الأول

المنهج والعقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

العقيدة القتالية:

هي مجموعة الأفكار والمعتقدات التي يحملها المقاتل في عقله وقلبه ونفسه ، ويتحرك بدافعها للقتال من أجلها ، فتورثه الثبات على تكاليف هذا القتال ، الذي يكلفه كل ما يملك وأعز ما يملك. نفسه وماله وولده وأهله وكل كيانه. كما تشتمل على الأخلاقيات والسلوكيات والقواعد والأحكام التي تلزمه أثناء مسيرته القتالية.

وهذه العقيدة القتالية هي التي حركت الجيوش ، وأزكت الصراعات ، وأقامت الدول عبر التاريخ. وبسببها نهض الرجال ، وثبت الأبطال في ميادين النزال. وببواعثها صبر المصابرون على تكاليف المسار كي يبلغوا أهدافهم في كل زمان ومكان ، وفي كل أمة وملة ونحلة. وبها سار كل إناء بالذي فيه ينضح منذ قديم الزمان.

وفي العصور الحديثة حرصت الدول وقيادات الجيوش ، والتنظيمات العقائدية ، والثورات والحركات والأحزاب التي حملت

المبادئ ، كما حرص القادة والزعماء على تعبئة جنودهم بعقيدة قتالية تدفعهم إلى البذل والعطاء ، وتقديم الجهد والصبر في ميادين القتال. لتقنعهم بالحق أو بالباطل بعدالة قضيتهم. وبسمو المبادئ التي يقاتلون من أجلها. سواءً كانت ديناً أو معتقداً ، أو حباً للوطن وإخلاصاً للأمة.

ففي كل جيش من جيوش العالم اليوم دائرة هامة من دوائر قيادات الجيش والقوات المسلحة تسمى (دائرة التدريب والتوجيه المعنوي). أو ما يوازي ذلك من المسميات. حيث يعمل بها المتخصصون من العلماء والأدباء والمفكرين والأطباء النفسانيين. ويقومون بإعداد البرامج والمناهج من المحاضرات والدروس. لزرع الأفكار والحفاظ على مستوى قناعة الجند بعقيدتهم القتالية واحتفاظهم بقيمهم، وروحهم المعنوية.

وتأخذ هذه المواد حيزاً يجاوز في كثير من الأحيان نصف ساعات التدريب العام وبرامج الإعداد. وقد يصل في بعض الحركات الثورية والتنظيمات العقائدية ، إلى أكثر من 80 % من الوقت المخصص للعمل والإعداد لدى الأتباع والجنود.

وقد كانت الأديان والمعتقدات الدينية وما زالت منذ قديم الزمان وإلى اليوم ، الباعث الأساسي والأكثر تأثيراً في إيجاد هذه العقيدة القتالية والروح المعنوية لدي المقاتلين. وحتى في التجمعات والدول

التي اعتمدت الإلحاد ومذاهب العلمانية – ومعظمها يتهاوى اليوم – يشهد العالم عودة نحو التدين والتعصب الديني. أو أنها حاولت أن تعوض بتلك المذاهب المادية العلمانية عن الأديان بعقائد من وضع البشر لها هيبة الدين وقداسة المعتقد لدى أصحابها.

الفارق بين المقاتل المحارب.. والمجاهد والجندي العقائدي:

أسهبت الدراسات التي عنت بالعقيدة القتالية وأهميتها في الجيوش الحديثة بإيضاح هذا الفارق. فالمقاتل أو المحارب لغير قضية ، من غير معتقد ، ولغير هدف مقدس سام عنده. مثل اللصوص وقطاع الطرق، والجنود المرتزقة. يشتركون مع أي جندي ومقاتل عقائدي يقاتل لهدف شريف وعقيدة مقدسة عنده ، بكل خصائص المقاتل إلا العقيدة. فهم يشتركون في كل وجوه الإعداد. وفي كل حركات القتال والأعمال العسكرية.

فهم يتدربون ويتقنون استخدام السلاح. وتكتيكات القتال. والفنون الملحقة اللازمة لذلك. وربما فاق رجال العصابات و المافيات والمجرمون واللصوص وقطاع الطرق ، أقدر الجنود ورجال الأمن والإستخبارات في إتقان التقنيات القتالية والمعلوم الفنية اللازمة للقتال بكل أشكاله. وربما فأقوهم شجاعة وإقداماً ومراساً في القتال والإصرار. ولكن هناك فوارق جوهرية بين هؤلاء وبين المقاتل

العقائدي. فوارق سرعان ما يبدو أثرها جلياً مع استمرار المواجهة وقسوة الظروف. ولاسيما في حالات الهزيمة وتتالي التضحيات.

فالذي لا يقاتل لعقيدة ومبدأ ، لا يصبر على الهزائم. ولا يصبر على استمرار وطول فترة المعاناة. وسرعان ما يكون عرضة لأن يبيع ذمته وضميره لعدوه. وربما يعمل لحساب عدوه إذا وفر له نفس غاياته الدنيوية ، أو زاد على من وفرها له ، من قبيل أنواع متاع الحياة الدنيا، من المال والنساء والجاه والسمعة والرياسة وغيرها. فينقلب ويخون. أو على الأقل يستسلم وينسحب إلى حياته الخاصة مؤثراً السلامة مكتفياً بما حصله وجناه. فرحاً بالنجاة إن لم يظفر بسواها.

لكن المقاتل العقائدي يثبت ، ولا يخون ولا ينقلب ، ولا يكون عميلا لعدوه. ولا يستسلم إلا مكرها قد أحيط به. ويحاول الفكاك من عدوه ومتابعة العطاء. ويصبر ويحتسب عناءه عند الله. ويكون له من راحة ضميره ، أو تصوراته عن مآله وازعاً لذلك الصبر والصمود. ولو فتر وسكن لفترة مضطرا. تبقى نفسه تواقة وضميره يعذبه ويدفعه لمعاودة الجهاد من أجل أهدافه وقيمه العليا. وشتان شتان بين المحارب وبين المقاتل العقائدي.

وقد أدرك المربون من كل ملة ونحلة أثر ذلك. فأولوا العقيدة القتالية مكانتها في مناهج الإعداد والتدريب. حيث تزخر المكتبات بالمواد التعليمية والمنهجية والدراسات المتخصصة في هذا المجال.

العقيدة الجهادية لدى المسلمين وأثرها ومكانتها:

نحن المسلمون نسمي قتال أعدائنا ، (جهاداً في سبيل الله). وبالتالي يكون المصطلح المناسب المرادف (للعقيدة القتالية) عند غيرنا هو مصطلح (العقيدة الجهادية).. ومكانة العقيدة الجهادية عندنا ظاهرة بينة ، تطفح بها نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة. وتراث له أول وليس له آخر من أقوال العلماء ، وحكم الحكماء ، وأدب الأدباء شعراً ونثراً على مدى القرون المتتالية من تاريخنا المجيد.

وتتميز عقيدتنا الجهادية عن غيرها من العقائد القتالية ، أنها تحتوي فوق ما تحتويه كل تلك العقائد ، من إثارة بواعث الحمية للوطن والأرض والعرض ، ومكامن الرجولة والشرف والإباء ، وآفاق الخلق الحميد والمزايا الرفيعة. فقد ربطت المجاهد في سبيل الله بما وعدته من التمكين والعز في الدنيا له أولمن يأتي من إخوانه وأهل ملته من بعده وعداً أكيداً لهم من الله ، بالتمكين إن هم ثابروا على درب الجهاد والصبر، والمصابرة والمرابطة على جلاد أعداء الله. ووعدته بما هو أسمى وأعز من ذلك وأحبه لنفسه. وهو ما وعده الله به من الجزاء في الآخرة من الثواب والجنة ورضوان الله لقاء جهده وصبره وفتنة بارقة السيوف فوق رأسه. فأوجبت له الجنة لقاء قيامه في الصف مجاهداً لدقائق معدودة – فواق ناقة– (وهو المدة ما بين حلب الناقة وعودة الحليب إلى ضرعها). فعن رسول الله ﷺ أنه قال : **(من قاتل**

في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل في سبيل الله من نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لو الزعفران وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خرّاج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء) (رواه أبو داوود).

وأما لو قتل في سبيل الله فقد وعدته بأجر الشهيد الصابر. ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد حفلت نصوص القرآن والسنة بما يجعل القلوب تقفز من بين الضلوع شوقاً، وترقص الأحاسيس طرباً ، وتطير الأرواح رغبةً إلى لقاء الله وموعوده من تفاصيل ذلك النعيم. وما أعد الله له من ذلك ، وفوقه صحبة حبيبه المصطفى ﷺ ، مع من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ثم النعيم الأعظم ، رضى رب العزة، ورؤيته ، وأن يضحك له ويسقط عند الحساب..

وقد زودت العقيدة الجهادية لدى المسلمين المجاهد، بتفاصيل مفصلة عن كل شيء. عن خلقه ونشأته ومساره في الدنيا. وعن معاده في الآخرة. فلم تترك له سؤالاً بلا جواب في حنايا نفسه.

عقائد مفصلة. وشرائع مقننة. وقوانين متناسقة ، وسبحات روحانية ... فسبحان من لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدىً.

فلو قدر لأي مخلوق أن يحتار في أمره. وأن تضيق عليه أقطار نفسه. فقد أنجى الله المؤمن والمجاهد من هذا العذاب في الدنيا والآخرة. فإذا تاهت نفس الملحد حيرة وتلجلج يقول مقالة الشاعر العربي النصراني البائس الذي غنى شعره مطرب بائس مثله وتمايل على ألحانه البائسون التائهون من الضائعين في هذه الأمة عند ما قال..

جئت لا أعلم من أين لكني أتيت   ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

كيف جئت أين أمضي لست أدري..

فإن المؤمن والمجاهد خاصة يدري ويعلم. فسبحان الله الذي علمنا قوله:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾ (الكهف:1-2). فكتاب ربنا كما وصفه تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل:89)

وأما في ميدان الجهاد والعقيدة الجهادية..

فقد بين له الإسلام لِمَ يجاهد؟ ومن يجاهد؟ وكيف يجاهد؟ ولأي غاية يجاهد؟ وكيف يكون سلوك المجاهد وآداب الجهاد. وبين له شرائع ذلك وأحكامه في الدماء والأموال والأعراض.. وتفاصيل

أحكام القتل والأسرى والغنائم. وزوده بما يعين على التقوى وما يحليه بالصبر والثبات ، وما يزكي في نفسه مكامن الشجاعة والإقدام. وعلمه آداب الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين وأمره بجهاد الكفار والمنافقين وأن يجدوا منه غلظة. وعلمه أنه جندي لدين الرحمة ونبي الرحمة. إلى آخر ما امتلأت به الكتب ، وحفلت به المكتبة الإسلامية ، لهذا الدين العظيم.

ولو جئنا لنستقصي شيئاً من ذلك هنا لطال بنا المقام وخرج بنا عن المقصود. فسبحان منْ منّ علينا بقوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة: 3).

وبسبب هذه العقيدة الإسلامية عامة. والعقيدة الجهادية خاصة. كان لنا في التاريخ نماذج فذة تحتذى ، وأخرج لنا قافلة من النماذج والرجال القدوة الذين كان في طليعتهم من قال فيه ربه سبحانه:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب:21).

كما حفظ لنا التاريخ قصصاً مجيدة عند ما حضرت تلك العقيدة القتالية في نفوس أصحابها المؤمنين من انتصار الرهط القليل من المؤمنين على جموع أعدائهم عند ما استعلت فيهم تلك العقيدة.

وقصصاً مريرة وأخباراً مؤلمة مما حل بهم. لما جاءت أجيال خبت في نفوسها جذوة تلك العقيدة الإسلامية والروح الجهادية. أو سيطر

حب عرض الدنيا عليهم خلال أوقات المواجهة .. فكانت صفحات مروعة من عكس ذلك عند ما هزمت جموعهم ودكت حصونهم وسقطت قلاعهم ونهبت قصورهم وقتل أشرافهم وسبيت نساءهم في مشاهد غزوات التتار، والحملات الصليبية ، وسقوط الأندلس ،... وغيرها على مر التاريخ. وصولاً لمثل ذلك من تاريخنا المعاصر المليء بالآلام والمآسي. حيث تبرز فيه أيضاً بعض البقع المضيئة من نماذج صبر الصابرين وجهاد المجاهدين المستعلنين بعقيدتهم الجهادية السامية.

آفاق من العقيدة الجهادية عند المسلمين:

- إن أول ما تعلمنا إياه العقيدة الجهادية لدينا معشر المسلمين ، هو حقيقة أن (لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله). وما يتفرع عن ذلك من عقائد هذا الدين وأحكامه ومقتضياته. فنحن لا نعبد إلا الله ولا نطيع إلا ما أمر الله. بالكيفية التي نزلت على رسوله وحبيبه قائدنا وحبيبنا مُحَّد رسول الله ﷺ..
- ومما تأمرنا به عقيدتنا القتالية قوله تعالى بأن نقاتل أعداءنا ومن انتهك حرمات ديننا أو المؤمنين به ، حتى يكون الدين كله لله:
- ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:193).

وتعلمنا وتملؤنا إيمانا أن الحكم لله وحده:

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (يوسف: 40) . وأن شريعة الله جاءت لتحكم وتسود. ولتضبط حياة المسلمين: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (النساء:105).

وتعلمنا أن الإعراض عن ذلك يسبب لنا خزي الدنيا وتداعي الأعداء، وعذاب الآخرة وسخط الله.

- وتبين لنا عقيدتنا الجهادية، من هم أولياءنا المؤمنون وتأمرنا بموالاتهم. ومن هم أعداؤنا الكافرون وتأمرنا بالبراءة منهم وجهادهم بما استطعنا.
- وتعلمنا بأن من والى المؤمن فهو المؤمن. وأن من يوالي أعداءنا الكافرين فهو منهم. ومثلهم حكماً في الدنيا والآخرة ، وتأمرنا بقتالهم.
- وتبين لنا عقيدتنا الجهادية وجوب العمل على تحكيم شرع الله ونصب الإمام المسلم وإقامة دولة الإسلام.
- وتأمرنا عقيدتنا بقتال من تولى أعداءنا وقاتل تحت رأيتهم. وتفصل لنا تفاصيل أحكام أصنافهم وأشكالهم من الموالين والجاهلين والمكرهين.
- وتزودنا عقيدتنا القتالية بما يعين على ذلك من الخصال والأخلاق. من الإيمان والصبر، والكرم والشجاعة ، والثبات

والرحمة ، والعبادة والنسك ، وبذل النفس والمال والوالد والولد في سبيل الله.

- وتأدب المجاهد في سبيل لله بأخلاق الرحمة والعدل والإنصاف وكل آفاق الأخلاق والآداب الحميدة.
- وتعلمنا كذلك آداب معاملة العدو ذاته. وأحكام ذلك في ميدان المعركة. أو في حالة العهد والهدنة والصلح. فتعلمنا أحكام الذمة والاستئمان كما أمر الله ، لا كما يروج اليوم كهان السلاطين أولياء الكافرين.
- وتعلمنا العقيدة الجهادية طاعة أولياء أمور المسلمين. كما تعلمنا أن لا طاعة لمن عصى الله. وأن الطاعة في المعروف. وتعلمنا أن نناصحهم ونوازرهم ونعينهم على البر والتقوى. لا على الإثم والعدوان. وأن نصبر على زللهم وخطئهم ، وحتى ظلمهم ولو جلدوا الظهر وسلبوا المال. وأن نتجاوز عن كل ذلك ما لم يبلغ مبلغ أفسد الفساد وأفسق الفسق. وتعلمنا ذلك بنص قرآني محكم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء:59) .

وتبين لنا من هم أولياء الأمر الذين هم **(منا)** ، ما أقاموا شرائع

الإسلام . وتبين لنا بنص محكم أيضا ، أن حكامنا إن تولوا أعداءنا لم يعودوا منا. قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(المائدة:51) قال علماء الإسلام : **(منهم)** ؛ [**أي كفار مثلهم**]..

وعندها تعلمنا عقيدتنا أن الفريضة هي الخروج على أئمة الكفر، أولياء أعداء الله ، ومنابذتهم بما رأينا من الكفر البواح الصراح الذي لدينا معه من الله البراهين .

- وتعلمنا عقيدتنا الجهادية فرضية دفع الصائل عن الدين والعرض والنفس والمال والأرض.. وإن كان مسلماً فما بالك لو كان كافراً غازياً.
- وتعلمنا أن المسلم أخوا المسلم ووليه وناصره ومعينه ، وله عليه حق النصر والمعاونة ، حتى ولو كان فاجراً فاسقاً مقصراً.وأن الكافر أخوا الكافر ووليه وأن من والاه ونصره على المسلمين وظاهره في العدوان فهو مثله ولو أدعى الإيمان والإسلام وصام وصلى.
- وتعلمنا عقيدتنا الجهادية الرحمة والشفقة والتعاون على البر والتقوى. وحرمة التعاون على الإثم والعدوان. وأن نتم لكل ذي

عهـد عهـده. وأنـه لا تـزر وازرة وزر أخـرى. أمـر الله تعـالى.

وتعلمنا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8).

وتعلمنا قـول حبيبنا المصطفى: (**مـن خـرج على أمتي يضـرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها فليس مني ولست منه**).

- وتعلمنا كل ما يندرج تحت مكارم الأخلاق. وتنهى عن ضد ذلـك ... إلى آخـر مـا تعلمنـا إياه تلـك العقائـد المتكاملـة والأحكام الشرعية المفصلة.
- وتعلمنا ما روي عنه في الأثر عن بن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ قال:

(**لا يزال الجهاد حلوا أخضر ما قطر القطر من السماء وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم : ليس هذا زمان جهاد فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد ، قالوا يا رسول الله وأحد يقول ذلك ؟! فقال: نعم من عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**) (السنن الواردة في الفتن - 371).

وصدق رسول الله .. فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين !!

أثر غياب العقيدة الجهادية عند المسلمين:

إن مما تعلمنا إياه عقيدتنا القتالية وتنذرنا منه ما جاءت الأيام بتصديقه وإثباته معجزة ضمن سلسلة معجزات نبوية لا متناهية.

فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت**).

وهو ما نعيش اليوم بصورة واضحة.

فقد بين هذا الحديث الشريف والأثر العظيم أثر غياب العقيدة الجهادية على المسلمين وأسباب ذلك مما حل في قلوبهم ، بإيجاز معجز من قبل من لا ينطق الهوى وإنما كلامه وحي يوحى ..

فإذا ما خبت جذوة العقيدة عند المسلمين على مر الأزمان كما حصل مرات عديدة.. كانت نتيجتها دائماً واحدة.. أن تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الذئاب الضارية الجائعة إلى فريستها.. فتقطع أوصالها. وتدوس مقدساتها. وتزهق نفوسها. وتنتهك أعراضها. وتحتل أرضها وتنهب ثرواتها و مقدراتها. وكان السبب دائماً واحد.

فإذا ما ضعفت جذوة الإيمان في نفوسهم. ابتعدوا عن عيش حقيقة أحكام دينهم وشرائعه. وتنافسوا في الدنيا وملاذاتها التي تجرهم إلى التنافس فيها، والتباغض والتحاسد والتقاتل عليها وعلى السيادة فيها. وتدفع كبراء مجرميهم إلى ولاية أعدائهم لأجلها وخيانة أمتهم في سبيلها..

فإذا ما وقع ذلك ، ودب الفساد في صلحائهم ، واحتراف العلم والدين من يشترون به ثمنا قليلا ، عندها يملأ قلوبهم الوهن. الذي أخبر به ﷺ ؛ (حب الدنيا وكراهية الموت)..

عند ذلك تحصل النتيجة الطبيعة التلقائية. فينزع الله مهابتهم من قلوب أعدائهم. ويحل بهم الرعب منهم. وتكون النتيجة ما رأينا على مر العصور والأجيال. مما حفظته كتب التاريخ.

واقرؤوا إن شئتم عن حال الأمة أيام غزو التتار ، وكذلك أيام الحملات الصليبية ، وما علمنا عن سقوط الأندلس.

ولماذا نذهب بعيداً وتاريخنا الحديث حافل ماثل بشواهد غياب العقيدة الجهادية عن قلوب معظم هذه الأمة. فهذا تاريخنا الحديث يحدثنا:

فقد انطلقت الحملات الصليبية الرومية الجديدة . فأسقطت الخلافة سنة 1924م . ثم قطّعت معاهدات سيكس بيكو الأمة وأراضيها وشعوبها إرباً إرباً ، وجعلتهم دولاً وإمارات ، وممالك متنازعة

متفرقة. واحتلت مقدساتهم ونهبت ثرواتهم. ووطنت اليهود في عقر دارهم. وكان ما روينا طرفاً موجزاً عنه في الفصول السابقة. ولمن لا يعرف التاريخ. ويقصر علمه وفهمه عن دراسته. فهذا حاضرنا الماثل مع الحملات الصليبية اليهودية الجديدة ، بقيادة أمريكا وحلفائها في الناتو من الدول الغربية. ومخططاتها للشرق الأوسط الكبير. لتحتله من أقصاه إلى أقصاه. ولتجند حكامه ليقتلوا نخبة شباب شعوبهم. وتستعمل عساكر المسلمين في ذبح الإسلام والمسلمين. ثم لتصنع برامج حرب الأفكار. فتفرض علينا تغير مناهج التفكير والتربية والتعليم في مدارسنا وحتى خطب الجمعة ودروس الدين في مساجدنا وتحدد لنا الآيات القرآنية التي يجب أن لا نطبعها ولا ندرسها ولا ننشرها.

فهذا بعض آثار نتائج غياب العقيدة الجهادية. وكل ذلك مما نشاهد من كفر الحكام. وفساد أكثر العلماء. وضلال غالبية العامة. وتملك الجميع الوهن ؛ حب الدنيا وكراهية الموت!

بل أن الأمور تبشر بالأسوأ ، وهو خروج أجيال تقدس عقائد المحتل الغازي الجديد. وتدعوا لأفكاره ونظم حكمه وحياته وثقافته وأتباعه في كل شيء. وها هي الأرض تسير وكأنها تتهيأ لاستقبال الدجال. جموع هائمة على وجوهها لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً..

لقد عرف العدو العلة وأخذ في زرعها ورعايتها. حرب الأفكار وتجفيف مولدات المقاومة والقضاء على عقائد الإسلام. وأهم ذلك جوانب العقيدة القتالية لديها. وهذا هو الداء وبعكسه الدواء. لا بد من التمسك بالدين. وإعادة زرع العقيدة الجهادية في شباب هذه الأمة.

العقيدة الجهادية في التيار الجهادي الصحوة الإسلامية المعاصرة:

بعد سقوط الخلافة.. وإبان أواخر أيامها وصففها ولدت بواكير الصحوة الإسلامية.. وكانت دعوات إصلاح شامل.. وكان جانب العقيدة الجهادية حاضراً في معظمها ولا أول على ذلك من الشعار الشهير في أم الحركات الإسلامية وقلبها ؛ دعوة الإخوان المسلمين وما تولد عنها من حركات في العالم العربي والإسلامي.. فقد قال الشعار في حينها.

(**الله غايتنا.. الرسول قدوتنا.. القرآن دستورنا.. الجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا..**)

ولا أجد في أدب أديب ولا بيان كاتب في هذه الأمة المعاصر أجمع لمقومات العقيدة الجهادية من هذا الشعار الذي يجمع حذافير الدين وأساسياته وفرعياته.

وقد سارت الصحوة على ذلك الستار صدرها الأول. ولكن ما الذي حصل بعد ذلك على أرض الواقع.. لقد دب الفساد في تلك العقيدة الجهادية. وآلت كثير من الحركات ، ليكون البرلمان غايتها، والغربُ قدوتها ، والديمقراطية دستورها والانتخابات سبيلها.. والوصول للمشاركة مع الطواغيت في حكوماتهم أسمى أمانيها. هذه هي الحقيقة الماثلة مهما تكن مؤلمة ومهما يشكل كشفها صفعة على وجوه أصحابها.

بل سار الحال إلى الأسوأ. فإن أكثر علماء الإسلام وقادتهم ورموز صحوتهم يسيرون اليوم لتكييف عقائد الإسلام على مزاج الغزاة الجدد تحت دعاوى الإعتدال واحترام الآخر.

إن من أول أولوياتهم اليوم التجاوب مع حرب الأفكار في قطع جذور العقيدة القتالية. لقد صارت العقيدة الجهادية إرهاباً. وفكراً إرهابياً يجب حربه. ويجب أن تنساه الأجيال القادمة. ولو قدر لهم أن ينجحوا لا قدر الله. ولن ينجحوا بإذن الله. لأنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أقول لو قدر لهم أن ينجحوا فستولد أجيال لا يعرف أكثرها دين ربهم ولا تاريخ أمتهم. بل ولا لغة آبائهم وأجدادهم. وستكون أجيالا بلا عقيدة جهادية تحفظ هذه الأمة من الزوال وتدافع عن بقائها ومقومات وجودها.

أقول بكل بساطة – ومهما تكن الحقيقة مؤلمة– لقد تماوتت العقيدة الجهادية القتالية في مدارس

الصحوة الإسلامية شيئاً فشيئاً منذ مطلع الستينات. ولم يحافظ عليها ويزكيها إلا ما اصطلح عليه باسم (التيار الجهادي). جماعات وأفراد هنا وهناك.

ولقد ذكرنا طرفاً من تاريخ ذلك في الفصلين الخامس والسادس والسابع من الجزء الأول. وبينا كيف أن معظم مدارس الصحوة ولاسيما المتسيسة منها ، ومن أجل دفع ثمن دخولها مجال (المشروعية القانونية) للممارسة السياسية لدى الحكومات. قامت بالتخلي عن عقيدتها الجهادية القتالية تدريجياً. بل ألتفت كثير من رموزها وقادتها ، لمحاربة أولئك الذين تمسكوا بتلك العقيدة من ابنائهم. وفصلوهم من تنظيماتهم. وضيقوا عليهم. فضلاً عن محاربة التيار الجهادي دعوياً وفكرياً وإعلامياً. بل وأمنياً في بعض الأحيان حيث تولى بعض الدعاة إبلاغ الأمن عن نوايا الجهاديين !!

لقد حمل التيار الجهادي عبر تنظيماته وأدبيات مفكريه وكتابه وإعلامه تلك العقيدة بمقتضى الشعار الأول للصحوة ، قولاً وعملاً. وقامت الجماعات والتنظيمات الجهادية المختلفة على تلك الأسس وتفاوت عطائها ومدى وضوح وتجذر تفاصيل تلك العقيدة في مناهجها.

وبشكل إجمالي يمكن القول أن معظم التنظيمات الجهادية تبنت العقيدة الجهادية وكان لها فكراً ومنهجاً جهادياً مكتوباً وتبعاً لذلك كان لها برنامجها التربوي الذي رسخ تلك العقيدة الجهادية في عقول عناصرها. وقد مرت كافة تلك التنظيمات بمرحلتين من الناحية المنهجية والتربوية وتربية الأعضاء على ذلك.

مرحلة ما قبل الصدام مع السلطات في بلادها. ومرحلة ما بعد الصدام. وبالإجمال استطاعت تلك التنظيمات والجماعات أن تربي في مرحلة الإعداد قبل الصدام كادراً طيباً كماً ونوعاً على تلك العقيدة والمناهج وخرجت نماذج ناضجة نموذجية كمجاهدين عقائديين يحملون عقيدة جهادية راسخة واضحة. وهم الرعيل الأول والثاني في كل حركة وتنظيم جهادي تقريباً. ولكن معظم تلك الجماعات بعد فتح الصدام المسلح عجزت للأسباب التي مر ذكرها عن تربية الطبقات التالية من الأتباع. ورغم أن المناهج معروفة ومدونه إلا أن نوعية ومستوى التربية انخفض فيما بعد..

ولما هاجرت تلك التنظيمات. حاولت استئناف المسيرة واستطاعت أن تبني شيئاً من ذلك ولاسيما من خلال مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطين الأول والثاني.

وبالإجمال يشكل عناصر التنظيمات الجهادية النموذج الأفضل للمجاهد العقائدي الذي يحمل عقيدة جهادية في ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة .

وفي تجربة الجهاد الأفغاني بشوط الأول . كان تجمع الأفغان العرب تجمعاً غير متجانس. وكانت الشريحة الأكبر منه لا تنضوي تحت تنظيم ولا جماعة ولا أمير.. وكانت معسكرات التدريب العامة المفتوحة تقتصر تقريباً على التدريب العسكري.. ولم تر من الدروس المنهجية القليلة البسيطة فيها ما يمكن وصفه بأنه منهج تربوي يرسخ عقيدة قتالية، باستثناء بعض الدروس القيمة و القليلة التي ألقاها الشيخ عبد الله عزام رحمة الله في الطبقة الأولى من تجمع المجاهدين العرب قبل أن تشغله المشاغل ثم تختطفه يد الردى رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وقد ترك الشيخ عبد الله رحمه الله تراثاً هائلاً يحتوي الكثير من مناحي العقيدة الجهادية. وما زال تراثه مظلوما مهملاً يحتاج من يخرج ما فيه من درر.

ورغم تجمع أكثر من 40 ألف مجاهد عربي ومسلم في الشوط الأول للأفغان العرب..مما شكل فرصة نادرة الحصول لتربية تلك المجموع أو طلائعها على عقيدة قتالية جهادية. لمواكبة ما يتربص بالأمة من أحداث وحملات صليبية وشيكة. إلا أن تلك الفرصة ضاعت.

وكان السبب الأول في اعتقادي عدم إدراك القيادة العليا للتجمع الجهادي العربي آنذاك لأهمية تلك العقيدة الجهادية.. وأعتقد أن كثيرا منهم في تلك المرحلة ، لم يكونوا يملكون تلك العقيدة الجهادية أصلاً ولا يقيمون لها وزناً.. بل كانوا يعملون بدافع عاطفة دينية و قناعات جهادية محدودة ومحددة. بل كان بعضهم يحمل أفكاراً متناقضة مع مقتضيات العقيدة الجهادية أصلاً تحمل بصمات ما تربوا عليه من مناهج غير جهادية. ولو لا فضل الله ووجود دعاة جهاديين وبعض العلماء والمفكرين ووجود التنظيمات الجهادية من الذين يحملون تلك العقيدة الجهادية. لاجتمع الجمع وانصرم ولم يخلف وراءه إلا صدى طلقات المعارك ودورات التدريب التي سرعان ما تلاشت. بعد أن قضى لأمريكا حاجتها ووطرها من ذلك الجمع دون أن يدري ودون أن يكون قد استفاد لصالح مسار الجهاد شيئاً لحسابنا الخاص لمسلمين ومجاهدين..

ولكن تلك الكوكبة الواعية الفاهمة بذرت بذور الفكر الجهادي واستطاعتها عبر معسكرات ومضافات التنظيمات الجهادية. وعبر بعض الدروس والمحاضرات التي عقدها بعض المفكرين وطلاب العلم الواعين لعقيدتهم الجهادية وأهميتها فضلاً عن انتشار الأدبيات التي تحمل الفكر الجهادي.

ولكن النجاح في ميدان زرع العقيدة الجهادية على مستوى عشرات الآلاف أولئك كان ضحلاً. وواجه مقاومة شرسة من قبل الأوساط السعودية التي كانت مسيطرة على معظم ذلك الجمع عبر مؤسسات كثيرة. وقد أثبت المردود الواهي لتلك المجموع وعدم مساهمتها فيما تلا من أحداث ، ذلك الفشل الذريع لمشروع تربية أولئك المجاهدين . وإحصائية تقريبية تثبت ذلك بكل وضوح..

لقد تكون الجمع العربي من زهاء 40 ألف مجاهد ، ارتادوا بيشاور ومعسكرات التدريب وجبهات القتال ما بين (1985-1992م). ولا شك أن أكثر من ثلثيهم قد تلقى تدريباً عسكرياً معقولا. وأن أكثر ممن نصفهم دخل جبهات القتال. وأن ربعهم على الأقل شارك في معارك حقيقية بشكل فاعل جعل منه مقاتلاً محترفاً على نحو طيب.

وقد تراوحت النسب التقريبية لجنسيات تلك المجموع بحسب ما تقصيتها قدر ما استطعت..

السعودية	نحو	20000 مجاهد
اليمن	نحو	5000 مجاهد
مصر	نحو	4000 مجاهد
الجزائر	نحو	2000 مجاهد
المغرب (مراكش)	نحو	عدة مئات المجاهدين
ليبيا	نحو	عدة مئات المجاهدين
فلسطين	نحو	عدة مئات المجاهدين
إمارات الخليج العربي	نحو	عدة مئات المجاهدين

أما تونس، العراق وسوريا ولبنان وموريتانيا والصومال فقد جاء من كل منها ، أرقام تتراوح بين المئات وعشرات المجاهدين. وكذلك باقي دول العالم.

هـذا بالإضـافة لعشـرات آلاف المجاهـدين الباكسـتانيين الـذين حضـروا وشـاركوا مـن خـلال تجمعـات ومعسـكرات مسـتقلة أو مـع الأفغان مباشرة.

ولنبـق في إطـار المجاهـدين العـرب. فباسـتثناء عـدة مئـات مـن المطـاردين أصـلاً في بلادهـم. عـادت معظـم تلـك الآلاف المؤلفـة إلى بلادها، وقد انطلق النظام العالمي الجديد واحتل جزيرة العرب.. ودمر العـراق وحاصـرها. واشـتعلت الإنتفاضـة .. وزحفـت روسـيا إلى

الشيشـان. ووقعـت مـذابح الصـرب في البوسـنة. واسـتمرت مآسـي المسلمين بشكل فظيع مع اقتراب القرن العشرين من نهايته وحملت وسائل الإعلام إلى كل بيت ، ما يفجر القهر والغيظ في ضمير أي مسلم..

فما ذا كان دور تلك الآلاف من المجاهدين الذين أعدوا وتدربوا وأتقنوا استخدام السلاح خفيفة وثقيلة وتعلموا استخدام المتفجرات وكل صنف الأسلحة ؟! ماذا كان أثرهم على تلك المعركة المشتعلة في كل مكان عامة ، وفي الشرق الأوسط الجزيرة والعراق والشام خاصة!

تقريباً لاشيء.. فباستثناء بعض العمليات الجهادية الفردية التي قام بعظمها من لا علاقة لهم أصلاً بذلك الجمع . وباستثناء بعض الذين التحقوا بجبهة البوسنة والشيشان على نفس الطريقة الأفغانية.. لم تساهم تلك الحشود في المعركة.

لقد تراوحت في مسلكها بين بعض حالات الانقلاب على الجهاد والصحوة أصلاً كما حصل في اليمن من التحاق كوادر جهادية بأجهزة الإستخبارات والجيش اليمني.كان من بينهم مقربون ومعاونون للشيخ أسامة بن لادن ذاته !! وبين حالات العودة التامة للدنيا التي خرجوا منها للجهاد ثم عادوا للانغماس فيها تماماً وكأنه لا كان جهاد ولا إعداد!!!

هـذا فضـلاً عـن بعـض حـالات الشـذوذ والانحـراف الفكـري والسقوط في متاهات الغلو والتكفير والإحباط نتيجة الحماس وعدم وجود عقيدة جهادية صحيحة !

فلم كان ذلك ؟!

السبب واضح جداً..كان ذلك لأن تلك الجموع لم تتلق أي توجيه وتدريب في مجال العقيدة القتالية الجهادية. ولم تتلق شيئا من المحاضرات الشرعية العقدية. لا في مجال السياسة وفقه الواقع. ولا في نطاق الفكر الحركي والوعي السياسي الشرعي.

تـدريب عسـكري .. تـدريب عسـكري .. رياضـة.. سـلاح. جلسات نشيد .. قتال .. معارك، فقط. لقد قاومت بعض قيادات الجمع العربي المجاهد أي طرح للفكر الجهادي والتوعية السياسية.

لقد كان لذلك أسبابه التي قد أعرض لها إن كتبت عن تاريخ تلك المرحلة.. وليس مكان هذا هنا.

ولكـني أشـير إلى نتـائج غيـاب التربيـة والتوعيـة في مجـال الفكـر والعقيـدة الجهاديـة بشـكل صـحيح وكـاف. وأضـرب مثـالاً صـارخ الوضوح..

فقد كان التجمع الأكبر للمجاهدين العرب. هم مجاهدوا جزيرة العرب الـذين قـدموا مـن دول مجلس التعـاون الخليجي واليمن وعلى

رأسها السعودية. وكانوا زهاء 25 ألف مجاهد وربما أكثر. وزاد عليهم عدة آلاف ممن أموا البوسنة والشيشان وغيرها من الجبهات المفتوحة.

لقد عادوا لبلادهم خلال النصف الثاني من التسعينات ليعيشوا حالة الاحتلال شبه العلني من قبل أمريكا وانطلاقها وحلفائها من دول الناتو من أراضيهم لقتل المسلمين في العراق. ودعم وقتل اليهود في فلسطين.. فضلاً عما لاقوه من الاضطهاد والسجن والتحقيقات على يد أجهزة الاستخبارات في بلادهم ولاسيما السعودية فماذا كان رد فعل على كل ذلك؟ ببساطة لاشيء!!

أين العلماء؟ أين الخطباء؟ أين الدعاة الذين ملؤوا الدنيا حماساً للجهاد والاستشهاد؟ لم يكن لذلك أي أثر!!

فمنذ عام 1991م وإلى2001م وعلى مر عقد من الزمن. لم تتعرض القوات الأمريكية على أرض جزيرة العرب إلا إلى عمليتين يتيمتين في الرياض والخبر.. وإذا قبلنا معظم الإشارات بأن عملية الخبر كانت من فعل أتباع الاستخبارات الإيرانية ومن حزب الله الشيعي. لا يبقى إلا عملية واحدة. وهي تفجير مقر سكن للأمريكان في الرياض في العليا قتل فيه أربعة أمريكان! هذا في عشر سنين !! وهذا يخجل أي أمة تحتل أرضها بمئات آلاف الجنود ثم يكون هذا حجم مقاومتها !! إنه أمر فخزٍ !

هذا في بلد تحيل فيه العدو عقر دار الإسلام الذي يحتوي كعبتهم ومسجد نبيهم ﷺ. بل وبيت ما لهم الذي يضخ في خزانة أمريكا كل يوم أكثر من مليار دولار كلما أشرقت الشمس وغربت!

وأثناء التحقيق ثبت أن المجاهدين الأربعة الذين أُعدموا رحمهم الله في ذلك الحادث. هم من الذين شذوا عن قاعدة التجمع. وتلقوا فكراً وعقيدة جهادية. على بعض الجهاديين من التنظيمات الجهادية. وقضوا وقتا معهم في أفغانستان. وبدا أثر الفكر والعقيدة الجهادية واضحا عليهم من خلال اعترافاتهم وما نقل التلفزيون السعودي من مقابلات معهم..

وفي آخر أيام الشوط الثاني للأفغان العرب. بدأت الصورة العامة تتضح أكثر فأكثر للجميع . وبدأت صفاقة أمريكا وهجمتها ، والوقوف الصريح لحكام العرب والمسلمين معها. ومع المشروع الصهيوني تلعب دورا أساسيا في انتشار العقيدة الجهادية . وبدأت فضائح ونفاق علماء السلاطين تدخل مرحلة مزرية لم يعد بإمكان محبيهم ترقيعها. وبدأت معالم الصورة تتضح. وبدأت أسس العقيدة الجهادية تطرح نفسها بتلقائية في أوساط الأمة عموما. وتهيأت الأجواء لفكر جهادي ثوري مبشر.

وجاءت أحداث سبتمبر وما تلاها. ثم احتلال العراق وما تبعه. وأحداث الإنتفاضة وما يجري فيها. لتجعل خيار الجهاد ، وطرح

الجهاديين هو الطرح الأكثر جماهيرية ومنطقية في أوساط الصحوة الإسلامية بل أوسط مختلف شرائح الأمة بكافة تكويناتها. وهنا تبدو الحاجة ماسة جدا لإعادة طرح أسس العقيدة الجهادية وتفاصيلها بأسلوب جماهيري يناسب المرحلة.

حالة العقيدة الجهادية في الأمة والصحوة والتيار الجهادى اليوم:

إن حالة العقيدة الجهادية لدى مختلف شرائح الأمة وطبقاتها تمر رغم العواطف الجياشة ، في أزمة حقيقية لا يمكن النهوض بالأمة المواجهة والمقاومة إلا بالبدء بإصلاحها..

وهذا ميدان وجهة من أهم ميادين وأخطر خطوط المواجهة في الحرب التي تخوضها الأمة اليوم ، ويشتد أوارها يوماً بعد يوم. وهذا ميدان هو مسؤولية العلماء والمفكرين والكتاب والأدباء والمثقفين ورجال السياسة والإعلام في هذه الأمة. ولاسيما وعلى وجه الخصوص رجال الصحوة الإسلامية. وبشكل أخص أولئك الذين سيحملون أمانة الجهاد وتوجيه المقاومة والتيار الجهادي في مرحلتين : المرحلة المقبلة الخطيرة الراهنة ، والمرحلة القادمة.

مفارقة خطيرة وحقيقة وهامة:

لقد أدرك العدو أن خط الحرب هذا هو أهم وأخطر خطوط المواجهة. وأدرك أنهم يتفوقون علينا في كل خطوط الحرب الأخرى. عسكرياً وتكنولوجياً وعلمياً وحضارياً، وإعلامياً وسياسياً وأمنياً واقتصادياً.. إن العدو الصليبي اليهودي بقيادة أمريكا وحلفائها اليوم من الكفار والمرتدين والمنافقين.. يتفوقون علينا بشكل ساحق غير قابل للمقارنة في كل تلك الميادين والمناحي. مما يوفر لهم أسباب النصر المادية في كل خطوط هذه المواجهات. ولذلك غزونا في هذا الوقت. ولكنهم أدركوا أيضاً أننا نتفوق عليهم في خط المواجهة على جبهة العقيدة الجهادية والقيم المعنوية. بشكل ساحق غير قابل للمقارنة أيضاً. ولذلك أعلن رامسفيلد الصليبي المتصهين ، وزير دفاع أمريكا ، أن المواجهة مع (الإرهاب) كما يدعونها ، دخلت في مرحلة حرب الأفكار. وأنها من أهم مراحل (استراتيجية الحرب الإستباقية). ولقد مرت حرب أمريكا المعلنة على المسلمين منذ عهد كلينتون أواسط التسعينات بعدة مراحل. ثم حافظ بوش اللعين على استراتيجيتها وأصناف عليها مناحٍ جديدة.

لقد قامت حرب أمريكا مع المسلمين و حملتها الصليبية تحت ستار ما يسمي مكافحة الإرهاب (يقصدون المسلمين) على الأسس التي فصلتها في الفصل السادس وهي :

1 – تجفيف المنابع المالية والمادية للإرهاب.
2 – اغتيال الرؤوس والمقاومة أو أسرهم وسجنهم.
3 – تصفية العناصر عن طريق الخطف والتسليم لبلدانهم أو للمعتقلات الدولية.
4 – إلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب بإجبار الدول على ترحيل المجاهدين أو تصفيتهم.
5 – التشويه الإعلامي.
6 – المطاردات الأمنية بالتعاون مع حكومات بلاد المسلمين.

ثم أضاف بوش الابن إلى ذلك مصرحاً ومعلناً عدة محاور وهي :

7 – الزحف العسكري المباشر برايات صليبية يهودية صريحة على بلاد المسلمين. عبر ما أسماه (استراتيجية الحرب الإستباقية).
8 – عقد حلف دولي عسكري للمشاركة في هذا الزحف بقيادة أمريكا.
9 – نقل المطاردات الأمنية للمجال الدولي بإشراف أمريكي مباشر.
10 – تطبيق مبدأ الحرب الاستباقية على خلايا الصحوة الإسلامية و الجهادية وهو ما أسموه (إجهاض المحاولات الإرهابية قبل نشوئها) .

11- وأخيراً ما يهمنا في هذا الفصل الذي وهو ما أعلنه رامسفيلد وأسماه : (حرب الأفكار). وتتولى الشمطاء كونديليسا رايس مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكية المشاركة في التنظير لهذه الحرب التي يشارك فيها حتى شيخ الأزهر وأئمة الحرمين !

من تكتيكات (حرب الأفكار) الأمريكية :

لقد اشتملت هذه الحرب على زخم إعلامي وفكري هائل. فكان من ذلك افتتاح عدة محطات إذاعية باللغة العربية ولغات المسلمين. موجهة وممولة من قبل الحكومة الأمريكية مباشرة.

ثم دخلت أمريكا مجال القنوات الفضائية باللغة العربية وبطاقم إعلامي عربي محترف من المنافقين والمرتدين والعملاء. فافتتحت قناة (الحرة) .

كما ألزمت أمريكا الحكومات العربية والإسلامية بتغير مناهج التربية والتعليم ، وفرض رقابة صارمة لحذف كل ما من شأنه أن يزكي روح المقاومة في الأمة. كما صدرت أوامر أمريكية لحكوماتنا ، بالتزام لائحة توجيهات تشمل حصار المساجد والدروس والخطب والتعليم الديني. وتتضمن تفاصيل من الإلغاء والتضييق والتشويه والتحريف..

ومصيبة المصائب أن أمريكا تستعمل كثيراً من قطاعات العلماء ورموز الصحوة الإسلامية بفعل ضغوط الحكومات. وتستعمل هذا

القطاع الإسلامي المحترف في معركة الأفكار لتشويه الدين وإتلاف مقومات المقاومة والجهاد فيه عن طريق الفتاوى العميلة المشوهة تحت مسمى مكافحة الإرهاب والتطرف. وعن طريقة بث أفكار الخنوع والذوبان في الفكر والحضارة الأمريكية، تحت مسميات كثيرة. منها: الإعتدال ، والوسطية ، والتعاون والحوار مع الآخر... وغير ذلك من دعاوي الدعاة على أبواب جهنم الذين يلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا من أنباء جلدتنا.

وفي وسط هذه الفتن الطامة الطاغية ، يمكن تلخيص حالة العقيدة القتالية لدى المسلمين من خلال رصدها لدى ثلاثة شرائح هي:

- العقيدة القتالية الجهادية لدى عامة المسلمين.
- العقيدة الجهادية لدى مدارس وقطاعات الصحوة الإسلامية.
- العقيدة الجهادية لدى الجهاد يين اليوم بعد أحداث سبتمبر والعراق وما استجد من ظروف. ونتناول ذلك باختصار. ثم أنتقل إلى لب الباب الأول وهو:

نظرية العقيدة الجهادية والمنهج في دعوتنا: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

أولاً: أما عن العقيدة القتالية لدى قطاعات الشعوب العربية والإسلامية اليوم :

فإنه لم يبق لدى معظم شرائح الأمة ، بسبب تتالي العقود على سياسات القمع والخوف والتجهيل. ومحاربة الإسلام وتغيب شرائعه. والتي مارستها الحكومات عبر وسائل الإعلام ، ومناهج التربية التي تعتمد الإفساد والعلمنة ، والقضاء على ما تبقى من مكونات الدين والعقيدة لدى شعوبها في الغالبية الساحقة لبلاد المسلمين.

وبسبب ما ران على قلوب الأكثرية من الوهن (حب الدنيا وكراهية الموت). لم يبق من العقيدة الجهادية لدى مختلف طبقات الأمة ، إلا العواطف وبعض آثار ما تبقى من عقيدة الجهاد لدى النذر اليسير من الأمة..

ولكن حملات أمريكا علينا منذ عقد من الزمن وتتالي استفزازاتها وما فعلته في العراق ثم أفغانستان ثم العراق ثانية.. وما تطرحه اليوم من برامج الإحتلال والعدوان على كافة الصعد. مستهدفة الجميع حكاماً ومحكومين ، دولاً وجماعات ، أحزاباً حاكمة أو معارضات. ودعمها اللامتناهي لإسرائيل وما تثيره القضية الفلسطينية ومجرياتها منذ لانتفاضه خاصة.

جعل أساسيات العقيدة الجهادية تعود للأمة. حيث يشهد رجل الشارع العادي صحوة فطرية طبيعية لا يمنعها من توليد الأعمال

والأفعال ، إلا سياسات القمع والخوف والأنظمة البوليسية في كل مكان.

ولكن المبشرات تبدو أكبر بفضل الله، ثم بفضل حمق أمريكا وحلفائها الصليبيين ، ومن ورائها قوى بني صهيون. إن تلك المبشرات تلمس اليوم في كل مكان.

وعلى العكس مما تظنه أمريكا. فإن حملاتها لتغير المناهج وأصول التربية والتعليم ومحاربة التدين. قد جلبت ردة الفعل هائلة حتى في صفوف وأوساط العلمانيين ، الذين لا يجدون لهم اليوم مادة وهوية للمواجهة بدوافع النخوة والشرف ، إلا الإسلام ورايته وهويته. إنه مكر الله.

إن روح العقيدة الجهادية تتسرب إلى الأمة بشكل يبعث على الأمل. بل على الاعتقاد بقرب التحرك نحو الإنتصار. فإن الجماهير تتململ.

لقد سلبت أمريكا دنياهم التي ابتلوا بحبها ، وحببت إليهم الموت كحالة أفضل من ظروف الحياة التي تعدهم إياها. وهكذا تحل لنا أمريكا عقدة حب الدنيا وكراهية الموت !

إن أمريكا تساعدنا اليوم على بغض الدنيا وحب الموت. ويجب أن نشكرهم :

فلا جزاهم الله خيرا. وسلطنا عليهم موتا زؤاما.

وعندما سيصل هذا الإحساس ليكون جماهيرياً. ستلقى الجماهير عن كاهلها الوهن. وستسير الأمور بشكل عكسي. وعندها تعود المهابة

منا إلى صدور أعدائنا. ولا نعود غثاء كغثاء السيل لا قيمة لنا. وإنما جماهير مؤمنة تتحرك بالقوة الدافعة لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله.

ثانياً: وأما عن حالة العقيدة القتالية الجهادية في أوساط الصحوة الإسلامية:

لقد خلعت مختلف أوساط الصحوة الإسلامية غير الجهادية على اختلاف مدارسها وعلى مدى عقود متلاحق على طريق التسيس، خلعت كل مقومات العقيدة الجهادية عملياً. ولكن ومنذ قيام النظام العالمي الجديد. ولاسيما بعد سبتمبر وإعلان الحملات الصليبية بعد احتلال العراق على الشرق الأوسط الكبير وهو عملياً العالم الإسلامي. منذ ذلك الوقت تشهد الصحوة الإسلامية غير الجهادية حالة فرز وانقسام حادة.

فالأقلية الصالحة من أهل الخير من علماء وقادة ورموز صحوة ، استفزهم الهجوم وأحيا فيهم مكان الدفاع والغيرة. فمالوا للفكر المقاوم، وإن كان على استحياء. ولكنها صحوة داخل الصحوة تبشر بخير. ولكن أكثرية وللأسف تتحول للعمل كبيادق منافقة من حيث تدري أولا تدري. في خدمة برنامج رامسفيلد لحرب الأفكار.

ويكفي للدلالة على ذلك ولمعرفة الأسماء والهيئات والأشخاص التي تشن الغارة على الإسلام من داخل صفه، أن نقتفي أثر وسائل

الإعلام المختلفة من إنترنيت وفضائيات وصحف ومجلات ومؤلفات.
لتتابع سيل عمل كتيبة حرب الله ورسوله والطليعة المقاومة في هذه الأمة. تحت دعاوى الحوار والاعتدال والوسطية ونبذ الإرهاب.

لقد وصل الهجوم والسموم لكل مناحي ومبادئ هذا الدين. تحليلاً للحرام. وتحريماً للحلال وحربا الله ورسوله وهكذا تبنى مساجد الضرار بتخطيط رامسفيلد وكونديليسا.

إن مساجد الضرار النفاق تبني محاريبها من جديد. وترفع مآذنها من جديد. إرصاداً لمن حارب الله ورسوله. لتحارب أصحاب مسجد قباء ، الذين أسسوا بنيانهم على تقوى من الله ورضوان من أول يوم..

إن رحى المعركة الداخلية تدور اليوم. وستكون ضارية مع طلائع رامسفيلد المعممة من أصحاب اللحى المنمقة والبطون المكورة التي ملأها سحت الدولارات رغباً ، وروعتها سياط الحكام و وعيدهم رهباً..

فأفرزت لنا أمثال شيطان العلماء (عبد المحسن العبيكان) ، وإمام الحرم المنفوخ ، الحبر السمين (عبد الرحمن السديس) ..وشيخ الأزهر صاحب الطنطاويات . وأمثالهم في كل بلد إسلامي .!

وأما عن حالة العقيدة الجهادية في التيار الجهادي بعد سبتمبر:

فالحال يبشر بالخير الكثير. ولكن هناك إشكاليات تحتاج للكثير من الجهد والعمل.

أما بشائر الخير؛ فإن العدوان الأمريكي جعل كفة الطروحات الجهادية ترجح. وجعل الجماهير المؤيدة للمقاومة أوسع. وهذا يسهل على دعوة الجهاد قيامها بالحشد.

وأما الإشكالات فعدة أمور:

أولها وأخطرها أن حرب أمريكا على أفغانستان ثم على التيار الجهادي برمته قد كبدت التيار الجهادي خسائر بشرية فادحة قتلاً أو أسراً. فإن معظم الكادر الأساسي منه قد قضى في سبيل الله ، وقد سبقت الإشارة لذلك. ولم يبق من حملة رايته ودعوته ، ومن كتابه ومنظريه خاصة إلا النزر الأقل من القليل. حيث تقع على كاهلها مهمة إحياء دعوة الجهاد. ونشر مبادئ العقيدة الجهادية. وإعادة نشر مناهجها.

كما أن التراث الجهادي المكتوب على قلته بالإضافة للتراث الفكري للصحوة الإسلامية الذي يشكل مرجعاً فكرياً وفقهياً للفكر الجهاد من أمثال مؤلفات سيد قطب رحمه الله .وغيره كمؤلفات أخيه الأستاذ محمد قطب وبعض مؤلفات آخرين مما كتب في الستينات

والسبعينات. يتعرض اليوم للهجوم وللمصادرة من المكتبات ووسائل النشر. كما يتعرض للطعن والتشويه.

وكذلك فكر دعوة الشيخ مُحَّمد بن عبد الوهاب وعلماء المدرسة النجدية ، وما بني عليها من تراث المخلصين من دعاة بلاد الحرمين.. كل ذلك يتعرض اليوم للمصادرة والتغييب. والطعن والتشويه.

بل إن الأمر يذهب بعيداً. فد طال الهجوم اليوم تراث أمثال الإمام ابن تيميه وابن القيم ومدرستهم. وغير ذلك على مستوى كل ما من شأنه إن يوفر مادة للعقيدة الجهادية.

إنهم يطاردون حتى بعض النصوص القرآنية في كتب المدارس الابتدائية. إنهم صرحوا في بعض دراساتهم بأنهم لن يسمحوا بتدريس سورة (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون..) لأنها تقول في نهايتها (لكم دينكم ولي دين). وهذا يشجع الإرهاب. كيف ؟! الجواب بسيط: فاليوم ليس هناك إلا دين واحد ، دين بوش الذي يريد أن يفرض نفسه على العالم رباً واحداً أحداً لا يقبل معه شريكا .. وخسئ الكلب.

وعلى الناس القرار: إلا معه أو عليه. هكذا قرر المجرم.

فالعقيدة الجهادية مهددة في التيار الجهادي بغياب روادها من جهة وبتغيب أدبياتها وما يدعمها من المكتبة الإسلامية من جهة أخرى.

وهناك مشكلة ثالثة. وهي أن الفكر الجهادي ، بني على الحاكمية ومبادئ المفاصلة مع كل أركان الجاهلية. من أجل إطلاق تنظيمات جهادية نخبوية تحارب أنظمة. وكان له فقهه وأدبياته .وهو تراث يجب الحفاظ عليه ، ولكن مع الانتباه لأمر هام:

إن معركتنا اليوم مختلفة ، فهي معركة دفع صائل الأعداء الكفار مع أوليائهم بطريقة أممية ومقاومة شعبية إسلامية عالمية. وهذا مجال لم يكتب له إلا القليل ويحتاج اليوم فكره ونظرياته وفقهه وأحكامه وأدبياته.

فمن يقوم بهذا وقد عضت السيوف رجال التيار الجهادي ومضوا إلى ربهم شهداء. وسحبت السلاسل إلى غوانتانامو الأمريكية والكثير من (الغوانتاناموبات) في البلاد الأوروبية ، بل والعربية والإسلامية المجاهدين بالآلاف وبعشرات الآلاف !.

إن الثغرة شاغرة.. ونسأل الله أن يقبض لها فرسانها. فمن هنا البداية. يجب طرح عقيدة جهادية تناسب مرحلة المقاومة.

وبعد هذه المقدمات والتوضيحات ندخل في صلب الموضوع.

۞۞۞۞۞۞۞

مقومات العقيدة الجهادية والفكر والمنهج في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

ابتداءً نقول بأن العقيدة هي كل لا يتجزأ. وما هذا التقسيم الدراسي إلا لتسهيل الفهم ، والتميز بين أقسام العقيدة ، وتبيان ترابط تلك الأقسام.

(فالعقيدة الجهادية القتالية) ، هي فرع من كل هو (العقيدة الإسلامية). والتي تشتمل بإيجاز على كل أركان الإسلام والإيمان. والتسليم بقواعد الشريعة والدين. والطاعة والانقياد لحكم الله ورسوله. وكل ما نشأ عن هذا الانقياد والتسليم. من الإيمان بالقلب، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح. وما يتبع ذلك من التصرفات والأفكار والأحاسيس. فكل ذلك من العقيدة. وكذلك ما يترتب عليها من السعي في فعل المأمور. وترك المحظور برضى وتسليم.

ولما هممت أن أقدم للعقيدة الجهادية ، بنبذة عن العقيدة بشمولها. رأيت أن اقتطف مما كتبه الشيخ عبد الله عزام. فإن من منهجي في الكتابة أني إذا توصلت لمفهوم ، أو كتبت شيئا ، ثم رأيت لمن سلف إيجازاً حسناً ، أن استغني عنه به) .

فقد عرَّف **شيخنا وأستاذنا الجليل أبو مُحَّد عبد الله عزام غفر الله له و رحمه الله تعالى رحمة واسعة**. فقال في كتيبه الموجز القيم (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) :

[**العقيدة:** هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات ، ويوجه السلوك ، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات. بل حتى الخلجات التي تساور القلب، والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس ، والهواجس التي تمر في خيال. هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس.

وباختصار فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات. وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط ....]

ثم قال: [وعلى هذا فإن كل الإنحرافات التي نعانيها في سلوكنا، أفراداً وجماعات، راجعة بكليتها إلى الإنحراف في التصور العقدي. فالناس في هذه الأيام بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد. وإلى تصحيح التصور الإعتقادي. فلا بد من إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية. ولا بد من أن تستقر عظمة الله عز وجل في الأعماق. وأن يعمر النفوس حبه. ولا مناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيبته وجلاله. ويقوم هذا الدين على:

1- حقيقة الألوهية.

2- حقيقة العبودية.

3- الصلة بين العبد وربه.

وهذه أمور ثلاثة لا بد من استقرارها في النفوس:

- معرفة الله وقدره.
- معرفة العبد وحده.
- والصلة بين الخالق والمخلوق.

وعلى هذا فإنه من العبث تتبع فروع الشرع ، وطلبها من شخص لا ترسخ في قلبه حقيقة هذا الدين. ولا تستقر في كيانه عظمة الله التي تهيمن على كل سكنه ونأمة وحركة في هذا الكون. والحق أن الناس غابت عنهم حقيقة هذا الدين العظيم. ومثل كثير منهم - حتى الذين يقيمون الشعائر التعبدية - كمثل الأعمى الذي أمسك بذنب الفيل ، ويحسب أنه أمسك بين يديه جسم الفيل ...].

(ثم قال): [وقد أصبح اليوم لدينا شيئا مألوفا ، أن نرى شخصاً يداوم على العبادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالاً تخرجه من إطار هذا الدين. كالاستهزاء بسنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أو بفرضية وردت في محكم التنزيل. وهولا يعلم أنه بالاستهزاء إنما يهزأ من أوامر الله ويسخر منها. وهذا الذي اتفق أهل الذكر من هذه الأمة ؛ أنه يعني ردة المستهزئ. وخروجه من الإسلام. ومن هذا

القبيل سب الدين ، أو سب الله أو رسوله، فمن فعلها حكم عليه بالردة ...].

(ثم قال): [أعود لأقرر الحقيقة الكبرى . أن الناس لا يعرفون حقيقة هذا الدين ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم ، قسم ضئيل من منهاج حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج الذي يوجه حياتهم ، فهو من صنع هواه أو هوى غيره من البشر. ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾. (الفرقان /43-44) .

وعلى هذا فإني أرى أن التركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للناس أمر غير منطقي ، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء . ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء. أن يتكون منها شجرة ذات جذور ضاربة في أعماق الأرض.

لا بد من سلوك المنهاج الرباني الذي رسمه الله لهذا الخلق. فلابد من زرع البذرة في التربة، ثم تعهدها حتى تستوي قائمة على أصولها. ثم تمتد بفروعها وأفنانها. وهكذا بالنسبة لبقية هذا الدين العظيم، لابد من اقتفاء السبيل الذي رسمه الله لهذا الكائن حتى يحمل هذا الدين. لا بد من بناء الأساس بغرس البذرة في أعماق الأرض. أي غرس العقيدة في أعماق القلب.

والعقيدة هي الأساس المكين الذي ترتكز عليه فروع هذا الدين كله. ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس. ومن هنا: فإن محاولة تتبع فروع الشريعة بالتفصيل والتعليل ، هو اشتغال بالمهم عن الأهم. ولا يمكن أن تؤتي المحاولة أكلها التي نرجوا، والثمار التي نأمل. ومن الأولى أن نتبع المنهاج الرباني في بناء هذا الدين للنفس البشرية. وذلك بترسيخ العقيدة أولاً في الأعماق. ثم مطالبة النفس بعدها بأوامر الشريعة كلها. إذ أن المنهاج الرباني في تربية النفس جزء من العقيدة ذاتها .

ولا ننسى أن الداعية إلى رب العالمين، لابد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولا بد أن يكون مصحفاً يمشي على الأرض، يتحرك فيتحرك بحركته القرآن . فالداعية يطالب بالشريعة كاملة. ولكنه في الوقت نفسه ، لا يطالب الناس بفروع الشريعة قبل أن يعلمهم هذا الدين، ويشد أنظارهم إلى إطاره الكامل الشامل ، وبعد أن يرسموا في أذهانهم الصورة الكاملة . يدخل معهم داخل الإطار ليعلمهم تفاصيل هذا الدين وتفريعاته. وهكذا قام الإسلام أول مرة في النفوس البشرية، وهكذا يقوم في كل مرة يحاول فيها بناء هذه النفوس بالإسلام. ولا مناص من اقتفاء هذا السبيل ولا مفر من انتهاجه. فكما أن هذه الأوامر والنواهي فريضة من عند الله ، واتباعها فرض لازب في رقابنا ، فكذلك اقتفاء المنهج الرباني في بناء النفس فرض كذلك. وكل محاولة

لإقامة هذا الدين بغير هذا المنهج الرباني لابد أن تبوء بالفشل. وذلك لأن هذا الدين لا يكون ولن يكون إلا كما أراد الله. ولن يبنى إلا بنفس المنهج الذي رسمه رب العالمين. وكل منهج بشري نستعمله لإيصال حقيقة هذا الدين إلى الناس هو فاشل لا محالة. وهو عبث وملهاة ولعب.

لابد من إتباع المنهج الرباني القيم الذي رسمه رب العالمين. وسلكه سيد البشرية مُحَمَّد ﷺ لإيصال دين الله إلى قلوب البشر ولابد من البدء بالعقيدة. من تعريف الناس بإلههم الحق، وبحقيقة وجودهم على هذه الأرض ، والمهمة المنيطة بهم إبان مرورهم بهذه الدنيا. من المسؤول عنهم؟ أي منهج يجب أن يحكمهم؟ صلة هذا الإنسان بالكون من حوله ، مكانة هذا الكائن من الكون ، وبعبارة أقصر إقرار جلال الله ورهبته وهمينته في أعماق قلب الإنسان وطريقة الوصول إلى رضاه.

ومن ثم وفي هذا الوقت ، فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدين في سلوك الناس. كالشرب باليمين، وترك التدخين ، والشرب جالساً، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل التي لا تحتملها ولا تطيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت على العقيدة، وجبلت بعظمة الإيمان. لا بد أن نبدأ مع النفس البشرية من حيث هي ، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الذي هبطت إليه. ثم نسير معها صعدا نعطيها الإيمان

جرعة جرعة. نواكبها في نموها ونقيل عثراتها. ونردها من هنا ونهذ بها من هناك، حتى تشب قائمة على عمودها ، صلبة لا تهزها الزلازل والأعاصير. وهنا فقط نطلب منها كل ما يريده الله منها، فتنفذ وهي راضيه مستسلمة مطمئنة أن الخير كله فيما نفذت. لأن الخير كله منحصر في منهج الله والشر كله الشر في الخروج عن منهاج الله.

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه 124/126) .

وأعود فأذكر أن النفوس التي تقدم الإسلام للناس ، لا مناص لها من أن تكون شريعة تدب على الأرض، وتأخذ بالعزائم. ولا بد لها من أن تكون المرآة الصافية التي تعكس حقيقة هذا الدين أصوله وفروعه، إذ لابد لها من أن يكون لحمها و دمها هو هذا الدين الذي إليه تدعوا، والمنهاج الذي تهتف بالناس أن ينهجوا. ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ابراهيم:52) ...].

(ثم يقول) :

[فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لابد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة حتى يستقر فوقها البناء. وهنا يبرز عامل آخر ينبثق عن هذه الحقيقة، وهي أنه لابد من بناء الأساس قبل

الشروع برفع البناء ، وإلا فسينهار البناء كله. لابد من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدين أو نريد تربيتها على أساس الإسلام من الإيمان أولا ، وقبل كل شيء، خاصة في هذا العصر الذي بهت فيه مفهوم العقيدة في نفوس ابناء هذا الجيل المنتسب إلى الإسلام ، لابد من انتهاج نفس الطريق الذي انتهجه رسول الله ﷺ من تثبيت العقيدة في النفس ثم مطالبتها بالفروع. لابد أن نعرف الناس بربهم وعظمته و هيمنته على الكون، فهو مالك الملك، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء. وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي إليه يرجع الأمر كله، وهو الخالق الرازق.. لابد من هذه البداية. أما أن نبدأ فنطالبهم بتطبيق فروع الشريعة وهم لم يعرفوا صاحب الخلق والأمر، فهذا عبث ومحاولة لاستنبات البذور في الهواء.] اهـ. انتهى النقل من كلامه رحمه الله تعالى.

والآن وبعد أن أسهبت في النقل لأقدم لموضوع العقيدة الجهادية بهذه الكلمات التي عبر بها شيخنا الشهيد عما أردت التعبير عنه بأفضل بيان يحمل في طياته أنفاس وأسلوب الشهيد المعلم سيد قطب – رحمه الله – الذي تمتلئ كتاباته بهذه المعاني والاصطلاحات .. وما أريد أن أعقب به هنا.. لربط الفرع بالأصل. أي ربط (العقيدة الجهادية القتالية) التي نحن بصددها في هذا الباب ، بالعقيدة الكلية ، وهي (عقيدة الإسلام) بشمولها وكمالها.

أقول أن هذا الربط بين الأصل والفروع. أدركه العدو في هذا الزمان أكثر من إدراك أكثر أهل الملة الإسلامية له. فقد علم وهو يشرع بالغزو والاحتلال أنه ستكون (مقاومة) ، وهذا بدهي.. وعلم أن أهم جهات المقاومة وأشدها وأعصاها على المواجهة ، هي المقاومة النابعة من (**العقيدة الجهادية القتالية**) لدى المسلمين عامة ، والإسلاميين خاصة، والجهاديين على وجه الخصوص.

ولأن هذا العدو المعاصر ذكي محترف للعدوان على مر العقود والقرون ، ولأنه يقيم أعماله على الدراسات الاستراتيجية وآراء الأخصائيين ؛ فقد علم هذه المعادلة وفهمها بعمق على بساطتها ، فهما أعجم وللأسف على أكثر المسلمين ، بل حتى على أكثر قواد الصحوة وعلماء هذا الزمان من المسلمين.

وهذه المعادلة التي فهمها العدو هي ببساطة:

(المقاومة هي وليدة عقيدة جهادية ، والعقيدة الجهادية القتالية هي فرع من شجرة العقيدة الإسلامية الشاملة).

ولذلك يعمل العدو اليوم من أجل أن لا تنضج ثمرة المقاومة ، على أن يجفف غصن العقيدة الجهادية وذلك بقطع جذور العقيدة الشاملة ، كمنهج اعتقاد وعمل وإحساس، كمنهج فكر و حركة لدى أهل ملة الإسلام المعاصرين .

فأعلن بوش و وزير دفاعه ما أسموه (**حرب الأفكار**) و(**الحرب الاستباقية الفكرية**) بعد الحرب الإستباقية العسكرية. وجاءنا بمشاريع (**تغير المناهج**) ، وتعديل أساليب التربية والتعليم ، العام والديني ، وضبط خطاب المساجد وطرق التربية فيها . ثم أتبع ذلك بمشروع لخصه الإستراتيجيون الأمريكان في أكثر من 1000 ورقة ، وعنونوه باسم (مشروع الشرق الأوسط الكبير. والذي يضع قواعد التغيير الشامل في العالمين العربي والإسلامي على كل الصعد ، السياسية والاقتصادية ، والثقافية والدينية ، والتاريخية واللغوية، والاجتماعية والفنية ... ومكوناتنا الحضارية كأمة ، شعوبا وحكاما ومحكومين.

ومن هنا يجب أن ندرك وهذا ما أشرت إليه بمقدمة هذا الجزء الثاني من الكتاب وكذلك في مقدمة الجزء الأول عن (**محاور المقاومة ومستويات المقاومة**). وأعيد هنا ما له علاقة بالفقرة وهو قولي:

لابد لكي تحصل المقاومة التي نطمح إليها ، من نموا لعقيدة الجهادية القتالية. ولا يمكن لهذه أن تنبت إلا في نفوس قد امتلأت إيماناً بالمناحي الشاملة للعقيدة الإسلامية. والتي أساسها الانقياد التام لمعني لا إله إلا الله ، بالمفهوم المحدد لمعنى مُحَمَّد رسول الله. فاستعدت كي تبني منهج حياتها ، بكل التسليم والانقياد و الرضى لمعني هذه الشهادة. مدركة تماماً معني قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ (الأحزاب:36). وقوله تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (النساء:65). إن على علماء الأمة وقيادات الصحوة ، أن يعملوا على ترسيخ أسس العقيدة الشاملة الكاملة لدفع المسلمين إلى التمسك بأصول دينهم ، عقيدة وسلوكاً. وإبراز ملامح عقيدتهم الجهادية وإزكائها.

ومن أجل التكامل الذي نشير إليه بين الأصل والفرع ، سأشير إلى مختلف مناحي العقيدة أولا. ثم أركز على الجانب الذي نحن بصدده ، وهو (العقيدة الجهادية القتالية) وما يتعلق بها من مسائل عقدية وسياسية شرعية و مبادئ تربوية أخرى. وسأتناول ذلك بعون الله على الشكل التالي:

(1) – موجز في المناحي العامة للعقيدة الإسلامية لأهل السنة والجماعة.

(2) – المناحي العامة للعقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

(3) – بعض التفصيل في نقاط أساسية من العقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

أولا: موجز في الأساسيات والمناحي العامة لعقيدة أهل السنة والجماعة [1]:

جاء في الحديث الشريف الصحيح مما رواه مسلم - رحمه الله – عن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال عندما جاءه جبريل عليه السلام يسأله:

(**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن مُحَمَّدا رسول الله. وتقيم الصلاة . وتؤتي الزكاة . وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**). قال فأخبرني عن الإيمان . فقال ﷺ : (**أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**). قال فأخبرني عن الإحسان. فقال ﷺ : (**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك**).

وقد جمع هذا الحديث خلاصة أركان الإسلام. وأساسيات الإيمان. ومراتب الإحسان والمعرفة.

وقد فصل علماء الإسلام قديماً وحديثاً ، في أبواب علوم العقائد والتوحيد ما يشفي ويكفي. واستقرت عقيدة أهل السنة والجماعة على أساسيات ننقل هنا منها ما أختصر به عقيدتي. وهي:

---

[1] [اعتمدنا في صياغة هذا الموجز على كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل للشيخ الشهيد عبد الله عزام , وكتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي , وكتاب شرح العقيدة الواسطية للإمام ابن تيمية بشرح ابن عثيمين].

عقيدة أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية بإذن الله:

(1) - فنحن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

(2) - ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والبعث من بعد الموت فيه ، ونؤمن بالقدر خيره وشره.

(3) - نوحد الله بربوبيته ونؤمن أنه الخالق الرازق المبدئ المعيد مالك الملك لا رب للكون سواه.

(4) - ونوحد الله بألوهيته ونؤمن أنه الإله المعبود حقاً لا معبود سواه ﷻ.

(5) - ونوحد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا. ونؤمن بما وصف به سبحانه ذاته في كتابه الكريم ، وما جاء على لسان رسوله الأمين، ﷺ. من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. فهو سبحانه كما وصف نفسه : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

(6) - ونعتقد مذهب الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الصالح بالإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته. وهم الذين علموا تلك الأسماء والصفات ، وفوضوا الكيفية والكنه إلى الله عز و جل. وآمنوا بالله على مراد الله. واعتقدوا أنه سبحانه وتعالى موصوف بهذه الصفات حقاً لا مجازاً. على النحو والكيف الذي يليق بجلال

الله تعالى. الذي ليس كمثله شيء. ونؤمن بذلك كما أوجز الإمام مالك رحمه الله تعالى منهج أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية ، عندما قال لما سأله سائل عن معنى استواء الله تعالى على عرشه وكيفيته، فقال : (الاستواء معلوم. والكيف مجهول. والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). فنحن نؤمن بأن لله تعالى كما أثبت لنفسه ، يداً وبصراً وسمعاً يليق بجلاله. ليس كأيدينا وأبصارنا. ونؤمن أن الله تعالى ينزل إلى لسماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله ، دون معرفتنا لكيف ذلك. وأنه تبارك وتعالى يضحك كما يليق بجلاله. وأنه تبارك وتعالى منزه عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات. ونؤمن بالعرش والكرسي واستغناء الله عنه. وأنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه.

(7) - ونؤمن بأنه تعالى مستوى على عرشه. بائن عن خلقه. فوق السماء السابعة. مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يحده زمان أو مكان. ونؤمن أنه مع خلقه بسمعه وبصره وعلمه.

(8) - ونؤمن بالملائكة. وأنهم خلق من خلق الله. موكلون بأعمالهم التي كلفهم الله سبحانه بها. ومنها حفظ البشر وحمايتهم وإحصاء أعمالهم. ونؤمن بما جاء في السنة الثابتة من أعمالهم ، تفصيلاً لما ورد في القرآن. فمنهم الموكل بالوحي. ومنهم الموكل بقبض أرواح البشر. ومنهم الموكل بالقطر. والموكل بالجبال. وهم

يحضـرون مجـالس الـذكر ويرفعـون الأعمـال. ومـنهم الحفظـة الموجودون مع الإنسان ...

(9) - ونـؤمن بكتـب الله الـتي جـاء ذكرهـا في القـرآن والسـنة الثابتـة. فنـؤمن بصـحف إبـراهيم. وبالتـوراة المنزلـة علـى موسـى، وبالزبـور الـذي نـزل علـى داوود ، وبالإنجيـل الـذي نـزل علـى عيسـى ، وبالقرآن الذي نزل بخاتمة الرسالات على خاتم الأنبياء نبينا مُحَمَّد عليه وعلى أنبياء الله أجمعين الصلاة والسلام. مع الإيمان بأمرين هامين:

أ- أن الكتـب السـابقة للقـرآن نزلـت مـن عنـد الله ثم نالهـا التحريف والتعديل على أيدي البشر.من الأحبار والرهبان. إلا القرآن الذي حفظه الله تعالى خاتمة الكتب والشرائع. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:9) .

ب- أن القرآن جاء ناسخاً لما قبله ومهيمناً عليه. وأن شريعة الإسـلام جـاءت بعقيـدة التوحيـد. وهـي عقيـدة جميـع الأنبيـاء. وبالشريعة الخاتمة الناسخة لما قبلها.

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة/48).

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران85) .

(10) - ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين . وأنه لا يصح إيمان من جحد رسالة أحدهم : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:285) .

فنحن نؤمن بهم ونحبهم ونصلي عليهم أجمعين.

(11) - ونؤمن باليوم الآخر يوم القيامة. يوم يبعث الله الأولين والآخرين من بعد موتهم للحساب. فيؤول المؤمنون إلى الجنة ، والكافرون إلى النار. ونؤمن بأن الله حرم الجنة على المشركين. وأن عصاة المؤمنين إما يغفر الله لهم برحمته وعفوه. أو يعذبون بذنوبهم ما شاء الله ، ثم يؤولون إلى الجنة برحمة الله.

(12) - ونؤمن بقدر الله خير وشره. ونؤمن بأن الله قد قدر كل شيء، وكتب كل شئ. وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها المحتوم المقسوم. ونؤمن بأن الأمة لو اجتمعت ، إنسها

وجنها فإنهم لا يضرون أو ينفعون أحداً إلا بما كتب الله ، فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف. كما جاءت بذلك نصوص القرآن وصحيح السنة. وأن على المؤمن الرضى بقدر الله خير وشره. وأنه من رضي فله الرضى. ومن سخط فله السخط. كما جاء عن رسول الله ﷺ.

ونؤمن بذلك بأن الله خلقنا وخلق أفعالنا ، مع أن العبد مختار لأفعاله يحاسب عليها. ونؤمن أن الله قادر على كل شيء قدير. فعال لما يريد ، لا يكون شيء في هذا الكون إلا بأمره وقدره. فعقيدتنا – عقيدة أهل السنة والجماعة – وسط بين القدرية الذين أسندوا الأفعال إلى العباد ونفت القدر وجعلت المخلوق خالقا لأفعاله من خير وشر. وبين الجبرية الذين نفوا الاختيار عن العبد وجعلوه مجبرا على فعله خيره وشره قدرا.

(13)– ونعتقد عقيدة سلفنا الصالح ، بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان. وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(14)– ونعتقد في ذنوب المؤمنين ومعاصيهم عقيدة وسطا. فلا نكفر أصحاب المعاصي والكبائر كما فعلت الخوارج، ولا نقول بأنه لايضر مع الإيمان معصية كما قالت المرجئة. ولا نجعل ذلك كما قالت المعتزلة في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر. فنرجوا

الرحمة والفضل من الله للمحسن ، ونعتقد أن المسيء من المؤمنين ، مآله إما إلى عفو الله ، وإما إلى عقابه. فإن شاء عذبه بذنبه ، وإن شاء غفر له برحمة الله الغفور الرحيم.

(15) – ونعتقد بفضل الصحابة كلهم ، ولا نغلوا في أحد منهم. ونتولاهم جميعا. ونستغفر لهم ونحبهم ونذكر محاسنهم ونكف عن مساوئهم وما شجر بينهم. ونقر بفضلهم وأنهم جميعا ثقاة عدول ﷺ . ونعتقد أن أفضل الصحابة أبا بكر ثم عمر ، ثم عثمان ثم علي. ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة (سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبا عبيدة وعبد الرحمن بي عوف). ثم أهل بدر ثم بيعة الرضوان ، ثم باقي الصحابة ﷺ أجمعين . ونحب آل بيت رسول الله ﷺ ونتولاهم ، ولا نغالي فيهم ونعرف فضلهم وقرابتهم. ونحب أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ ونتولاهن جميعهن ﷺ جميعا .

(16) - ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر. كمن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو استحل حراماً مجمعاً على حرمته ، أو حرم حلالاً مجمعاً على حله. أو فعل فعلاً لا يحتمل إلا الكفر. كسب الله تعالى ، أو رسوله ﷺ ، أو لبس الصليب ، أو إهانة القرآن. ونذهب مذهب أهل السنة والجماعة في كفر من تحققت فيه

الشروط وانتفت عنه الموانع. كما جاء تفصيل ذلك عن الأثبات من سلف الأمة وعلمائها الصالحين.

(17) - ونـؤمن بكرامـات الأوليـاء . وأن كـل المـؤمنين أوليـاء الله. وأقربهم إليه وأكرمهم عنده أتقاهم له ، وأتبعهم للكتاب والسنة. وأنه من حصلت له الكرامة نظرنا في اتباعه للكتاب والسنة. فإن كان عليها كانت كرامة ، وإلا فهي استدراج له من الله تعالى. كما يحصل لبعض السحّار والمشعوذين فتنة لهم ولمن فتن بهم.

(18) - ونؤمن أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى. الذي أطلع أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بوحيه على بعض غيبه. ومن أدعى علم الغيب من الإنس والجن فقد افترى على الله الكذب. ولا نأتي كاهناً ولا عرافاً ولا ساحراً. ولا نصدقهم.

(19) - ونؤمن أن أهل الكبائر والذنوب من الموحدين لا يخلدون في النار ما لم يشركوا بالله. وهم في مشيئة الله وحكمة إن شاء غفر لهم برحمته وإن شاء عذبهم بعدله.

(20) - ونعتقد صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر من أمراء المسلمين وعـامتهم . ونصـلي علـى مـن مـات مـنهم. ونأكـل ذبيحـتهم. فنـؤمن أنـه مـن صـلى صـلاتنا واستقبل قبلتنـا وأكـل ذبيحتنـا ، فذلك المسلم ولا نشهد على مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك ،

ما لم يظهر منهم قرينة ذلك وندع سرائرهم إلى الله تعالى. ونكره أصحاب البدع ونبر أمن بدعهم وضلالاتهم.

(21) - ونؤمن بفتنة القبر ونعيمه وعذابه. وببعث الناس للحساب يوم القيامة. ونؤمن بما جاء في القرآن والسنة الثابتة ، من نصب الموازين ونشر الدواوين يوم القيامة. ونؤمن بالصراط الذي ينصب على شفير جهنم ، حيث يمر الناس فوقه بسرعات على قدر إيمانهم وأعمالهم.

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ وبشفاعته. ونؤمن بأن الجنة والنار حق. موجودتان ولا تفنيان. ونؤمن برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة لا يضارون في رؤيته.

(22) - ونؤمن بأن القرآن منزل من عند الله كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود أنزله على عبده و رسوله مُحَّد ﷺ ، بواسطة أمين وحيد جبريل.

(23) - ونؤمن بأن الاستغاثة بالعبيد والمخلوقات والأموات والقبور، واعتقاد النفع والضر منهم شرك. وأن التوسل بشيء من مخلوقات الله لا يجوز. ونرى أن بناء القبور على غير هدي السنة وبناء القباب عليها ورفع الإعلام واتخاذ المزارات بدعة نهى الشرع عنها. تجب إزالة مظاهرها. بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يؤد ذلك لمنكر أكبر منه لدى القدرة على ذلك.

(24) - ونؤمن أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يمنعه جور جائر ولا عدل عادل. وهو مع عامة المسلمين وأمرائهم برهم وفاجرهم. وأنه فرض كفاية عموماً إذا قام به البعض سقط عن الآخرين إلا في مواطن ثلاثة حيث يصبح فرض عين:

أ- إذا التقى صف العدو بصف المؤمنين وجب الجهاد و حرم الانصراف.

ب- إذا استنفر الإمام الشرعي الحاكم بما أنزل الله الذي يوالي المؤمنين ويعادي الكافرين ، وجب الاستجابة والنفير للجهاد في سبيل الله معه.

ج- **إذا دخل العدو الصائل أرض المسلمين ، أو هددهم في دينهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم. وجب الجهاد وصار فرض عين كما هو هذه الأيام.**

(25) - ونؤمن أن نصرة المؤمنين واجبة في الدين على ما كان منهم من المعاصي والنقصان في الدين لحق العقيدة وإخوة الإسلام. فإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر. ونؤمن أن المؤمن ولي المؤمن ، وأن الكافرين والمنافقين بعضهم أولياء بعض. فأن من تولى الكفار والمرتدين والمنافقين فهو منهم كما قال تعالى :

﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾. وأن مظاهرة الكفار على

المسلمين كفر بدين الله . وأن من أقام بين المشركين بغير إكراه ولا ضرورة فقد أثم ، وقد برئ منه رسول الله ﷺ.

(26) - ونؤمن بأن توحيد الحاكمية جزء أساسي ، وركن ركين من توحيد الألوهية وواجبات العبودية. وأن من شرّع من دون الله بغير ما أنزل الله كفر وارتد وخرج عن ملة الإسلام. وأن الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله جميعهم ، كما وصفهم تعالى: (فأولئك هم الكافرون) و (الظالمون) و (الفاسقون) . قد اجتمعت لهم كل هذه الصفات و مترتباتها . وهم مرتدون وإن زعموا أنهم مسلمين بسبب تلبسهم بالتشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

(27) - ونؤمن بأن دفع صائل الكفار الذين يغزون بلاد الإسلام ويعتدون على المسلمين، وكذلك المرتدين الذين يشرعون من دون الله ويحكمون المسلمين بغير ما أنزل الله. ودفعهم عن المسلمين اليوم ، فرض عين على كل مسلم. وأن على كل مسلم جهادهم ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وذلك أضعف الإيمان. وأنه لا عذر لأحد في القعود عن الجهاد ، إلا من عذر الله من أصحاب الأعذار الشرعية كالأعمى والأعرج والمريض ، والذين لا يجدون ما

ينفقـون ، والمستضـعفين الـذين لا يسـتطيعون حيلـة ولا يهتـدون سبيلاً ، إذا انصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل. وكل امرئ حسيب نفسه والله رقيب عليه.

(28) - ونؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله جملة وتفصيلاً.

رضـينا بالله تعـالى رباً وبالإسـلام ديناً وبالقـرآن إماماً وبسـيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولا. وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

وقبل أن أغادر هذه الفقرة التي لخصت فيها خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة. وهي عقيدتي التي أدين الله تعالى بها وله وحده المنة والفضل وأسأله الثبات على ما يرضيه.

أحب أن أنوه إلى مسألة حرجة طالما أرهقت المسلمين في تاريخ الإسلام وهي إحدى الإشكالات الكبيرة التي لها بالغ الأثر على مسألة وحدة المسلمين في وجه أعدائهم ، كما لها بالغ الأثر على مسـألة (العقيـدة الجهاديـة القتاليـة) ، ومبادئهـا الأساسـية الـتي سنعرض لها لاحقاً إن شاء الله.

هـذه المسـألة الشـائكة هـي افـتراق أهـل السـنة والجماعـة علـى مـذهبين في بعـض مسـائل (العقيـدة) وعلـى رأيـين في مسـألة (المذاهب الفقهية) وتفصيل ذلك الموجز وخلاصة رأيي فيه أسأل

الله الهدى والتوفيق والرشاد لما يرضيه سأورده في الفقرة التالية إن شاء الله .

من آثار وجود العقيدة الإسلامية حية في قلب المسلم وتطبيقها في واقع الحياة:

هذا موضوع كبير.. كتبت فيه الكتب الكثيرة . وحتى لا يخرج بنا البحث عن غرضه أشير إلى بعض ذلك على سبيل الذكر والإشارة ، لآثار أركان الإسلام والإيمان في نفس وسلوك المسلم.

- فإن المؤمن إذا شهد حقاً وصدقاً أن **لا إله إلا الله و أن مُحَّمد رسول الله**. وامتلأ قلبه بها ، وسرت أنوارها في عقله وكيانه. وانعكست على معتقداته وأفكاره وأخلاقه وسلوكه. تحول إنساناً عجيباً في سموه ورقيه. وصار خيراً في ذاته مشعاً للخير على من حوله.

فهو باعتقاده بأن **لا إله إلا الله** ، لا خالق لهذا الكون ولا رب له إلا الله ولا معبود بحق إلا الله. انعكس فهمه لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا عليه. فعلم أن الله هو مالك الملك. وبيده تصريف كل شيء. وأنه لا شيء في هذا الكون ينفع ويضر إلا بإذنه. وأنه الخلاق الرزاق، المحي المميت ، الحكم العدل ، الغفور الرحيم ، العزيز الجبار المتكبر... وآمن أنه هو وحده الخافض الرافع ، المعز المذل ، القوي القهار

القيوم.. الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. ولا يغيب عنه مثقال حبة من خردل ، في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس. وأنه له الأمر والخلق. وأنه مطلع مدبر لخلقه سميع بصير.. إلى آخر أنوار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ؛ اطمأنت نفسه وسكنت روحه. ولم يعد يرجوا النفع ويخشى الضر إلا منه وحده. وغدا إنسان عزيزاً كريماً سوياً. لا تستهويه الشهوات ولا يستزله الشيطان. فإذا ما انزلقت قدمه بشيء من ذلك لضعف بشري ، علم أنه له رباً تواباً رحيماً غفوراً فتاب وأناب من قريب. وإذا أحسن في عمله ، علم أن له رباً شكوراً حليماً كريماً فاستزاد وسعى.

وإذا امتلأت روحه بأنوار **مُحَمَّد رسول الله** .. علم أنه رسول الله الأمين. أنزل عليه القرآن من ربه هدىً للناس ورحمة ونوراً.. وأنه الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى.

فإذا حصل له ذلك ؛ امتلأت نفسه إيماناً بكتاب الله ، وسعى يلتمس على هداها خطاه. يحل حلاله و يحرم حرامه، ويهتدي بهداه. ويتخذ من سيد المرسلين مُحَمَّد رسول الله ﷺ قدوته وأسوته فيستن بسنته ويقتفي أثره ويتصبر بصبره.. وكفى بها أسوة ونموذجاً رفيعاً ، لنبي أنقذ الله به البشرية وأخرجها من الظلمات إلى النور بإذنه وهداها صراطاً مستقيما.

- وإن المؤمن إذا أقام إلى الصلاة. وحلّق في سبحاتها. وأداها على وجهها. فنهته عن فحشائه ومنكره. وكانت له موعداً متكرراً على مائدة الله خمس مرات في اليوم والليلة ، عدا ما يتنفل به لله سبحانه. خمس مواعيد يقف فيها بين يدي الله ويستشعر عظمته. ويكرر في كل ركعة ؛ فيحمد الله رب العالمين. ويعلم أنه الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين. ويتوجه إليه بالعبادة ويسأله الهداية قائلاً (**إياك نعبد وإياك نستعين**) ، (**اهدنا الصراط المستقيم**).. ويطلب من الله السير على أثر سلفه الصالح وأن يجعله معهم ومنهم راغباً (**صراط الذين أنعمت عليهم**).. سائلاً المولى أن يجنبه دروب أهل الشقاء من المغضوب عليهم والضالين. المغضوب عليهم من الذين عرفوا الحق وهجروه كما كان حال اليهود. والضالين الذين زاغت قلوبهم فلم يهتدوا للحق أصلاً كما هو حال النصارى. فإذا ما استرسل يتلوا آيات الله. وشعت أنوارها في قلبه. وركع وكبّر وهلّل وسبح وحمد. ثم جلس ، فقرأ التحيات لله ، وصلى وسلم على نبيه ، وعلى صحبه الكرام. وأحس بالانتماء إليهم، والسعي في آثارهم ، والقرب منهم فحياهم ، (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**). ثم وتشهد بشهادة التوحيد موقنا

مؤمنا ثم وصلى على حبيبه سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

فكانت له الصلاة بذلك موعداً متجدداً بين يدي الله. يذكره أن يجد في سلوكه الحسن. وخلقه الطيب. فيستحيي مما اقترف من المعاصي والآثام. ويفرح بما غسلت الصلاة أدرانه.

- وكما الصلاة. فللزكاة آثارها في تزكية النفس ، وطهارة الروح ، وقهر الشح والبخل. والإحساس بالتكافل والتضامن مع عباد الله المحتاجين ، والمسؤولية تجاه رابطة الأخوة في الله معهم.
- وللصيام آياته وآثاره النفسية والبدنية. وانعكاساته على قوة الإرادة وطهارة النفس والروح. وصفاء الذهن والإحساس بأحاسيس الآخرين من الجياع في هذه الدنيا.
- وللحج وآياته ومعانيه آثارها في تكوين المؤمن. يستشعر بها أخوة الإيمان مع هؤلاء الذين جاؤوا من كل فج عميق. من كل جنس ولون. وطرحوا عنهم زينة الدنيا ، ولزموا الزي الواحد البسيط الذي يحمل كل معاني المساواة و الدعة والسلام. ووقفوا بين يدي الرحمن ، في مجمع يذكرهم بيوم الحشر الأكبر. فيكون هذا دافعاً للغرم على بداية طريق الخير من جديد.

- وإن القلب إذا امتلأ بأنوار أركان الإيمان. وعاشت الروح والنفس فيوضها ورحماتها. ملأ الإيمان بالله وأسمائه وصفاته النفس ، وانعكس عليها بطيب الأخلاق. وحدا بها إلى سلوك الخوف والرجاء لله وحده. وانخلع بذلك الإنسان عن كل ما سواه. وأوجد له هذا شخصية متوازنة كريمة جادة رحيمة.
- وإن الإيمان بكتب الله ورسالاته وأنبيائه أجمعين صلوات الله وسلامه عليهم.. ومعرفة المسلم لأطراف من سيرتهم ، وعذابهم وعنائهم في سبيل الله ، وصبرهم على إبلاغ دعوة الله ، يجعل المؤمن يحس بالانتماء لهذه الأمة الواحدة. وهذه القافلة المجيدة السائرة قدماً منذ وجود البشر على هذه البسيطة. من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى ، إلى خاتم الأنبياء مُحَّد عليهم جميعا الصلاة والسلام. وما كان بينهم من دعوات ونبوات وأمم مجاهدة صابرة على مر التاريخ..
- وأما الإيمان باليوم الآخر.. فهو نعمة من أكبر نعم الله على المؤمن. تشعر الإنسان بتمام العدل الإلهي. وأن ما تعلق من أمور ومظالم لم يستوفى فيها الحساب والعقاب في الدنيا ، سيتم الفصل والعدل فيها يوم يضع الله فيه الموازين القسط ليوم القيامة. فيملؤه هذا خشية من الله أن يظلم أو يتجاوز أو يخطئ في حق ربه أو في حق نفسه أو في حق الآخرين. كما

يملؤه طمعاً في رحمة الله وجزيل عطائه وعدله. فيملؤه هذا رغبة في الاستزادة من الخير، ورجاء الأجر والثواب. فيهم بالعمل عبادة ونسكاً وصلاة وصياماً وزكاة وحجاً ، وجهاداً وأمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر، وفعلاً للخير واجتناباً لشر. إن الإيمان باليوم الآخر طمأنينة وسعادة ورحمة تورث السكينة والرضا. وتدفع على البذل والتضحية والعطاء.

- وأما الإيمان بالقضاء والقدر. وأن ما شاء الله كان. وما لم يشأ لم يكن. وأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأن الله على كل شيء قدير. وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

فالإيمان بالقدر، من عظيم نعم الله على نفس المؤمن. لأنه يورث الرضا والسكينة والتسليم. ويورث القوة والشجاعة. والكرم والثبات. وعدم خشية الناس. وعدم الرغبة إليهم وإلى ما في أيديهم. عندها تنبعث في نفسه أنوار سنة رسول الله ﷺ ، والتي جاء في بعضها:

" **يا غلام.. احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك. رفعت الأقلام. وجفت الصحف** ".

أي والله.. رفعت الأقلام وجفت الصحف. ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون..

فأي قوة تورثها هذه الأنوار في النفس البشرية الضعيفة. وأي رجاء وأي أمل بالله. وأي انقطاع عن السعي لذلك لدي غيره من الضعفاء المخلوقين.

إن هذه الأركان من عبادات الإسلام وحقائق الإيمان متى شعت أنوارها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. تورث كل خير وتصرف عن كل شر.

والكلام في هذا يطول ، لأن المجال رحب واسع طيب. ونذكر طرفا من ذلك على سبيل الإيجاز:

فإن مما تورثه وبقدْر إيمان المرء بها وقدرته على السعي فيها. تورث الطهارة والنظافة طهارة الروح ، ونظافة الجوارح ظاهرا وباطنا. وتورث الاستعداد للتضحية في سبيل الله ، وفي سبيل دفع الضر عن المؤمنين. وتورث السعادة في الحياة..

تورث بر الوالدين. وصلة الأرحام وحب الأسرة. والعطف على الضعفاء. والوفاء للزوج والزوجة، ورحمة الأولاد، والسعي في خيرهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق.

تورث الوفاء والإخلاص للأصحاب. وحب الوطن وحب الأمة. وبغض الأعداء والظلمة والمجرمين والمفسدين.

إنها تـورث السـلوك السـوي والخلـق الرفيـع. وتـورث الصـبر واليقـين. وتـورث الرضـا والتسـليم. وتـورث الشـجاعة والكـرم. وتـورث التأسـي بالقدوة الحسنة. والسعي لأن يكون المؤمن قدوة لمن حوله ومن بعده. وتـورث الإحسـاس بمعيـة الله والانتمـاء لقافلـة الخـير المختـارة وصـفوة البشر الذي ﷺ ورضوا عنه. وتورث القـوة والاستعلاء على الباطل. وتـورث السـكينة والخشـية واللـين. والإحسـان وحسـن الخلـق. والحلـم والأناة والرفق والرحمة.

كما تورث الذلة على المؤمنين ، والعطف عليهم. وتسم المسلم برقة القلب ودمعة الخشية والرحمة والتوبة.. وتورثه الشدة على الكفر وأهله والغلظة على الكفار والمنافقين. مع طلب الهداية والرحمة لهم والعدل في معاملتهم. والقسط مع الخلق في الرضا والغضب..

وتورث الصدق والعفاف عما في أيدي الناس. وتورث حب الله وحب خلقـه وعيالـه ، والسـعي في بـرهم ونفعهـم. وتـورث عقيـدة الـولاء للمؤمنين ، والبراءة من الكافرين.

وتورث حب لقاء الله. وتورث التواضع لخلقه.

وتـورث كـل مكـارم الأخـلاق وتبعـد المرء عـن كـل أضـداد ذلـك مـن مساوي الخلاق والأفعال والسلوكيات والعادات. والبحث رحب واسع وتكفينا منه الإشارة.

- ثم إن الإيمان بصدق موعود الله ونصرة وتمكينه ومؤازرته لعبادة المؤمنين. ذلك الوعد الحق الذي جاءت به الكثير من نصوص القرآن وثابت السنة.. يعطي اليقين. اليقين بالنصر والظفر في الدنيا والآخرة. وبالتمكين لهذا الدين وبزوغ شمسه لتملأ العالم ، وتصل ما بلغ الليل والنهار ، وبنصر أصحابه وأوليائه يوم القيامة وفوزهم برضوان الله. وهذا اليقين يولد الصبر والعزم على المسار. لأن الصبر ابن اليقين.
- ويأتي الإيمان بحسن أجر العاملين. وبعظم أجر المجاهدين المخلصين. ومصير الشهداء الصابرين المقبلين غير المدبرين. لتجعل من هذا المؤمن الموقن الثابت جبلاً لا تهزه الرياح ، ولا تحركه العواصف وذلك بتثبيت من الله. فهو يعلم أنه إن لاقي ربه شهيداً فإنه حي يرزق في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وأنه يسعى إلى رفقة الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. فتهون عليه المشاق. ولا تهمة الصعاب. ويمضي واثقاً نحو إحدى الحسنيين إما نصر وإما شهادة.

العقيدة والنماذج :

إن هـذه العقيـدة لم تكـن في تاريـخ الإسـلام مجـرد نصـوص جميلـة. ومثاليـات مسـطورة في القـرآن الكـريم والسـنة المطهـرة وكتـب العلمـاء وحسـب. لقـد تحققـت نماذجهـا علـى الأرض منـذ اللحظـة الأولى وتحركت حية على الأرض. فكـان سيد ولـد آدم ﷺ ، قـدوة في كـل شيء. ونموذجاً في كل شيء. وكفى به أسوة وقدوة. ومنذ ذلك اليوم، ومع الرعيل الأول ، بدأت تتوالي النماذج.

فكانت خديجة رضي الله عنها، ثم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن. وكان الصحابة تلاميذ المدرسة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام. فكان نموذج أبي بكر وعمر و عثمان وعلي رضي الله عنهم . وكانت نماذج أهل بدر والرضوان. وكان المهاجرون والأنصار. ومن مدرسته ﷺ مدرسة هذه العقيدة ، تخرج الأبطال الفاتحون خالد وأبو عبيدة وعمرو شرحبيل وأسامة بن زيد.. ومن تلك المدرسة تخرج علماء الصحابة معاذ وابن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب.. رضي الله عنهم وعن صحابة رسول الله أجمعين..

لقد كانت عقيدة ومدرسة ، خرجت نماذج ونجباء رضي الله عنهم من طليعة خير القرون.. ثم كان التابعون.. فكان فهم القادة الفاتحون والعلماء الأفذاذ والدعاة القدوة الذين نشروا هذا الدين وساروا على درب أسلافهم.. ثم جاء تابعوهم بإحسان.. ووصل معهم الإسلام إلى تخوم الصين والسند والهند وخراسان وما وراء النهر شرقاً.. وإلى القفقاس

وأسوار القسطنطينية شمالاً وإلى شمال أفريقيا والأندلس وسواحل المحيط الأطلسي غرباً. فكان القادة والعلماء والنماذج الفذة.. وكانت نساء المؤمنين الصابرات المحتسبات اللواتي سرن على خطى أمهات المؤمنين والصحابيات الكريمات الرائدات.. وتتابعت النماذج عبر التاريخ في كل زمان ومكان .

فحيثما التزمت النفوس هذه العقيدة ، فنشأت على أنوارها وسارت على هدي سلفها ؛ رأيت النماذج بازغة ساطعة. وحفل بها التاريخ الإسلامي ، فكان الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء الصالحون من عرب وعجم. فكان عمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد ، و نور الدين زنكي التركماني ، وصلاح الدين الأيوبي الكردي ، ومحمود سبكتكين الغزنوي الخراساني ، وألب أرسلان السلجوقي ، و مُحَمَّد الفاتح التركي .. وطارق بن زياد البربري ، ويوسف بن تاشفين المغربي .. وسواهم كثير.

وكان من العلماء أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل . وسفيان الثوري والأوزاعي والشعبي ، وسعيد بن جبير وابن المسيب وأبو حازم ، وطاووس ، و مُحَمَّد بن أسلم الطوسي ، وابن المبارك ، والجويني ، وأبو حامد الغزالي ... وسواهم وغيرهم كثير رحمهم الله.

وكان الزهاد العباد الفقهاء الأعلام.. فكان الحسن البصري ، وابن أدهم والجنيد وبشر الحافي ، وحاتم ، والسقطي ، والبسطامي ، والهروي .. وغيرهم وسواهم كثير.

وكان من النساء الصالحات العابدات ما ازدانت بسيرهم الكتب أيضا.

وقدمت هذه المدرسة نماذج للتجار الأمناء الذين كانوا دعاة لهذا الدين ، فأوصلوه إلى قلب أفريقيا و مجاهلها وجزر البحار البعيدة .. فوصل الإسلام معهم إلى الفيليبين وإندونيسيا ، وجنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا الشرقية كلها.. وهكذا لو رحنا نستقصي قصصهم ونماذجهم وعبرهم لما كفتنا المجلدات.

والحمد لله فقد حفظت المكتبة الإسلامية تراثاً ذاخراً. من نماذج العلم والعمل والجهاد والخلق والسلوك والصلاح والاستقامة ما لم تأتي به أمة من الأمم قبلهم ولا بعدهم. وما كان ذلك إلا أثراً لتلك العقيدة الشاملة الكاملة الربانية عندما صبغت في حياة الناس.

من آثار غياب العقيدة الإسلامية عن البشر أو ضعفها في قلوب المسلمين:

أما آثار عدم وجود مثل هذه العقيدة عند بني البشر.. فلك أن تقرأ سير الأمم والحضارات غير المسلمة وما فعلته من الظلم

والاستعباد والقهر والعسف للأمم والشعوب ممن كانوا تحت حكم الأكاسرة والأباطرة والفراعين وأشباههم.

ولك أن تقرأ في كتب مؤرخي تلك الأمم في تاريخها وحاضرها إلى اليوم. عن تفسخ مجمعاتهم واعتلالها برذائل الزنا والفجور والخمور والربا والقلق والضياع. ولأن جهل تاريخهم جاهل. فلن يخطئ البصر بأحوالهم اليوم عاقل. ويكفي التجول في إحصائيات الجرائم والأمراض الاجتماعية ، ونسب الطلاق والانتحار، والقلق والمظالم والحروب. والكوارث التي أحلتها تلك الحضارات الكافرة بشعوبها وبشعوب العالم أجمع قديماً وحديثاً.

بل وحتى العرب أنفسهم هذه الأمة التي صارت بالإسلام بتلك العقيدة خير أمة أخرجت للناس. ماذا كان حالها قبل الإسلام ؟ وإلى ماذا صار يوم هجرته بعد أن رفعها إلى قمم المجد ؟!

هل كان العرب إلا شراذم متناحرة يأكل قويهم ضعيفهم. يعاقرون الخمور، ويمارسون الرذائل والزنا. ويسجدون للأحجار والمنحوتات. ويئدون البنات ، ويقطعون السبيل والأرحام.

لا شأن لهم ، ولا وزن لهم بين الأمم. مثل غيرهم من الأمم الكافرة في الضياع بيد أنه لم يكن لهم ما كان لتلك الأمم من الحضارة والمجد والسلطان والقوة. ثم ولمن أخطأ فهم التاريخ وأحاطت به الجهالة به. لينظر في واقع الأمة العربية والإسلامية وبعدها عن دين الله ، وما

أورثها إياه بعد أن عزت به وسادت وعلت قمم المجد وآفاق العز والحضارة شرقاً وغرباً.

ألسنا اليوم أهون الأمم وأكثرها تخلفاً ؟ أليس حكامنا مثالاً للظلمة الكفرة الفجرة الخونة ؟ أليس أكثر علمائنا الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، نماذج للأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ؟ أليس كبراء الناس وأغنياءهم نماذج للفساد والرذيلة والإنحلال إلا نادر النادر ممن عصم الله ؟ ألم تنخر في هذه الأمة أمراض الفجور والعلل الاجتماعية ، لما سارت وراء الغرب ، واعتلت بأسباب علله فاعتلت مثلما اعتلوا وأكثر.

ذاك الذي أسلفنا قبلا كان نموذج حياة العقيدة. وهذا الحاضر الذي نعيشه نموذج لغيابها. وتكفي الإشارة عن النماذج والتفاصيل والإطالة.

وقبل أن انتقل إلى الفقرة التالية وهي لب الباب (العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة). أشير إلى ملاحظة طالما كررتها في بعض دروسي ومحاضراتي ومحاوراتي في أوساط المجاهدين.. ملاحظة طالما أتعبني أن تستولي على واقع التيار الجهادي وما آلت إليه. وهي التي دعتني أن أقدم للعقيدة الجهادية القتالية بالأسس الشاملة العامة لعقيدة الإسلام.. وهذه الملاحظة هي:

لقد لاحظت من طول احتكاكي بالمجاهدين وصحبتي وعضويتي في التيار الجهادي .أنه غلب على المتأخرين منهم ، ولاسيما في تجارب الحشد الركامي ، كما حصل في ساحات الجهاد المفتوحة كأفغانستان وغيرها. حيث لم تعر قياداتها وللأسف أهمية للتربية العقدية الشاملة ولا الجهادية كما أشرت..

لقد سيطر على أكثر المجاهدين الشباب شعور بأن القتال هو الجهاد. وأن الجهاد هو الإسلام !!. وأورثهم الإحساس بأنهم يمارسون شعيرة ذروة سنام الإسلام ، بأنهم في غنى عن باقي ذلك الجسد الكامل المتكامل. لقد ضعفت لدى الكثيرين من المجاهدين أسس العقيدة بتمامها وشمولها التي أشرت إشارة عامة لمناجيها في هذه الفقرة.

وكثيراً ما ضربت المثال لإخواني و أعيده هنا..

لقد أسيء فهم قول رسول الله ﷺ بأن (**الجهاد ذروة سنام الإسلام**) من قبل كثير من المجاهدين. ويجب أن نعود لتمام الحديث الذي وردت فيه هذه الجملة الشريفة منه ﷺ ..

[عن معاذ رضي الله عنه قال : (**قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ**

الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ... حتى بلغ يعملون . (السجدة) ، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر و عموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله ، قال: رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا ، قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

والحديث أوضح من أن يفسر.

فأصل الأمر الإسلام. كل الإسلام. بأركان الإسلام وأركان الإيمان. وعموده (الصلاة). بتمام إقامتها وآفاقها. و(لا صلاة لمن لم تنهه صلاته عن فحشائه ومنكره) ، كما قال ﷺ ، ثم الصدقة ، ثم النوافل وقيام الليل ، ثم ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله. قمة الجمل فوق جسده وعموده وما يحمله. ثم جماع ذلك : (حفظ اللسان). وهذا رمز لحسن الخلق. لأن (اللسان) باب إلى الخير أو إلى الشر.

قلت وأعيد الذكرى هنا: **ذروة سنام** ، فشبه الجسد بالجمل. فهل يستطيع الراحل على الراحلة السفر على مجرد سنام حتى ولو ارتقى ذروته ؟! ؟! وكيف يرتحل على قطعة شحم ، إذا لم يكن السنام مستوياً على جسد متكامل ، قائمًا على أعمدة راسخة ؟!.

الأمر بين.. وهنا أصل إلى الخلاصة:

لا جهاد كما أمر الله تعالى بلا عقيدة جهادية قتالية.. ولا عقيدة جهادية قتالية صحيحة سليمة ، ما لم تبنَ على أسس العقيدة الإسلامية الشاملة الكاملة . بطريقة تربوية شاملة كاملة صحيحة .

وهذا ما غاب عن كثير من المكونات التنظيمية للتيار الجهادي ، ولاسيما في أشواطه الأخيرة .

والآن وقد مضى معظم الرعيل الأول من الجهاديين فإننا بأمس الحاجة إلى إعادة البناء الجهادي في المرحلة المقبلة على أسس سليمة. وهو بناء العقيدة الإسلامية بشمولها وكمالها في النفوس وجعلها راسخة قوية. وبناء العقيدة الجهادية القتالية كفرع منها عليها. وإلا فإنها والله الكوارث ما لم تتداركنا رحمة الله.

إن غياب العقيدة الجهادية القتالية عن الأمة سيجعلها قاعدة ، خائرة ، غثاءً. قصعةً تتناهبها الذئاب الضواري والكلاب العوادي من هنا وهناك. بعد أن تداعت الأمم إلى قصعتها ، لأن سوادها الأعظم، حكاماً ومحكومين ، علماء وجهلاء.. صاروا غثاء كغثاء السيل. قد ضربهم الوهن ؛ (حب الدنيا وكراهية الموت). ولن تحيا هذه الأمة وتقاوم ، إلا بعقيدة جهادية قتالية يحملها العلماء والدعاة والمشايخ، والكتاب والأدباء ، والمفكرون والمثقفون المسلمون ، ويزرعونها في هذه

الأمة التواقة للنهوض. ليقود هؤلاء النخبة مسيرة الشباب على علم وبصيرة ، وبقدوة حسنة .

وإن وجود مقاومة وممارسات جهادية ، أو بالأحرى ثقافة قتالية عسكرية ، وعواطف وردود أفعال نتيجة الكرامة والشرف والنخوة والحماس لدي شباب الأمة ...

إن وجود ثقافة ومبادئ قتالية جهادية ، لم تبن على أسس صحيحة من شمول العقيدة والدين وتمامه، في ظل ظروف القهر والاحتلال ؛ لينذر بكارثة أشد من كوارث القعود عن الجهاد أحيانا ..

إن وجود السلاح في أيدي مقاتلين يضربون العدو ، ويرتكبون في مسارهم أفظع المصائب ، نتيجة الجهل بالعقيدة وغياب التربية المتكاملة. من الممكن أن يعود بالضرر على الأمة والجهاد والمقاومة وكل ما نصبوا إليه.

وقد تسير الأمور إلى الهرج والفتن ، واختلاط الحابل والنابل. وقد يسبب حصول الخيانات والتراجعات. والضرب غير الواعي على غير بيان . وقد أمر الله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا..**﴾.

إن الظروف صعبة. والعدو يقظ والصف الإسلامي منخور. وعملاء العدو في كل قطاع. من حكام وعلماء ومثقفين وأصحاب الأغراض كثر.. أكثر من أن يشار إليهم.

وإذا دبت الفوضى فستقوم الثارات ، وتقع ردود الأفعال ، ويتعصب الناس ويجرون وراء كل ناعق. ولن تستقيم مع ذلك مقاومة ولا جهاد.

فلا قتال بلا عقيدة جهادية صحيحة ، بنيت على أسس متينة من عقيدة إسلامية شاملة. تثبت اليقين وتضبط الأحكام ، وتحفظ الأخلاق ، أخلاق القتال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدو والصديق. إنه دين كامل.. فإما جهاد على أسس دين. وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها.

وهنا تأتي مسؤولية العلماء ، وقادة الصحوة الإسلامية ، بالنزول لساحة قيادة الجهاد والمقاومة. وكل امرئ حسيب نفسه..

اللهم قد بلغنا فاشهد.. اللهم أعنا على البلاغ والدعوة على بصيرة. والعمل على بصيرة. والجهاد على بصيرة. والشهادة في سبيلك على بصيرة.

ورغم حرصي على عدم استطالة أبحاث الكتاب ، آثرت أن أقدم للعقيدة الجهادية بأسس العقيدة الشاملة. فهو الأساس الذي تبني عليه. وبدونها لاتكون. وأرجو أن تكفي اللبيب الإشارة والاختصار. وأن يقيض الله لحملة الأقلام من العلماء العاملين والدعاة الصادقين أن يكفوا الأمة مؤونة البيان وبناء العقيدة وأسس الدين. لنتفرغ لقتال

أعداء الله. وليروا منا ومن المجاهدين في سبيل الله بإذن الله ما كانوا يحذرون.. والله الموفق.

ثانيـاً: المنـاحي العامـة للعقيـدة الجهاديـة القتاليـة لـدعوة المقاومـة الإسلامية العالمية:

سأتناول بعون الله تعالى هذه المناحي في هذه الفقرة على سبيل العناوين والإشارة دون التطرق للأدلة الشرعية على تلك المبادئ السياسية الشرعية أو الفكرية المنهجية أو الجهادية الحركية. وسأختار من بينها بعض الأساسيات الأساسية ، التي يبني عليها ما تبقى ، وأفصل في أدلتها الشرعية وآفاقها في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

وابتداءً أقول بأن كثيرا من المناحي المنهجية مما يحوي هذا الكتاب بكل فصوله ورسائله، وما سأحاول أن الحق به من رسائل دعوة المقاومة، إن شاء الله وأعان عليه. هو من العقيدة الجهادية القتالية. سواءً كان عقائد دينية ، أو أحكاماً شرعية ، أو قواعد سياسية شرعية ، أو أفكار منهجية ،أو معلومات تاريخية ، أو أفكار حركية. أو مواقف سياسية. فكل ذلك منهج تفكير متكامل. ودعوة مترابطة الأركان. وكل ذلك من العقيدة الجهادية القتالية ، التي تكون ثقافة متكاملة ، ومعلومات متعاضدة ، تورث إيماناً وفكراً ومعتقداً ، وخلقاً وسلوكاً ، يوجد المجاهد المقاتل العقائدي ، الذي أرجو وجوده للقيام بأداء مهمة المقاومة وجهاد أعداء الله.

فمن العقيدة الجهادية القتالية ، التي إن وسع المجاهد العادي أن يعلمها بعمومها فقط. فإن على كوادر المقاومة وقيادات الجهاد أن تعرفها على وجه التفصيل والفهم. منها ما يلي:

(1)- **يجب أن يدرك المجاهد العقائدي الذي سيتصدى لفعل المقاومة جهاداً في سبيل الله. واقع المسلمين وما وصلوا إليه ،** في كل واقعهم الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. وكل مناحي واقع المسلمين الحاضر، وما يعيشونه تحت ظروف هذا العدوان والغزو الصليبي اليهودي الداهم.. وهذا ما تولاه الفصل الأول في هذا الكتاب.

(2)- **يجب أن يعلم المجاهد أحكام شريعة الله في هذا الواقع**. وعلى رأس ذلك وخلاصته أمران اثنان:

أ- أن الجهاد المسلح والمقاومة المسلحة هي الحل الأوحد لهذه الإشكالات.

ب – أن هذا الحل هو فرض عين عليه تجب عليه ممارسته ما لم يكن من ذوي الأعذار الشرعية كالأعمى والأعرج والمريض والعاجز والمحصور الذي حيل بين وبين هذه الفريضة.

وهذا ما تولاه الفصل الثاني في هذا الكتاب بالإجمال ويأتي تمام ذلك وتفصيله إن شاء الله في الفقرة التالية من هذا الباب بعون الله.

(3)- **يجب أن يدرك المجاهد جذور هذا الصراع الذي نحن فيه، ومسار تاريخه** منذ فجر التاريخ وإلى اليوم على سبيل الإجمال. وذلك من أجل لفهم تاريخ هذا الصراع ، وحقيقته ، وأطرافه إلى أن آل صراعاً بيننا نحن المسلمين مع أمريكا وحلفاءها من الروم المعاصرين. كما كان صراعاً بين أجدادنا العظماء ، وأجدادهم من بني الأصفر قدماء الروم وقرونهم المتتالية ، ومراحل ذلك. وكذلك شكل النظام الدولي الحالي وأطرافه، وجذوره والمراحل التاريخية التي أدت إلى وصوله لهذه الصورة. وهذا ما تولاه الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(4)- **يجب أن بفهم المجاهد العقائدي على وجه التفصيل تاريخ هذا الصراع مراحله مع الروم وحملاتهم الرئيسية علينا ومعادلات تلك الحملات والأطراف التي اشتبكت فيها**. بعد أن اطلع على وجه الإجمال المسار التاريخي لصراع الحق والباطل ولاسيما منذ انطلاق الإسلام. فيجب أن يعرف كيف كان أداء المسلمين في مراحل النصر والهزيمة في الصراع مع الروم ، من حيث الأسباب. ما أسباب انتصارنا لما انتصرنا وما أسباب هزيمتنا لما انهزمنا. ليصل عبر الفهم الدقيق لسنن الله في ذلك المسار إلى فهم المعادلة النهائية اليوم وأطرافها. ويستنتج كيفية مواجهة كل طرف منهم ووسائل ذلك. وهذا ما تولى الفصل الرابع تفصيله.

وهذا الفصل من أهم مرتكزات العقيدة الجهادية وأسسها الأساسية. وهو معرفة من نحن ومن أعداؤنا. ومن معنا ومن علينا في هذه المواجهة. وإلا اختلطت الموازين على المجاهد فلم يميز عدوا من صديق. ولم يعرف وسيلة جهاد كل عدو. ومن نجاهد بالسنان من الكفار والمرتدين أعوانهم. ومن نجاهد بالبيان من المنافقين والمنحرفين والضلال وأشياعهم. وكيف يكون ذلك.

(5)- **بعد ذلك يجب على المجاهد العقائدي أن يعرف جذوره التاريخية كمجاهد** يقاوم أعداء الله مطلع القرن الحادي والعشرين. ويقاوم طلائع الحملات الصليبية اليهودية الثالثة التي دفعت إلينا بها الحضارة الغربية النكدة. ويعلم أن له سلفاً أوصلوا إليه راية هذا الجهاد والمقاومة وأن الحلقة الأخيرة. وليست النهائية في سلسلة من حلقات هذه الصحوة الجهادية. التي هي وليدة صحوة إسلامية شاملة يناهز عمرها قرناً من الزمن تقريباً. بصرف النظر عن صواب وخطأ السائرين العاملين المخلصين الذين بذلوا وسعهم واجتهدوا فأخطؤوا وأصابوا.. فيعرف لكل أولئك فضلهم عليه. فيتعامل معهم بقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:10)

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليفهم تاريخ تجاربهم وفشلهم نجاحهم

وخطئهم وصوابهم. وهذا ما تناوله الفصل الخامس عن مسار الصحوة الإسلامية منذ ثلاثة أرباع قرن من الزمن. فذلك من أهم وجوه ثقافة المقاوم المجاهد العقائدي ولاسيما القيادات والكوادر التي أرجو أن يولد فيها نخبة من المفكرين والكتاب الذين يأطرون وينظرون لهذه المقاومة التي أظنها ستأخذ معنا صدر هذا القرن الحادي والعشرين على الأقل والله أعلم.

(6)- **يجب أن يطلع المجاهد العقائدي على تاريخ التجارب الجهادية المعاصرة** ولو موجزاً ، بعد الإطلاع العام على تاريخ الصحوة ومدارسها. فيعرف أسباب نجاح تلك التجارب الجهادية وفشلها ، كي يقتنع بأسلوب المقاومة الذي توصلنا إليه. ويكون لدي القدرة على التطوير واختيار الأسلوب الذي يناسب مرحلته. ولكي لا يكرر دروس الفشل وأسباب الفشل. ولكي يعرف أنه سائر على طريق سقط فيه عشرات آلاف الشهداء. وعاني فيه عشرات آلاف الأسرى والمعذبين والمشردين. وليعرف قدر من أوصل إليه الراية. وفكرهم وتراثهم ومناهج عملهم وليسير على بصيرة وخبرة. قد تولي الفصل السادس والسابع من هذا الكتاب هذا الأمر وبه ختم الجزء الأول.

(7)- **يجب أن يتسلح المجاهد العقائدي بعقيدة الجهادية القتالية الخاصة ومنهج عمله الحركي**. بعد أن أدرك ما سبق على سبيل المعارف الحركية والتاريخية السياسية الشرعية العامة. وكما أسلفت يجب أن يبنى ذلك

على أساس متين من العقيدة الإسلامية بشمولها ، القائمة على أساس أركان الإسلام والإيمان. ويجب أن يتولى غرس ذلك منهج تربوي متكامل أشرت إلى وجه مناحيه في أول هذا الباب وسيتتولى الباب الثالث.

(8) – يجب أن يفهم المجاهد العقائدي أن صراعه هذا : (دينـي الحقيقة. سياسي الطابع . عسكري الوسيلة. أمني الأسلوب.)

وبالتالي فعليه أن يتسلح بعقيدته في هذه المواجهة وهذا سبقت الإشارة إليه. وعليه أن يفهم ويدرك الرابط بين ثوابت أصولية المبادئ. وواقعية الحركة السياسية ومعطياتها.

وهذه مهمة القيادات الجهادية. التي يجب أن تدرك نظريتها السياسية. وتفهمها ما أمكن لمقاتليها. وعلى المقاتلين أن يسلموا لقياداتهم في إدارة هذه اللعبة السياسية المتشابكة لهذه المواجهة. وهي أصعب ميادينها وأكثرها تعتقداً. فإن الغالبية العظمى للانتصارات في هذا العصر تحسم سياسياً. وما الوسائل العسكرية اليوم إلا لتدعيم برامج السياسيات وتدعيم المواقف. فعلى قيادات المقاومة أن تدرك واقع الأمة الضعيف اليوم. وتضع له سياسات من خلال فقه الواقع والضرورات وموازين المصالح والمفاسد.. وهذا ما سيتولى الباب الثاني

وضع بعض الخطوط عريضة فيه. ورسم معالم نظريتنا السياسية. بعون الله وهديه إن شاء الله.

(9)- **ثم يجب أن يعرف المجاهد دور التربية، وآفاقها المتكاملة، وأساليبها المناسبة**، لأشير بأن دعوة المقاومة دعوة للأداء الفردي والجهد الفردي. وسيلعب المجاهد العقائدي الدور الأساسي في بذل الجهد في تربية نفسه ومن معه ، على هذه المناهج والمعارف والعلوم الشرعية والسياسية والعسكرية والأمنية الحركية.

إن الموجه يستطيع أن يوجه المجاهد إلى النسك والعبادة والقرآن والذكر وقيام الليل و يضع له المنهج التربوي. ولكن على المجاهد الإشراف على تزكية نفسه وبذل الجهد. إذ يستطيع المرشد أن يرشده للمراجع والكتب وييسر له تناول الأبحاث. ولكن عليه أن يطلع ويتعلم بنفسه.

كما يستطيع المدرب أن يعده ويدربه ، ولكن عليه أن يطور إمكانيات القتالية بنفسه.

ويستطيع الكتاب أن يرشده للجهاد و يحبب إليه الشهادة ويذكره بما أعداء الله له. ولكن عليه أن يتقدم ويعمل متوكلا على الله.

إن دعوة المقاومة دعوة تعلم الفرد المجاهد المسؤولية الأولى عن نفسه وعمن معه وعن الأمة بكاملها ..

وستتولى باقي الفصول مساعدته على ذلك والله الموفق.

وهنا أنتقل إلى تحديد المحاور الأساسية في العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية. وألخصها في نقاط موجزة:



العقيدة الجهادية
ودستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

يرتكز دستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ، وينطلق من أساسيات العقيدة الإسلامية ، وأحكام السياسة الشرعية ، المنطلقة من خلال فهم الواقع السياسي الحاضر للأمة ، ومن خلال قاعدة درء المفاسد واستجلاب المصالح ، وفقه الضرورات ، واعتبار الأولويات. وأخذ المترتبات بعين الاعتبار. بناء على فهم دقيق لواقع المسلمين وواقع العالم من حولهم.

وسنورد هنا مختصراً عن أسس العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة حيث ستشتمل الفقرة التالية على التفصيل والأدلة الشرعية لأهم هذه لأسس إن شاء الله.

- **المادة 1:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ليست حزباً، ولا تنظيماً ، ولا جماعة محدودة محددة. فهي دعوة مفتوحة. هدفها هو دفع صائل القوى الاستعمارية الصليبية الصهيونية الهاجمة على الإسلام والمسلمين. و يمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها

وأهـدافها وطريقتهـا ، الـدخول فيهـا. بشـكل مباشـر أو بشـكل غـير مباشر.

- **المادة 2:**

عقيدة دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. هي عقيدة أهل السنة والجماعة بكافة مدارسهم ومذاهبهم الفقهية. وهي دعوة للتعاون مع كل المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله. ويعتبرون أن القرآن كتابهم والكعبة قبلتهم. وأمة الإسلام أمتهم.

فهي **تجاهد مع أهل السنة ، وتتعاون مع أهل القبلة ، وتستعين بكل مخلص في نصرته للمسلمين** في دفع هذا العدو الصائل عليهم. من خلال ضوابط السياسة الشرعية.

- **المادة 3:**

تعتقد دعوة المقاومة الإسلامية العالمية بمشروعية الجهاد مع كل بر وفاجر من أمراء المسلمين وعامتهم ، من أجل دفع صائل الكفار على المسلمين وهذا من أسس العقيدة عند أهل السنة الجماعة.

- **المادة 4:**

تعتقد دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن الحملات الصليبية الصهيونية الهاجمة على المسلمين تتكون من تحالف يضم المكونات التالية:

(1) - اليهود و قوى الصهيونية العالمية وزعمتها إسرائيل.

(2) - قوى الصليبية الدولية. وزعيمتها أمريكا. ثم روسيا ودول حلف الناتو ومن تحالف معهم من الدول الصليبية.

(3) - قوى الردة، وعلى رأسها الحكام والأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي.

(4) - المنافقين: وعلى رأسهم المؤسسات الدينية الرسمية وعلماء السلطان. ومن تبعهم من فقهاء النفاق. وأجهزة الإعلام والأوساط الثقافية الداعمة للأعداء في حملتهم على المسلمين.

وأن مختصر ومعادلة الصراع اليوم هو:

اليهود والصهيونية وزعيمتها إسرائيل + الصليبية العالمية بقيادة أمريكا وبريطانيا ودول الناتو وروسيا
+ الأنظمة المرتدة وقوى العلمانية المحاربة للإسلام + المنافقون من علماء السلطان وأصحاب الفكر المحارب للإسلام. × قوى المقاومة المسلحة المجاهدة.

- **المادة 5:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهاد هذا الحلف الدولي من اليهود والصليبيين والمرتدين والمنافقين. **فرض عين على كل مسلم** يشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّد رسول الله. يثاب بأدائه و يأثم بتركه.

- **المادة 6:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الجهاد المسلح والقتال (**جهاد السنان**) الوسيلة الأساسية لمواجهة الأطراف الثلاثة الأولى من الحلف (اليهود والصليبيون والمرتدون) ومن قاتل معهم. وتعتبر أن (**جهاد البيان**) والحجة والكلمة هو وسيلة مواجهة قوى النفاق من علماء الاستعمار وفقهاء السلاطين ووسائل إعلامهم.

- **المادة 7:**

تتخذ دعوة المقاومة الإسلامية العالمية من قول الله تعالى:
﴿**فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين** ﴾
شعارا لها. وتعتبر أن مقاتلة الغزاة وحلفائهم والدعوة إلى ذلك فريضة في عنق كل مسلم. وتعتبر مبدأ ثابتا في حركتها وهو أن:

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية هي معركة الأمة المسلمة وليست صراع النخبة المجاهدة فقط.

- **المادة 8:**

تعتبر دعوة المقاومة كافة أشكال تواجد أمريكا وحلفائها المحاربين لنا ، في كافة بلاد المسلمين اليوم أهداف مشروعة للجهاد. سواءً كانت تواجدا عسكرياً أو دبلوماسيا أو اقتصادياً أو أمنياً أو ثقافياً أو مدنياً أو بأي شكل كان. وتطالبهم بالمغادرة وتنذر من بقي القتل والتصفية.

- **المادة 9:**

تعتبر دعوتنا كافة حكام بلاد المسلمين، الذين يوالون أعداء المسلمين من الأمريكان وحلفائهم من اليهود والصليبيين. ويحكمون بلاد المسلمين بغير ما أنزل الله. ويشرعون لهم أحكاماً من دون الله. تعتبرهم كفارا مرتدين قد سقطت ولايتهم الشرعية. قال تعالى: [(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم) (الكافرون) (الظالمون) (الفاسقون) ولم يعد لهم حظ من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم** ﴾. فقد أمرنا الله تعالى بطاعة أولي الأمر (**منكم**) وهؤلاء ما عادوا (**منا**). بل صاروا (**من أعدائنا**) وقد

بين تعالى ذلك فقال: (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) قال كافة أهل التفسير وأثبات العلماء. قالوا : (**منهم**) أي: [**كفار مثلهم**] ..

وكما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت ﷺ قال:

[دعانا رسول ﷺ فبايعناه فكان مما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله ، قال ﷺ : (**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان**)] رواه مسلم. وهل أشد بواحاً في الكفر من موالاة الأعداء. ومظاهرتهم على المسلمين. وتمكينهم من ثغور المسلمين. وإمدادهم بالعدد المدد لقتال الإخوة قي الدين ؟!.

وهل أظهر في الخروج من ملة الإسلام من حكم المسلمين بشرائع الكفار، وتبديل أديان الأمة ومناهجها وكل مقوماتها طاعةً لهم. وقول الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ واضح في حكم خلعهم ، والخروج عليهم. بل وقتلهم كما أمر ﷺ: (**من بدل دينه فاقتلوه**). وهو ماسنسعى إليه بعون الله.

- **المادة 10:**

تسقط دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ، مشروعية أي عهد أو أمان أو معاهدة أو ذمة قدمها حكام بلاد المسلمين للكفار. وذلك

بسبب ردقم عن ملة الإسلام وسقوط ولايتهم. ولأنهم أولياء لهم ومناصرون لهم على المسلمين. فلا شرعية لهم ولا لعهودهم وأماهم ومعاهداقم. إلى أن يقوم أئمة شرعيون. يؤمنوهم وفق مواثيق ومعاهدات شرعية وعلاقات متبادلة في إطار شريعتنا الإسلامية.

- **المادة 11:**

كل من ظاهر أعداء المسلمين الغزاة من الأمريكان وحلفائهم على المسلمين. فقاتل معهم وأعانهم على المسلمين بقتال أو دلالة أو مساعدة أو مشورة أو رأي ينصرهم به على المسلمين فهو مرتد كافر خارج من ملة الإسلام ، يجب قتاله أو يعود عن ذلك ويتوب إلى الله منه.

وما دام في فعله فله كل أحكام المرتدين من انفساخ عقد زواجه، وانقطاع الميراث بينه وبين ذويه من المسلمين. وعدم الصلاة عليه ، وعدم دفن في مقابر المسلمين... وكل ما فصله فقهاء من أحكام المرتد. وحكم قتال هؤلاء بين الوجوب والجواز. وأما ممارسة ذلك فخاضع لقواعد المصالح والمفاسد. وليعلم كل مسلم أنه يرتد بهذا الفعل سواء قاتله المجاهدون أم تركوه.

- **المادة 12:**

كل من ظاهر الحكام المرتدين وقاتل المسلمين والمجاهدين معهم ، من جنودهم وشرطتهم ورجال أمنهم وأعوانهم الذين يدافعون عنهم ويأتمرون بأمرهم في قتل المجاهدين ومطاردتهم ، لا نحكم بكفر كل أحد منهم عيناً. ويقاتلون على أنهم طائفة ردة عامة بصرف النظر عن جاهلهم ومكرههم ومتأولهم. لاسيما وقد أدرك القاصي والداني والعالم والجاهل ، وقوف أولئك الحكام في خندق أمريكا وحلفائها ومحاربتهم لشباب المسلمين المجاهد تحت رايتها وأمرها.

- **المادة 13:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. **دعوة جهاد للغزاة المستعمرين وأعوانهم** . **وليست دعوة تكفير للمسلمين**. فكل من شهد (أن لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله) فقد عصم دمه وماله إلا بحقها وحسابه على الله. وليس من مهام دعوة المقاومة التصدي لأعيان المسلمين من الضُلال والمنحرفين وتكفيرهم و تبديعهم وتفسيقهم .فهذه مهمة من تأهل لذلك وانصرف لها من الدعاة والعلماء. وليست من أعمال المقاومة المتجهة لحرب الصائل.

- **المادة 14:**

تتبنى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية استراتيجية قتال جنود الإحتلال وكافة أشكال تواجد الدول المحاربة للمسلمين ومصالحهم في بلاد المسلمين هجوماً ودفاعاً وبكل أشكال المقاومة المسلحة.

في حين تتبنى استراتيجية قتال رجال أمن حكومات بلاد المسلمين وجنودها وأعوانها دفاعاً عن النفس فقط. رغم حلّة قتالهم هجوما ، وبكل وسيلة مشروعة دفعاً وطلباً. وذلك من أجل مصالح لا تخفى وتهدف إلى توحيد صف الأمة في وجه الغزاة الكفار ، والرفق مع جميع ابنائها ، حتى يتبين لهم الحق ، ولكي يفيؤوا إلى صف أمتهم ويقاوموا عدوها. ومن أجل سد باب الفتن والاحتراب الداخلي دون طائل. ولقطع الطريق على من يقيم الحواجز بين المجاهدين وعامة الأمة من دعاة الضلالة وأجهزة إعلام الطواغيت.

ولذلك تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية قوى الجهاد والمقاومة إلى تحاشي قصد رجال الجيش والشرطة وقوى الأمن في بلادنا بالقتل. والاقتصار في ذلك على عملية الدفاع عن النفس.. وتدعوهم لعدم قتل أسراهم وجرحاهم. والإحسان إليهم ودعوتهم بالحسنى للانضمام إلى صفوف الأمة في قتال أعدائها... كما تدعوا رجال الأمن والجيش والشرطة إلى عدم طاعة قياداتهم في العدوان على المسلمين ومناصرة أعداء المسلمين من الكفار وتدعوهم إلى قتال

أعدائهم الكفار ورؤسائهم من كبار المرتدين وليس إلى المسلمين الأبرياء..

وهذا اجتهاد خاص بدعوتنا بناءً على قواعد استجلاب المصالح ودفع المفاسد ، واستفادة من تجاربنا الماضية. وهذا من المبادئ الحركية الأساسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية بعد مبدأ جهاد المحتلين الغزاة بالسلاح ومقاومتهم بكل وسيلة مشروعة ممكنة بكافة أشكالهم.

(أما أولئك الجنود العاملون مع قوات الإحتلال الكافرة ، مثل الجيش والشرطة في العراق وما شابهها، كالمحاربين للمسلمين في جيش الهند في كشمير ... فهؤلاء مرتدون يقاتلون قتال المحتلين.)

- **المادة 15:**

تتبنى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية مبدأ دفع الصائل على الدين والنفس والعرض والمال. ولو كان مسلماً لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: (**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**) رواه أحمد وأبو داود. وروى عنه ﷺ: (**من قتل دون مظلمته فهو شهيد**) رواه النسائي. وبهذا فهي تدعو المجاهدين والمقاومين إلى عدم تسليم أنفسهم إلى من قصدهم من عساكر الطواغيت وعملاء

الإستعمار بالقتال والأذى. بل تدعوهم إلى قتالهم وقتلهم دفاعاً عن النفس. والتزام سياسة الدفاع هذه دون التحول إلى جهادهم هجوماً كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

- **المادة 16:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل حكومة يقيمها الاستعمار وقوى الاحتلال [من قبيل ما حصل في العراق (مثل مجلس الحكم) أو (الحكومة المعينة)]. تعتبرها حكومة احتلال باطلة يجب جهادها وإسقاطها. وأقل ما يجب نحوها ، اعتقاد عدم مشروعيتها ، وعدم التعاون معها. ولا تقبل أي اعتذارات في ذلك من قبيل ما يزعم من مصلحة البلاد والعباد وتسيير أمور الناس. وتعتبرها أعذارا باطلة شرعاً ، ومرفوضة عقلاً. فلا يأتي الإستعمار إلا بالشر ولا يرضى إلا عمن تبعوا ملته كما قال تعالى :

﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ (البقرة: 120)

.

- **المادة 17:**

لما كانت دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تعتقد كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله ، الموالين لأعداء المسلمين وردتهم. مثل جميع الحكام القائمين في بلاد المسلمين اليوم. فإنها تعتبر الانتساب إلى مؤسسات حكومتهم وسلطاتها الثلاثة:

- التنفيذية: الحكومة والوزارات.
- التشريعية: البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى.
- القضائية: المحاكم الحاكمة بغير ما أنزل الله.

عملا محرما ، وفعلا من أفعال الكفر، يأثم صاحبه على الأقل أو يكفر. وذلك بحسب مسؤوليته وجرمه ، ونصيبه من العذر والتأويل. وسيأتي بيان ذلك في الشرح ، في الفقرة التالية إن شاء الله. وتدعوا كافة المسلمين عامة ، والعلماء والإسلاميين خاصة. إلى اجتناب الطاغوت من أجهزة المستعمرين والمرتدين. وتدعوهم أن لا يفتنوا المسلمين بوجودهم في تلك الأجهزة الطاغوتية.

- **المادة 18:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية مبادئ الديمقراطية كفراً بالله تعالى. ومعتقداً مناقضاً لمقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله. وتعتبر الدعوة إليها وممارستها عملاً من أعمال الكفر. يأثم صاحبه.

إنما قد يصل إلى خروجه من ملة الإسلام. وذلك بحسب طبيعة اعتقاده بها. ونوع ممارسته لها. ونصيبه من أعذار الجهل أو التأول.

وهي تدعوا كافة الإسلاميين إلى عدم السعي إلى المشاركة فيها والدعوة إليها. سواءً بالتعاون مع سلطات الإحتلال ، أو سلطات الحكام المرتدين. كما تدعوا المسلمين إلى عدم المشاركة فيها ، ومقاطعتها وعدم التصويت من خلالها لمصلح أو لمفسد. وتدعوا الإسلاميين ودعاة الإصلاح إلى النشاط من خلال المؤسسات الأهلية غير الحكومية. ومنظمات المجتمع المدني. في مختلف وجوه النشاط السياسي والاجتماعي والثقافي وغيره. مما يهدفون إليه من الإصلاح. ومن غير الوقوع بالدناسة بدخول أجهزة الكفر. والغرض من ذلك اجتناب الطاغوت. وعزل شريحة الفساد والعمالة ، اجتماعياً وسياسياً وعلى كل صعيد.

- **المادة 19:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهود كل المخلصين في الصحوة الإسلامية ؛ الدعوية والإصلاحية والعلمية والدينية ... وغيرها. من الممارسات المشروعة شرعا ، والتي تقوم بها كافة مدارس الصحوة من الدعوة والتبليغ ، والسلفية ، والإخوان المسلمين ، وحزب التحرير... وغير ذلك من مدارس الصحوة الإسلامية. وكذلك جهود

العلماء والدعاة والمصلحين المستقلين. على امتداد ومساحة طيف الصحوة. جهوداً مشكورة لحفظ دين المسلمين ، وإصلاح أحوالهم. وتدعوهم جميعاً إلى التعاون على البر والتقوى ودعم المقاومة. وتعتبر جهودهم في الدعوة لدين الله دعماً وتقوية لجذور المقاومة في الأمة ، وحفظاً لمكوناتها. وتدعوا الجميع إلى تجاوز نقاط الخلاف في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجود المسلمين كله إلى الخطر على كافة الصعد الحضارية.

وتعيد التذكير بقناعتها ، بأن مجاهدة القوى الصليبية واليهودية ومن والاها وأعانها وقاتل معها بالجهاد المسلح ، فريضة شرعية متعينة على كل مسلم قادر من غير ذوي الأعذار الشرعية ، لا يسقط عنه فرض العين هذا ما يقوم به من أعمال البر والخير ، مثلما لا تغني الزكاة عن الصلاة.

- **المادة 20:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم يقول (لا إله إلا الله مُحَّمد رسول الله) على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، ضمن دائرة الإسلام العامة التي دعاها الفقهاء (أهل القبلة). وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها. وأن مجالات ذلك هي الحوار بالحق ، والبيان بالحكمة والموعظة الحسنة.

كما قال تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول﴾. وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المسلمين. وتدعوا كل المسلمين من أهل القبلة ؛ مذاهب وجماعات وأفراد. إلى التعاون على دفع الصائل وجهاد العدو الكافر الذي يدهم بلاد المسلمين. وتدعوا الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي. الذي لا يستفيد منه في مثل هذه الأحوال إلا العدو الكافر الغازي لبلاد المسلمين.

- **المادة 21:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كافة مبادئ المذاهب العلمانية من شيوعية و اشتراكية وديمقراطية وقومية ... وغير ذلك من أوجه الإنتماء الفكري والعقدي لغير ملة الإسلام وهوية الإسلام ؛ تعتبرها دعوات كفر وضلالة ، كلاً بحسبها وفق موازين الشريعة. ولكنها تعتبر أن أكثر أتباع هذه المذاهب من ابناء هذه الأمة هم من المسلمين الجهلة بدينهم المغرر بهم فكريا ، تبعاً لظروف التغريب الفكري والغزو الحضاري ، الذي تعرضت له الأمة. وكثير منهم يكن العاطفة لهذا الدين ، ويشعر بالاحترام لمكوناته ، كما يكن عداءً لقوى الاستعمار، وإرادة عالية لمقاومة الغزو الخارجي. وتدعو دعوتنا كافة مدارس الصحوة الإسلامية ، وشرائح المقاومة الإسلامية المختلفة، إلى حسن الحوار والدعوة في أوساط هذه الشرائح. كما

تدعو كافة القوى القومية والوطنية وكل الشرفاء في هذه الأمة إلى دراسة دينهم وفهمه على حقيقته. التعاون على جهاد القوى الغازية الكافرة ومن يتعاون معها. والالتفاف جميعاً تحت شعار الإسلام للدفاع عن المسلمين ودينهم وحضارتهم.

- **المادة 22:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم قال (**لا إله إلا الله محمد رسول**) ، معصوم الدم والمال إلا بحقها وحسابه على الله. وتعتبر دم المسلم من أقدس المقدسات. وحفظه من أعظم الفرائض والأوامر التي شددت فيها الشريعة الإسلامية.

وتعتبر أن ما جاء في خطبة الوداع من قوله ﷺ: **(فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا فليبلغ الشاهد الغائب)**. دستوراً إلهياً ونصاً نبوياً قطعياً، يدعوا كل مسلم عامة ، وكل مجاهد خاصة إلى حفظ دم وعرض ومال كل مسلم.

وتدعوا كل مجاهد في سبيل الله يبذل جهده ونفسه وماله في سبيل الله ويجاهد الكفار الغزاة من قوى الصليبية والصهيونية بحلفائها. إلى قول الله تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ (النساء: 94)

وتدعوهم أن يتحاشوا أذى كل مسلم. وليتقوا الله ويتأملوا قوله صلى الله عليه وسلم: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ويدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية. **ومن خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه.**) رواه مسلم.

- **المادة 23:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الطوائف الدينية من غير المسلمين من المواطنين في بلادنا كالمسيحيين وغيرهم. مواطنين كفلت الشريعة الإسلامية احترام حقوق مواطنتهم وسكنهم بين المسلمين في إطار قواعد شرعية معروفة مفصلة ، يُتعامل بها معهم عندما يحكم شرع الله. وينصب الإمام المسلم.

أما الآن فلا تعتبرهم دعوة المقاومة الإسلامية العالمية هدفاً للجهاد، ما لم يتعاونوا مع الغزاة. وإنما الجهاد للقوى الغازية من القوى الصليبية الصهيونية ومن يتحالف معها.

حتى ولو ادعى الإسلام. وتدعو دعوة المقاومة تلك الطوائف من المواطنين الأصليين إلى التعبير عن رفضهم للاستعمار والقوى الغازية،

ودعوة ابناءها لعدم التعاون معهم. كما تدعوا المجاهدين إلى عدم فتح معارك جانبية في مثل هذه المسائل التي تحول دون التركيز على المنحي العام للمقاومة ودفع الصائل.

- **المادة 24:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ساحة الجهاد الأساسية ضد أمريكا وحلفائها من الصليبيين والصهاينة هي بلاد المسلمين. التي يحتلها هؤلاء المستعمرون الغزاة بشكل مباشر أو غير مباشر. وفيها تتمركز قواتهم وقواعدهم العسكرية ، أو منها تعبر برا وبحرا وجوا. وفيها تتم عمليات النهب والاستعمار الاقتصادي. وفيها تنتشر مختلف المؤسسات الاستعمارية المختلفة من أمنية وسياسية وثقافية.. وغير ذلك. وهي الأهداف الاستعمارية التي يجب أن يستهدفها المجاهدون في طول العالم الإسلامي وعرضه.

- **المادة 25:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن حربها أساسا هي مع حكومات البلاد التي دخلت في حلف العدوان الصليبي اليهودي الذي تقوده أمريكا. وتعتبر كل دولة تشاركهم في المجهود الحربي وتعينهم على المسلمين هدفاً للمقاومة. وفي مقدمتها حلف الناتو

الذين يرتبطون بالتزامات دفاعية معها. وكذلك ضد كل دولة تعتدي على المسلمين في أي بلد أو مكان. وأما البلاد الكافرة التي لم تتورط في العدوان على الإسلام والمسلمين ، فهي ليست مجال حرب وقصد من قوى المقاومة الإسلامية العالمية.

- **المادة 26:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية حربها مع حكومات الدول المحاربة أساسا وليس مع شعوبها. وهي إذ تعتبر بلاد المسلمين ساحة الجهاد والدفاع الأساسية ، تدعوا المجاهدين إلى ممارسة الجهاد ضد الحكومات والدول الاستعمارية الغازية وحلفاءها في بلادها بضوابط سياسية شرعية تقتضيها أصول الشريعة، وأحكام الجهاد ، وبناءً على نتائج مترتبات الأعمال من المصالح والمفاسد على الإسلام المسلمين.

ومن تلك الضوابط:

(1)- عدم ممارسة القتال والاستهداف العام في بلاد الدول المحاربة إلا في حدود الردع والمعاملة بالمثل. وليس (هدفاً أساسياً وساحة قتال رئيسية) فساحة الجهاد الأساسية هي الدفع في بلاد المسلمين.

(2)- تحاشى قتل نساء وأطفال الكفار، وكذلك من جاءت نصوص الشريعة بتحاشي قصدهم بالقتل. مثل الرهبان ، ودور العبادة ، وتحاشى قتل غير المحاربين من المدنيين إذا انفردوا ما أمكن. والتركيز في

حـال عمليـات الـردع والمعاملـة بالمثـل في بلادهـم علـى الأهـداف العسكرية والسياسية والاقتصادية. مع مراعاة تحاشى من تقدم الإشارة إلى تحاشيهم ما أمكن.

- **المادة 27:**

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية إلى تركيز جهد المجاهدين والتنظيمات الجهادية وقوى المقاومة لمواجهة الصائل العدوان الخارجي. وعدم فتح مواجهات مع أنظمة الردة والعمالة القائمة في بلاد المسلمين في ثورات شاملة وفق التصورات القديمة للتيار الجهادي. رغم قناعتنا بردتهم. والاقتصار على استهداف كبار المرتدين من أئمة الكفر لتعاونهم مع قوى الإحتلال والغزو الخارجي. والغرض من ذلك جمع الجهود على دحر العدو الصائل ، الذي ستنهار بعد النصر عليه بإذن الله كافة القوى العميلة التابعة له في بلادنا إن شاء الله.

- **المادة 28:**

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المجاهدين والمقاومين إلى عدم الانشغال في التصدي بالقتال لمظاهر الفساد والفسوق والعصيان والبدع ومظاهر الإنحراف الدينية ... إلخ ، في أوساط المسلمين

بأعمال جهادية.. فهذه مظاهر لداء حكم الطاغوت الذي تفرضه وتثبته قوى الكفر الغازية الخارجية الصائلة. والانتباه لأمور ثلاثة هامة:

(1)- حرمة دم المسلم ولو كان فاسقاً عاصياً مهما تلبس به من ذلك ما لم يكفر.

(2) - أن تنفيذ الحدود والأحكام الشرعية على مرتكبيها من أفراد المسلمين هو للإمام الشرعي الممكن. وهو ليس موجود الآن. وإنما هدف المقاومة بعد دفع الصائل هو إقامته.

(3) - أن الهدف الآن و والفريضة الشرعية الأولى ، هو دفع الصائل الكافر عن ديار المسلمين.

- **المادة 29:**

تعتمد الحملات الصليبية الغازية في بلادنا بالإضافة إلى القوى العسكرية الداعمة لها المقاتلة معها على دعامتين هامتين:

(1)- دعاة للاحتلال يرحبون بها ويدعون لأفكارها وحضارتها ، ويندون بالإسلام ودعاته.

(2)- دعاة للانحلال والرذيلة والفسق والمجون ، ونشر الاختلاط والزنا والفواحش بدعوى الحرية الشخصية ، والعيش على النموذج الأمريكي.

وأكثر هؤلاء هم من قطاع المثقفين والكتاب والمفكرين والفنانين والصحفيين والشعراء والأدباء ، ورجال الإعلام ...

وتدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المجاهدين ، إلى تصفية كبار رؤوس هؤلاء الدعاة الاستعماريين ورؤوسهم. وكذلك كبار دعاة الرذيلة والإنحلال الذين يعملون على أن تشيع الفاحشة في اللذين آمنوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ (التوبة: 12)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: 19).

وقال عز من قائل : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ (الأحزاب: 61/60).

فهذا الطابور الخبيث المنافق المجاهر بالكفر هم من أهم ركائز الإستعمار في بلادنا. ومن أهم العاملين على قطع جذور المقاومة والانتماء لهذه الأمة. ونعيد التوضيح : المطلوب اغتيال) **كبار أئمة الكفر والفساد)**. وتصفية مؤسساتهم. وليس خدمهم والعاملون المرتزقة بالفجور معهم ولا أعيان فساق المسلمين.

- **المادة 30:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الوجود الإسرائيلي الصهيوني، في كل شبر وذرة تراب من أرض فلسطين ، وما جاورها من أراضي المسلمين باطلاً وغير شرعي. ومثل ذلك كل احتلال لأراضي المسلمين أينما كان. وتعتبر دولة إسرائيل دولة غير شرعية ، وكيان مستعمر دخيل يجب إزالته و تطهير وجه الأرض من وجوده.

ولا تعترف بأي معاهدة سلام. أو اتفاقية تفرط بأي حق من الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني المسلم. وتعتبر المسألة الفلسطينية، قضية إسلامية وليست عربية ولا فلسطينية فقط.

ولا تعترف بمشروعية السلطة الوطنية الفلسطينية ، وتعتبرها سلطة مارقة حكمها حكم كافة الأنظمة العربية والإسلامية في الردة. وتعتبر معظم أركانها الكبار مجموعة خونة وتجار دماء ، وعملاء لليهود وعبيد لشهواتهم ومصالحهم.

وتعتبر أن الجهاد المسلح هو الحل الوحيد لتحرير فلسطين. وتشد على أيدي المجاهدين المسلمين من المنظمات المجاهدة. وتدعوا كافة المناضلين والمقاومين في المنظمات الفلسطينية المسلحة من القوميين والوطنيين واليساريين إلى الجهاد تحت شعار الإسلام ونبذ مبادئ الكفر والضلالة التي أدت دائما وما زالت تؤدي إلى هزيمة الأمة ، وإلى عدم قبول الشهادة عند الله. قال ﷺ (**من قاتل لتكون كلمة الله**

هي العليا فهو في سبيل الله) (أخرجه الخمسة). **(ومن قاتل تحت راية عميه يدعو للعصبة وينصر العصبة فمات فميتته جاهلية).** وتدعوا شباب فلسطين أن لا يفرطوا بدمائهم بالعمل تحت تلك الرايات الجاهلية ، وإنما مع من رفع شعار الإسلام والجهاد. لأن من مات ميتة جاهلية فهو في النار. ولا يبارك الله في عمله. وتدعوا المسلمين في كل مكان إلى جهاد الصهاينة وأعوانهم وأشياعهم في فلسطين وفي كل مكان.

- **المادة 31:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية دعوة التطبيع مع اليهود والكيان السرطاني (إسرائيل) ، دعوات باطلة. وتعتبر من يدعوا إليها خائناً كافراً مرتداً عميلاً للاستعمار. وخاصة إذا كان من علماء المسلمين المزعومين. أو حكامهم العملاء.

وتدعو المجاهدين في كل مكان إلى جهاد كافة أشكال التطبيع ، ومؤسساته ، ورجاله ودعاته واستهداف كل منشآته السياسية والثقافية والاقتصادية ... وغيرها. وتدميرها واغتيال القائمين عليها. والانتباه لعدم أذى المسلمين خطأً أثناء ذلك.

- **المادة 32:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كافة مؤسسات التنصير والتبشير الصليبي في بلاد المسلمين من أخطر مرتكزات الاستعمار وأخطر مكامن الفتنة للمسلمين. وتعتبرها أهدافاً مشروعة وتدعو المجاهدين إلى استهدافها وتدمير منشآتها. وتعتبر كل أمان وترخيص لهذه المؤسسات في بلاد المسلمين ترخيصا باطلا. وأمانا غير شرعي.

وتدعو المجاهدين والمقاومين إلى عدم الخلط بين هذه المؤسسات، وبين الكنائس ودور عبادة النصارى والمسيحيين من المواطنين المقيمين بين المسلمين. وكذلك التميز بين مؤسسات التنصير والتبشير الأجانب. وبين رجال الدين والرهبان المحليين المشرفين على إدارة شؤون طوائفهم الدينية ، ولا يعملون في فتنة المسلمين عن دينهم ، ومعاونة الغزاة المستعمرين.

- **المادة 33:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية دعوة أممية لا تعتبر هوية ولا انتساباً إلا إلى (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله). بصرف النظر عن الجنس والقوم، أو اللون والوطن ، أو اللغة .. أو أي فارق..

وتعتبر ساحة عمل كل مجاهد ومقاوم حيث هو، وحيث يقيم ويتحرك ، و حيث يكون أداؤه أجدى وأنفع وأنكى لأعداء الله.

- **المادة 34:**

يجري الآن إطلاق عملية تطبيع مع الصليبيين والمستعمرين الأمريكان في بلاد المسلمين. وهو تطبيع أشد خطراً بكثير من مسألة التطبيع مع إسرائيل والصهيونية. حيث تتشعب مكونات هذه الظاهرة اليوم في كافة مجالات الحياة والنشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والرياضية.. وغير ذلك.. مشاريع معلنة كثيرة وأخرى بأغطية شتى ومن ذلك:

- **في المجال السياسي:** العمل على إنشاء مراكز ومؤسسات بإشرافهم مباشرة ، في بلادنا وفي أمريكا ، من أجل تخريج النخب السياسية والفكرية التي تحمل مشروعهم ، لتقوم على تلك المشاريع في غضون السنوات العشر القادمة للوصول لمراكز القرار والقيادة.

- **في مجال الاقتصادي:** مشاريع مشتركة (أمريكية - محلية) يقوم عليها رجال أعمال أمريكان ومؤسسات عملاقة ويشاركهم فيها رجال أعمال محليون وتجار وسماسرة..

- **في المجال العلمي:** إنشاء جامعات ومعاهد ومراكز بحث علمي (من قبيل ما أنشؤوه قبل فترة في (وادي عربة) ، بالتعاون مع الحكومة الأردنية والمؤسسات العلمية فيها وهو مشروع بين أمريكا وإسرائيل والأردن .

- **في المجال الثقافي:** إنشاء الكثير من المراكز الثقافية والفنية والرياضية وغيرها من وجوه النشاط الثقافي بإشراف أمريكي ومشاركة محلية.

- **في المجال الاجتماعي:** نشر الكثير من المؤسسات تحت غطاء ومساعدات اجتماعية ومراكز توعية تحت مزاعم الحريات .. والأقليات .. وحرية المرأة.. ورعاية الطفولة .. ونشر الديمقراطية.. والمؤسسات الصحية...الخ.

وهذا الغزو الخطير الهائل أشد خطراً في تدمير الأمة وتفكيك مكوناتها ، من حملات (شوارزكوف ، وفرانكس ، وجون أبي زيد..)، وأساطيلهم العسكرية.

وعلى المجاهدين والمقاومين استهداف هذه الأهداف كلها ونسفها وتصفية إداراتها الأجنبية ، وكبار العاملين عليها محلياً. والانتباه جداً إلى تحاشي سفك دماء المسلمين من روادها ، وحتى العاملين فيها لأن أكثريتهم من المسلمين الجهال بأهدافها ومقاصدها.

ويجب أن يرافق المجهود الحربي في مواجهة مراكز التطبيع الصهيوني والصليبي ، مجهود في التوعية يقوم به العلماء والدعاة بشكل مرادف لعمل خلايا المقاومة في تدمير هذه الأهداف.

- **المادة 35:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن الأحكام الشرعية للديار، هي كما بينها الفقهاء ، على ثلاثة أقسام:

أ- **ديار الإسلام:** وهي البلاد التي تحكمها الشريعة الإسلامية.

ب- **ديار الكفر:** وهي البلاد التي تحكمها شرائع الكفر ولا تحكم بما أنزل الله.

ج- **الحالة الخاصة:** وهي ديار الإسلام التي غلب عليها حكم الكفار. بعد أن كانت دار إسلام. ومازال أهلها مسلمون.

وعليه فإن الديار تنقسم في واقع العالم اليوم إلى أربعة أقسام بناءً ذلك:

1- ديار إسلام أهلها مسلمين:

وهي البلاد التي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها مسلمون . وهذا الصنف غير موجود اليوم وسيقوم قريباً بإذن الله.

2- ديار إسلام أهلها كافرون:

وهي البلاد التي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها غير مسلمين. وهي كالبلاد التي فتحها المسلمون الأوائل ولم يدخل أهلها في الإسلام.

3- ديار كفر أهلها مسلمون:

مثل حال جميع بلاد المسلمين التي تحكمها الأنظمة المرتدة اليوم بقوانين الكفر . والمسلمون أكثرية شعوبها.

ديار كفر أهلها كافرون:

مثل عموم بلاد الدنيا غير بلاد العالم الإسلامي اليوم.

ويترتب على هذا اليوم أحكام شرعية كثيرة تجب معرفتها ، نظراً لغياب الكيان السياسي للمسلمين وعدم وجود الإمام المسلم. ومن أهم تلك الأحكام:

- أ - **للمسلم في أي من تلك الديار، في كل مكان ؛ حصانة الدم والمال والعرض** بشهادته أن (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**). لا تخفر ذمته ولا يعتدي عليه.
- ب - **يجب العمل على نصب الإمام المسلم في ديار المسلمين** وطاعته في المعروف حيث وجد.
- ج - **ليس للحكام بغير ما أنزل الله في ديار المسلمين اليوم أي شرعية وأي طاعة** وأي ذمة أوأمان. ويحرم التعاون معهم وجباية الأموال إليهم طوعاً. ويجب التقرب إلى الله بعصيانهم. والعمل على خلعهم. واستبدالهم بالإمام المسلم حيث أمكن ذلك. وتوفرت القدرة عليه.

- **المادة 36:**

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية إقامة المسلم في بلاد الكفار، وبين ظهراني المشركين محرمة إلا لضرورة. وقد جاءت نصوص السنة الصحيحة الصريحة المفصلة بالنهي عن ذلك.

ففي الحديث الحسن الذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا "**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**". وفي الحديث الحسن الذي رواه النسائي: "**لا يقبل الله من مشرك عملا بعدما أسلم أو يفارق المشركين**".

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (**برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم**).

وقد ترتب على إقامة المسلمين هناك مفاسد عظيمة عليهم في دينهم ودين ذراريهم. واليوم تشتعل الحرب الصليبية ، وتجاهد سرايا المقاومين المجاهدين في سبيل الله جيوش الصليبيين في بلادنا ، وتصل عملياتها إلى بلادهم. وقد ترتب على هذا ردود فعل من تلك المجمعات أدت إلى ظلم المسلمين وتعرضهم للفتنة في دينهم ومظاهره وحجاب نسائهم .. وقد صار بعض المسلمين يميلون إلى ترك أساسيات من دينهم خوفاً من الكفار. ويظهرون موالاتهم لهم. والبراءة من المجاهدين في سبيل الله. وبناء على ذلك:

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المسلمين المقيمين في بلاد الغرب وديار الكفر والكافرين إلى أمرين اثنين:

أولاً: **الهجرة من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد المسلمين** ، ولو أدى ذلك إلى خسارة في الأمور الدنيوية، والتعرض لظلم حكومات الردة. فإن مصلحة حفظ الدين ودين الابناء ، مقدمة على حفظ الدنيا ورفاه العيش. لمن لم يكن مضطرا أمنيا لذلك.

ثانياً: تذكر دعوة المقاومة كل مسلم مقيم في ديار الغرب **وحتى من أهلها الأصليين** ، بأن فريضة جهاد حكومات تلك الدول الكافرة الغازية الداخلة في حلف الأمريكان واليهود ، هو **فرض عين عليه** ، مثله مثل كل مسلم في كل مكان. وأداؤه أسهل عليه من المجاهدين غير المقيمين الذين يقصدون تلك البلاد لردع حكوماتها عن العدوان عن المسلمين. فعليهم مقاومة تلك الحكومات وجهادها وضرب مصالحها واستهداف حكامها وقواها السياسية والاقتصادية. بضوابط أحكام الشريعة والتميز بين من يستحق الاستهداف ومن لايستحقه.

ونكرر لهم النذير.. إن كل مسلم مسؤول أمام ربه عن دينه ودين عياله ، وحفظ أنفسهم وأعراضهم فالسلامة السلامة.. والنجاة النجاة. فلا توردوا أنفسكم موارد الهلاك.

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(الزمر: 15).

انتهى.

ثالثاً: تفاصيل وأدلة شرعية في بعض النقاط الأساسية للعقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

- أولا : بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء. وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع.

- ثانيا: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين.

- ثالثا: الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع.

- رابعا: أحكام الشريعة الإسلامية تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.

- خامسا: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم. حتى ولو كان مسلما.

- سادسا: أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين. وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.

- سابعا: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص. والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم.

- ثامنا: مسألة الديمقراطية وتجارب حركات الصحوة الإسلامية فيها.

- تاسعا : مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة.

- عاشرا : مسألة (التكفير) ، أحكام التكفير العامة ، وقضية تكفير المعين.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها:

أولا: بلاد الإسلام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعداء، وجهاد الغزاة اليوم فرض عين على المسلمين بالإجماع :

كما أثبتنا في الفصل الأول تحت عنوان (واقع المسلمين اليوم) فإنه قد صار من المسلم به اليوم لدى كل عاقل مبصر،أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأعداء. وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدين، مع تواجد عسكري كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها. مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الإقتصادية. وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنية.

وهاهي أمريكا اليوم تعيد احتلال العالم الإسلامي من جديد جهارا نهارا. فقد احتلت أفغانستان مباشرة. وبسطت سيطرتها على باكستان ووسط آسيا. وهاهي قد احتلت العراق ، ووزعت مئات آلاف الجنود في جزيرة العرب وتركيا وجنوب الشام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار. وهاهو بوش يعلن أنه يقود على بلاد المسلمين حملة صليبية ومعه حلفائه في حلف الناتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرئيسي (إسرائيل) التي تحتل فلسطين، وتستعد لهدم المسجد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المسلمين.

فما حكم الشريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدين على كل مسلم تجاهها؟

الجهاد عبادة وفريضة، فرضها الله على المسلمين. وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ المجاهد الشهيد عبد الله عزام شيخ المجاهدين العرب في أفغانستان أيام جهاد الروس – رحمه الله – ما نقتطف منه ما يلي:

(وجهاد الكفار نوعان:

1- جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار، لا يحتشدون لقتال المسلمين. فالقتال فرض كفاية.وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله...الخ.) ثم قال رحمه الله وهو مكان الشاهد:

2- جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإمام أفرادا أو قوما وجب عليهم النفير.

رابعاً: إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين).

ثم تحدث الشيخ عبد الله رحمه الله ، عن الحالة الأولى وهي نزول الكفار في أرض من أراضي المسلمين فقال:

(ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا. أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرب منهم. بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه. فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا. يتوسع فرض العين على شكل دوائر، الأقرب فالأقرب. فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثم من يليهم. حتى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثم أوجز الشيخ رحمه الله مختصر الأدلة على ذلك عند مذاهب أهل السنة وعلمائهم فقال:

أولاً: فقهاء الحنفية:

قال ابن عابدين في حاشيته ج3 ص238:[**وفرض عين إذا هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منه. فأما من ورائهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو. أو لم يعجزوا ولكنهم تكاسلوا، ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم،**

فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه، وثم وثم ، إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج] اهـ.

وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع ج7 ص72. وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق ج5 ص191. وكذلك ابن الهمام في فتح القدير. من أئمة الأحناف.

ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي. الجزء الثاني ص 174:[**ويتعين الجهاد بفجئ العدو: أي توجه الدفع بفجئ (أي مفاجأة) على كل واحد وإن امرأة أو عبدا أو صبيا، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين]**.

ثالثاً: عند الشافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي. في الجزء الثامن الصفحة 58: [**فإن دخلوا بلدة لنا، وصار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع، حتى من لا جهاد عليه، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة]**.

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة في الجزء الثامن الصفحة 345 : [**ويتعين الجهاد في ثلاث مواضع:**

1- **إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.**
2- **إذا نزل الكفار ببلد يتعين على أهله قتالهم ودفعهم.**
3- **إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير]** .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط (كالزاد والراحلة)، بل يدفع بحسب الإمكان ونص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم).

ويقول ابن تيمية في الجزء الرابع من الفتاوى الصفحة 608: **(إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير أليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا).**

ثم أضاف الشيخ عبد الله عزام إثر هذه الأدلة قوله:

[وهذا يعرف بالنفير العام ثم قال وأدلة النفير العام:

1. **قال الله عز وجل** : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:41)

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءا لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو فعل حرام، قال تعالى في سورة التوبة الآية 39: ﴿ إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله : أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وقد

بوب البخاري رحمه الله: (باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية، وكان النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، أفلا يكون النفير أولى؟ قال أبو طلحة ﷺ في معنى قوله تعالى{خفافا وثقالا}، كهولا وشباب ما سمع الله عذر أحد) الجزء الثاني ص144. من مختصر تفسير ابن كثير، وقال الحسن البصري: في العسر واليسر.

ويقول ابن تيمية في الجزء 28 ص 358 (**فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كما قال تعالى:** ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ (الأنفال: 72). **كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم سواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن ، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة و المشي و الركوب ، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق. لم يأذن الله في تركه لأحد**) وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له إنك لعليل، فقال (إستنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع) رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج8 ص150.]

ثم يتابع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله أدلة النفير العام فيقول:

[2- **ويقول الله عز وجل:** ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(التوبة: 36). قال ابن العربي : كافة يعني محيطين بهم من كل جانب وحالة. رواه القرطبي في الجامع.8 – 150.

3- **ويقول عز وجل:** ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال: 39). والفتنة هي الشرك. كما قال ابن عباس و السدي. ذكره القرطبي الجزء 253-2. وعند هجوم الكفار، واستيلائهم على الديار فالأمة مهددة في دينها. وعرضة للشك في عقيدتها، فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعرض والمال.

4- **قال ﷺ : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)** رواه البخاري، فيجب النفير إذا استنفرت الأمة.وفي حالة هجوم الكفار فالأمة مستنفرة لحماية دينها. ومدار الواجب على حاجة المسلمين و استنفار الإمام. كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري الجزء(6- ص20)، قال القرطبي (كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم).(...).

قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن ج1 ص242 : (لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق. أن على المسلمين قتله). وفي هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما، وإذا قتل العادل فهو شهيد. هذا حكم الصائل. فكيف

إذا صال الكفار على أرض المسلمين، حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟! ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة.(...)

7- **قتال الفئة الباغية**: يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9)

فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظا على وحدة كلمة المسلمين وحماية دينها وأعراضها وأموالها. فكيف يكون الحكم في قتال الدول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

8- **حد الحرابة**: قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة:33)

هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يخيفون عامة المسلمين ويفسدون في الأرض ويعبثون بأموال الناس وأعراضهم، فكيف بالدول الكافرة التي تفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم، أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!.

هذه بعض الأدلة والمبررات للنفير العام، إذا دخل الكفار أرض المسلمين، أن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان.]

انتهى النقل عن كتاب الدفاع عن أراضي المسلمين. باختصار طفيف.

وأقول: فإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم. لوجدنا أن الجهاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة. في كل الأرض. وأوضح وجوه فرضيته هو الباب الأول (وهو نزول الأعداء في أكثر بلاد المسلمين).

فما من بلد من بلاد المسلمين اليوم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفار، من اليهود كبلاد فلسطين وأجزاء من بلاد الشام، أو من قبل الصليبين، كبلاد البوسنة والبلقان، والشيشان والقفقاس، والجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا والفلبين... وغيرها. أو من قبل الوثنيين مثل كشمير التي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا التي تحتلها الصين... وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثم من جاورهم. ثم جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا. فعمت الفريضة العينية بالجهاد كل أهل الإسلام.

وأما باقي البلاد الإسلامية والعربية. بما فيها عقر دار الإسلام و كعبتهم ، ومسجد نبيهم ﷺ. فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصليبيين واليهود، بنيابة الحكام المرتدين، وأعوانهم المنافقين الذين وضعوا جيوشهم في خدمة الكفار. بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل

وحلفائهم الصليبيين، الذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية. واحتلوا البلاد بهذه الطريقة الحديثة، بتجميع قواتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدين لجيوشهم من المنافقين والجهال والمكرهين والضائعين... الذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصليبيون قواتهم من مراكزها وقت الحاجة. ويكفى أن نعلم أن لأمريكا وحلفائهم الصليبيين فوق أرض جزيرة العرب أكثر من مائتي ألف جندي.وسلاحا وعتادا مخزنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة ... وبهذه الطريقة الخبيثة. بتجميع القوات في قواعد مركزية، والاعتماد على قوات المرتدين في الخدمات التفصيلية. يتفادى المحتلون الجدد استفزاز المسلمين للجهاد. ويسمحون للحكام المرتدين بادعاء الإستقلال. ولعلماء السلاطين بصرف الناس عن الجهاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثروات منهوبة، والكافرون يسومون المؤمنين ألوان الذل والهوان على أيدي أعوان المرتدين، وشريعة الله معطلة، وكلمة الكفار هي العليا، والصالحون نزلاء السجون وأقبية التعذيب. والناظر في أحوال بلاد الحرمين والشام ومصر وشمال أفريقيا وتركيا و الباكستان وأفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثاني من فريضة الجهاد العيني. وهي (التقاء صف المؤمنين بصف الكافرين). لوجدناها متحققة في كل بلاد المسلمين بأشرس صورها، ولكن بصورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصليبيون، والكفار المرتدون، قواتهم ورصوا صفوفهم وأكدوا حضورهم في كل شبر من بلاد المسلمين. عبر مئات الآلاف من الجيش والشرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين... ناهيك عمن ذكرنا من آلاف الجنود الصليبيين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكرية في كل بلد. بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدفاع عن دينه والالتزام به والدفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر و ترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المؤمنين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مشايخنا حتى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كل أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثالث وهو (استنفار الإمام) فلله المشتكى وله الحمد على كل حال. فليس للمسلمين على وجه الأرض اليوم إمام شرعي واحد، وما فيهم اليوم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد. فكلهم معتمد على ألوان الكفار من اليهود الصليبيين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المنافقين. فليس هناك إمام شرعي يستنفر للجهاد. بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل على

المؤمنين!! فهل سقط الجهاد لغياب الإمام الشرعي؟! فمن يدفع الصائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت على عباده المسلمين في أكثر بلاد الدنيا. فما من بلد من بلاد المسلمين إلا وقام فيه دعاة للهدى. من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جهاد مخلصين. دعوا الناس للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنفروهم. وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هؤلاء الأئمة، وأمراء الجهاد الصالحين. على فرض ذلك. فأمة الإسلام واحدة. ولا إعتبار من وجهة نظر الإسلام للحدود التي رسمها الصليبيون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر... فأمة الإسلام واحدة وتبقى واحدة. ولم تخل عن أمراء جهاد دعوا المسلمين واستنفروهم. وعلى المسلمين إجابتهم والنفير معهم لدفع الصائل. ومن أمثال هؤلاء وقت غزو الروس لأفغانستان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. ومن وقف معه في الدعوة للنفير العام بالجهاد من علماء باكستان وأفغانستان وغيرهم. ومنهم كافة شيوخ وأمراء الجماعات والدعوات الجهادية في مختلف البلاد الإسلامية .. ومن هؤلاء اليوم الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، الذي يستنفر المسلمين لجهاد الأمريكان واليهود اليوم ، ومثله العديد من العلماء ودعاة الجهاد ضدهم من بلاد العرب

والعجم في العراق والشيشان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها. وعلى المسلمين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرابع من فريضة الجهاد العينية وهو (إذا أسر العدو بعض المسلمين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشباب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدنيا إلى سجن غوانتانامو الأمريكي المخزي قد جاوز اليوم 700 أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصادر الأمريكية ذاتها. ومثل هذا العدد في السجون الأمريكية في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشباب المسلم في سجون أوروبا الغربية (بريطانيا-فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف. وقل مثلها في كشمير والفلبين و إرتريا وبلاد إفريقيا. وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).
- وأما سجون طغاة بلاد العرب والمسلمين من أمثال حكام السعودية ومصر وبلاد الشام وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان.. فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظمة العفو الدولية تذهب إلى عشرات الآلاف في البلد الواحد أحيانا!! فلا شك أن الأرقام عن أسرى الشباب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.

- وأما عن فلسطين فالأخبار العالمية تطالعنا في كل يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف. فقد أسر اليهود في يوم واحد من أيام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير.

وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النساء والفتيات وحتى الأطفال. وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرجال والنساء. فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجهاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المسلمين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها. وأن على المسلمين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعل بعض المنافقين أو بعض الجهال ، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المسلمين ، ويحرم مقاتلة الغزاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حكام بلاد المسلمين. فينبغي أن نثبت لهؤلاء أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كان مسلما. وأن نبين لهم أن هؤلاء الحكام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبينه الفقرة التالية:

ثانيا : حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين:

- عندما يشهد كل مسلم بلسانه، معتقدا بقلبه قائلا ((أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَّمدا رسول الله))، فهو يعترف باختصار: بأنه يعتقد أن لا إله يعبد بحق إلا الله، وأنه يعبد هذا الإله الأوحد بمقتضى ما أنزل الله على نبيه مُحَّمد رسول الله ﷺ.

ولهذه الشهادة الخطيرة مقتضيات يعتبر جحودها قولا أو عملا من مقتضيات الكفر بالله، والخروج من ملة الإسلام والعياذ بالله. وقد غُيبت كثير من هذه المقتضيات عن الناس حتى جهلها الكثيرون، فالحقيقة أن كثيرا من الناس يعلمون أن لهم رباً ويعتقدون به في قرارة قلوبهم، حتى ولو أنكروه أحيانا بلسانهم. ولكن الأقل منهم يعبد هذا الإله. وفي هذه الفقرة نتناول شيئا من محتوى هذه الشهادة بإيجاز. ولمن شاء التفصيل أن يعود للكتب التي فصلت في عقائد التوحيد:

- لقد أخبرنا سبحانه أن أكثر المؤمنين به إلها مشركون به ربا. وأن أكثر الكافرين به إلها لا ينكرون ربوبيته.. وقد دلنا سبحانه على أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها لا ينكرون ربوبيته.. وقد دلنا سبحانه على أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها ولا يشرك به شيئا، قال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (يوسف:106) .

لقد آمن معظم البشر بأن لهم ولهذا الكون ربا قد خلق ورزق وهو يدبر وينعم. وباستثناء حفنة من الملحدين، الشاكّين بإلحادهم ولاسيما في وقت الضيق. فإن معظم بني آدم على مر العصور آمنوا بهذا الرب. ولكن اختلفت مذاهب شركهم وكفرهم به إلها يعبد ،فالنصارى والمجوس والهندوس واليهود وسواهم آمنوا بالله ربا ، ثم كفروا به عبادة ، وأشركوا وعبدوا غيره من دونه أو معه ، وقد أثبت القران للكفار هذا الإيمان به ربا والشرك به إلها فخاطبهم قائلا: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ (يونس:31).

أي أفلا تتقون ربكم سبحانه ، فتعبدونه ولا تشركوا به كما تفعلون؟!.

وتكرر هذا السؤال والإنكار في قوله:

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ *قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ المؤمنون (84 -89) .

﴿ **أفلا تذكرون** ﴾؟﴿ **أفلا تتقون** ﴾؟﴿ **فأنى تسحرون** ﴾؟ أي كيف تؤمنون ثم تشركون ؟!

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالله إلى معتقدات الكثير من المسلمين مع تتالي الأزمان حتى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه ، ثم ولاية أعدائه من دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد ويعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق ، وأنه هو الرزاق ، وأنه هو المحيي ، وأنه هو المميت ، وأنه الضار النافع، وأنه الخافض الرافع ، وأنه الحكم العدل .. ، إلى آخر أسماء الله وصفاته. ولكن كثيرا من المسلمين في واقعهم يتوجهون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجاء، والتحاكم والتشريع، والتحليل والتحريم.. على غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم. وخاصة من الحكام والكبراء ، والأحبار والرهبان والعلماء والمشايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرجال!

وهذه هي حقيقة العبادة وحقيقة الطاعة ، التي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون. الرب الذي لا يتم الإيمان به إلا

بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه ، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا ...

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي... فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله ، ثم ينكر تشريعاته ويتنقصها! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المسلمين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم الناس بها ويقهرهم على قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه . ولله المثل الأعلى، فهل يقبل رب البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثم يطيع جاره و يعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الذي يأكل من رزقه ، أن يدعي سيادته ، ثم يتحرك وفق توجيهات غيره ! فهم لا يقبلون ذلك على أنفسهم ولله المثل الأعلى. ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء باطل وعمل منكر.

إن كون الحاكمية لله وحده. وأن التشريع منه وحده. وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك. هي أمور من صميم توحيد الألوهية

وعبادة الله وحده. وقد أثبت القرآن هذا، وأثبت الكفر لمنكره. كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأمة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور. ولا يكون الدين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة على هذه المعاني متعاضدة. ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:40) .
- ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام:57) .
- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (النساء 105).
- ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد 41).
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية 18).
- ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] (الشورى 21).
- ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة 49 . 50).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : [**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**). أي فاحكم يا مُحَمَّد ، بين الناس عربهم، وعجمهم، وأميهم، وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم] ثم قال: [(**ولا تتبع أهواءهم**): أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله. ولهذا قال تعالى: (**ولا تتبع أهواءهم**). أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به بأهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء]. ثم قال. وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام . قال ابن كثير رحمه الله:[وقوله تعالى ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله. كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات و الجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها. ومنها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. **فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم**

بسواه في قليل ولا كثير. قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون؟ وقوله تعالى: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء. العادل في كل شيء] اهـ.

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قال: [ثم ذكر الجويني نتفا من (الياسا)، من ذلك: أنه منه زنى قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط. قتل ومن تعمد الكذب قتل، ومن تجسس قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل (...) وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَمَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه. من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين] اهـ.

قلت:

و(**الياسا**): هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم

ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإسلام والنصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الذي يقوم به اليوم حكام المسلمين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا على القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الروماني، وخلطوا فيها شيئا من الشريعة الإسلامية، وما أملته عليهم أهواؤهم ! ثم كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإسلامية: (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!) وفي بعض البلاد يخلوا حتى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كان ابن كثير قد نقل إجماع المسلمين على كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعية في المسلمين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع على حجم الكفر والفسق والظلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع على نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التشريعية التي تصدر عن حكومة بلاده كل يوم. وهذه هي الحالة في باكستان وكافة بلاد المسلمين. تماما كما أخبر ﷺ فيما روى عنه الأمام أحمد: (لينقضن عرى الإسلام عروة فكلما انتقضت عروة عروة تشبث

الناس بالتي تليها. وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة). فلا شك أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المسلمين.

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء:60) .

يقول ابن كثير رحمه الله:

[هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين. وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله] ثم قال:[فاﻧﻬا–أي الآية – ذامة لكل من عدلوا عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد هنا بالطاغوت. ولهذا قال : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ : أي كما قال في نفس سورة النساء بعد بضع آيات في قوله تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾: [أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. كما ورد في الحديث: (**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**)] اهـ.

وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب الآية 36: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله:[فهذه الآية عامة في جميع الأمور. وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول (.....) ولهذا شَدد في خلاف ذلك فقال:[ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] وكقوله تعالى [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم] اهـ.

- قال الإمام أبو بكر الجصاص في تفسير قوله تعالى: [فلا وربك لا يؤمنون...] الآية السابقة: (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو رسوله ﷺ، فهو خارج من ملة الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول و الانقياد والامتناع عن التسليم. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة) أحكام القرآن ج2 - ص212.
- وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور 51) .

قال:[فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن. وأن المؤمن هو الذي يقول

سمعنا وأطعنا. فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالتنقص ونحوه] اهـ. (الصارم المسلول، ص 38).

- كذلك نقل شيخ الإسلام اتفاق الفقهاء فقال: (والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء) الفتاوى ج3 ص267.
- وقال رحمه الله في الفتاوى ج35 ص406: (ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله).
- ويقول أيضا في منهاج السنة ج3 ص22:(فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر).
- وفي الفتاوى الكبرى ج4 ص515:(ومعلوم بالإضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر).
- ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: عند قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ النساء 59.

قال: [وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس، من الدين كله، إلى الله ورسوله ﷺ. لا إلى أحد غير الله ورسوله ﷺ، فمن أحال الرد إلى غيرهما، فقد ضاد أمر الله ، ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله، فقد دعا بدعوى الجاهلية، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله، ولهذا قال تعالى:[إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر] وهذا مما ذكر آنفا، أنه شرط ينفي المشروط بانتفائه، فدل على أن من حكّم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجا عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء.فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمستمسكين بها، المتمثلين ما أمرت به] اهـ (الرسالة التبوكية).

- وفي نفس هذه الآية (النساء 59) قال ابن كثير رحمه الله:[فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر] اهـ (تفسير ابن كثير).
- ويقول ابن القيم رحمه الله:(ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه.والطاغوت كل ما يتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله). إعلام الموقعين ج1 ص5.

- وقال رحمه الله في مدارج السالكين 1ص 337): إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه حكم الله فهذا كفر أكبر).
- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدين ص 271:(ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح، أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه، فهو كافر، كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة. وكذلك من اعتقد تحريم شئ حلله الله أباحه بالنص الصريح أو أباحه الله عز وجل. والوجه فيه أن في ذلك تكذيب لله تعالى ولرسوله في خبره، وتكذيب للمسلمين في خبرهم. ومن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين).
- قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى:[وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون] التوبة 12. قال:(استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل من طعن في الدين إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه) ج8 ص82.

فانظروا اليوم في خطابات وتصريحات هؤلاء الرؤساء وأعوانهم،وما فيها من طعن بالدين واستخفاف بشعائره.

وقال رحمه الله: (إن حكم بما عنده على من أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر) ج6 ص191.
وقال: (إن طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر) تفسير القرطبي.

ونكتفي بهذه الآثار. والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.
فهذه الآيات البينات والآثار الواضحات، تدل بكل نصاعة على أن القضية تَمُسُّ طبقتين من الناس هما:

1. الحاكم. 2. المحكوم.

فأما المحكوم:

فواجبه الانقياد لشرع الله. واختيار الحكم به. والرضا بنتيجته سواء له أم عليه. وأن لا يجد في نفسه أي غضاضة. وأن يسلم تسليما مطلقا لحكم الله.. وأن إيمان المسلم ينقص ويجرح (مع بقاء حكم الإسلام في الظاهر عليه) بقدر ما يجد في هذا الحكم من كراهة أو غضاضة، وأن هذا النقص في الإيمان قد يكبر بقدر عدم تسليمه لشرع الله ونوع رفضه له، حتى إذا ما بلغ في المحكوم أن يرفض حكم

الله لعدم الإيمان به، أو انتقاصا له، أو عدم قناعته بصلاحيته، وتقديم وتفضيل أحكام البشر عليه، فهذا ينقض الإيمان بالكلية، ويفضي إلى الكفر بصاحبه والعياذ بالله.

وأما الحاكم:

الذي تولى رقاب الناس، وأشركه الله في حكمه. فإنه شخص يفترض فيه العلم وعدم الجهل. إما بذاته وإما بوجود الأمر والنهي والإرشاد من أهل العلم والدين. كما يفترض فيه القدرة لأنه صاحب السلطان. فهو ليس مكرهاكما قد يكون حال آحاد الرعية. وهذا الحاكم للمسلمين يستمد مشروعيته أصلا من كونه الأمين على تطبيق شرع الله في المسلمين. والآيات والسنة والآثار متواترة على أن المستبدل لشرع الله بأحكام البشر والراغب عنها، مستعيضا بها غيرها،فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى شرع الله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير. كما مر معنا في قول ابن كثير رحمه الله. وقد جمع الله لفاعل ذلك في القرآن كل صفات الكفر به فقال تعالى في سورة المائدة:

- ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة/44) .
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة/45).
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة/47) .

وقد نالت هذه الحقيقة العقدية الهامة وهي (كفر الحاكم بغير ما أنزل الله المبدل لشرع الله،من التلبيس والجحود والتلاعب بآيات الله، وإخراجها عن مضمونها، إرضاء لرغبات السلاطين والملوك الناكبين عن شرع الله، ما لم تنله غيرها من الآيات والأحكام. وذلك منذ بدأ يطرأ النقض والنقص على شعيرة الحكم بما أنزل الله. تماما كما أخبر ﷺ. فبدأ الملوك والسلاطين الحاكمون بشرع الله يتهربون من تطبيق بعض الأحكام، على أنفسهم وعلى المقربين منهم لأهواء نفسية، أو محاباة شخصية. وبدأ هذا النقص يكبر ويكبر إلى أن وصل بسقوط الخلافة الإسلامية إلى استبدال كلى لشرع الله. ووصل العدوان على سلطان الله العظيم. إلى استلاب حق التشريع وإعطائه للبشر. فصار حكام المسلمين يشرعون من دون الله أصالة، ويبدلون الشرع ويحرفونه تقنينا وتشريعا، ويأخذون ما يشاؤون ويدعون ما يشاؤون.

وهذه قفزة جديدة إلى الكفر،من ذلك الجور والضلال الذي ارتكبه الملوك الأوائل، مع حكمهم بالشريعة عموما. وهذا الموضوع طويل. وقد تناوله العلماء المعاصرون والكتاب المسلمون وفصلوا فيه وردوا عن الحقيقة الشرعية مماحكات الجهال، و تلبيسات المبطلين من بعض علماء السلاطين وأجهزة النفاق والمؤسسات الدينية الرسمية، الذين أرادوا أن يرقعوا كفر حكامهم المعاصرين وأن يلبسوهم زورا وبهتانا سربال الإسلام.

ولا يسمح الإيجاز الذي يحكم هذا الكتاب، بمزيد من الشواهد والتفاصيل، إلا أني ألفت نظر القارئ المسلم، إلى نقاط مهمة لفهم حقيقة كفر حكام بلاد المسلمين اليوم:

أولا: قد يسأل سائل، فيقول: إذا كان الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا، فلماذا أطلق القرآن الكريم لفظة (الفاسقون) و(الظالمون) عليه ولم يقتصر على قوله (الكافرون) عند قوله: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم...﴾؟ وجواب هذا من وجهين والله تبارك وتعالى أعلم:

1. أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون فسقا، وقد يكون ظلما، غير مخرجين من ملة الإسلام إلى الكفر وقد قال هذا بعض السلف في حكامهم الأوائل من أمثال بعض خلفاء بني أمية وبني العباس. وذلك إذا كانت واقعة الحكم بغير ما أنزل الله، هي في حالات محدودة، أسبابها الهوى أو المحاباة مع التسليم بحكم الله ومعرفته، واعتقاد أفضليته ووجوبه، واعتقاد ذلك الفاعل بأنه مذنب مقصر، من دون أن يصرح أحد منهم بالحكم بغير ما أنزل الله، أو باستبداله على سبيل التشريع، فهذا الذي يحصل اليوم ليس له سابقة في تاريخ المسلمين كله، إلا في هذه الأزمنة التي نصت فيها دساتير الحكام وقوانينهم على أن أحكام السرقة والزنا والقتل سواها من أحكام الدماء والأموال

والأعراض، وقوانين الإدارة في السلم والحرب والقضاء والسياسات... إلخ. ليست المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية. وإنما أحكام وضعوها هم و اقتبسوها من قوانين الكفار.فهذا الحال هو تبديل لشرع الله، وتشريع من دون الله، وليس فقط حكم بغير ما أنزل الله في واقعة محدودة. فقد كان ذاك عند السلف فسق وظلم وأما هذا التبديل والتشريع فهو عندهم كفر بالإجماع. كما نقل ابن كثير وغيره ممن ذكرنا. كفر ينقل صاحبه عن الملة ويوجب قتاله بلا خلاف، عند السلف والخلف وأئمة الفقه والتفسير وأهل الحديث.. وهو حالة حكام بلادنا اليوم. لأن دساتيرهم وقوانينهم مصرحة بلا مواربة بتبديل شرع الله واستبعاده. ومن المعلوم اليوم أن معظم الحدود الشرعية قد استبدلت بأحكام من السجن والغرامات المالية في القانون الوضعي في بلاد المسلمين، هذا غير ما أحل من المحرمات، كالزنا والربا والخمر، بإجازات وتراخيص حكومية بالإضافة إلى بناء السياسة الداخلية والخارجية على أحكام تضاد ما أنزل الله، وبناء السلطة القضائية على دساتير مستمدة من فلسفات أوروبا الرومانية، وبناء السلطة التشريعية على أساس حق التشريع من دون الله، وهذا هو حال دساتير الدول الإسلامية.

وهذا ليس له سابقة في التاريخ القديم إلا ما فعله جنكيز خان وأحفاده المغول لما حكموا بلاد المسلمين، وزعموا الإسلام، وصلوا وأذنوا. ولكنهم حكموا بالياسا فكفرهم علماء المسلمين وقاتلوهم.

*وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

*يقول الشيخ مُحَمَّد رضا رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾ (النساء69)

(و الآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمدا ولاسيما بعد دعوته إليه وتذكيره به فإنه يكون منافقا. لا يعتد فيما يزعمه من الإيمان وما يدعيه من الإسلام) تفسير المنار ج 5 ص227.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

* قال الشيخ محمود الآلوسي في تفسيره : (لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة،

وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتعصب غضبا إذا قيل له في أمر الشرع فيه كذا . كما شهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها، ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصا للحق)

[روح المعاني ج 28 ص 20].

* وقال الشيخ مُحَمَّد أمين الشنقيطي رحمه الله :(ومن لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كله مخرج من الملة) [أضواء البيان ج2ص104.]

*وقال في تعليقه على حديث عدي بن حاتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ألم يحرموا عليكم ما أحل الله ويحلوا لكم ما حرم الله فتبعتموهم ؟ قال بلى، قال فتلك عبادتهم**). قال رحمه الله: (وهذا التفسير النبوي: أن كل من يتبع مشرعا بما أحل وحرم مخالفا لتشريع الله أنه عابد له، متخذه ربا،مشرك به كافر بالله. هو تفسير صحيح لا شك في صحته، واعلموا أيها الأخوان أن الإشراك بالله في حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ولا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله، وتشريعا غير تشريع الله، وقانونا مخالفا لشرع الله، من صنع البشر. معرضا عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله ﷺ من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهم البتة بوجه من الوجوه فهما واحد،

كلاهما مشرك بالله، هذا أشرك في عبادته، وهذا أشرك في حكمه) أضواء البيان.

* ويقول في نفس التفسير: (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على لسان أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم).

*ويقول رحمه الله (وأما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم إستواؤهما في الميراث، ودعوى أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة ، وأن الرجم والقطع ونحوهما، أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك، فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأنسابهم وعقودهم وأديانهم، كفر بخالق السموات والأرض)

أضواء البيان ج4ص84 .

* قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وهو إمام محدث معاصر توفى سنة 1958م، وكان قد عمل في مجال القضاء الشرعي في مصر ثم اعتزله، قال في تعليقه وتحقيقه لمسند الإمام أحمد عند الحديث رقم 7747: (ومن حكم بغير ما أنزل الله عامدا عارفا فهو كافر. ومن

رضي عن ذلك وأقره فهو كافر، سواء أحكم بما يسميه شريعة أهل الكتاب أم بما يسميه تشريعا وضعيا. فكله كفر وخروج من الملة، أعاذنا الله من ذلك).

ومما جاء عنه رحمه الله: (أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربا الوثنية الملحدة، بل بتشريع تدخله الآراء والأهواء الباطلة.يغيرونه ويبلونه كما يشاؤون . ولا يبالي واضعه أوافق شرع الإسلام أم خالفه، إن المسلمين لم يبتلوا بهذا قط إلا في عهد التتار) إلى أن قال: (ما أظن رجلا يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلا (...) ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول ، بأن ولاية القضاء في هذه الحالة باطلة بطلانا أصليا لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة. إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ينتسب لأهل الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو إقرارها)

عمدة التفاسير ج4ص171.

2. إن لفظة (الفسق) و(الظلم) في لغة القرآن الكريم، يعبر بها في كثير من المواضع عن الكفر الصريح، المناقض للإيمان. وشواهد هذا في القرآن كثيرة، ومن ذلك:

- إطلاق لفظ الفسق على صريح الكفر، مثل قوله تعالى في سورة الكهف، الآية 28: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ومعلوم أن إبليس كفر بفسقه هذا واستحق اللعنة والطرد فسمى كفره (فسقا).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأنعام 48- 49).

وواضح أن الذي كذب بآيات الله قد كفر، فقال عنهم (يفسقون)

وفي سورة البقرة الآية 99: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ ﴾. وهذا لا يحتاج الى شرح.

- إطلاق لفظ الظلم على الشرك والكفر: قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان13) وهذا واضح، فسمى الشرك ظلما. وقوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ (النمل-14). والجحود كفر فسماه ظلما.

- كما جمع الله صفات الظلم والفسق مع الكفر والنفاق في أكثر من موضع منها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾ (النساء/168). ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (البقرة-99).

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (البقرة-59).

- وفي سورة التوبة بعد حكمه بالكفر على المنافقين المستهزئين بالدين في الآية 66 قال في الآية 67:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وشواهد القرآن كثيرة، وما زعموه من أن كفر الحكام الحاليين هو مجرد فسق أو ظلم مردود. والصواب أنهم: كافرون،ظالمون فاسقون في آن واحد. والله تعالى أعلم.

ثانيا: ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة، على كفر من أعطى نفسه حق التشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى، في قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة 31). فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم ﷺ، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية.فقال لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم. فقال ﷺ: (**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم**) ومعلوم أن تفسير القرآن بالسنة الثابتة هو من أصح التفاسير. ودلالة

الآية والحديث واضحة تماما، تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص – 38) ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ (النازعات – 24).

لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة. وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى:﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ (الزخرف-54).

فكيف لا يحكم بكفرهم ؟! وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا... إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ثالثا: يجدر بنا لفت النظر الى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين). ثم التشريع والتقنيين من دون الله تحت هذا العنوان.كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان واليمن... فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم، باستخدام بعض العلماء من عملاء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغى الطهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه ﷻ، وقال في الحديث القدسي:(من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. والله لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾

(الأنفال/39). وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (الزمر-3).

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية الله الذي قال : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾ (يوسف-67). والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنا لم يعد كله لله. قال ابن كثير في قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال-39)

[عن ابن عباس: يعني لا يكون شرك]، [وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة]: حتى لا يفتن مسلم عن دينه]،[وعن مُحَمَّد بن اسحق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغيير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر. إذ الزيادة و النقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر)الاعتصام.

وقال الإمام ابن تيمية:

(فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله] وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد إتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله) . ج 28 مسألة 217.

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام ؛ مسلمين صالحين، وأولياء أمور شرعيين. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

فبصراحة ووضوح، وبحق الشهادة لله الذي أمرنا بقوله:[لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ]. فإنه يجب علينا أن نقول:

إن من الخطأ، إنزال بعض العلماء مقولة بعض السلف عن سلاطين المسلمين الأوائل الذين كانوا يحكمون بما أنزل الله، ويجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر وكان فيهم جور وظلم، كبعض ملوك بني أمية و بني العباس، فقالوا عن بعض حالات حكمهم بغير ما أنزل الله، أنها (كفر دون كفر) أو (كفر أصغر). إن من أعظم الغلط إنزال هذا القول على حكام المسلمين اليوم، الذين وصفنا فيما سبق حالهم وحال قوانينهم، وسلطاتهم التشريعية!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في

بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم (مشرِّع) هكذا باللفظ الصريح..

ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!.

فالحاكم تارة يعبد المشرِع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه!

ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين ، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

والآن تطرح علينا مسألة هامة اشتط فيها قوم وأفرطوا حتى كفروا المسلمين. وفرَّط آخرون حتى أسلموا الكافرين وشهدوا على المرتدين بالإسلام. هذه المسألة هي:

من هم المرتدون الكفار في حكومة الحاكم الكافر أو المرتد؟

يقول الله تعالى: ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾. وكما هو معلوم من لغة العرب، فإن لفظة (**من**) اسم موصول، بمعنى (**الذي**)، وهي من صيغ العموم والشمول. فقوله (من لم يحكم) تعني الذي لم يحكم، وتشمل كل من لم يحكم.

فإذا كان النظام قائما على حكم فرد مطلقا، بدون مؤسسات حاكمة معه، كما كان حكم الفرعون، وكما هو حكم الحكام المستبدين. فالكافر هو الحاكم وحده ولفظة (من) أي (الذي) تخصه وحده. وأما أعوانه المنفذون فهم (**طائفة كفر أو ردة**) بشكل عام. يأثمون بقدر مشاركتهم التي قد تصل للكفر وقد تكون إثما.

وأما إذا كان الحكم عبر مؤسسات، تباشر الحكم بشكل جماعي، كما هو حال معظم حكومات العالم اليوم، فالمؤسسات المباشرة للحكم وكبار القائمين عليها كفار.

وفي الحالة المعروفة اليوم، فالحكومات الدستورية، تقوم على سلطات ثلاثة:

1. **السلطة التنفيذية**: وهم الرئيس ونوابه. والوزراء ونوابهم.
2. **السلطة التشريعية: وهم نواب البرلمان، أو من يعادلهم من المختصين بتشريع المراسيم وسن القوانين.**

3. **السلطة القضائية: وهم الادعاء العام أو النيابة العامة، وأنواع القضاة، والمحاكم المختلفة: العامة، الاستئناف، التمييز المحكمة العليا...الخ.**

وأما إذا كانت الحكومة، دكتاتورية (عسكرية، أو أسرية، أو حزبية...) فالحكومة تقوم على مؤسسة واحدة مؤلفة من الحاكم الديكتاتور وأعوانه المباشرين للحكم والسلطة والتشريع والقضاء.

وفي كلتا الحالتين. فالقاعدة هي ذاتها:﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾.

وعليه :

ففي الحكومات الدستورية ، وبحكم عموم اللفظ **(من)** ، **فالكفار المرتدون هم:**

1- السلطة التنفيذية: الرئيس (أو الملك) ونوابه، والوزراء ونوابهم.

2- السلطة التشريعية: نواب البرلمان، وأعضاء مجلس الشورى، (من الذين يشرعون مواد الدساتير، أو نصوص القوانين، على غير ما أنزل الله. أو يقرونها. أو يصادقون عليها. أو يقبلونها).

3- السلطة القضائية: القضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله.

وفي الحالة الدكتاتورية ، وبحسب نفس القاعدة ، **فالكفار المرتدون هم:**

1- الحاكم الدكتاتور ونوابه.

2- كبار أعوانه المباشرين وأعضاء حكومته أو إدارته أو وزرائه المباشرين للسلطة، من حكم وتشريع وقضاء.

وقد نشأت بسبب الانقلابات العسكرية على حكومات دستورية. أنظمة حكم جديدة ، يمكن تسميتها: (دكتاتوريات دستورية!!) (وهذا اسم نطلقه ليس على سبيل الفكاهة). فهي دكتاتورية على وجه الحقيقة. ودستورية من حيث الادعاء والضحك على عقول الشعوب (وهذه هي الحالة في بلدان العالم العربي والإسلامي).

وفي هذه الحالة تبقى القاعدة هي ذاتها :

[من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون]. فالكفار المرتدون هم: الحاكم الدكتاتور، وأعوانه المباشرون للسلطة والحكم بالكفر وللتشريع وللقضاء بغير ما أنزل الله.

ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة ، على كفر من أعطى نفسه حق التشريع من التحليل والتحريم ، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الله ، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد ، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى ، في قوله:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابن مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:31).

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم ﵁، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية.فقال لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم. فقال ﷺ: (**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم**).

ومعلوم أن تفسير القرآن بالسنة الثابتة هو من أصح التفاسير. ودلالة الآية والحديث واضحة تماما،تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ (القصص – 38). ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ (النازعات – 24). لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة. وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى: ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ (الزخرف-54).

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع،بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والجزية ، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا... إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا ، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ويجدر بنا لفت النظر إلى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين). ثم التشريع والتقنيين من دون الله تحت هذا العنوان. كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان

واليمن... فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم ، باستخدام بعض العلماء من عملاء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغى الطهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه ﷻ، وقال في الحديث القدسي: (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. والله لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (الأنفال/39). وقال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين* ألا لله الدين الخالص ﴾ (الزمر-3).

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية الله الذي قال: ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ (يوسف-67). والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنا لم يعد كله لله. قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (الأنفال-39) [عن ابن عباس: يعني لا يكون شرك]، [وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة] حتى لا يفتن مسلم عن دينه] ، [وعن مُحَمَّد بن اسحق:

ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر.

إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر) الإعتصام .

وقال الإمام ابن تيمية: (فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن لم فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة:279) .

بحرب من الله ورسوله] وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد اتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج

البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله) ج 28 مسألة 217.

فالخلاصة :

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم (مشرع) هكذا

باللفظ الصريح.. ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) إذا خطر لهم ذلك!. فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين ، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

هذا عن كفر حكام بلاد الإسلام في هذا الزمان من باب التشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هؤلاء المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه ، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا. وهو ولاؤهم لأعداء المسلمين ومعاونتهم للكفار ومظاهرتهم على شعوبهم وأهل ملتهم. فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشرعي في جريمتهم الأخرى هذه .

عقيدة الولاء و البراء. وحكم موالاة الكافرين وأنواعها. وحكم قتال المسلمين إلى جانب الكفرة والمرتدين:

بصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم ، واختلاف لغاتهم وشعوبهم ، وغناهم وفقرهم ، أو أي اعتبار آخر. فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و (كافر). وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة ، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة. فقد قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات 10).

كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة). وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و (أهل الكفر).

وقال عز وجل: ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ (المؤمنون – 52).

وقررت بينهم رابطة الولاء و واجباتها. وقررت أن التفاضل بينهم على أساس التقوى. وقررت أن: ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ (البقرة – 257). كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم **(ملة واحدة)**. وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان **(أهل الإيمان)** و **(أهل الكفر)**.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (**عقيدة الولاء و البراء**). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

ولم تقم أمام عقيدة الولاء و البراء ولم تعتبر أي رابطة أخرى.. حتى ولا أشد أواصر القربى. فقد قطع الله تلك الأواصر مع أصحابها الكفرة. فقطع الربطة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبيه الكافر فتبرأ منه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة-114). وقطع الرابطة بين سيدنا نوح ﷺ وابنه فقال: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود-46). كما قطعها بين آسية المؤمنة وزوجها فرعون الكافر: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابن لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (التحريم-11). كما قطعها بين سيدنا نوح ولوط عليهما السلام وزوجتيهما الكافرتين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم – 10).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عقيدة الولاء والبراء). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ ابناءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22)

وأخبر بقوله: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (التوبة – 81). ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ (الأنفال – 73). ﴿ والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ (التوبة – 67).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية: 19). فهما نسبتان وجنسيتان، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يوالي مسلما)...و (كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضا).

وقد أمر الله باعتقاد هذه العقيدة، وأخبر أننا إن لم نفعلها ﴿ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ (الأنفال : 73). والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المؤمنين وما يترتب عليها،

والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبراءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح. ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام و التقريرات القرآنية كما يلي:

1. **المؤمن ولي المؤمن:**

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة: 71) .

2. **الكافر ولي الكافر:**

قال تعالى: ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ (الأنفال – 72). ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ (التوبة – 67).

3. **النهي عن ولاية الكافرين:**

قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ (آل عمران:28) ، وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ (النساء- 144).

4. ولاية المؤمن للمؤمن هي ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:

قال تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ (المائدة – 55).

﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ (المائدة – 56).

5. ولاية المسلم للكافرين هي ولاية للشيطان،ودخول في حزبه:

وهي خسارة وسخط من الله تعالى يوجب الخلود في النار: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:14).

إلى قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة:19)، كما قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80). وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء: 119)

6. ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:41) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:25) وقال تعالى:﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر:16) .

7. ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتفضي به إلى الردة:

قال تعالى: في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:51) .

ثم قال بعدها: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة 54-51).

وبعد أن قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:144) قال بعدها: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ (النساء – 145).

8. النهي عن اتخاذ الأقرباء والقوم والعشيرة أولياء إن كانوا كافرين:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَابناؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة – 24-23).

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ ابناءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ

حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22).

9. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:118)

10. النهي عن ولاية من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا:

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:9) .

11. النهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوا ولعبا:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:57) .

12. التشديد في النهي عن ولاية اليهود والنصارى خاصة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليهود والنصارى. ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ (المائدة – 51). وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾ (المائدة–57).

13. الأمر بالأخذ بملة إبراهيم بالبراءة الكاملة من الكافرين وبغضهم ومعاداتهم:

قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4).

14. حددت الآيات القرآنية أعذار من يتولى الكفار من المسلمين ويقعون في النفاق أنها إما من أجل طلب العزة أو للخوف من الأذى والدوائر:

وقد رد القرآن على هذه الأعذار وأبطلها، وحكم على أصحابها بالنفاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدنيا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار. قال تعالى: ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾ (النساء-138-139). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(المائدة- 51-52).

ومن أخطر مظاهر موالاة الكافرين :

1- **التشبه بهم في الملبس والسلوك والعادات والأسماء على سبيل الإعجاب والاستحسان والتبعية.** وقد روي عنه ﷺ : **(بعثت بالسيف**

حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم). رواه أحمد.

2- **السكن مع المشركين في ديارهم ومساكنهم من غير ضرورة**. قال ﷺ: **(لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم)** رواه الترمذي.

3- **الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، وتهنئتهم بها، وتبادل الهدايا معهم: وقد شدد علماء الإسلام في قضايا الولاء والمحبة للكافرين.**

وهذه الأمور السالفة الذكر من التشبة بالكافرين ومساكنتهم بغير ضرورة شرعية معتبرة، والإحتفال بأعياد المجوس واليهود، والنصارى، قد أصبحت متفشية في المسلمين حتى وكأنها من عاداتهم ودينهم، وكأنه لا يترتب عليها الإثم والغضب من الله تعالى: فأكثر المسلمين اليوم يظنها من مظاهر التمدن والحضارة، وأنها من مزايا علية القوم وأكابرهم. فاللباس الأجنبي والصرعات الغربية في الأزياء، وموديلات قص الشعر، وعادات الطعام والشراب، وهيآت الفرش، والقيام والقعود، والموسيقي والرقص، والسلوك الأوروبي والأمريكي، قد صارت محل سباق وتنافس بين مختلف طبقات المسلمين إلا من رحم الله.

وأما السكن والإقامة في بلاد الكافرين، فالناظر في أعداد المهاجرين لبلاد الكفار. والمقيمين معهم، والمتزوجين منهم، والقاضين

حياتهم ومماتهم وحياة ذريتهم في بلاد الكافرين، يدهش من كثرتهم. بل لقد أصبح الناس في بلادنا ينظرون اليهم على أنهم من أصحاب الحظ والفوز اليوم. فالناس يتسابقون ولاسيما الشباب، ويصطفون على أبواب سفارات الكفار ولاسيما أوروبا وأمريكا وأستراليا، ليحظى واحدهم بـ(فيزا) عمل أو هجرة. والناظر في حياة عشرات الملايين من المسلمين في الغرب، يرى العجب العجاب، ولاسيما في أولادهم وأحفادهم، مما يتفطر القلب له، فقد فشا فيهم الزواج بالكافرات بل لقد فشا زواج بناتهم برجال الكافرين، ووجدوا من علماء المسلمين من يفتي لهم بهذا السفاح.!

كما يربى الأولاد تربية الكافرين في مدارسهم، ولا يعرفون لغات آبائهم المسلمين، بل صار بعضهم يدخل جيوش الكفار وأحزابهم! والناظر في أحوال 40 مليون مسلم في أوروبا، ونحو نصفهم في أمريكا وأستراليا، يجد أن الغالبية منهم لم يذهبوا إلى هناك لضرورة سياسية أو أمنية أو إكراه، وإنما لكسب العيش وتحسين مستوى الحياة. فلما إنقضت حاجتهم، استطابوا العيش، ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها. وما اهتموا لإنسلاخهم أو ذراريهم من دينهم، ولا لانخراط أكثرهم في عداد الكافرين وأما احتفال المسلمين في بلادنا بأعياد الكفار، ولاسيما النصرانية والغربية، فقد صارت عادة رائجة عند أكثر المسلمين في بلادنا. فالاحتفال بعيد الميلاد النصراني، وعيد رأس السنة

المسيحية، والأعياد التي اخترعوها، مثل عيد ميلاد الشخص،وعيد الأم، وعيد الأب، وعيد الشجرة، وعيد الزواج، وعيد العشاق، وعيد العمال.. فقد أصبح الاحتفال بها من قبل المسلمين وحكوماتهم ووسائل إعلامهم أمرا عاديا، وبلغ ببعض المسلمين أن ينصبوا في بيوتهم شجرة عيد الميلاد المزينة، ويقدموا لأولادهم الهدايا ليلتها، ويحتفلون بها مثل أعيادنا الفطر والأضحى وأكثر...

وكل ما سبق محرم في الشريعة، يأثم فاعله وهو من مظاهر الفسوق والعصيان. وقد جاءنا نتيجة للهزيمة النفسية الروحية والعقدية والسياسية والعسكرية والاقتصادية أمام الغرب الكافر.

4- الجلوس مع الكفرة والمرتدين والمنافقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ (النساء:140)

5- طاعة الكفار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل: قال تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾

(محمد:25/26) فطاعة الذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

6- اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين و معاونين، ووضع المسلمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم التي نهى الله عنها.

7- النصيحة للكفار ودلالتهم على ما يقويهم ونصرتهم بالرأي على المسلمين.

8- التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم ، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ج199/28: [**ومن جنس موالاة الكفار التي ذم الله بها أهل الكتاب والمنافقين، الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله. كما قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (النساء – 51).

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو :

8- القتال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفار، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، وانتماء إليهم بنص القرآن:

﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة-51). وقد برئ الله منه: ﴿فليس من الله في شيء﴾ (البقرة-28). وقد قال تعالى:﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ (البقرة-76). وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر:11) .

ومن الآثار التي وردت في تفسير بعض النصوص القرآنية السابقة:

- قال ابن حزم رحمه الله ينقل الإجماع : (صح أن قول الله تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ إنما هو على ظاهره، **بأنه كافر من جملة الكفار ، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين**) المحلى ج13 ص25.
- قال الطبري في تفسيره ج1 ص277: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم، **أي من أهل دينهم وملتهم** ، فإنه لا يتولى متول أحد إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخط **وصار حكمه حكمه)**.
- وقال ابن جرير في تفسير{من اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برء الله منه بارتداده عن دنه ودخوله في الكفر). ج3 ص228.

- وقال ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص67:(إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم {ومن يتولهم منكم فإنه منهم } **فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم**).
- قال ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية 53-50:

[ينهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله. ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض. ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ (المائدة-51). قال ابن أبي حاتم : [(...)إن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وأعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر أجنب هو؟ قال لا، بل نصراني: قال: فانتهرني، وضرب فخذي وقال: أخرجوه ثم قرأ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾.

حدثنا مُحَّد بن الحسن (...) قال عبد الله بن عتبة:[ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر، قال: فظنناه يريد هذه الآية].

قال ابن كثير :[وقوله تعالى:﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض**﴾. أي شك وريب ونفاق. ﴿يسارعون فيهم﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم،

ومودتهم في الباطن والظاهر﴿ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي: يتأولون مودتهم وموالاتهم، لأنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون له أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. عند ذلك قال تعالى ﴿**فعسى الله أن يأتي بالفتح**﴾ قال السدي: يعني فتح مكة. قال غيره يعنى القضاء والفصل ﴿ **أو أمر من عنده** ﴾ قال: السدي: يعنى ضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿فيصبحوا﴾ أي الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين. ﴿ **على ما أسروا في أنفسهم** ﴾ من الموالاة ﴿نادمين﴾ أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا، ولا دفع عنهم محذورا. بل كان عين المفسدة. فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدر كيف حالهم. فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين]-

(سبحان الله كأنما تحكى هذه الآية وتفسيرها حالة حكام بلاد المسلمين الذين يعاونوها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأنهم يظنون أنها ستنتصر على المسلمين فيكون لهم عندهم مكانة. واعتذارهم عن ذلك بخوف الدائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم على أيدي المؤمنين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تعالى :﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ (آل عمران-28).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:[نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين. ثم توعد على ذلك فقال تعالى: ﴿**ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله هذا فقد برئ الله منه (...) ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ أي: يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعدائه وعادى أوليائه].

وفي قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: 118) .

قال ابن كثير: ﴿ يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلوهم على سرائرهم. وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون. بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة. ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم.

- وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هي من أولويات الإسلام وأساسيات العقيدة، التي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصريح لكل مسلم:
{من يتولهم منكم فإنه منهم} {ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء} وهذا واضح. فمن يتولى الكفار فهو كافر مرتد مثلهم قد برئ الله منه.

- **وقد عد الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب مظاهرو الكفار على المسلمين في نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها وهي :**

1- الشرك بالله ، الذبح لغير الله وللقبر.
2- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.
3- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم .. كفر.
4- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.
5- من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ – ولو عمل به – فهو كافر.
6- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عاقبه كفر ، والدليل: ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنت تستهزئون** ﴾ (التوبة:65).

7- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. ﴿**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾ (البقرة:102).

8- **مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:** ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة:51) **وهي محل الشاهد.**

9- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحَّد صلى الله عليه وسلم، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

10- من أعرض عن دين الله —لا يتعلمه ولا يعمل به- ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ (الأحقاف :3).

- **قال سليمان بن عبد الله بن الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب:** (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم — فإنه كافر مثلهم ، وإن كان يكره دينهم يبغضهم و يحب الإسلام والمسلمين ، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك.

فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل . وأعانهم عليه بالنصرة ، ووالاهم ، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، فإن هذا لا شك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره.

وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا فإنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا).

وساق الشيخ عشرين دليلا على قوله منها: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة:120) ﴿ولا يزالون يقاتلونكم﴾ (البقرة:217). ﴿ لا يتخذ المؤمن الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ (آل عمران:28) ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ (النساء:140) ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80-81) . الحديث

(من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله).

قال الشيخ سليمان عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم ، إن ادعى الإسلام ، كالناس الذين أقاموا في مكة و ادعوا الإسلام بعد الهجرة ، وخرجوا في بدر فظن بعض الصحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ (النساء:67).

(من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه).

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظلم والافتراء على الله الكذب.. ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا. ومن بيع الدين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الولاء الكامل الحاصل من حكام المسلمين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليهود والنصارى، من أمريكان وأوروبيين وسواهم من الكفار على أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة. أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النفاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار. بل بلغت أعلاها، من القتال معهم والدفاع عنهم. وبنصرتهم على المسلمين مهما كلف ذلك من خراب ديار المسلمين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم. مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المؤمنين.

والحقيقة التي لا غباش فيها، هي أن الردة المتأتية عن هذا الولاء للكفار، التي تلبس بها أكثر حكام المسلمين اليوم، وجروا إليها

أنظمتهم وحكوماتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حكوماتهم. هي من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإسلام واستبدالها بشرائع الكفر والطاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدين، الذين والوهم. تكون شاهدين يدمغان هؤلاء الحكام بالردة والكفر والخروج من ملة الإسلام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هؤلاء الخونة رغم قوله تعالى: {ولا تكن للخائنين خصيما}.

فقد قال تعالى:﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) إلى قوله تعالى: {ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم كفيلا ﴾ (النساء 105-109).

فسبحان الله! ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ؟

وما أظنها إلا الاثنتين معا.. قلوب مقفلة ولا تتدبر القرآن . بسبب ما ران على تلك القلوب من السحت وأكل أموال السلاطين.

مصداقا لقوله ﷺ: (**من أتى أبواب السلاطين افتتن. وما زاد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا**)

أبعدهم الله ..

ثالثا : الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا واجب على المسلمين بالإجماع:

ماذا يترتب شرعا على كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإسلام..؟:

كما ذكرنا آنفا، فان كافة مصائب المسلمين وما نزل بهم من كوارث داخلية مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار. فالأصل في الشريعة أن (الإمام جُنَّة) يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأمة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا. وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعلماء هم ضابط الحكام. وبقدر فسادهم يفسد الحكام. فكما جاء في الأثر : **(صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء)**. والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليوم، هي مسألة في غاية العظمة والخطورة.لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المسلمين اليوم. فهي مسألة ديننا ودنيانا. وبالاختصار. فإن الحكم الشرعي بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تمامًا.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشريعة التي يحكم بها، بمعنى:

- إذا كان الحكم لله، والشريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.
- وإذا كان الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كان الحاكم كافرا، ولا يكون الحاكم مسلما إذا حكم بغير ما أنزل الله. فهما مترادفتان:

حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله .

وعكسها بعكسها:

حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكمية والولاء.

- **من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المؤمنين ويعادي الكافرين:**

1- وجوب السمع والطاعة له في كل ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

2- وجوب احترام المسلمين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت في حدود الشريعة.

3- وجوب النفير معه إن استنفر المسلمين للجهاد في سبيل الله، ضد الكفار او المرتدين، أو البغاة أوالمفسدين في الأرض.

4- وجوب نصيحته، والتعاون معه على البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

5- وجوب الصبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق في نفسه، والجور في حكمه. ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان. والأحاديث الدالة على هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن

عبادة بن الصامت ﷺ قال:[دعانا رسول ﷺ فبايعناه فكان مما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، قال ﷺ : **(إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)**] وهذه رواية مسلم.

وجوب جهاد الحاكم الكافر أو المرتد:

- نقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع على الخروج على الحاكم إن كفر. فقال: [قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر. وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. وقال وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة، خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك. فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحقق العجز لم يجب القيام ويهاجر المسلم عن أرضه ويفر بدينه] (صحيح مسلم بشرح النووي ج12-ص229).
- قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري:

(إنه–أي الإمام–ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض)ج13ص154.

- قال أبو يعلى: (إن حدث منه ما يقدح في دينه نظرت فإن كفر بعد إيمانه فقد خرج عن الإمامة وهذا لا إشكال فيه لأنه خرج عن الملة ووجب قتله).
- قال الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله في كتابه (الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه): (وأن إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة) .

وقد استنبط العلماء والمفسرون من قوله تعالى لسيدنا إبراهيم ﷺ : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:124) . أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء. وكذلك استنبطوا من قوله تعالى: ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾. أي لا يجعل الله للكافرين على المؤمنين سلطة وقهرا وتحكما. ومن أعظم السلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة

والقهر بل لقد منع العلماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات التي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج. وستكون المسلمة في أمر كافر. في حين أباح العكس. فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع على بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة (تأليف عبد الله الدميجي) في الفصل الثالث تحت عنوان (عزل الإمام والخروج على الأئمة) ص 465 ما ننقل منه باختصار مايلي:

[من المتفق عليه بين العلماء أن الإمام ما دام قائما بواجباته الملقاة على عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإسلام وتوعد الغادر بعذاب أليم. لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير على حياة المسلمين الدينية والدنيوية منها ما يؤدي إلى ضرورة عزل الإمام المرتكب لها. وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه. والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العلماء فيها:

الأول : الكفر والردة بعد الإسلام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الردة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإمام جرماً عظيماً يؤدي إلى الكفر والإرتداد عن الدين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية على مسلم بحال.

قال تعالى: {**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**} (النساء 141). وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفي الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا – أي رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) متفق عليه. قال الخطابي: (معنى – بواحا – يريد ظاهرا (باديا) (وعندكم من الله برهان) قال الحافظ بن حجر في شرح البخاري (أي نقص آية وخبر صحيح لا يحتمل...) التأويل) وقال النووي في شرحه لمسلم: (المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام). ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الردة عن الإسلام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر. قال الشيخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين)ص22 في نسخة (المجلس العلمي في

كراتشي) : (ودل – أي هذا الحديث–أيضا على أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، و إلا لم يحتج الرائي إلى برهان).

فظاهر الحدث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب على الأمة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله ﷺ (من بدل دينه فقتلوه).– ثم نقل الدميجي كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الذي أسلفناه– ثم قال: قال السفاقسي: (أجمعوا على أن الخليفة إذا دعي إلى كفر أو بدعة يثار عليه) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري. ج 10 ص 217.

الثاني: ترك الصلاة والدعوة إليها. (...).

الثالث: ترك الحكم بما أنزل الله: والذي يدل على أن هذا السبب موجب لعزل الإمام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة في الأحاديث النبوية الصحيحة الآتية:

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله)**

رواه البخاري.

2- عن أم الحصين الأحمسية رضي الله عنها قالت: (حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع...إلى أن قالت ثم سمعته يقول : **(إن أمر عليكم عبد**

مجدع – حسبتها قالت أسود – يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا) وفي رواية الترمذي والنسائي سمعته يقول: **(يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله)**.

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأول. والله أعلم].اهـ.

- **وقد وقفت على كلام في غاية الأهمية كشاهد معاصر في موضوعنا هذا ، فقد**

جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم – في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإسلام في باكستان (الشيخ **مُحَمَّد تقي العثماني**) : عند شرح هذا الحديث الشريف :

[عن جنادة بن أبي أمية ، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال : **دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا**

ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: **إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.**

(قال الشيخ تقي عثماني):

[**قوله:** " وأن لا ننازع الأمر أهله" أي لا ننازع الأمير في إمارته ، وزاد أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: (وإن رأيت أن لك في الأمر حقا فلا تعمل بذلك الظن ، بل اسمع وأطع ، إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة) وزاد في رواية حبان أبي النضر عند ابن حبان وأحمد: (وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك) كما في فتح الباري (8/13).

قوله: " **إلا أن تروا كفرا بواحا** " بفتح الباء الواو ، يعني ظاهرا باديا ، من قولهم: باح بالشيء يبوح به بوحا و بواحا: إذا أذعه وأظهره ، ووقع في بعض الروايات: " براحا" بالراء بدل الواو ، وهو قريب من هذا المعنى ، وأصل البراح: الأرض القفراء التي لا أنيس فيها ولا بناء ، وقيل: البراح: البيان ، يقال برح الخفاء إذا ظهر. ووقع عند الطبراني في الحديث: "كفرا صراحا " بصاد مضمومة ثم راء. هذا ملخص ما في فتح الباري (8/13).

مسألة الخروج على أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العلماء على أنه لا يجوز الخروج على السلطان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح . قال الحافظ في الفتح (7/13) (قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار. وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ، **ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها**).

وربما يفهم منه بعض الناس أن الإمام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسميا باسم الإسلام . وليس الأمر على هذا الإطلاق ، ولاسيما على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

يقول الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن (70/1) تحت قوله تعالى: (**ولا ينال عهدي الظالمين**): " وكان مذهبه (**يعني أبا حنيفة**) مشهورا في قتال الظلمة ، وأئمة الجور ، ولذلك قال الأوزاعي: " احتملنا أبا حنيفة على كل شيء حتى جاءنا بالسيف" يعني قتال الظلمة ، فلم نحتمله ... وقضيته في أمر زيد بن على

مشهورة ، وفي حمله المال إليه ، وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه ، وكذلك أمره مع مُحَّد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن).

أما الذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي ، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج على بني أمية أيده الإمام أبو حنيفة بماله ، وقد أخرج الموفق بسنده: (كان زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه ، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن الناس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق ، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه ، لأنه إمام حق ، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه ، لكني أعينه بمالي فيتقوى به على من خالفه ، وقال لرسوله : (ابسط عذري عنده ، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم) . ثم قال الموفق (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيام حتى تخلف عنه ، وفي رواية أخرى : سئل عن الجهاد معه ، فقال: **خروجه يضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر** ، فقيل له: فلم تخلفت عنه ؟ قال: لأجل ودائع كانت عندي للناس عرضتها على ابن أبي ليلى ، فما قبلها ، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع ، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإمام الأعظم للموفق المكي (260/1 و261).

وأما قصته مع مُحَّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبد الله ، فإنهما خرجا على المنصور ، وذكر المكي في المناقب (84/2) أن أبا حنيفة كان يحض الناس على إبراهيم ويأمرهم بإتباعه ، وذكر قبل ذلك **أنه**

كان يفضل الغزوة معه على خمسين حجة ، وذكر الكردي في مناقبه (22/2) أن الإمام أبا حنيفة منع الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبد الله ، ويقال: إن المنصور سم أبا حنيفة من أجل هذا ، حتى توفي رحمه الله.

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي ﵁ مع يزيد بن معاوية معروفة ، وخرجت جماعة من المتقين على الحجاج بن يوسف.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النصوص الشرعية وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا الباب – والله أعلم – أن فسق الإمام على قسمين: الأول ما كان مقتصرا على نفسه ، فهذا لا يبيح الخروج عليه ، وعليه يحمل قول من قال : إن الإمام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه. والثاني: ما كان متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر ، و إقامة شعائره ، وتحكيم قوانينه ، واستخفاف أحكام الدين ، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة على ذلك لاستقباحه ، وتفضيل شرع غيرالله عليه. فهذا ما يلحق بالكفر البواح. ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مشايخنا حكيم الأمة **أشرف علي التهانوي** رحمه الله رسالته " جزل الكلام في عزل الإمام " وإنما مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص119 إلى 131).

وإن خلاصة ما ذكره رحمه الله في تلك الرسالة أن الأمور المخلة بالإمامة على سبعة أقسام:

القسم الأول: أن يعزل الإمام نفسه بلا سبب ، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (282/2).

والقسم الثاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة ، كالجنون ، أو العمى ، أو الصمم أو البكم ، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه ، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة ، فينعزل الإمام في هذه الصور جميعا.

والقسم الثالث: **أن يطرأ عليه الكفر ، سواء كان كفر تكذيب وجحود ، أو كفر عناد ومخالفة ، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدين . وفي هذه الصورة ينعزل الإمام ، وينحل عقد الإمامة ، فإن أصر على بقائه إماما ، وجب على المسلمين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه** ، بدليل قوله عليه السلام: (في حديث الباب) : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " وكما يشترط قطعية الكفر ، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيا كرؤية العين ، ولا يكتفى في ذلك بالروايات الظنية ، بدليل قوله عليه

السلام: " إلا أن تروا " المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد.

ثم قد تختلف الآراء في كون الصادر من السلطان كفرا ، أو في دلالته على الكفر ، أو في ثبوته بالقرائن الحالية و المقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه. فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا ، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه.

على أن وجوب الخروج في هذه الصورة مشروط بشرط القدرة ، وبأن لا تحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمام. يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (353/8) :

(وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه ، مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، وانتكاس أمور الدين ، .... وإن أدى خلعه إلى فتنة احتمل أدنى المضرتين).

فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرتين ، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله. فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر. وعلى مثل هذه الأمور الاجتهادية يحمل اختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الخروج على بعض الأئمة في زمنهم.

القسم رابع: أن يرتكب السلطان فسقا مقتصرا على نفسه ، كالزنا ، وشرب الخمر وما إلى ذلك. وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه ، ولكنه يستحق العزل ، فعلى الأمة أن تعزله إلا أن تترتب على العزل فتنة. قال في الدر المختار ، باب الإمامة (يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة) وقال ابن عابدين تحته: (قوله: ويعزل به ، أي بالفسق لو طرأ على ، المراد أنه يستحق العزل كما علمت آنفا ، ولذا لم يقل ينعزل). وقال ابن الهمام في المسايرة: (وإذا قلد عدلا ثم جار وفسق لا ينعزل ، وإن لم يستلزم ، ولكن يستحق العزل ، وإن لم يستلزم فتنة).

وحاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصورة بما فيه سفك الدماء وإثارة الفتنة (...)

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره ، بأن يظلم الناس في أموالهم ، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز** ، مثل أن يحمل الناس الجبايات متأولا فيها بمصالح العامة. وحكمه أنه لا ينعزل به ، وتجب إطاعته ، ولا يجوز به الخروج عليه. كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السادس: أن يظلم الناس أموالهم ، وليس له في ذلك تأويل، ولا شبهة جواز . وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظلم ، ولو بقتال ويجوز الصبر أيضا بل يؤجر عليه ، وأن هذا القتال ليس للخروج عليه ، بل للدفاع عن المال ، فلو أمسك الإمام عن الظلم وجب الإمساك عن القتال. قال ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: (ويجب على كل من أطاق الدفع أن يقاتل مع الإمام إلا إن أبدوا ما يجوز لهم القتال ، كأن ظلمهم ، أو ظلم غيرهم ظلما لا شبهة فيه، ... بخلاف ما إذا كان الحال مشتبها أنه ظلم ، مثل تحميل بعض الجبايات التي للإمام أخذها وإلحاق الضرر بها لدفع ضرر أعم منه).

وهذا حكم المظلوم الذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه. أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضد الإمام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم ، فذكر في فتح القدير أنه يجب على غير الظلوم أن يعين هذا المظلم والمقاتل حتى ينصفه الإمام ويرجع عن جوره ، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للناس معاونة السلطان ولا معاونتهم. ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه ، و إلا فلا . راجع رد المحتار ، باب البغاة (341/3).

وأما كون الصبر أولى في هذه الحالة ، فلما سيأتي عند المصنف من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما أخبر فيه عن أئمة الجور ، وفيه: (قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع)
فالمراد من قوله عليه السلام: (فاسمع وأطع) نهيه عن الخروج .

وأما القتال لدفع الظلم فجوازه مبني على الأحاديث التي تبيح عن القتال عن النفس وعن المال ، وبما أن هذا القتال يشابه الخروج صورة ، فتركه أولى استبراءا للدين.

والقسم السابع: أن يرتكب فسقا متعديا إلى دين الناس ، فيكرههم على المعاصي ، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله ، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما ، وذلك بأن يصر على تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإسلامية ، إما تفضيلا لها على شرع الله ، وذلك كفر صريح ، أو توانيا ، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر على خلاف الشريعة يحدث استخفاف لها في القلوب ، فإن مثل هذا التواني والتكاسل ، وإن لم يكن كفرا صريحا بحيث يكفر به مرتكبه، ولكنه في حكم الكفر. بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حل قتالهم ، لأنه من أعلام الدين ، وفي تركه استخفاف ظاهر به ، راجع باب الأذان من رد المحتار(**384/1**).

وحينئذ يلحق هذا القسم السابع بالقسم الثالث ، وهو الكفر البواح ، فيجوز الخروج على التفصيل الذي سبق في حكمه.

ثم إن وجوب الخروج في القسم الثالث والسابع مشروط بالقدرة والمنعة ، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح فيه شروط تواجد فيه شروط الإمامة ، وأما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر ، أو استلزم ، مثل استيلاء الكفار على المسلمين ، فلا يجوز الخروج في هاتين الصورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما على يزيد بن معاوية ، وتأييد الإمام أبي حنيفة زيد بن علي ، ومُحَمَّد النفس الزكية وإبراهيم بن عبد الله في خروجهم على أئمة زمنهم محمول على القسم الثالث أو السادس أو السابع . وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج ، والله سبحانه وتعالى أعلم.] اهـ.[1]

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الردة وهما:

1- التشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

2- ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وقتال المسلمين معهم وفي سبيل مصالحهم.

---

[1] (تكملة فتح الملهم ج3/ ص 326-331) .

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المسلمين. مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدلة.

من لوازم و مترتبات كفر الحاكم. أصلا أو ردة:

1-سقوط ولايته وبطلان إمامته.

2-وجوب الخروج عليه بالسلاح وخلعه.

3-وجوب قتله لردته. قال ﷺ:**(من بدل دينه فاقتلوه)**. رواه أحمد.

4-وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسلاح.

5-وجوب عدم السمع والطاعة وجباية الأموال له.

6-وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله بأى منصب أو أي شكل.

7-بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه... لأنه لا يمثل المسلمين.

8-وجوب العمل فوراً، على نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدماء والأموال والإعراض وما يترتب على

ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظالمين وسيادة المفسدين والفاسقين. وتسلط الأعداء الخارجين من الكفار والملحدين وتعاون المنافقين معهم. وما يترتب على ذلك من ضياع البلاد والعباد. ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تعالى يقول:﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ (النحل-89).

فهي مسألة رئيسية وإن أهملها أكثر الناس اليوم عامتهم وخاصتهم.

كما يجب لفت النظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم. وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدلة الشرعية إلى كفر الحاكم اليوم. وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم. فإن هؤلاء لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة على كفر الحاكم. فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التشريعية والقضائية والتنفيذية. بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المسلمين وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس!.

وهذا من البلاء الذي عم و طم في أكثر بلاد المسلمين. ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المسلمين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز. فهم لا يخرجون على هؤلاء الحكام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا

يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القتال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفي التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأمة: (الوهن) الذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الذي رواه أبو داوود في سننه : (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت**). لقد أحب الناس الدنيا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله. وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم.. وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا على أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قال تعالى:﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾.

مسألة أحكام الديار. هل هي دار إسلام؟ أم أنها دار كفر؟

تجدر الإشارة إلى أمر خطير يترتب على كفر الحاكم وغياب الحكم بشريعة الله، وهو أمر أجمع عليه أهل الإسلام واتفقت عليه المذاهب الأربعة لأهل السنة. وهو أن البلاد التي يحكمها كافر بغير شرع الله تزول عنها صفة دار الإسلام. وإن كان عموم أهلها مسلمين، والناظر في تصنيف فقهاء الإسلام رحمهم الله يخرج بنتيجة واضحة موجزة، وهي أن حكم الديار، هل هي ديار إسلام أم ديار كفر، هو تبع للأحكام التي تعلوها.

فإن علتها أحكام الإسلام كانت ديار إسلام وإن علتها أحكام الكفر كانت ديار كفر.

بصرف النظر عن دين أهلها، ومما قاله فقهاء الإسلام في ذلك:

- قال الكاساني الحنفي، في بدائع الصنائع ج 9/ص4375 قال:

(إن كل دار مضافة إما إلى الإسلام وإما إلى الكفر. وإنما تضاف الدار إلى الأسلام إذا طبقت فيها أحكامه، وتضاف إلى الكفر إذا طبقت فيها أحكامه).

- وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي:

(كل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار الكفرة) .(المعتمد في أصول الدين ص276).

- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص166:

(قال الجمهور: دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون، وجرت عليها أحكام الإسلام، وما لم تجر عليها أحكام الإسلام لم تكن دار إسلام وإن لاصقها).

فالديار من وجهة نظر الإسلام نوعان، وكل نوع قسمان.

1- ديار إسلام أكثر أهلها مسلمون تحكم بشرع الله.

2- ديار إسلام أكثر أهلها كافرون تحكم بشرع الله.

3- ديار كفر أكثر أهلها مسلمون لا تحكم بشرع الله.

4- ديار كفر أكثر أهلها كافرون لا تحكم بشرع الله.

- فالنوع الأول: كبلاد الإسلام أيام كانت تحت الحكم الشرعي، ومثل ما حصل في أفغانستان تحت حكم الشريعة أيام حكومة طالبان.
- والنوع الثاني: كالبلاد التي افتتحها المسلمون، وحكموها بالإسلام، وبقي أهلها على دينهم الكافر يدفعون الجزية، ويحكم بهم بشرع الله، وهذا ليس له مثال اليوم.
- النوع الثالث: هو كسائر بلاد المسلمين اليوم. أكثر أهلها مسلمون وحكامهم كفرة مرتدون يحكمون بشرع الطواغيت ويوالون أعداء الله.

- النوع الرابع: كعموم بلاد الكفار الأصليين اليوم، بلاد أهلها كفار ويحكمون أنفسهم بشرائع الكفر المختلفة. مثل أوروبا وأمريكا والهند والصين، وغيرها..

رابعا: أحكام الشريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المسلمين مع الكفار وأعانهم على المسلمين،وتوجب قتاله :

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من الناس مقومات تربط بينهم من أهمها. فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم. وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره. ويصدرون عن مشورته. وراية يقاتلون تحتها. وهدف مشترك يسعون لتحقيقه.. فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من الناس أطلق عليهم اسم جماعة. أو اصطلح عليهم شرعا باسم (طائفة). فإن كان لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة). فإن اجتمعت هذه الطائفة على الإسلام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام). وإن التقوا على ناقض من نواقض الإسلام، سموا (طائفة ردة) كما كان حال المرتدين أيام أبي بكر ﵁ . وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر). وإن خرجوا على إمام شرعي مع تمسكهم بالإسلام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية). وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا..

ومن البديهي أن هذه الطائفة تسمى بصفة الغالب عليها. مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم.كأن يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها على الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك...فلا شك أنه يوجد منافقون في طائفة الإسلام ليسوا منهم. وقد حصل هذا في غالب تاريخ المسلمين ولم يسلم منه حتى جيش رسول الله ﷺ. وكذلك قد يوجد في صف المسلمين، المنتفعون والمنتسبون للإسلام لأجل الدنيا..وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره على الوجود معهم. أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم. وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطائفة فيها على طوائف البغاة والمفسدين والمرتدين والكافرين..ووجود هؤلاء الشواذ عن الطائفة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الراية أو الرابطة التي اجتمعت عليها. ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشرعي بسبب هؤلاء الشواذ. وفي حكم الشريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشرعي. فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الولاء والنصرة. وتجاه طوائف الردة والكفر البراءة والمعاداة.وتجاه أهل الشر والفساد الدفع والقتال ضدهم إن صالوا على دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإسلام.. وهكذا..

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطائفة، وحكمها الغالب على من فيها من الشواذ عنها، انتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين

والمرتدين من المنتسبين للإسلام، والذين يقاتلون المسلمين مع طوائف الكفر أو الردة أو سوى ذلك.. خاصة أولئك العاملين في مجال السلطة والدفاع عنها. يقاتلون المسلمين بأوامر الحكام المرتدين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكرية والأمنية كالجيش والدرك والشرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوات المسلحة وشبه المسلحة وما يخدمها من أجهزة تابعة..

فما الحكم الشرعي الواجب اعتقاده في هؤلاء المنتسبين أصلا لملة الإسلام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يؤدي بعضهم بعض شعائر الإسلام، ثم يأتي المسلمين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكام المرتدين. ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتى إلى جانب الكفار الأصليين بأوامر أولئك الحكام الذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدفاع عن مصالحهم و قبول أوامرهم؟

فنقول والله المستعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشرطة، المدافع عن الطاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفار، له إحدى حالات:

أولاً: <u>أن يكون هذا التابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإسلام وموالاة الكافرين والعدوان على شريعة الله،</u>

عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أن يكون هذا التابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإسلام والمسلمين. وهذا له إحدى ثلاث حالات:

1- أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو (**جاهل**).

2- أن يكون مكرها على تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه. فهو (**مكره**).

3- أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (**مرتزق أو متعصب**).

أما من الناحية العملية:

فإن هؤلاء الأصناف الأربعة :

1- العارف القاصد . 2- المكره. 3 - الجاهل . 4- المرتزق بالباطل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمؤمنين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الذين يأمرون بالقسط من الناس... فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أوغيرها.

وخلاصة الحكم الشرعي في هؤلاء نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشرعي إلى مسألتين وهما:

الأول: هل ما زال هؤلاء على حكم الإسلام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإسلام؟

والثاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

فأما الأول: وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإسلام والمسلمين وولائهم للكافرين. فهو مثلهم في الحكم الشرعي. منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده. ولنفس الأدلة السالفة الذكر في حقهم. أما النوع الثاني: وهم الذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها. فهؤلاء يرتكبون بفعلهم هذا، عملا من أعمال الكفر. وهو قتال المسلمين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الردة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي. وهذا ثابت لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ

الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76) ، وهذه الآيات تثبت أن المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان. وأن الكافر يقاتل في سبيل الطاغوت وأن القتال في سبيل الطاغوت علامة انتماء لطائفة الطاغوت. وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب المؤمنين. فقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص: 8). فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان ولجنوده نفس الصفة: (خاطئين). ومعلوم أن خطيئة فرعون هي الكفر بالله وحرب المؤمنين. فهو، أي فرعون، جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لهؤلاء الجنود الذين يقاتلون اليوم: الجاهل/المكره/المقاتل للدنيا عن علم/. فهو مايلي والله تعالى أعلم:

1- **الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه** [هذا على افتراض وجود مثل هذا الجهل]. وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هجرة من مكان إجباره. فهؤلاء قد نص علماء أهل السنة والجماعة، على أن جهلهم وإكراههم (إن

كان حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا و فيبقى لهم حكم الإسلام على ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأنهم معهم. ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

2-**وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق ، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أو أي رابطة عصبية.** وهو يعرف أنه يقاتل المسلمين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفار ويعاونهم. فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد. وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدنيا بالآخرة، وقاتل المسلمين من أجل الدنيا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين. لا عذر له من جهل أو إكراه.

وأما قصد الدنيا والمكاسب فليس من الأعذار الشرعية في فعل الكفر. فهذه الأعذار معروفة عند أهل السنة والجماعة وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله.

ففي أمثال هؤلاء الذين اشتروا الدنيا بالآخرة يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾. البقرة/84-86.

وقد روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: (**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**).

هذا من حيث حكمهم الشرعي النظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإسلام.

وأما المسألة الثانية: وهي حكم قتال هؤلاء المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تعالى أعلم:

كل من قاتل المسلمين مع الكافرين فقتاله واجب على المسلمين، ولا يجب على المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ (البقرة – 190). وقد استدل العلماء بحديث عائشة رضي الله عنها الذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم و آخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله ﷺ بأنه يخسف بأولهم وآخرهم ويحشرون يوم القيامة على نياتهم. وفي رواية أم سلمة رضي الله عنها كما جاء في صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ : (**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**) فقلت: فكيف بمن كان كارها؟ قال رسول الله ﷺ: (**يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**). فاستدل العلماء بهذا الحديث على قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المسلمين بالحرب مع الكافرين، ويبعثه الله على نيته معذورا إن كان له عذر.

فقال العلماء: إذا كان الله–وهو القادر لو شاء على تمييز المكره والجاهل – لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية على وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث على نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كل حال، فالهاجم على المسلمين يريد بهم الأذى، هو في أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العلماء في حكمه الذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة:

نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر. فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز. وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة. فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال:

(إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه وقربناه. وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب في سريرته. ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال أن سريرته حسنة).

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كان مع الكفار. وأنه من (طائفة الردة) إن كان مع المرتدين. وأنه من (طائفة البغاة) إن كان معهم وهكذا. وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المستعان:

إن هؤلاء الذين يزعمون أهم مسلمين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الذين يعملون في جيوش حكام المسلمين أو شرطتهم أو استخباراتهم.. ثم ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كان أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه ، وقد رباهم أسيادهم على ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق. فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حكام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جيوش الكافرين، كما هو حاصل اليوم من جيوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربية والإسلامية، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليهود والنصارى من الأمريكان و الأوروبيين وغيرهم من الكفار، ويحرسون قواعدهم العسكرية. ومراكزهم الدبلوماسية، والتجارية، بل ومراكز تنصير المسلمين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون...ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين..

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخلية، أو في الحروب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلامية أو عربية مع بعضها. فترى هؤلاء الجنود (المسلمين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفي أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإسلام!

وعموم قتالهم هو على سلطان ملوكهم، أو على الصراع على الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان. وليس لاستعلاء حق، أو اندحار باطل. لأنهم تربوا على طاعة الملوك والرؤساء والولاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشرعية الناصعة – والله تعالى أعلم – أن هؤلاء المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم. كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر..

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى على قتلاهم، ولا يدفنون مع المسلمين، مع التنبيه المهم جداً على أننا لا نحكم بالكفر العيني على كل فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد . ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدين، موال لأسيادهم الكفار من أمريكان وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة باطل، ولا يرث مسلما ولا يورثه... إلى آخر أحكام المرتدين.

يقول الشيخ أحمد شاكر محدث الديار المصرية، المتوفى سنة 1958م.في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى على بلاد المسلمين، وحكم من أعانهم من المسلمين والتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قل أو كثر. فهو الردة الجامحة، والكفر الصراح. لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق. سواء أكان ذلك من أفراد، أو حكومات أو زعماء. كلهم في الكفر والردة سواء. إلا من جهل أو أخطأ ثم استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للناس (...) ألا فليعلم كل مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإسلام، مستعبدي المسلمين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين إن فعل شيئا من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه باطل، أو حج فحجه باطل، أو أدى الزكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر. ألا فليعلم كل مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله، من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الردة رضي لنفسه. ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم. ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة. وفي قبولها كما هو

بديهي، معلوم من الدين بالضرورة، لا يخالف فيه أحد من المسلمين. وذلك بأن الله سبحانه يقول :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: 5) **(...) ألا فليعلم كل مسلم كل مسلمة، أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم. من تزوج منهم فزواجه باطل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك. وأن من كان منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة التي تزوج بها حال الردة، ولم تكن المرأة التي ارتد وهي في عقد نكاحه زوجا له، ولا هي في عصمته. وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها. فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح. ألا فليحتط النساء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الردة أن قد بطل نكاحهن،وصرن محرمات على هؤلاء الرجال،ليسوا لهن بأزواج حتى يتوبوا توبة صحيحة عملية،ثم يتزوجوهن زواجا صحيحا.ألا فليعلم النساء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله،أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الردة فإن حكمها وحكمه في الردة سواء. ومعاذ الله أن ترضى النساء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هذا.**

ألا إن الأمر جد (...) فلينظر كل امرئ لنفسه ، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخائنين.] انتهى الشاهد من كلام الإمام المحدث رحمه الله. نقلاً عن كتابه (كلمة الحق – أحمد شاكر).

فهذه الأحكام الشرعية، ذات الصلة بالعقيدة وأصول الدين.من قواعد الحاكمية لله،والولاء و البراء في ذات الله، ليست مسائل فرعية.وإن الأمانة كما كررنا متعلقة في أعناق علماء كل بلد أن يبينوها للناس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السلاطين أو رهبة مما لديهم. ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت ويحسبون أنهم مسلمين.

ويجب الإجابة على أسئلة هامة. وبصدق وصراحة ورجولة. خاصة من قبل كل عالم وقائد وداعية مسلم:

- هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مستعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن نداقع عن أنفسنا ضد مختلف أنواع الكافرين؟
- وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النصارى و قوانين الكفار التي تحكمنا؟
- فإذا كان جواب أحدهم على هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المسلمين من مسائل هذا الكتاب. بل لا يكون مدرجا على قائمة المسلمين.

- وأما إذا كان الجواب كما هو مفترض من كل مسلم بنعم، فإن المسائل السابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكام المواليين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتي على رأس تلك المسائل وفي مقدمتها، ولا شك شرعا وعقلا ومنطقا في ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليوم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا على الأرض بجنودهم إلا قليلا ! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هؤلاء الضلال و الجهال والمكرهين والمرتزقة والمنافقين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدين، كما حصل معنا في أفغانستان ، ويحصل اليوم معنا أيضا في باكستان. وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجيوش العربية والإسلامية تفتح الطريق للأمريكان. وكما تفعل أمريكا اليوم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جيوش دول الخليج العربي، والأردن وباكستان وسواها . وأما على صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشباب المسلم، فيعرف كل عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مجاهد، أن الذي يضرب عليه الباب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السجن؟وهل القاضي الذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السجن؟وهل الذين ينفذون هذه الأحكام؟؟ هل كل من سبق من هؤلاء هم من اليهود

والأمريكان؟؟ أم من الذين يزعمون أنهم مسلمين؟! إنهم من المرتدين والضلال من بني قومنا. فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليهود والأمريكان والصليبيون جذورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعا عن دين الله والمستضعفين. وأمر الله واضح:

* ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ (البقرة – 190).

* ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76/ 75).

ونلفت النظر إلى أننا هنا بصدد معرفة الحكم الشرعي لقتال هؤلاء ، ولسنا بصدد قضايا الرأي والحرب والمكيدة، من قتالهم هجوما أم دفاعا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفار فذلك متروك لقادة الجهاد وأمراء الحرب من المسلمين، بحسب مقتضيات الضرورة والمصلحة.

أعذار الجهل والإكراه والتأويل وعدم قصد الفعل. للمسلم الواقع في عمل من أعمال الكفر. عند أهل السنة والجماعة. هل هي عذر لمن يعاون العدو من جنود المسلمين ! وأعيانهم!؟

لقد فصل علماء أهل السنة والجماعة في مسألة غاية في الأهمية، وهي أن المسلم قد يقع في عمل من أعمال الكفر الناقضة للإيمان، ويكون له عذر مقبول شرعا، يحفظه من الحكم عليه بالكفر والخروج من ملة المسلمين. وكما قلت فلسنا في هذا الكتاب بصدد نقل المطولات الفقهية، ولكني أوجز إجمالا بأن العلماء قد جعلوا هذه الأعذار الشرعية أربعة أقسام، وهي:

1. **الجهل**: وهو جهل فاعل الكفر بأن فعله كفر يخرجه من الملة الإسلامية، وهو عذر شرعا ما لم يكن الجهل في أمر معلوم من الدين بالضرورة.
2. **الإكراه**: وهو أن يقدم المسلم على فعل من أفعال الكفر، وهو يعلم بأنه كفر، ولكن يفعله مجبرا تحت قوة التهديد.
3. **التأويل**: أن يقدم على عمل كفري، متأولا جواز ذلك شرعا لدليل شرعي عنده، يظن أن الشريعة تحتمله. فالتأويل هو ظن غير الدليل دليلا.

4. **عدم قصد الفعل المكفر**: وهو أن يقع منه العمل المكفر من دون قصد ولا معرفة. كمن يطأ المصحف الشريف وهو لا يعرفه ويظن أنه شيء آخر. فهو لم يقصد وطء المصحف.

وللعلماء تفصيلات مهمة، بإمكان المهتم بها العودة إليها في كتب الفقه والعقائد.

ولكن من المهم أن نذكر:

- أن عذر الجهل يزول بالعلم والبيان، فمن كان جاهلا فعلم وبين له فلم يقبل الحق، لم يعد جهله عذرا.
- أن عذر الإكراه (إن كان إكراهه حقيقيا)، يزول بزوال الإكراه، أو بقدرة المكره على الفكاك أو الهروب من الإكراه.
- أن عذر التأويل يزول بقيام الحجة الشرعية على المتأول بفساد دليله، فإن قامت الحجة عليه لم يعد التأويل عذرا له.
- أن عذر عدم القصد يزول بالبيان، فإن عاد الفاعل لفعله المكفر، بعد البيان صار عامدا.

وبالخلاصة:

فإن من ارتكب فعل الكفر ولم يكن عنده عذر شرعي، أو زال عذره، حكم بكفره، ومن المهم جدا أن نعلم أن الحكم بالكفر على معين يكون من قبل كفؤ لديه الأهلية الشرعية على القضاء وتبين

الأحكام، وتفهم الأعذار وزوالها، وأن يكون له قدرة على إقامة الحجة والبينة على المعين المحكوم عليه.

وما يهمنا هنا تحت هذا العنوان هو بحث دعوى العذر بالجهل أو الإكراه من قبل هؤلاء الجنود المنتسبين للإسلام وهم يقاتلون المسلمين مع الكفار والمرتدين وتحت قيادتهم ورايتهم. ولا حاجة لبحث عذر التأويل ولا عدم القصد لأنه لا يخصهم في هذه الحالة.

وننبه على أن بحث عذرهم هو من أجل معرفة الحكم بكفرهم أو عذرهم. وليس من أجل عدم قتالهم، فقتالهم واجب كما بينا الدليل الشرعي بمجرد قصدهم لقتال المسلمين مع الكافرين حتى ولو كانوا مسلمين.

1- بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل:

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يقدم المسلم على فعل الكفر، جاهلا بأنه فعل محرما يترتب عليه الكفر. أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم على قتال المسلمين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسا غير مسلمين، أو مسلمين مستحقين للقتال (بغاة ، مفسدين). بحيث يكون جهله هذا حقيقيا. وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفار ، أو يظن أنهم كفار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضد من يجوز قتالهم شرعا.

فان توفر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي ، فقاتل المسلمين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المسلمين المظلومين الذين يقاتلهم ... فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا . لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفر مثل هذا الجهل اليوم، لهؤلاء الجنود والضباط والشرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمجاهدين، بأوامر هؤلاء المرتدين إلى جانب وبقيادة جيوش اليهود والنصارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات ، والتلفزيونات، و الدشوش ، والصحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المسلمين بالمظاهرات في الشوارع، والخطباء في المساجد ، وحديث الناس في كل مكان عن هذه القضايا! حتى يمكن القول اليوم بأن طبيعة المعركة بين المسلمين والكافرين، وفساد الحكام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائهم وفضائح ابنائهم وأقربائهم ، وحكمهم بغير شريعة الإسلام وولائهم للكفار، ومحاربتهم للمساجد والعلماء والشباب المسلمين المجاهدين...الخ. قد صارت معلومة لكل أحد، في كل بلاد المسلمين ومنها باكستان. فإن كان في هؤلاء الجنود من بلغت به البلاهة أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تعالى أعلم. نقاتله وجوبا أو جوازا ، وقد ينفعه عذره عند الله ، ويبعث على نيته.

2- بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه:

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟:

سنتوقف مع هذا العذر، بشيء من التفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز – لأنه الأهم، ولأنه العذر الشائع. فمعظم هؤلاء الجنود والضباط العاملين في الجيش والشرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع. ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الردة والكفر، بأنهم مكرهون ومجبرون على قتال المسلمين بأوامر أسيادهم المرتدين أو الظالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين . كما حصل في بعض الدول العربية والإسلامية، حيث ساقت أمريكا عبيدها الحكام لقتال المسلمين، فساقوا عبيدهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هؤلاء بالإكراه ؟! فلنر ذلك:

الإكراه شرعا:

هو الإجبار، والمكره هو المجبور على فعل أو قول شيء لا يريده،ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه.

يقول الإمام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، في باب الإكراه، ج12 ص 385: [الإكراه: هو إلزام الغير بما لا يريده. وشروط الإكراه أربعة:

الأول: أن يكون فاعله قادرا على إيقاع ما يهدد به. والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدده به فوريا، فلو قال له: إن لم تفعل كذا ضربتك غدا، لا يعد مكرها. ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبا جدا، أو جرت العادة بأنه لا يخلف.

الرابع: ألا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره. كمن أكره على الزنا فأولج وأمكنه أن ينزع ، ويقول: أنزلت ، فيتمادى حتى ينزل.] ا هـ.

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المكره هو : من أجبر على فعل مالا يريد، بحيث:

أولاً: أنه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنما بالإجبار الحقيقي.

ثانياً: أنه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجز عن دفع الإكراه.

ثالثاً: أنه لا يستطيع التخلص ممن أكرهه بفرار أو بهجرة أو نحوها.

رابعاً: أنه يتيقن وقوع التهديد قريبا وبالتأكيد..

خامساً: أن لا يتمادى بالفعل إن زال عنه الإكراه، لمصلحة أو شهوة.

فهل تنطبق هذه الشروط على هذا الذي يزعم أنه مسلم، ثم يقصد قتال المسلمين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يسأل هذا الجندي أوالشرطي أو رجل الأمن، بضع أسئلة. ليعلم هل هو مكره أم غير مكره، أسئلة تحدد إجاباتها، تبرأته إن كان معذورا في فعلته المكفرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

1. هل دخل هذا الجندي الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أخرى فهناك دول تجند الشباب إجباريا في هذه القوات، وهناك دول يكون دخول هذه القوات اختيارا، بل يحتاج إلى الواسطة والرشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرشوة والنهب والغصب لأموال الناس.

2. هل يستطيع هذا الجندي الاستقالة والانسحاب من عمله هذا، بعد أن رأى ما يكره عليه، أم لا يستطيع؟

3. هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهجرة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟

4. هل هو مهدد فعلا، إن لم ينفذ الأوامر، ومتيقن بوقوع العقاب به أم لا ؟

5. هل يتمادى بالقتل والنهب وهتك الأعراض! تحقيقا لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

- **أمور أخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:**

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشرطة باختياره- وليس عبر التجنيد الإجباري-هل كان يعلم أن عمله يقتضي إكراهه على فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كان يعلم أنه سيكره على تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشرطة والأمن. ثم أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنه أقدم مختارا على ما يعلم أنه سيكره فيه على الكفر أو الظلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العلماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم على الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثم دخل فأكرهوه.. لم يكن الإكراه عذرا له . فهل يعلم من يتطوع في هذه القوات مختارا، أنه سيقدم على هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كان يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا على عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

الأول: من يكره على قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المسلمين:

وإنما يقدم على ما ينتقض الدين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب على النيل من رسول الله ﷺ مجبرا، بعد أن قتلوا أباه وأمه و غطوه في البئر حتى كاد يهلك من التعذيب. فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله ﷺ وأجازه. وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: (إن عادوا فعد). وبين أن العزيمة والصبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان. في حين لم يقبل العلماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه. وهكذا لم يقبل الإمام أحمد بن حنبل عذر العلماء الذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا يقول الله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ ﴾ (النحل: 106) وبحديث عمار رضي الله عنه، قال الإمام أحمد :

(إن عمارا ضربوه وأنتم قيل لكم سنضربكم) ولما احتج يحي بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كان قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر.. رفض الإمام أحمد حجته وقال: (يقول لي أكره ولم يضرب سوطا واحدا). ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عليه السلام لما سلم عليه ابن معين، والإمام أحمد على فراش الموت!! رحمه الله وأكثر في أمتنا من أمثاله! وقد روي: عنه قوله (لا إكراه إلا بالسيف) وعن غيره من العلماء أن الإكراه هو بالتهديد

بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسعودية والأردن ..مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون : نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا . فهذا زعم مردود. فان الله تعالى قال في سورة آل عمران الآية (28): ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾.

قال ابن كثير في تفسيرها : [أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته.

كما قال البخاري عن أبي الدرداء إنه قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم) وقال الثوري:(قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان .] ا هـ.

الثاني: هو المكره على فعل يؤذي به غيره من المسلمين :

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العلماء على أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من

المسلمين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثم يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك ، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العلماء: ليس حفظ نفسه مقدم على إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النية يكون شهيدا إن شاء الله.

فهل يفعل هؤلاء الجند (المكرهون بزعمهم) هذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المسلمين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشرطة فقط؟.

فيقدم على قتل المسلمين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر ﷺ. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء:93). هذا إن قتله في شجار على الدنيا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مجاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!.

فهؤلاء الجنود الذين يظنون أنفسهم مكرهين، يقتلون المسلمين، حتى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أو يناله بعض العذاب. فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قال الله تعالى عنهم:﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا عن الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل الكفر، حفاظا على حظه من الدنيا. وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ* مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل:110/105) .

فهل هؤلاء الجنود في الجيش والشرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الذين يعذبون الناس حتى الموت.. مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هؤلاء المجرمون مكرهون؟! ، أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإسلام، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإسلام؟ ثم أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون الناس ، ويقبضون المكوس على الطرقات ، وفي الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثم انظر في

تسابقهم على الوظيفة في هذه المؤسسات الظالمة النجسة من الشرطة والإستخبارات والقيام على السجون والمعتقلات!!.

نعم.. قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزج به أسياده في قتال المسلمين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المؤمنين. ثم يقول: أنا مجبور مكره!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الردة، بتبديل الشرائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة و البغي والظلم، أو لا.؟؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله في شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هي العليا بل هي نوايا عصبية جاهلية!

فإن كان قد دخل بنية الجهاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العلماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون. وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإسلام!. وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثم وجد نفسه أمام الحال الجديد .. فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد

الدفاع عن المسلمين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه في قتل المسلمين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو على الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القتال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة. وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيِّر و أُجبر على قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا على أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثم يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شرعي، فليس من الإكراه أن يقدم على قتل المسلمين وهتك حرماتهم ثم يقول: إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت على عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها على قتال المسلمين من قبل أسياده المرتدين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين... أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه على فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيدا صابرا مجاهدا وليس أن يتلطخ بدم المسلمين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها.. فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهجرة عن بلده. وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابرا فارا من الفتنة بدينه. والهجرة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض على من وجد نفسه أمام الفتنة في

دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النبوية الشريفة، ونصوص السنة عن قوم مسلمين بقوا في مكة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة. فلما كانت غزوة بدر بين المسلمين ومشركي مكة ، أكرهوا على الخروج مع كفار مكة إجبار أو حياء من قومهم. فقتل بعضهم في المعركة فتأسف المسلمون على قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾. النساء (97-100) .

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاما هامة منها:

1. وجوب الهجرة من ديار الكفر والفرار من فتنها. خاصة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن في دينه.

2. أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين. لم يتقبل عذره لأنه كان عليه أن يهاجر بدل البقاء حتى يكره للخروج لقتال المسلمين مع الكافرين. وأن من قتل منهم كان مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
3. أن الله عذر المستضعفين الذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهجرة، ولا سبيل لديهم إليها. فهؤلاء معذورون بعدم الهجرة، (وليس العذر للقتال مع الكفار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهجرة.
4. ثم بشر القرآن المهاجر في سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق في الدنيا، وأنه إن مات فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

فأين هذه الأحوال، من هؤلاء المنتسبين لهذه الجيوش الظالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المسلمين؟ لا. وحتى لو كان ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهجرة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هي أن أكثرهم يقدم على فعل الكفر هذا بقتال المسلمين مع الكافرين حرصا على ما توفره له الوظيفة في الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيارات الفخمة، والمرتبات العالية المنهوبة من ثروات المسلمين، والمكوس الموضوعة على

ضعفائهم.. ثم يعتذرون بأنهم في الجيش والشرطة للدفاع عن الوطن، وأنهم مكرهون على قتال المسلمين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراه لا شرعا ولا عقلا.. أيقبل عذر واحدهم بالإكراه على قتل مسلم؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجر المجاهد في سبيل الله بقتل هؤلاء دفاعا عن نفسه؟ وهم الذين قصدوه بالعدوان وجاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنما هو حال وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله:﴿**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

وأما حال المكره المعذور شرعا من الذين يقاتلون المسلمين فهو كما يلي:

1. أنه أكره على التجنيد إجباريا في جيش يقاتل المسلمين وليس باختياره.
2. أنه عجز فعلا عن الفرار أو الهجرة.
3. يجب عليه أن يورى في القتال ولا يمد سلاحه لأذى المسلمين بل يعطل سلاحه ولو قتل بيد الكفار أو المسلمين، وهو بهذه النية شهيد.إن شاء الله. فإن كان في جيوش الطواغيت وشرطتهم ممن قاتلوا المسلمين، أو فيمن

فعل فعلتهم، جندي تنطبق عليه مواصفات هذا المكره فهو معذور. وإلا فلا عذر له.

خامسا: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ولو كان مسلما.

قد يصر مكابر، رغم الأدلة الواضحة، بأن هؤلاء الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدين، هم مسلمون، يصلون ويصومون، ويشهدون ألا إله إلا الله، محمدا رسول الله، ولا يكفرون بقتالهم للمسلمين. فلمثل هذا حتى نكون عمليين وحسما لجدل فارغ لا يقوم بالأدلة وإنما بالعواطف والأهواء نقول: هب ذلك،فإن للمسلم الذي يحمل السلاح على المسلمين، بغيا، أو فسادا في الأرض، أحكاما بينها العلماء تحت عنوان **(دفع الصائل المسلم)** . فقد بين العلماء أن كل دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ على الضرورات الخمسة (الدين – النفس – العرض- العقل- المال) ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة مشروعة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل.

والصيال شرعا: كما عرفه العلماء هو الوثوب على الشيء المعصوم بغير حق، والمعصوم هو النفس أو العرض أو المال.

والصائل كما عرفه العلماء: هو كل معتد على ما كان معصوما شرعا سواء كان مسلما عصم بحق الإسلام أو عصمته ذمة المسلمين. فالقتال لدفع هذا المعتدي مشروع شرعا بالدفع عن الحرمات بل يصير واجبا في كثير من الحالات. قال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

أما الصائل على الدين:

فواجب بقوله ﷺ (**من قتل دون دينه فهو شهيد.**). قال ابن تيمية رحمه الله :(**وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لاشيء أوجب بعد الإيمان من دفعه**). الفتاوى الكبرى ج5ص530.

وأما الصائل على العرض:

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كان مسلما. قال النووي: (وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف). وقال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: (قد يسأل سائل : أو يجوز لنا أن نقتل شرطيا يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه (...) إتفق الفقهاء جميعا على أن دفع الصائل عن العرض واجب بالإجماع. فإذا أنت تركت الشرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم

يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند رب العالمين فهنا الظلم. والصلاة والصيام من مثل هذا الشرطي لا تمنع عنه قضية القتل) الجهاد فقه وإجتهاد ج3 ص139.

وأما الصائل على النفس:

فيجب دفعه عند جمهور العلماء. وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كان مسلما وفي الحديث الصحيح : (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) رواه أحمد وأبو داود. وروى عنه ﷺ: (من قتل دون مظلمته فهو شهيد) رواه النسائي.

قال الإمام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن ج1 ص 242 : (**لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله**).

قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام رحمه الله: (وفي هذه الحالة– الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد.

وأما الصائل على المال:

فقد ذهب جمهور علماء المسلمين إلى جوازه واعتبره البعض واجبا. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي. قال ﷺ : (**لا تعطه**) قال أرأيت إن قاتلني، قال

ﷺ: (**فقاتله**) قال: أرأيت إن قتلني. قال ﷺ : (**فأنت شهيد**) قال أرأيت إن قتلته، قال ﷺ: (**هو في النار**). رواه مسلم.

ويقول الإمام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ج28 ص45: [(والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار. ففي الصحيح (من قتل دون ماله فهو شهيد))].

قال الشافعي رحمه الله: (إذا دخل الرجل منزل الرجل ليلا أو نهارا بسلاح فأمره بالخروج فلم يخرج، فله أن يضربه وإن أتى على نفسه ، أي إذا قتل المدفوع) الأم ج6 ص33.

قال ابن تيمية رحمه الله: (السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل). الفتاوى الكبرى ج 28.

هذا مختصر أحكام دفع الصائل المسلم على أحاد المسلمين. فكيف به لو جاء يريد الدين أو النفس أو العرض أو المال.. أو كل ذلك،تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدين.؟!

سادسا:أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين.وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.

خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع. فكان مما قاله: **(أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال:[أليس هذا ذا الحجة]؟ قلنا بلى، قال: [فأي بلد هذا]؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال:[أليس البلدة الحرام]؟ قلنا بلى. قال فأي يوم هذا؟قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال:[أليس يوم النحر؟] قلنا بلى، قال:[فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه] ثم قال: ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ قلنا نعم قال: اللهم اشهد)** متفق عليه.

وقد لخص هذا الحديث الشريف المتفق على صحته لدى عموم المسلمين قاعدة حرمة المسلم. دمه، وماله، وعرضه. حرمة كلية لا يحلها إلا ما جاء في الحديث الصحيح، المجمع على صحته لدى عموم المسلمين أيضا، وهو قوله ﷺ:(**لا يحل دم امرء مسلم، يشهد**

أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) متفق عليه.

وقد عظم الإسلام حرمات المسلمين، ونهى عن العدوان عليهم ، ونهى عن ظلمهم وأنه سيقتص من الظالم في كل كبيرة وصغيرة.

- وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)** رواه البخاري.
- وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه)** متفق عليه.
- وقال ﷺ: (**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه)** رواه الترمذي.
- وعن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : (**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)** رواه مسلم.
- وقال ﷺ : (**اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)** متفق عليه.
- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : **(من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) فقال رجل :وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم :(وإن قضيبا من أراك)** رواه مسلم. والأراك هو: السواك.

وقد شدد الإسلام في حرمة المسلمين ودمائهم وأموالهم وأعراضهم. التي لا تحل إلا بالردة التي تزيل عن صاحبها الإيمان وعند ذلك فلا حرمة له، وهو مهدور الدم مباح المال. وهذا هو الحكم الأصلي لدم الكافر وماله، فقد نص العلماء على أن الأصل في دم الكافر وماله الحل. كما أن الأصل في دم المسلم وماله الحرمة... وكما أن هذه الحرمة تزول عن دم المؤمن وماله بالكفر فإن العلماء نصوا على أن دم الكافر وعرضه حلال، لا يحرم إلا بإحدى حالتين يصبح فيهما معصوم الدم والمال، وهما:

1. **إما الدخول في الإسلام**. وعند ذلك يكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. إذ أنه صار منهم فيحرم ماله ودمه وعرضه، كما نصت على ذلك آيات القرآن وسنة النبي ﷺ.
2. **وإما بالأمان الذي يعطى له من قبل الحاكم الشرعي**. حيث يكون (من أهل الذمة) وتوضع عليه الجزية المنصوص عليها شرعا. إذا كان من المقيمين بين أظهر المسلمين. كأهل الكتاب ومن في حكمهم ممن يعيشون في ديار الإسلام. وإما بالأمان المؤقت الذي يعطى للكفار الذين يعبرون أراضي المسلمين دون أن يقيموا بها، بقصد التجارة أو الإقامة المؤقتة، وعند ذلك يؤدون ضريبة على ما يحملون من تجارة، ويكون لهم أمان مؤقت تعصم فيه دماءهم وأموالهم.

وما عدا حالتي الذمة والأمان فإن الكافر يكون دمه وماله حلال للمسلمين.ومن البديهي القول بأن حق إعطاء الذمة والأمان، لا يكون للحاكم الكافر المبدل للشريعة، الحاكم بغير ما أنزل الله، الموالي لأعداء الله. بل هي من حقوق الحاكم الشرعي إمام المسلمين. إذ أن الحاكم الكافر لا أمان له بنفسه. فهو مهدور الدم والمال، يجب قتاله وقتله،والخروج عليه،ومحاربة طائفته في حال القدرة. أو الهجرة عن دياره في حال العجز عن ذلك. أو التربص به والإعداد لخلعه وقتاله. فكيف يؤمن غيره، وهو غير مؤمن في دين الإسلام والمسلمين. وهذه هي حالة حكام بلاد المسلمين اليوم، فقد فقدوا حقوق الحاكم المسلم لردتهم. ومنها حق إعطاء الذمة والأمان فلا أمان بذلك للكفار الذين يدخلون بلادنا اليوم بأي شكل من الأشكال.

فهم محاربون ينتمون لأمم محاربة تتراوح أهداف وجودهم في بلادنا بين الحرب ومقاصد الحرب، والإفساد والضلال ونشر الرذائل.. وأما الادعاء بأمانهم من قبل حكوماتنا فدعوة ساقطة. لسقوط شرعية حكوماتنا، الغير شرعية أصلا .. وخصوصا من كان تواجدهم لأهداف عسكرية أو أمنية أو سياسية أو تنصيرية. أو أي وجه من وجوه الإفساد في بلاد المسلمين.

فالخلاصة باختصار في أحكام دماء وأموال المسلمين والكافرين في بلادنا اليوم:

1. أن جميع من في بلادنا الإسلامية اليوم من المسلمين ممن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمّدًا رسول الله ﷺ. ولم ينقضوها بمحاربة الإسلام والمسلمين، والمظاهرة عليهم ولم ينقضوه صراحة بناقض معتبر للإسلام، هم معصومو الدم والمال والعرض. بقولهم لا إله إلا الله وحسابهم على الله تعالى. وإن تلبسوا بما تلبسوا به من المعاصي فحسابهم على الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : (**أمرت أن أقاتل الناس،حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها، وحسابه على الله**). رواه البخاري.
2. أن جميع أشكال تواجد الكفار في بلادنا، حلال الدم والمال. لا تعصمهم الأمانات المزورة. والذمة الباطلة التي أعطاهم إياها أولياؤهم من حكامنا المرتدين الذين هم حلال الدم والمال أصلا، كما بينا آنفا.
3. أن الكفار في بلادهم (ديار الحرب) ، حلال المال والدم كما هو معروف، وليس هناك أي إعتبار لما يسمى بالاتفاقات الدولية، لأنها لم تبرم أصلا مع أولياء أمور شرعيين للمسلمين، فضلا عما فيها من البنود الباطلة، التي تعطل الجهاد في سبيل الله، وتعطي الحقوق للكفار المعتدين، بدعوى مكافحة

الإرهاب، بل وتجعل دفاع المسلم عن دينه ونفسه وعرضه وماله، جريمة وإرهابا، وتجعل عدوان الكفار علينا عدلا ونظاما دوليا.

عصمة دم المسلم، وحرمته عند الله:

شدد الإسلام في عصمة دم المسلم، وهدد وتوعد قاتله عمدا باللعنة، وهي الطرد من رحمة الله، وبالخلود في النار والعذاب الأليم. فقد روى البخاري رحمه الله من حديث ابن عمر ﵁، أن رسول الله ﷺ:(**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما**). أي ما يزال لديه الأمل بالمغفرة ما لم يقتل مسلما عامدا متعمدا.. وروى البخاري أيضا عنه أن النبي ﷺ قال : (**من حمل علينا السلاح فليس منا**).

ويكفي في حرمة دم المسلم وسوء مصير قاتله عمدا ما قاله الله تعالى مما يهز القلوب. ويردع كل من كان في قلبه لدين الله حرمة، عن الإقدام على هذا الجرم الشنيع، وهو قوله تعالى في سورة النساء الآية (93): ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾. ومما قاله الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيرها:[وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد. لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله تعالى. في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول تعالى في سورة الفرقان:

﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾ (...) والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا. فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: (**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**) وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود... عن عبادة بن الصامت قال، قال رسول الله ﷺ: (**لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما. فإذا أصاب دما حراما بلح**). وفي حديث آخر: (**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**) وفي الحديث الآخر (**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله تعالى في النار**) وفي الحديث الآخر (**من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله**). وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن لا توبة لقاتل المؤمن عمدا، قال البخاري: حدثنا آدم ...قال (ابن عباس): نزلت هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم**﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء (...) عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قوله ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم** ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم. ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال إلا من ندم (...) عن سالم بن أبي الجعد قال: كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فأتاه رجل فناداه. يا عبد الله ابن عباس، ما ترى في رجل

قتل مؤمنا متعمدا فقال: جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. قال أفرأيت إن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس ثكلته أمه: وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول : (**ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمدا جاء يوم القيامة آخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن. يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول يا رب سل هذا فيما قتلني؟**) وأيم الذي نفس عبد الله بيده، لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها أية حتى قبض نبيكم (...) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: (**يجيء المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة آخذا رأسه بيده الأخرى، فيقول: يا رب سل هذا فيما قتلني؟ قال فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول فإنها لي. قال و يجيئ آخر متعلقا بقاتله. فيقول:رب سل هذا فيما قتلني. قال فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان، قال فإنها ليست له، بؤ بإثمه. قال: فيهوي في النار سبعين خريفا**) رواه النسائي (...) حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا ... سمعت معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: (**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا**).] اهـ.

هذا كله في المسلم يقتل مسلما متعمدا في شجار أو نزاع على شيء من الدنيا أو في غضبة ونزغة شيطان وجاهلية.. وأما ذلك الذي يقتل المسلم لأنه يقول ربي الله، ويقتل المجاهدين في سبيل الله

بأمر رؤسائه المرتدين، أو يقتلهم تحت قيادة الأمريكان أو الكافرين، فذلك شأنه شأن آخر. لأنه تولى الكافرين وقاتل في سبيلهم. فماذا يقول جنود جيوش البلاد الإسلامية و شرطتها ورجال أمنها ، من هؤلاء القتلة، الذين يقتلون المؤمنين، إذا تعلق المقتولون ظلما من المؤمنين بهم يوم القيامة، وأوداجهم تشخب دما، وجأروا إلى الله قائلين لهم (ربي سل هذا فيما قتلني؟) هل سيقولون: قتلناهم لتكون العزة لجورج بوش؟! أم يقولون قتلناهم لتكون العزة لأمريكا، أم لأي طاغوت من طواغيت المسلمين؟.

ألا ثكلتهم أمهم. وقبحهم الله. لو كانوا يدركون، أو يعقلون، في أي واد من وديان الكفر والردة يهيمون. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران 22-21).

قال ابن كثير في تفسيرها: [قال ابن أبي حاتم: (...) عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ: قال: قلت: يا رسول الله. أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال:(رجل قتل نبيا، أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر) ثم قرأ رسول الله ﷺ: "إن الذين يكفرون بآيات الله"].

وكما بينا بأن الأصل في المسلم عصمة الدم والمال لا يحل منه ذلك إلا بخروجه من الملة. وأن الكافر حلال الدم والمال لا يعصم ذلك منه إلا الدخول في ملة الإسلام أو الأمان الذي يعطى إليه من

قبل حاكم شرعي مسلم.. هذا من دون أن يكون الكافر محاربا للمسلمين. فكيف به وهو محارب لهم معتد عليهم؟!.

وكما هو معروف اليوم، فإن الأمريكان والإنجليز وحلفائهم الأوروبيين، من دول الناتو، ومن معهم مثل روسيا، فرنسا ، أسبانيا، البرتغال، بلجيكا، ألمانيا، إيطاليا، كندا، أستراليا،.. هم في حالة حرب معلنة من قبل أمريكا وأسيادها اليهود، على المسلمين. وهم يقتلون شباب الإسلام. ويطاردونهم في كل مكان ويرتكبون المجازر في حقهم، دون تفريق بين مدني ولا عسكري ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة.. كما يحصل اليوم في فلسطين والعراق وأفغانستان.. وحيثما شاءت أمريكا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أشكال عدوانهم قد تعددت أساليبها وأدواتها. فجيوشهم تأتي بشكل سافر برا وبحرا وجوا، ومخابراتهم مثل (CIA)(FBI) الأمريكية، وما يعادلها من مخابرات الدول الغربية، تأتي علنا تارة، وتارة تأتي تحت غطاء المؤسسات التجارية، وتارة تحت غطاء المشاريع السياحية أو الثقافية...، أما مؤسساتهم التنصيرية فمستعلنة حينا، ومتسترة أحيانا. وأما مؤسساتهم المالية الاقتصادية فهي مؤسسات نهب لاقتصاد المسلمين. وأما من جاء منهم للسياحة والنزهة، فهم أقل أشكال العدوان ، نماذج للسفور والرذيلة، لا يحترمون أعراف المسلمين ولا دينهم ولا تقاليدهم ويسعون للفساد ودمار الأخلاق حيثما حلوا.

فكل أشكال التواجد الغربي هو وجود محارب للإسلام والمسلمين. ولذلك فكافة أشكال وجودهم نساء ورجال في بلادنا حلال الدم والمال للمسلمين وهو هدر. وقد أفتى علماء المسلمين بمثل هذا في حق المستعمرين الإنجليز والفرنسيين أيام الإستعمار القديم لبلادنا، كذلك أيام الإحتلال الروسي لأفغانستان ومن ذلك ما قاله الإمام المحدث الشيخ أحمد شاكر أيام احتلال الإنجليز لمصر والسودان وباكستان والهند. قال:

(فإن الواجب أن يعرف المسلمون القواعد الصحيحة في شريعة الله في أحكام القتال وما يتعلق به معرفة واضحة. إن الإنجليز أعلنوها على المسلمين في مصر حربا سافرة غادرة حرب عدوان واستعلاء. وأعلنوها على المسلمين في السودان حرب مقنعة مغلفة بغلاف المصلحة للسودان وأهله، مزوقة بحلية الحكم الذاتي... وقد رأينا ما يصنع الإنجليز في منطقة قناة السويس وما يقاربها من البلاد، من قتل المدنيين الآمنين والغدر بالنساء والأطفال... فأعلنوا بذلك عداءهم صريحا واضحا، لا لبس فيه ولا مجاملة ولا مداورة.

فصارت بذلك دماؤهم وأموالهم حلالا للمسلمين. يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدوا – مدنيين كانوا أو عسكريين – فكلهم عدو، وكلهم محارب (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) وقد نهانا رسول الله ﷺ عن قتل النساء في الحرب وهو نهي معلل بعلة واضحة: أنهن غير

مقاتلات. أما الآن ونسائهم مجندات يحاربن مع الرجال جنبا إلى جنب، وغير المجندات منهن مسترجلات ، يطلقن النار على المسلمين دون زاجر أو رادع فإن قتلهن حلال للدفاع عن النفس والدين والبلد إلا أن تكون امرأة ضعيفة لا تستطيع شيئا. وقد قلنا: (يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدا مدنيين أو عسكريين) ونحن نقصد إلى كل حرف من معنى هذه الجملة فأينما كان المسلم ومن أي جنس كان من الأجناس والأمم، وجب عليه ما يجب علينا في مصر والسودان. حتى المسلمين من الإنجليز في بلادهم إن كانوا مسلمين حقا يجب عليهم ما يجب على المسلمين من غيرهم ما استطاعوا فإن لم يستطيعوا، وجبت عليهم الهجرة من بلاد الأعداء أو من البلاد التي لا يستطيعون فيها حرب العدو بما أمرهم الله. فإن الإسلام جنسية واحدة، وهو يلغى الفوارق الجنسية والقومية بين متبعين.فليسمع هذا وليضعه نصب عينيه كل مسلم في مصر والسودان والهند و الباكستان، وكل بلد يحكمه الإنجليز الأعداء أو يدخل في نطاق نفوذهم من سائر أقطار الأرض. وأما التعاون مع الإنجليز في أي نوع من أنواع التعاون قل أو كثر، فهو الردة الجامعة والكفر الصراح لا يقبل فيه اعتذار. ولا ينفع معه تأول.. سواء أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء كلهم في الكفر والردة سواء.

وأظن كل قارئ لا يشك الآن، أنه من البديهي إن شأن الفرنسيين في هذا المعنى شأن الإنجليز. بالنسبة لكل مسلم على وجه الأرض. فإن

عداء الفرنسيين للمسلمين وعصبيتهم الجامحة في العمل على محو الإسلام أضعاف الإنجليز فهم والإنجليز في الحكم سواء: دمائهم وأموالهم حلال في كل مكان..وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز....) انتهى نقل كلام العلامة أحمد شاكر باختصار طفيف.

ولا شك أن علة الحكم ومناط القياس بين الأمريكان والروس واليهود وكل أعداء المسلمين اليوم مع ما كان عليه عداء الفرنسيين والإنجليز هو واحد، بل إن هؤلاء بالإضافة للإنجليز والفرنسيين صاروا حلفاء علينا فلا شك أن دمائهم وأموالهم نساء ورجالا، حلال هدر في كل مكان وخاصة في بلادنا.

سابعا: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص. والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم:

- **ففي القرآن الكريم:**

شواهد عديدة على وجوب نصرة المسلم نذكر منها قوله تعالى في سورة الأنفال الآية الثانية والسبعين والثالثة والسبعين بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال:72)

قال ابن كثير رحمه الله في معرض تفسيرها في الجزء الثاني ص 516 ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ الآية. يقول تعالى وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم. فإنها واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم في الدين .. وهذا مروي عن ابن عباس إلى أن قال في آخر نفس الآية ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين

فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل ". انتهى كلام ابن كثير رحمه الله.

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن. الجزء الثامن ص 36 : قوله تعالى " وإن استنصروكم في الدين " يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم. فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم. إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته. قال ابن العربي: إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج لاستنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك. أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو و بأيديهم خزائن الأموال. وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد.

وقال الشيخ سيد قطب رحمه الله في الظلال الجزء الثالث ص 1558: [فهؤلاء الأفراد (يقصد المسلمين الذين لم يهاجروا معكم إلى دار الإسلام) ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة. وهذه لا ترتب وحدها على المجتمع المسلم تبعات تجاه هؤلاء الأفراد اللهم إلا أن يعتدي على دينهم

فيفتتنوا مثلاً عن عقيدتهم فإذا استنصروا المسلمين – في دار الإسلام – في مثل هذا كان على المسلمين أن ينصروهم في هذه وحدها ..] أ.هـ .

فأقول والله الموفق : جاء الأمر في نصرة هؤلاء المسلمين في الدين وهم لم يهاجروا ويلتحقوا بالمسلمين مع قيام دولتهم وربما في بعضهم ضعف وعذر وربما فيهم من نزل فيه وعيد شديد بأن مأواهم النار لعدم هجرتهم مع قدرتهم عليها في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء:97) .

فهؤلاء رغم معصيتهم التي تدخل من لا عذر له في النار لم يسقط حقهم كونهم من أهل لا إله إلا الله. وإن استنصروكم في الدين فيجب أن ينصرهم المسلمون. فهم لهم هذا الحق كونهم من أهل لا إله إلا الله. بل إن الله جعل عدم نصرة المسلم تؤدي إلى فتنة في الأرض وفساد كبير. وهذا ما نشهده في أيامنا هذا لقعود المسلمين عن نصرة دينهم ونصرة بعضهم بعضاً وعن نصرة المستضعفين فيهم بدعاوى شتى منها أن دينهم فيه خلل. علماً أن كل آيات وأحاديث حقوق المسلم لم تخصص مسلماً كما الإيمان ، ولم تفرق بينه وبين أي مسلم كما أنه لم يخرج من ملة الإسلام هذا في القرآن.

- **وفي السنة:**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه** ". رواه البخاري في كتاب الأدب فصل تعاون المؤمنين ورواه مسلم في كتاب البر باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**". وهو حديث متفق عليه جاء في أبواب الحديث السابق. ذكر الإمام النووي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث في كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصالحين : المراد بالتراحم : أن يرحم المؤمنون بعضهم بعضاً وأن يمدوا يد العون والمساعدة لبعضهم عند الشدائد والنوازل ". ج(1) ص(246)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** " .. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ". متفق عليه.

وقد ذكر القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري في الجزء الرابع الصفحة 255 معلقاً على هذا الحديث فقال : " (لا

يظلمه) خبر بمعنى النهي لأن ظلم المسلم للمسلم حرام ولا يسلمه أي لا يتركه مع من يؤذيه بل يحميه وزاد الطبراني ولا يسلمه في مصيبة نزلت به. " جزء 4 ص 255 .

وقد شرح هذا الحديث الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم فقال: " وأما لا يخذله فقال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إن أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (إرشاد الساري شرح مسلم على حاشية شرح البخاري جزء 9 ص 457).

نقول وهذا في دفع المظلمة عن المسلم ولو جاءت من مسلم صال عليه ظلماً فكيف إذا جاءت من كافر صائل أو من مرتد أو مسلم ضال استنصر الكفار على أخيه المسلم.

وغني عن القول أن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام في وجوب نصرة المسلم وعدم خذلانه والدفاع عنه لم تخصص مسلمي خير القرون فقط، أو خيار المسلمين من كل زمان بل جاء الأمر في الكتاب والسنة بنصرة المسلم مع علم الله وإخبار رسوله صلى الله عليه وسلم بأن الدين يرق في آخر الزمان وقال عليه الصلاة والسلام : " **لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم** " رواه البخاري. بل مازال دأب الصحابة والتابعين والسلف من بعدهم يشتكون من قلة الدين في الناس وتغير الأحوال إلى الأسوأ، ومع ذلك كان دأبهم النصح للمسلمين، ودفع الأذى عنهم ولاسيما دفع غائلة الصائل على الدين

والأرض والعرض والحرمات ولو كانت قضية النصرة لا تكون إلا لمن هم على دين وحال خير القرون وهي مائة سنة على الأكثر، لما قام جهاد ونصرة ودفع عن المسلمين على مر التاريخ الإسلامي، وهو أكثر من ثلاثة عشر قرناً تلت ذلك. فها هي كتب التاريخ ما زالت تروي فساد حال المسلمين، من انتشار البدع، والبعد عن السنة وفشو المعاصي والخمور والقيان والمظالم إلى غير ذلك ومع ذلك وجدنا كما سنبين كبار السلف والعلماء يدعون وينهضون للغزو مع كل بر وفاجر ويدفعون الصائل عن الإسلام والمسلمين ويفرحون لفرحهم، ويغتمون لكرباتهم، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً لمنهج الخوارج وغيرهم في أهل البدع المارقين.

وإذا كانت كلمة لا إله إلا الله تنجي أقواماً عند الله يأتون في آخر الزمان وهم لا يدركون من معناها شيئاً كما في صحيح الترمذي فيما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لا تكون لهم علينا حقوق ونحن إخوانهم بسبب هذه الكلمة بصرف النظر عما تلبسوا به من النقص الذي لا يخرجهم من ملة أهل لا إله إلا الله. ولك أن تتصور حال من لا يدرك من معنى لا إله إلا الله شيئاً وقد رأينا أمثال هؤلاء في أطراف العالم الإسلامي من بعض سكان بلاد التركستان ووسط آسيا والقفقاس والبوسنة وغيرها. فإذا كان هذا حق المسلم العادي .. فكيف يكون حق من يجاهد ويدفع العدو من أهل الإسلام من بقايا الظاهرين

على الحق في هذا الزمان. والله سبحانه وتعالى يقول: " **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** " ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من قتل دون دينه فهو شهيد " وكلنا سمع بكلام ابن تيمية رحمه الله وفتواه الشهيرة في دفع الصائل وهي قوله " وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط ويدفع بحسبه الإمكان . وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم). ذكرها في الفتاوى الكبرى الجزء الخامس ص530.

وهذا الصائل الذي قصد بلاد المسلمين اليوم كما حصل في العراق مؤخرا وقبلها وكثيرا من بقاع بلاد المسلمين قد قصد الدين والأنفس والأموال والأعراض ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**من قتل دون دمه فهو شهيد . ومن قتل دون عرضه فهو شهيد. ومن قتل دون ماله فهو شهيد**) رواه أصحاب السنن الأربعة. وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام قوله (**من قتل دون مظلمة فهو شهيد**) أخرجه النسائي.

وقد صنف علماء المذاهب الأربعة وأئمة التفسير وشراح السنة أبواباً في دفع الصائل حتى لو كان مسلماً واستشهدوا بهذه النصوص ولهم كلام نفيس لا ننقله هنا بغية الاختصار وكله في الصائل ولو كان

مسلماً فما بالك بهذا المزيج النجس من الصائل اليوم من يهود وروس وأمريكان وروافض وأحلافهم المرتدين والفسقة ..

وربما هناك من يقول نعم هذا في الدفاع عن المسلمين الصالحين ولكن هؤلاء اليوم فيهم وفيهم مما ذكرنا من السلبيات. نعود للقول لهذا الأخ سبق البرهان والإتفاق على أنهم مازالوا عندي وعندك مسلمين. من أهل لا إله إلا الله في كثير منهم بدع وغير ذلك وما ينقص من عدالتهم، وكثير منهم صالح فانظر معي إذن إلى مذهب أهل السنة في القتال مع المسلمين ولو تلبسوا في هذه الأحوال في جهاد الطلب فضلاً عن جهاد الدفع ودفع الصائل الذي لا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان كما قال ابن تيمية ملخصاً إجماع العلماء.

وعند عودتنا للمراجع من كتب التفسير وشروح الحديث والمجموعات الفقهية للمذاهب الأربعة أو للمراجع المعتمدة كفتاوى ابن تيمية والإمام ابن حزم الأندلسي وغيرها. نجد في مختلف أبواب الجهاد أو الجهاد والسير كما ترد أحياناً بل وفي متون العقيدة عند أهل السنة، فصولاً تدور حول الجهاد مع كل بر وفاجر وأحياناً بعنوان الجهاد مع كل أمير، وأحياناً الجهاد مع الأمراء، كلام يدور حول إجماع أهل السنة خلافاً للخوارج والرافضة وغيرهم من فرق الضلال وقد جمعت مما تيسر لي من المراجع هذه نصوصاً وشواهد عديدة. ثم يسر الله أني نظرت في الكتاب النفيس " كتاب العمدة في إعداد العدة " لشيخنا الدكتور عبد

القادر بن عبد العزيز. ذكره الله بخير ونفع به وفك أسره. فوجدته قد لخص ما ورد في معظم هذه المراجع بطريقة موجزة جميلة فاستغنيت بهذا الإيجاز النافع عن إطالة نقل الشواهد ، لأن فيها الزبدة وكفاية فسأورد ما جاء فيها ثم أذكر بعدها بعض ما عثرت عليه مما لم يرد بها في الموضوع ، وإليك أخي الحبيب ما جاء في العمدة جزى الله صاحبه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين وأهل الإعداد والهجرة والجهاد جاء في الصفحة (9-10) :

(ونأخذ من هذا كثيراً من العبر منها أن ساحة الجهاد قد تجمع المنافق والفاجر وفاسد النية وأقواماً لا خلاق لهم. وكل هؤلاء كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ومن العبر أيضاً أن وجود هؤلاء بساحة الجهاد ليس بمبرر للقعود عن الجهاد بحجة أن بالصف مجروحين. فقد قام الجهاد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود هؤلاء، وسيأتي مزيد بيان لهذا وفتوى ابن تيمية فيه). ثم قال: (وإذا كان هذا قد حدث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه. فما بالك بالحال الآن ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم) رواه البخاري.

ثم فصل تفصيلاً نفيساً في الصفحات (58-63) والتي عقد فيها فصلاً بعنوان: " مسألة الغزو مع الأمير الفاجر وأنصح الإخوان أن يراجعوها كاملة ويراجعوا إن أمكن لهم الشواهد التي أتى بها جزاه الله

خيراً في مصادرها فبعضها فيه تفصيل وسأنقل موجزاً ما يلزم هنا لإثبات موضوع الجهاد مع المسلمين وأمراءهم، ولو كانوا غير عدول متلبسين بالبدع والفجور والفسوق و الغلول وغير ذلك من نواقض العدالة طالما أنها لم تخرجهم من ملة الإسلام. كما كان حال معظم المسلمين وأمرائهم في أكثر من 90% من تاريخنا الإسلامي على مر أربعة عشر قرناً.

جاء في هذا الفصل من العمدة : (الفاجر: هو غير العدل. والعدالة هي : استواء أحواله في دينه وقيل من لم يظهر منه ريبة. ويعتبر لها شيئان :

الصلاح في الدين وهو أداء الفرائض برواتبها واجتناب المحرم لا يأتي كبيرة ولا يدمن على صغيرة.

استعمال المروءة : بفعل ما يجمله ويزينه. وترك ما يدنسه ويشينه).

منار السبيل صفحة 487-488.

ثم قال أسفل صفحة 58: ثالثاً : فإن كان الأمير فاجراً. ولم يوجد غيره. أو لم يتيسر العمل مع غيره إما بسبب عدم العلم بوجود الأصلح أو المشقة الشديدة في الالتحاق بالأصلح وبالتالي فإن ترك العمل مع الفاجر يفوت المصلحة الشرعية في التدريب أو الجهاد فالكلام هنا من وجهين : وينبني على سؤال وهو هل فجوره في نفسه أو فيما يتعلق بمصالح الإسلام والمسلمين ؟ .

الوجه الأول : وهو إذا كان فجوره في نفسه . كمن يشر الخمر أو المخدرات أو يغل من الغنيمة أو به فسق أو بدعة (لاحظ جيداً — به فسق أو بدعة –) فهذا يغزى معه. طالما كان فجوره هذا لا يخل بقتاله للعدو ولا يضيع قضية الجهاد. مع الاستمرار في نصحه ووعظه وتعليمه بما يناسب حال مثله (لاحظ : بما يناسب حال مثله) لعل الله يصلح حاله وهذا الذي ذكرته أصل مقرر في اعتقاد أهل السنة والجماعة ومذكور في فقه الجهاد وهذا الوجه الأول هو المقصود بالغزو مع البر والفاجر (...) ودليل ما ذكرنا من الغزو مع الفاجر في نفسه ما يلي:

ما ذكره ابن قدامة الحنبلي قال: (مسألة : قال ويغزى مع كل بر وفاجر. يعني مع كل إمام قال أبو عبد الله (يعني الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله) وسئل عن الرجل يقول. أنا لا أغزو. و يأخذه ولد العباس. إنما يوفر الفيء عليهم. فقال سبحان الله هؤلاء قوم سوء. هؤلاء القعدة مثبطون جهال. فيقال أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزو ؟ أليس كان قد ذهب الإسلام ؟ ماذا كانت تصنع الروم. وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً " و بإسناده عن أنس قال. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من أصل الإيمان): الكف عمن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله إلا أن

يقاتل آخر أمتي الدجال. والإيمان بالأقدار"، ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين، واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: 251) .

هذا عن المغني والشرح الكبير الجزء 10 ص 371 انتهى. وقد وجدته عندي في صفحة 365 .

ثم أضاف صاحب العمدة (فك الله أسره ، ولعن الخونة المجرمين):

قلت: بل قد ذكر ابن تيمية عن أحمد كلاماً أشد من هذا في المفاضلة بين الأمير الفاجر القوي والصالح الضعيف. فقال ابن تيمية: " اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل. ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة. فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها. فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة. قدم أنفعهما لتلك كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً. كما سئل الأمام أحمد عن الرجلين يكونا أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يُغزى ؟ فقال الفاجر القوي. فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين يغزى مع القوي الفاجر. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " وروي بأقوام لا خلاق لهم وإن لم يكن فاجراً كان أولى

بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين إذا لم يسد مسده هذا في مجموع الفتاوى الجزء 28 ص 254 . ثم أضاف صاحب العمدة.

وابن تيمية في فتواه بقتال التتار. ذكر الغزو مع الأمير الفاجر فقال: " **فإن اتفق أن يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية من رضوان الله. وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله. وإن كان فيهم فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه كان الواجب أيضاً قتالهم دفعاً لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما. فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها.**

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم. كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين:

- **إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا .**
- **وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين . وإقامة أكثر شرائع الإسلام . وإن لم يمكن إقامتها جميعا. فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها. بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " الأجر والمغنم . فهذا الحديث**

الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داوود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم " الغزو ماضي منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال. لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل " وما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة " إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة مع جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة .

هذا مع إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه (سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد الحوض. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد الحوض) .

فإذا أحاط المرء علماً بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة. وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسئول عنهم. مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم. إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله. بل يطيعهم في طاعة الله. ولا يطيعهم في معصية الله. إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً. وهي واجبة على كل مكلف وهي متوسطة بين طريقة الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك

الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقاً وإن لم يكونوا أبراراً. ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والله أعلم وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم. مجموع الفتاوى ج 28 ص 506 .

وراجع كلام ابن تيمية رحمه الله في آخر صفحة 212 من الجزء 28 في مجموع الفتاوى.

ثم قال صاحب العمدة : وقال شارح العقيدة الطحاوية قوله : "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم و فاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما ". الشرح : يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض حيث قالوا : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضى من آل مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، وينادي منادٍ من السماء: اتبعوه ! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه. ثم يتابع صاحب العمدة فيقول :

وقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله لهذه المسألة باباً مستقلاً. ولما كانت الأحاديث التي نصت على الغزو مع البر والفاجر لا تخلو من مقال فضلاً عن أن تكون على شروط في الصحة. فقد استنبط رحمه الله هذا الحكم جرياً على عادته في دقة الاستنباط – من حديث الخيل معقود في نواصيها الخير. فقال رحمه الله في كتاب الجهاد من صحيحه. (باب الجهاد ماض حتى مع البر والفاجر).

ثم نقل صاحب العمدة شرح ابن حجر في الشرح إلى أن قال : (لقول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود .. إلخ) سبقه إلى الإستدلال بهذا الإمام أحمد. لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة. وفسره بالأجر والمغنم ، والمغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد ، ولم يعتبر ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً . فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر. وفي الحديث الترغيب في الغزو على الخيل وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة . لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون ، وهو مثل الحديث الآخر " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق " الحديث. (فتح الباري) ج6ص56.

ثم قال صاحب العمدة : قلت :

والأمير الفاجر كما يجب الجهاد معه تجب كذلك الصلاة خلفه وفي هذا قال شارح العقيدة الطحاوية : " اعلم رحمك الله وإيانا ، أنه يجوز للرجل أن يصلى خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً ، ولا أن يمتحنه فيقول : ماذا تعتقد ؟ بل يصلي خلف المستور الحال . ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين ، والإمام في

صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك ، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف ، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء. والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها ، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون (...) إلى أن قال .. وفي الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص فسأل سائل عثمان. إنك إمام عامة وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة ؟ فقال يا بن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس. فإذا أحسنوا فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم إلى قوله :

- "وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة فهذا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم (...) إلى أن قال فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع اخف الضررين بحصول أعظمهما. فان الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان. فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادا من الإقتداء فيها بالإمام الفاجر ، لاسيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجورا.

فلا ينبغي تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع لتلك المفسدة.

شرح الطحاوية طبعة المكتب الإسلامي صفحة 422-423.

ثم ختم صاحب العمدة جزاه الله خيرا ملخصا فقال: (قلت: مما سبق تدرك ان هذه المسألة مبنية على عدد من النصوص والقواعد الشرعية منها :

1. قاعدة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) ومعلوم بداهة انه إذا لم يتيسر إلا هكذا فالعدو الكافر وهو الضرر الأشد يدفع بالأمير المسلم الفاجر وهو الضرر الأخف ، وتصاغ هذه القاعدة أحيانا بلفظ (يختار أهون الشرين). انظر مجموع الفتاوى ج 28 ص 212.
2. حديث (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه. فإذا كانت نيتك صالحة وهي أنك تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، فلا يضرك أن تكون نية الأمير فاسدة ، فلكل نيته وأجره بحسبها ، كأن يكون الأمير يقاتل لنصرة عصبة أو من اجل الرياسة ، أو من اجل المال ونحو ذلك .
3. وقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " المائدة.

فتعاون الأمير الفاجر في الطاعة ، ولا تطيعه ولا تعاونه في المعصية وفعله المعاصي ، كما سبق ليس بمبرر لتركك معاونته على الطاعة بالجهاد معه ، { قلت : وهذا كله في الوجه الأول وهو إذا لم يكن الجهاد مع الأمير الفاجر أما إن كان فجوره يتعدى إلى الأضرار بالإسلام و المسلمين فهو الوجه الثاني }. ثم تابع صاحب العمدة

جزاه الله خيرا مبينا بأنه لا يجوز الجهاد مع من كان فجوره بسبب ضررا للمسلمين أو خيانة للإسلام ، انتهى.

أقول وقد وجدت مثل ذلك في كتاب السير الكبير للإمام مُحَّد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ، وكتابه هذا من أوسع المجموعات الفقهية في أحكام الجهاد جاء في الجزء الأول في باب الجهاد مع الأمراء ، ما يؤيد ما سبق ذكره من الأدلة وقد خلص إلى إثبات نفس مسألة القتال مع الأمراء بررة أو فجرة والجهاد مع كل بر وفاجر ولاسيما في جهاد أهل الضلالة وأهل الشرك وقد جاء هذا في الفقرات (159-160 –161) في الصفحة (156-160) من الجزء الأول ، ولا أنقلها هنا لأن البحث استطال بنا خشية ملل البعض ، ونذكر في ختام أدلة هذه المسألة أن مسألة الجهاد مع كل أمير وجماعة من المسلمين برا كان أو فاجر هي في جهاد الطلب ، وجهاد الدفع سواء كان الجهاد في ذلك فرض كفاية أو فرض عين ولكن نذكر انه في جهاد دفع الصائل اخص وآكد، فقد اجمع فقهاء الأمة والمذاهب الأربعة وعموم أئمة الإسلام وأهل التفسير و الحديث على أن الجهاد يتعين ويصير فرض عين على كل مسلم في مواضع أهمها وآكدها إذا نزل العدو بلدا من بلدان المسلمين فقد توجب دفعه وفرض الجهاد عينا على الحر والعبد و الرجل والمرأة بلا إذن سيد ولا والد ولا صاحب دين ولا زوج وإذا عجز أهل ذلك البلد أو كسلوا أو تهاونوا

وجبت الفريضة على من جاورهم ثم من جاورهم حتى تعم إن لم تحصل كفاية عموم أهل الإسلام الأقرب فالأقرب ، فالجهاد عند ذلك مع المسلمين وأمرائهم عدول وغير عدول ، لدفع ذلك الصائل آكد من جهاد الطلب الذي جاءت فيه أقوال العلماء السابقة ، والله اعلم ..

ونذكر ختاما بعد أدلة هذه المسألة الأولى من النصوص الشرعية للعلماء دليلا تاريخيا يعتبر بما تواتر من مواقف علماء المسلمين ومجاهديهم على مر العصور دليلا شرعيا هو الأخر بل دليلا واقعيا وشرعيا من انصع الأدلة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فكما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله فعلا وقد عاش في القرن السابع فإن كثيرا من الغزو بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه ولو شئنا استخراج القصص والشواهد من كتب التاريخ كالبداية والنهاية وابن الأثير وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون. سواء من كتب التاريخ أو ما تناثر من قصص مواقف العلماء في مغازي المسلمين ونوازلهم في كتب التراجم والسير، لوجدنا مئات الأدلة الناصعة. وسأذكر بعضها على سبيل الذكر وأنصح الإخوة أن يعودوا لتلك الكتب لمطالعتها فالتاريخ هو حياة هذه الأمة وكتاب سيرة سلفها.

فمنذ ذهبت الخلافة الراشدة وجاء ملك بني أمية بدأت البدع ومظاهر الفساد ودخول الدنيا وما تدخله معها من الفساد والمعاصي

والفجور والتنافس والأثرة كما بشر رسول الله ﷺ حتى وجدت بعض التابعين يقول للناس وهم في القرن الأول ، لو قام فيكم أصحاب مُحَمَّد ﷺ لأنكروا منكم كل شيء إلا القبلة. وكانوا يقولون لهم إنكم لتاتون أشياء تعدونها من الصغائر كنا نعدها في زمن النبي عليه الصلاة والسلام من النفاق ، وكثيرا ما تجد على السنة السلف وفي كتبهم مع تتالي القرون الثاني والثالث إلى ما بعده حتى قرأت الشاطبي كلاما يذكر تعريض أحد التابعين بذهاب الدين وفشو البدع فقال قال الإمام أحمد ، فكيف لو كان في زماننا ؟! قال الشاطبي فكيف لو كان أحمد في زماننا؟! رحمهم الله. وانظر في كتاب الشاطبي رحمه الله الاعتصام يتحدث عن البدع وفشوها، وشكوى السلف منها وظهور الفسوق و العصيان و الانحرافات لاسيما في الأمراء و الأسر الحاكمة ومع ذلك انظر في سيرتهم رحمهم الله في الغزو والجهاد ، وسأذكر اختصارا بعضاً مما يحضرني من الذاكرة.

فهاهم السلف غزوا مع الحجاج وما أدراك ما لحجاج وأمثاله من أمراء الجند والحرب في بني أمية. وفي القرن الأول ارتد بربر شمال إفريقيا مرات ولم يجد أهل السنة احدا يدفعون إليه رايتهم ذات مرة إلا قائد معروفا من الخوارج وتساءل بعض الناس فكان شعار علماء شمال أفريقيا من أهل السنة إذ ذاك (نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة)، وما ذلك إلا لدفع تلك الضرورة ثم جاء بنو العباس وقامت

فتنة خلق القرآن ، فلم يكن المأمون ومن تلاه المعتصم ثم الواثق فالمتوكل حتى انتهت الفتنة ومن معهم من الحكومة والحاشية من بني العباس آنذاك مجرد مبتدعة! لقد كانت بدعتهم هي قضية خلق القرآن ولم يكونوا يدعون إليها فحسب بل كانوا يمتحنون العلماء عليها ويعذبونهم ويقتلونهم ، فهل ترك السلف وعلى رأسهم إمام أهل السنة الصلاة وراءهم والقتال معهم ؟! كلا! بل ورد نصه يقول: أن من يقول بذلك قعدة مثبطون جهلة لو فعل كل واحد هذا ماذا يفعل الروم؟! ولأوشك ان يذهب أهل الإسلام.

بل العجب إن اشد مراحل محنة ابن حنبل كانت في عهد المعتصم، فقد ضُرب أحمد رحمه الله بين يديه وعذبه بنفسه ، ولفوه بالحصير وداسوه حتى لما رأى الإمام السياف قال قلت جاء الفرج !

فلما خرج المعتصم لفتح عمورية في القصة المشهورة لاستغاثة المرأة بقولها وامعتصماه ووقف تلك الوقفة الظافرة التي أرخها الشاعر أبو تمام في القصيدة المشهورة التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب.

نقل عن الإمام أحمد التحريض على القتال معهم في جهاد الطلب (انظروا ليس جهاد دفع) فهم الذين قصدوا الروم في عمورية من بلاد الأناضول ، نقل عن الإمام أحمد أنه قال: اللهم أحللته من إثم ضربي لما فتح الله عليه وعلى من معه من المسلمين فتأمل.

ثم قفزة أخرى بعد العباسيين إلى السلاجقة وماذا كان السلاجقة هم من الترك ومن أجداد هؤلاء الأفغان والأوزبك وأهل آسيا الوسطى، جهال بدين الله انتشر فيهم بعض آثار الأديان القديمة والتصوف وكان طابعهم الجهل ، ففتح لهم العلماء المدارس مثل ما كان زمان الإمام أبي حامد الغزالي والإمام الجويني رحمهما الله تعالى. فعلموهم ونصحوهم واحتسبوا عليهم بشدة، وصلّوا خلفهم وغزوا معهم. وانظر في غزوات السلاجقة وملوكهم الصالحين مثل ألب أرسلان وموقعته الشهيرة التي تُبكي من قراءة تاريخها (موقعة ملاذ كرد). وكان السلاجقة من أجهل الأسر التي حكمت بلاد الإسلام وأكثرهم بدعا وتصوفا وجهلا ، ومع ذلك حفظ الله بهم حوزة أهل الإسلام.

ثم قفزة أخرى إلى أيام التتار وقد وقف فيمن وقف في مرحلتها إمامين جليلين من أعظم أئمة الإسلام أولهما ابن تيمية ، حرض الناس على قتالهم وقاتل بنفسه ، ومع من؟ مع المماليك وأمراء المماليك من جيش مصر والشام ، وما المماليك؟ انظر تاريخهم وانظر انتشار الجهل ، والبدع والتصوف وحجهم للقبور وتعظيمهم لقبر البدوي في مصر ، وسوى ذلك من انتشار القتل والظلم وسفك الدماء وظلم أموال الناس والفسوق والقيان والطنابير والخمور في زمانهم ، حتى لقد أنكر بعض الناس حالهم وسألوا الإمام ابن تيمية

عن حكم القتال مع أمراء مصر والشام وفيهم ما فيهم. فقال لا ينكر القتال مع هؤلاء إلا جاهل. فكيف يصنع أهل الإسلام إذا ترك الجهاد معهم؟ بل ذهب في فتاويه إلى اعتبار جند الشام وجند مصر هم الطائفة المنصورة! التي يحفظ بها الله دينه في ذلك الزمان ، ومع ذلك كان كثير الاحتساب على أمراء المماليك وعلمائهم. وقصص أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وسجنه في ذلك مشهورة ، بل هو مات في سجونهم رحمه الله.

وفي دول الطوائف لما قامت دولة الأتابكة في الشام وجنوب تركيا ومن ملوكهم وأمراءهم المجاهدين عماد الدين زنكي وابنه نور الدين الشهير بالملك الصالح فماذا كان حالهم من التصوف وانتشار البدع في ذلك الزمان ؟. والمفاسد مذكورة موجود في كتب التاريخ. وقد أثنى العلماء كلهم عليهم ثناءً عطراً ، وجاهدوا معهم ، ثم جاء من بعدهم الأيوبيون. وقام الملك الصالح صلاح الدين رحمه الله بجهاد الصليبيين وكان كما معظم ملوك عهده شافعياً أشعرياً. ولم ينكر سلفيو ذلك الزمان الجهاد معه ولم ينالوا منه كما ينال منه اليوم و يتنقصه المنتسبون زوراً لمذهب السلف الصالح . ولما مات رحمه الله اقتسم ابناؤه الملك وقاتلوا بعضهم واستنصر بعضهم بالنصارى حتى جاء أخوه الملك العادل وعزلهم وأخذ الملك ، ثم جاء بعده ابنه الصالح اسماعيل فملك الشام، وعمه نجم الدين أيوب فملك مصر ، وتصارعا على الملك

وحالف ملك الشام إسماعيل النصارى وأعطاهم حصون المسلمين وقصته مع سلطان العلماء العز بن عبد السلام مشهورة وليس هنا مكان ذكرها خشية الإطالة ، وخرج من عنده بعد أن أفتى بما يفيد خلعه وعدم شرعيته لذلك السبب. ونزل الشيخ العز بن عبد السلام على نجم الدين في مصر ، فهل كان نجم الدين على حال خير القرون؟ كلا ، كان له فضيلة قتال الصليبيين على ابن أخيه الخائن ملك الشام. فوقف العز بن عبد السلام معه وعظمت منزلة الشيخ عنده ولكن نجم الدين كان جباراً طاغوتاً انتشرت في عهده المظالم والخمور والفسوق ، وكان للشيخ معه مواقف عظيمة من الاحتساب. أما جهاد العدو معهم فكان كما كان حال علماء أهل السنة دائماً. ثم ذهب الأيوبيون وقامت دولة المماليك ، فاحتسب عليهم العز بن عبد السلام حتى بلغ به أن يبيعهم في القصة المشهورة من أجل تحريرهم من الرق، ولكن لما حضر قتال التتار ماذا كان منه رحمه الله؟.. لقد حرض الجيش وندب الناس للقتال معهم وكانت موقعة عين جالوت ، وقصته في تحريض جيش مصر على مواجهة التتار التي آلت إلى موقعة عين جالوت الظافرة مشهورة تحت راية قطز وبيبرس من المماليك. وحال المماليك معروف. حتى يكفينا أنه لم تكد عين جالوت تنجلي عن نصر المسلمين حتى قتل بيبرس أميره قطز ليظفر بملك المماليك ويأخذ اسم نصر المعركة ، ثم غزا بيبرس هذا – قاتل

أميره – غزا التتار والصليبيين. وقصص العلماء في الاحتساب عليه كما قصة الإمام النووي مع بيبرس مشهورة ليس محل ذكرها الآن ..

وذهب المماليك وجاء العثمانيون. وما العثمانيون ؟ لقد طبعهم الجهل والظلم والبطش. ولقد حفظ الله بهم الإسلام ، وفتح على أيديهم عاصمة الروم قسطنطينية كما بشر رسول الله ﷺ فرفعوا فيها الأذان فصارت عقر دار الإسلام وعاصمة الخلافة إلى أيام آبائنا إلى أن زالت خلافتنا منذ سبعين سنة فقط!. فهل ترك أئمة الإسلام الجهاد معهم لأنهم أحناف صوفية؟! هل تركوا جهاد الأعداء معهم طلباً ودفعاً ..؟!

يكفي العثمانيين أن من أحد مفاخرهم أنهم كانوا لا يسمحون لسفن النصارى أن تعبر مضيق باب المندب من اليمن إلى خليج السويس لأنهم سيمرون قرب بحر جدة وهو من الحرم ، فكان البحر الأحمر كله عندهم حرم لا يدخله النصارى! وكانت سفن العثمانيين تتسلم بضائع التجار النصارى عند اليمن وتنقلها لهم إلى خليج السويس وتسلمهم إياها في المتوسط ، ومن آخر ملوكهم السلطان عبد المجيد في القرن السابع عشر ، كان يسمى البحر المتوسط البحيرة العثمانية ، فسأله صحافي إنجليزي إذا كان المتوسط وشاطئه الشمالي كله لأهل الصليب بحيرة عثمانية؟ فما البحر الأسود الذي يحيط به ملك الإسلام وجيوش الخلافة العثمانية فعلاً ؟ ، فقال السلطان

العثماني: البحر الأسود هو مسبح قصري! هكذا كان على أيديهم مجد الإسلام ، وقد جاهد المسلمون معهم وقصصهم مشهورة.

وبقي الأمر كله كذلك حتى زالت دولة الخلافة ، وجاءت جيوش الروم في الموجة الصليبية الثانية في القرن التاسع عشر والعشرين. وعلى رأسهم إنكلترا و فرنسا و دول أوربا وروسيا في وسط آسيا. فمن جاهدهم على مر نصف قرن ومن أخرجهم من مشرق العالم الإسلامي ؟ لقد جاهد علماء الهند و الباكستان من الديوبندية والصوفية والأحناف. جاهدوا الإنجليز 130 سنة وأخرجوهم ، وكذلك فعل الأحناف الصوفية في أفغانستان ، وأوقعوا في الحشد الإنجليزي مذبحة ذات مرة أتت على حملة من عشرة آلاف رجل وقيل ثلاثين ألف رجل، لم ينجو منهم إلا رجل واحداً ! تركوه حتى يقص القصة لملكة بريطانيا ، أما الأحناف الصوفية في وادي فرغانة (في وسط آسيا من بلاد أوزبكستان) فقد أذاقوا الروس الويل ، فقد جاهدهم كذلك الإمام شامل الشافعي الأشعري الصوفي الروس ستين سنة في القفقاس ، وقصته شهيرة تروى رحمه الله .

وأما في بلاد الشام فقد قام المشايخ الصوفية الأشاعرة وعلماء المذهب الحنفي والشافعي فجاهدوا الفرنسيين ثم الإنجليز. وأما في ليبيا فقد قامت ثورات على يد المشايخ المالكية الصوفية الأشعرية ومن أشهرهم عمر المختار رحمه الله، وكذلك شيوخ الطريقة السنوسية

قبله وبعده ، وفي السودان قامت الصوفية بالثورة المهدية التي أخرجت الإنجليز ، وفي الجزائر قامت ثورات كثيرة على يد الصوفية المالكية الأشعرية أشهرها ، ثورة أبو عمامة وثورة عبد القادر الجزائري. وفي تونس مثل ذلك ، فقد قام علماء الزيتونة وهم مالكية أشعرية قاموا على الفرنسيين. وفي المغرب قام عبد الكريم الخطابي وهو مالكي صوفي أشعري بثورة انتهت بإقامة جمهورية إسلامية استمرت حتى عام 1963م وللأسف فربما لا يعرفون الأكثرون هذا ؟! وقد انتصر في معاركه الشهيرة على جيوش خمس دول أوربية مجتمعة ، وأسر في واحدة منها وتسمى معركة أنوال الشهيرة أكثر من عشرة آلاف أسير فيهم مائة جنرال ومارشال من جيوش الأوربيين حتى تدخلت أمريكا وقالوا عاد الإسلام ليفتح أوربا .. وهذا الرجل قد ظلم تاريخه وقد قرأت من العجائب مرة قولاً لماوتسي تونغ (الذي يعتبر من أشهر منظري حرب العصابات) يقول في كتابه (ستة مقالات عسكرية) عن الخطابي: أنه من أعظم أساتذته العسكريين في حرب العصابات !! وهو لم يره ولكنه درس تجاربه. في حين لا يسمع بالخطابي معظم ابنائنا اليوم ، ولكنهم يعرفون غوار الطوشة ونجوم أكاديمي ستار ، وقصة حياة مارادونا ، ومغامرات مادونا وفكاهات فيفي عبده !

وفي إفريقيا السوداء قصص عظيمة لم تصلنا لجهلنا بتاريخنا. وقد دخل الإسلام أفريقيا من ليبيا والجزائر والمغرب والسودان عن طريق

الصوفية الذين قارعوا الاستعمار زماناً ، وهذا هو الحال في دول شرق آسيا وماليزيا، ومن الفلبين حتى إندونيسيا. ثم كان من آخر جهاد المسلمين ما كان في أفغانستان على أيدي الأحناف الصوفية الذين لم يعجبوا كثيرا من إخواننا وعلماء العقيدة السمحاء ! في الجزيرة وغيرها؛ حيث أعجبهم التطبيع مع اليهود واحتلال الأمريكان للحرم وحكم المرتدين!

حتى قال لهم الشاعر يصف المأساة:

وفينـا مـن يقـول لهـم	**عقيـدتكم بهـا خلـل**
معـاذ الله هـذا الإفـك	**ممـا لـيس يحتمـل**
فيـا أحبابنـا الأفغـان	**مـن ضحوا ومـن بـذلوا**
لأنـتم فـي الحيـاة شـذا	**ونحـن الثـوم والبصـل**
ونحن عن الجهاد الحق	**ذاك العـاذل النكـل**

وفي النصف الثاني من القرن العشرين رأى الاستعمار أنه لا جدوى من محاربة أهل هذه الملة ، فجلا عن بلادنا ، وخلف وراءه طوائف المرتدين من الملوك والأمراء والرؤساء والأحزاب العلمانية ، فسيطر علينا منذ الستينات إلى التسعينات ، حتى جاءتنا في سنة 1990م الحملة الصليبية الثالثة بزعامة أمريكا. حيث قال أحد كبارهم: (جئنا لنصلح خطأ الرب أن جعل النفط في بلاد لا تحتاجه ولا تقدره وكان عليه- أي الرب سبحانه- أن يجعله في البلدان الصناعية) تعالى الله عما قال هذا الخنزير علواً كبيراً ..

فانصرف علماؤنا ليملأوا الفضائيات عن حقوق النصارى وغير المسلمين في بلاد الإسلام وقوانين السماحة مع أمثال هذا الخنزير ! وهاهم شباب الإسلام يحملون السلاح وهاهم مقدمتهم المجاهدون الأفغان العرب ومن بقى منهم ممن ينتظر وما بدلوا تبديلاً. وها هي الجماعات المجاهدة العربية وغير العربية تقوم بحمل العبء في أكثر من مكان. ولعل من أخطرها بعض المفاهيم العوجاء التي تسللت إلينا.. ومن أهمها هذه المصيبة التي نحن بصددها .. استنكار البعض كيف نجاهد مع أصحاب بدع ومذاهب وعقائد مجروحة ، وأصحاب تصوف وما أدري ماذا ؟ !

فهل يكفي إخواننا الصالحين هؤلاء غفر الله لنا ولهم ما أوردنا من أدلة عقيدة أهل السنة ؟ وهل يكفيهم ما أوجزنا من تاريخ الإسلام

والمسلمين مع كل بر وفاجر من أمراء المسلمين وعامتهم طلباً ودفعاً ؟ وقواعد دفع الصائل بالممكن لا يشترط له شرط إجماعاً وهو أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله .. أرجو أن يكون فيما سردت كفاية ونفعاً لطالب حق ، وأرجو أن يكون لنا فيه الأجر يوم لا ينفع مال ولا بنون ..

ولو راجع إخواننا هؤلاء ما كتب الشيخ الشهيد إمام المجاهدين الأفغان العرب عبد الله عزام رحمه الله في هذه الأمور من التراث النفيس الذي لم يقدر حق قدره إلى اليوم، لما احتاجوا لهذا التكرار مني، ولكنها الذكرى التي تنفع إن شاء الله إخواننا المؤمنين ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ..

ثامنا– مسألة الديمقراطية و تجارب حركات الصحوة الإسلامية فيها:

كما قلت فيما سبق فإن الصحوة قد آلت منذ العقد الأخير في القرن العشرين لأن تكون في معظمها من حيث العاملين بها وجمهور مؤيديها سياسية. فكما قلت فقد أدى الفتح المدروس لممارسة الإسلاميين للديمقراطية من قبل الحكومات وأسيادها في الغرب إلى تسييس القطاع الأكبر من مدارس الصحوة الغير سياسية. ومع الوقت اندثرت المدرسة الشاذة لظاهرة التكفير أو كادت ولم تجد لها جذورا في الأمة ولا في الصحوة. كما حوصرت ظاهرة الجهاد المسلح وتشرذم التيار الجهادي وأدخلت جماعاته وأفراده في أخدود معاصر. ولم يعد من مجال للتنفيس عن مظاهر الصحوة الجامحة كرد فعل من قبل الشعوب المسلمة على ما يجري من وقائع إلا في مجال الصحوة السلمية عبر ما يتاح من بوابات الديمقراطية رغم أن الحكومات والغرب قد رسموا لها شكلا خاصا عندما رفعوا شعار (ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد العرب والمسلمين).

ونظرا لاتساع ظاهرة الممارسات (الديمقراطية) للإسلاميين يجب أن نلفت النظر هنا في هذا الفصل التقيمي الموجز للصحوة إلى هذه المسألة. أولا من منظور حكمها الشرعي بالشكل الذي مورست به وآلت إليه. وثانيا من منظور ما حققته من نتائج وما دفعت فيه من

ثمن وما آلت إليه من موقع حدده لها النظام العالمي الجديد بكل دقة وسيطرة.

والحقيقة أن هذا موضوع من الأهمية والعظمة بمكان بحيث يجب أن تكتب فيه الكتب الكثيرة وتخصص له الأبحاث المستفيضة. بل وأن تعقد له المنتديات الواسعة على أعلى المستويات ليدعى إليها كبار الثقاة من العلماء والمفكرين الإسلاميين وقيادات الصحوة وأصحاب التجربة والسابقة في هذا الميدان. ليعاد تقييم تجارب عبر نحو ثمانية عقود من المحاولات الديمقراطية للإسلاميين. لتقييم في ضوء أحكام الشريعة وفق نصوص الكتاب والسنة والإجتهادات النزيهة بعيدا عن التعصب للأحزاب والنظر للمصالح الشخصية أو الفئوية وبعيدا عن تأثيرات الحكومات وقوى الإستعمار.ولا شك أن موضوعا بهذه الضخامة ليس محل التفاصيل به هنا وليس لي أن أخراج عن سياق الكتاب والغرض منه. ناهيك عن الحاجة من أجل ذلك إلى كمٍ ضخم من الوثائق والإحصائيات والمعلومات الدقيقة عن تلك التجارب ولا يتيسر لي هذا الآن.

وفي حدود ما تسمح به هذه اللفتة أوجز في نقاط رئيسية مستعينا بالله :

إبتداءً عندما نقول (ديمقراطية). فإننا نستخدم مصطلحا أجنبيا يدل على مفهوم محدد عند أصحابه ومن وصفوه. ونحن ملزمون بهذا

المفهوم. ولا يحق لنا من حيث المنطق والأمانة أن نزعم – كما يفعل بعض الإسلاميين- أن نزعم معنى آخر كقولهم نحن نقصد الشورى. أو نوعا من الديمقراطية وفق الضوابط الشرعية الإسلامية ! لأننا لو نظرنا لحقيقة (الشورى) وفق مفاهيم السياسية الشرعية وحدودها وأهلها وطريقة ممارساتها لوجدناها نظاما آخر لا علاقة له بالديمقراطية بل يتناقض معه في كل المجالات وأما تخصيص معنى إسلامي لها فيخرج عن حدود المنطق لأنه يخرج المصطلح عن مدلوله المعروف علميا كمصطلح قانوني دستوري سياسي له فحواه.

فمن البديهي أن المصطلحات لها مداليل محددة ولا يجوز أن تضاف إلى معنى لا يتحمله المصطلح الأصلي. فعندما نقول (حليب) يفهم السامع الدلالة على مادة معينة ويحتمل أن نخصص منه مالا يخرج عن جنسه كقولنا (حليب دسم) أو (حليب خالص) أو (حليب ممزوج بالماء) .. ولكن لا نستطيع أن نقول (حليب أحمر) أو(حليب غازي) أو (حليب مسكر) ويزيد هذا الضبط عندما يكون للمعنى بعد شرعي محدد..

فعندما نقول (خمر) نستطيع أن نقول (خمر مركز) أو (خفيف) ولكن لا نستطيع أن نقول (خمر طاهر) أو (خمر إسلامي)! لأن الله تعالى قال: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وكذلك ربا فلا يوجد (ربا إسلامي) و (لا ربا

مشروع) و (لا ربا حلال) .. ويمكن أن يوجد (ربا مركب) أو (ربا بسيط) أو (ربا نسيئة)... لأن الله تعالى يقول (وأحل الله البيع وحرم الربا..)

فهل يسع شرعا ومنطقا القبول بما يشاع من مصطلح (الديمقراطية الإسلامية!) أو (إسلاميون ديمقراطيون..)؟! لعل النقاط القادمة تساعدنا على فهم الجواب من خلال البحث في مجالات محددة..

ما هي الديمقراطية عند من اخترعها؟ وكيف تمارسها الحضارة الغربية المعاصرة؟ ما هي الديمقراطية عندنا؟ وكيف تمارسها الحكومات في العالم العربي والإسلامي؟. ما هي أشكال ممارسة الإسلاميين من مدارس الصحوة الإسلامية ومفاهيمهم الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي؟ وما وقائع هذه الممارسات وشروطها ونتائجها؟.

ما هي وجوه التوافق والتناقض بين الديمقراطية وبين النظام الإسلامي القائم على مبدأ الحاكمية لله والشورى بين الحاكم والمحكوم؟.

ما هو الحكم الشرعي لممارسة الإسلاميين للديمقراطية بشكلها المطروح وما مدى جواز ذلك ... هذا ما سنحاول أن نعرض له بإيجاز في النقاط التالية إن شاء الله.

أولا: نشأة الديمقراطية المعاصرة ومفهومها وكيف تمارسها الحضارة الغربية:

كما هو معروف فإن الجذور القديمة للنظام الديمقراطي تعود إلى مئات السنيين قبل الميلاد عندما نشأت في حضارة اليونان ثم ورثها الرومان عنهم. أما الديمقراطية الغربية في العصور الحديثة فتعود إلى تجاربها التي امتزجت بالطبقية إلى بريطانيا حيث طبق نموذج فيها يقوم على سيادة النبلاء منذ القرن الخامس عشر. أما مبادئ الديمقراطية المعاصرة المعمول بها الآن في الغرب فتعود بلورة أفكارها عمليا إلى الثورة الفرنسية وما تلاها من تحولات سياسية واجتماعية أي منذ مطلع القرن الثامن عشر. حيث بدأ فقهاء التشريع والقانون في الغرب يطرحون مبادئ ومفاهيم مثل (سيادة الأمة) و(سيادة الشعب) و (الشعب مصدر السلطات) و (الاقتراع الشعبي العام) و (النظام النيابي) و (الحريات العامة) و(المساواة) و (حقوق الإنسان) ..و (الشرعية الدستورية).. وكانت بداية المسألة منذ أواخر القرون الوسطى حيث استعر الصراع بين البابا (السلطة الدينية) والملك (السلطة الزمنية) أي بين البابا في الفاتيكان ومختلف ملوك أوربا الذين ضاقوا ذرعا بعدوان الكنيسة على سلطاتهم المطلقه ليس من أجل تخفيف ذلك لصالح العدل بالرعية وإنما من أجل استلاب حق الطغيان ليقوم به رجال الدين الذين امتلكوا الإقطاعيات الهائلة

وحازوا الكنوز العظيمة ووضعوا ضرائب مكوس وقرابين على الأحياء والأموات وامتلكوا نواحي البلاد والعباد وباعوهم حتى صكوك الغفران وأقطعوهم أراضي جنات الآخرة بأثمان باهظة! وقد أدى هذا الصراع إلى طرح مفهوم السيادة ولمن تكون أواخر العصور الوسطى. وكتب فقهاء القانون الموالون للملوك النصوص الدستورية الأولى لمفهوم (السيادة) التي جعلوها للذات الملكية وأضفوا عليها من الصفات والحقوق ما عرف بالحق الإلهي المقدس للملوك حيث واجهوا بهذه المفاهيم التي ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا للدفاع عن سيادة الملك ضد المنازعات الخارجية والداخلية التي تعرض لها الملوك من البابوية في الخارج ومن نبلاء الإقطاع في الداخل.

فعرف فقهاء القانون الفرنسيون والأوربيون السيادة بأنها:

(الحق في إصدار الأوامر إلى كل الأفراد المقيمين على أراضي الدولة) وقد عرفها (بودان) بأنها: (سلطة عليا على المواطنين والرعايا لا يحدها القانون) وقالوا : (السيادة إرادة عليا تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من الإرادات). و (وجماع هذه الخصائص هي أنها الإرادة التي تحدد نفسها بنفسها. فصاحب السيادة لا يمكن أن تلزمه أي إرادة أجنبية عنه للتصرف على نحو معين. فهي سلطة مطلقة).

وقد أجمل فقهاء التشريع والقانون خصائص هذه السيادة في ستة خصائص:

[1. **الإطلاق** 2. **السمو** 3. **الوحدانية والتفرد** 4. **الأصالة** 5. **عدم القابلية للتملك** 6. **العصمة من الخطأ**].

وخلاصة هذه المفاهيم كما يلي:

1. **الإطلاق** : فصاحب السيادة سيادته مطلقة. لا يفرض عليه قانون بل القانون هو التعبير عن إرادته وليس لأي إرادة خارجية عنه أن تلزمه بالتصرف على نحو معين لأنه لا توجد إرادة تساويه أو تساميه. إرادته آمرة دائما وليس لأحد قبله حقوق وعلاقته بغيره علاقة السيد بالرعية أو المتبوع بالتابع. وعلى الرعية أو التابع تنفيذ ما يصدر عنه من أوامر ليس بسبب مضمونها أو فحواها ولكن لأنها صادرة عن إرادة هي بطبيعتها أعلى من إرادتهم!.

2. **السمو**: فهي مجالها إرادة تعلو جميع الإرادات وسلطة تعلو كافة السلطات لا توجد فيما تنظمه من علاقات سلطة أعلى منها ولا سلطة مساوية لها.

3. **الوحدانية والتفرد**: فلا يوجد في الإقليم الواحد إلا سيادة واحدة إذ لو وجدت في إقليم واحد سيادتان لفسدت أحوالهما وهذا بدهي (ومن هنا ترسخ مفهوم الدولة القومية في أوربا).

4. **الأصالة**: أي أنها قائمة بذاتها لم تتلق هذا العلو من إرادة سابقة عليها أو إرادة أعلى منها ولكنها نابعة منها أصالة.

5. **عدم القابلية للتملك**: فإذا اغتصبها من ليس أهلا لها وفرض على الناس سلطانه مدة من الزمن طالت أو قصرت فإنه لا يستطيع أن يدعي شرعية سلطته أو سيادته مهما طال الأمر. فغصب السيادة لا يثبت بالحيازة ولا يبرره التقادم.

6. **العصمة من الخطأ**: تعتبر هذه النظرية إرادة صاحب السيادة معادلة للقانون ومطابقة لقواعد الحق والعدل. فينسبون إلى القانون المنبثق عن السيادة العصمة من الخطأ و الفوقية حتى على المنطق والضمير كما قال (باذلي): (**حينما يتكلم القانون يجب أن يصمت الضمير**).

على هذا استقر مفهوم السيادة لدى فقهاء القانون الغربيون الذين اعتمدوا أساسا الفلسفة الفرنسية ومشرعيها.

فكما قامت الثورة الفرنسية وانتشرت مبادئها وكتابات فلاسفتها الأوائل تحولت هذه السيادة بكامل مواصفاتها من الملك إلى الأمة. فصارت السيادة للأمة وصارت الأمة مصدر السلطات. وصارت هي السلطة العليا التي تفردت وحدها بالحق في إنشاء الخطاب الملزم المتعلق بالحكم على الأشياء أو الأفعال. أو هي السلطة العليا المطلقة التي تملك وحدها الحق في إنشاء الخطاب المتعلق بأفعال المواطنين على سبيل التكليف أو الوضع. التكليف بالفعل أو الترك أو التخيير بينهما. فهي التي تملك جعل الفعل واجبا أو محرما أو مباحا وتملك جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا. ثم انبعثت كلمة ديمقراطية وتعني

(حكم الشعب) عن مفهوم سيادة الأمة لتعبر عن فحواها. فالسيادة هي التعبير القانوني والديمقراطية هي التعبير السياسي: وعلى هذا فسيادة الأمة هي التعبير القانوني عن الديمقراطية. وزال المفهوم الذي كان سائدا قبل الثورة الفرنسية بأن ذات الملك تعبر عن الأمة والدولة حتى عبر عن ذلك لويس الرابع عشر عندما قال (أنا الدولة) أو (أنا فرنسا) فصارت السيادة ملكا للأمة وأخذت فكرة سيادة الأمة طريقها للقانون العام الفرنسي ومنه تفرعت لتدخل معظم دساتير العالم.

فجاء في المادة الثالثة من إعلان حقوق الإنسان الصادرة في 26/ أغسطس/1879م النص على أن السيادة للأمة وأن القانون هو تعبير عن إرادة الأمة.

وبعد الثورة الفرنسية صار لهذه النظرية جانبان. سلبي وإيجابي.

أما السلبي: فهو أن الملك لم يعد صاحب الحق بالسيادة. فصارت إرادة الأمة مطلقة ولا تعتمد على إرادات أخرى. وأما الإيجابي: فهو ممارسة الأمة هذه السيادة من خلال ثلاث سلطات هي: الإنتخابات – التشريع – التنفيذ.

1. **الانتخاب**: وهو أولى السلطات. لأن إرادة الأمة وسيادتها تستقر كما تقرر لغة الأدب السياسية بطريقة الاقتراع العام لاختيار السلطة التشريعية.

2. **التشريع**: وهو آكد مظاهر السيادة وأبرز علاماتها. فسلطة التشريع هي مطلقة لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود ولا تلتزم بالتصرف على نحو معين إلا إذا أرادت الجهة صاحبة الحق بالتشريع باسم الأمة ذلك أصالة عن نفسها.

3. **التنفيذ**: وهذه سلطة تتعلق بالحكم والإرادة.

ولما استقرت النظرية على هذا الشكل وجد لها انتقادات عديد من فقهاء القانون والمدافعون عن الحقوق المدنية وأهم ذلك بأنها:

1. تضيق دائرة الحرية.
2. تضيق دائرة الاقتراع العام.

فطورت نظرية سيادة (الأمة) ليعبر عنها (سيادة الشعب) من علاج تلك الانتقادات. فأدى ذلك إلى الأخذ بمبدأ (الاقتراع العام) وهنا حول فقهاء القانون الغربي (الانتخاب) من وظيفة للمواطن إلى (حق له) وثم توسيع قاعدة المشاركة الشعبية. وأتاحت الفرصة للمشاركة المباشرة للحرية السياسية عن طريق الاستفتاء.

فخلاصة تلك المراحل إذن هي على الشكل التالي:

الصراع بين الملوك والكنيسة على السلطة ← ولد نظرية السيادة للملوك والحق الإلهي المقدس لهم بها ← أدى الصراع بين الملوك والشعوب الأوربية نتيجة الاضطهاد إلى رفض السلطتين معا الإلهية (البابا) والزمنية (الملك) ← وأدى هذا إلى إعطاء السيادة للأمة.

ثم تبلور ذلك بفكرة سيادة الشعب الذي صار مصدر السلطات من تشريع وتنفيذ وتحاكم. وهنا ولد الفعل الشنيع للملوك والباباوات فعل أشنع منه وهو ولادة العلمانية التي قامت على رفض الدين والاعتقاد وجحود الإيمان بالله وبناء الحياة وقوانينها بعيدا عن كل ذلك. وهو جوهر العلمانية بالمفهوم الغربي التي نقلت كما نقلت كل المتاهات السابقة إلى المسلمين فيما بعد.

وهكذا إذن **ولد النظام السياسي الديمقراطي الذي قام على أركان أساسية هي:**

1. المساواة بين أفراد المجتمع من حيث الحقوق السياسية كالترشيح والانتخاب بصرف النظر عن الدين والمعتقد أو العرق واللون أو اللغة أو العلم أو الجهل أو الجنس من ذكر أو أنثى أو أي فارق.
2. الحرية الشخصية المطلقة من حيث الاعتقاد والتعبير والنشاط في حدود الدستور والقانون الذي كفل هذه الحريات.
3. ممارسة الأمة لسيادة الشعب من خلال الانتخاب والاحتكام للأغلبية في إقرار التشريعات والقوانين وتشكيل السلطات الثلاثة.
4. مبدأ تداول السلطة بين الكتل السياسية والأحزاب من خلال الاقتراع و سيادة الأغلبية أيضا.

وصارت الصورة السياسية لسيادة الشعب هي ممارسة الدولة للحكم من خلال السلطات الثلاثة وهي:

- **السلطة التشريعية:** وهي الجهة المنتخبة من قبل الأمة والمخولة بوضع الدستور وإصدار التشريعات وسن القوانين في ضوئها. ويمارسها نواب منتخبون من قبل الشعب يمثلون البرلمان أو ما يعادله من الأسماء المصطلح عليها (كمجلس النواب) أو (مجلس الأمة) أو (مجلس الشعب). وهذه السلطة هي التي تملك تعديل الدستور أو إضافات تشريعات إليه. وسن القوانين أو المصادقة على ما يرفع منها من قبل الحكومة لتكون نافذة.
- **السلطة التنفيذية:** وهي الحكومة التي يرأسها رئيس الدولة أو رئيس الوزراء المكلف وتشرف وزاراتها على تسيير شؤون الدولة الإدارية والتنفيذية.
- **السلطة القضائية:** وهي الجهة المخولة بمهمة فض الخصومات والمنازعات القائمة بين مختلف طبقات الشعب أو بين جهات السلطات ذاتها بموجب القوانين والتشريعات التي صدرت باسم الشعب وباسم سيادة الأمة من خلال نواب الأمة أو غالبية نواب الأمة أو عن طريق الاستفتاء العام.

وهكذا تعارف الغرب على هذه الأنظمة التي تعود جميع نظمها لهذه الأصول مع خلافات في تطبيق الديمقراطية من مدرسة لأخرى بحسب البلاد وتوجهاتها وهكذا ارتضى أولئك القوم لأنفسهم هذه المبادئ...

فما ارتأته الأمة من خلال نوابها ومشرعيها حلالا وسويا صار كذلك بعد التصويت عليه من خلال الأغلبية. ولو صعدت أغلبية أخرى مع الوقت فرأت ما كان حلالا سويا لا يصح وأنه عوج وخطأ، صار بموجب الأغلبية ضلالا وعوجا يعاقب عليه القانون...وتتولى السلطة القضائية ومن بعدها التنفيذية إنفاذ هذه الإرادات...

كيف يمارس الغرب فعليا عملية سيادة الأمة وحكم الشعب أو ما يسمونه (الديمقراطية). من الناحية العملية:

كان ما سبق هو خلاصة نظرية سيادة الأمة وفحوى الديمقراطية من ناحية أصولها النظرية. ولكن التطبيق العملي في الواقع للديمقراطية يختلف عن هذه الصورة. في كل مكان طبقت فيه كما يتفاوت من بلد لآخر في الغرب ذاته. أما ديمقراطيات العالم الثالث فمهازل من نوع آخر.

يقوم النظام الديمقراطي في العالم الغربي اليوم عموما على نظام الأحزاب السياسية. حيث توجد في كل بلد تيارات سياسية تنتمي في مجموعها إلى الفلسفات التي سادت أوروبا خلال القرن الماضي من الليبرالية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغير ذلك .. ومع أن الدستور يسمح بتشكيل الأحزاب ويجعل من حق الترشيح حقا شخصيا لكل أحد إلا أن الواقع جعل في كل دولة من تلك الدول

عددا محدودا من الأحزاب لا يتجاوز عددها أصابع الكف تتولى عملية المنافسة على السلطة وتداولها فيما بينها. وغالبا ما يؤول الصراع إلى الحزبين الرئيسيين بحيث لو حاز أحدهما الأغلبية المطلقة بحسب ما حدده (مثلا ثلثي الأعضاء) أو(النصف + 1) تمكن نوابه في البرلمان من تشكيل الحكومة (السلطة التنفيذية) منفردين وتحول الحزب الذي خسر السباق الانتخابي إلى المعارضة التي تتشكل منه أو من باقي الأحزاب الصغيرة أو الأعضاء المستقلين في البرلمان معه. وفي أغالب الأحيان ونتيجة تقارب البرامج والأطروحات البرلمانية وحب الناس للتنوع. غالبا ما يحظى أحد الحزبين بأغلبية بسيطة تظطره للتحالف مع أحزاب صغيرة لتوفير الأغلبية البرلمانية مما يضطره لإعطائها بعض المكاسب في السلطة التنفيذية أو الإدارات المحلية. وهكذا تعاد هذه اللعبة التي تقوم بها النخب السياسية في المجتمعات الغربية بصورة دورية كل أربعة أو خمس سنوات. وتتكرر بصورة متشابهة من دولة لأخرى ففي بريطانيا يتسابق (المحافظون والعمال) وفي فرنسا (الديغوليون الذين يمثلون يمين الوسط) و(الاشتراكيون) و(أحزاب اليسار الشيوعي). و (الجبهة الوطنية الذين يمثلون اليمين المتطرف) وفي أمريكا (الجمهوريون والديمقراطيون) وفي أسبانيا (الاشتراكيون) و (الرأسماليون- حزب الشعب اليميني) وهكذا في باقي الدول كألمانيا وكندا واستراليا... فتبدأ الإنتخابات الأولية على

مستوى البلديات لانتخاب مرشحي الأحزاب. ثم تبدأ الإنتخابات البرلمانية. ثم يشكل الحزب الفائز لوحده أو عن طريق الائتلاف السلطة التنفيذية. في حين تتكون السلطة القضائية من مؤسسة مستقلة يعين كبارها من قبل البرلمان أو رئيس السلطة التنفيذية.وفي بعض البلدان كأمريكا يقترع الناس لاختيار الرئيس في معزل عن البرلمان (الكونغرس) .. ولهم نظام آخر لا يهم بسطه هنا... ولا يؤثر على هذا السياق سواء كان النظام جمهوريا دستوريا رأسيا كما في فرنسا أو ألمانيا أو كان ملكيا دستوريا كما في أسبانيا وبريطانيا وبلجيكا وغيرها... لأن الملك يملك ولا يحكم وهو رمز أمة أكثر منه رجل سلطة حيث يتولى رئيس الوزراء رئاسة السلطة التنفيذية... ولكن المهم الذي نلفت النظر إليه:

- أن عملية الديمقراطية في الغرب عملية نسبية أيضا ومسرحية إلى حد كبير. فالسياسات الحقيقية ترسمها اللوبيات الضاغطة في البرلمان والأحزاب وغالبا ما يسيطر اليهود أو أعضاء المنظمات اليهودية مثل (الماسون) أو أعضاء المنظمات المسيحية المتطرفة كمنظمة (ثلاثي الأضلاع) وغيرها من أجهزة الضغط من كبار رجال السياسة والإعلام ورجال المال وكبار الرأسماليين ومافيات الجريمة في بعض الأحيان الذين يحولون الحملات الانتخابية على السياسات العامة في حين تبقى عملية الإنتخابات عملية ضرورية إلى حد كبير... وتلعب

الرشاوى والأموال التي تمول الحملات الانتخابية دورا عظيما في شراء الذمم والضمائر والتحكم في سير الانتخابات وإبراز المرشحين فالنظام في عمومه رأسمالي يعتمد اقتصاد السوق أو الاقتصاد الحر والمجتمع في عمومه يتبنى الهوية النصرانية على قاعدة شعبية عريضة من الإلحاد. ولم يبق لهم من النصرانية إلا التعصب الديني والخمر والخنزير وشيء من الطقوس والعادات وقد تهمش دور الكنيسة حتى صارت أشبه بمؤسسة اجتماعية أو نادي ثقافي لا أكثر خاصة بالنسبة للشباب. ومن فترة لأخرى تكشف الصحافة عن فضائح الابتزاز والرشاوى لتكشف مدى زيف هذا النظام الذي وصفه أحد كبار ساسته رئيس وزراء بريطانيا المشهور (ونستون تشرشل) عندما قال: (الديمقراطية أفضل الطرق السيئة للحكم)! ولا شك أنه بالمقارنة مع الأنظمة الديكتاتورية والفاشية فإنه يحق له أن يقول ما قال .. ولكن فكرة (سيادة الشعب) وسيادة الأمة فكرة نظرية لأبعد الحدود ... والحقيقة هي سيادة النخب السياسية الرأسمالية المتحكمة بمصائر شعوب حازت قدرا عظيما من حرية العبث والإباحية وتمتعت بحياة استهلاكية مرفهة قياسا بغيرها ... وتركت خطامها لأولئك اللاعبين بمصيرها يضحكون عليها باسم الديمقراطية ...

- أمر هام أيضا طغى في الفترة الأخيرة على السطح وهو تحكم الدول الأكبر بسياسات الدول الأصغر ودعمها للوبيات الداخلية والأحزاب

المؤيدة لسياساتها لتنجح في الإنتخابات والإمساك بزمام السلطة فأمريكا .. زعيمة (الناتو) تتحكم إلى حد كبير في سياسات الدول الغربية وأوربا واستراليا وكندا وقد ازداد هذا الضغط والتأثير جدا في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق .. وتلعب بريطانيا قدرا كبيرا من التأثير داخل العائلة الأوربية لصالح السياسة الأمريكية. كما تمارس الدول الأوربية الكبرى وعلى رأسها فرنسا وألمانيا ضغوطا و تأثيرا على سياسات دول الاتحاد الأوربي وعلى تلك الراغبة باللحاق به. وتتقاطع سياسات دول أوربا الغربية من أعضاء الناتو مع أمريكا في مجالات وتختلف في أخرى لتلقي بظلالها على الدول الأوربية الصغيرة وشعوبها لتترك بصماتها الواضحة في تشويه واقع الديمقراطيات .. والأمثلة على ذلك كثيرة يخرج بنا إيرادها عن الإيجاز المفترض للفترة فعندما تود تلك اللوبيات الداخلية أو الخارجية خلق مناخ معين للإنتخابات تنفق الأموال وتركز أجهزة الإعلام حملاتها في الأيام والساعات الأخيرة على قطاع الجمهور الانتخابي الأكبر في المجتمعات الغربية وهم (اللامنتمون) ذلك القطاع الذي تظهر أكثر عيناته الحيرة أين تضع أصواتها حتى الدقائق الأخيرة. وتكشف وسائل الإعلام والمقابلات التلفزيونية في الشوارع مع الناس في كثير من الأحيان عن الأمية السياسية العظيمة في تلك المجتمعات التي تخدع الجاهل بها. ولقد اطلعت خلال هجرتي وإقامتي في أوربا الغربية لأكثر من أربعة

عشر سنة عشت فيها ثلاث سنوات في فرنسا وثلاث في بريطانيا والباقي أكثره في أسبانيا على نماذج كثيرة وأمثلة حية تبت زيف الدعاوى الديمقراطية في عقر دارها. وكما أسلفت يضيق المجال على إيراد الأمثلة والشواهد هنا.

أما ما يجري في ديمقراطيات العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حديثة العهد بالاستقلال وبالدكتاتوريات فمهازل شبيهة إلى حد كبير بالنماذج الديمقراطية الحاصل بعضها في العالم العربي والإسلامي. مع فارق يجعلها تأتي قبلها في سلم المهزلة حيث لم يشترط الغرب على بعض الشرائح السياسية عدم الوصول إلى السلطة كما في حالة (الإسلاميين) في بلادنا. وإنما ينحصر تأثيره الذي يصل لحد التدخل السافر وممارسة الابتزاز والرشاوى في إيصال صنائع استعمارية له تكفل استمرار نزيف ما يمكن استنزافه من خيرات العالم الثالث لصالح الدول الاستعمارية تحت مسمى الاستقلال والحرية والديمقراطية والاقتصاد الحر.

أما أسفل نماذج الديمقراطية في تلك التي تم استنساخ أجنة مشوهة منها في مراكز دراسات الإستخبارات الغربية وصنائعها الاستعمارية في بلادنا لتطبق على شعوبنا المغلوبة على أمرها كخيار يضحك على عقولها المرهقة بقمع الأنظمة الديكتاتورية والملكيات المستبدة والجمهوريات الوراثية آخر ابتكارات الأنظمة العربية المهترئة.

وقبل أن نعرج على استعراض سريع في التجارب الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي يجدر بنا أن نتوقف مع فقرة مهمة حول مفهوم السيادة والحاكمية في الشريعة الإسلامية وتناقضها التام مع مفهوم الديمقراطية والعلمانية كي يظهر لنا البون الشاسع بين ديننا الحنيف وبين الفكر الديمقراطي بجملته. بالإضافة لظهور مناقضة النموذج العربي والإسلامي للديمقراطية لأصول الديمقراطية ذاتها.

مبدأ السيادة والحاكمية في الدين الإسلامي:

في الحقيقة لا عجب من أن تكافح الشعوب الأوربية وأن يعمل فلاسفتها وفقهاء القانون فيها عقولهم يمينا وشمالا كي يستنبطوا تشريعات تقربهم من الحق والعدل بعد طول معاناتهم من الملكية والبابوية والكنيسة ومن طغاة السياسات المعاصرين ... إلى أن توصلوا إلى ما يعتقدون أنه أفضل الطرق السيئة للحكم كما قال (تشرشل). ولكن العجب في أن يقوم في الأمة المحمدية التي أنعم الله عليها بخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وبآخر الشرائع وأرقاها ووصفها بالكمال والتمام بقوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً ﴾... أن يقوم من ابنائها من يبدل نعمة الله كفرا ويحل قومه دار البوار ويذهب لينكش في زبالات ما تفتقت عنه أذهان

البشر ليبحث عن دساتير وقوانيين ليحكم بها المسلمين الذين جعلهم الله (خير أمة أخرجت للناس) وحدد لهم السيادة ولمن تكون والحاكمية ولمن تكون والربوبية والألوهية ولمن تكون وحق التشريع ولمن يكون ... بل وتفاصيل كل شيء.

أما السيادة المطلقة في دين الإسلام فباختصار وبكل بساطة لله سبحانه وتعالى: (روى البخاري في الأدب المفرد وكذلك أحمد وأبو داوود وغيرهم وصححه غير واحد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: **انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقالوا : أنت سيدنا. قال: السيد الله. قالوا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا قولا. قال: فقال: فقولوا بقولكم ولا يستجرنكم الشيطان**).

قال الحليمي في تفسير (السيد) من أسماء الله الحسنى قال: [السيد: هو المحتاج اليه بالإطلاق. فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي يرجعون إليه وبأمره يعملون وعن رأيه يصدرون. ومن قوله يستهدون. فإذا كانت الملائكة والأنس والجن خلقا للباري جل ثناؤه. لم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا. ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ولا في العوارض المعارضة أثناء البقاء. كان حقا له ثناؤه أن يكون سيدا وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم].

والمفسرون عندما يصلون إلى تفسير اسمه تبارك وتعالى. يفسرون (السيد) ويقولون: (هو السيد الذي يصمد إليه بالنوازل والحوائج.

وهذا ما رجحه القرطبي اعتمادا على اللغويين. وقد ورد في معاني السيد [هو الذي انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد] وقيل [هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد]. وقيل [هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد] وقيل [هو الكامل الذي لاعيب فيه].

قال القاري في شرح هذا الحديث في عون المعبود : [السيد الله: أي الذي يملك نواصي الخلق. أي الذي يتولاهم سبحانه وتعالى. وهذا لا يتنافى مع سيادتهم المجازية] فهو لا ينافي سيادة رسول الله ﷺ سيد ولد آدم. ولكن مع معرفته بذلك ﷺ حدد من هو السيد بإطلاق فقال: [إنما السيد الله]. وهذا موضوع من أخص مواضيع العقيدة عند المسلمين.(اهـ. بتصريف. عن محاضرة: إنما السيد الله. من المنشورات الصوتية لجماعة الجهاد في مصر 1989م)

فإذا عدنا لصفات السيادة التي وضعها فقهاء القانون الغربي كما نجدها في حقيقتها لا تنصرف إلا لله الواحد الأحد السيد الفرد الصمد وفق موازين العقيدة الإسلامية. وصرفها لغيره هو الشرك المحض بالله لا أكثر ولا أقل سواء صرفت للشعب أو للأمة أو لأكثرية البرلمان أو للملوك أو لأي مخلوق من البشر أو سواه من المخلوقين.

ولذلك أقول: هل يحق لمسلم أن يعتقد ما دوّن في صدور دساتير معظم البلاد العربية والإسلامية من قولهم (الشعب مصدر السيادة) و(الأمة مصدر السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية).؟

إن مقتضى دين الله أن من اعتقد أن للشعب أو للأمة أو لنوابهم في برلماناتهم أو لملوكهم ورؤسائهم شيء من السيادة ، بحيث يشرعون على خلاف ما جاء به هدي محمد ﷺ مما شرعه الله تعالى في كتابه وسنة نبيه. فهو كافر مشرك بالله قد خلع ربقة الإسلام من عنقه ولحق بعبدة الأوثان وعبد الطاغوت.

سواء كان ذلك باسم الدستور أو باسم الديمقراطية أو بأي دعوى من الدعوات.. هذا هو خلاصة مفهوم السيادة في الإسلام.

فهي لله. ومن جعلها بمفهومها المطلق لغيره فهو كافر. هكذا بكل صراحة وحسم فالموضوع يمس صلب العقيدة والتوحيد. ولا يسع الإبهام والتمتمة فيه..

وأضيف: وأما الحاكمية في شريعة الله فهي لله وحده. وقد أوردنا في الفصل ما يغني عن الإعادة هنا وخلاصة ذلك (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) ... ومن اعتقد أن للشعب أو للأمة أو نوابهم أو برلماناتهم أو لملوكهم أو رؤسائهم أو قضاتهم أن يحكم في الدماء والأموال والأعراض والمنازعات وفق ما شرع شياطين البشر وأهواء العقول على غير ما أنزل الله تفضيلا لهذا الحكم عما شرع الله أو زهادة بشرع الله أو اعتقادا بعدم صلاحيته للعصر أو منافاته لحقوق الإنسان والحضارة أو اعتقد أنه مخير بالحكم بشرع الله أو بغيره من تشريعات البشر. فهو كافر فاسق ظالم. وقد سبقت الأدلة على ذلك حيث اشرنا. فإذا ما وضح هذا نعود لموضوعنا.

الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي:

وصلت طلائع الغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي مع طلائع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون إلى مصر مطلع القرن التاسع عشر وانتشرت المطابع وبدأت بذور التأثر بالمذاهب الفكرية الغربية تنتشر في أوساط بعض المثقفين في العالم العربي. كما ساهمت دول الاستعمار الاخرى ولاسيما بريطانيا في نشر تلك الأفكار حيث ذهبت لاستعمار المسلمين ووسط صدمة الانبهار بالحضارة الغربية في أوساط العرب والمسلمين حتى لدى بعض المنتسبين لرجال الدين في ذلك العصر ... لاقت هذه الأفكار شيئا من الرواج. كما تصدى لها بعض علماء الدين والمصلحين في ذلك الوقت .. ولكن مع انهيار الخلافة العثمانية وتقاسم الدول الأوربية ولاسيما بريطانيا وفرنسا لإرثها المكون من بلاد العالم العربي والإسلامي كما مر معنا حكمت الدول الاستعمارية بلاد المسلمين بدساتيرها وتشريعاتها. ومع انصرام فترة الاحتلال. كان الغرب قد ربى أجيالا من المستعمرين فكريا ونفسيا ممن درسوا في بلاده أو فيما أقام من الجامعات وما زرعه من الأفكار في بلادنا. فتولت حكومات الاستقلال من بعده استبعاد الحكم بالشريعة الإسلامية لتبني دساتيرها على أسس التشريعات الأوربية والقانون الفرنسي أو البريطاني. ووجدت مفاهيم السيادة والديمقراطية وما انبثق عنها من مفاهيم سيادة الأمة وسلطة الشعب والسلطات

الثلاثة .. الخ طريقها إلى دساتير بلاد المسلمين وقوانينهم. وأقصيت الشريعة الإسلامية ليحل محلها شرائع الرومان المعاصرين وما زال الحال على ذلك كما مر في الفصل الأول بشيء من التفصيل حيث لم يبق في بلاد المسلمين من آثار الشريعة إلا نتفا من بعض قوانين الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والمواريث مع تشويه وإلغاء ما زال يعتريها مع الزمن إلى يومنا هذا ... وقد أخذت دول قليلة أخرى كالسعودية والسودان واليمن مثلا بنصيب أكبر من الشريعة الإسلامية إلا أن كثيرا من التشريع الوضعي وجد طريقها لكثير من القوانين واللوائح والتنظيمات بحيث يمكن القول بكل بساطة ووضوح أنه لم يعد اليوم على وجه هذه البسيطة دولة واحدة تحكم بشرع الله كما أمر الله على الإطلاق.

وهذه هي الحقيقة مهما بدت قاسية لبعض من يجهلها أو يريد للناس أن يجهلوها وهذا ثابت يسهل إقامة الدليل عليه من خلال مراجعة بسيطة للموسوعة الدستورية العربية مثلا التي تضم نسخة عدد دساتير البلاد العربية أو مراجعة أي من دساتير الدول الإسلامية الاخرى. هذا من حيث التشريع والتقنين وقواعد الحكم نظريا.

أما من حيث التطبيق فكما في الغرب يخالف واقع الحال ما دونه في الدساتير والقوانين ولكن بما يتناسب مع حجم التخلف وسيطرة الدكتاتوريات البشرية .. ففي سائر البلاد العربية والإسلامية نصت

الدساتير على خلاف الأصل من فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. حيث أعطت تلك التشريعات الملوك والرؤساء والأمراء الحاكمين وهم رأس السلطة التنفيذية نصيبا من السلطة التشريعية إن بشكل صريح كما في الأنظمة الملكية والأميرية من مثل ما جاء في دستور المغرب (للملك حق إصدار القوانين) أو الأردن (تناط السلطة التشريعية بمجلس الأمة والملك). أو البحرين: (لا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلس الوطني ووافق عليه الأمير). أو بشكل مبطن كما في الجمهوريات الديكتاتورية كمصر وسوريا وتونس والجزائر وليبيا وما شابه حيث نصت الدساتير على أن الرئيس هو رأس السلطة التنفيذية ويشارك أو يشرف على السلطة التشريعية كما جاء في المادة 74 من الدستور المصري على سبيل المثال (لرئيس الجمهورية إذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري أن يتخذ الاجراآت السريعة لمواجهة هذا الخطر ويوجه بيانا للشعب ويجري استفتاء على ما اتخذه من إجراآت خلال60 يوما من اتخاذه...)

كما أن الدساتير نصت في معظم البلاد العربية والإسلامية على حق الرئيس أو الملك في حل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية والنيابية. وإعادة فتحها بالشكل والوقت الذي يحلو له. هذا ناهيك عن الانقلابات العسكرية التي تعلق الدساتير وتخضع كثيرا من بلاد العرب

والمسلمين لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية كما في سوريا حيث لا زال يعمل بقانون الطوارئ والأحكام العرفية منذ أكثر من أربعين عاما وكذلك في مصر ما زال إلى الآن ومنذ 25 سنة !!

أما حق الرؤساء والملوك في التشريع فيما بين دورات البرلمان أو حق الاقتراح أو التعديل أو رد التشريعات التي شرعتها السلطة التشريعية وإحالتها إلى البرلمان ليصوت عليها من جديد...

ومهازل حكام العرب والمسلمين أكثر من أن يأتي عليها حصر ولو أفردت لها المجلدات فمما يحضرني من الأمثلة السريعة، تعديل الدستور السوري لتخفيض العمر الأدنى للرئيس من (40) سنة كما هو في الدستور – منذ أنشأوه – إلى عمر بشار الأسد عندما أراد أبوه أن يستخلفه وهو (36) سنة حيث استغرق تصويت البرلمان السوري على هذا التعديل نصف ساعة حيث أقروه بالإجماع وكانت (أولبرايت) في دمشق تنتظر النتيجة وترتب الأمور حيث صرحت بعد هلاك حافظ الأسد وتثبيت السلطة لبشار وقمع معارضيه حتى من الطامعين بالعرش من النصيرية فقالت للصحفيين وهي تغادر: (إن أمريكا راضية عن انتقال السلطة في سوريا). وكذلك تعديل الدستور الأردني حول مواصفات ولي العهد لتناسب الملك عبد الله الحالي عندما استخلفه أبوه وهو على فراش الموت وأقصى أخاه الأمير الحسن ولي العهد التاريخي للأردن بأمر من أمريكا أيضا.

أما إذا جئنا لنستقصي المؤسسات الأمنية وهي الحاكم الفعلي في البلاد العربية والإسلامية وهياكلها وسلطاتها الثلاثة :

(السلطة التعذيبية ، والسلطة الإعدامية ، وسلطة المقابر الجماعية) والمؤسسات التابعة لها كأجهزة مكافحة الشعب وقمع المظاهرات ، ومؤسسات الاعتقال ، ناهيك عن سيطرتها على الوزارات المستقلة عنها كوزارة تحريف شرع الله والشؤون الدينية ووزارة الإعلام والطبل والزمر للرؤساء والملوك ... فلذلك قصص مشوقة أخرى في التطبيق العملي للتصور الدستوري والعلماني لمفهوم سيادة الشعب المقهور وسيادة الأمة المقموعة وديمقراطية (الكرباج)! وأظن أن أخبار الأحوال انتشارها ،حتى عبر وسائل الإعلام اليوم يغني عن الأمثلة المضحكة المبكية التي تفطر الأكباد في تلك البلاد.

بقي أن نشير إلى أن أغلب المعارضات السياسية في الأنظمة الحاكمة في العالم العربي والإسلامي هي ديمقراطية في منهجها وعلمانية في معتقداتها ونزيهة في تصوراتها وفق مفاهيم الغرب ، ولكن إلى أن يحصل لها استلام السلطة لتعود إلى الأصل وهو تكرار النموذج لتتولى السلطات البائدة أو المعارضات الجديدة دور المطالبة بالنزاهة المقبلة. وأما التطبيق العملي للديمقراطية ونظام الانتخابات في البلاد العربية والإسلامية أصحاب 99.99 % في كافة الاستفتاءات على الدساتير والتشريعات ومشاريع الوحدة ومشاريع الولاية الثانية والثالثة

ومشاريع استخلاف الابناء وولايات العهد في الجمهوريات الملكية كما في سوريا وبوادر ذلك في مصر واليمن وليبيا... فمظاهر لا تحتاج لنقاش .. وقد شهدت بنفسي بعض الانتخابات البلدية والبرلمانية في سوريا والأردن وباكستان ورأيت بعيني كيف يشحن الرجال في السيارات من القرى والأحياء الفقيرة في المدن يحمل كل واحد منهم بطاقته الشخصية وبطاقة بعض نسائه اللواتي يحق لهن الانتخاب .. ويشحنون إلى المراكز الانتخابية عبر وسطاء وسماسرة يدفعون نيابة عن المرشحين والأحزاب التي نظمت هذه المظاهر الديمقراطية! ثمن الصوت ما يعادل (10 سنت) أي (0.1) دولار أمريكي. وكأسا من الشاي! وقد يتكرم بعض المراكز فينحر الخراف وتقدم مناسف الرز واللحم في مواسم انتخابية لو رآها فقهاء القانون في الثورة الفرنسية لطالبوا بعودة الحق الإلهي المقدس للملوك، ولعاودوا البحث عن شراء صكوك الغفران الكنسية لتكفير خطاياهم في التنظير للديمقراطية.

هذا ناهيك عن الإشتباكات المسلحة والاغتيالات وحوادث العنف التي ترافق الروح الديمقراطية في عالمنا العربي والإسلامي فضلا عن الطعونات وفضائح التزوير والغش .. لأمة حصل لها ما حصل للغراب الذي أراد أن يقلد مشية البلبل فلم ينجح فلما أراد أن يعود

لمشيته نسيها ... فصار يعرج وينط لا هو غراب ولا يشبه البلابل فصار مضحكة للطيور... (ومن يهن الله فما له من مكرم).

وبعد هذه النبذة عن الديمقراطية عند أهلها وعندنا ولسنا من أهلها – والحق يقال – نأتي إلى موضوعنا وهو:

مفهوم الديمقراطية عند (الإسلاميين الديمقراطيين) وتجارب الصحوة في ممارسة الديمقراطية ومسارها خلال الربع قرن الأخير:

من المفيد بحث هذه الظاهرة من زاويتين:

1. من حيث الفكر والمنهج والمعتقد في الديمقراطية.
2. من حيث التطبيق والتجارب.

أولا: الفكر والمنهج والمعتقد الديمقراطي عند الإسلاميين الديمقراطيين:

من خلال اهتمامي بهذه الظاهرة ودخولي معترك التصدي لها عبر الكتابة والمحاضرة منذ مطلع التسعينيات وإلى اليوم. حيث الزمني ذلك بمتابعة تجاربها وكتابات أصحابها من الإسلاميين أستطيع التمييز بين عدة أنواع من الديمقراطيين الإسلاميين وبصرف النظر عن أسماء الجماعات والأشخاص وهو أسلوب اعتمدته ما أمكن في هذا الكتاب على غير عادتي من أجل الغاية الأساسية لهذا البحث وهي حشد الصفوف من أجل مشروع المقاومة وجدت أن أنواع الديمقراطيين الإسلاميين على الشكل التالي:

1. إسلاميون ديمقراطيون يعتقدون – بحسب تصريحاتهم وكتاباتهم– أن الديمقراطية لا تناقض الإسلام. وذهب أحد أقطاب هذه المدرسة للقول (الديمقراطية بضاعتنا ردت إلينا). وذهب آخر للقول (الديمقراطية هي الشورى الملزمة). واقترح ثالث (النحناح – الجزائري) الذي أفضى إلى ما قدم من قريب أن يدعو الإسلاميون منهجهم بـ (الشورقراطية) ! . وقد عبر (الغنوشي) أحد منظري هذه المدرسة في كلمة له أثناء جلسة عشاء جمعتني به شخصيا في (مدريد) بقوله (نحن ارتضينا بالديمقراطية والصناديق حكما بيننا كإسلاميين وبين خصومنا من الأحزاب العلمانية في تونس. فإذا الشعب اختارنا حكمنا بالإسلام. وسمحنا للكفر بأن تكون له أحزابه وصحفه لأن الإسلام لا يخشى عليه من الحرية. وإذا الشعب اختار الأحزاب العلمانية ، رضينا بحكم الكفر لأن الله تعالى قال: (لا إكراه في الدين).! وسهرتنا تلك مسجلة على كاسيت ! .. وكتابه (الحريات السياسية في الإسلام) أشد صراحة من هذا. وله مقالات كثيرة في هذا المضمار.

وقد انتشر هذا المذهب في أكثر بلدان العالم الإسلامي ولاسيما في السودان وشمال أفريقيا وفي أوساط الصحوة الإسلامية في المهجر في أوربا وأمريكا والعالم الغربي عبر المراكز الإسلامية والصحافة الإسلامية المهاجرة.

2. إسلاميون ديمقراطيون يطرحون تصورا إسلاميا للديمقراطية ويقولون نأخذ منها ونمارس ما لا يتعارض مع أصول السياسة الشرعية وينهجون منهجا توفيقيا ترقيعيا لإنتاج نظريات(ديمقراطية – إسلامية) في آن واحد. وأنه يمكن الخروج بما أسموه (فقه برلماني) يشكل نظرية لديمقراطية إسلامية بضوابط معينة. تجعلهم بحسب تصورهم في حل مما تحمله النظرية السياسية والدستورية للديمقراطية الغربية من إلحاد وشرك وكفر أكبر. ولا يرون بأسا من الانتماء للسلطة التشريعية عبر الديمقراطية كمعارضة بحيث لا يوافقون إلا على ما تجيزه الشريعة (كما هو رأي بعض البرلمانيين الإسلاميين في الأردن). وهناك ن هؤلاء من لا يرى بأسا من تسلم الوزارات في السلطة التنفيذية على ما يزعمون من دليل في مذهب يوسف عليه السلام ووزارته لدى الفرعون !!.(كما في الأردن والكويت و الباكستان وتركيا وكثير من البلاد غيرها) !

3. النوع الثالث يصرحون بأن الديمقراطية بمفهومها الأساسي تناقض الإسلام وأنه ليس هناك إشكالية شرعية في ممارسة المعارضة في (البرلمان). ولا يجيزون لأنفسهم أن ينتقلوا بالشوط لآخره بدخول السلطة التنفيذية ، لأن ذلك سيدخلهم في دائرة الحكم بغير ما انزل الله بحسب القوانين المعول بها في عموم بلاد المسلمين ! ويعتقدون أن الشريعة الإسلامية تسمح بمزاولة الديمقراطية في حدود المعارضة ونيابة

البرلمان ! بحيث يوافقون على ما وافق الشريعة ولا يجيزون ما لا يوافقها وأنهم لا ينتقلون إلى ممارسة السلطة إلا إذا كانوا أغلبية وتمكنوا من الحكم بالشريعة . وأنهم في البرلمان لإقامة الحجة وإيصال صوت الحق، وتحقيق بعض المصالح الشرعية للمسلمين. وهذا النوع قلة اليوم في الصحوة.

4. الفريق الرابع يصرح صراحة بأن الديمقراطية كفر بالله وأن مبادئها تقوم على الشرك به والإلحاد في ألوهيته سبحانه. وأنهم يمارسونها في حدود حالات الاستضعاف التي تمر بها الصحوة. وأنهم لا يدخلون البرلمان إلا كأكثرية حيث سيتولون أول أعمالهم تشكيل حكومة تحكم بالشريعة. وإلغاء العمل بالديمقراطية بمفهومها الغربي. ولعل أوضح وأصرح هذا النموذج جبهة الإنقاذ في الجزائر لاسيما من خلال تصريحات شيخها علي بلحاج فرج الله عنه وأحسن خلاصة . وهذا النوع من الديمقراطية اقل الأنواع انحرافا وأندرها وجودا.

5. هناك نوع أخير لا يطمح بالوصول للسلطة ولا أمل له فيها بحكم ظروف بلاده ويعتبر المشاركة النيابية نوع من إيصال صوت الحق للناس عبر هذا المنبر. ويعتبر السلطات خارجة عن الشريعة وأن الديمقراطية مفهوم غير إسلامي. وأنه معهم في البرلمان هناك لتحقيق ما يمكن من المصالح للمسلمين وأن ليس بالإمكان أكثر مما كان في مثل حالة الاستضعاف هذه.

والجدير بالذكر أن مواقف (الإسلاميين الديمقراطيين) تتنوع تجاه مفهوم السيادة والحاكمية والمبادئ والمصطلحات الدستورية والمواقف من كفر الحاكم وإسلامه وكذلك الحكم على النظام ومؤسساته وهناك الكثير من الضبابية والتلون والباطنية والمواقف الإعلامية والكلام في الجلسات الخاصة. والتذبذب في المواقف من المسألة بين حوار وآخر وتصريح وآخر بحسب الأجواء والظروف أو الشجاعة الشخصية... الخ ولكن هناك واقعا يجدر ذكره وهو أن جميع الإسلاميين الديمقراطيين بلا استثناء وهم يدخلون في هذا المجال يقرون إما اعتقادا أو موافقة للحال بجملة من الأشياء ويلزمهم بذلك النظام الدستوري النيابي وقوانين الانتخابات ومن ذلك :

1. <u>الاعتراف بشرعية النظام وشرعية الحاكم سواء كان رئيسا أو ملكا أو أميرا.</u>
2. <u>الاعتراف بالدستور المعمول به في البلاد والقسم بالشرف والمعتقد على صيانته واحترامه والعمل به.</u>
3. <u>الاعتراف بالمبادئ الأساسية للدولة والنظام القائم و أسس تكوينه بحسب حالته.</u>
4. <u>الاعتراف بمبدأ المساواة في الحقوق السياسية من حيث حق الترشيح والانتخاب والتصويت داخل المجلس بصرف النظر عن الدين أو الجنس أو المعتقد أو أي اعتبار آخر.</u>

5. الاعتراف بمبدأ تداول السلطة وحق الجميع في المنافسة والتمثيل النيابي.
6. الاعتراف بمبدأ الالتزام بقرارات الأغلبية ونفاذها دستوريا وقانونيا بصرف النظر عن الموقف الخاص أثناء التصويت منها واعتبارها نافذة في الأمة بمجرد صدورها بالأغلبية.
7. الاعتراف والتوقيع على قانون الإنتخابات المعمول به بحسب كل حالة والتي تفصل فيها السلطات دائما القوانين بحيث تكون النتائج كما تشتهي.
8. الاحتكام للدستور والمحاكم الرسمية والقوانين المعمول بها حال المنازعات في أي إشكال بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية أو داخل مكونات أي من تلك السلطات.مع العلم المسبق بحق الرئيس أو الملك بحل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية من اجلها كما في معظم الحالات. وهناك شروط أخرى يلزم بها المشاركون في العملية الانتخابية في بعض الحالات الخاصة ببعض البلدان كمنع تشكيل الأحزاب على أساس ديني مثلا كما في معظم البلاد العربية والإسلامية كالحالة في مصر. وكالاعتراف بعلمانية الدولة أساسا وبنية كما في تركيا مثلا وكالاعتراف بواقع الاحتلال المباشر كما في حالات مثل فلسطين والعراق اليوم.

ثانيا: الحصاد العملي لتجارب الإسلاميين الديمقراطيين عبر مسار الصحوة:

ليس للتجارب البرلمانية الديمقراطية للإسلاميين ما قبل الربع قرن الأخير أهمية كبيرة. فهي محدودة في بعض البلدان فقط حيث مارس الإسلاميون بعيد الإستقلال نشاطا ديمقراطيا في حكومات الإستقلال الوليدة ولمدة وجيزة ولم تكن الأمور قد تبلورت بعد. ولم تكن الدساتير قد وضعت بتفصيلاتها. ولم تكن تجارب الحكومات الوليدة قد نضجت بعد لحصار الإسلاميين وتكبيلهم بقوانين انتخابات معقدة لشل حركتهم.

ولعل أهم ما في هذا الملف هو مشاركة الإخوان المسلمين وبعض العلماء والإسلاميين في الإنتخابات والمجالس النيابية في كل من مصر وسوريا و الباكستان أو آخر الأربعينيات. وخلال الخمسينيات من القرن الماضي. إذ ما لبثت الانقلابات العسكرية في هذه البلاد أن عصفت بالتجربة وطوت صفحة الديمقراطية التي لم تعد إلا عندما قرر الغرب حصار المد الجهادي أو ما سماه (الإسلام المتطرف) بالمد الإسلامي الديمقراطي أو ما سماه (بالإسلام المعتدل) منذ أواسط الثمانينيات وخلال التسعينيات.

حيث قامت تجارب تستأهل العبرة منها ومن دراستها للحكم على العملية واقعيا بعد معرفة حكمها الشرعي. لنخرج بعبرة مفادها

بأن الحكم من منظوره الشرعي ومنظور الواقع التجريبي لممارسة الإسلاميين للديمقراطية يفيدان نفس النتيجة. وهي تأكيد لقاعدة أن مقتضى صريح العقل لا يتعارض مع مقتضى صريح النقل. وسبحان العليم القدير الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ولعل من التجارب المهمة خلال هذه الفترة في العالم العربي تجربة الإخوان المسلمين في مصر ، والتي افتتحت المسار تقريبا منذ أواخر عهد السادات أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات. ثم تجربة الحركة الإسلامية القومية في السودان بالتحالف مع نميري أواسط الثمانينيات. ثم تجربة الإخوان المسلمين في الأردن أواخر الثمانينيات. وكذلك تجربة الإتجاه الإسلامي في تونس الذي تحول إلى حزب النهضة في نفس الفترة. ثم تجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ أواخر الثمانينيات ومطلع التسعينيات. وتجربة بعض الدول الخليجية ولاسيما الكويت مطلع التسعينيات. وتجربة الإخوان المسلمين في اليمن مطلع التسعينيات. بالإضافة للتجارب الهامة للجماعة الإسلامية والإسلاميين وجماعات العلماء في باكستان منذ الاستقلال (1947م) وإلى اليوم. وكذلك التجربة الهامة لحزب السلامة بزعامة أربكان في تركيا منذ مطلع الستينات وإلى اليوم. ولا أملك في ظروفي الحالية الوثائق والأرقام والتواريخ والوقائع الخاصة بكل تجربة من تلك التجارب وقد كنت قد جمعت منها شيئا كثيرا. ولا مجال للتفصيل في

هذا البحث بطبيعة الحال. واكتفي بذكر عموميات ما عرفته عن تلك التجارب التي تفيد جميعها مؤدى واحد من النتائج كما سنذكره إن شاء الله. ونبتدأ بالتجارب الأقل أهمية لنختم بأهمها وأوضحها دلالة وهيا. التجربتان الجزائرية والتركية. كأفضل نموذجين على الديمقراطية وتطبيق الإسلاميين لها في العالم العربي والإسلامي فهما تمثلان سقف ما وصل إليه وحلم به الإسلاميون عبر هذا المسار.

- **من تجربة الإخوان المسلمين في مصر منذ عهد السادات:**

دخل الإخوان المسلمون البرلمان على عهد السادات. وكان أقصى ما حصلوا عليه 8 مقاعد ضمن 52 مقعد للمعارضة فيما كانت بقية مقاعد البرلمان البالغة أكثر من 460 مقعدا الحزب السادات الحاكم. ولم يتجاوزا حجم الأقلية المسحوقة ضمن أقلية معارضه غير فاعلة. وفي عهد مبارك حظر دخولهم بصفة مستقلة على أنهم حزب ديني فدخلوا من خلال التحالف مع الأحزاب العلمانية وحمل هويتها مرة مع حزب الوفد ومرة مع حزب العمل. وخرج فريق من شباب الإخوان فشكل حزب (الوسط) على أنه حزب غير ديني و أدخل فيه بعض النصارى والنساء !!. وتابعت الدولة العنت ووضع الخطوط الحمراء وتنقل الإخوان بين البرلمان والمعتقلات وما زالوا كذلك إلى يومنا هذا . وتابعوا التنازلات والرضوخ حتى رشحوا امرأة من الإخوان

على قوائم تحالفاتهم في الإسكندرية مؤخرا ،.. وزداوا في تصريحاتهم انحرافا ولم يفد ذلك شيئا. ورغم أن الإخوان التزموا بكل الاعترافات المطلوبة من النظام إلى الدستور إلى قوانين الانتخابات التي فرضتها الحكومة .. ولكن دون أي فائدة أو جدوى. وما يزال مسلك الإخوان كما عبر عنه أحد قياداتهم رحمه الله في كتابه الذي جعل عنوانه (من السجن إلى الدعوة) ولو عاش لأضافا إليه ومن الدعوة للسجن ، وطبعه في مؤسسة (وهكذا دواليك) لتكتمل الحلقة المفرغة ..

- **من تجربة الإخوان المسلمين في الأردن:**

الإخوان المسلمون حزب رسمي مرخص له مكاتبه المعلنة في عمان وكافة المدن الأردنية ويعمل بصورة مشروعة رسمية. وقد قرر الإخوان دخول الإنتخابات وخوض التجربة منذ أواخر الثمانينيات. وكانت سياسة الملك حسين هي إفساح المجال لهم كلما أحاطت به الملمات إلى أن مات!. فكان عام 1990م ذروة أزمة بالنسبة له بسبب حرب عاصفة الصحراء وموقفه المؤيد للعراق فافسخ لهم المجال. وأعلن الملك عن أنه شكل لجنة من 65 (مشرع وقانوني !) هكذا باللفظ ..! لكتابة (الميثاق الوطني الأردني) وأن الأردن تجاوز مرحلة الضغوط التي حال بها العدو الصهيوني بين الأردن وبين مزاولة الديمقراطية ! !

وخاض الإخوان الإنتخابات البرلمانية وحازوا كتلة برلمانية كبيرة وأصبح رئيس البرلمان عضو الإخوان المسلمين (عبد اللطيف عربيات) وافتتح أولى جلساته بقوله (مولاي الملك حسين المعظم .. لقد أثبت أنك هاشميا أصيلا كما كنت دائما يعربيا أصيلا) ... وشكل الملك حكومة من الإخوان المسلمين فيها خمس وزراء. أذكر أنه كان من بينهم الأستاذ شاعر الدعوة الكبير يوسف العظم وزيرا للشؤون الاجتماعية. وتسلم الدكتور ماجد نجل الأستاذ عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين وزارة العدل ! (أي وزارة الحكم بالقانون الفرنسي والإنجليزي بغير ما أنزل الله!) .. وانجلت أزمة الملك فأغلق المجال وعاد الإخوان لحجمهم المعهود .. ودخلوا في تحالفات إسلامية عريضة وشكلوا مع إسلاميين آخرين (جبهة العمل الإسلامي) ومنذ ذلك الحين مازالت الجبهة تدخل المحاولات البرلمانية وكان آخرها الإنتخابات التي حصلت أواسط 2003م حيث شرعت الدولة للإنتخابات طريقة الصوت الواحد للدائرة الإنتخابية فخرجت الأغلبية من المؤيدين للملك ولم تحصل الجبهة إلا على 15م مقعد ... وطعنت في مشروعية الإنتخابات ولكن بقيت في المجلس المطعون بهِ !

وخلال هذه التجارب كتب عدد من دكاترة الشريعة وعلماء الأردن عددا من الكتب والبحوث التي تؤطر وتنظر للفقه البرلماني المعاصر ! فذهب البعض لجواز دخول البرلمان (الهيئة التشريعية) وحرمة

دخول التنفيذية لأنها حكم بغير ما أنزل الله . وذهب البعض لحل دخول الوزارة لأنها وظيفة وحرمة البرلمان لأنه تشريع من دون الله ! وذهب فريق ثالث لحل الوجهين .. وأفتى فريق رابع بحرمة الأمرين ،ولكنه على رأي الجماعة ! وعلى شباب الصحوة أن يصبروا فمن يتصبر يصبره الله! والدين يسر !

- **تجربة الإخوان المسلمين وحزب التجمع اليمني للإصلاح:**

ما أذكره أنهم خاضوا أول انتخابات قامت بعد الوحدة سنة 1993م بعد مصادمات كبيرة ومظاهرات من أجل وضع كلمة (**الشريعة هي المصدر الأساسي للتشريع**) في مقدمة الدستور العلماني والقانون الوضعي ! وبعد أن خرج أكثر من مليون مسلح في تظاهرات تحتج على الدستور وساروا إلى القصر الرئاسي. خرج لفيف من قيادات الإخوان والعلماء وعلى رأسهم الشيخ الزنداني وأعادوا الناس إلى بيوتهم درءا (**للفتنة**)! وكانت سياسة علي عبد الله صالح تقريب الإسلاميين من أجل كسر شوكة الاشتراكيين الشيوعيين القادمين من الجنوب مع الوحدة. ففتح الباب للإسلاميين وصار التجمع اليمني للإصلاح ثاني حزب في البلاد من حيث القوة. وكان قد وضع نظام! لحكم اليمن الموحد عبر مجلس رئاسي من 5 أعضاء. يرأسهم

علي عبد الله صالح وبعضوية رئيس اليمن الجنوبي (علي سالم البيض) وعضوية (الشيخ عبد المجيد الزنداني) !

وأدت سيطرة الإصلاح لحصار الجنوبيين في البرلمان. فبدؤوا يعدون للانفصال بدعم من دول مجلس التعاون الخليجي والسعودية مما أدى للحرب التي أدت إلى خروج الاشتراكيين وسيطرة اليمن الشمالي على الجنوبي حيث قام الإخوان والإسلاميون عموما بالدور الأساسي للمجهود الحربي. فلما تمكن الرئيس صالح بعد الحرب عادت وقضى الرئيس منهم وطرا .. عادت السياسة إلى تقليص دور الإسلاميين فعادوا كتلة برلمانية محدودة. وفي دورة 1996م. فاز حزب المؤتمر الذي يرأسه علي عبد الله صالح بأغلبية ساحقة أكثر من 70% وتقلص حجم الإصلاح كثيرا. وفي الدورة الأخيرة 2003م تكرر السيناريو.

- **أما في تونس:**

فقد أدى نجاح حزب النهضة بأكثر من 86 % من مقاعد الانتخابات التمهيدية أواخر الثمانينيات. إلى حل الحزب ومطاردة شيخه الغنوشي وعودة علي زين العابدين للنظام الديكتاتوري بدعم أمريكي وتحول الإسلاميون إلى مجموعة مطاردين في المهجر. وها هو زين العابدين قوم في إجراء انتخابات رئاسية خلال شهر أوكتوبر

2004م، فاز فيها بطريقة ديمقراطية خالصة بنسبة 95.96 %. فقد غرم به الشعب إثر ولايتين مضتا وها هو يعشقه حتى الموت !

- **وفي الكويت:**

دخل الإخوان والسلفيون وبعض المستقلين من الإسلاميين انتخابات مجلس الأمة ودخلوا في صراعات مسائل الفساد وبعض الأمور الداخلية .. ، حيث لا يصل نفوذ المجلس إلى الأمور السيادية من السياسات الداخلية والخارجية التي تنحصر بالإرادة الأميرية التابعة للأمريكان و... وأذكر أن الحياة البرلمانية عِلّقت في الكويت أكثر من مرة وحل البرلمان ... وفي آخر دورة انتخابية في أغسطس 2003م حصل الإسلاميون من مختلف الفصائل كالإخوان والسلفية على أكثريه في البرلمان .. والتجربة قيد الامتحان في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق. لتثبت ما أثبتته دائما.

- **أما في باكستان:**

فقد دأبت الجماعة الإسلامية على لعب دور إكمالي في الصراع بين الحزبين العلمانيين الكبيرين في باكستان.. حزب الشعب الذي كانت ترأسه العلمانية الشيوعية الفاجرة (بنزير بوتو). وحزب الرابطة الإسلامية الذي أسسه (نواز شريف) بعد مقتل ضياء الحق الذي كان قد عطل الحياة الدستورية. وقد تبادل الحزبان السلطة عدة مرات

كان آخرها حكم نواز شريف للباكستان حيث برمجت أمريكا انقلاب (برويز مشرف) عام 2000م لتعطيل الحياة البرلمانية ثانية ثم أعاد مشرف شكلا من أشكال الحياة البرلمانية وتجمع الإسلاميون من الصوفية والجماعة الإسلامية وبعض علماء الديوبند وبعض الشيعة وغيرهم في (مجلس العمل المتحد MMA). وحازوا المراكز الثالث في الحجم حيث فاز أحد أجنة حزب الرابطة بالأغلبية وفاز بعده حزب بوتو وجاء مجلس العمل في المرتبة الثالثة إلا أنه حاز المركز الأول في ولاية سرحد حيث تتكون باكستان من أربع ولايات ترتبط فدراليا بإسلام أباد وتتمتع حكومات الولايات باستقلالية داخلية.. وما يزال المد والجزر بين مجلس العمل من جهة ومشرف من جهة أخرى وحيث خصفت له الحكومة السياسية. وسرعان ما دخلت في فلك مشرف والسياسة الأمريكية واقتصر دور الإسلاميين على الإصلاح الجزئي في بعض القوانين الإسلامية البسيطة في دائرة سرحد. وعلى الاحتجاج والتظاهر والصياح في المسيرات الغاضبة على سياسات مشرف التي جعلت من باكستان مستعمرة أمريكية بالكامل. (راجع كتاب باكستان مشرف - المشكلة والحل والفريضة المتعينة — للمؤلف) .

إلا أن أبلغ العبر كانت في المثال التركي والجزائري الذي كان يجب أن يشكل نهاية للآمال الديمقراطية لدى الإسلاميين ونقطة لإعادة تفكير

قيادات الصحوة الإسلامية في جدوى الطريق البرلماني كسبيل لإعادة حكم الشرعية بما أنزل الله ولوضع حلول لمشاركة الأمة وقد عايشت هاتين التجربتين عن قرب وعن كثب ولاسيما في الجزائرية. وإليك الخلاصة:

- **التجربة الديمقراطية للإسلاميين في تركيا:**

تمكن حزب السلامة الإسلامي التركي بزعامة البرفسور نجم الدين أربكان من الفوز عبر الانتخابات والوصول إلى منصب نائب رئيس حكومة سنة 1969م فيما أذكر.. وقد أدى تمدد الإسلاميين إلى انقلاب عسكري أطاح بالتجربة الديمقراطية في تركيا وعاد بالبلاد إلى حكم العسكر. وبعد مد وجزر عاد السياسيون لتسلم زمام الأمور في السلطة مع الاعتراف بهيمنة العسكر على السياسات العامة. ولكن حظر حزب السلامة الذي غير اسمه وعاد إلى معاودة المحاولة تحت اسم (حزب الرفاه) .. وعلى مدى عقد من الجهود تمكن (حزب الرفاه) من إحراز الأكثرية النسبية في انتخابات 1996م البرلمانية حيث حاز لوحده على نسبة 21 % من مجموع الأصوات حيث لم يحرز اكبر الأحزاب العلمانية بعده أكثر من 18 %. وقامت الدنيا وما قعدت واعتبرت هذه النتيجة في الغرب ناقوس خطر. وشكل أربكان وزارة ائتلافية برآسة لم تعمر إلا سنة واحدة .. ورغم أنه استجاب

لكل الضغوط وحصلت في عهده تنازلات رهيبة مثل التوقيع على التعاون العسكري مع إسرائيل وسوى ذلك ، إلا أن ذلك لم يغير من النتيجة فقد تمكن العلمانيون من عمل انقلاب سياسي دبر لأربكان والرفاه خلالها تهما ملفقة حكم بموجبها عليه بإبعاده عن السلطة وحل (حزب الرفاه) ومنع أكبر قياداته من بينهم أربكان من مزاولة العمل السياسي.. وعاود الإسلاميون الكرة وشكل فلول (حزب الرفاه) حزبا جديدا باسم (حزب الفضيلة) الذي خاض الإنتخابات مرة ثالثة وتحول إلى أقلية ثم تعرض للحظر والمضايقات للمرة الثالثة.. ليشكل (رجب طيب أردوغان) أحد أعوان أربكان (حزب العدالة للتنمية) على أسس (علمانية إسلامية) وليخوض الإنتخابات مرة ثالثة ويفوز عام 2002م بأغلبية كبرى 36 % من مقاعد البرلمان حيث تمكن من تشكيل حكومة ما تزال تعلن صباح مساء عن علمانيتها وتدخل في مد وجزر مع السياسات الأمريكية التي رسخت أقدامها في المنطقة حيث تحاول الحكومة التركية (**العلمانسلامية**) التوفيق بين جذور هويتها ومطالب الشارع الإسلامي وبين الضغوط الأمريكية من الخارج وتهديدات العسكر وضغوط العلمانيين من الداخل.

- **التجربة الديمقراطية للإسلاميين في الجزائر:**

في سنة 1989م أعلن الرئيس الجزائري الشاذلي ين جديد بعد (مظاهرات الخبز) الشهيرة سياسة للإصلاح جعل من أولياتها إطلاق حرية الأحزاب وإلغاء سياسة الحزب الواحد .. وسارع الإسلاميون من مختلف التيارات إلى تشكيل ما عرف باسم (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) التي ضمت كامل الطيف الإسلامي تقريبا في حين بقي تجمعان من الإخوان المسلمين يعملان بصفة مستقلة هما (جماعة الإخوان) وجماعة (النهضة الإسلامية) المحلية في حين كان الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطنية) هو القوة الرئيسية في البلاد إلى ذلك الوقت منذ الإستقلال .. وخلال الإنتخابات البلدية اكتسحت جبهة الإنقاذ المجالس البلدية بنسبة أكثر من 85 % واستطاعت عبر تماسها بالجماهير وقاعدتها الشعبية التي تجاوزت 3.5 مليون ناخب أن تدخل الإنتخابات البرلمانية بقوة أواخر سنة 1990م وتكتسح الأغلبية الساحقة في الدور الأول. مما أكد فوزها الساحق بالدور الثاني الذي سيتم مطلع 1991م وبالتالي تأهلها لأن تشكل الحكومة بشكل مستقل وأعلن زعيما الجبهة (عباسي مدني وعلي بلحاج) عزمها على إقامة حكومة إسلامية تحكم الشريعة .. استنفر الغرب عموما وفرنسا خصوصا وهدد الرئيس الفرنسي ميتران بالتدخل العسكري إن لزم الأمر للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة .. وعلى عجل رتب

الغرب انقلابا عسكريا مطلع 1991م قضى على الجبهة الإسلامية وسجن زعماءها واقتاد عشرات الآلاف من أنصارها للمعتقلات الصحراوية. مما فجر حركة جهاد واسعة الانتشار ودخول أطراف كثيرة على خط الصراع وتحول المواجهات إلى أعمال عنف وحرب أهلية دامية راح ضحيتها إلى اليوم أكثر من 150 ألف إنسان.

واليوم يعلن زعماء الغرب في تصريحات مختلفة مبدأ واحدا.. (نريد تطبيق الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي ولكن بلا إسلاميين ولا أصوليين) وتحول هذا الطرح بعد سبتمبر إلى قولهم: (كل إسلامي هو أصولي متطرف وليس هناك معتدلون) وازدادت شروط العنت حتى أخرجت ما يسمى بديمقراطية وحياة دستورية نيابية عن فحواها من حيث الواقع وما زال بعض الإسلاميين يراها المجال الوحيد لتقديم ما يمكن تقديمه.

(راجع كتاب : ندوة روما في ظلال صليب الفاتيكان – وكتاب: شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989- 1996م – للمؤلف).

خلاصة ما يستفاد من التجارب العملية للإسلاميين في الديمقراطية:

1. أن الشعوب الإسلامية تعيش صحوة إسلامية حقيقية رغم مظاهر الفساد والإنحلال وألوان الفسوق التي تفرضها أو تسهلها السلطات لمحو معالم الدين من حياة المسلمين. وقد أثبتت التجارب أن أي بلد

عربي أو إسلامي يخوض فيه الإسلاميون انتخابات ديمقراطية حقيقية فإنهم سيفوزون بالأغلبية.

2. أثبت الغرب ونوابه من الحكام في بلاد العرب والمسلمين أنهم مصممون على وضع العراقيل والخطوط الحمراء على طريق مشاركة الإسلاميين ومنع وصولهم لتحقيق كتل فاعلة في السلطات الثلاثة. كما ثبت أنهم مستعدون فيما لو لم تؤد هذه الموانع إلى تحجم دور الإسلاميين وتهميش وجودهم إلى اللجوء إلى الانقلابات السياسية أو العسكرية أو المؤامرات للحيلولة دون ذلك. وهكذا حالوا بين الإسلاميين والسلطة في الجزائر قبيل وصولهم بقليل وأطاحوا بهم بعد وصولهم بقليل في تركيا ونجحوا في تضييع جهودهم في باقي التجارب.

3. أثبت معظم (الإسلاميون الديمقراطيون) أنهم مستعدون لتقديم التنازلات تلو الأخرى بلا حدود ولا ضوابط. لا من الشرع ولا من المنطق. ولا من الكرامة السياسية المعقولة ، إزاء عنت السلطة وتلاعباتها. مقابل ممارسة ما يمكن ممارسته من هذا (العبث الديمقراطي المهين)..

4. أثبت كثير من الديمقراطيين الإسلاميين استعدادهم لأن يكونوا جزءا من السلطة عبر انتمائهم لأجهزتها التشريعية وجزءً من جهاز الحكم عبر تسلمهم الوزارات بصرف النظر عن مناقضته ذلك لصريح الدين ولوازم ذلك مما لا يسوغه دليل ولا يقوم عليه برهان.

5. أثبت كثير من (الإسلاميين الديمقراطيين) اشتراكهم إلى جانب حكوماتهم التي صاروا جزءا منها ومن سلطاتها الثلاثة أو بعضها أنهم مستعدون تحت شعار (مصلحة الدعوة) إلى محاربة التيار المجاهد والنخبة المقاومة للحكام وأعوانهم المستعمرين في الأمة. وذهب بعضهم إلى أمثلة مخزية نعرض عن ذكرها هنا للحفاظ على المنهج الذي اخترناه للكتاب..

6. حقيقة الأمر أنه وكما كنت قد توصلت إلى ذلك وأعلنته في محاضرة لي بعنوان (المعادلة السياسية للنظام العالمي الجديد) ألقيتها في بيشاور في مركز النور في جمع من المجاهدين العرب صيف 1990م ..فقد أثبت الإسلاميون الديمقراطيون أنهم مستعدون لأن يكونوا جزءا من قوى النظام العالمي الجديد وأن يسيروا في ركاب مخططاته من حيث شعروا وأرادوا أو جهلوا ولم يدركوا ما يفعلون بسبب انخراطهم في هذا الفخ الديمقراطي الخطير.

وفي الختام هنا يجدر بنا أن نعرض لبعض اللفتات السياسية الشرعية في موضوع ممارسة الديمقراطية من قبل الإسلاميين والتي تشكل خلاصة وجهة نظرنا في هذا الموضوع:

ممارسة الإسلاميين للديمقراطية في ميزان السياسة الشرعية الإسلامية.

باختصار ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن (الديمقراطية) بصفتها فلسفة ومعتقدات فكرية وبصفها نظام حكم له تفاصيله وقوانينه، تتناقض تناقضا كاملا مع عقيدة الإسلام. وتصادم بشكل واضح جوهر عقيدة توحيد الألوهية كما سبق بيانه. حيث أن عقيدة الإسلام تجعل حق التشريع والتحليل والتحريم والإباحة والمنع لله سبحانه وتعالى. وتجعل له وحده حق الحكم النافذ الملزم الذي تستوجب طاعته الثواب ومخالفته العقاب في الدنيا والآخرة. في حين أن الديمقراطية تنص صراحة على جعل هذا الحق للبشر. وتجعل أحكامهم نافذة واجبة التطبيق بمقتضى إرادة الأغلبية التي تعبر عن إرادة الشعب وممارسة الأمة لحق السيادة المطلقة كما بينا آنفا. سواء وافق هذا شرع الله أم خالفه. فمبادئ الديمقراطية من هذه الوجهة هي إما كفر بالله أو شرك به. وهذه النقطة هي أساس حرمتها و مصادمتها لدين الإسلام وهي التي تفرعت عنها من بعد كل مناحي تناقضاتها مع عقيدة التوحيد.

وأما عن وجوه تناقض الديمقراطية مع دين الإسلام. فمن ذلك:

أولا: تعطي الديمقراطية لكل مواطن حرية الاعتقاد والتفكير. فله أن يعتقد بما شاء ويكفر بما شاء.. وأن يبدل معتقده و قناعاته بحسب هواه وآرائه الشخصية.

وهذا مناقض تماما لمفهوم الحرية في شريعة الله. فالإنسان في دين الإسلام ، ليس حرا في أن يكفر بالله ويشرك به.. فالمسلم حكمه إن

ارتد عن الإسلام في شريعة الله القتل كما روي عنه ﷺ في الحديث الصحيح (**من بدل دينه فاقتلوه**). ولم يقبل رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده من العرب إلا الإسلام أو السيف. وأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون أن يقاتلوا الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وأن يخيروهم بين ثلاث (الإسلام أو الجزية أو الحرب).. فقال تعالى:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة/29).

وقال: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (الفتح/16).

وليس هنا محل الاستطراد والشواهد كثيرة في نصوص القران والسنة والسيرة وتاريخ صدر الإسلام.

ثانيا: تعطي الديمقراطية للإنسان حق التعبير عما شاء بما شاء كيفما شاء ومتى شاء! .. عبر كافة وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإشارة وصحافة وغير ذلك..

في حين تقنن الشريعة الإسلامية وبدقة وتفصيل كبير حق التعبير. هذا فليس للإنسان أن يستعلن بالكفر وليس له مسلما أو ذميا أن يستعلن بالاعتداء على الدين وشعائره ومقدساته.. والتفاصيل كثيرة جدا جدا. ففي دولة الإسلام، من استهزأ بشعائر الإسلام من المسلمين ارتد فيستتاب أو يقتل.. ومن شتم رسول الله ﷺ قتل بلا استتابة ومن فعل ذلك وكان ذميا نقضت ذمته وقتل. ولا يبيح الإسلام كما يزعم بعض زنادقة الدعاة من (الإسلاميين) كما يسموهم! تحت دعاوى الحريات السياسية في الإسلام أن تكون للكفر صحفه ودعاته في دولة الإسلام

وليس للإباحيين أن يكون لهم صحف عري ودعارة.. وليس لمحطات التلفاز والصحف أن تستعلين بالغناء والطرب والمجون والاختلاط وعروض الأزياء و.. و.. و...

فحرية التعبير مصانة في حدود الشريعة وما أحل الله وما حرم ..كما كل صغيرة وكبيرة في دولة الإسلام. ووجه التناقض بين ما تتيحه الديمقراطية وما يسمح به الإسلام لا يمكن استقصاؤه في هذه اللمحات الموجزة ولكنه أوضح من بيانه هنا..

ثالثا: تستند الديمقراطية في أساس مبادئها إلى مبدأ (المساواة المطلقة) بين البشر بصرف النظر عن العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو العلم أو غيرها من الفوارق ..

ولكـن المسـاواة في مفهـوم الإسـلام هـي علـى أسـاس التفاضـل في الدين، ثم في التقوى والعلم وما خص الله به الرجال على النساء من حقوق وواجبات. وغير ذلك..

فالديمقراطية تسوي في حقوق الترشيح للمناصب أو التصويت عليها أو على أي تشريع بين الناس .. بين الكافر والمسلم .. والمؤمن والملحد والبر والفاجر والخلوق والفاسق والعالم والجاهل والرجل والمرأة والعدل وساقط العدالة.. إلخ ولكن للإسلام منظورا آخر.. قال تعالى:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم:35-36) . وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: 9) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَاالأُنْثَى ﴾ (آل عمران: 36) .. وقال عز من قائل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: 34). وروي عنه ﷺ قوله: **(من بدل دينه فاقتلوه)** . **(ما أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)** .

ونصوص الشريعة لا تبيح الإمامة – أي شكل من الإمامة على المسلمين – لكافر أو مرتد ، بل ولا لظالم مبتدع من المسلمين إبتداءً. قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:124) كما تنقض إمامته لو طرأ عليه الكفر والردة إجماعا. وبالفسق والظلم بحسبه على خلاف بين العلماء.

كما تكفل الشريعة للذمي الكافر حقوقه الدينية والشخصية. وألا يُعتدى على دمه وماله وعرضه وذمته ، ما لم ينقضها بعدوان.

ولكن الشريعة لا تجيز استعمال الكافر في أي من أمور الدولة ، ولا تبيح أن يكون في مكان يكون له فيه يد على مسلم. قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء:141) . بل إن الشريعة تجرد المسلم الفاسق المجاهر بالمعصية من عدالته ، وتنزع منه حتى حق الشهادة ..

وإدارة الدولة في الإسلام لأهل الحل والعقد من أولي الأمر من العلماء والأمراء المسلمين المؤمنين ولا حق فيها لكافر ولا مجاهر بفجور من المسلمين. وقد روي عنه ﷺ قوله: (**ليليني منكم أولي الأحلام والنهى**).. فالمسؤوليات ليست حتى لعوام المسلمين فضلا عن الفاسقين غير العدول منهم بله الكافرين.

ولما رأى عمر ﵁ اجتماع الناس من القبائل والأعراب على باب سقيفة بني ساعدة ، فيما كان سادات المهاجرين والأنصار من الصحابة مجتمعين لبحث خلافته ﷺ. خرج إليهم ﵁ وسألهم فيم اجتماعهم وعما جاء بهم، فأجابوه بأنهم جاؤوا ليشاركوا في الأمر ،

أمر الولاية بعده ﷺ. فقال لهم :(ليعد صاحب المصنع إلى صناعته وصاحب العمل إلى عمله. إنما الأمر للمهاجرين والأنصار من أهل المدينة والناس بعد ذلك لهم تبع) ...

هذا بعض وجوه تناقض الإسلام والديمقراطية في المساواة ..

رابعا: تعطي الديمقراطية لنواب الأمة في البرلمان حقا زائدا من الحصانة في التعبير والإدلاء بآرائهم وتعفيهم من المتابعة والمقاضاة تبعا لما يصرحون به من آراء.

وعلى هذا نصت معظم دساتير الدول الديمقراطية. وحتى الهمجية الديكتاتورية التي تزعم الديمقراطية في بلاد المسلمين ..

ومن هنا يحق لكل ملحد وعلماني وصليبي ومارق ، ما دام عضوا في البرلمان أن يتفوه بما يريد.. ويدعوا للتشريع لما يريد .. ويجحد ما يريد .. ويدعو لقداسة ما يريد ، وللتحليل والتحريم برأيه.. وفي هذا ما لا يخفى من جحود الشريعة والاستهزاء بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، والدعوة لتحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله ، فضلا عن الهزء بشعائر الدين ومقدساته وما إلى ذلك ..

فكيف بالمسلم عضو البرلمان أن يجلس في هذه المجالس والله تعالى يقول: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ

إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ (النساء:140) لا إله إلا الله .. وسبحان من أحاط علما بالأولين والآخرين وما كان وما سيكون..

خامسا: تنص مبادئ الديمقراطية والفقه الدستوري المنبثق منها على أن التشريع يأخذ مشروعيته من وجود أغلبية مؤيدة وأقلية معارضة.. وينصون على أن لا دستورية لقانون بغير حق معارضة..

ومن هنا يأخذ التشريع قيمته الديمقراطية. إذ لو امتنع حق المعارضة لصار تشريعا ديكتاتوريا ومفروضا لا يستحق أن يأخذ صفته الدستورية لأن الأمة (صاحبة السيادة والجلالة) وفق هذه الفلسفة لم يستوف أفرادها حقهم في المعارضة. وعلى هذا فالتشريع انبثق عن تأييد ومعارضة.. أي بمعنى أنه قد شارك في التشريع من أيد بتأييده. وشارك فيه من عارض بمعارضته. فلما غلبت أكثرية المؤيدين أقلية المعارضين أخذ التشريع طريقه للإقرار ومشروعيته من خلال وجود أقلية معارضة.

فالمعارض شريك المؤيد في صناعة التشريع.. وهذا ما قاله رئيس البرلمان المصري الهالك (رفعت المحجوب) لمندوب عن الاخوان المسلمين في البرلمان المصري عندما صاح الأخير معارضا أحد التشريعات بأنه وحزبه لا علاقة لهم بذاك التشريع المخالف لشريعة الله

.. فصفعه رئيس المجلس بهذه القاعدة ، وأفهمه أنه شريك بمعارضته في التشريع – ورحم الله من عرف اللغة التي يجب محاورة المحجوب بها فأطاح برأسه وحجب عنه الحياة . إذ تجرأ أن يحجب حكم الله تعالى. فقتله المجاهدون في مصر– فلينظر الإسلاميون إلى دورهم في إقرار ما خالف شرع الله رغم معارضتهم له.

سادسا: وهذه النقطة من أعظم مظاهر حرمة المشاركة في المؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها البرلمان.

إذ تنص الديمقراطية على التزام جميع الأعضاء في المؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها البرلمان على مبدأ حرية تأييد أو معارضة أي تشريع أو قانون أو قرار مطروح للتصويت. ولكن ...

وضع ما شئت من الخطوط الحمراء تحت هذه الـ (لكن) :

يقر الجميع سلفا بمبدأ دستورية أو مشروعية أي قرار وأخذه قداسة التشريع حال التصويت عليه بالأغلبية. وإلزام الأمة به بصفته حلالا صوابا واجب الإنقاذ على جميع أفراد الأمة .. بدءً من رأس الدولة (نظريا). وانتهاء بأصغر فرد في الأمة (فعليا) مرورا بأعضاء البرلمان أنفسهم بمن فيهم من أيده أوعارضه.

فلو طرح مشروع لتقنين الربا أو أي محرم من المحرمات الصريحة.. أو السياسات المحرمة أو الخيانية مثلا. وهذا مثال قد تكرر كثيرا في جميع برلمانات البلاد العربية والإسلامية .. فقد وقف (الإسلاميون

الديمقراطيون) بالطبع موقف المعارضة.. وفازت كل تلك التشريعات المحرمة شرعا بالأغلبية نظرا بسبب لأغلبية العلمانية كما هو واقع الحال دائما حتى الآن. وهنا يأخذ التشريع صفته الدستورية من الأغلبية المؤيدة والأقلية المعارضة كما أسلفنا. وقد سلم (الإسلاميون)! كما كانوا قد أقروا سلفا بحكم قوانين اللعبة الديمقراطية، بإلزام الأمة بهذا التشريع. وبالرضا به وبالالتزام به والعمل على إنفاذ في الأمة والحكم به بغير ما أنزل الله..

فمن أين استباح من يسمون أنفسهم (إسلاميون) هذا!. ولكي يزداد الأمر وضوحا نأتي بمثال (شنيع) حتى يحصل الفهم بالصدمة!

فلو اجتمع نفر من الرجال. ليصوتوا – ديمقراطيا – على أن يزني كل واحد بزوجة الآخر وأن يجعلوا ذلك تشريعا يبيح أو يلزم الأمة بذلك!! وكان فيهم (أخيار) و(فجار). واتفقوا على حرية التصويت والاختيار والتعبير. ولكن على أن يلتزم الجميع بفعل ذلك إن خرجت نتيجة التصويت بالأكثرية ويمنعه إن غلب المعارضون..

فما حكم أن ينتسب شريف لمثل هذه الجلسة. مع علمه المسبق بأن أكثرية الحاضرين من (الدواويث)؟!. وهل يكفيه أن يقول: أنا أرى أن مصلحة الدعوة والمساهمة في إخراج تشريعات لعمارة المساجد والأمر بالمعروف من هذا المجلس، تقتضي أن أشهد التصويت على هذا القرار !

فهل يمكن أن يسمى من يقبل مثل هذا ويلتزم بإعارة (زوجته) وتقنين هذه الموبقة وإلزام المسلمين بها كي تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وفقا لرأي الأغلبية ، مع الاحتفاظ (بشرف) حق الرفض أثناء التصويت ، فهل يسمى من يقبل هذا، إلا ديوثا.. بل شيخ الدواويث المعمم !

وأرجو من القارئ ألا يستغرب المثال ! فهل فظاعة واقعة اغتصاب حق التشريع من الله سبحانه ، أو عشرات وقل مئات التشريعات وآلاف القوانين والقرارات التي تصدر عبر البرلمان من تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله وإقرار السياسات الخبيثة والقرارات الخيانية الداخلية والخارجية؟! أقل فظاعة عند واحدهم من فظاعة تقديم عرضه! على مائدة التصويت لأغلبية الدواويث ؟! أما لدين الله وعرض الأمة حرمة تستأهل الغيرة .

فقد أقسم الجميع بشرفهم ومعتقداتهم ، وربما على القرآن عندما ترشحوا وعندما فازوا بعضوية الإنتماء إلى البرلمان أو الحكومة على احترام الدستور. وقوانين الأغلبية هذه و إنفاذها.

وأظن أن الأمر واضح. بل بالغ الوضوح. ولكنها كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج/46.

وبالله أقسم غير حانث – إن شاء الله – أن الغالبية العظمى من علماء وفقهاء الديمقراطيين الإسلاميين هؤلاء .. يعلمون هذا الحق الذي أسلفت. وهم الذين علمونا إياه لما التحقنا بصحوتهم الإسلامية قبل عقدين ونصف من الزمن ، ولكنهم يخالفونه اليوم للهوى. كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل:14) .

<u>سابعا</u> : **وهذه خاتمتها .. وختامها (زفت) !**

تنص الديمقراطية البرلمانية. ومبادئ سيادة الأمة وحكم الشعب والمؤسسة الدستورية ذات (السلطات) الثلاث. التشريعية والتنفيذية والقضائية.

تنص على الاحتكام للدستور. وللسلطة القضائية ومؤسساتها، من المحاكم المتنوعة وعلى رأسها المحكمة الدستورية العليا. حال الاختلاف بين أعضاء السلطة الواحدة أو السلطات المتعددة.

من أجل فض المنازعات والخصومات والطعون المقدمة من النواب بين بعضهم أو بين البرلمان والوزارات أو بين أي مستوى و آخر على مستوى المواطنين والمؤسسات ..

ومن الواضح والمعروف أن الدساتير كلها وضعية والقوانين علمانية لا دينية. وسيكون التحاكم بين الإسلاميين والسلطات حال

الاختلاف إلى الدستور إلى تلك القوانين التي فصلت على أيدي الأعداء والخصوم عبر محاكم السلطات ذاتها ووفق قوانينها!!.. ولا أصلح لو صف هذا الحال من قول المتنبي المشهور جدا..

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

فلا يكفي أنهم قد تحاكموا إلى الطاغوت ! وبغير ما أنزل الله ! ليكتمل البلاء بأنها محاكمة للخصم وإليه !.. وإلى قضائه ودستوره ومحاكمه.. ثم انتظار إحقاق العدالة والوصول كما يحلمون إلى تحكيم الشريعة. من خلال هذه النجاسات المتراكمة ! التي تزكم أنف من كان له أدنى فطرة سليمة.

ومن هنا يتبدى للباحث المنصف عدم مشروعية ولا منطقية مصطلح:

(ديمقراطية إسلامية) أو **(إسلاميين ديمقراطيين)**.

فالديمقراطية عقيدة متكاملة مستقلة. قد صار لها عبر العصور القديمة والحديثة تفاصيلها الدستورية والقانونية في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وغير ذلك وهي بلا شك **(دين معاصر ونظام حياة)** يتضمن تفاصيلا وأركانا أوضح بكثير وأشمل من (دين النصرانية) فضلا عن سائر الأديان الوثنية وغيرها..

ويعد معتقدوها في العالم اليوم أكثر من تعداد أي دين آخر ..

فقولهم :

(**ديمقراطية إسلامية**) هو من حيث المنطق كالقول (**نصرانية إسلامية**) أو (**يهودية إسلامية**) أو (**بوذية إسلامية**) كمصطلح.

وأما إطلاق مصطلح (**إسلاميين ديمقراطيين**) فكلام لا معنى له ، يناقض أوله آخره وآخره أوله. وهو لا يختلف من حيث منطق الدلالة والتناقض على قولنا (**إسلاميين مسيحيين**) أو سوى ذلك من الخلط غير الممكن لا منطقا ولا شرعا..

بل إن كلمة (**إسلاميين ديمقراطيين**) تعني إذا فهمنا المدلول بحسب دلالة ومحتوى كل كلمة تعني (**مسلمين مشركين**) لأن مدعي هذه الصفة ينتمي إلى الإسلام بشهادة لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ... ثم يشر ك وينتمي من حيث دلالة الشطر الثاني من المصطلح إلى من يشرك البشر مع الله في حق التشريع والتحليل والتحريم بحسب ما مر معنا من تفاصيل.

لأن مقتضى الديمقراطية بحسب فحواها هو انتزاع حق السيادة والتشريع من الله – سبحانه وتعالى عن جحود الجاحدين – وإعطائه للبشر أو إشراكهم معه في هذا الحق الإلهي..

فإن معتقدي هذه العقيدة (الديمقراطية) صاروا عبدة لطواغيت البشر وعبدوا الناس لهم طوعا أو كرها.

وهناك ملاحظة هامة جدا وهي:

إن بعض أقوال الإسلاميين الديمقراطيين وأعمالهم هي من أقوال الكفر و أعمال الكفر يقينا. وأما إسقاط حكم الكفر العيني على آحاد مرتكبي ذلك ، فله ضوابط معتبرة لدى أهل السنة والجماعة. من قبيل إقامة الحجة وانتفاء الجهل ، وتحقق الشروط و انتفاء الموانع ...

وهذا يكون من قبل من له أهلية القضاء. وليس من قبل عوام الناس ولو كانوا من المجاهدين أو الدعاة الإسلاميين ، فضلا عن الجاهلين والمتخوضين بغير علم.

وهذا الحكم الشرعي العام لا يعني كفر كل ديمقراطي إسلامي كفرا عينيا.

هذه هي الحقيقة شرعا ومنطقا بحكم مدلول دين الإسلام ومعتقد الديمقراطية على حقيقتها. مهما تبدوا هذه الحقيقة والصراحة مفجعة. ومهما تصادمت مع أهواء البشر والناس وما تعود تقديسه اليوم.

فلعل كلمة (ديمقراطية) من أكثر الكلمات تداولا اليوم في وسائل الإعلام من بين مصطلحات السياسة وعلى كافة موائد الحوارات ومن أكثر الكلمات والمبادئ قداسة واحتراما..

وهناك تمحكات كثيرة. وشبه متعددة وردود يثيرها هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (إسلاميون معتدلون) أو(ديمقراطيون) .. ولا أريد الاستفاضة باستقصائها والرد عليها هنا ..

ولكن أهمها اثنتان واحدة يتخذون منها حجة للإنتماء للبرلمان أي (السلطة التشريعية) التي تنازع رب العزة ﷻ في حق التشريع. والأخرى يجعلون فيها دليلا للإنتماء إلى (السلطة التنفيذية) وتسلم الوزارات والمناصب الرسمية. فينتمون بها إلى الكيان الحاكم بغير ما أنزل الله.

أما الأولى:

فهي أنهم يجعلون من قوله تعالى: (**وشاورهم في الأمر**) وقوله تعالى: (**وأمرهم شورى بينهم**) وسنة رسول الله ﷺ بفعل **الشورى**. دليلا على جواز أن يضم البرلمان من هب ودب من المسلمين والعلمانيين والملحدين والمؤمنين والرجال والنساء والجهال والعلماء والعدول والساقطين.. ليكونوا محل شورى لولي الأمر.. بل محل تشريع بالأغلبية!! ورد هذه الشبة السخيفة أوضح من أن يتجشم بيانه.

ولله در العلامة المحدث أحمد شاكر عندما شرح في كتابه عمدة التفاسير بعض ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بينهم ﴾ (الشورى: 38) ، وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ (آل عمران: 59) .

قال ما أستفيد منه كشاهد هنا وأشرحه موضحا بما يلي:

قال بأن الضالين والجهال ، في هذا الزمان قد اتخذوا من هاتين الآيتين هزوا ليثبتوا ما يذهبون إليه من ضلالهم ، فاعتبروها دليلا على مشاركة كل بر وفاجر. وكافر وزنديق في عملية الشورى وحق السلطة بدعوى الديمقراطية. وأوضح رحمه الله بأن الآيتين صريحتين بقوله تعالى (وأمرهم) ، (بينهم) ، والضمير : (هم) عائد على المسلمين المؤمنين ، الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وهي مبينة بقوله ﷺ : (**ليليني منكم أولو الأحلام والنهى**). أي أصحاب الدين والخلق والعقل والرأي السديد الراجح من وجوه القوم. وهي لا تشمل بحال ؛ العصاة والفساق من المسلمين ناهيك عن الكفار والملحدين والزنادقة من علمانيين وشيوعيين ، (ولا حتى النساء حتى المؤمنات المأمورات بما خصهن الله به من القدر والرفعة والعفاف واعتزال مجامع الرجال). ناهيك عن ملحدات النساء من المسترجلات المتزندقات.

فأما الذميون من الكفار فهم رعية منصرفون إلى شؤونهم تحت رقابة الدولة محل العدل معهم لذمتهم ، ومحل الذلة والصغار لكفرهم.

وأما ملاحدة المسلمين فمكانهم – كما قال الشيخ رحمه الله – محلهم تحت السوط أو السيف. أي لتأديبهم بالسوط كي تشفى أدمغتهم من نزغات شياطين الإنس والجن. أو لقتلهم وإراحة البشرية من شرورهم ودنسهم. وليس محلهم المشاورة في مصالح المسلمين ..

فهذا الذي بينه الشيخ وشرحته بالمزيد ليفهم من عضل فهمه .. هو من بديهيات دين الإسلام وشريعة الرحمن .. وقد صار في هذا الزمان (البوشي الرامسفيلدي الكونديليسي - العبيكاني السديسي ..) التعيس ، صار من غرائب القول ..

هذا ناهيك عن أن المشورة هي في مواضع الفكر والاجتهاد وليس فيما أثبتته نصوص الشريعة والأحكام. فهذه محلها الانقياد لها والقول (سمعنا وأطعنا) ... وأما هذا الإلحاد الذي يدور في ردهات البرلمانات في بلاد المسلمين ، فليس من الشورى وإنما هو من الكفر بالله والإشراك به ، وهي جلسات أقل مما يتوجب على المسلم أن يبتعد عنها ويكفر أهلها ويعاديهم.. ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (البقرة: 256) .

وأما الثانية:

فهو زعمهم حل تسلم الوزارات والمناصب في حكومات الفراعنة والطواغيت بدليل أن سيدنا ونبينا (يوسف) عليه السلام طلب هذه الوزارة وتسلمها من الفرعون عندما قال له ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:55). وللأسف فقد كان شيخنا سعيد حوى – غفر الله له – من أوائل من أطلق هذه الفرية في كتابه (دروس في العمل الإسلامي) ، مطلع الثمانينات. ثم تتابع خرز المسبحة لما انفرطت ..!

وهذا زعم باطل من وجوه كثيرة. وأوضح أدلة البطلان لو سلمت النفوس من الأهواء. ومن احتراف استغلال نصوص القران في غير مواضعها.. يتبين من وجوه عديدة ومن ذلك :

أولا: نسأل هؤلاء (الإسلاميين الوزراء) في حكومات البلاد العربية و الإسلامية اليوم. **هل تسلمون بأن حكامكم هؤلاء فراعنة. كفار؟ مرتدون؟**. لأن دليلكم وزعمكم هو(على جواز استلام الوزارة في حكومة الحاكم الكافر الفرعون ؟) ... فإن قالوا لا. وحكامنا مسلمون فلا داعي للاستشهاد بهذه الحجة. لأن تسلم الوزارة عند ولي الأمر المسلم جائز من حيث المبدأ. وإن كان البعد عن الفجار والظلمة منهم هو المأمور به شرعا.

وإن قالوا نعم: فنطالبهم بإعلان ذلك. وإعلان وجوه كفر حكامهم وردتهم ثم براءتهم منها. ثم بيان وجهة نظرهم في المصلحة في عملهم عندهم وأدلة جواز ذلك بعد ذلك .

وليعلنوا كما أعلن نبينا يوسف – عليه السلام– أن حكامنا فراعنة كفار.. فقد قال يوسف: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: 39-40) .

فأين قول يوسف عليه السلام وإعلانه أس التوحيد وأساسه ، من نعيق الديمقراطيين الإسلاميين بمديح الفراعنة والطبطبة عليهم ، ووصفهم بالملك صاحب الجلالة والعظمة ! وأمير البلاد المعظم ، وسيادة الرئيس .. والسادة الوزراء أصحاب المعالي! وتدليس أحوالهم وأحوال دساتيرهم الكافرة والاحتكام إليها !

ثانيا: فإن قالوا. نعم وأقروا بكفر حكامهم وأنهم فراعنة مرتدون ، ننتقل لإسقاط حجتهم هذه من وجوه عديدة..

1- إنه لو جاز لسيدنا يوسف أن يفعل هذا فهو من أحكام شريعة من قبلنا. التي لا تعتبر شريعة لنا إذا نسختها شريعتنا.. وشريعتنا ناسخة لهذا .. فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: 44) بصفة العموم (من) أي كل من.. ولقوله تعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ (آل عمران: 28) . وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51).

وقد بين علماؤنا المفسرون أن فاعل ذلك كافر مشرك من جملة الكفار بصريح اللفظ الذي حكم بأنه منهم.

2- على فرض جواز ذلك بشروطه ووجوه قياسه الصحيحة. فليُنظر إلى تفاصيل استلام سيدنا يوسف عليه السلام لتلك الوزارة المزعومة عند الفرعون في كتب الآثار وأقوال السلف من المفسرين في ذلك :

** نقل بعض السلف أن فرعون مصر الذي كان في زمن يوسف عليه السلام قد أمن بدعوة نبي الله يوسف للتوحيد لما كلمه. نقل ذلك عن مجاهد في تفسير الطبري ج11/8 (قال مجاهد: أسلم الملك الذي كان معه يوسف). كما نقله ابن كثير عن مجاهد أيضا (أنظر ابن كثير تفسير الآية 56 من سورة يوسف)

** أن الله سبحانه وتعالى ذكر صراحة أن الملك قال ليوسف : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف:54) .

ووصف الله حاله بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف:56) . وأشار القران إلى أن يوسف استطاع تطبيق شرع الله في مصر عندما حكم بأخذ أخيه فقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ (يوسف: 76).

أي بحسب شريعة الملك ونظامه. ولكن يوسف طبق شريعة دينه ودين آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام وهي دين التوحيد.

فأين إذا وجه القياس بين فراعنة حكام بلاد المسلمين الذين يستوزر عندهم هؤلاء الدعاة الأدعياء وعلماء السلاطين ، وبين ملك مصر الذي :

- إما أنه أسلم كما دلالة ظاهر النصوص وروايات بعض السلف.
- وإما أنه مكن ليوسف وأسلمه مقاليد الحكم . حتى صار مكينا أمينا يتبوأ من الأرض حيث يشاء ..

فهل هذا حال الدعاة الذين يتنقلون بين البرلمان والسجون ! فيتركهم الطاغوت تارة ، وينزعهم أخرى ! ويسجنهم تارة و يتيح لهم الترشيح أخرى ! يتبوؤون من السجون حيث يشاء الطاغوت وقت ما شاء. وليس كحال يوسف عليه السلام يتبوأ من الأرض حيث يشاء..

فهل تولى أحد من الدعاة وزارة أو حكما ممكنا تمكين يوسف في الأرض حتى يجعل فعله عليه السلام شاهدا لهم ؟!

هذه أهم استدلالات هؤلاء الزائغين من دعاتنا وعلمائنا وللأسف وقد بان سقوطها.

وأما غير ذلك من الاحتجاجات والمزاعم فمن ذلك: احتجاجهم بولاية النجاشي للحبشة من غير قدرة على أن يحكم بشرع الله.

ومنها ادعائهم أنهم عندما يقسمون بالله على احترام الدساتير والقوانين الكفرية إنما يبيتون (سرا) ! نية استثناء الباطل والقسم على الحق فقط!

ومنها أنهم لم يدخلوا بنية التشريع وإنما بنية الإصلاح!

وغير ذلك فكلها متكآت متهافتة لا تثبت أمام دليل شرعي ولا تفسير منطقي ولا تحتملها مداليل اللغة العربية ولا لغة الهنولولو ! ..

ويضيق المجال عن سرد الردود على تلك الخزعبلات ، وليس محله هنا. وأعتقد أن مما أوردنا في هذا البحث الموجز من بيان حقيقة الديمقراطية وجوهر مبادئها. وعن حقيقة تطبيقها لدى أهلها وتناقضهم مع مبادئها ذاتها ثم حقيقة وصور تطبيقاتها المضحكة في العالم الثالث ومنه الإسلامي والعربي في بلادنا .. وفي بيان حقيقة مفهوم السيادة في الديمقراطية والعلمانية وتناقضه مع مبادئ الحاكمية في الشريعة الإسلامية.. وفي نقلنا لبعض صور نتائج تجارب الإسلاميين مع الديمقراطية. وفيما ختمنا به من بيان تصادم حقيقة الديمقراطية مع جوهر دين الإسلام. ووجوه حرمة ممارستها.. في هذا كفاية لإيضاح الأمر. وألفت النظر إلى نقطتين هامتين وأكرر:

أولا: لا يعني اعتقادي وقولي بأن مدلول مصطلح (إسلاميين ديمقراطيين) يعني قولنا (مسلمين مشركين) من حيث دلالة كل كلمة في المصطلح على فحواها. لا يعني ذلك أني أعتقد بكفر كل من يدعون لأنفسهم هذا المسلك والمنهج من الإسلاميين الذين يمارسون الديمقراطية .. فأما المصطلح فهذه دلالته بحسب فحواه وليس لرأينا أن يزيد أو ينقص بدلالات المعاني .. وأما (اعتقاد الديمقراطية) فأمر آخر. وأما (ممارستها)

فأمر ثالث. وأما الحكم العيني على أصحابها فأمر رابع. وأنا على اعتقاد من أدركت من سلفنا ومشايخنا وقادتنا في الصحوة الإسلامية الأصولية. وفي التيار الجهادي المبارك. بأن الاعتقاد بفحوى مبادئ الديمقراطية وتتقبله وتقديمه على النظام الإسلامي ، أو اعتقاد عدم مصادمته له ، وأن الديمقراطية هي الشورى ، ولا تناقض معها والاعتقاد. والتصريح بإعطاء حق السيادة للأمة والتشريع للشعب والحكم للأغلبية مهما ارتأت ... إلى آخر ما مر معنا تفاصيله. فهو كافر مشرك مرتد. وإن زعم أنه مسلم وأدى بعض الشعائر. فقد نقض اعتقادُه وإيمانُه بالديمقراطية أبسطَ حقائق ومقتضيات شهادته ألا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ﷺ .. ثم ينظر بعد ذلك بانتفاء الموانع للأعيان.

وأما من يمارس الديمقراطية فهم أشكال وأنواع. وبالتالي تختلف أحكامهم ..

ولكن بالعموم أنا على مذهب من يعتقد بأن من يعتقد كفر الديمقراطية ، ومناقضة فحوى فلسفتها وتشريعاتها لمعتقد الإسلام ودين التوحيد. ولكن من يمارسها من باب تأول حال الاستضعاف ، وأنها السبيل الوحيد المتاح لتحقيق مصالح يرجوها للدعوة والإسلام والمسلمين. وأنها السبيل الممكن للوصول إلى تحكيم الشريعة في مثل هذه الظروف ، ثم إبطال ما يتناقض معها. أو أنها السبيل الممكن للجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيصال صوت الحق للأمة ..

إلى آخر ذلك فالمخلصون من هؤلاء معذورون بالتأويل في ممارسة الديمقراطية ودخول مؤسساتها. وإن كنت أعتقد أنهم مخطئون وآثمون. والله تعالى أعلم .

ولو ذهبت لأسرد أسماء من هم على هذا الرأي من العلماء لطال بنا المقام .. وهم أعيان ومشايخ وقادة الصحوة الإسلامية وعلمائها في هذا العصر .. ومنهم ذكرا لا حصرا: (جمهور المفسرين المعاصرين من أمثال الشيخ أمين الشنقيطي والشيخ أحمد شاكر والقاسمي والآلوسي ...

ومن العلماء : كافة علماء الدعوة في بلاد نجد والحجاز بدء من الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب ، وانتهاء بالمتأخرين – حتى علماء السلطان منهم – فهم في هذه المسألة سواء.

وكذلك علماء ودعاة الصحوة المعاصرون في بلاد الحرمين من أمثال الشيخ الطريري والشيخ سفر الحوالي الذي بين ذلك في كتابه الشهير – العلمانية – وكذلك الشيخ سلمان – رزقه الله – العودة. في كتبه وأشرطته. والشيخ مُحَّد سعيد القحطاني. وأقرانهم مثل ناصر العمر والدويش والتويجري ... ومن الأردن الشيخ مُحَّد نعيم ياسين .. وغيرهم.

كذلك كافة علماء الإخوان المسلمين قبل مرحلة الانحراف: مثل الشهيد عبد القادر عودة من مصر، والشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ عبد الله علوان رحمه الله. من سوريا ، والدكتور مُحَمَّد عادل أبو فارس والدكتور أحمد نوفل والشيخ مُحَمَّد نعيم ياسين من الأردن ، والأستاذ مُحَمَّد أحمد الراشد وغيره من العراق ، والأستاذ فتحي يكن من لبنان.. والشيخ الزنداني وعلماء الإخوان في اليمن. والشيخ علي بالحاج من الجزائر.. وكافة علماء ودعاة السلفية في العالم العربي والإسلامي..

ومن علماء ودعاة التيار الجهادي الشهيد سيد قطب. والشهيد عبد الله عزام. وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإسلامية في مصر- قبل نقض الغزل أنكاثا – وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن والشيخ رفاعي طه ، وكذلك جماعة الجهاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز. [الذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته إلى مصر في مارس (2004م)]. والدكتور الشيخ المجاهد أيمن الظواهري. ومن سوريا الشهيد مروان حديد وتلامذته وغيرهم من العلماء والدعاة. ومن الأردن الشيخ أبو مُحَمَّد المقدسي..

وكتب ومنشورات التيار الجهادي بكافة تنظيماته وجماعاته طافحة بهذا المعتقد ...).

هذا ما حضرني من الذاكرة والقائمة تطول. فيمن يعتقد كفر الديمقراطية وكفر معتقديها اعتقادا.

فإن التلبس بذلك فعل من أفعال الكفر ينظر في حال فاعله وحظه من أحد الأعذار الأربعة المعتبرة شرعا عند أهل السنة والجماعة وهي: **الجهل، والإكراه، والتأويل، وانتفاء القصد.**

ولعل لهؤلاء حظ بأن يكون لهم بـ(التأويل) أو بـ(الجهل) عذر فيما تلبسوا به يخرجهم من مغبة الوقوع بالكفر.

وأعتقد أنهم بهذا المسلك ليسوا في موقع المجتهد المأجور بأجرين إن أصاب وأجر إن أخطأ.. وإنما هم عصاة آثمون لإتباعهم سبيل الباطل من أجل إحقاق الحق – إن صلحت نيتهم- وابتغاء نصرة دين الله بما حرم الله. فقد تعبدنا الله بالوسائل المشروعة كما تعبدنا بالأهداف الشرعية. هذا بالعموم .. ولهذا تفاصيل كثيرة ليس محلها هنا.

فإن صحت نية من يدعي خدمة دين الله بطريقة الديمقراطية. وسلم من الأهواء والمصالح الشخصية في أن تكون سببا لدخوله هذا المنزلق. ولم يقع في مزالق نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال. ولم يتحول إلى أن يكون ضمن دائرة السلطة الحاكمة بغير ماأنزل الله باستلامه وزارة أو منصبا يكون فيها جزءا من الجهاز الحاكم بغير ما أنزل الله.. هذا إن سعى إلى أن يعارض كل تقنين أو تشريع يخالف

شرع الله صراحة. فعند ذلك يكون له والله أعلم عذر بالتأويل يدفع عنه حكم الكفر. ولكنه ولا شك عندي أنه ضمن دائرة الإثم والمعصية لمخالفته ما شرعه الله من سبيل الهدى ودين الحق.والله تعالى أعلم .

فباختصار ذلك بكلمات قليلة أقول:

بأن من يمارس الديمقراطية من الإسلاميين ليس مجتهدا مأجورا ، وإنما هو مخطئ بين الكفر والوزر أو العذر. والله أعلم .

ويؤكد ذلك ما ترتب عبر تجاربهم خلال أكثر من نصف قرن من الفشل والتقهقر وترسيخ أقدام حكم الكفر والكافرين والمرتدين والظالمين وتمرير سياسات الطغاة وأسيادهم المستعمرين. دون تحقيق أي فائدة أو نتيجة معتبرة بل على العكس كان وجودهم ضمن دائرة (الملأ) في مؤسسات الفرعون شهادة زور حية متحركة على صلاح الفرعون وملئه بالشرعية أمام العامة. عامة المسلمين الذين يكنون للإسلام والمسلمين والعلماء والدعاة ورجال الصحوة التقدير ويعتقدون فيهم القدوة والصلاح.

[وألفت النظر أني في كل ما أسلفت متبع لمذهب من يرى ذلك من العلماء والدعاة ولست صاحب الفتوى في ذلك وقد فصلته ونقلته وحسب]..

أما غير الإسلاميين ، من الديمقراطيين العلمانيين ، فما علمناه ممن أدركناهم من جميع مشايخنا وأساتذتنا في الصحوة الإسلامية ثم الجهادية ، الإخوانية ثم السلفية .. أنهم كفار ملاحدة مرتدون. وليتأكد العلمانيون المذكورون هؤلاء – إن لا يصدقوني – من أساتذتنا الذين يجامعونهم [1] تحت قبة البرلمان ، ليسألوهم عن رأيهم فيهم خلال جلسات الاستراحة ، على هامش اجتماعات التشريع من دون الله. فربما يصدقونهم ، وربما يُغَنُّوهم (موَّالْ) : (لِسَّهْ فاكرْ ؟ كان زمان !) ..

فلأساتذتنا هؤلاء فقه جديد يصلح له هذا الشاهد الطريف.

الأمر الثاني: أن هذا الكلام الصريح المباشر يأتي ممن يقوله كأمثالي اليوم مستغربا ومنكرا من قبل عموم الناس ، بل حتى في أوساط ما يسمى صحوة إسلامية معتدلة اليوم. نظرا للمكانة التي حققتها الديمقراطية عند جماهير المسلمين نتيجة جهود وسائل الإعلام والساسة من أعدائنا الخارجيين وأعوانهم المنافقين فينا. ولاسيما بعد ما

---

[1] جامع بمعنى اجتمع وجالس أو ساكن أو لزم وصاحب .. , جاء في الحديث **(من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)** .رواه أبو داوود .انظر شرح الحديث في عون المعبود . ففيه العبرة لهؤلاء .

صار زعم الاعتدال في أوساط الصحوة أسهل السبل للفرار من تهمة الأصولية والتشدد وبالتالي الإرهاب أو ربما حمل وشم الانتماء للقاعدة أو غيرها من الجهاديين (الإرهابيين) بحسب وصفهم وبحسب التصنيف الأمريكي..

ولكني أريد أن أذكر بأني أدركت عموم علماء الصحوة وقادتها وزعماءها وعموم دعاة الإسلام يوم انتسبت وأقراني من جيل الشباب لهذه الصحوة الإسلامية عامة والجهادية خاصة أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي وإلى نهايات التسعينيات الماضية.. وهم على هذا المعتقد ... وقرأنا ودرسنا عليهم ذلك في كل أدبيات الصحوة الإسلامية التي خطها أسلافنا رحمهم الله منذ الثلاثينيات وإلى سنوات قريبة جدا إلى نهاية القرن العشرين. وما تزال تملأ المكتبات ! وكان مقتضى كل ذلك ومعتقد الجميع في الصحوة الإسلامية والجهادية في الديمقراطية هو ما ذكرت. ولمن شاء أن يراجع كتابات وأدبيات إعلام دعوة الإخوان المسلمين وفروعها ، والحركات المنبثقة عنها. وكذلك كافة علماء ودعاة الدعوة السلفية وأهل الحديث والسرورية وحزب والتحرير.. وسواهم من مدارس الصحوة. وكذلك فتاوى المعتبرين من أعلام علماء الإسلام وخاصة في عقر دار الإسلام بلاد (الحرمين) نجد وبلاد الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق بل وعموم بلاد العرب والمسلمين .. فستجدها جميعا مطبقة على هذا

المعتقد.. بل أذكر تماما بأن عقيدة الحاكمية لله وأصولها التي درَسْناها شبابا ، ودرَّسْناها كهولا في الصحوة الإسلامية وفي التيار الجهادي على حد سواء.. كانت طافحة بهذه المعاني.. بل إني أذكر أن كلمة (**الديمقراطية**) كانت لا ترد في أدبيات الصحوة الإسلامية وكتب أهل العلم ودعاة الإسلام إلا دالة على الكفر بالله والشرك به ، والإلحاد بربوبيته. بدرجة لا تقل بشاعة عن كلمة (شيوعية) أو (إلحاد) أو(وجودية) أو(علمانية) أو (زندقة) ..

كما أذكر أنه لما أقدمت قيادة الإخوان المسلمين في سوريا (أيام إدارتها للمواجهة مع النظام النصيري في سوريا) على خطوتها التعيسة في إعلان التحالف الوطني مع الأحزاب العلمانية وكتبت ميثاقا وطنيا بذلك.. تحاشى الجميع إيراد كلمة (ديمقراطية) من أجل دفع الحرج عن الإخوان المسلمين أمام قواعدهم وأمام المسلمين رغم الإتفاق والنص على فحواها فرارا من تحمل تبعات الوصمة بكفر مدلولها..

وشيئا فشيئا ومنذ أواسط الثمانينيات... بدأت هذه المصطلحات الديمقراطية ومفاهيمها تتسلل على استحياء. لتبرر بعض ممارسات الإسلاميين الذين خطوا خطواتهم الأولى في هذا السبيل الضال ، كحل إجباري فرضته حالة الاستضعاف والقمع من قبل السلطات. ولم ينصرم القرن العشرون سنة 2000م إلا وقد كسر القوم حاجز الاستحياء. وبدؤوا يروجون (لديمقراطية إسلامية). ووجد

مصطلح (ديمقراطيين إسلاميين) طريقه للعلن.. وكان السلفيون وأصحاب مدرسة أهل الحديث قد أنكروا هذا الإنحراف على الإخوان المسلمين وفروعهم في حينها. ثم ما لبثوا أن حسدوهم على ما نالوا من مجالات الممارسات السياسية والدعوية فلحقوا بهم وأسلموا طريقتهم .. ثم ما لبث الإسلاميون الغير سياسيين من الصوفية والتبليغ وسواهم أن دخلوا هذا (المولد) لتتسيس الصحوة الإسلامية بكاملها تقريبا. وليرقص أكثر علمائنا ودعاتنا ومشايخنا رغم اختلافاتهم التي أنهكت الأمة .. ليرقصوا معا في (حفلة زار) جماعية .. فسبحان من ألف القلوب على البرلمان حيث لم تكد تتآلف على شيء !!

ولم يبق خارج هذا المهرجان الديمقراطي إلا (الجهاديون) وبعض المستقلين من العلماء الذين وقاهم الله ذلك الشر ..

ثم جاءت أحداث سبتمبر .. وسقطت إمارة الإسلام في أفغانستان وابتدأت المعركة العالمية على الإرهاب كما أسموها بقيادة أمريكا وإسرائيل وأوربا الناتو وحلفاءهم المرتدين كما مر معنا .. لتشتعل معارك الإعلام عبر الفضائيات ووسائل الإتصال والإنترنت والصحف والكتب وسواها.. مع الإسلام والمسلمين ليطال الهجوم اليوم جذور المعتقد .. وجذور دعوة الإسلام. وسقط الدعاة والإسلاميون في فخ الإرهاب الفكري المعادي يصيح بهم (أنتم إرهابيون).. فكان رد الفعل المعاكس تحت طائلة القهر والتصفية،

قوله: لا، (نحن معتدلون)!! ثم لم يجدوا ستارا للحركة والغطاء ودعوى الاعتدال، إلا زعم الديمقراطية.. راغبين ساعين أو كارهين مرغمين ..

ولكن ما كان لكل هذا أن يغير من حقيقة الأمر شيئا.

فباختصار وصراحة..

إن على علماء الإسلام ودعاة الصحوة أن يحددوا لنا..

هل كنا على ضلالة في معتقدنا بالحاكمية طيلة سبعين عاما ؟!، والذي أقتضى اعتقاد كفر الديمقراطية وحرمة الانتماء لمؤسساتها .. وهل قضى من مات من سلفنا أو استشهد من أبطالنا جهادا وكانوا على ذلك على ضلالة وانحراف؟!

أم أن من انبت عن أصوليته وانسلخ عن جذوره وانقلب على مبادئه كي يرضي اليهود والنصارى ومن والاهم، هو على ضلالة اليوم؟

فإذا كانت الأولى فليبرروا لنا لم ضللونا ؟! لم كذبوا علينا أربعين سنة أو أكثر ؟! وإذا كانت الثانية ، فليقولوا لنا ، لماذا يضللون الناس اليوم؟ وليجيبونا ..

ما الذي حصل حتى نرتد على أعقابنا ؟ .. ما هي الأدلة الشرعية على ضلال ما اعتقدناه بأدلته الشرعية آنذاك ، ودرسناه ودرَّسناه؟!..

إن هناك كلاما خطيرا يدور اليوم عبر شاشات الفضائيات وشبكات الاتصال الدولية وكافة وسائل الإعلام .. علماء كبار ..

دعاة إسلام .. قادة صحوة .. بل قيادات جهادية منكفئة مستسلمة .. تدعوا لمراجعة المناهج والمعتقد ..

هناك اليوم حرب على مناهجنا ومعتقداتنا لا تقل ضرواة عن الحرب الأمنية العسكرية على الإسلام والمسلمين تحت دعوى مكافحة الإرهاب. وحرب الأفكار. ومراجعة المناهج وأدوات التربية..

فإذا كان من انكفأ وانقلب على عقبه يجد لموقفه مبررا ويفلسف للهزيمة والردة على المبادئ ، ويجد له موقعا في قافلة المصفقين للإسلام الأمريكي الذي جاءنا بتصحيح المناهج ! وبدورات تأهيل الأئمة والخطباء في مساجدنا !.. وبحملات المراجعات الفكرية التي تطال كل رموزنا وثوابتنا !.. فلا بد أن يكون هناك مواقع للمواجهة تُثَبِت الثوابت ، وتحمل راية المعتقد.

وبقوة الله وفضله سيجدوننا هناك. على هذه القمة السامقة الراسخة بإذن الله ..

ومن هناك من أعالي قمم الثبات ، حيث اجتمع برد اليقين بحرارة الإيمان ، واتكأ المجاهدون على سيوفهم المشرعة .. نؤكد على ما أسلفت.

إننا ثابتون على ما اعتقدناه من ديننا. وعلى ما وعينا على الدنيا وأدركنا عليه سلفنا الصالح من العلماء والدعاة. وإننا على ما غادَرَنا

عليه شهداؤنا الأبرار إلى ربهم فرحين بما آتاهم الله إن شاء الله. وعلى ما كان عليه الصالحون من علمائنا وقادتنا في الرازحون اليوم في السجون والمعتقلات..

إننا ثابتون على ما تنطوي عليه اليوم صدور المؤمنين المستضعفين من أهل الحق.. إننا على مقتضى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وما يقتضيان من توحيد الحاكمية..

وبناء على ذلك نجهر بالقول :

- **الديمقراطية كفر وشرك بالله.. ومعتقدوها كفرة ملحدون أو مرتدون زنادقة.. كيف لا يكفرون وقد قال تعالى :** ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ ﴾ **. فكيف بمن يقولون أنه – سبحانه – عاشر عشرة.. أو شريك مئات البرلمانيين !!**
- **وأما المتأولون من الوالغين فيها من الإسلاميين فهم أنواع وأشكال .. وحكم كل صنف منهم بحسب مستوى قناعته وطبيعة نيته ، وممارساته قولا وعملا، وظروفه المحلية.**

<u>وهذا ما بلغنا عمن بلغونا الأمانة.. وهذا ما نبلغه لمن حولنا ولمن يصلهم هذا البلاغ.</u>

<u>اللهم فاشهد. اللهم فاشهد. اللهم فاشهد.</u>

وأظن أن الأمر واضح وضوح الشمس. ولا أجمل في وصف حال الديمقراطيين من الإسلاميين ووعظهم ، من آيات في غاية الرونق والروعة. تشمل إشارات غاية في الدلالة لمثل هذا الأمر الذي نحن

بصدده. وهي الآيات التالية من سورة النساء. ومن سورة مُحَمَّد عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم.. وبها نختم هذه النبذة إن شاء الله وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا* إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ

الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء/137-146)

.

وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ* وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ

الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾.[

سورة مُحَّد الآيات (19-25)].

فهل قعد الإسلاميون الديمقراطيون في مجالس يسمعون فيها آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ؟ اللهم نشهد بقولنا : نعم !

وهل يقتضي التحاكم لرأي الأكثرية في البرلمان ، طاعة الذين كرهوا ما نزل الله في بعض الأمر ؟ اللهم نشهد : نعم ! بل في كل الأمر ، أو أكثر الأمر !

والآيات تحكي كل حِكَمِ المسألة ، ولا يتسع المقام للاستطراد ، رغم أن روعتها تغري بذلك.

ولعلي أعود إليها في بحث مفرد لهذا الموضوع إن يسر الله وأعان.

- **تاسعا : مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة:**

▪ **مسألة عقيدة السلف وعقيدة الخلف:**

عندما انتشر الإسلام وانساحت جيوش المسلمين في الأرض وفتحت بلاد الحضارات السابقة مثل بلاد اليونان والرومان والفرس والترك والصين والهند والسند.. احتك المسلمون بحضارات وديانات وفلسفات أولئك الأقوام وقد كان أكثر ذلك في العصر الأموي وصدر العصر العباسي.. وأدى ذلك إلى نشاط حركة ترجمة تراث تلك الحضارات والإطلاع عليها. وبقدر ما كان هضم فنون تلك الأمم وعلومها الطبيعية والعلمية مفيداً. حيث مزجت أمة الإسلام تلك العلوم والآداب ، وحفظت إنتاج تلك الحضارات ، وصاغته بأسلوب إسلامي ، ونقلته للبشرية حضارة وعلوماً بعد أن طورته وأضافت عليه. فبقدر ما كان ذلك حضارة فذة ومجداً زاخراً ، كان لجانب آخر من التعامل مع تلك الفلسفات والمعتقدات ، أثر سلبي بالغ الخطورة على الحضارة الإسلامية ودين المسلمين ومعتقداتهم. فقد أدى الاختلاط بتلك الفلسفات والمعتقدات لدى بعض العلماء ، ولاسيما ممن كان من أصول تلك الحضارات البائدة ، إلى حصول شيء من الخلط والمزج بين العقيدة الإسلامية الصافية ، وبين فلسفات العقول وترهات الأفهام ، التي خاضت بوسيلة العقل القاصرة المحدودة ، في عالم الغيب الفسيح اللامحدود. فنشأ عن ذلك

عند المسلمين ، مذاهب عقدية امتزج فيها الدين بالفلسفة ، والحق بالباطل ، ونشأ عن ذلك عقائد منحرفة مزقت الأمة ، وكدرت صفاء عقيدتها ، وشوشت على أجيالها اللاحقة معتقداتهم الصافية ، إلا عند من رحم الله وحفظ.

وكان أشد ذلك في القرن الثالث الهجري . عندما شغف الخليفة العباسي المأمون بالعلوم والحضارة والكتب والترجمة وأنشأ (بيت الحكمة) ومكتبتها الضخمة. وأرسل يجمع كتب اليونان وفلسفاتهم. وحضارة الرومان وآدابهم. ونشط بعض العلماء في ترجمتها والإطلاع عليها. وولع قسم من الناس بالفلسفة ، ولاسيما فلسفات اليونان وتفسيراتهم الدينية وضلالاتهم الوثنية العقدية. وأقبلوا عليها. ونشأ من ذلك علم سمي بـ (علم الكلام) ، وهو علم ولد نتيجة إعادة كتابة وصياغة علوم المنطق والفلسفة اليونانية من قبل بعض علماء المسلمين. وخاض الناس في أصوليات العقيدة وجوهر التوحيد بأسلوب الفلاسفة وأساليب العقول القاصرة. فنشأت بسبب ذلك مسائل عقدية كلامية عويصة ، لا كانت من منهج السلف ولا الصحابة ، ولا من طريقة رسول الله ﷺ. فضلّ بذلك أقوام. ونشأت فرق عقدية زادت الشرذمة التي كانت قد حصلت لأسباب سياسية لدى المسلمين ، والتي كانت قد سببت ميلاد فرق الخوارج وفرق الشيعة قبل ذلك.

فنشأت مذاهب جديدة اعتمدت الفلسفة وعلم الكلام كالقدرية الذين نفوا القدر. والجبرية الذين نفوا الاختيار عن البشر. والمعتزلة الذين ألهوا العقل وجعلوه حجة على صحيح النقل ونصوص الشرع... إلى آخر ذلك مما زخرت به الحياة العلمية والدينية والأدبية خلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجري. وما تلا ذلك بعدها من عصور الانحطاط وتمزق الكيان السياسي للأمة. وكرد فعل على تلك الفلسفات ، عمد بعض علماء المسلمين المخلصين من أجل الرد على الفرق والمذاهب الضالة ومن سموا (علماء الكلام) ، إلى اقتحام ميدان الفلسفة للرد على شبهات أولئك بأسلوبهم. فدخل علم الفلسفة والمنطق ضمن العلوم الإسلامية منذ ذلك الوقت.. وتناول أولئك العلماء الأفذاذ المخلصون الرد على الشبهات في تلك المواضيع الحساسة التي أثارها المنحرفون ، بأساليب الفلاسفة. وتناول ذلك أخص خصوصيات العقيدة والتوحيد في دين الإسلام ، وهو توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فأخطأوا من حيث أرادوا الصواب. وأساؤوا من حيث أرادوا الإحسان. غفر الله لهم وتقبل سوي سعيهم وتجاوز عن زلاتهم. فقد أدى ذلك إلى أن فقدت كثير كتب العقيدة الإسلامية الصافية الربانية ، المنبثقة عن الوحي الخالص الذي لم تمزجه فلسفات العقول وضعف الأفهام. فقدت ذلك الصفاء ونشأت مدارس عقدية في أوساط أهل السنة والجماعة اعتمدت

التأويل والفلسفة في تناول التوحيد وخصائص الربوبية ، وكما لا بد لكل انحراف أن يسير بانفراج واتساع مع الوقت. تطورت تلك المذاهب العقدية الغريبة الدخيلة الوليدة. لتسيطر في معظم مراحل التاريخ الإسلامي ، على كثير من أساليب العلماء في مجالات التوحيد والعقيدة.

وفي الوقت الذي أفادت فيه علوم المنطق والمحاكمات العقلية في تطوير أبواب الفقه وتراث الاستنباط الفقهي لدي مذاهب أهل السنة، كان ضررها في علوم التوحيد كبيرا. وكان أوضح ذلك وأهمه في مجال ما عرف بالتأويل – تأويل أسماء الله وصفاته – وتفسيرها والتعبير عنها بالمعاني والكنايات. إما لتبسيط فهمها للعامة وإما بنية دفع شبه الفلاسفة عن أسماء الله وصفاته من التجسيم والتكييف والتشبيه والتحريف. ورغم النية السليمة لدي أولئك العلماء ، إلا أنه ما من شك من أن ضرر ذلك كان أكثر من نفعه. وكان خطؤه وخطره أكثر من صوابه.

وقد سمي هذا المذاهب العقدي وتلك الطريقة الفلسفية في التوحيد بمذهب (الأشاعرة) نسبة إلى أحد أعلام ذلك المذهب (الإمام أبي الحسن الأشعري) رحمه الله ، الذي أوغل في المذهب ثم تراجع عنه وتاب منه كما ثبت عنه يرحمه الله . كما كان دأب أكثر أعلام ذلك المذهب من أمثال الأئمة : الجويني والرازي والشهرستاني

وأبو حامد الغزالي رحمهم الله تعالى وغيرهم. ولكن أعمالهم وكتاباتهم بقيت نسأل الله أن يتقبل عدولهم عن خطئها ويغفر لهم ما زلوا فيه.

ومنذ القرن الثالث والرابع الهجري صار مذهب (الأشاعرة) هو مذهب علماء أهل السنة الأفذاذ ومذهب ملوك المسلمين الصالحين. وكان ضده يعني فرق الخوارج و الشيعة. وقد أرسى هذا المذهب أكثر حكام وملوك المسلمين منذ أيام الدولة العباسية ثم ما تلاها من دول الطوائف وإلى قيام الدولة العثمانية. ثم تابع على ذلك المنهج ملوك وسلاطين الدولة العثمانية ، وبقي هذا المنهج هو السائد في بلاد المسلمين على اختلاف مذاهبهم الفقهية التي سادتها المذاهب الأربعة. مع بقاء قلة من علماء الإسلام الذين حفظوا نقاء مذهب أهل السنة والجماعة ، فحفظت العقيدة بذلك بصفائها ورونقها بلا خلط ولا مزج . وعرف مذهبهم على مر التاريخ بمذهب (السلف). وأحيانا بمذهب (أهل الحديث). فيما عرف مذهب الفريق الآخر من أهل السنة والجماعة بمذهب (الأشاعرة) ، الذي أخذ ببعض أصوله وطريقته ، علماء كبار من الفقهاء والمفسرين وأساطين علوم الدين لدى أهل السنة. كما عرف في مذهب السلف أيضا أعلام كبار على مر التاريخ كابن تيميه والشاطبي وابن القيم وابن بطة وأحمد وسفيان وغيرهم رحمهم الله تعالى. ولكنهم كانوا أقلية في جمهور علماء أهل السنة على مر التاريخ.

وقد حفل التاريخ الإسلامي بمعارك عقدية طاحنة ، ومناظرات كثيرة ساخنة. وأخذ ورد بين هذين الفريقين ضمن أهل السنة والجماعة. فكتبت الردود والردود عليها ، وكثر القيل والقال وكثرة السؤال.

ودخلت الأوساط السياسية وأروقة الحكام إلى المساجلات ، فمنتصر لهذا ، ومستقوٍ بذاك. وكانت باب فتن وإحن في تاريخ المسلمين يطول ذكرها.

ومثل كل أجواء الفتن التي تولد التعصب والتحزب. جرّت هذه المشاكل أحياناً بالإضافة إلى مشاكل التعصب المذهبي ، إلى الشرور والقتال والفتن ، التي كثيراً ما تدخل الملوك لوقفها بمنع الحديث بتلك الأمور ليزيدوا الطين بلة.

وقد أورث هذا الإشكال هاتين المدرستين (الأشعرية) وما تفرع عنها. و (السلفية) أو (أهل الحديث) وما تفرع عنها. إلى أن شطبت كل منهما الأخرى من طائفة (أهل السنة والجماعة). واعتبر كل فريق نفسه (أهل السنة والجماعة) وأن عقيدته هي عقيدة (الفرقة الناجية). وأن الفئة الأخرى هي من (الفرق الاثنين وسبعين) التي في النار. للحديث الصحيح الذي يخبر به رسول الله صلى الله علي وسلم بأن الأمة تفترق على (73 فرقة واحدة ناجية والباقي في النار).

ورغم اتفاق أهل الحديث وشراحه على أن هذا لا يعني الخلود في النار لكل هذه الفرق وكل المنتسبين إليها من أهل القبلة وأمة الإسلام. إلا أن هذين الفريقين حصر كل منهما الانتماء إلى (أهل السنة والجماعة) ، وملكية هذا اللقب بهم وشطبه عن الفريق الآخر.

وقد هدأت هذه الإشكالات كغيرها في العصور المتأخرة لانشغال الأمة بالاستعمار وبلائه، ثم بحكومات (الاستقلال الاستعماري) ، وما سببته من هجمة المذاهب العلمانية الفكرية والسياسية المعاصرة، من ضعف التدين في الأمة بشكل عام خلال عقود أواسط القرن العشرين. وهكذا نامت هذه المشكلة فترة وجيزة، لتستيقظ مرة أخرى مع نشوء مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة. وعادت مع نشوء مدارس (التيار السلفي) المعاصر وحملته على المذهبية والأشعرية. وبقاء معظم أوساط مدارس الصحوة الأخرى بعقائد الأشعرية ، ولاسيما المدارس الإصلاحية ، وجماعات التبليغ والدعوة ، والمتصوفة وسواهم ، وكذلك أكثر العلماء الرسميين وأئمة المساجد وكذلك أكثر علماء المذاهب الأربعة.

ومع اختيار معظم الجهاديين للعقيدة السلفية وفقه الدليل واختيارات المنهج السلفي ، وصلت المشكلة إلينا أخيراً. مما جعلها أحد الفقرات الهامة التي اهتممت بالكتابة فيها وأنا أعرض لملامح عقيدتنا في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. لكونها إحدى

الإشكالات العويصة على طريق الجهاد والمقاومة ودفع الصائل. لأنها بصورتها النهائية تشكل باب فرقة وتحزب وتعصب فقهي ثم فكري ثم حركي ، وأسباب احتراب داخلي ، داخل صفوف المسلمين وأوساط المقاومة في وقت تجتاحنا فيه خيول مغول العصر الأمريكان والصهاينة بسلاسل دباباتهم وهدير طائراتهم. وترصد أقمارهم الصناعية همساتنا العقدية وحركاتنا اليومية. وتنصب قذائفهم وحممهم على رؤوسنا من السماء والأرض والبحر. ولولا ذلك لمل تعرضت لهذه القصة.

وقد كان أول اهتمامي بهذه المشكلة ، أيام الجهاد العربي في أفغانستان. حيث حضر في الساحة العديد من العلماء الجهاديين السلفيين. ومن أندادهم من المدرسة الأخرى (الأشعرية). وكان علماء الأفغان والباكستان وشبه القارة الهندية ووسط آسيا وعموم المسلمين المقلدين لهم في هذه المنطقة من الأشاعرة أيضا. وقد كان هذا سبب هوة كبيرة بين المجاهدين العرب وكل هؤلاء. هوة سببت مشكلة حقيقية في تلك الساحة. وقد التقطت الإستخبارات تلك الفرصة وصارت الـ (بي بي سي) تروج لمشكلة الوهابية في أفغانستان ، وعبثا حاول الشيخ عبد الله وأمثاله إقناع الإخوة بتأجيل مثل هذا الأمر ... وليس هنا محل تفصيل ذلك.

ثم بعد ذلك، وعند انخراطي في تأييد الجهاد في الجزائر (1994-1997م) الذي قادته الجماعة الإسلامية المسلحة قبل انحراف قيادتها

كما بينت في الجزء الأول . انهمك بعض طلاب العلم السلفيين في تأييد الجماعة المسلحة (السلفية المنهج) ، واتخذوا من منابر إعلامنا المؤيد لقضية الجهاد في الجزائر خطوط حرب ومعارك للسلفيين مع الأشاعرة والمذهبيين ! وكان ذلك مأساة أخرى رأيت آثارها بنفسي.

ثم تكررت المشكلة خلال الشوط الثاني للأفغان العرب أيام طالبان ، وشكلت حجرة عثرة كبرى بين الجهاديين السلفيين من العرب والإمارة الشرعية في أفغانستان وأميرها وقيادتها من الطالبان وعلمائهم وكلهم أشاعرة أحناف مذهبيون ، لا يقلون تعصبا لما ذهبوا إليه من كثير من إخواننا المتعصبين بدورهم لمذهب السلفية. وكانت تجربة ثالثة عشتها بنفسي لأرى أهمية هذه المعضلة التي تأتي في غير وقتها ، لشدة ما نعيشه من هجمة الأعداء.

وقد أردت دراسة هذه المشكلة هنا في هذا الباب الخاص بمسألة العقيدة عامة ، والعقيدة الجهادية للمقاومة خاصة. من أجل المساهمة في محاولة وقف ضررها على صفنا الجهادي. ولأنها مشكلة عقيدة ودين.

فدرستها بإنصاف وحياد لأبحث لنفسي عن الاعتقاد الصحيح الذي أبتغي به معتقدا يرضي ربي أولاً. ثم لأقدم ما أخلص إليه نصيحة إلى إخواني المجاهدين ومن بلغ من المسلمين.

وقد خلصت إلى رأيي سأختصره هنا في بضع نقاط بعد أن استخرت الله عليه سائلاً إياه الهداية. ولكني أعترف بأني تخوفت كثيراً من إعلان رأي هذا السببين:

أولهما أن الأمر حساس ويمس أخص خصوصيات الدين ، وكان تاريخيا ميدان صدامات وإشكالات.

والثاني أن الوسط الجهادي الذي أنتمي إليه سلفي المذهب في معظمه ، وفيه من هو شرس متعصب في تناوله لكل من يخالف رأيه في هذه المسألة كما في معظم ما سواها..

ولكن شجعني على ذلك أمران أيضاً:

أولهما ضرورة توحيد صف أهل السنة والجماعة في الجهاد والمقاومة. وضرورة أن تضع هذه المشكلة أوزارها بين المجاهدين والمقاومين على الأقل .

وثانيهما أني وجدت وتعجبت من أن أحد أكابر العلماء المجاهدين قد توصل من قبل إلى ما توصلت إليه بجهدي الضعيف منفردا ، وكتب ذلك بصراحة ووضوح. ولا شك أن له أقراناً من علماء هذا الزمان ممن لم أطلع على آرائهم. ذلك الرجل هو الشيخ عبد الله عزام رحمه الله وتقبله في الشهداء.

وقبل أن أخلص إلى ذكر خلاصة رأي في نقاط موجزة ، أنقل ما كتبه رحمه الله اعترافاً بفضله وسبقه. وأسال الله أنه يلهمني الصواب

ويتقبل مني حسن قصدي ، بالرحمة والمغفرة ، إنه سميع قريب كريم مجيب.

و خلاصة رأي الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في هذه المسألة يمكن إيجازه في نقطتين:

(1) - **أن الحق و الصواب هو مذهب السلف**. في إجراء آيات الآيات والصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه والتفويض. ووصف الرب تبارك وتعالى بما وصف به نفسه دون تأويل أو وصف أو تفسير. بل الفتوى بما في الكتاب والسنة والسكوت عما وراء ذلك. وهذا هو مذهب الصحابة والسلف وقد أوضح الشيخ عبد الله أنه عقيدته.

(2) - **أن أصحاب المذهب الثاني الذي دعي مذهب (الخلف) ، أو (الأشعرية) ، والذي ذهب إلى تأويل الأسماء والصفات. هم من أهل السنة**، ولا يُنفوا عن الانتماء لأهل السنة، وأن مذهبهم فيما ذهبوا إليه من التأويل خطأ. وقد خالفوا فيه (منهج أهل السنة) في هذه الأمور المحددة.

فهم من أهل السنة و يُخطّؤون في هذه النقاط المحددة.

وقد فصل ذلك وعددا من المسائل العقدية الأخرى ، في كتابه القيم (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) في عدة أمكنة. وخلاصة ذلك

كما جاء في المجلد الأول الموسوعة الجامعة لتراثه والمسماة (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشيخ عبد الله عزام) كما يلي:

- في الصفحات (11-12-13). أوضح تحت عنوان (شقاء البشرية اليوم بسبب تحريف العقيدة) الفارق بين التصور العقدي والفلسفة وبين أثر تخوض العلماء في هذا الأمر وعودة أكابرهم عنه.

- في الصفحتين (21-22) وتحت عنوان صفات الله عز وجل. أوضح أقسام المذاهب العقدية. وبيّن رأي المشبهة والمجسمة ورفضه. كما بين رأي المعطلة والجهمية ورفضه ونقده. ثم بين مذهب السلف واختار صوابه وصحته. ثم بين مذهب الخلف والأشاعرة. وبين خطأهم في التأويل والتفسير للأسماء والصفات ، وبين أنه خطاء.

- وقرر في ص(23) أنه الأشاعرة وأصحاب مذهب الخلف هم من أهل السنة (إلا في هذه الأمور). ولم يخرجهم بذلك عن أهل السنة. واعتذر لهم. وبين أسباب خطئهم ، ثم استغفر لهم وترحم عليهم وبين تراجع كثير أكابرهم عنه رحمهم الله.

(وبحث الشيخ موجز قيم أنصح بالإطلاع عليه)..

وهذا باختصار خلاصة ما خرجت به من خلال دراستي لعدد من كتب العقائد ، والإطلاع على بعض حجج هذين الفريقين.

وأختصر خلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العقيدة ومسألة المذهبية في النقاط التالية:

ففي موضوع العقيدة :

(1) - أن مذهب السلف في الاعتقاد الذي أوضحناه آنفاً هو المذهب الصحيح وبه أدين لله سبحانه وتعالى. وهم أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية إن شاء الله.

(2) - أن مذهب (الأشاعرة) أو (مذهب الخلف) ، قد جانب الصواب باتخاذه من التأويل والتفسير منهجا للأسماء والصفات. وبعدم إمرارها كما أمرها سلف الأمة.

ولكنهم لا يخرجون بذلك عن كونهم من أهل السنة والجماعة. وإنما يخطؤون فيما أخطؤوا به وحسب. تماما كما أخطأ كثير من علماء من ينتسبون إلى (مذهب السلف) من علماء اليوم ، ومالوا إلى مذهب المرجئة، ولاسيما في مسائل الحاكمية. ولم يدّع أحد خروجهم من أهل السنة ، كما يفعل بعضهم اليوم ، ويدخلون الناس ويخرجونهم من أهل السنة.

(3) - أن من خرج عن معتقدات (أهل السنة والجماعة) من الفرق الكثيرة ..كفرق الشيعة والمرجئة والخوارج ... وغيرهم من أهل لا إله إلا الله. هم (أمة الإسلام) ، و(أهل القبلة) ،لا يكفرون بالعموم. ولاُ تنفي عنهم صفة الإسلام ، ولا صفة أهل القبلة إلا وفق موازين وضوابط محددة عند أهل السنة التي بينها علماؤهم من تحقق شروط الكفر وانتفاء موانعه. وهو عمل جهابذة العلماء الذين بلغوا

مرتبة القضاء في العقائد والأديان. وليس عمل آحاد المسلمين بله جهالهم وعوامهم. كما أنه ليس عمل من تفرغ للجهاد ودفع الصائل، اللهم إلا أن يكون من أهل العلم الذين توفرت فيهم شروط الفتوى والقضاء.

(4) - أن الطائفة المنصورة هم أهل الاعتقاد والصحيح ، والعلم المنضبط ، والجهاد والقتال لأعداء الإسلام والمسلمين. وهم صفوة الفرقة الناجية أهل الاعتقاد الصحيح ، التي هي صفوة أهل السنة والجماعة ، التي هي صفوة أهل الإسلام الذين هم عامة أهل القبلة.

وعلى هذا فهي الدائرة المركزية الخاصة. من تلك الدوائر المتسعة الشاملة ، وصولاً لجمع أهل القبلة. وهم كل من أعتقد أن لا إله إلا الله مُحَمَّداً رسول الله واستقبل قبلتنا.

هذا في مسألة العقائد..

أما في مسألة المذهبية ضمن أهل السنة والجماعة:

فخلاصة ما خلصت إليه كما يلي:

انقسم معظم الناس اليوم حتى في أوساط الصحوة الإسلامية إلى ثلاثة فرقاء:

الفريق الأول:

وهم المتعصبون لفكرة المذهبية: ويرى هؤلاء ، أن عدم التزام المذهب مثلبة في الدين! ويتدرج التعصب لدى بعض هؤلاء إلى حدود الغلو. حيث لا يحلون لرجل أن يعدل عن رأي من فروع آراء مذهبه إلى رأي آخر في أي مسألة من المسائل..! بل وصل الغلو حدوداً عجيبة أحياناً ، تظن معها أن القوم يتعاملون كما لو كانت المذاهب الأربعة (ضمن أهل السنة والجماعة) أدياناً أربعة بحد ذاتها. فوصل الحد لعدم الصلاة في جماعة واحدة ، ومنع التزاوج بين رجل وامرأة من مذهبين ، ناهيك عن حالات الخصومة والشجار والتقاتل..! وقد سجلت كتب التاريخ أن هذا البلاء ما زال منذ قديم الزمان . وقد بدأت حدة هذا التعصب تخف ، مع بقاءها في بعض بقاع بلاد المسلمين. نسأل الله العافية وقد سمعت عن شيء من هذا في بلادنا. ولكني رأيت من ذلك في أفغانستان وباكستان عجباً عجابا ..

الفريق الثاني:

وهم المتعصبون ضد المذهبية: من بعض الذين ينتسبون للتيار السلفي المعاصر، أو من يسمون أنفسهم أحياناً (أهل الحديث). وهؤلاء يرون عدم المذهبية مطلقاً ويتدرج عندهم التعصب أيضاً ليصل إلى حدود عجيبة من نقد المذاهب. بل وحتى كبار أئمة المذاهب

ونكران فضلهم. والتعدي على حرمات بعضهم، وغيبتهم وانتقاصهم. في حين ينظرون إلى مشايخهم المعاصرين بعين التعظيم ، ويرون فضل بعض المتأخرين من أئمتهم من بعض علماء (السلفية) المعاصرين. أو أهل الحديث ، أعظم من فضل أئمة المذاهب والعلماء عبر تاريخ الإسلام ! في حين قد لا يصل في حقيقة الأمر علم أفضل هؤلاء وتقواهم وسلوكهم ، إلى عشر معشار فضل أقل أولئك الأئمة الأعلام من الأقدمين رحمهم الله تعالى.

وعلى سبيل المثال فقد سمعت عن أحدهم يقول: (إن الإمام الشافعي ليبكي في قبره على ما فاته من دروس ابن باز وابن عثيمين) !! فلك أن تتأمل !!

وقد وصلت العلة في هذه المدرسة أن اتخذوا من بعض الشعارات، مثل قولهم بـ (فقه الدليل) و(العودة للكتاب والسنة) و (هم رجال ونحن رجال).. إلى حد من الغلو والعوج أصبح يشكل خطراً على الدين ذاته . ويجعل المرء يتحير ويترحم على المتعصبين للمذاهب ، الذين غالوا في عصبيتهم ولكن كان لهم سلف وإمام يعتد به على الأقل ، وبالتالي ميزان يلزمه الحجة. رغم عدم إقرارنا لغلوهم أيضا.

الفريق الثالث:

وهم المعتدلون من الفريقين الأولين. أعني المعتدلين من المذهبيين والسلفيين. وهم يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وأقرانهم من الأئمة المجتهدين. وأكثر هؤلاء من العلماء وطلاب العلم وغالبتهم يأخذون بمذهب من المذاهب ، مع أخذهم برأي مذهب آخر إن تبين لهم فيه رجحان الدليل. فهم لا يتعصبون لمذهب من جهة. ولا يفتحون الباب لكل من هب ودب ليعتدي على الشريعة بدعوى العمل بدليل الكتاب والسنة. ويعتقدون أن الأصل في العوام التقليد ، وفي طلاب العلم الإتباع ، وفي الراسخين في العلم الاجتهاد والترجيح.

وأعتقد أن هذا هو المنهج الوسط. وأضيف إلى ذلك عدداً من النقاط للإيضاح ، ولبيان وجهة نظري في المسألة والله المستعان وهو يهدى السبيل:

أولا: إن تراث المذاهب الأربعة التي تلقتها الأمة القرون تلو القرون بالرضا والقبول ، تراث هائل وإرث حضاري علمي شرعي متكامل يحق لأمة الإسلام أن تتيه به على غيرها من الأمم فخراً وعزاً. وهذا لا ينكره وينكر فضل الأئمة الأربعة وكبار تلاميذهم وأئمة مذاهبهم ومقامهم وسعة علومهم ، إلا مغرض يريد قطع الأمة عن جذورها. أو جاهل يهرف بما لا يعرف يردد أقاويل المغرضين.

ومجرد بعض الإطلاع على مستوى تحصيل أولئك الأئمة من علوم الشريعة الأساسية ، وفقههم وثاقب نظرهم ، وتقواهم في تحري الفتوى. والاجتهاد في تحصيل الحق وما كانوا عليه من الخُلق والديانة والصيانة. والبعد عن الدنيا ، وعن أبواب الحكام. يعرف شيئاً من فضل الله عليهم وامتنانه على الأمة بهم. ومن يطلع على الشروط الصارمة التي كانت موضوعة للفتوى في ذلك الزمان ، مثل بعض ما ورد في كتاب (إعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن القيم. الذي أورد فيه شروط كبار أئمة المذاهب للفتوى ، من حفظ كتاب الله برواياته وإتقان علومه من التفسير، وأسباب النزول ، والعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وغير ذلك من علوم. وكذلك أن يعلم من علوم الحديث مثل ذلك ، فيحفظ مئات آلاف الأحاديث بأسانيدها. ويعلم رواياتها وعللها وفقهها وشروحها ورواتها .. وكذلك أن يلم بالسيرة والمغازي وبتاريخ الأئمة والخلفاء والعلماء. وأن يحيط بآراء الفقهاء ومواطن الخلاف بين المذاهب دراسة ومقارنة ، وأن يعلم لغة العرب ويحفظ من تراثها شعراً ونثراً.. وأن يكون مطلعا ومدركا لعلوم عصره ، وإشكاليات أهل زمانه ومن سبقهم. ثم أن يكون مشهودا بالورع والتقوى ، والحلم والعلم ، والخلق والمروءة ، والريادة والسيادة ، والزهد في الدنيا وطلب الآخرة بعلمه وعمله..

وأن لا يكون من المتهمين بالتردد على أبواب السلاطين ومحاباتهم، إلى آخر تلك الصفات. فمن يطلع على مثل ذلك يعلم أن الأمة لم تقدم أولئك الأئمة لمنزلة الإتباع ، ولم توقر تلامذتهم و حملة مذهبهم من بعدهم من فراغ وعن عبث.. ويدرك إن أي محاولة للمقارنة بين منزلة أولئك وبعض الأئمة من المتأخرين، مجرد مقارنة سخيفة لا تستند لعلمية ولا واقعية ، مع الاحتفاظ بالاحترام والتقدير لعلم كل صاحب علم ، وجهد كل صاحب جهد.

ثانيا: هناك من الأئمة الكبار المجتهدين الأعلام ، مثل سفيان الثوري ، والأوزاعي ، وابن مبارك ، والشعبي، وسعيد بن جبير ... وسواهم رحمهم الله. ممن عاشوا في ذلك الزمان خلال القرن الثاني والثالث. من كان لهم تلك المنزلة كمجتهدين أصحاب مذاهب فقهية ومدارس في الاجتهاد. ولكن مذاهبهم لم تحفظ كتابة ، ولم تتطور لمرحلة المدرسة، كما حصل للمذاهب الأربعة. فما وصل إلينا من أقوالهم واجتهاداتهم وأدلتهم على ما ذهبوا إليه ، فإن له نفس المنزلة العلمية لدى من لديه الأهلية من أهل العلم للبحث والاستنباط.

ثالثا : جاء من بعد أولئك الأئمة الأعلام خلال العصور العلمية الذهبية ، وإلى القرن الثامن الهجري ، جاء علماء أفذاذ بلغوا مراتب الاجتهاد. ولكن غالبيتهم الساحقة اجتهدت على أصول مذهب (من المذاهب الأربعة) ، رغم أنه كان لهم بعض اختياراتهم الفقهية التي

خالفوا بها المذاهب الأخرى أو حتى مذهبهم الخاص. وكل تلك الآراء والفتاوى أيضا تراث علمي ،لا يقل منزلة عن غيره. ويعلم أهل العلم في كل زمان ومكان مكانة هذا التراث. وهم أدرى بالإفادة منه والرجوع إليه والصدور عنه.

رابعا: إن التزام عامة المسلمين بالمذاهب الأربعة عبر العصور، كان له – إلى جانب ما يسوق البعض من سلبيات حصر الاجتهاد وإغلاق بابه – كان له إيجابية عظيمة يعرف قيمتها من يطلع على حالة (الفلتان الفقهي) ، التي حصلت خلال القرن الأخير نتيجة المطالبة غير المنضبطة، (يفتح باب الاجتهاد) و (نبذ الالتزام بالمذاهب الأربعة) والعودة بالفقه والفتوى (بزعم مدرسة الدليل) إلى (اعتماد الكتاب والسنة مباشرة) والتشدق بشعار (هم رجال ونحن رجال) والقول بأن (المستجدات تقتضي فتح باب الاجتهاد على مصراعيه).

فقد مثل التزام الأمة بالمذاهب الأربعة عموماً. وبسيادة أحد هذه المذاهب في كل مملكة من الممالك ، أو بقعه من البقاع على مستوى الأقاليم ، أحد عوامل تماسك الأمة وتوحدها في آرائها الدينية. وانعكاس ذلك على التجانس والوحدة في باقي أمورها ، على صعيد الحكم والقضاء وفتاوى الدين والدنيا. حيث تقاسمت المذاهب الأربعة السيطرة على رقعة العالم الإسلامي.

فمشرق المسلمين من وسط الصين إلى تركستان ووسط آسيا إلى شبه القارة الهندية وباكستان وأفغانستان. بالإضافة إلى أكثرية المسلمين في الإتحاد السوفيتي. وكذلك تركيا والعراق والشام وأغلبية أهل السنة في إيران يسودهم مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله. وفي القفقاس غرب البحر الأسود وفي جنوب الشام والأردن وفلسطين ولبنان وإلى مصر وأطراف اليمن وجزيرة العرب ، يسود مذهب الإمام الجليل مُحَّد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى. كما ينتشر المذهب الشافعي في جنوب وشرق آسيا وجزر إندونيسيا.

ويسود مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، والذي عرف بمذهب (أهل المدينة) ، وينتشر في شمال أفريقيا من ليبيا إلى تونس والجزائر فالمغرب فموريتانيا. ومنها نزل إلى أواسط أفريقيا وكذلك ينتشر في عموم بلاد السودان.

في حين انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في بلاد نجد والحجاز وعموم بلاد الحرمين. وتبعه أكثر أصحاب مذهب أهل الحديث حيث وجدوا.

وقد عاش أتباع المذاهب الثلاثة مع المذهب السائد في كل منطقة بكل يسر وانسجام إجمالا. وكان لهم أئمتهم وعلماؤهم ومساجدهم ومراجعهم. وقد دُرِّست المذاهب الأربعة في مختلف المدارس الكبرى والحواضر العلمية عبر التاريخ في مختلف عواصم الإسلام. وسارت

الأمور بطبيعية وإيجابية ، رغم ما تخلل من إشكالات التعصب ، ونزغات الشيطان بالبشر بين حين وآخر، ودخول السياسة على دنيا العلم والعلماء. ونزوع بعض العلماء إلى أبواب السلاطين ليستقوا بهم على التعصب للمذاهب والأشخاص والآراء. ولكن الأمور بقيت منضبطة وانعكست خيراً على دين المسلمين ودنياهم..

خامسا: إن الدعاوى المعاصرة (لنبذ المذهبية) ولاسيما في القرن الأخير. بعد سقوط الخلافة وزوال مرجعية الأمة السياسية بهذه الطريقة التي تبناها كثير من أوساط أهل الحديث وما يسمي بـ (التيار السلفي) بهذه الطريقة التي حصلت وتحصل اليوم ، قد جلب من الأضرار أضعاف ما جلب من المنافع . ومن ذلك:

- إن فرار هؤلاء المزعوم من تفريق الأمة على مذاهب أربعة ، والسعي إلى توحيدها على مذهب (الحق والدليل) ، ومصدرين هما (الكتاب والسنة) . جاء رغم الحق النظري الذي يستند إليه ، بنتيجة عكسية مرعبة ، والواقع أكبر شاهد...
- فقد تصدر للفتوى بحسب هذه المدرسة علماء كثيرون. وحتى لو تجاوزنا عن المقارنة غير الممكنة بين مستواهم العلمي ومستوى الأئمة الأوائل. بل حتى مع المتأخرين من فطاحل أئمة المذاهب، وقبلنا أهلية هؤلاء. لوجدنا أن الخرق قد أتسع على الراقع. فهم اقتحموا مجال الاستنباط والاجتهاد من نفس الأدلة التي عالجها

أئمة المذاهب. وخرجوا إما بترجيحات بين تلك الآراء أو بآراء جديدة وفتاوى مختلفة. ولأن تعدد الفتاوى ناتج عن تعدد الأفهام والعقول واختلافها.. برز اليوم كثيرون هنا وهناك ، كأئمة لمدرسة فقه الدليل ، فلان أوعلان ، وابن فلان ، وأبو علان .. من هؤلاء المشاهير اليوم في كل قطر ومملكة.. وهكذا تعدد الأئمة أكثر. وصار لكل إمام جديد تلاميذ وأتباع ومتعصبون. ووجدنا أنفسنا أمام متعصبين جدد لعشرات الأئمة ، بدل أن كنا أمام الانقسام على مذاهب أربعة.

- هذا ناهيك عن أن عملية الترجيح بين المذاهب ذاتها افتقرت إلى العلمية. فمن المعلوم أن الحكم يجب أن يكون بمستوى من يحكم بينهم علمياً ، أو أن يرجح عليهم علماً وفهماً حتى يحكم بالعلم والحق لرجحان هذا أو ذاك. ولكن الجميع مسلم بأن هذا غير متوفر للغالبية الساحقة لعلماء هذا الزمان. الذي يقلون عن أولئك علماً وتقيً وفهماً وديناً. فأين الفوائد التي ارتجيت من حل إشكال التمذهب على أربعة بالتمذهب على العشرات والمئات.
- إن فتح باب العودة لدليل الكتاب والسنة لم تقف مصيبته عند ولادة عشرات الأئمة المعاصرين ومدارسهم وأتباعهم المتعصبين لهم فالمصيبة هنا هينة. إذ أنهم في الغالب علماء أو على قدر كبير من العلم والمعرفة وضوابط الفتوى. ولكن منهج التيار السلفي

المعاصر فتح للجميع أن يمارس هذه المهمة. والمعروف السائد في معظم أوساط التيار السلفي. أقول (معظم) وليس (كل) ، هو تجرأ الكبير والصغير من طلاب العلم على ذلك وعلى التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، مما ولد ظاهرة (الجرءاء على النار) ، وعلى الفتوى بلا عقل ولا دين.. ولا خلق أحياناً. إننا بهذا إمام حالة (فلتان فقهي) كما سميتها وتشرذم علمي واجتماعي وديني. ولا أظن أن صاحب دين أو عقل يقر هذا المآل. إننا اليوم أمام مئات وقل آلاف وقل عشرات آلاف طلاب العلم المزعومين. ولاسيما في مدارس الصحوة الإسلامية وخاصة العربية (حيث ما زال غلب الأعاجم يقرون بالاحترام لعلمائهم ومذاهبهم إلا في أوساط ظاهرة -أهل الحديث- وما أسمي بالسلفية المعاصرة عندهم. فقد نقل العرب إليهم داءهم هذا باجتراء الكبير والصغير على الفتوى. والعجيب أننا في القرن العشرين والحادي والعشرين نقول أننا في زمان العلمية والواقعية واحترام الاختصاص. وإرجاع المسائل لأصحابها والعلوم لأربابها. ولكن هذا المذهب الجديد متعدد المدارس والمراجع بشكل غير منضبط والذي سمى أصحابه أنفسهم في كثير من الحالات (سلفية). ومعاذ الله أن تصح نسبته لسلف هذه الأمة وعلومهم وأخلاقهم وتدينهم وتقواهم وورعهم . إن هذا المذهب الفقهي المعاصر أقر وتعارف

رواده من طلاب علم وجهلاء على أن يتجرأ كائناً من كان على فتح بطون كتب الشريعة ليستخرج الأحكام. ووالله لدي قصص وشواهد تصل لحد الكارثة من خلال مواكبتي لهذه الصحوة الإسلامية على مر ربع قرن ولاسيما بعض أتباعنا الأحداث من أتباع السلفية الجهادية. الذين آذوا مدرستنا ونفعوا العدو بجهلهم، ولكني أعرض عن ذكرها لتفاهة قصصها وخشية الإطالة. وإن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر.

ولكني أؤكد على نقطة بالغة الخطورة والأهمية وهي أن هذا البلاء المبين بإطلاق يد الحابل والنابل في دنيا الدين والفتوى بزعم عدم التمذهب وفقه الدليل ، والعودة للكتاب والسنة ، وشعار (هم رجال ونحن رجال)، وغير ذلك مما يردده أغرار هذا التيار ومن غرر بهم ، قد كان له أثراً سيئاً على مختلف وجوه التدين ومرافق حياة الأمة ، ولكنه لما وصل إلى أوساط الصحوة الإسلامية ، والتيار الجهادي الذي أخذ (بالسلفية الجهادية). وأكمل مناهجه على يد قادة أفذاذ وعلماء مرموقين فيها في البداية. وصل اليوم بالظاهرة لدى بعضهم إلى حد ينذر بالكارثة .

فلئن اجترأ المفتون الأغرار من الصغار هؤلاء على أمور الدين العادية من عبادات ومعاملات ومواريث وسواها ، فقصارى الضرر العائد على الناس هو بعض الأخطاء في العبادة أو ضياع لبعض

الحقوق في المعاملات. ولكن ميدان الفتوى في الجهاد هو أخطر الأمور الخطيرة . إنه الحكم في خمسة أمور:

(1) – أديان النـاس وعقائـدهم ، وانتمـاءهم للإسـلام أو الكفـر ، أو الردة أو النفاق ، أو البدعة والفسوق..الخ

(2) – الحكم في الدماء ، واستباحة قتل من تجوز أو توجب الشريعة قتله.

(3) – الحكم في الأموال ، وما يحل أخذه وما لا يحل.

(4) – الحكم في الأعراض ، وما يحل منها وما يحرم.

(5) – الحكـم في قضـايا الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر وطـرق إزالته، قولا وفعلا.

ولك أن تتخيل الكارثة إذن. لما وسد الأمر لغير أهله. وتنتظر الساعة التي ظهرت معظم أشرا طها الصغرى والوسطى. ومنها ما نحن بصدده ، وما نشهده ونعانيه.

ولا أشك قيد أنملة في أن الجرم الأكبر في هذا ، هو بسبب إعراض العلماء عن الجهاد. وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وترك ساحته للمخلصين من الشباب ، الذين يبرز فيهم من هو أهل ومن ليس أهلاً ، للخوض فيما كان يجب أن يكون عمل ومسؤولية عقلاء الأمة وعلمائها و وقادة صحوتها ..

هذا ناهيك عن الدور القبيح الذي يقوم به علماء السلطان والفاسدون من قيادات الصحوة الإسلامية الذين احترفوا الإرتزاق نفاقا للحكام ، بل و للاستعمار الأمريكي الجديد اليوم. مما له أكبر الأثر في الصد عن سبيل الله. وتجرئة الأحداث على سد ثغرة عمل العلماء بلا أهلية. والله المستعان على هذه النوازل.

فبماذا تجيب شاباً تمنعه من الفتوى والجهد في طلب العلم والدليل لأنه غير أهل ، إذا قال لك من يفتيني إذن ؟!.. سؤال صحيح محز لأولئك (الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار). فالصالحون من العلماء اليوم هم الساكتون المعتزلون. وأما شرارهم فابحث عنهم في أبواب السلاطين. وموائد حوارات مكافحة الإرهاب والجهاد على فضائيات ومقاهي ندوات الإنترنيت ! وإلى الله المشتكى..

إننا نسير إلى عالم الهرج والفتن التي تضاهي بسوادها ، سواد الليل ظلمةً ويتبع بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم.. وهذه إحدى مظاهرها.

والشهادة لله. فلقد شهدت بصحبة للتيار الجهادي في هذا المجال أعاجيب ، بلغت في بعض التجارب كتجربة الجهاد في الجزائر أن تكون أهوالاً. مما شهدت بعضه بنفسي في لندن ، أو سمعت به ممن شهده مما حصل في الجزائر. فإلى الله المشتكى.

وها هو عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق يفتتح بما يشيب له الولدان ويحتار معه الحكيم العاقل.

سادسا: نعم لقد استجدت آلاف المسائل المعاصرة في هذه العصور ، مما لم يكن في زمان من قبلنا. وهي تحتاج إلى اجتهاد المجتهدين. ولكن من قال أنه يلزم من ذلك نسف تراث المذاهب. وكيف سيجتهدون إذا لم يبنوا على أصول مدارسها الشامخة. ثم العجب العجاب من هذا التيار السلفي المعاصر المزعوم ، أنه لم يتصد لهذه الثغرة الشاغرة من الاجتهاد في فقه المستجدات والنوازل. وإنما يعود للاجتهاد في مسائل العبادات وبعض المعاملات التي رصفت فيها رفوف المكتبة الإسلامية بآلاف المجلدات والبحوث. وانظر في تراث وفتاوى أئمة السلفية المعاصرين ، وأين هي من أهم النوازل مسائل السياسة والحكم والأنظمة القائمة ، وفتاوى دفع الصائل. ومسائل الإقتصاد السياسي المعاصر، والمسائل العلمية الجديدة ...الخ. هنالك لا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا .

وأذكر ذات مرة أن أحد طلاب العلم المجاهدين – رحمه الله – وهو من بلاد الحرمين وأظنه استشهد في (مذبحة قلعة جانغي) في مزار شريف في معارك سقوط إمارة أفغانستان.. انفجر مرة أمامي. وقال لي: لقد جريت طلب العلم في المدينة وسواها مرات ، وحصلت في ذلك علماً. ولكني رأيت أن أكثر علمائنا قد دخل في دروسه الحمَّام وما خرج منها..) .

يقصد الإعادة والتكرار في فقه الطهارة وأحكامها والإعادة والزيادة فيها وحولها). ولِمن يستنكر ، أن يحصي الدروس العلمية هناك، ويتابع برامج الفتاوى والدروس الشرعية على الفضائيات ، في بلاد الحرمين ، وفي سواها من البلدان وينظر فيها كتباً وأشرطة وفي مواضيعها..

نعم إننا بحاجة للاجتهاد المعاصر، وبحاجة لفتح باب الاجتهاد. ولكن ممن قِبل منْ ؟ وفي ماذا ؟ وكيف؟ .. فليجيبنا أرباب العلم والسماحة والشعائر الدينية في هذا الزمان عن ذلك !

والخلاصة التي خرجت فيها من هذه المسألة ألخصها في نقاط صغيرة موجزة.

فالناس كما ذكر ذلك أهل العلم ، في مسألة أتباع المذاهب أو الاجتهاد ثلاثة أصناف:

مجتهد: استكمل شروط الاجتهاد وأهلية العلم والفهم . فلهذا أنه يجتهد ويستنبط ويفتي بالدليل.. وما أراهم في زماننا هذا رغم من يزعم غير ذلك إلا أندر من النادر.

متبع: لمجتهد قادر على تميز الأدلة. ولهذا أن يسعى بفهمه أنه يتبع ما تبين له فيه دليل منسوب لإمام ذي قدر معروف.

عامي جاهل بقواعد الدين : هو على رأي مفتية مجتهداً إن كان مجتهداً أو متبعاً ينقل له فتوى واجتهاد مجتهد.

فالخير للأمة – بحسب ما أعتقد – في أن تعود لمنهج السلف في المعتقد. وأن تلتزم فقه المذاهب الأربعة، وفقه علماء هذه الأمة السابقين الذين شهدت لهم الأمة بالرسوخ في العلم والتقى والصلاح. وعملياً.. أنصح الشباب وطلاب العلم بعد نصيحتهم باعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد. وهو اعتقاد الفرق الناجية ومذهب الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسواهم من أعلام هذه الأمة.

كما أنصحهم بأن يتفقهوا على مذهب من المذاهب يختارونه. وأنصحهم ولا سيما شباب الصحوة والجهاد بأن يتفقهوا على أحد المذاهب السائدة في مكان إقامتهم ودعوتهم وعملهم وجهادهم. حتى لا يحول شذوذهم عما ألف الناس من الفقه والأحكام بينهم وبين الناس. فإن اختاروا مذهباً غير المذهب السائد في مكان عيشهم. فلا أقل من الدراسة والتفقه للمذهب السائد أيضاً ليعاملوا الناس بما ألفوه. ويأخذوا بأيديهم بالحسنى والرحمة والموعظة الحسنة.

فإذا ما قيض التوفيق والنجاح لبعضهم و فتح عليه بالعلم. فليبدأ بالتخصص كطالب علم. فيترقى في دراسة المذاهب الأربعة. ثم يسير صعداً لعل الله ينعم على هذه الأمة بالمجتهدين الأثبات في زمان الفتن هذا. وهذا القصد ؛ طلب العلم. يحتاج السنين الطوال والدأب والظروف المناسبة.

وأعيد اختصار خلاصة رأيي كنصيحة لمن أخذ بها في كلمتين :

أنا مع دعوة الأمة لعقيدة السلف ، وأعذر وأحترام من أخذ بمنهج الخلف ، والتأدب بأدب الخلاف معهم واعتبارهم من أهل السنة ، وأن أخطاءهم مردودة ولا تخرجهم من أهل السنة .

و أنا مع أتباع أحد المذاهب الأربعة. فأنا مع المذهبية المعتدلة التي لا تتعصب للمذهب. وتتبع ما تبين لأهل العلم فيه الدليل الثابت ولو من مذهب آخر من مذاهب أئمة أهل السنة بغية الحق ، ولاسيما للضرورة والمصلحة الظاهرة. لا بغية الترخص والتساهل. والله الموفق.

عاشرا: مسألة (التكفير) ، أحكام التكفير العامة ، وقضية تكفير المعين:

الحقيقة أني تفكرت مليا قبل أن أضمن هذه المسألة ضمن مسائل المنهج ، وذلك لأنها مسألة شائكة ولا يمكن تغطيتها بإحكام إلا بالتفصيل والإفاضة ، وهو مالا يحتمله الكتاب. ولكن لخطورة ما تفشى في أوساط بعض الجهاديين من إشكالات وشطط في بعض الأحيان في هذه المسألة ، حيث توسع البعض في التكفير. ولخطورة الظاهرة المعاكسة التي تفشت في أوساط الصحوة الإسلامية وأوساط

علماء المسلمين وهو الإرجاء المفرط ولاسيما الإرجاء السياسي ، فرارا من التكفير ..، لهاتين المصيبتين رأيت أن أعرض للمسألة. لأنها مسألة من صميم مسائل العقيدة القالية ، ومن مسائل دائرة الصراع عندما يتعلق الأمر بقطعان كبيرة من البشر تدعي الإسلام ثم تحمل علينا السلاح وتقاتلنا مع الجيوش الكافرة ، وتدعي الإسلام ثم تحارب بكل وسيلة من يريد أن تحيا الأمة وفق مقتضاه ..

ولقد وجدت فيما فصله شارح العقيدة الطحاوية – رحمه الله – إيجازا كافيا واضحا يشتمل على القواعد الأساسية في هذه المسألة الخطيرة. وكتابه رحمه الله منتشر مشهور وهو من الكتب التي كتب الله لها القبول في جمهور الأمة عبر القرون ولاسيما في أيامنا هذه وفي مختلف أوساط الصحوة.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: [**قوله ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين**].

(شرح) قال رسول الله ﷺ : (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا) ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الى ان الإسلام والإيمان واحد. وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله. والمراد بقوله أهل

قبلتنا من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة ، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي **ما** لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. وعند قوله والإسلام والإيمان واحد وأهله في أصله سواء.

قوله : [ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله] .

(ش) يشير الشيخ رحمه الله الى الكف عن كلام المتكلمين الباطل وذم علمهم فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى. وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه. (...).

قوله : [ولا نجادل في القرآن ونشهد انه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين مُحَمَّد وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين] .

(ش) فقوله ولا نجادل في القرآن: يحتمل أنه أراد أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق بل نقول إنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين الى آخر كلامه. (...) .

والله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم فكيف بمناظرة أهل القبلة فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي احسن وليس إذا اخطأ يقال إنه كافر بل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ولهذا ذم السلف أهل الأهواء وذكروا أن آخر امرهم السيف.

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى عند قول الشيخ ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا (...) .

قوله: [ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله]

(شرح) أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين. يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق وتشتتت فيه الأهواء والآراء وتعارضت فيه دلائلهم. فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية. فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة احدا فتنفي التكفير نفيا عاما. مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع. وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين. وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا. والنفاق والردة

مظنتها البدع والفجور كما ذكره الخلاّل في كتاب السنة بسنده الى مُحَّد بن سيرين أنه قال: (إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء) وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**). ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر احدا بذنب بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب ، كما تفعله الخوارج. وفرق بين النفي العام ونفي العموم . والواجب إنما هو نفي العموم. مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب. ولهذا والله أعلم قيده الشيخ رحمه الله بقوله : (ما لم يستحله) وفي قوله ما لم يستحله إشارة الى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية ، وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل. وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك .

وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه... رد على المرجئة ؛ فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب

كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف . فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير. وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر. والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين. وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار. وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولا . فيقولون يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره ، أو يقولون يكفر كل مبتدع وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة. فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك.

والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ وأهل الكبائر في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون. والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس فإن الرجل

يكون مؤمنا باطنا وظاهرا لكن تأول تأويلا اخطأ فيه ، إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا. فلا يقال إن إيمانه حبط لمجرد ذلك ، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي. بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة.

ولا نقول لا يكفر ، بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر. ويقال من قالها فهو كافر. ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال. وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة ، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها ... وعن أبي يوسف رحمة الله أنه قال ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة حتى اتفق رأيي ورأيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة. فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النهي عن البغي وذكر فيه عن أبي هريرة ﷺ قال: (سمعت رسول الله يقول كان رجلان في بني إسرائيل متواخين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر. فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا ، فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا ، وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر اذهبوا به الى النار. قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته) وهو حديث حسن.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له. ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص. ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله ، كما غفر للذي قال إذا مت فاسحقوني ثم اذروني ثم غفر الله له لخشيته وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته أو شك في ذلك. لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه.

ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا.

فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا. وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب ، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين. وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا. وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا. وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق .

وهنا يظهر غلط الطرفين. فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن ، يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين ، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله. وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر ﵁ عن عمر: (أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما

يؤتى به فقال رسول الله لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) .

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها. ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير. **فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.**

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله وهو أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفرا . قال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) متفق عليه. من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال : (**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**). و(إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) متفق عليهما من حديث ابن عمرو رضي الله عنه. وقال: (**أربع من كن فيه كان**

منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. وقال : **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)** والتوبة معروضة بعد. وقال: (**بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة**) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه. وقال: (**من أتى كاهنا فصدقه أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد**). وقال: (**من حلف بغير الله فقد كفر**) رواه الحاكم بهذا اللفظ. وقال: (**ثنتان في أمتي بهم كفر الطعن في الأنساب والنياحة على الميت**). ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال ولا يقبل عفو ولي القصاص ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين ، كما قالت المعتزلة ، فإن قولهم باطل أيضا. إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى..**) إلى أن قال: (**فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف**). فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص. والمراد أخوة الدين بلا ريب. وقال تعالى: (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**) الى أن قال: (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**). ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: (**من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقي في النار**) أخرجاه في الصحيحين فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه . وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: (**ما تعدون المفلس فيكم قالوا المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار قال المفلس من**

يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال فيأتي وقد شتم هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وقذف هذا وضرب هذا فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم. وقد قال تعالى : (**إن الحسنات يذهبن السيئات**). فدل ذلك على أنه في حال الإساءة يعمل حسنات تمحو سيئاته وهذا مبسوط في موضعه. والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج نسميه كافرا وقالت المعتزلة نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط. وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به النصوص ، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة. وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين. ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد ، وهو أنه هل يكون الكفر على مراتب كفرا دون كفر كما اختلفوا هل يكون الإيمان على مراتب إيمانا دون إيمان ، وهذا الاختلاف نشا من اختلافهم في مسمى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافرا نسميه كافرا إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر ، ولكن من قال إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال: هو كفر عملي لا اعتقادي. والكفر عنده على مراتب كفر دون كفر، كالإيمان عنده. ومن قال إن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان ، والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان. قال هو كفر مجازي غير حقيقي. إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان كقوله تعالى: (**وما كان الله ليضيع إيمانكم**). أي صلاتكم إلى بيت المقدس أنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها عن الإيمان أو لدلالتها على الإيمان إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنا. ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا. فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب

الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة. ولكن أردأ ما في ذلك التعصب على من يضادهم وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه والتشنيع عليه.

وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين وأن يجادلوا بالتي هي أحسن فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف. قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾.

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ويكون كفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة. فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا أو كفرا أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطيء له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور.

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات** ﴾. فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب ﷺ ، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على استحلالها قتلوا. وقال عمر لقدامة أخطأت إستك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال بعض الصحابة فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر، فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين كما كان من أمر استقبال بيت المقدس ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك يذمون على أنهم أخطوا وآيسوا من التوبة فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿ **حم تنزيل الكتاب من العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب** ﴾. ما أدري أي ذنبيك أعظم

استحلالك المحرم أولا أم يأسك من رحمة الله ثانيا. وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام] اهـ.

انتهى كلامه رحمه الله وفيه من البيان ما يغني عن الشرح والتوضيح.

وأختم الفقرة بما قاله حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه (التفرقة بين الإيمان والزندقة) قال: (**الذي ينبغي ؛ الاحتراز عن التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد**). والله تعالى أعلم.

أنقل هذا ليستزيد المجاهدون وطلاب العلم منهم في هذا الأمر حيطة لدينهم وألسنتهم ، في الحكم على أديان الناس ولاسيما عوام المسلمين. لا لتكون حجة للمرجئة وغلاة أذنابهم في زماننا ، قاتلهم الله. ففي رسائل كتابي هذا ما يكفي للدلالة على حضي على جهاد الكفار الغزاة وأذنابهم من المرتدين وجنودهم وأعوانهم **بالسيف والسنان** وعلى تكفير من شرع وحكم بغير ما أنزل الله ، وكذلك تكفير من أعان الكافرين وظاهرهم على المسلمين من الحكام المرتدين أو من فعل ذلك من جنودهم وعساكرهم. ومثلهم أيضا أئمة الكفر من

العلمانيين الطاعنين في دين الله. وكذلك حضي على عدم الغفلة عن جهاد علمائهم ووسائل إعلامهم وبرامج حرب الأفكار التي اخترعوها بالحجة والبيان.

وأنصح المجاهدين ختاما بأن يتركوا الخوض في هذه المسائل للعلماء وطلاب العلم القادرين على الخوض في خضمها الصعب ، وينصرفوا إلى قتال أعداء الله تطبيقا لما استيقنوه من هذه الفريضة المتعينة على كل مسلم اليوم.

وفي ختام هذا الباب أؤكد على أن العقيدة الإسلامية ، وما يتفرع عنها من العقيدة الجهادية .. أساس كل حركة وسلوك لدى المؤمن المجاهد. وبقدر وضوحها في قلب المؤمن وعقله يكون مستوى سلوكه في هذه الحياة ومواقفه مما يعترضه فيها.

إن آثار وضوح هذه العقيدة ووجودها ورسوخها لا تخفى. ولها بالغ الأثر في إيجاد المؤمن الصالح الخلوق. والمجاهد العقائدي الثابت بفضل الله. كما أن آثار زوالها وتشوهها لا تخفى. ولها بالغ الأثر في تدرج الناس في دركات الفسوق والضلال والضعف والهوان كما نعيشه ونلمسه اليوم بكل وضوح. ومن هنا البداية. ورحم الله من قال: لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها.

الفصل الثامن

الباب الثاني

(أسس النظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية)

إذا أردنا أن نقيم نظريتنا السياسية بناء على دراسة أوجه القصور أو الفشل ، في الطروحات السياسية للتجارب الجهادية السابقة. سنجد للأسف أن معظم التجارب الجهادية لم يكن لديها نظريات سياسية مفصلة ، ولا موجزة في بعض التجارب وللأسف. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفارق بين الهدف السياسي الرئيسي للتنظيمات الجهادية (وهو إسقاط الأنظمة القائمة وإقامة نظام إسلامي) وبين الهدف من دعوة المقاومة وهو (دفع صائل المحتل الغازي ومن يعاونه). ولذلك ندخل في تحديد معالم نظريتنا السياسية مباشرة ، دون التعرض لأوجه قصور التجارب السابقة. والله الموفق.

- **أولاً: مدخل ومبادئ عامة:**

قبل الدخول في الحديث عن النظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية ، من المفيد أن نعرض لجملة من التعريفات والمفاهيم السياسية ، مما يساعد على فهم نظريتنا والأسس التي بنيت عليها.

(1) – مكانة السياسية الشرعية:

السياسة علم وفن وجد منذ وجد البشر. وقد تطورت منذ قديم الزمان ، إلى أن وصلنا إلى هذه العصور الحديثة التي أصبح مدار حركة البشر ومصالحهم عليها وعلى تعلقاتها. والسياسة لدي غير المسلمين تختلف عنها كما هي عندنا. ومن أوجز التعبير التي وجدتها تعلق على حقيقتها عندهم ، ما قاله (مونتغمري) القائد العسكري الإنكليزي الشهير في الحرب العالمية الثانية ، عندما قال :

(**الحرب عمل قذر.. وأما السياسة فيا الله !**) .. ويكفي أنهم أقاموها على قولهم ..

(**ليس في السياسة علاقات دائمة.. ليس في السياسة مبادئ دائمة.. في السياسة مصالح دائمة..**).

وقد أصبح مدار السياسة اليوم ، مع سيطرة قوى الكفر والظلم والطغيان في العالم الكافر، وكذلك في عالمنا المسمى مجازاً (إسلامي) على حد سواء ، على الأسس (**الميكافيلية**) ، التي تهدم أمام المصالح والأغراض والأهواء كل دين وخلق ومبدأ. حيث لا يعتبر نكث

العهود ، وتغير المواقف ونقض المبادئ ، وهتك أساسيات الأخلاق عيباً. لأنه صار عرفاً متعارفاً عليه.

ولكن السياسة لدينا نحن المسلمين شيء آخر. مثلها مثل كافة أوجه نشاط الإنسان على هذه البسيطة. فهي محكومة بأحكام شرعية وداخلة في قوله تعالى: (**ما فرطنا في الكتاب من شيء**) ، وقوله سبحانه: (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**). ومن هنا اصطلح على أصولها وعلومها وما يتعلق بها عند المسلمين ؛ مصطلح **(السياسة الشرعية)**.

وقد احتل هذا العلم بين علوم الشريعة مكانة مرموقة. وألفت فيه الكتب منذ صدر الإسلام. وقد تناول قواعده العلماء بأقوال تجدها مبثوثةً في مختلف كتبهم مفرقةً بين علوم أخرى كما هو دأب الأقدمين. ثم بدأ يتناول منفصلا مع استقرار الخلافة الإسلامية وتطورها ، وتحولها إلى الحجم الإمبراطوري في العصر الأموي ثم العباسي وما بعده ، وتعامل السلاطين والعلماء مع مختلف المسائل ، التي طرأت بتعدد الشعوب الإسلامية ، وحدوث المسائل والحاجة للتقنين ، وسياسة (الدين والدنيا) كما أسموها لدي المسلمين ، وكذلك الحاجة للتعامل مع الخلافات والإشكالات السياسية.. الخ ذلك. بدأت علوم السياسة الشرعية تتطور، فبدأ العلماء يصنفون في علم السياسة الشرعية كتبا مستقلة ومبوبه. بحيث غطت كافة مجالات

علاقات الحاكم بالمحكوم ، وما ينجم عن ذلك من أوجه اتفاق وخلاف. وكذلك علاقات المسلمين بغير المسلمين ، من المقيمين بينهم. وعلاقاتهم مع الكفار في حالات الحرب والسلم ، والعهد والأمان وسوى ذلك.

فتركوا لنا تراثاً هائلاً ومراجع في غاية الروعة والموسوعية تشكل مرجعاً في غاية الاتساع ، ومنطلقاً يتكيء عليه المجتهدون اليوم لأخذ الأحكام التي تتكرر معطياتها وأسبابها ، وللإتكاء عليها في الاجتهاد والاستنباط والقياس فيما جدت فيه أوجه المسائل.

أحكام السياسة الشرعية هي : أحكام شريعة + فقه واقع و معطيات سياسة

(2) – العلاقة بين الشريعة والسياسة هي علاقة الثابت بالمتحول:

والفتوى والحكم في مسائل السياسة الشرعية ، مثلها مثل كل منطلقات كل فتوى ، مركبة من معرفة أحكام الشريعة الثابتة وأصولها وقواعدها ، ثم معرفة تفاصيل الواقعة المطلوب الحكم فيها ، ثم تطبيق تلك الأحكام بعد العلم على تلك الواقعة بعد الفهم ، فيصل المفتي إلى الاجتهاد الصحيح أو الذي يكون على الأقل فيه بين أجر المخطئ وأجري المصيب.

والأحكام الشرعية نوعان ؛ نوع ثابت لا تبديل فيه لثبات الأسباب ومناطات الأحكام ، مثل مسائل أحكام العبادات والمواريث، وكثير من أحكام المعاملات والبيوع ... إلخ. فلا تتبدل فيها الأحكام قديماً ولا حديثاً. ونوع يتعلق بتطور أوجه نشاط البشر وحدوث المسائل. مثل كثير من أحكام المعاملات والتجارات والمسائل المالية المستحدثة على سبيل المثال.

وتأتي السياسة في طليعة الأمور التي ضبطت فيها الشريعة الأحكام ،ضمن خطوط عريضة. وعلقت فيها كثير من الأمور على مترتبات نتائج المصالح والمفاسد. وتقديرات أهل الرأي والتجربة والخبرة. بحيث يكون العمل حلالاً مشروعاً بشروط أسباب معينة يقدرها أهل المعرفة فيها ، وقد يكون حراماً إذا أنتفت تلك الشروط ، بناءً على نفس القواعد الشرعية. وكذلك فهي من الأبواب التي يتسع فيها القياس ، واستصحاب الظروف والأحوال ، والاستحسان والعرف. كما يتسع فيها باب المصالح المرسلة ، وأحكام الضرورات ... ولذلك فإنها تحتاج من المتصدرين لها إلى أن يجمعوا ثلاثة أمور مجتمعة :

أولها علم بالشريعة. وثانيها فقه في الواقع. وثالثها تقوى عالية تنزههم عن الهوى. ولنضرب أمثلة مما يألف الناس أحدهما من الأحكام الثابتة وثانيهما من المتحولة..

فأحكام الطهارة والعبادات كلها ثابتة فكل حدث ينقض الطهارة يحصل مع الإنسان اليوم كما يحصل مع كل إنسان منذ خلق الله. فثبتت الأحكام. وأحكام العبادات كلها توقيفية وتفصيلية.

ولنضرب مثلاً عن المتحول ، بقاعدة الخروج على الحاكم الكافر الذي بدا منه الكفر البواح والنص صريح صحيح في الكتاب والسنة. ولكن الفقهاء قالوا في الفتوى الشهرة المنقولة عن القاضي عياض. إذا كفر الحاكم وارتد بخروج المسلمين عليه وخلعه إن ظنوا القدرة على ذلك!

فمن الذي يقدر ظن القدرة ! وهل تستوي فيها أفهام الناس ؟ وكم من العوامل تتشابك في ذلك وتبدل تقديراتهم ؟ وكم يحتاج هذا للفهم والضبط والتقوى والسلامة من الهوى. وقل مثل ذلك عن مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فريضة. وقد شرطها العلماء لذلك بأن ينتج عنها معروف ولا ينتج عن الأمر منكر أكبر، فتصير حراماً.. فمن الذي يقدر النتائج حتى يحل شكلا من أشكال الأمر والنهي أو يحرمه ؟!. وهكذا الاستعانة بغير المسلم في دفع الصائل على المسلمين. حيث اتفق العلماء كلهم حتى من حرم الإستعانة بغير المسلم في الجهاد مثل الظاهرية وغيرهم ، اتفقوا على أنه إذا أشف أهل الإسلام على الهلكة ؛ جاز بالاتفاق. وفي غير هذه الحالة ، جاز عند البعض واختلف آخرون..، فما مناطات الحكم في

تلك الأحكام؟ إنها تقديرات العدول الأتقياء ، أصحاب الخبرة والتجربة من أولي الأحلام والنهى ورؤوس الناس وعلماؤهم الأتقياء!..

فالشريعة وأحكامها ثابتة. تطبيق على واقع حركة البشر ونواياهم وقلوبهم وسلوكهم ، وكلها متحولة. فتكون النتيجة أن أحكام السياسة الشرعية مرنة متحولة ، ضمن إطار ثبات عموم أساسيات أصول الشريعة. ولذلك كان القول فيها من أدق وأصعب الأمور. وربما كان هذا أصعب أبواب الفقه والفتوى وأخطرها على الإطلاق.

(3) – أعمال المقاومة ومجالاتها: فريضة شرعية وأحكام شرعية وحقيقة سياسية :

عرف المعاصرون من علماء الاجتماع والسياسة (الحرب) ؛ بأنها: هي السياسة بأساليب عنيفة. وهذا صحيح. فكل الحروب والصراعات ، هي الوجه العنيف للعلاقات السياسية ، عندما تنقطع سبل التفاهم بالوسائل الدبلوماسية والسياسية.

وقالوا بأن الحروب هي وسائل السياسة ، وهذا صحيح أيضاً. وإذا نظرنا إلى نظير ذلك لدينا معشر المسلمين ومن منظور أحكام شريعتنا لوجدنا ذلك صحيحاً. فالجهاد فريضة شرعية ، وأحكام دينية ولكن قواعده وأصوله وما ينجم عنه ، سواءً كان جهاد طلب أم

جهاد دفع ، هو مجال للعلاقات السياسية بالعدو والصديق. وتنجم عنه أوجه نشاط وعلاقات كلها ذات طبيعة سياسية.

فإذا ما جئنا لموضوعنا. وهو **المقاومة.. مقاومة قوى الإستعمار** الصائل علينا ، الهاجم علينا بمخططات شاملة لكل أوجه النشاط البشري والمكونات الحضارية. لوجدنا أن المقاومة (عمل سياسي) ، بكل ما لهذا التعريف الموجز جداً من معني وأبعاد. ولا يمكن لأعمال المقاومة بمفهومها الشامل أن تحقق هدفاً ، وأن يكون لها نتيجة بدون برنامج استثمار سياسي ، للتضحيات الجهادية والأعمال العسكرية، التي يجب أن تبرمج كلها بحيث تكون وسيلة لهدف.

فالوسيلة العسكرية هي من أجل دحر الغزاة ، وإخراجهم من بلادنا ، وصرف كيدهم عنا ، وإسقاط أنظمة حلفائهم ، وإقامة أنظمتنا الشرعية المستقلة.. فهي وسيلة لأهداف كلها سياسية!

ولأنها محكومة بثوابت شريعتنا ، فإنا نعرف المقاومة بأنها:

(**أعمال الجهاد المسلح لتحقق أهداف سياسية شرعية.لدفع صائل العدو ولإعلاء كلمة الله ورفع رايته وتحكيم شرعه**). وبذلك تكون المقاومة جهاداً في سبيل الله. والقتل تحت رايتها شهادة في سبيل الله. مقبولة لدي الله سبحانه وتعالى برحمته وفضله.

(4)– أعمال المقاومة نوع من حروب العصابات. وهي عمل سياسي:

أسلوب حروب العصابات ، فن استراتيجي مكون من تكتيكات عسكرية أصبحت معروفة ومدروسة. وصارت علماً له أصوله. حيث يوظف الضعيف أعماله ضمن إمكانياته القليلة ، من أجل إجهاد الخصم عبر الحرب الطويلة المدى لإدخال في أوضاع سياسية تضعه أمام خيار الانسحاب أو الانهيار من داخله.

ولم تكن حروب العصابات أبداً في تاريخها كله ، حروب تدمير شامل لقوى الخصم وجيوشه من أجل كسب الحرب. بل لم تعد معظم الحروب في العصور الحديثة ، تنهي الصراع بالدمار المادي للخصم إلا في حالات نادرة جداً. وإنما صارت الحروب وسيلة لإدخال العدو في أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية تضعه في حال الهزيمة والاندحار.

ولست هنا في مجال الاستطراد في شرح هذا الفن . وأحيل القارئ إلى عدد من المحاضرات التي سجلتها في هذا الباب ، وهي منشورة. وأوسعها مجموعة محاضرات بعنوان **(شرح كتاب حرب المستضعفين)** وهي مسجلة في /31 / شريطاً . والخلاصة محل الشاهد من هذا هنا ؛ هي أن حرب العصابات تقوم على الإستثمار المتقن بوسائل السياسة والإعلام ، للجهود العسكرية التي تقوم بها العصابات أو المقاومون الضعفاء ، تجاه قوات ضخمة تفوقهم عددا وقدرة وإمكانيات. بحيث

يؤدي التنسيق في أعمال المقاومة ، بين المجهود العسكري ، والإعلامي ، والتكتيكات السياسية ، عبر حرب إنهاك طويلة المدى ، تؤدي إلى إدخال العدو في حال الانهيار نتيجة الضغوط عليه من الرأي العام الداخلي أو الرأي العام الخارجي. بحيث يستحيل معه استمراره في المواجهة والحفاظ على مقومات وجوده وعلاقاته الداخلية والخارجية.

والخلاصة أن النصر العسكري في أعمال المقاومة ذو طابع سياسي. ولا يمكن أن يحقق بدون وسيلة عسكرية فاعلة. ومقاومة تحقق ضربات وخسائر حقيقية على الأرض. وبحث هذا يطول وتكفي هذه الإشارة هنا كفقرة في مقدمة.

(5)– المقاومة ونظرية التجنيد ، والتحييد و والتفكيك :

تتكون ساحة الصراع بين كل طرفين متخاصمين وكذلك بين المقاومة وأعدائها من الطيف المتدرج التالي:

1- أعضاء المقاومة.
2- أنصار المقاومة ومؤيديها.
3- الحياديون بين المقاومة ومعسكر الخصم .
4- أنصار أعداء المقاومة ومؤيديهم.
5- الأعداء المحاربون للمقاومة.

وتنصب جهود الدعوة والعمل السياسي لكل مقاومة ، ولكل طرف في أي صراع كان ، عبر الوسائل الإعلامية والسياسية. وحتى العسكرية أحياناً على جعل مسار التحول يكون على شكل سهم تتنقل فيه هذه المكونات من النهاية نحو البداية..

أي تحويل ما أمكن من المكونات والعناصر والكتل من الصف الخامس وهو معسكر العدو المباشِر للمواجهة. إلى الصف الرابع ليكون مناصراً للعدو فقط ، دون مباشرة القتال والعون. وتحويل هذه الطبقة من الصف الرابع إلى الثالث ليكون محايداً في هذا الصراع الدائر. وتحويل هذا إلى الصف الثاني في ليكون مناصراً للمقاومة ، دون مشاركة لها في الدفع والعمل. وتحويل هؤلاء ما أمكن ليكونوا أعضاءً في المقاومة.. بهذه الآلية:

5- معسكر العدو ← 4 - مناصر للعدو ← 3 - محايد في الصراع ←
2- مناصر للمقاومة ← 1 - مشارك في مقاومة .

وعندما تؤدي مجموعة الأعمال العسكرية أو السياسية أو الإعلامية أو سوى ذلك من الممارسات ، إلى عكس هذا المسار. ويلاحظ قادة المقاومة ، أو أي فريق يخوض صراعاً من أي شكل ، حتى ولو كان شركة

تجارية تخوض منافسة في السوق ، إذا لاحظ أن المعادلة تسير بشكل معكوس بحيث.. يتخلى الأعضاء ، ويقل المناصرون ويصبحوا محايدين ، وينتقل المحايدون إلى نصرة العدو وتأييده ، وينضم بعض المناصرين للعدو عن بعد إلى معسكر العدو..!!

فليعلم هذا الفريق أن الله قد ابتلاهم بقيادة تسوقهم إلى قدر الفشل والهزيمة. وأن برنامج عملهم وأسلوب حركتهم مبني على أسس خاطئة.

هذه هي القاعدة العامة التي قل لها شذوذاً في مسائل الحشد في عالم السياسة والصراعات. فيجب أن تيسير العملية السياسية بحيث توفر التجنيد من صفوف الأنصار. والتحييد في صفوف أنصاره. والتفكيك بين صفوف العدو. وهكذا تتسع دائرة المقاومة وأعضاؤها ودائرة أنصارها. وتتقلص دائرة الحياد القريب من العدو ، وتنقل ما أمكن إلى دائرة الحياد الإيجابي لصالح المقاومة. وتتفكك دائرة أنصار العدو وتسير للحياد وينسحب من صفوف العدو أكبر قدر من الكتل والأفراد.

(6) – نظرية الحشد ، ومفتاح الصراع، والمناخ الجهادي:

في الكتب التي عنت بالحديث عن مقومات الثورات وأصول المقاومة وحروب العصابات تجد هذه المصطلحات..

- **نظرية الحشد:**

ويقصدون بها مجموعة الأعمال السياسية والدعائية التي توفر للمقاومين اتساع دائرة الأنصار والمؤيدين التي توفر لهم تجنيد العناصر الجدد. كما توفر لهم الخدمات اللوجيستية ، وإمكانية الاختفاء والتزود باللوازم المادية والمعلومات...

- **مفتاح الصراع:**

وهو مجموعة الشعارات والأهداف والقضايا التي تطرحها المقاومة لإقناع الناس بقضيتها وعدالتها و تأهلهم ليكونوا ضمن حشد الأنصار أو الأعضاء. ونحن نطلق عليه مصطلح :

(مفتاح الجهاد والمقاومة) ليتناسب مع منهجنا وطرحنا الشرعي الإسلامي.

- **المناخ الثوري:**

ويقصدون به الجو العام ووصول الرأي العام إلى القناعة ، بأن الإشكال مع العدو سواء كان مستعمراً ، أو حكومة طاغوتية ظالمة، قد وصل لحد الإنسداد. بحيث لم يعد من حل ممكن للإشكال إلا العمل المسلح. حيث تهون على الناس عند ذلك التضحيات ، نظراً لما هم فيه من سوء الحال وما يعانونه عملياً ، سواءً كان ذلك بسبب انتهاك المقدسات الدينية ، أو الأعراف والتقاليد الاجتماعية ، أو قتل الأنفس ، أو تهديد الأعراض ، أو نهب الأموال ، أو هدر الكرامة

الوطنية ، أو الاحتلال الأجنبي ، أو الظلم أو الفقر والفاقة إلى آخر ذلك..

ونحن نسمي هذا (**المناخ الجهادي**) ليناسب فكرنا وطرحنا.

وهو الجو العام الذي يصل فيه المسلمون إلى القناعة بالتضحية والسير في طريق الجهاد المسلح في سبيل الله .

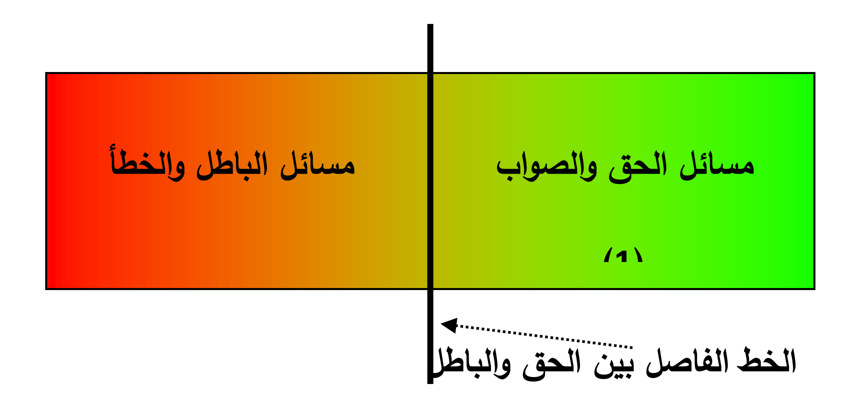
(7) – حدود دائرة الصراع ونظرية الخط الفاصل بين مسائل الحق والباطل:

المسلمون أصحاب ديانة ربانية ، وحضارة شاملة ، ونظام حياة متكامل ، وهذا معروف. وبسبب أنهم حملة الحق ودعاته وممثلوه ، فإن قوى الباطل والضلال ، وأصحاب الهوى وأهل الفساد كانوا على طول الأزمان أعداءً لهذا الدين وأهله ، أو مخالفون لهم في النهج والمبادئ ، على مراتب من الخلاف متدرجة. وهذا من طبائع الأشياء. ومن سنن الخليقة ؛ فما مادام أن هناك حق ، فهناك باطل ، وهناك صراع بين حملة هذا وذاك. وما دام أن هناك صوابٌ فهناك خطأ. وهناك تناقض بينهما وتباين بين أصحابهما.

ولو ذهبنا نعدد مبادئ الإسلام الحق ، وما يتفرع عنها من قواعد الهدى ووجوه الصواب وسواء الصراط لعجزنا عن الحصر. فهو معتقد متكامل وشريعة مفصلة ، فليس من أمر من أمور العيش على هذه

البسيطة ، ووجه من وجوه نشاط الإنسان ، إلا وللشريعة فيها حكم. من مأمورٍ أو محظور أو مباح. وللدين فيها رأي بأنها حق أم باطل ، أو خطأ أو صواب.

وفي مقابل كل حق وصواب تشتمل عليه أصول هذا الدين ، هناك باطل أو خطأ مناقض مضاد له. ولو جئنا نمثل هذا برسم هندسي يوضع المقصود ، ومثلنا مجالات الحق والصواب ، والباطل والخطأ، والفاصل بينهما. لوجدناه مجالين يفصل بينهما خط فاصل على الشكل التالي:



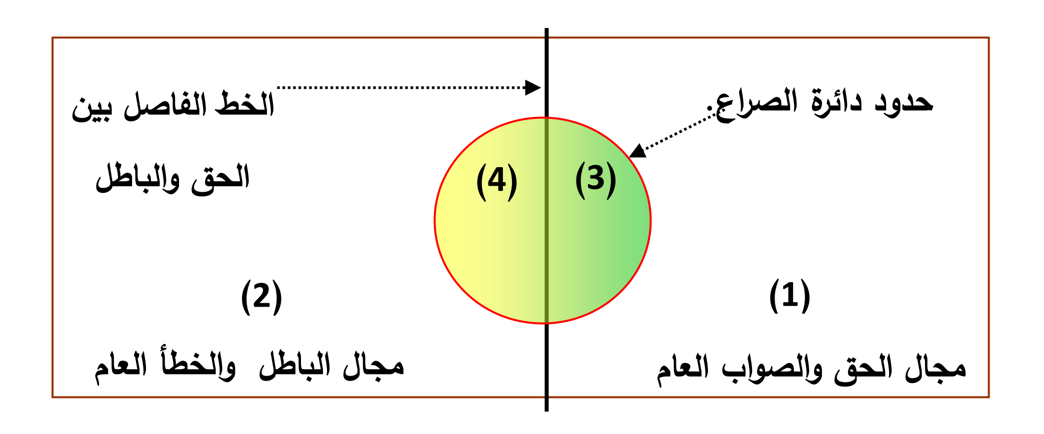
وهذا ينطبق على كل مسألة من مجالات اختلاف المسلمين وأهل الحق ، مع خصومهم وأهل الباطل. وهكذا لو ذهبت تضرب الأمثلة ومثلت لكل قضية نقطة في الشكل لوجدت مسائل الاعتقاد لأهل السنة والجماعة ، وكذلك كل تصرفاتهم وسلوكياتهم تمثلها نقاط في

المجال (1). ولوجدت عقائد أهل الكفر. وكذلك أهل الهوى والضلال من المسلمين ، وكل سلوكياتهم تمثلها نقاط في المجال (2). حيث يجب أن نفترض أن الخط الفاصل بين الحق والباطل. لا يسمح بوجود مسألة فوقه. لأنه يمكن لأي مسألة أو رأي أو قول أن يكون حقاً وباطلاً في آن واحد. ولا أن يكون خطأً وصواباً في نفس الوقت. فهذا لا يحتمله العقل ولا المنطق وهذا بدهي.

فإذا جئنا لصراعنا اليوم ، بين الغزاة الكفار ومن والاهم ، وبين المجاهدين المقاومين ومن والاهم. بأي فعل أو قول أو موقف اليوم. لوجدنا أن لمسائل الصراع بيننا وبين أعدائنا دائرة محددة ضمن المجال المطلق المفتوح لمسائل الحق والباطل. فحدود دائرة صراعنا كدعوة مقاومة إسلامية عالمية ومن أعاننا ، ضد الحملات الصليبية اليهودية التي تقودها أمريكا وحلفاؤها ومن وقف معها. هي أنهم صائل علينا يريدون تدمير حضارتنا وإزالة كياننا ووجودنا ويمثلون طرفاً متكاملاً.. ونحن نريد أن ندفع هذا الصائل ونحفظ ديننا وأنفسنا وأعراضنا ومقدراتنا.

ولكي لا تتشعب بنا مسائل الصراع والخلاف في كل مسائل الحق والباطل والخطأ والصواب ، نمثل لحدود مسائل صراعنا كمقاومة ، ضد أعدائنا ، نمثلها بدائرة محدودة ضمن مجال الحق والباطل ، دائرة لها حدود تحد مسائلها كلها العقدية والفكرية والسياسية

والإعلامية... الخ. ونسميها حدود دائرة الصراع. فيصبح الشكل الممثل لعموم مسائل الحق والباطل ، ولمسائل مسألة الصراع على الشكل التالي:



المجال المطلق الحق والباطل والخطأ والصواب.

وجدنا أن الخط الفاصل بين الحق والباطل يقسم مسائل دائرة الصراع إلى ، نصطلح عليهما: (3) و(4).. ومن هنا نستطيع أن نصنف كل فكرة أو معتقد ، أو قول أو رأي أو فعل أو أدب أو قصيدة أو فتوى أو سلوك... الخ. لتجد لها موقعاً في هذا الشكل ومجالاته الأربعة وستكون على أحد أربعة تصانيف:

- مسائل الحق والصواب فيما لا يدخل ضمن دائرة الصراع وحدودها ومجالها: (1)

- مسائل الباطل والخطأ فيما لا يدخل ضمن دائرة الصراع وحدودها ومجالها: (2)

- مسائل الحق والصواب فيما يتعلق بقضايا صراع المقاومة مع أعدائها ومجالها: (3)

- مسائل الحق والصواب فيما يتعلق بقضايا صراع المقاومة مع أعدائها ومجالها: (4)

ونحن نوضح هذا الشكل لنقول:

أنه ولكي تحقق المقاومة أهدافها ومن باب ترتيب الأولويات وتقديم المهم على الأهم ، واستجلاب المصالح ودفع المفاسد ، واختيار أعظم المصلحتين بأدناهما ، ودفع أعظم المفسدتين بأدناهما إن كان الخيار اضطرارياً.

فعلينا ومن باب الاختصاص التفرغ اليوم للانشغال في مواجهاتنا ، بما يتعلق بقضايا (دعوة المقاومة) ، سواءً كانت مواجهات عسكرية جهادية أو سياسية أو إعلامية أو فكرية أو أدبية أو كل ما يشغلنا ويأخذ منا أي شكل من أشكال الجهد ، أو يعرضنا لأي شكل من أشكال التكاليف. علينا أن ننشغل بالمسائل المحدودة ضمن إطار حدود دائرة الصراع . وكل ميسر لما خلق له.

ولباقي أبواب الخير والحق والسعي فيه أهلها ، ومن أهتم بها وانصرف إليها من المسلمين. أعانهم الله على ما صرفوا أنفسهم إليه وتقبل منهم.

فكل فكرة أو رأي أو سلوك أو قول أو فعل يساعد على إطلاق المقاومة ، أو تنميه جذورها بشكل مباشر فهو مقصد من مقاصد المقاومة لها في رأي وقول وعون. وكل نقيض لذلك مما يعطل المقاومة ويجفف جذورها ويعين أعداءها. فلدعوة المقاومة فيه موقف تتصدى له بما يناسبه بالأسلوب العسكري أو السياسي أو الإعلامي أو أي وسيلة مشروعة. وكما يجب أن لا نتشعب ونضيع جهودنا فيما لا طائل من ورائه من الأقوال والأعمال ، والدخول في صراعات الحق والباطل والخطأ والصواب التي لا تنهي ، يجب أن نهتم بكل مسألة داخلة ضمن حدود دائرة الصراع.

فأشكال البدع الكثيرة المتفشية اليوم في المسلمين . والانحرافات ، والقبوريات ، والضلالات، ومظاهر الفسوق ، والمعاصي ...إلخ. لا تنهي وكلها من مظاهر غياب الإمام الشرعي ، وعدم الحكم بالشريعة. ظهرت بزوالها ، وتزول بظهورها.

فهذه المسائل تقع في المجال (2).. ولها من يتصدى لها من الدعاة والعلماء في المجال (1) وكل أشكال والانحراف السلوكي والخلقي والرشاوى والفساد...الخ ، هي كذلك مظاهر من ضنك العيش لإعراض أكثر الناس حاكمهم ومحكومهم عن ذكر الله. وهي مظاهر لغياب شرع الله ، وتزول بتحقيقه.. وهي مسائل من المجال (2) ، أيضا ، ولها من تصدى لها من المجال (1).

وأما لو قام مفتي يفتي بأن جيوش الأمريكان ومؤسساتهم هم مستأمنون معاهدون ، لا يجوز العدوان عليهم..!! فهي مسألة لها موقع في المجال (4) ، ويجب أن نتصدى لها بما يناسبها من جهاد الحجة والبيان بجهد من المجال (3) ..، ولو قامت مؤسسته للتطبيع مع الحملات الفكرية الأمريكية تضل الناس وتنسف أصول دينهم، كهذه التي أقاموها في وادي عربة ، على الحدود الأردنية الإسرائيلية ، وغيرها كثير .. فهو فعل واقع ضمن دائرة الصراع في المجال (4). ويجب أن نتعامل معه بجهاده ونسفه وإزالته ، واغتيال القائمين عليه من الكفار أو من المنافقين من مواطنينا. وذلك بفعل من أفعال القتال والمقاومة من مجالنا (3).. وهكذا..

وبذلك نلخص هذا الشرح الذي أوضحنا بالشكل ليسهل فهمه:

بأن دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تتصدى للمسائل المتعلقة بحدود دائرة الصراع مع العدو الصائل وحلفائه سواءً كانت من مسائل جهاد البيان أو جهاد السنان. وتعرض عن الانشغال بما وراء ذلك.. لا زهداً في الحق والصواب ، فكل حق مقدس بذاته. وإنما من باب الاختصاص وتقديم الأولويات وجمع جهود الأمة التي لا تكاد تكفي مجمعته على دفع هذا البلاء العظيم النازل بنا عقاباً من الله لأقوام ، وامتحاناً لآخرين. ونسأل الله الفوز والسلامة.

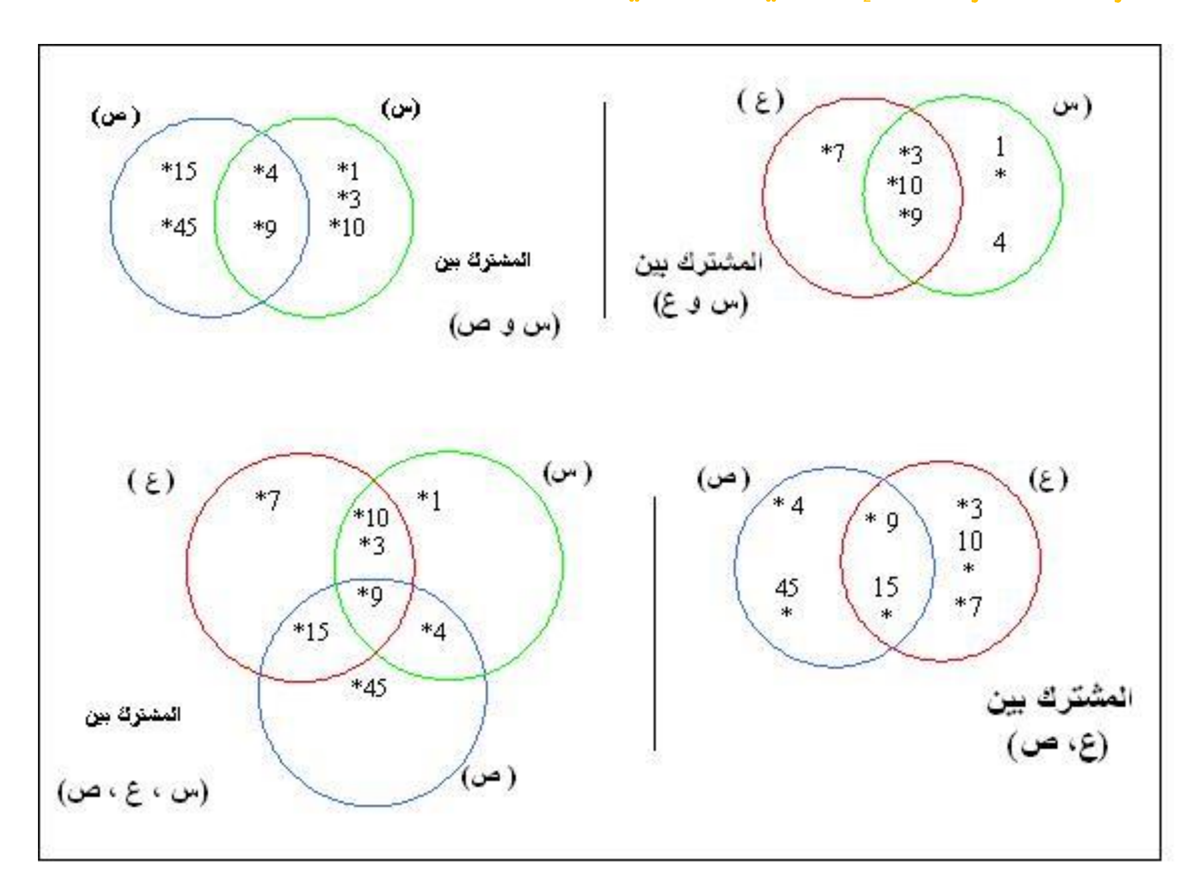
(8) – مفهوم القواسم المشتركة في مسائل الصراعات السياسية بين الأطراف المختلفة:

من مبادئ الرياضيات الحديثة البسيطة التي تدرس اليوم لطلاب المرحلة الابتدائية ما يصطلحون عليه باسم (أشكال ven). نسبة للعالم الرياضي الذي ابتكر التعبير عن المجموعات وعناصرها ، والمعادلات الرياضية والقواسم المشتركة بين مختلف المجموعات بالرسوم. وهي فكرة بسيطة تساعد جداً في فهم مسألة القواسم المشتركة في عالم السياسة بين المجموعة المنفصلة، والمختلفة والمتناقضة وحتى المتخاصمة. والمثال البسيط التالي يوضح مبدأ ذلك:

لو كان لدينا مجموعة أعداد :{س = (10.9.4.3.1) }.

ومجموعة أخرى:

{ع = (10.9.15.7.3) }. وثالثة: { ص = (45.15.9.4) }. سنجد بالملاحظة أن الأرقام المشتركة بين (س) و(ع) ، هي (10.9.3). والمشتركة بين (س) و (ص) هي (9.4). والمشتركة بين (ع) و(ص) هي (15.9) والمشتركة بين الثلاثة (س) و (ع) و(ص) هي: (9) فقط. وهذا يعبر عنه بالرسم المبسط:



وهذا التصوير الرياضي البسيط يعطي فكرة عن مفهوم القواسم المشتركة بين المجموعات المستقلة في عالم السياسة أيضا..

حيث نطلق على القسم الحاوي للعناصر المشتركة بين مجموعتين أو أكثر مصطلح: **(القاسم المشترك)**. فإذا انتقلنا إلى عالم المجموعات في مفهوم السياسة والأفكار والمبادئ والمصالح والمعتقدات... الخ نجد أن مفهوم (القاسم المشترك) هو ذاته. فمثلاً.. (القاسم المشترك) بين كل مسلم من أهل القبلة هو مبادئ الإسلام العامة ومعتقداته الأساسية المتفق عليه مثل (الإيمان بالله رباً الإيمان بمحمد نبياً،

وبالقرآن كتاباً، الصلاة للقبلة...) وتوابع ذلك من المتفق عليه لدى ما يسمى (أهل القبلة).. وهي مجال كبير من المعتقدات والمبادئ..

وكذلك قضايا الإسلام ومقدساته وتاريخه وما إلى ذلك.. و كلها قواسم مشتركة بين المسلمين وهو مجال متسع رحب لا يحصر..

ومواجهة أمريكا ودفع صائلها على المسلمين هو (قاسم مشترك بين كل أهل القبلة..

وخسارة أمريكا وهزيمتها ، والعمل على ذلك ، هو (قاسم مشترك) بينهم وبين كل أعداء أمريكا ومن يهمهم هزيمتها حتى من الكافرين ..

وهكذا وبشيء من الفهم وسعة الأفق والتصور نجد أن (القواسم المشتركة) بين المجموعات المستقلة المختلفة هي في مصطلح السياسة. مجموعة الخصائص أو المكونات أو الأهداف أو المصالح المشتركة.. أو أي عامل أو مكون يثبت المنطق أنه (مشترك) ..

حيث تقوم كل الصراعات في عالم السياسة على نظام التحالفات، والمصالح المشتركة بين أصحاب (القواسم المشتركة) ، ضد الخصم المشترك.

ويؤدي حسن فهم مصطلح (القواسم المشتركة) ، إلى تفهم القواعد المجاهِدة وأنصار المقاومة للقرارات السياسية التي تتخذها قيادات الجهاد بالدخول في تحالفات مباشرة أو غير مباشرة ، مع قوى أخرى قد تكون مباينة في المنهج أو المعتقد لجماعات المقاومة ، تلك

القوى التي جمعها مع المقاومة قاسم مشترك في عداء ومواجهة أعداء المقاومة المشروعة. حيث تتحرك تلك القيادات للتعاون مع أصحاب تلك القواسم المشتركة في ضوء ضوابط قواعد السياسة الشرعية ، وما تتيحه أحكام الضرورة على بصيرة من الحسابات الأمنية والسياسية والعسكرية.

9- مفهوم العلاقة، ومفهوم التأثر والتأثير في العلاقات، وشبكة العلاقات السياسية:

- **مفهوم العلاقة:**

نطلق كلمة (علاقة) على كل طريقة ارتباط بين عنصرين أو مجموعتين أو كيانين..

الرابطة بين الأخوة تسمي: (علاقة أخوة)

والرابطة بين الأب وابنائه: (أبوة وبنوة)

والرابطة بين الزوج وزوجته: (علاقة زوجية)

وبين المتخاصمين: (علاقة خصومة)

وبين المتحابين: (علاقة حب)

وبين وبين المتحاربين: (علاقة حرب)

وبين أصحاب المصالح: (علاقة مصالح مشتركة)

وبين من لا علاقة بينهم البتة: (علاقة معدومة) أو علاقة (عدم علاقة).

وهكذا.. (علاقة جوار) .. (علاقة عدم اعتداء).. (علاقة دبلوماسية) .. (علاقة تحالف) .. (علاقة تعاون) .. إلى آخر المصطلحات الكثيرة التي تتداول اليوم خاصة مما يهمنا في موضوع العلاقات السياسية.

- **مفهوم التأثير والتأثر المباشر وغير المباشر بين العناصر والجماعات:**

– كل علاقة تقوم بين طرفين ، ينتج عنها تأثر وتأثير مباشر من كل واحد منهما بالآخر بنسبة تزيد أوتنقص بحسب مقومات وخصائص كل منهما.

– وكل علاقة تقوم بين طرفين ، تأثر بشكل غير مباشر بين هذين العنصرين وكل عناصر أخرى جانبية تربطها بهذين العنصرين علاقات مباشرة. وهذا يتضح بالمثال..

في عالم التجارة مثلاً ، إذا كان في السوق أربع شركات.. (1)، (2)، (3)، (4).. وكانت هناك علاقة مباشرة بين الشركتين (1) و (2) ، وبين الشركتين (3) و (4)..

فبطبيعة الحال هناك علاقة غير مباشرة بين الجميع وهي علاقة الوجود في السوق.. فلو قامت علاقة مباشرة بين الشركة (2) والشركة

(4).. ستأثر الشركتان على بعضهما بعلاقة تأثير وتأثر مباشر بحكم هذه العلاقة ، ولكن هذا سيؤدي إلى نشوء علاقة تأثر وتأثير غير مباشر بين (1) و(4) من الدرجة الأولى وعلاقة بين (1) و(3) كذلك بسبب علاقة (3) و(4).. وسيكون بينهما علاقة تأثر من الدرجة الثانية.

ومن هنا نستطيع القول أن جميع العناصر المشتركة بالتواجد في مجال واحد تقوم فيما بينها علاقات تأثير وتأثر من مراتب متدرجة.. وفق شبكة علاقات متشابكة..

فإذا ما دخلنا في عالم العلاقات السياسية فإننا سنجد هذا أمراً بالغ الوضوح وبالغ التعقيد.. ولا بد أن يفهم المنخرط في معركة العمل السياسي ، وخاصة المعارك السياسية ذات الطابع العنيف ، من قبيل ما نحن بصدده (**مقاومة × محتلين وحلفائهم**) ، أن يفهم طبيعة شبكة العلاقات المحلية ، والإقليمية ، والدولية ، وطبيعة علاقات التأثر والتأثير المباشر وغير المباشر، من كل المراتب بين كل تلك العناصر..

فينشأ عندنا ما يسمى شبكة علاقات..فإذا ضربنا مثالا من صميم مسألة صراع المقاومة اليوم في العالم العربي والإسلامي ضد أمريكا وحلفائها. فإننا نجد المعطيات لو بسطناها إلى حد كبير على الشكل التالي..

1- **محور أمريكا** :

- أمريكا: تربطها علاقة عضوية ومصيرية بإسرائيل.
- أمريكا: تربطها علاقة قوية جداً ببريطانيا..
- أمريكا: تربطها علاقة أقل درجة ببعض الدول الغربية يأتي في طليعتها أستراليا، وإيطاليا، ، كندا، اليابان.
- كما تربطها علاقة حلف (تابع ومتبوع) بمكونات أخرى من دول أوروبا الشرقية وبعض دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية..
- وتربطها علاقة حلف صليبي بروسيا.. وبكافة مكونات دول العالم الصليبي.

وهذه العلاقات ليست عشوائية فهي قائمة على معتقدات وأفكار، وعلى معاهدات واتفاقيات ، وعلى أحلاف ومصالح ، وعلى ضغوطات...

في المقابل: نجد أن هناك كتلة أخرى في الجانب المحارب لنا أيضاً ولكن ذو طبيعة مختلفة وهو المحور الأوروبي المستقل.

2- **محور أوربا** :

فرنسا، ألمانيا، روسيا، أسبانيا ، بلجيكا ... ومعها مجموعة من الدول الأوروبية ومن يدور في فلكها. من بعض ما تبقى لها في مجالات التأثير في بعض دول أفريقيا وآسيا..

3- علاقات ضمن المحورين :

ترتبط كافة مكونات هذين المحورين بأحلاف من المهم معرفتها وأهمها:

1- حلف الناتو.. الذي يربط معظم المكونات الرئيسية لهذين المحورين ، وينكون من (26) دولة.

2- الاتحاد الأوروبي: ويربط أهم مكونات المحور الثاني.. ويتكون من (25) دولة حتى الآن يزيد مجموع سكانها على 450 مليون نسمة. حيث تنتظر دول أخرى الدخول فيه ، ويتوقع أن يصل إلى نحو 40 دولة.

ومما يزيد الأمر تعقيداً..

أن في عالم السياسة غالباً ما ترتبط العناصر بعلاقات متناقضة متشابكة بالغة التعقيد فمثلا ؛ اليابان وأمريكا وأوروبا يبدون حلفاء على ما أشد ما يكون الحلف قوةً في المجالات الدولية ، والعسكرية ولاسيما إذا ما تعلق الأمر بالصراع مع المسلمين.. ولكنها في مجالات كثيرة ولاسيما في السباق على المصالح الاقتصادية تمثل ثلاث محاور شبه متحاربة اقتصادياً هي محور أمريكا، ومحور أوروبا، ومحور اليابان ودول شرق آسيا.. ولو تخيلنا شبكة تصور تلك العلاقات المباشر وغير المباشرة من كل الدرجات .. فإن من البديهي أن نتخيل ، وكما في كل الشبكات أن اهتزاز الوضع في أي عقدة من عقد

الشبكة (دولة ما) لأسباب داخلية أو خارجية. وكذلك أي اهتزاز أو تصدع لرباط علاقة بين عقدتين (دولتين). سيؤدى إلى اهتزاز العناصر جميعها بحسب قربها وبعدها عن موقع الاهتزاز. وأحياناً يؤدي الاهتزاز إلى تغير مكونات بعض العقد.. أو تقطع أواصر بعض العلاقات والروابط. وإذا ما كان الإهتزاز شديداً أو انفجارياً فإنه قد يؤدي إلى خرق الشبكة في بعض أجزائها أو تقطع أوصالها ليعاد نسجها ورسمها من جديد ..

وهذا ما يحصل إبان الأحداث الكبرى من قبيل ما حصل بانهيار الإتحاد السوفيتي ، الذي تبعه انهيار جدار برلين وإعادة رسم خريطة أوروبا وقيام النظام العالمي الجديد..

ومثل ما يحصل اليوم بانطلاق أمريكا نحو الحلم الإمبراطوري ، وتوجهها للحملات الصليبية ، وما يؤدي إليه هذا من الانقلابات في العلاقات بين الشرق والغرب ، وبين مكونات الشرق فيما بينها ، وكذلك بين مكونات الغرب وبين الجميع. وهكذا ...

وإذا ما أردنا التأثير على توازنات مثل هذه الشبكات أو إعادة ترتيبها لصالحنا ، أو الخروج من اهتزازاتها بأقل الخسائر. فإن هذا يتوقف على عاملين اثنين هامين ومتلازمين:

- **أولا :** فهمنا الدقيق التفصيلي لطبيعة اللعبة وأطرافها وروابطها وعلاقاتها وجميع مكوناتها. بمعنى فهم تركيبة الطرفين المتصارعين ،

طرفنا وطرف العدو وما بينهما من أطراف الحياد.. والقدرة على توظيف تلك المعرفة لصالحنا..

– **ثانيا** : القدرة الذاتية مادياً ومعنويا على إحداث التأثير.. وهذا بحسب المعطيات والإمكانيات في عالم الأسباب. وسبحان مسبب الأسباب ومالك الملك..، فكثيرا ما يتوفر الفهم ولكن لا تتوفر الأسباب المادية لتحويله إلى حركة وعمل مؤثر .. وهذا من القهر تحت حكم الظرف.

(10) - الاستراتيجية والتكتيك وهوامش المناورة السياسية:

هذه المصطلحات الثلاثة من المصطلحات كثيرة التردد في مجالات العمل السياسي والعسكري وحتى في مجالات النشاط الأخرى. وما يعنينا منها هنا البعد السياسي للمقاومة. وقد عرفت هذه المصطلحات تعريفات كثيرة. ولكني أبين ما يهمنا من فحواها باختصار:

- **فالاستراتيجية:**

هي الخطوط الرئيسية لبرنامج مخطط ما. والتي توضع لتحقيق الأهداف من ذلك البرنامج. أو ما يدعى (**الأهداف الإستراتيجية**) وتتميز الاستراتيجية بأنها تقوم على جملة من المعطيات والقدرات الحقيقية على تنفيذه.

ومن صفاتها الأساسية الثبات النسبي ، فهي على عكس التكتيكات. ولكونها كما هو مفروض قامت على ثبات المعطيات العامة ، يجب أن تتميز بالثبات. إلا إذا عصفت مفاجآت ما بظروفها المحيطة ومعطياتها. وعند ذلك يجب تغير الإستراتيجية كلياً وغالباً ما يكون ثمن هذا التغيير فادحاً ، مادياً ومعنوياً وحركياً وعلى كل صعيد. ويحتاج إلى قيادات أزمة تسيطر على تحديد تبعات انهيار الإستراتيجية ووضع بديل لها. ومن البديهي أن نعرف أن من أبسط أثمان تغير الإستراتيجية ، أن كل الجهود والنفقات والإستعدادات والأدوات التي رصدت لها ، وحتى الأشخاص أحياناً غالباً ما لا يصلح لتنفيذ الإستراتيجية التالية اللهم إلا بقدر ما يستفاد من حطام بناء تهدم في إعادة بناء جديد.. وبحسب طبيعة التهدم تصلح الأجزاء واللبنات ثانية لاستخدامها أولا تصلح..

- **الهدف الاستراتيجي :**

هو الهدف الرئيسي الأساسي الذي وضعت الاستراتيجية وما اقتضته من تكتيكات من أجل تحقيقه. وفي حالتنا فإن:

هدفنا الاستراتيجي هو :

إجبار القوات الغازية لبلادنا بقيادة أمريكا وحلفائها على الانسحاب من بلادنا، وإنهاء قدرتها على التأثير فيها. كي تتهيأ الأسباب للإطاحة بالأنظمة العميلة القائمة في بلادنا. من أجل إقامة النظام الإسلامي الشرعي الذي يحكم بما أنزل الله في بلادنا العربية والإسلامية على أنقاض تلك الأنظمة المرتدة.

- **التكتيكات:**

هي مجموعة البرامج والخطط المرحلية والعمليات والمناورات والممارسات الجزئية.. التي تهدف إلى تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجية) وصولا لتحقيق الهدف الإستراتيجي. وعادة ما تضع الإدارة العليا التي وضعت الإستراتيجية المخططات العامة لمجموعة التكتيكات التي من المفترض أن تؤدي إلى تحقيقها.

وغالباً ما تترك المخططات الجزئية لتلك التكتيكات للقيادات الفرعية. إلا في حالات القيادات المركزية التي تميل إلى التدخل في الجزئيات وغالباً ما يكون لهذا نتائج سيئة.

ومن الطبيعي أن تلغى برامج التكتيكات أو تعدل أو تبدل من قبل القائمين عليها وذلك بحسب تغير الظروف المحيط بتنفيذها وهذا

ليس له تأثير إن كان عرضياً على تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجية).
أما إذا كانت السمة العامة هي تغير التكتيكات فهذا يدل على قصور في موضوعية واضعيها وعدم إحاطتهم بإمكاناتهم أو بالظروف المحيطة بتنفيذ المخطط.

- **المناورات:**

هي مجموعة التكتيكات المرنة التي تعتمد المراوغة وخداع العدو، من أجل كسب الوقت أو المواقع أو المواقف. وتعتمد هذه المناورات على ذكاء القيادات والعناصر التي تقوم بها. كما تعتمد إلى حد كبير على الظروف العامة المحيطة.

- **هوامش المناورة:**

هي الظروف المحيطة التي تمكن من تكتيكات المناورة والمراوغة وكسب المواقع والمواقف والوقت آنفة الذكر. وغالباً ما تولد بشكل مفاجئ ، ولفترات محدودة. ولذلك فإنه يجب اقتناصها وإعطاء دفعة للمخطط الإستراتيجي من خلال ذكاء تكتيكات المناورة وسرعة المبادرة إليها.

- **المبادرة:**

المبادرة هي القدرة على إحداث الفعل تجاه المحيط العام أو تجاه العدو. سواء كانت المبادرة فكرية أو سياسية أو عسكرية أو إعلامية .... وبقدر ما تتميز المبادرة بخصائص الواقعية والحيوية والتجديد والشمول. بقدر ما تكون ذات أثر في تغير الأوضاع من حولها وإعطاء دفعة قوية للبرنامج.

- **أما امتلاك زمام المبادرة:**

فهو القدرة على امتلاك إطلاق الأفعال وإدارة الإستراتيجية. وإرباك استراتيجية العدو وإجباره على الدخول في ردود الأفعال ، تبعاً لأفعال الذي امتلك زمام المبادرة سواءً كانت سياسية أو عسكرية أو سوى ذلك.

(11)- **نظرية البناء والهدم في التحرك الاستراتيجي:**

هذا المبدأ هو أساس في كل صراع. وعلى كل صعيد يحتدم فيه خصمان. فبدأً من العقيدة ، لا يمكن الإيمان بالله مع الاعتراف بالطاغوت. قال تعالى:

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾

وعلى صعيد البناء الفكري لا يمكن الدعوة لإثبات فكرة ما ، إلا بإثبات بطلان نقيضها. وعلى الصعيد العسكري ، فإن خير وسائل الدفاع الهجوم. وهكذا على صعيد كل تنافس وصدامي.

وإذا ماجئنا للمقاومة وخصومها ، وجدنا أن هناك صداما حضاريا على كافة الأصعدة ، وفي كل المجالات ؛ العقدية والسياسية والفكرية والثقافية والاقتصادية.

وفي الشكل العنيف للصدام ، (المجال العسكري). نجد أن مبدأ هدم قوى ومرتكزات ودعاوى عملاء الخصوم هو أولوية في استراتيجية هجوم المقاومة. وعملية يجب أن تجري سواءً بسواء ومنذ البداية مع انطلاق المقاومة ، إلى جانب عملية بناء المكونات الذاتية للمقاومة ، على كل تلك الصعد.

إن الميزان الإستراتيجي بيننا وبين الخصوم غير متوازن نهائياً من الناحية المادية ، وهو وراجح لصالحهم. في حين أنه راجح من الناحية المعنوية لصالحنا ، سواءً على صعيد جماهير العرب والمسلمين أو الرأي العام العالمي. كله.

فيجب أن تعتمد النظرية العقدية المقاومة على البناء والهدم ، بناء القناعة بمعتقداتنا العامة وعقيدتنا الجهادية لدى أنصارنا. وإثبات

بطلان ما يناقضها لدى الخصوم. وذلك بالحوار والحجة والبينة. فإسقاط حجج ودعاوى فقهاء السلطان ، وعلماء الإستعمار هو محور استراتيجي.

وعلى الصعيد الفكري والثقافي والاجتماعي .. يجب أيضاً بث فكر المقاومة وثقافة المقاومة.. ومحاربة فكر القعود والرضوخ والاستسلام بالحوار والحجة والبينة أيضاً..

وعلى الصعيد السياسي والإعلامي.. يجب أن نعتمد إثبات نظريات المقاومة والدعوة لها ولرموزها بالحجة والبينة.. ودحض دعاوى ركائز الاستعمار وعملائه وهدم صورهم. وسمعة رموزهم المتعاونين معه، وإبطال دعاويهم السياسية وبراهينهم بالحجة والبينة أيضاً.

وفي المجال العسكري ، يجب أن تسير عمليات التجنيد والإعداد والتنظيم والتمويل والمؤسسات الأهلية والمدنية الداعمة لجذور المقاومة. وفي نفس الوقت يجب أن تقوم الأذرع العسكرية ومجاهدو المقاومة بتدمير كل مرتكزات العدو في أرضنا بالتصفية الجسدية لعناصر هو ، وبالتدمير الكامل لمؤسساتهم بالوسائل العسكرية كما تحتفظ لنفسها بحق الردع وضرب العدو في عقر داره كفرع لأعمال المقاومة وذراع تثبت القدرة على المعاملة بالمثل. كما سيأتي.

(12) - المحاكمات الثلاثة للقرار السياسي الشرعي الحركي:

هناك ثلاث محاكمات أساسية يجب على المسلم أن يخضع لها كل قراراته وحركاته وأوجه نشاط حياته وما يعزم عليه من أفعال. وهي:

أ- المحاكمة الشرعية (حرام أم حلال).

ب- المحاكمة السياسية للمصلحة والمفسدة (مفيد أم مضر)

ج - المحاكمة الواقعية والإمكانية (ممكن أم غير ممكن).

فمثلا لو أراد تاجر مسلم الإقدام على صفقة. فإنه يجب أن يدرس الصفقة من ثلاث أوجه ويخضعها لثلاث محاكمات ودراسات:

- هل هذه الصفقة من المباح الحلال أم من البيوع والصفقات المحرمة كالربا وبيع العينة وبيوع الغرر والغش وسواها من المحرم.
- هل هذه الصفقة.. مفيدة له تجارياً ومادياً أم أنها مضرة..
- هل هذه الصفقة ممكنة أم لا من الناحية المادية والواقعية.

وينسحب هذا المثال حتى لو أراد مسلم أن يتزوج فإنه سينظر في اختيار زواجه ؛ أولا هل زواجه هذا حلال ، من مسلمة أو كتابية ممن أباح الله الزواج بهن. أم حرام ممن حرم الله زواجهن. وثانيا ، هل هو مفيد أو مضر في أبعاده ومترتباته كلها. وأخيراً هل هو زواج ممكن التنفيذ ، أم أن عقبات من جهته أو جهة اختياره تجعله غير ممكن.

وهذه المحاكمات تأخذ أهميتها القصوى في عالم السياسة ، وخاصة عندما يتعلق القرار بأمور مصيرية كقرارات المقاومة وما يتفرع عنها من قرارات سياسية شرعية أو عسكرية أو إعلامية..الخ..

وهذا المجال هو من أدق المجالات التي يجب أن تدركها القيادات المجاهدة المحركة لموضوع المقاومة. فإن القرارات الخاطئة ولاسيما في المجال العسكري ، مثل سوء اختيار الأهداف وإدخال المقاومة في معارك فرعية. أو مواجهات تفقدها هوية خطها ، أو تجعلها تخسر جماهيرها. وقل مثل ذلك في القرارات السياسية. أو النشاطات الإعلامية.. فيجب أن يخضع كل قرار من هذا القبيل ، لكل من ينشط في مجال المقاومة إلى هذه المحاكمات..

ويجب أن يسأل نفسه :

أولا : هل ما يريد فعله حرام أم حلال . فإن جهل ذلك فعليه بقوله تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ فيرجع إلى ثقة في علمه بالشرع وبالواقع ممن هو ثقة في دينه فيسأله . فالمسألة مسؤولية دماء وأعراض وأموال...

ثانيا: عليه أن ينظر ويتفكر في أبعاد عمله وما سيترتب عليه ، هل هو مفيد لقضية المقاومة أم مضر لها. وهذا الأمر أصعب من سابقة لتعلقه بتشابكات المصالح والمفاسد. إذا لا يكفي أن يكون ظاهر الحكم حلالاً مباحاً حتى يكون بالفعل كذلك. لأنه لو ثبت

عن طريق الحسابات السياسية والواقعية وآراء أهل التجربة وأهل الرأي والحرب والمكيدة ، بأن مآل هذا العمل ومترتباته ينتج عنه مفسدة وضرر ، فسيصبح الإقدام حراماً تبعاً للقاعدة العامة (**لا ضرر ولا ضرار** ، **كل مضر حرام**). فإن علم ذلك وإلا عاد إلى من يثق به من أهل الذكر في مسائل السياسة والواقع من الموثوقين في دينهم ،من أهل الرأي والحرب والمكيدة. فإن ثبت له حله ونفعه. نظر في الثالثة.

ثالثا: ينظر في إمكانياته في تنفيذ هذا العمل.. وهذا أمر أفضل من يُقدره هم العازمون على القيام به. ولاسيما إن استشاروا أهل الخبرة في ذلك ، ضمن شروط المستشار ؛ (**إن خير من استأجرت القوى الأمين**). وكما هو واضح شرعاً وعقلاً بأنه لا يمكن الإقدام إلا عمل وقرار يأخذ ثلاث إجازات من المحاكمات الثلاثة. الشرعية والسياسية المصلحية والواقعية الحركية. فيكون : **حلالا – مفيدا – ممكنا** .

(13) – أحكام الجهاد والسياسة الشرعية واستنادها للواقع ، ومرحلية التكتيكات وصولاً للهدف الاستراتيجي:

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد : فصل في ترتيب سياق هديه ﷺ مع الكفار والمنافقين من حين بعث إلى حين لقي الله عز وجل :

(أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق وذلك أو نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ. ثم أنزل عليه ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ (المدثر:21) فنبأه بقوله ﴿اقرأ﴾ وأرسله بـ ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين. فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ويؤمر بالكف والصبر والصفح.

ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله له. ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة وأهل حرب وأهل ذمة. فأمر بأن يتم لأهل العهد

والصلح عهدهم وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد ، فإن خاف منهم خيانة نبذ إلى عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد. وأمر أن يقاتل من نقض عهده ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها ، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم.

فجاهد الكفار بالسيف والسنان وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم ، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام: قسما أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم. وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم. وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلخت قاتلهم وهي الأشهر الأربعة المذكورة في قوله: ﴿ **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**﴾ (التوبة 2). وهي الحرم المذكورة في قوله: ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ (التوبة 5). فالحرم هاهنا هي أشهر التسيير أولها يوم الأذان وهو اليوم

العاشر من ذي الحجة وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك وآخرها العاشر من ربيع الآخر وليست هي الأربعة المذكورة في قوله : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم** ﴾ (التوبة 36). فإن تلك واحد فرد وثلاثة سرد رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ولم يسير المشركين في هذه الأربعة فإن هذا لا يمكن لأنها غير متوالية وهو إنما أجلهم أربعة أشهر. ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم فقتل الناقض لعهده وأجل من لا عهد له أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده إلى مدته فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم وضرب على أهل الذمة الجزية ، فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد ، وأهل ذمة. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين وأهل ذمة. والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام:

مسلم مؤمن به. ومسالم له آمن. وخائف محارب.

وأما سيرته في المنافقين فإنه ﷺ أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله. **وأن يجاهدهم بالعلم والحجة** . وأمره أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم. ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم. وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم.

فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين). اهـ.

وجمهور العلماء أن هذه الأحكام كلها ليست منسوخة بآخر ما وصلت إليه ، وهو الحال الذي يجب على المسلمين السعي إليه. فأما إذا اعترضهم في ظرف من الظروف حال من تلك الأحوال التي مر بها ﷺ في سيرته ، فلهم أن بقيسوا عليها ويهتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم. فكما أسلفنا فإن مدار أحكام السياسة الشرعية هو على معرفة الحكم الشرعي وفهم الواقع وتطبيق هذا على هذا من قبل أهل العلم والإختصاص الموثوقين في دينهم وسلوكهم.

والآن بعد هذه المقدمات والتعاريف والمفاهيم السياسية الأساسية اللازمة. ندخل إلى صلب الموضوع. لبحث واقع الحملات الأمريكية و الواقع العربي والإسلامي والدولي إزاءها. لننتقل بعد بيان ذلك إلي وضع الملامح العامة للنظرية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية المنشودة.

ثانياً: خلاصة واقع الحملات الأمريكية و الواقع العربي والإسلامي والدولي إزاءها :

إن الأساس في وضع أركان الإستراتيجية العامة للمقاومة ونظريتها السياسية. هو معرفة ملامح الإستراتيجية المعادية. وتركيبة أطرافها ومعرفة معطياتها. ثم معرفة تركيبة أنصارنا ومن معنا في الصف المقاوم. ولقد تعرضنا من خلال الفصول السابقة (في الجزء الأول) لكثير من جزئيات واقع الأمة الإسلامية. وفي هذه الفقرة نعرض لثلاث نقاط مهمة يشكل فهمها أساس منطلقات وضع أركان النظرية السياسية لدعوة المقاومة.

(1) - طبيعة الحملات الأمريكية ومحاورها وأهدافها ووسائلها:

المستخلص من سيل الكتب والدراسات والتصريحات والوثائق التي تملأ وسائل الإعلام المختلفة اليوم ؛ أن الحملات الصليبية اليهودية الجديدة تأخذ بعداً حضارياً متكاملاً يهدف إلى إزالة مكونات الأمة الحضارية الإسلامية على كافة الأصعدة.

- **ففي الجانب العقدي:**

تهدف (الحملات الصهيونية– الأمريكية) ، إلى تبديل ملامح الدين الإسلامي ومعتقداته الأساسية ، وتحريفها وإبعاد المسلمين عنها، بحيث تقدم لهم نموذجاً عن إسلام أمريكي عصري علماني ، لا يعدو كونه أقرب إلى الشكليات والعادات وبعض الشعائر.. ، مع تبديل المعتقدات الأساسية. وإلغاء القضايا الرئيسية المتعلق بالهوية الدينية ، والولاء والبراء ، والكيان السياسي ، والشخصية المسلمة، والحياة الإسلامية على كل صعيد ...الخ.

وأهم وسائلها في ذلك الإعتماد علي طليعة من علماء السلطان، وبعض الفاسدين من رموز الصحوة الإسلامية. لتجنيد فصائل من **(علماء الإستعمار)** و **(دعاة البنتاغون)**. ووضع برنامج طموح بالتعاون مع الحكومات في العالم الإسلامي لتخريج دفعات من العلماء والدعاة (**المهجنين فكريا**) و (**المستنسخين أمريكيا**). عن طريق ما يسمي

دورات إعادة التأهيل الشرعي لخطباء المساجد والأئمة والوعاظ والمشايخ.

وكذلك عن طريق إنشاء مؤسسات أسلامية تحت مسميات شتى تدعو لذوبان الشخصية الإسلامية وتحريف الدين تحت شعارات (الحوار) و(الوسطية) و(خطاب الآخر) و(إعادة صياغة الخطاب الديني)... على أساس أنها من مؤسسات المجتمع المدني غير الحكومية. وقد بلغت الوقاحة والسفه بالأمريكيين أواسط سنة (2004م) أن يصلوا في طموحاتهم المريضة في تغيير الدين الإسلامي، إلى جمع عدد من العلماء والمختصين من أو بعض المرتدين من أجل اختصار القرآن !! ، فأخرجوا قرآنا جديدا مختصرا بعد أن حذفوا من القرآن كل آيات الجهاد والولاء والبراء ، وما يدعو إلى كراهية الكفار ومفارقتهم وجهادهم !! بدعوى أن ذلك أساس الإرهاب في الدين الإسلامي. وأسموا القرآن الجديد المختصر (**فرقان الحق**) ..!!!! وكأنما قرآننا الكامل المحفوظ بحفظ الله رغم أنوفهم هو فرقان باطل ! حاشاه ، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. ولك أن تتصور إذن إلى أي مدى يذهب البعد العقائدي لهذه المعركة.

- **وفي الجانب الفكري والثقافي:**

تهدف الحملات إلى علمنة العقل العربي والإسلامي وتفكيكه ، وإعادة صياغته على الطريقة الأمريكية. بحيث يخلق أجيالاً من الممسوخين الذين لا هوية دينة ولا فكرية لهم ، ولا يربطهم بجذورهم التاريخية والثقافية أي رابط. ويقودهم مجموعة من العملاء ، الذين لا ينتمون إلى أمة الإسلام إلا بالأسماء والأشكال. ولكنهم صهاينة متأمركون في الفكر والثقافة والمعتقدات. ولهذا الهدف والبرنامج تفاصيل كثيرة وبرامج أصبحت مشهورة ، تحت شعار حرب الأفكار والمناهج التي تشنها أمريكا على المسلمين وحضارتهم وشعوبهم لفصلهم عن تلك المكونات الحضارية.

- **وفي البعد السياسي:**

تهدف الحملات إلى تفكيك الكيانات السياسية القائمة في العالم العربي والإسلامي. وإعادة صياغاتها عن طريق اللعب بالخرائط السياسية ، والنظم الحاكمة القائمة ، والتركيبة السكانية طائفياً وعرقياً. كما تهدف إلى فرض نموج من (الديمقراطية الاستعمارية) المبتكرة. التي تمزج بين مبادئ ذات (أصول ديمقراطية) و(أوضاع استعمارية) (وأساليب قمعية تعسفية لحكومات ديكتاتورية) !!. وذلك بفرض جملة من السياسات، لإبعاد كل أشكال المعارضات الدينية والقومية والوطنية والسياسية من طريقها ، وجعلها غير فاعلة. بحيث تزيل

أمريكا بعض الأنظمة التي أقامتها أو دعمت وجودها سابقا .. وتطيح ببعضها وتبقى بعضها ، وتعيد تشكيل وإنشاء أنظمة أخرى مكانها. بما يمكنها من تنفيذ برنامجها في منطقتنا عبر مشروعها الذي أسمته:

(**الشرق الأوسط الكبير**) الممتد من تخوم الصين إلى سواحل الأطلسي ، ومن ضفاف البحر الأسود وقزوين وإلى بحر العرب وصحراء أفريقيا الكبرى.. أي بالمختصر.. العالم العربي ومعظم الإسلامي.

- **وفي البعد الاقتصادي:**

تهدف أمريكا إلى السيطرة التامة على اقتصاديات وموارد تلك المنطقة ولاسيما الطاقة، وخاصة البترول والغاز. مما يسمح لها بالتحكم باقتصاديات حلفائها وإجبارهم على العمل ضمن برنامجها. كما تهدف إلى ربط اقتصاد المنطقة بعجلة اقتصادها واقتصاد إسرائيل. من خلال ما تسميه اتفاقيات الشراكة ، وإقامة المناطق الحرة، والمشاريع الإقتصادية المشتركة ... والحيل الاقتصادية الاستعمارية الاحتكارية الأخرى.

- **وفي البعد الاجتماعي:**

تهدف الحملات إلى تفكيك المكونات الاجتماعية للعرب والمسلمين، وإعادة صياغتها على صعيد الأعراف والتقاليد والسلوكيات ... من خلال برامج الإعلام ، وهجوم الفضائيات وشبكات الانترنيت ، وما تبثه من خلالها وتلعب بفعله بعقول الناس لتمسخهم وتعيد استنساخهم بحسب النموذج الغربي الأمريكي. عبر نشر ثقافة الدعارة والسفور والاختلاط والغناء وفنون الرذيلة .. تحت مسميات الحرية والترفيه ومساواة الجنسين وتحرير المرأة ...إلخ. وقد أطلق الأمريكيون على مخططهم هذا اسم برامج **إعادة صياغة المجتمعات !!**

- **وفي البعد التربوي والتعليمي:**

تشن أمريكا على العالم العربي والإسلامي اليوم ، حملة ضارية في المجال التربوي والتعليمي والفكري والثقافي. حملة أشد شراسة من حملتها العسكرية وأكبر ميزانية وأعقد في مخططاتها وشبكاتها وخفاء أساليبها.

فقد أدرك الصليبيون واليهود كما قدمت في مقدمة الكتاب تحت عنوان – محاور المقاومة – أدركوا أن جذور المقاومة تأتي من دين الأمة وموروثها العقدي والفكري والثقافي والأخلاقي. وأن وسيلة تغذية هذا

الموروث والحفاظ عليه تأتي من خلال مادة التربية والتعليم وأساليبها.. فركزت أمريكا وحلفاؤها الهجوم في هذا المنحى. مستخدمة نفس استراتيجية (البناء والهدم) التي أسلفنا ذكرها. فهي تعمل على هدم موروثنا الفكري التربوي ، معلى ببناء فكرها ونظرياتها وأساليب حضارتها وحياتها في أمتنا.

أو هكذا تحاول أن تعمل ، وقد عملت لهذا عن طريق فرض مشاريع تغير مناهج التعليم على وزارات التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي ، بكافة مراحلها من الابتدائية إلى العليا وركزت خاصة على تخريب مناهج في مواد التاريخ ، والتربية الوطنية ، والتربية الإسلامية ، واللغة العربية ، والعلوم السياسية والاجتماعية ، ومواد الأخلاق ...إلخ. كما سعت إلى منع التعليم الديني المتخصص والتضييق عليه ، وفرض سيطرة الحكومات على المساجد والدروس والخطب.. الخ .

- **وفي البعد العسكري للحملات:**

تعمل الحملات الأمريكية على فرض سيطرتها العسكرية على المنطقة التي أسمتها الشرق الأوسط الكبير عبر الاستراتيجية التالي:

1- حضورها العسكري المباشر عن طريق الاحتلال لبعض المناطق كما أفغانستان والعراق ، ومناطق أخرى تخطط لغزوها مثل سوريا وإيران والسودان ومصر وأجزاء من جزيرة العرب ...

2- التعاون في جزيرة العرب حاليا ، وكذلك في تركيا ومصر وشمال أفريقيا ودول وسط آسيا.. حيث يوجد في ما تسميه منطقة العمليات الوسطى ، والتي تضم العالم العربي ومعظم الإسلامي، أكثر من مليون وتضف المليون جندي أمريكي عدا قوات الحلفاء من الناتو وغيره.

3- حضورها العسكري المباشر عن طريق القواعد البرية والبحرية والأساطيل التي تحيط بمجموعها بكافة هذه المنطقة وتشكل مع قواعدها الثابتة في قلب العالم العربي والإسلامي احتلالها وسيطرتها في المنطقة.

4- رفع إمكانيات الجيش الإسرائيلي ليكون قوة استراتيجية ضاربة متفوقة شبه وحيدة في المنطقة.

5- تفكيك الجيوش العربية والإسلامية المحيطة بإسرائيل ، عن طريق تدميرها كما في العراق أو تفكيكها كما جري لجيوش مصر والأردن وسوريا وغيرها التي تحولت لمهام الأمن لقمع شعوبها.

6- إدخال الجيوش القائمة القوية المتبقية في المنطقة في خدماتها اللوجستية كما يفعل الجيش الباكستاني في ساعة كتابة هذه السطور ليلة 21-3- 2004م في مجازره التي يضرب بها المجاهدين العرب والأوزبك والتركستان والشيشان ومن آواهم في

منطلق قبائل وزيرستان .. وكما تقدم باقي الجيوش التركية وغيرها في المنطقة خدماتها طوعاً أو كرهاً.

- **وفي البعد الأمني :**

يمكن تلخيص الإستراتيجية الأمنية لأمريكا في آخر ما وصلت إليه بالنقاط التالية:

1 – نشر الوحدات الأمنية من مختلف أجهزة الإستخبارات والأمن الأمريكية مثل (CIA) و (FBI) وغيرها مما أستحدثته اليوم. بشكل مباشر عبر المكاتب المعلنة الرسمية في العواصم العربية والإسلامية. وعن طريق المكاتب السرية ، تحت أغطية مختلفة. وعن طريق الأقسام الأمنية في سفاراتها في المنطقة.

2 - وضع كامل أجهزة استخبارات الأنظمة العربية والإسلامية في المنطقة في خدمتها المباشرة. وتوكيلها بالأعمال القذرة من الاعتقال والتعذيب والقمع والتصفية.

3 - وضع القوات الأمنية لعشرات الدول الحليفة المباشرة وغير المباشرة في العالم بأسره في خدمة برنامجها الأمني. وإجبار تلك الدول على تنفيذ برنامجها ولوائحها الأمنية. واعتقال من تشاء وتسليم من تشاء ، حتى رغم أنف الحكومات وأجهزتها القضائية حتى بعد تبرئة ساحتهم ، كما حصل في اعتقال الجزائريين الستة من المجاهدين العرب في البوسنة بعد تبرئة المحكمة البوسنية لهم!

وخطفهم وأخذهم إلى غوانتانامو رغم أنف حكومة البوسنة ، ورغم الرأي العام العالمي الأبله المأسور لوسائل الإعلام الصهيونية الدولية !.

4 - عقد الاتفاقيات والأحلاف والمؤتمرات الأمنية الدورية والطارئة في كل أنحاء الأرض.

5 - إلغاء الملاذات الآمنة للإسلاميين المطاردين من فبل بلادهم أو من قبلها. وإجبار الدول على تسليمهم. أو طردهم لتطاردهم بدورها وتختطفهم.

6 - تجفيف المنابع المالية للجماعات الجهادية وكل مؤسسة إسلامية تعتبرها إرهابية أو داعمة للإرهاب. وذلك في محاولة لإدخال المجاهدين وأسرهم في حلة الجوع والخوف والفاقة. وشل قدرتهم على العمل والحركة.

7 - تدمير القواعد العسكرية المتمركزة ، والخطوط الظاهرة لبؤر المقاومة. عن طريق القصف الجوي والصاروخي ، أو تكليف قوات عميلة للجيوش أو الميليشيات المحلية بالزحف عليها وتصفيتها.

8 - تصفية رؤوس المقاومة ورموز الجهاديين اغتيالاً وخطفاً.

9 - اعتقال العناصر الجهادية من كل مكان ، وتسليمها لأمريكا أو لبلادها أو سجنها محلياً.

10 - ممارسة سياسة (الضربات الاستباقية) وإجهاض الخلايا المفترضة للإرهاب كما يدعون. بحيث تدمر أمريكا وتصفي أي مؤسسة أو شخصية تظنها أو تتهمها بأنها معادية.

11 - إعتماد الردع والإرهاب المعاكس.. باستخدام التكنولوجيا المهيمنة وإمكانيات الدولة العظمى.

12 - تجنيد العملاء في أوساط الإسلاميين وزرعهم في ساحات المقاومة المفترضة.

13 - إطلاق (حرب الأفكار) كما أسماها رامسفيلد ، والهدف منها تدمير الخلفيات الفكرية والدينية والثقافية التي تغذي الاستعداد للمقاومة ، وزرع مفاهيم الاستسلام للعدو في الأمة بدلا عنها.

هذا في الإتجاه الهجومي وأما في الاتجاه الدفاعي فيمكن إضافة البنود التالية:

14 - التوسع في إصدار التشريعات القانونية لمكافحة الإرهاب داخل أمريكا وفي بلاد الحلفاء، بصرف النظر عن الحقوق المدنية وحقوق الإنسان.

15 - استحداث أجهزة أمنية داخلية جديدة وإعطائها وزارة جديدة في أمريكا.

16 - الإحتياطات الدفاعية الداخلية ، والإجراآت الأمنية التي تبلغ حد الهوس عندهم. وإجراء المناورات الأمنية على هجومات مفترضة ، حتى بأسلحة الدمار الشامل.

17 - الضغط على الجاليات العربية والإسلامية ، وحصارها أمنيا واختراقها وتوظيفها.

18 - توظيف المنظمات الدولية والمتفرعة عن الأمم المتحدة في برنامجها لمكافحة الإرهاب ، مثل إلزام الدول الأعضاء كافة برفع التقارير عن إنجازاتها في مكافحة الإرهاب ، وتقديم كشوف عن مجريات النظام البنكي وحوالات الأمول في بلادها ، مع التهديد بالعقوبات للدول المتهاونة.

19 – وأخيرا ما اقترحته الزنجية الشمطاء والحية الرقطاء (كونديليسا رايس) من فكرة تشكيل ميليشيات محلية من القوى الصديقة في كل مناطق العالم لتكون ذراع أمريكا المحلية في مكافحة الإرهاب. وذلك لسد العجز الظاهر في القوة البشرية الأمريكية وعجزها عن سد احتياجات الحلم الإمبراطوري.

هذه باختصار ما يمكن تسميته: [**استراتيجية إرهاب الدولة العظمى. القطب العالمي الأوحد : أمريكا**] حتى الآن. أخزاهم الجبار المنتقم.

وبها نختم المحاور العامة لهذه الحملات التي تتحرك بنظرية صراع الحضارات ، حيث أعلنوا أنهم وضعوا هدف إزالة الحضارة الإسلامية طريقا للبقاء وتوحيد الصفوف.

(2) - واقع الأمة العربية والإسلامية في مواجهة الحملات:

وسنتناول ذلك من خلال تناول واقع الشرائح المختلفة:

أ – واقع الأنظمة الحاكمة في بلاد العالم العربي والإسلامي إبان هذه الحملات:

1 - تحس هذه الأنظمة ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط وما حولها أنها مهددة بالإزالة من قبل أمريكا ، إن هي لم تستجب للمطالب الأمريكية بمزيد من العمالة والانبطاح ، ولاسيما في مجال مكافحة الحركات الإسلامية وجذور المقاومة ، وفق المطالب الأمريكية ، التي تريد من الجميع أن يتصرف على طريقة النموذج الليبي الذي قدمه القذافي : (تسليم كل شيء وفتح الأبواب لكل المطالب والتنازلات).

2- تحس هذه الأنظمة أنها مهددة بالإزالة والثورة عليها من قبل شعوبها إن هي استمرت في مزيد من العمالة والانبطاح والتجاوب مع المطالب الأمريكية اللامتناهية.

3- تقف الأنظمة مذعورة أمام هذين الخيارين بالإزالة من الخارج أو من الداخل ، وتقف عاجزة عن ممارسة الانفتاح على شعوبها والتعاون معها ، نتيجة إرث هائل من القمع والفساد والنهب والجرائم تعودت عليه وعلى ما اعتادته من السطوة والمنافع.

4- يبدو حتى الآن أن خيار الأنظمة هو الاستجابة للضغوط الأمريكية ، ومواجهة شعوبها لتسير إلى مصير المواجهة المحتومة معها ، من أجل إرضاء أمريكا حتى لا تستبدلها.

ب – واقع علماء المسلمين وقيادات الصحوة الإسلامية:

ينقسم علماء المسلمين اليوم إلى فريقين:

- **فريق علماء السلطان المنافقين.**
- **فريق الصالحين العاجزين.**

وينقسم كل فريق إلى قسمين:

فأما علماء السلطان المنافقين فهم:

أ– **فريق مع الاستعمار ومع حكامهم في ولائهم للاستعمار.**

ب – **وفريق منافق لحكامهم مناهض للاستعمار.**

وأما الصالحون العاجزون ففريقان أيضا :

ج - **فريق يحاول مسك العصا من وسطها بين الحكام وبين بذور النهضة الجهادية وملامح المقاومة القادمة** ، ولكنهم كلما مارسوا شيئاً من الحيادية وطالبوا بشيء من الإصلاح لاحت لهم عصا السلطان ، وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغضب السلطان.. فانقمعوا، ومالوا للمجاملة والمداهنة والتمتمة والإعجام.. فخسروا ما كسبوه من ود الشارع المسلم ومحبته وثقته. وهكذا ما زالوا يراوحون مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء..كالشاة العائرة بين الغنمين.

د - **والقسم الثاني من الصالحين معتزل خائف.. لا تطاوعه نفسه وتقواه على مجاراة السلطان. ولا يسعفه إيمانه وثباته وشجاعته في قول الحق و نصرة أهل الحق.**

وهذا الفريق من (الساكتين على الحق) هم خيرة علماء الإسلام اليوم! ! عجزة .. مترحضون حيث تاه الناس وهاجوا وماجوا في الحيرة والتيه وسط في هذه المتلاطمات التي تجعل الحليم حيراناً. فكيف بعوام المسلمين. ؟!

ولا يبدو في الأفق وإلى الآن ملامح وجود أحد من مدرسة ابن تيميه وأحمد بن حنبل ومالك والشافعي وأبو حنيفة وسفيان

والأوزاعي.. الذين طالما أطرب هؤلاء العلماء الحضور من عوام المسلمين بعطر قصصهم وثباتهم.. وإلى الله المشتكى..

ج- واقع قيادات الصحوة الإسلامية:

يخيم العجز والخنوع على أوساط معظم قيادات الصحوة الإسلامية . ولا يجدون متنفساً إلا في صب جام غضبهم وانتقاداتهم على أمريكا وممارساتها ، خاصة أن سخط الأنظمة من ضغوط أمريكا فتح لبعض هؤلاء النافذة ليسبوا الاستعمار، متجاوزين من يمثله ويقوم بمهامه في بلادنا من الحكام. أما على صعيد البرنامج. فكلهم يدعون اليوم للديمقراطية ، والإصلاحات السياسية ، وخيار الشعب..! لعلهم يجدون في ذلك مجالاً ومتنفساً. ولا يبدو في كبار قيادات الصحوة ورجال الصف الأول فيها اليوم بوادر من يترشح لقيادة المقاومة والدعوة إليها.

ولكن كثيراً منهم يلعب دوراً مهماً بالإضافة لبعض الصالحين من المستترين من علماء المسلمين ، في دعوة الأمة إلى التمسك بثوابتها ، ومواجهات حملات التغريب والاستعمار الفكري والحضاري ، وهو جهد مهم جداً في توليد أرضية المقاومة.

د – واقع الأحزاب والمعارضات السياسية والقومية والوطنية والعلمانية:

نتيجة أن الهجمة العالمية على الإسلام اليوم، وتهمة العاملين تحت شعاره بالإرهاب ، وجدت الأحزاب والشخصيات السياسية والفكرية من التيار العلماني في العالم العربي والإسلامي ، هامش حرية بعيداً عن إمكانية وضعها تحت طائلة (تهمة الإرهاب). وبالتالي الدخول في دائرة التصفية قتلاً وخطفاً وسجناً. وساعد هذا التيار على الإنطلاق بحرية للدعاية لأفكارهم عوامل أخرى. من أهمها أن دعوتهم للديمقراطية ، والتداول على السلطة وحقوق المعارضة ، تجد تأييداً من أمريكا وتواؤماً مع مشاريع هما للإصلاح السياسي. فصاروا يجاهرون بذلك ولا يخافون ، ويأخذون راحتهم بالتنديد بالفساد المستشري في الأنظمة وممارساتها وهنا انقسموا إلى قسمين :

1- **قسم يمثل المعارضة الشريفة:** وهؤلاء ينددون بفساد الأنظمة، وأهداف الحملة الأمريكية ، ويقفون في صف الأمة ، ويدعون للمقاومة بأسلوب قوي متماسك ، من خلال طرح وطني وقومي يلتقي في طروحاته مع أهداف المقاومة والجهاد وإن اختلف المنطلق العقائدي.

2- **وقسم يمثل المعارضة العميلة الخائنة:** وقد جد هؤلاء في الهجمة على الإسلام ودعوة أمريكا للإصلاح السياسي ، وفرضه على الأنظمة طوعاً أو كرهاً ، فرصة كي ينقضّوا على تلك الأنظمة

ويشبعوها فضحةً وكشفاً لبوارها. ويطرحون أنفسهم كخيار ثالث ، إلى جانب الأنظمة ، والقوى المتحاربة معها من الأصولية الإسلامية بكل أطرافها.

وهذا الخيار الخبيث هو المرشح للتحرك على الأرض اليوم ، أمام جحافل الغزاة الأمريكان. ليسقطوا تلك الأنظمة ، ويحلوا محلها كخيار أشد كفراً وضلالاً وتبعية وخيانة، ومحاربة للإسلام والمسلمين.

وتعج وسائل الإعلام والفضائيات ومنتديات الانترنيت اليوم بهؤلاء الذين يتخذون من نموذج (كرازي) و(المعارضة العراقية) ، الذين وصلوا مع الدبابات الأمريكية لسدة الحكم ، نموذج الأمل بالوصول لأحلامهم البغيضة.

هـ – واقع رجل الشارع من عوام المسلمين:

يمكن تلخيص حالة رجل الشارع العربي تحت عناوين الإحباط والغضب والقهر والرفض للأنظمة ، والرفض لما تفرضه برامج الحملات الغازية.

وينقسم عوام الشعوب العربية والإسلامية إلى معسكرين:

1- أقلية ترحب بالتغير القادم ولو على الدبابات الأمريكية. فقد ملوا القهر والفقر والظلم والتهميش وضنك العيش.

2- وأكثرية رافضة للأنظمة ، رافضة لبرنامج الحملات الأمريكية .. تنادي بالمقاومة وتستعد لها.

والمطلع على حالة الغليان في الشارع العربي والإسلامي ، يستبشر بالخير كل الخير، بميلاد حركات مقاومة تمتد من تخوم الصين شرقاً ، إلى ضفاف الأطلسي غرباً. ويصل أوارها إلى كل أقطار المعمورة..

و – واقع التيار الجهادي وبذور قوى المقاومة:

كما ذكرنا آنفاً فقد تعرض التيار الجهادي بكامل أطيافه ورجاله و تنظيماته ، بل وكثير من أنصاره إلى الدخول في أخدود عالم ما بعد سبتمبر كما أسلفنا بالتفصيل. ولذلك لم ينج من رجاله وكوادره من القتل والخطف والسجن إلا من سلم الله. وقد اقتنع معظم من بقي من هذا القليل ، بوضع كل الأهداف والخيارات السابقة جانباً ، والأخذ بخيار المقاومة والمواجهة مع أمريكا وحلفائها.

ولعل الله يأخذ بأيدينا وأيدي من بقي لإرساء قواعد مقاومة عالمية ، تكون القاعدة الصلبة التي تنشأ عليها قوى المقاومة وفصائلها وسراياها وخلاياها في الأمة.

وأما بذور المقاومة الفطرية في الشارع العربي والإسلامي ، فتشير الدلائل إلى أنها قيد التشكيل ، فالمناخ الثوري الجهادي ترتفع حرارته

بوتيرة متسارعة. وتصنيف الأحداث اليومية إليه وقود من أسباب الغضب والحقد المقدس. وتلعب وسائل الإعلام وثورة الفضائيات ، وشبكات المعلومات ، دوراً هاماً ورائعاً في التواصل بالمعلومات والأخبار وتبادل الأفكار. والساحة مبشرة بكل ماتعنيه كلمة (مبشرة) من معاني..

ولكن الخوف من انفجار الأمور بلا تحكم ، مع كل تلك المتناقضات آنفة الذكر حقيقي ، ونسأل الله أن لا يدخل الناس في حال من الهرج والفتن والملاحم والفوضى الشاملة.

ومن هنا تأتي أهمية أن تتصدى الصحوة الإسلامية والجهادية ، لترشيد المقاومة ودفعها بالاتجاه الصحيح.

وأخيراً في وصف واقع المسلمين لابد من الإشارة إلى ظاهرة هامة وخطيرة جداً وتحتاج علاجاً سريعاً من العقول القادرة على توجيه المقاومة وترشيدها ، من العلماء والمفكرين والكتاب ورجال الدعوة الإعلام..

هذه الظاهرة هي :

(مقاومة نخبة الأمة لطلائع المقاومة فيها !!!)

فإنه على العكس من منطق ظروف حالات الإستعمار وقوى المقاومة ، في كل الأمم كافرها ومؤمنها عبر التاريخ.

وعلى العكس مما جرى في كل تاريخنا العربي والإسلامي ، خلال الحملات الصليبية الاستعمارية الأولى والثانية من وقوف الأمة ونخبتها ضد الأعداء الغزاة وحلفائهم. تشير الأحوال إلى ظاهرة غريبة تحف المقاومة والمقاومين بالخطر.

ففي أسوأ الحالات في تلك الظروف السابقة ؛ أفرزت المجتمعات العربية والإسلامية قوىً للمقاومة. وانقسمت الأمة بين أقلية مجاهدة مقاومة عاملة ، وأكثرية قاعدة عن الجهاد والمقاومة ، ولكنها كانت مؤيدة لها، داعمة لها بما استطاعت من خدمات مادية أو معنوية ، أو حتى عاطفية. ولم يشذ من شرائح الأمة إلا النادر ممن ضم صوته لمساعدة قوى الإستعمار. وكان في طليعة القوى الداعمة للمقاومة في تلك الأزمان علماؤها ومفكروها ورجال الرأي والأدب والقلم فيها.

لقد حصل هذا في تاريخ المسلمين ، وفي تاريخ كل الشعوب التي احتُلت وقاومت..

ولكن الذي يجري الآن .. أن كثيرا من الشرائح النخبوية المنظمة في المجتمعات العربية والإسلامية.. طبقة الحكام، طبقة العلماء، طبقة الصحوة، طبقة المعارضات السياسية، طبقة المثقفين والمفكرين.. يبدون وكأنهم :

(مضادات حيوية معاكسة للمقاومة ، مؤيدة لجرثومة الإستعمار الجديد) !!

ففوق أنها شرائح غير مقاومة للاستعمار، الذي يقصد كل هذه الطبقات من أفسد الحكام إلى أتعس المحكومين بالقهر والسلب والدمار.. وإنما مضادات حيوية ضد خلايا المقاومة الحية المجاهدة لأمريكا وعملائها في المنطقة.

والحمد لله أن الغالبية الساحقة لرجل الشارع العادي من عوام المسلمين نتيجة البوصلة الفطرية السليمة عندهم تذهب إلى تأييد الجهاد والمجاهدين وقوى المقاومة. وكذلك بعض الأقليات من تلك النخب.

وفي رأيي تعود هذه الظاهرة الشاذة التي يجب علاجها إلى ثلاثة أسباب..

(1) - نجاح الاستعمار في حملته الإعلامية الفكرية في مكافحة (الإرهاب الإسلامي) كما أسماه. وهو اللقب الذي نجحوا بأن يلصقوه بالجهاديين ، ما خلا حالات خاصة من المقاومة كما في حالة فلسطين ، والعراق جزئياً.

(2) - ارتباط مصالح الشرائح آنفة الذكر في التصدي للمقاومة الجهادية ، لأغراض سياسية أو شخصية أو فكرية أو مادية ..

(3) - **وهو الأهم في رأيي : فشل الجهاديين منذ سبتمبر ، لأسباب يطول شرحها ، في إنجاح حملة إعلامية وفكرية تستطيع إثبات ذاتها كمقاومة مشروعة وفق معايير تلك الأوساط.**

ففي الوقت الذي ينظر فيه اليوم في عموم مكونات الشعوب العربية والإسلامية حكاماً، محكومين على اختلاف أجناسهم إلى الجهاد في فلسطين على أنه مقاومة مشروعة. وكذلك جزئياً إلى بعض شرائح المقاومة في العراق. تسود الصفة السلبية كل أعمال الجهاديين التي تتصدى للأمريكان وحلفائهم في أفغانستان وفي مختلف دول العالم. كالعمليات التي تحصل في السعودية والأردن وأوربا ... حيث طُبع الجهاديون بكل الصفات السلبية ، من الجهل والدموية والإرهاب وغير ذلك.. وحشروا في زاوية ضيقة سيئة ، تحتاج حلاً سريعاً يعيد وضع الحق في نصابه.

وهذه من أهم تحديات المقاومة الجهادية للحملات الصليبية الصهيونية بقيادة أمريكا وحلفائها وعملائها.

(3)- خلاصة تركيبة القوى في معسكر المقاومة ومعسكر الاحتلال و معسكر الحياد بينهما:

بعد أن عرفنا برنامج العدو وأهدافه واستراتيجيته في تحقيق تلك الأهداف ، وهو أمر أساسي في وضع برنامج المقاومة واستراتيجيتها ، بقي أن نعرف حتى نستكمل معطيات وضع استراتيجيتنا ، تركيبة القوى لكل من معسكر المقاومة وقواها الذاتية كي نوسعها ، وكذلك معرفة ذلك عن العدو وحلفائه كي نعمل على تفكيكهم. ثم معرفة

تركيبة القوى المحايدة بيننا وبينهم للعمل على كسبها أو إبقائها على الأقل في دائرة الحياد.

- **خارطة تركيبة الحملات المعادية لأمريكا وحلفائها وعملائها:**

تتكون الحملات من قوات طاغية ، تعمل متعاونة في كافة المجالات العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية والإعلامية... الخ.. وتتكون هذه الحملات بقيادة أمريكا من القوات التالية بحسب أهميتها:

1 - **الولايات المتحدة الأمريكية:**

التي تقودها قوى سياسية ولو بيات إعلامية ومالية استطاع اليهود عبر قرنين من الزمن من غزوها والسيطرة على توجهيها. وتستحوذ الولايات المتحدة على جملة من المعطيات ومظاهر القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية ليس هنا مكان استقصائها وأصبحت أشهر من أن يشار عليها ويكفي أن نعلم أن مراكز الدراسات الإستراتيجية اليوم تصنف القوة العسكرية لأمريكا بأنها أكبر من القوة العسكرية لأكبر تسع قوى عسكرية تليها في التصنيف مجتمعة !

2 – **إسرائيل :**

وتأتي في الدرجة الثانية في الأهمية في هذه الحملات ليس فقط لأهمية قدراتها العسكرية ، التي رعت أمريكا وأوربا تطورها إلى

مستويات عالية. وإنما لأن حاخاماتها من حكماء صهيون هم الذين يوجهون تفكير هؤلاء الحلفاء جميعا. ولأن كبار رجال المال الذين يملكون كبريات مؤسسات المال والبنوك العالمية هم من اليهود الصهاينة ، الذين يتحكمون في مؤسسات الإعلام العالمية من صحافة وسينما وفضائيات ودور نشر... ويديرون بذلك ألاعيب السياسة في الدول الكبرى فضلا عن غيرها. ولأن إسرائيل تنزرع في قلب عالمنا العربي والإسلامي.

3 - **بريطانيا:**

وهي الحليف الطبيعي لأمريكا دينياً (لأن غالبتهم مثلهم على المذهب البروتستانتي ذي التأثيرات الصهيونية). وكذلك تربطهم مع أمريكا روابط أخرى مثل اللغة والتاريخ ..، كما يستحوذ على إدارة كلا الحزبين اللذين يتبادلان الحكم في بريطانيا (المحافظون والعمال) لو بيات سياسية وإعلامية واقتصادية غالبها يهودي أو تابع للنفوذ اليهودي، شأنهم شان الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) في أمريكا. وتأتي أهمية هذا الحليف من خلال الخبرة التاريخية الاستعمارية الهائلة ، ولاسيما في بلادنا العربية والإسلامية.

4 – **دول حلف شمال الأطلسي (NATO)** :

وهو الحلف العسكري الذي يربط أمريكا ودول أوروبا الغربية منذ انتصارها في الحرب العالمية الثانية. وقد جرى توسيعه على مراحل أهمها مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي حيث دخلت معظم دول أوروبا الشرقية التي كانت تكون حلف (وارسو) المنحل في (حلف الناتو) ليصل عدد هذه الدول اليوم إلى نحو 26 دولة. ولكن أبرز تلك الدول الحليفة وأهمها من الناحية العسكرية والإستراتيجية عامة .. دول أوروبا الغربية مثل: فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، أسبانيا ، بلجيكا ، البرتغال.. بالإضافة إلى استراليا وكندا.

5 - **حلفاء أمريكا من الدول خارج حلف الناتو**:

بسبب أن أمريكا قد أصبحت القطب الأوحد في العالم عبر طفرة شاذة لا سابق لها في التاريخ ، وبسبب أنها أصبحت تمسك بمفاتيح القوة العسكرية والسياسية للتأثير على الأنظمة الحاكمة والدول ، كما تمسك بمفاتيح الإقتصاد العالمي ومنابع الطاقة في العالم. كما تمسك بوسائل الإعلام والتوجيه الرئيسية في العالم عن طريق سيطرة اللوبيات الصهيونية اليهودية العالمية.

فإن أكثر دول العالم أصبحت داخلة في قائمة حلفاء أمريكا الدائمين أو المرحليين، طوعا أو كرها.

ومن أهم الدول الداخلين في هذه القائمة من حلفاء أمريكا من خارج الناتو:

أ – اليابان:

ورغم أنها حليف منافس في مجال الإقتصاد ، حيث تدور بينهما حرب اقتصادية طاحنة وإن كانت باردة ، إلا أن أمريكا بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية 1945م. استطاعت تفكيك الأرضية الدينية والثقافية لليابان وتبديل هويتها الحضارية وإلحاقها بالعالم الغربي.

ومنذ حرب الخليج الأولى (عاصفة الصحراء) 1999م. وانطلاق النظام العالمي الجديد، استطاعت أمريكا جرَّ اليابان لتكون حليفاً عسكرياً يتورط شيئاً فشيئاً في ميادين الصراع الأمريكية. وبعد سبتمبر وغزوا العراق جرت أمريكا اليابان لتكون شريكاً عسكرياً ميدانياً حقيقياً لها في غزواتها وحملات الصليبية. حيث تستدرجها هذه الأيام إلى أفغانستان.

ب – روسيا:

ما تزال روسيا منافساً تاريخياً لأمريكا ولكن أحوالها الإقتصادية والسياسية جعلتها ألعوبة بيد حلف الناتو وزعيمته أمريكا. ورغم محاولتها إثبات وجودها ولاسيما في إطارها المحيط في وسط آسيا.

ودول البلطيق وشرق أوربا ، إلا أن أمريكا استطاعت جر معظم تلك الدول أيضاً لحلفها.

فلم يبق لروسيا إلا اللعب على هامش التنافس بين محور الدول الأوروبية الرئيسية (ألمانيا، فرنسا. وأسبانيا مؤخراً). ومحور (أمريكا وبريطانيا وإيطاليا) وأذيالها من دول أوروبا الضعيفة، بالإضافة لليابان. ولكن ولأن جميع هذه الدول بما فيها روسيا ، تقف في مواجهة الإسلام وحضارته. فقد جمعها حلف صليبي يغلب عليه التماسك في محاربتنا رغم تناقضاته وصراعاته الداخلية ومن هنا تقف روسيا في حلف أمريكا رغم تلك التناقضات والصراعات الداخلية داخل حلفهم كغيرها.

ج – الهند:

تسير الهند لتكون دولة عظمى. فطاقتها البشرية تبلغ المليار نسمة! وهم يكونون نحو 6/1 سكان الأرض! واقتصادها ينمو بشكل منافس ، وأسواقها الهائلة تشكل ميداناً مهماً جداً للاقتصاد الرأسمالي العالمي. وتطورها العسكري ؛ التكنولوجي التقليدي والنووي صار في مصاف القوى الإستراتيجية. وصراعها التاريخي بهويتها الهندوسية المتعصبة مع المسلمين يرشحها لتكون ركناً أساسياً في محور الشر (الصليبي – اليهودي) الغازي للمسلمين. وتشير الدراسات الإستراتيجية إلى أن الهند ستبلغ أن تكون في حلول عام (2050

ميلادية) ، لتكون الدولة الثالثة في القوة عسكرياً واقتصادياً بعد الصين التي ستحتل المركز الأول ، حيث ستتحرك الولايات المتحدة إلى المركز الثاني!!!

وقد أصبح الحديث عن دخولها عضواً دائماً يمتلك حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي يقترب من الوضوح والصراحة ، وقد طالبت به دول أوربية منها فرنسا !

ولذلك لم تهمل أمريكا وإسرائيل محاولات جر هذا الحليف الجبار النائم إلى معسكرها. وقد كشفت مسارات الصراع (الهندي – الباكستاني) عن انحياز أمريكي علني في صراع الهند ضد باكستان. وعن الحلف السياسي العسكري الذي يتقدم باضطراد بينهما وأصبحت أخبار المناورات العسكرية المشتركة بين أمريكا والهند متكررة ومتواترة. كما صرح المسؤولون الأمريكان باعتبار الهند سندهم الأساسي في استقرار جنوب وشرق آسيا في مكافحة الإرهاب ..

د – حلفاء أمريكا في دول العالم الثالث:

تعتمد أمريكا على حلفاء هامين في العالم الثالث ، كبعض دول آسيا مثل كوريا الجنوبية وتايوان. ومعظم دول جنوب شرق آسيا. وأكثر دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية.. ودول شرق أوروبا التي لم تلتحق بعد بالناتو.. وقد جرت أمريكا أكثر هؤلاء الحلفاء إلى المعسكر الأمريكي بسبب أنظمتهم الفاسدة التي لاتختلف أحوالها عن حال

الأنظمة في العالم العربي والإسلامي. ولبعض هؤلاء الحلفاء أهميته إستراتيجية لأمريكا بدأت تتشكل بدخولهم ميدانياً في صف الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب كما أسموها. بالإضافة إلى أهمية سياسية كبيرة لإضفاء شكل الحلف الدولي على مغامرات أمريكا العسكرية كما تشارك كوريا وبولندا وبعض دول أمريكا اللاتينية اليوم في العراق..

ه – حلفاء أمريكا وعملائها داخل الصف العربي والإسلامي:

وهؤلاء أخطر الحلفاء لأنهم في صفنا الداخلي. ويتكون هذا المعسكر من المرتدين والمنافقين. ويحتوي على الطيف الخبيث التالي ؛ نذكرهم بحسب تدرج أهمية دورهم لصالح العدو:

1 - **الأنظمة المرتدة الحاكمة في الدول العربية والإسلامية:**

فنتيجة للفساد التاريخي لهذه الأنظمة ، وواقعها المرير ، وكونها حصرت همها في البقاء في السلطة بأي ثمن ، فقد أصبحت ألعوبة بأيدي الإدارة الأمريكية. وليس هنا مجال الاستفاضة في شرح مناحي فساد هذه الأنظمة وعمالتها للأعداء ، فذلك يطول وهو مشتهر على كل حال. وباختصار نقول لقد رهنت هذه الأنظمة إرادتها وتصرفاتها بإرادة أعداء الإسلام ، ولاسيما أمريكا. ففتحت لهم أراضيها برا وبحرا وجوا ، يقيمون فيها القواعد ، وينطلقون منها لحرب

المسلمين وإبادتهم. وأمدتهم بالنفط والطاقة لإدارة آلتهم الحربية ، وضخت ثروات المسلمين في خزائنهم وبنوكهم. وجعلت أجهزتها الأمنية واستخباراتها وسجونها روعا قذرة لخدمة مخططات أمريكا في حرب الإسلام والمسلمين وطليعتهم المجاهدة المقاومة. ووقفت معها باختصار بكل أجهزتها السياسية والعسكرية وسواها ، ضد شعوبها ورغما عنهم. ولم تسمح لتلك الشعوب ، بممارسة أي نصرة لقضاياهم ، ولإخوانهم المسلمين. وحرمتهم حتي من أبسط أشكال الاعتراض والتعبير عن رأيهم في كل هذا الظلم والظلمات.

2- المنافقون من علماء السلطان وفقهاء الاستعمار والفاسدون من قيادات الصحوة الإسلامية:

يمثل هذا الفريق باختصار السياج الشرعي الذي يسبغ الشرعية على كل ما يلاقيه المسلمون من ظلم وعنت. بدءً من أم البلايا ، وهي حكمهم بشرائع أعدائهم بغير ما أنزل الله ، وانتهاء بإسباغ الشرعية على احتلال بلاد المسلمين واعتبار عساكر الأعداء مأمنين لا يجوز شرعا الاعتداء عليهم ، ومرورا بدعم مشاريع التطبيع مع اليهود ، وأخيرا وليس آخرا التحرك بكل جد وحماس في برامج أمريكا لحرب الأفكار. لمكافحة المسلمين والمجاهدين والمقاومين شرعيا باسم الدين ، وفكريا باسم الإسلام. لسحب الشرعية عن الجهاد والمقاومة، بعد أن أسبغوها على الإحتلال وأحلافه من الحكام المرتدين. وقد

سبق في فصول الكتاب عن هذا ما يغني عن التكرار هنا. وأخطر ذلك وأشده إجراما برامجهم البعيدة المدى للتأصيل لتحريف الدين ، وإعادة تقديمه وفق المواصفات الأمريكية لمكافحة الإرهاب. التي تعتبر أصل ذلك يبدأ من نصوص القرآن والسنة وتراث الأمة التي أجمعت عليه عبر القرون من الحاكمية والولاء والبراء وأسس التوحيد.

3- الأقليات العرقية والدينية في العالم العربي والإسلامي:

استطاعت أمريكا ، مستفيدة من تراكمات المشاكل والظلم الذي وقع على كثير من الأقليات ، مثلها مثل باقي شرائح الأمة من جهة. ومن تراكمات الأحقاد التاريخية بغير حق لدى بعض الأقليات في الكثير من الحالات الأخرى ، استطاعت أن تشكل رأس الحربة العسكرية والسياسية التي تتحرك على الأرض بشكل متناسق مع قوات أمريكا وحلفائها ، كما حصل من الأقليات الفرسوانية والتركستانية والشيعة الهزارة أثناء غزوها لأفغانستان. وكما حصل باستخدامها الأكراد وسواهم من الأقليات أثناء غزوها للعراق.. وكما تجهزهم ليتحركوا اليوم في سوريا وتركيا وإيران. وكما يحصل من القوى المسيحية الصليبية السياسية والعسكرية في لبنان.. وكما تحاول فرنسا وأمريكا تحريك النعرات القومية البربرية في شمال أفريقيا... وهكذا دواليك ، كما تحاول أن تلعب على وتر القنبلة الموقوتة بين السنة والشيعة في منطقة الشرق الأوسط ولاسيما في الخليج والشام. حيث

وفر الجهل حينا والأحقاد التاريخية حينا آخر فرصة لها لتدمير وحدة الأمة من داخلها وهو أهم عوامل نصرها في هذه المواجهة ، بعد أن وفر القوميون العرب ، والشعوبيون المتعصبون من الأقليات من العلمانيين مادة هذا السم القاتل لتمزيق شمل الأمة عبر عقود متعاقبة.

4 - المهاجرون المستغربون من أصحاب الجنسيات المزدوجة والولاء الأمريكي:

وهذه الشريحة من التكنوقراط وحملة الشهادات العلمية والدراسات العالية.. من أهم وأخطر الشرائح. فقد نشأت هذه الطبقة من المهاجرين وابناء المهاجرين من الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا بسبب الظروف السياسية والاقتصادية في العالم العربي والإسلامي.. وقد تلقفت أجهزة الاستخبارات الغربية عشرات الآلاف من هؤلاء وابنائهم واختارت فهم من سيكونون رجال السياسة والقيادة في شتى المناحي في بلادهم.. ومن أوضح النماذج على هؤلاء أمثال رجل الأعمال والنفط الأفغاني البشتوني الأمريكي الجنسية (حامد كرزاي) رئيس أفغانستان المهاجر إلى أمريكا و (... وزاده) سفير أمريكا الأفغاني - الفرسواني الأصل ، الأمريكي الجنسية أيضا ، وهو مهندس (مؤتمر بون) الذي رسم مخطط احتلال أفغانستان سياسياً. ومثل كبار المعارضين العراقيين من أمثال اللص الدولي المحترف (أحمد الجلبي) ، ورفاقه الآخرين مثل (العلاوي) و(بحر العلوم)

وغيرهم من الذين قضوا شطر عمرهم في أمريكا والغرب. ومنهم اليوم المعارضين الليبيين وكبار رموزهم في أمريكا. وكذلك المعارضة السورية والإيرانية .. التي تصنع على عجل اليوم في أمريكا..والنماذج كثيرة بعد أن وفرت أنظمة الظلم والإستبداد جاليات من المسلمين بعشرات الملايين في بلاد الغرب منذ قامت هذه الأنظمة. والبرنامج أصبح واضحاً مكروراً معروفاً ورجاله وأدواته كذلك.

5- العملاء المتأمركون من التيار العلماني داخل العالم العربي والإسلامي:

أفرز الهجوم السياسي الأمريكي على العالم العربي والإسلامي تحت زعم الإصلاح والديمقراطية نوعا من المعارضات السياسية التي تبنت مشاريع الديمقراطية والإصلاح السياسي الأمريكي، من العلمانيين المستغربين ، أو المتأمركين بالأحرى الذين يرحبون صراحة ودون أي مواربة باستنساخ النموذج الأمريكي لنظم الحياة بأي طريقة ولو كانت على الدبابة الأمريكية بحسب النموذج العراقي . وقد استأسد هؤلاء المعارضون حتى على الأنظمة السياسية المنغلقة كما في مصر ودول الخليج وغيرها بعد أن لمسوا الحماية الأمريكية وخور الأنظمة التي تعد أيامها المتبقية ! وهذا الصنف مع سابقه هم الذين تعدهم أمريكا لحكمنا في مرحلة ما بعد زوال الأنظمة الحالية.

6 - طبقة المنتفعين من الإستعمار ماديا من كبار رجال المال والأعمال في بلادنا:

تنشأ مع هذا الهجوم الأمريكي الشامل اليوم ، والذي يتضمن مشاريع مؤامرة اقتصادية كبرى ، طبقة من التجار وأصحاب رؤوس الأموال في العالم العربي والإسلامي. من الذين يدخلون شركاء في المشروع الاستعماري الأمريكي عبر مخططات الشراكة .. والمناطق الحرة.. والمشاريع الإقتصادية الأمريكية والغربية الكبرى. وغالب هؤلاء من رجال السلطة والسياسة ، ورؤساء المجتمعات العربية والإسلامية ، من رؤساء القبائل أو الإقطاعيين ، أو الرأسماليين الذين تتناسب وتتداخل مصالحهم مع أهداف ومصالح المشروع الأمريكي في أسموه الشرق الأوسط الكبير.

7 - الطبقة المنحلة الفاسدة من فساق عوام المسلمين:

وأكثر هؤلاء من الشرائح الشعبية في عامة الأمة العربية والإسلامية ، من الممسوخين فكرياً والمهزومين حضارياً ، الذين ربطوا عقولهم بمنابع البث الفكري والثقافي لأجهزة الإعلام الأمريكية والغربية، وتربوا على برامج (الفيديو كلوب) و(ستار أكاد مي) و فضائية (روتانا) وأمثالها ... حيث تهتم القوى الاستعمارية برسم مخططات تغريب كبرى لتوسيع هذه الشريحة عن طريق افتتاح الجامعات والمراكز العلمية والثقافية والبعثات إلى أمريكا لمدد طويلة

لتأهيل كادر عميل كاهل علمياً وفكرياً وثقافياً.ليكون منهم جمهور المصفقين في حفلة الزار الأمريكية التي تدق طبولها في طول بلادنا وعرضها اليوم.

تركيبة قوى المقاومة وأنصارها وحلفاؤها في المجال العربي والإسلامي والدولي:

تتكون طلائع المقاومة الناشئة والمواجهة لهذه الحملات الصليبية من القوى والشرائح التالية التي أرتبها بحسب أهميتها كما يلي :

(1)- بقايا تنظيمات التيار الجهادي من الأفغان العرب ، والقاعدة، والجهاديين عموماً من بقايا الجماعات والأفراد المنتشرين المشردين اليوم في مختلف أنحاء العالم.

(2) - التنظيمات المجاهدة (من غير التيار الجهادي) في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كالمجاهدين في فلسطين وكشمير والفليبين وبورما وجنوب شرق آسيا والقرن الأفريقي والشيشان والبوسنة والبلقان ووسط آسيا... وغيرها.

(3)- أنصار الظاهرة الجهادية من الشباب المتحمس ، الحامل للفكر الجهادي في العالم العربي والإسلامي.

(4) - قواعد جماعات الصحوة الإسلامية عامةً من مختلف الشرائح حيث تتصاعد عندها مشاعر الغيرة والحماس والثورية والتوجه

الجهادي والعاطفة. رغم توجه أكثر قياداتها نحو العمل السياسي والدعوي والقعود عن الجهاد والمقاومة. وهذه شريحة تعد بالملايين ولله الحمد.

(5) - العلماء المستقلون الصالحون وهم كثر ولكنهم ما زالوا في دائرة العجز والترخص والعقود. ولكنهم متعاطفون مع المقاومة. وأعتقد أنهم سيبرزون عندما تقوى شوكتها.

(6) - القيادات الصالحة الشريفة في الصحوة الإسلامية ، ولا سيما في قيادات الصف الثاني وقيادات الوسط فيها. فأكثرهم بدأ يدرك أن الجهاد هو الحل بعد عقم المسارات السياسية وازدياد وقاحة الهجمة الاستعمارية. وخاصة في التيار السلفي والجماعات الحاملة لفكر الإخوان المسلمين.

(7) - رجل الشارع المسلم العادي في العالم العربي والإسلامي.. وهذه شريحة ضخمة. فالمتحمسون للجهاد والمقاومة ، والمستعدون لتقدم شيء من المجهود المقاوم في المجال المباشر (العسكري) أو (المقاومة المدنية) أو الدعم بالمال أو بالكلمة أو أي مساهمة ، ولو حتى بالدعاء في ظهر الغيب وهو **من أمضى السلاح في هذه المعركة** .. هم شريحة بمئات الملايين في أمة مقهورة يناهز تعدادها اليوم المليار ونصف المليار من المسلمين.

(8) - الشرفاء وأصحاب الضمائر من التيار القومي والوطني واليساري وبعض المعارضات العلمانية في العالم العربي والإسلامي.

أما عن الأنصار والحلفاء المفترضين للمقاومة الإسلامية العالمية في المجال الخارجي فهم كافة أعداء المشروع الإمبريالي الأمريكي وبرنامجها الإمبراطوري التوسعي وحملاتها الصليبية الإمبريالية.

وأعداء الإمبريالية الأمريكية اليوم في العالم كثر. حتى في العالم الغربي. بل وحتى داخل الشعب الأمريكي. وهم في العالم شريحة واسعة جداً. وقد استعلن بعضهم بموقفة واستخفى آخرون نتيجة الخوف والضغوط. ولكن اشتداد ساعد المقاومة الإسلامية وإثخانها في قوات أمريكا. وإزالة شيء من هيبتها سيجعل هذه الشريحة الخائفة من قمع أمريكا تعلن موقفها. وسيجعل الحلف الأمريكي عرضة للتحلل والتفكك.

وأما أنصار المقاومة وحلفاءها المفترضين في الخارج في هذه الأوساط فهم بحسب أهميتهم:

أ - الأحزاب اليسارية في الدول الغربية والتي عرفت بتاريخها في مناوئة السياسات الأمريكية.

ب – الأحزاب الوطنية وقوى التحرر العالمية في العالم الثالث والتي عرفت بتاريخها في مناهضة الإستعمار وخاصة التسلط والإمبريالية الأمريكية.

ج – أحزاب الخضر والأحزاب السياسية القومية والوطنية المناوئة للسياسة الأمريكية في الغرب.

د – منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات غير الحكومية المناهضة للسياسات الأمريكية في العالم الغربي.

هـ – التنظيمات العسكرية السرية اليسارية وغيرها ، المعروفة بمعاداتها لأمريكا أو لحلفائها ، مثل الألوية الحمراء والجيش الأحمر الياباني ومنظمة إيتا في باسك أسبانيا والمنظمات الرافضة لإلقاء السلاح من الجيش الجمهوري الإرلندي ... وأشباه ذلك.

و – المؤسسات والمنظمات الأهلية داخل الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها من الكتل والهيئات والشخصيات المعارضين للسياسة التوسعية الأمريكية.

وهذه أوساط يجب التحرك نحوها سياسيا وإعلاميا وغير ذلك .. للاستفادة من القاسم المشترك بيننا وبينها ضد السياسات الإمبريالية الأمريكية كلا بحسبها .

وأعتقد أن مثل هذه النقلة ممن تتوفر لهم إمكانيات ذلك يمكن أن تفتح أمامنا مجالات تربك العدو وتقلب حساباته الأمنية والاستراتيجية رأسا على عقب.

واقع معسكر الحياد في الصراع بين الحملات الأمريكية وقوى المقاومة الإسلامية العالمية:

حتى الآن ما يزال معسكر الحياد في الصراع بين أمريكا وحلفائها من جهة وبين قوى المقاومة الإسلامية لها من جهة أخرى. ما يزال محدوداً وصغيرا وذلك لثلاثة أسباب:

أولها: الإرهاب الأمريكي السياسي والإعلامي والاقتصادي والعسكري والأمني.. لكافة الأطراف التي تعلن مناوأتها للمشروع الأمريكي تحت طائلة وصمهم يدعم الإرهاب.

ثانيهما: حشر المقاومة الإسلامية العالمية بكافة أطيافها وألوانها في دائرة السمة (بالإرهاب) بل وبوضعهم تحت مصطلح (القاعدة) وأنصار القاعدة. وبالتالي إحراج من سيؤيدها وإشعاره بأنه يسير إلى حتفه.

ثالثاً: فشل أطياف المقاومة المختلفة حتى الآن في برنامجها الإعلامي والسياسي. وفشلها في إبراز نفسها أمام الرأي العام المحلي والعالمي كقوى مقاومة مشروعة. وتركيزها على البعد التحريضي على العمل. دون أبعاد سياسية إعلامية تراعي مسارات تشكل الرأي العام.

ولكن مع ذلك فهناك طيف من الدول والقوى الإقليمية والعالمية ما تزال في دائرة الحياد. يجب أن تكون محل جهد من قوى المقاومة وكوادرها ولاسيما في المجال السياسي والإعلامي لتحويلها ما أمكن إلى المعسكر المناصر لقوى المقاومة.. ومن هذه القوى..

1- **في المجال الخارجي..**

هناك الصين التي تسعى أمريكا لتفتيتها ، وقد وضع الكونغرس برنامجا علنيا لذلك منذ 1995م. وهي مرشحة للتحول إلى المعسكر المعاون للمقاومة للأمريكان ، في حال أثبتت قوى المقاومة نفسها وقدمت أنفسها كمقاومة (مشروعة) في المفهوم الدولي ونجحت في الخروج من تهمة (الإرهاب). وهناك العديد من الدول الآسيوية والأفريقية كذلك .. وهناك شرائح هامة جداً من شعوب الدول الغربية التي تكره أمريكا وبرامجها ، ولم تتفهم برامج المقاومة في بلادنا وأهدافها. وقد ثبت ضخامة هذا المعسكر من خلال المسيرات الضخمة التي جالت شوارع البلدان والعواصم الغربية. وهذه شرائح ليست مؤيدة بطبيعة الحال للمقاومة.

2- **وأما داخل المجتمعات العربية والإسلامية ذاتها :**

فما تزال شرائح القوى المحايدة كبيرة فهي تبغض الأمريكان ولا تؤيد المقاومة ، ولا تفهم رسالتها ولديها عنها تصورات مشوهة.. كالأقليات الدينية والعرقية. وكثير من عوام الناس.

وبعد هذا الشرح الموجز لخارطة القوى والحلفاء لكل من المعسكرين المتصارعين ؛ معسكر الأعداء الغزاة ومعسكر قوى المقاومة الإسلامية العالمية لهم . يمكن أن ننتقل للفقرة التالية الهامة وهي:

ثالثاً: أركان الإستراتيجية السياسية العامة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

في بداية الحديث عن الخطوط العريضة لاستراتيجية المقاومة الإسلامية العالمية في مواجهة أمريكا وحلفائها يجدر بنا لفت النظر إلى نقاط هامة جداً:

- أن الاستراتيجية كما أسلفنا من صفاتها اللازمة الثبات النسبي ، وثباتها متعلق بالثبات العام للمعطيات المحيطة والظروف العامة. ولكن نظراً للاختلال الصارخ في موازين القوى المادية بين قوى المقاومة وقوى الحملات الأمريكية وحلفائها. فإن استراتيجية المقاومة لا يمكن أن تكون تفصيلية .

لأن الضعفاء لا يستطيعون وضع الإستراتيجيات.

وذلك لعدم إمكانيتهم في فرض الظروف ، أو على الأقل المحافظة على ثباتها. ولذلك قد تتغير الإستراتيجيات نتيجة الانقلاب في الظروف العامة. ومن الأجدى أن تكون استراتيجية المقاومة مجموعة

خطوط استراتيجية عريضة تعطيها مرونة الحركة وتبديل التكتيكات بحسب الوقائع الناشئة.

- إن المقاومة عمل صدامي. ومشروع مواجهة. ويجب القول بوضوح وفهم حقيقة هامة جداً.. بأنه بغير مواجهة مسلحة قوية وحاضرة على الأرض ، وبغير مقاومة تأخذ صفة الظاهرة العامة ، وليس مجموعة من أعمال الإنتفاضات ، فلن تكون هناك قيمة لأي نظرية سياسية وإعلامية للمقاومة. فإن المقاومة تستمد وجودها وحياتها من قوتها لمسلحة الفاعلة على الأرض. وتستمد مشاريعها السياسية والإعلامية قيمتها وحضورها ، من طلقات بنادق المجاهدين ، ودوي انفجارات عملياتهم.

كما أنه بغير عمل سياسي وإعلامي ، فإن كل الجهود العسكرية تذهب هدراً. ولا يمكن توظيفها لتحقيق الهدف. لأنه كما أسلفنا فإن الانتصار في المقاومة هو عملية إنهاك سياسي وليس تحطيم للخصم في ظل مثل هذه المعطيات. اللهم إلا إذا وفقنا الله أو وفق غيرنا بضرب أمريكا في عقر دارها بأسلحة الدمار الشامل ، أو دمرتها النيازك والزلازل والأعاصير الربانية وارتاحت البشرية من شرورها.

- الإستراتيجية السياسية هي جزء من الإستراتيجية العامة. ويجب أن تكون متناغمة مع الإستراتيجية العسكرية والإعلامية والأبعاد الأخرى

للاستراتيجية العامة. وتوضع كلها في خدمة الأهداف الإستراتيجية العامة.

الأهداف الاستراتيجية الأربعة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

وهي:

(1) – دحر الحملات الصليبية اليهودية بقيادة أمريكا وحلفائها من اليهود والصليبيين ومطاردة فلو لها في العالم الإسلامي.

(2) – تصفية قوى العمالة والنفاق التي تعمل على تحقيق أهداف الحملات الغازية.

(3) – إسقاط أنظمة الردة والخيانة القائمة في بلادنا بسبب دعم تلك الحملات الغازية.

(4) – إقامة حكم الشريعة على أنقاض تلك القوى المرتدة.

المحاور العامة للإستراتيجية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

أولاً: توسيع مفهوم المقاومة ومحاورها لتشتمل المواجهة مع كافة مناحي ومحاور هجمة الحملات الأمريكية الصهيونية، وهي محاور شاملة كما بينا. وعدم قصرها على مجال المقاومة العسكرية رغم أنها جوهر دعوة المقاومة وأساسها. وهذه المحاور هي:

1- **المقاومة العسكرية:**

باستهداف كافة أشكال تواجد الأعداء ومن يظاهرهم. ومشاريعهم ومؤسساتهم العسكرية والأمنية والسياسية والإقتصادية والثقافية وغير ذلك بحسب ما بيناه من الضوابط المنهجية الشرعية. وكما سنفصله في شرح النظرية العسكرية. إن شاء الله.

2- **المقاومة السياسية:**

وذلك بمقاومة المشاريع والأهداف السياسية للعدو ، ومرتكزاته في بلادنا ، بالوسائل السياسية السلمية. حيث يمكن أن يستفاد من هوامش ما تعتبره القوانين المحلية والعالمية مشروعا ، ولاسيما في مجالات المؤسسات الأهلية ، ومنظمات المجتمع المدني. والإنتباه إلى عدم الإنتماء والعضوية لمؤسسات للمؤسسات الحاكمة التي يقيمها الأعداء ، أو المؤسسات الحاكمة بغير ما أنزل الله الموالية للأعداء.

3- **المقاومة الإعلامية:**

وهي فرع من المقاومة السياسية. وذلك باستخدام الوسائل العصرية بكافة أشكالها ولاسيما الفضائيات وشبكات الإنترنيت ، للتحريض على المقاومة بأشكالها. ولمكاتبة المؤسسات والمنظمات والشخصيات ، في بلادنا ، وفي كل مكان ، حتى بلاد العدو ذاتها ، خاصة الأوساط المتوقع تأثيرها بأي شكل لصالح قضيتنا تسعيرا للمقاومة وتوحيدا لصفوفها ، ومن أجل تفتيت صف العدو وإضعافه ودحض حججه ومسوغاته.

4- **المقاومة المدنية :**

وذلك بمواجهة الأعداء ومن يظاهرهم من قبيل التظاهرات والاعتصام والإضرابات ، ومختلف أشكال الإحتجاج الشعبي ، كإطلاق الشعارات والكتابة على الجدران ، ونشر المواد المحرضة على الثورة على المحتلين وأعوانهم، عبر المنشورات والبيانات الصوتية والمصورة وبكل وسيلة .. وما يمكن للناس أن يفعلوه. وهذه مسؤولية المنظمات الشعبية كالنقابات واتحادات العمال والطلاب ، ورؤوس الناس وفي مقدمتهم العلماء وزعماء الناس ورموزهم في كل مجال.

5- **المقاومة السلبية :**

وهذه وما يليها أضعف الإيمان في جهاد هؤلاء الأعداء والمنافقين لهم في بلادنا. ومن ذلك المقاطعة في كافة المعاملات. فلا يبيعهم ولا

يشتري بضائعهم ولا يستقبلهم ، ولا يبدي لهم الحفاوة. ولا ينتمي إلى مؤسساتهم، ولا يدفع لهم المكوس والضرائب إلا مكرها. وأن يظهر لهم كل أشكال البراء بحسب استطاعته ، أن يقاطع وسائل إعلامهم ولا يستمع إليهم ، وأن يدعو الله عليهم ويلعنهم بقلبه ، وبلسانه إن استطاع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

6- المقاومة بتعميق جذور المقاومة:

وذلك بالحفاظ على الهوية الدينية والقومية والفكرية والحضارية للعرب والمسلمين. ومواجهة الحملات في مناحيها العامة كافة الثقافية والتربوية. وهذا النوع من المقاومة على سهولته ، وعدم تجشم صاحبه أي تكليف عملي ، مهم جدا لاستمرار جذوة الحياة في الأمة. فقد لا يكون هذا الجيل قادرا على الدفع كما ينبغي لضعفه وظروفه ، ولكن الحفاظ على هوية الأمة الدينية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية .. وكافة المواصفات الحضارية. كفيل بحفظ روح المقاومة وجذورها إلى أجيال تكون أقدر على العطاء. ويكون هذا بالحفاظ على روح التدين ، ونشر علوم الإسلام بصفائها بعيدا عن التزوير الذي تقوم به وسائل أمريكا في بلادنا. وهنا يبرز دور المساجد ، وحلق التدريس العلنية والسرية إن اضطر الحال. وبنشر الكتب والمنشورات التربوية سرا وعلنا أيضا. وللتربية المنزلية وما تقوم به

الأمهات وربات البيوت من تنشئة الصغار على الدين وغرس الهوية الإسلامية في عقولهم منذ الصغر أكبر الفائدة والأثر.

ثانياً: الضبط العقدي والمنهجي والفكري لمنطلقات المقاومة ومستنداتها الشرعية بحيث تنسجم وأساسيات الدين الإسلامي. ومفاهيم الجهاد السامية وقواعده وأحكامه السياسية الشرعية الراسخةً، وآدابه الشرعية المعروفة.

وحفظها من أن تتحول إلى الفوضى والهرج وأجواء الفتن. والتركيز على حفظ دماء وأموال المسلمين برهم وفاجرهم والسعي في إصلاحهم. والتركيز على ضرب العدو وأنصاره المظاهرين له.

ثالثاً: إخراج المقاومة الإسلامية العالمية من دائرة تهمة (الإرهاب الأعمى) غير الهادف التي رسمتها أجهزة الإعلام. وإبراز هوية المقاومة الحقة كحركة جهادية تمارس حق الدفاع عن النفس وحق تكفله الأديان والشرائع السماوية كما تكفله الأعراف والقوانين الإنسانية.

ومحاولة كسب الرأي العام في مختلف شرائح المجتمعات والشعوب على الصعيد العربي والإسلامي والعالمي.

رابعاً: تطوير أساليب المواجهة العسكرية والأمنية بحيث تتلائم مع حالة اختلال التوازن الصارخ مع الهجمة الأمريكية الطاغية وحلفائها. وعدم إدخال قوى المقاومة في مواجهات مكشوفة غير متكافئة .

خامساً: مد الجسور مع مختلف شرائح ومكونات المجتمعات العربية والإسلامية الرافضة للطغيان. وإزالة حالة العزلة الاجتماعية والسياسية والفكرية بين المقاومين والجهاديين وبين تلك الشرائح ما أمكن، وعلى رأسها مكونات الصحوة الإسلامية وقياداتها وعلمائها وقواعدها. ثم كافة التجمعات والأحزاب والشخصيات والقوى الشريفة المعبرة عن ضمير الأمة الحي في مواجهة الغزو والعدوان من كل الأطياف .

سادساً: اعتماد سياسة تفكيك الحلف الأمريكي الصليبي اليهودي المعادي ليقتصر على أقل ما يمكن من الحلفاء مع أمريكا وإسرائيل وقوى الصهيونية اليهودية والصليبية المتصهينين.

سابعاً: إبراز البعد الحضاري لدعوة المقاومة الإسلامية كحركة حضارية متكاملة تهدف لإقامة الدولة الإسلامية وحمل مشعل الحضارة والخلاص لبني البشر. وإقامة العلاقات مع الشعوب الأخرى على أساس العدل والإحسان.

ثامناً: اعتماد استراتيجية حصر الصراع في دائرة القوى المعادية وحلفائها. واعتماد مبدأ التحييد الممكن للقوى المختلفة والتجنيد الممكن من القوى المناصرة لوضعها في دائرة الأداء والعمل المقاوم.

تاسعاً: تكوين حلف للمقاومة يعتمد ثلاثة دوائر.. على مبادئ أساسية وهي :

(1)- الجهاد مع أهل السنة والجماعة.

(2)- التعاون مع أهل القبلة من المسلمين.

(3)- الاستعانة بكافة القوى المخلصة في نصرتنا من أعداء أمريكا وحلفائها من غير المسلمين.

ضمن ضوابط قواعد السياسة الشرعية ومعطيات المصلحة والحركة في ضوء الواقع السياسي.

عاشراً: اعتماد سياسة حرب الإنهاك الطويلة المدى في المواجهة الشاملة مع أمريكا وحلفائها.باستخدام أسلوب حروب العصابات السرية. ولاسيما أسلوب الإرهاب والردع بحروب عصابات المدن. واستهداف التواجد الإستراتيجي للعدو في بلادنا.

أحد عشر: اعتماد استراتيجية البناء والهدم في المواجهة مع الحملات. البناء لقوى المقاومة وكافة مرتكزاتها وجذورها وكوادرها وأحلافها. والهدم

في المقابل لقوى الحملات الأمريكية وحلفائها والإهتمام بتصفية وإجهاض مرتكزات هذه الحملات وخياراتها في كافة المناحي السياسية والإقتصادية والثقافية وسوى ذلك في بلاد المسلمين.

اثنا عشر: الاستفادة من معسكر المناصرين لقضيتنا داخل المجتمعات الغربية وغيرها من الدول المكونة للحلف الصليبي الصهيوني بقيادة أمريكا.

ثلاثة عشر: العمل على تناسق التكتيكات بين الأعمال الجهادية العسكرية والسياسية والإعلامية و الدعوية التربوية في الأمة لتحقيق استراتيجية المقاومة العامة.
وإجبار العدو على القناعة بأن ما يجنيه من الحملات والاحتلال والعدوان أقل بكثير من تكاليف حملاته على الصعيد البشري والاقتصادي.

أربعة عشر: إعتماد استراتيجية السعي والعمل وترك متاهات الجمود والجدل فقد أوضحت الأحداث كل شيء ، وتبين صف العدو وأهدافه، وصف المقاومة ومشروعيتها. (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

وقد يطرح تساؤل هام حول استراتيجية المقاومة لمرحلة ما بعد هزيمة الحملات ، وإسقاط حلفائها ، وما هو برنامجها السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي... إلى آخره.

وهنا نوجز الإيضاح بما يلي:

(1)- أن مرحلة المقاومة طويلة المدى ستفرز رجالها وكوادرها وعلماءها ودعاتها ورموزها.. وعليهم ستقع مهمة الإجابة على هذا السؤال من خلال إرث المسار وثوابته..

(2)- أن الواقع الجديد إذّاك – بعد هزيمة العدو – سيفرز بالإضافة لرجاله الجدد ، ظروفه الجديدة ، التي سيعرف أولئك العاملون التعاون معها. من خلال ثوابتنا وتجاربهم. ومن السابق لأوانه أن نتعرض لتلك المراحل وظروف الانتصار القادمة إن شاء الله ، بمعطيات حالة الاندحار والهزيمة الحالية.

(3)- تبقى الأهداف الاستراتيجية آنفة الذكر بتسلسلها وهي هزيمة العدو ثم تصفية عملاؤه وإسقاط الأنظمة التي مكنت لحملاته وتعاملت ثم إقامة أحام الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين بحسب تلك الظروف. هي البرنامج العام.

(4)- أن في كليات الشريعة وتفاصيلها الإجابات الشافية على كافة مسائل التشريع والتقنين والحكم والإدارة بما يشفي ويكفي ويغني عن تفصيله هنا.. ولكل حادث حديث.. وعندما سيرفع عنت الطواغيت

عن علماء الأمة ورجال الفكر وأولي الأحلام والنهى فيها. سيعرف أولئك الرجال كيف يديرون أمورهم بمقتضى شرع الله وما يوافق ظروفهم.

والمهم الآن هو وضع الإستراتيجية للمرحلة الممتدة من بدء الحملة وإلى هزيمتها موضع التنفيذ.وهذه مهمتنا الآن. والله المستعان.

رابعا : مواقف سياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية من قضايا رئيسية :

إن من تمام بيان المعالم الأساسية للإستراتيجية السياسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية، أن نبين بالإيجاز الكافي موقفنا هنا من وجهة النظر السياسية ، من قضايا رئيسية هامة سواء لأتباع الدعوة أو لكل لمن يهمه الأمر:

(1)- قضية الصراع مع الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي:

إن سياسة دعوة المقاومة هي الانصراف لمواجهة العدو الغازي المتمثل في أمريكا ومن أعانها وحالفها من القوى الداخلية والخارجية . وعليه:

فليس من أهداف المقاومة مواجهة الأنظمة القائمة – رغم استحقاقها لذلك – وذلك جمعا لجهود الأمة على الهدف الإستراتيجي

للمقاومة. وهو إسقاط المشروع الأمريكي الصهيوني. ويبقى استهداف بعض قطاعات تلك الأنظمة بقدر دخولها في الحلف الأمريكي دون تحويل ذلك لثورات محلية وفق الشكل الذي كان الجهاديون يعملون به.

وأما المواجهة الدفاعية مع أجهزة تلك الأنظمة فهو حق مشروع وعمل واجب وبقدر الضرورة.

(2)- الموقف من علماء المسلمين من قيادات وحركات الصحوة الإسلامية:

ونختصر ذلك في:

أ - دعم العلماء والقادة المجاهدين الصادعين بالحق المدافعين عن قضايا الأمة.

ب- تألف المترددين والخائفين وشد أزرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والتجاوز عن زلاتهم ما لم تصبح نهجا لممالأة عدوان الحكام والمحتلين.

ج- مجابهة علماء السلطان المنافقين ، وفقهاء الإستعمار الخائنين، بشدة ولكن بالحجة والبينة ، **وعدم نقل ذلك للمواجهة بالقوة والسلاح تحت أي ظرف وأي استفزاز.**

(3)- الشرفاء في التيار العلماني من المقاومين للحملات الأمريكية :

وخلاصة الموقف في ظل أحوال دفع الصائل ، هي البحث عن نقاط اللقاء معهم على مواجهة العدو. وإعادة تعريف تلك الأوساط عبر الحوار والمكاتبات واللقاءات بالإسلام ومعطياته وآفاقه كخيار سياسي وحضاري لمستقبل هذه الأمة. مع الانتباه للثوابت العقدية والهوامش السياسية.

(4)- الجنود وعناصر الأمن في حكومات العالم العربي والإسلامي:

سبق الإشارة لذلك في أساسيات المنهج . فالمواجهة معهم دفاعية فقط ، وفي حدود الضرورة ، وعدم الإنجرار للاستفزاز ، وسياسة كسبهم لصف أمتهم في معركة المصير القائمة.

(5)- الموقف من المسألة الفلسطينية :

وقد سبقت الإشارة لذلك في المنهج العام ، وخلاصة ذلك :

1- فلسطين قضية المسلمين ، وليست قضية العرب ولا قضية الفلسطينيين وحدهم. ولا يملك أحد رخصة التصرف بها على موائد النخاسة الدولية.

2- فلسطين أرض عربية إسلامية من النهر إلى البحر. لا نعترف فيها لليهود بأي سلطة ولا شرعية ولا حق في السكن إلا لليهود الأصليين منها الذين لم يكن عددهم إبان الإحتلال

والغزو الصهيوني إلا زهاء 15000 نسمة وما خلفوا من ذريتهم من القردة والخنازير. فهؤلاء الملعونين مواطنون أصليون فيها ، كفل الإسلام ما شرع من حقوقهم. وعلى المحتلين المهاجرين أن يعودوا من حيث أتوا على البواخر والطائرات التي قدمت بهم من وراء البحار، أو ينتظروا مذبحة الشجر والحجر القريبة القادمة إن شاء الله.

3- نحن لا نعترف بالسلطة الفلسطينية إلا كواحدة من كيانات الردة العربية الجاثمة على صدور المسلمين. ولا نعترف بكل اتفاقياتهم ومهازل سلامهم الزائف من أوسلو إلى خارطة الطريق بالخزي والعار بأصحابها وصولا إلى جهنم إن شاء الله.

4- نشد على أيدي المجاهدين المخلصين في فلسطين ونعاهدهم على النصرة ووحدة المعركة والمصير.

(6)- مسألة استهداف المدنيين في بلاد الدول المشاركة في العدوان على المسلمين:

كما أسلفنا فهذا ليس إلا مجالا للمعاملة بالمثل ، ولردع العدوان ، وفي أضيق المجالات الاضطرارية. مع مراعاة المصالح السياسية واختلاف مواقف الدول. فالأصل في الجهاد هو قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (البقرة:190) وقوله

تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: 194) .

(7)- الحكومات والشعوب الأوربية :

كما أوضحنا ، فإننا نعتقد أن معركة أمريكا مع المسلمين هي في نتائجها ومترتباتها ضد المصالح الإستراتيجية الأوربية جملة وتفصيلا.

وقد بدأت كثير من الأوساط في أوربا تتململ من المعركة التي تزج بها أمريكا فيها. ونعتقد أن الوقت الذي تبقى حتى تنفصل أوربا عن أمريكا وتتحلل من تبعات حلف الناتو وغيره من الاتفاقيات التي تربطها بأوربا لم يعد طويلا.

وأن من مصلحة قوى المقاومة إعطاء فرصة للدول الرئيسية في أوربا كي تنسحب من حلف أمريكا بصورة دبلوماسية.

مع عدم إهمال الحسابات الدقيقة بين المجهود السياسي والإعلامي الذي يمكن أن تبذله قوى المقاومة الإسلامية ، وبين حزم سياسة الردع العسكري الذي يجب أن تمارسه لحمل الأوربيين - ولاسيما المصرين منهم على العدوان- على سياسة تبعدهم عن المحور الأمريكي وتكون في صالحهم وصالحنا. وهذه تحتاج أن يكون القرار فيها لقيادات المقاومة الواعية.

وبصورة عامة نحن مع العمل على توحيد اتجاه الجهد ضد المحور الأمريكي – الصهيوني ومن أصر على ركوبه معهم ، وكانت مشاركته فاعلة.

مع التنبيه على توضيح أن المعركة مع الحكومات المعتدية وليس مع الشعوب الأوربية التي وقف كثير منها مواقف مبدئية جيدة من رفض العدوان.

(8)- الإدارة الأمريكية والشعب الأمريكي :

للأسف فإن الإحصائيات الرسمية ، واستطلاعات الرأي مازالت تثبت ، أن العلاقة في استراتيجية العدوان ونزعة التسلط والسيطرة على مقدرات الشعوب الضعيفة ، بين الشعب الأمريكي ، والحكومة الأمريكية. هي على عكس الحالة القائمة بين الشعوب الأوربية وموقفها من التوجهات العدوانية لبعض حكوماتها. وهذا حتى في بريطانيا حيث لا يمالئ أكثر الشعب فيها حكومته على العدوان.

فرغم تكشف زيف دواعي غزو العراق وافتضاح كذبات أسلحة الدمار الشامل وغيرها من المسوغات ، ورغم فضائح أبي غريب ، ورغم جرائم إسرائيل التي تقزز منها الشارع الشعبي في أوربا والعالم .. ، ورغم أخبار جرائم الجيش الأمريكي في أفغانستان .. ما زال الشعب الأمريكي بغالبيته ، أسير أجهزة الإعلام اليهودية المسيطرة عليه ، وما

زال يقف بأكثريته مع إسرائيل ومع عدوان إدارات أمريكا المتعاقبة على المسلمين وعلى المستضعفين في العالم ، بل وعلى كل البشرية ..،

وأكبر دليل على ذلك هو إعادة الشعب الأمريكي اختيارهم للخنزير جورج بوش ، وبنسبة كبيرة ، وقبول المعارضين لذلك بكل بلادة، وتداعي الجميع للوقوف صفا واحدا لأنهم في حالة حرب مع المسلمين.

ولذلك فإننا نعتقد أن الحرب مع الإدارة الأمريكية ، هي وبكل المبررات الشرعية والسياسية ، وحتى وفق المنطق الغربي والأمريكي ذاته، هي:

حرب ومواجهة مع أمريكا حكومة وشعبا.

ويبدو أنه يجب أن يذوق هذا الشعب الشرذمة المجرم بأكثريته الساحقة كما أثبت في تاريخه كثير الجرائم رغم قصره ، يجب أن يذوق وبال ما تذيقه حكوماتهم الصهيونية المتتابعة للناس والبشرية في كل مكان. بدءً من إباداتهم الجماعية لسكان أمريكا الأصليين ، ومرورا بمجازرهم النووية في الحرب العالمية الثانية ، وتعريجا على جرائمهم المخزية في كل حروبهم في فيتنام وكوريا والعراق والصومال وأفغانستان .. وسواها.

ويوم يقتنع الشعب الأمريكي - وما أظنه مقتنعا إلا عنوة - بفداحة خسائره البشرية والإقتصادية من جراء عدوان حكوماته المتتابعة على اختلافها على المسلمين وعلى البشرية كلها ... عند ذلك سيكفون شرهم ، وبالتالي لا يدفعون ضريبة ممالأة حكامهم على قتل الناس ونهب الشعوب.

وعلى القوى المحبة للسلام في الشعب الأمريكي – كما تدعي – أن تتولى ولو بوسائل المواجهة المسلحة ، مسؤولية ردع حكوماتهم الصهيونية عن العدوان على البشرية جمعاء. وإلا فإن من حق الشعوب المعتدى عليها من قبل أمريكا ، أن ترد العدوان الأمريكي عليها بمثله وبكل الوسائل بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل ، وسياسة كسر ظهر العدو بالإبادة الجماعية وقتل المدنيين. وهو أسلوبهم المتكرر وعين العدل أن يعاملوا به.

قال تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: 194) .

(9)- الموقف من الأقليات الدينية في بلاد المسلمين :

أشرنا لهذه المسألة سابقا ، ولاسيما بخصوص النصارى . فإن حقوقهم الشرعية معروفة في إطار الإسلام ، لما يكون أمر الحكم للمسلمين بحسب ما أنزل الله. وأما الآن حيث مازلنا في مرحلة دفع

العدوان. فموقفنا منهم عدم التعرض لهم. إلا لمن وقف في صف العدوان والاحتلال فيواجه لهذا السبب مثله مثل غيره حتى من المسلمين. ومن مصلحة المقاومة وأهدافها كسب تلك الأقليات أو تحييدها على الأقل.

(10)- الموقف من منظمات حقوق الإنسان :

في مثل المعركة الشرسة الدائرة الآن لا يبدو أن ثمة كبير أهمية لمواقف تلك المنظمات في رد حق أو ردع عدوان. ولكن الأحداث أثبتت أثر تلك المؤسسات ومواقفها الإعلامية غالبا في تشكيل الرأي العام العالمي ، وأثر ذلك الرأي العام في دعم قضايا الحق والعدل وإن كان على المدى الطويل. ولذلك ننصح العاملين في مجال المقاومة السياسية والإعلامية بعدم إغفال أثر الجهود مع تلك المنظمات ، في الضغط على قوات الإحتلال وتشكيل الرأي العام لصالح قضايانا.

(11) - الأمم المتحدة والقوانين الدولية والمنظمات الدولية:

الأمم المتحدة باختصار منظمة شكلها حلفاء منتصرون في الحرب العالمية الثانية ، لضمان تقاسم السيطرة على العالم ، وتقنين توزيع تلك السيطرة فيما بينهم بحسب قوتهم وأوزانهم العسكرية والسياسية.

وقد تركت بعض الهوامش الدعائية لبعض مؤسسات تلك المنظمة، لتتحرك فيها الشعوب الضعيفة والحكومات التابعة بما تتوهم أنه هامش من التأثير السياسي. وقد تفرع عن الأمم المتحدة منظمات دولية كثيرة تقاسمت مهمة إخضاع الشعوب الضعيفة والسيطرة عليها. في مجالات التعليم والصحة والزراعة والتنمية البشرية والإقتصادية .. لتتركها عالة تدور في فلك الدول الاستعمارية. ولما اختل ميزان القوى الدولي بانهيار الإتحاد السوفيتي ، وانفردت أمريكا بإدارة العالم ورثت أمريكا السيطرة شبه الكاملة على هذه المنظمة التي ستنهار قريبا وتذهب كمؤسسة من مخلفات النظام العالمي القديم .

وقد شهدت هذه المنظمة على نفسها بأنها كانت وراء تقنين ضياع حقوق العرب والمسلمين في كل مسائلهم التي عرضت عليها وهذا يحتاج لمجلد كامل لسرد تفاصيله. فقد اعترفت المنظمة بإسرائيل. وبكل مؤامراتها بعد قيامها. ولم تفلح قراراتها لصالح العرب والمسلمين إلا لذر رماد قرارات الشجب في العيون. وأما وقد ورثت أمريكا المنظمة.

فقد تحول هذا (**الكوفيُّ العنانُ**) لموظف حقير تابع للبيت الأبيض. حيث شرَّع مجلس الأمن غزو العراق وقنن احتلاله ، ومهد لتدويل ذلك الإحتلال ..كما فعل في أفغانستان والبوسنة سابقا ...

والخلاصة فإن على قوى المقاومة أن تتعامل مع هذه المؤسسات الدولية ، وكلا بحسب ضررها وعدوانها على أساس أنها الستار المزيف للعدوان الصهيوني الأمريكي وسيطرة حكومته الخفية على العالم. وعدم الانخداع بمهزلة مواجهة الأمم المتحدة للمطامع الأمريكية. فقصارى دور الدول المناوئة لأمريكا فيها هو حرصهم على زيادة حصة الذئاب والضباع والجرذان. مما يتركه الأسد الأمريكي مما افترس من قصعتنا ونهب من ثرواتنا.

هذا ناهيك عن الدور ألتجسسي والإستخباراتي الذي لعبه موظفو تلك المؤسسات في كل مكان حلوا فيه في بلادنا. وعلينا أن نتعامل معها كإحدى مؤسسات العدوان والاحتلال الصهيو-أمريكي. فننسف كل وجودهم في بلادنا بلا هوادة. والله المستعان عليهم جميعا.



الفصل الثاني
الباب الثالث
نظرية التربية المتكاملة في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

- **مدارس الصحوة ومناحي التربية:**

كما ذكرت آنفاً عن منهجنا في توليد نظريات العمل من خلال استعراض تجاربنا وتجارب غيرنا في مسار الصحوة الإسلامية والجهادية، وتوليد تصورات الصواب أو ما نفترضه صواباً ونسعى إليه من خلال تقيم دروس الخطأ والقصور..

وباستعراض مناحي التربية المتكاملة للمسلم المجاهد. نجد أنها نشتمل على خمسة مناحي وهي:

(1)- التربية السلوكية والخُلقية والعبادات والرقائق.

(2)- العلم الشرعي في مجالات العقائد ومختلف علوم الدين وخاصة فقه الجهاد.

(3)- الفهم السياسي أو فقه الواقع وما يدور من أحداث.

(4)- الإعداد العسكري الجهادي لتجهيز المجاهد بما يلزمه من علوم القتال.

(5)- وأخيراً التطبيق العملي لممارسة الجهاد في دفع صائل الإعداد عن المسلمين.

فلو جئنا لنستعرض حظ مختلف مدارس العمل الإسلامي في الصحوة ، ومنها المدرسة الجهادية ، فماذا نجد من أحوالها في مجال التربية؟

ونشير بأننا نحكم هنا على حالة العموم ، ولا حكم للشواذ . إذ قد تجد أحد أفراد مدرسة ما من مدارس الصحوة قد تحلي بصفات إيجابية موجودة في مدرسة أخرى.

أولاً: المدارس الإصلاحية والسلوكية التربوية:

من قبيل جماعات التبليغ والدعوة والجماعات الصوفية وما شابهها ، سنجد أنها في قد أخذت في الميدان الأول بحظ وفير في مجال العبادات والأخلاق والسلوك والرقائق ومختلف وجوه الآداب.. ونجد أن حظهم (في الغالب طبعاً) من العلم الشرعي في أبواب العقائد والفقه ومختلف علوم الدين محدوداً في كبارهم، وشبه معدوم في قواعدهم. وسنجد أنه حظهم من الفهم السياسي ، وفقه الواقع كذلك شبه معدوم ، إلا في الحالات النادرة. أما في مجال الإعداد للجهاد و في ممارسته ، سنجد أنهم لا حظ لهم في الغالب من ذلك.

ثانياً: المدارس السلفية والتربوية العلمية الشرعية:

من قبيل مختلف المدارس المكونة للتيار السلفي وطلاب العلم الشرعي ، ونجد أنه حظهم في الميدان الأول وهو ميدان (الأخلاق والعبادات والرقائق) قليل ، وكثيراً ما تغلب على أوساطهم الجفوة والقسوة وآثار ندرة التربية الروحية. وأما في المجال الثاني فقد أخذوا بحظ وافر من علوم العقيدة وتنقيح الآثار ودراسة السنن ومختلف علوم الدين والفقه. فتجد كبارهم على قدر كبير ، وكذلك تتوفر قواعدهم على حظ لا بأس به إجمالاً. وكسابقيهم نجد أن حظهم في مجالات الفهم السياسي وفقه الواقع قليل. وأما في مجال الإعداد والجهاد ، فما هم في العير ولا في النفير كمن سبقت الإشارة إليهم .. وليس لهم في الغالب من ذلك حظ إلا في الحالات الفردية.

ثالثاً: مدارس العمل السياسي والتنظيمات الدعوية والسياسية والحزبية:

مثل جماعات الإخوان وحزب التحرير وما شابههم من الجماعات السياسية. وسنجد أن حظهم في مجال العبادات والرقائق والتربية الروحية والأخلاقية ، قليل في العموم. وهو كذلك في مجال العلم الشرعي. وأما في مجالات فقه الواقع وعلوم السياسة والإدارة والثقافة العامة ، نجد أن حظهم وفير. فكبارهم على مستوى رفيع في ذلك ، وقواعدهم على مستوى مقبول وجيد. وأما في مجالات الإعداد

وممارسة الجهاد ، فكذلك لا حظ لهم في ذلك كحالة عامة. اللهم إلا في حالات خاصة فردية.

رابعاً: مدارس تيار الجهاد والجهاديين:

نجد أنهم كسابقيهم. فقد ركزوا على منحىً وأهملوا باقي المناحي .. فقد شغلوا أنفسهم وجل وقتهم في الإعداد العسكري والتدريب ، ومارس كثير منهم الجهاد والقتال عملياً ..

أما في مجالات الإعداد والتربية السلوكية والعبادية ومجالات الأخلاق والرقائق ، ستجد أن حظ غالبهم من ذلك متوسط أو قليل. ولاسيما المتأخرون منهم. وإذا ما جئت إلى مجالات العلم الشرعي وطلبه ستجد أنه متوسط ، وأما إذا جئت إلى مجالات فهم الواقع والسياسة ، ستجد أن حظ الغالبية العظمى من ذلك ضحل قليل. اللهم إلا الجيل الأول من الجهاديين الذين تربوا في جماعات إسلامية وفي حلق العلم بشكل جيدا.

وهكذا نلاحظ ، أن كافة مدارس الصحوة والعمل الإسلامي ، قد مارست في مناهجها حالة من الإعداد والتربية المجتزأة بالتركيز على بعدٍ واحد أو بعدين وإهمال باقي المناحي. وإذا أردنا أن نبين هذه الأحوال في جدول بياني نجده على الشكل التالي:

مدارس الصحوة مجالات التربية	المدارس السلوكية التربوية صوفية، تبليغ	السلفية وطلاب العلم الشرعي	المدارس السياسية والحزبية	المدارس الجهادية
الأخلاق والآداب والعبادات	جيد	متوسط أو ضعيف	متوسط أو ضعيف	ضعيف أو متوسط
العلوم الشرعية	ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط	ضعيف أو متوسط
الفهم السياسي وفقه الواقع	ضعيف جداً	متوسط أو ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط
الإعداد لعسكري	معدوم	معدوم	معدوم	جيد
ممارسة الجهاد	معدوم	معدوم	معدوم	متوسط

وهكذا نلاحظ أننا في المدرسة الجهادية وإن كنا أحسن حالاً في الإجمال ، ولكن مدرستنا تميزت بالعموم بنفس صفة التجزئة والشطب في التربية والإعداد. وذلك بالتركيز على ربع المناحي وإهمال ثلاثة أرباعها التربوية.

ومن خلال انغماسي في التيار الجهادي ، ومعايشتي له ميدانياً عبر زمن طويل. لاحظت أن المتأخرين من الجهاديين ، وعلى عكس الرعيل الأول الذين أخذوا بخط متميز من التربوية ، ولاسيما الذين

انحدروا من جماعات ومدارس الصحوة الأخرى ، وأخذوا بخط من طريقتها التربوية ، وجدت المتأخرين قد رضوا بحظهم من الإعداد العسكري وممارسة الجهاد ، معتبرين ذلك يجعلهم في ذروة سنام الإسلام. اعتماداً على الفهم المجتزأ والخاطئ للحديث المروي عنه ﷺ بأن (**الجهاد ذروة سنام الإسلام**) ، مجتزئين ذلك من الحديث العام الشامل لكافة أساسيات الإسلام وجماع مناحي الخير. والحديث بتمامه هو :

[**وعن معاذ رضي الله عنه قال : (قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ، ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون السجدة. ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله ، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت: بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا. قلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس في**

النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وإذا ما عدنا إلى طريقته ﷺ في تربية الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم. ثم طريقتهم في تربية التابعين. ثم تربية هؤلاء لمن تبعهم بإحسان... وهكذا إلى ما كان من أمر السلف والعلماء والصالحين..، نجد أنها كلها قامت على الطريقة التي أسسها رسول الله ﷺ بشموليتها لذلك كله.. فهو ﷺ كان بذاته مثالا .. فكان خلقه القرآن كما روت عائشة. ومن كان خلفه القرآن ، جمع وجوه الفضائل والعلوم والأدب ومكارم الأخلاق.. وأما سيرته ﷺ ، فمسار من العقيدة الراسخة الموصولة بالله سبحانه وتعالى ، وهو منبع علوم الشريعة وبحرها الزاخر ، وأما عن أخلاقه ﷺ ، فيكفي بها وصف الله سبحانه وتعالى له بقوله: **(وإنك لعلى خلق عظيم)**. وأما إعداده وجهاده ، فأشهر من أن يشار إليه.

وأما طريقته ﷺ في الإعداد والتربية فقد كانت مدرسة متكاملة يومية يعيش معها الصحابة ذلك التكامل.. أخلاق وعبادة ، علم وعمل، فهم وإعداد ، جهاد وسبيل شهادة.

فقد كان رسول الله ﷺ برسوخ عقيدته وفقهه وخلقه وجهاده هو الأسوة الحسنة الماثلة أمامهم. وكانت طريقته المتكاملة تعتمد ترسيخ

العقائد التي أخذ الرعيل الأول في مكة حظهم الأوفر منها ، فزرع العقيدة ورعى شجرتها حتى رسخت جذورها في نفوسهم ، ثم نمت في أرواحهم، وأينعت في سلوكهم.

وأما تعاهده لهم ﷺ في حضهم على العبادة والنسك والتبتل وضرب المثل الأعلى لهم في ذلك فقد طفحت به نصوص السنة وأخبار السيرة .

وكذلك كان الأمر في رعايتهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق ، من الصدق والأمانة ، والكرم والشجاعة، وإكرام الضيف والتحابب، والرحمة والذلة على المؤمنين ، والتعاضد والإيثار إلى منتهى قمة الأخلاق الحميدة.

وأما عيشهم لواقعهم وفهمهم له ، والتعامل معه ، فشواهده كثيرة في سيرتهم سواء في داخل مجتمعهم، ومع محيط القوى المحلية والمحيطة بهم.

وأما عن إعدادهم العسكري.. فقد حضهم ﷺ على التدريب والرماية وإعداد القوة، وركوب الخيل. وشهد ميادينهم وسباقهم وتنافسهم في ذلك.

وأما ممارسة الجهاد فكان نهجه ﷺ القدوة الحسنة ، فقد خرج بنفسه ﷺ في غزوات كثيرة ، وبعث السرايا والجيوش بقيادة أحبهم إليه ليكونوا في مواطن القدوة والخطر. وكان بذاته الشريفة صلى الله

عليه وسلم قدوة حتى قال علي ﷺ ، بأن أشجعهم كان أقربهم إلى العدو. ولم يكن يؤجل الرجل إذا أسلم ، ويؤخره عن الجهاد حتى يعد ويتربى على الإسلام ، كما يزعم القعدة من الدعاة اليوم ! بل كان شعاره عليه الصلاة والسلام :كما قال لمن أراد اللحاق به في القتال ولم يكن مسلما : (**أسلم ثم قاتل**) .

فكان خلاصة طريقته ﷺ في التربية أنها متكاملة المناحي قامت على:

(1) **العقيدة والعلم**. (2) **الخلق و النسك**. (3) **فهم الواقع وعيشه**
(4) **الإعداد والقوة**. (5) **ممارسة الجهاد كفريضة حال وقوعها**.

ومن هنا نجد أن السلف ﷺ ركزوا على هذه المناحي المتكاملة في سلوكهم وإعداد تلاميذهم وإرشادهم للأمة وما قدموه من قدوة حسنة..

ولا أريد أن أطيل في النقول والشواهد على ما أسلفت من كتب السيرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والسلام ، وسير الصحابة ﷺ ، والقصص الرائعة لهم ولمن تبعهم بإحسان. وقد ألفت فيها روائع الكتب.

ومن خلال ما تقدم نستكشف المناحي الأساسية لنظريتنا التي يجب أن تقوم عليها؛

أصول التربية في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.. وهي:

1- **العقيدة والعلم الشرعي.**

2- **الأدب والعبادة والأخلاق والرقائق.**

3- **الفهم السياسي وفقه الواقع.**

4- **الإعداد العسكري.**

5- **مباشرة الجهاد والمقاومة دفع الصائل.**

وهي الأركان الخمسة التي تقوم عليها طريقتنا التربوية. وعليه، فيجب على العلماء والدعاء وحملة الأقلام في هذه الفنون ومجالاتها في هذه الأمة ، أن يجهدوا في إثراء المكتبة الإسلامية المعاصرة بمنهج ومختصرات عملية تساعد على تربية الجيل القادم من المقاومين والمجاهدين على هذه الأسس.

وعلى قيادات المقاومة وكوادرها البناءة أن تعتمد مثل هذه المناهج ، في إعداد نفسها ومن معها. وسنبين فيما يلي مختصرات وبرامج عامة مما يساعد المجاهدين والمقاومين وخاصة المنتسبين إلى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية على إعداد أنفسهم وكوادرهم ، وإعداد الأمة وفق هذه الآفاق المتكاملة التي يجب أن تسير متوازنة وفي آن واحد.

(1) المجال الأول في التربية:

العقيدة والعلم الشرعي

منزلة العلم وفضله:

جاء في رياض الصالحين:

قال الله تعالى: ﴿ وقل رب ردني علما ﴾ طه . وقال تعالى: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ الزمر. وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ المجادلة. وقال تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر.

* وعن معاوية ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) متفق عليه.

*وعن ابن مسعود ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) متفق عليه.

*وعن أبي موسى ﷺ قال قال النبي ﷺ : (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء وتنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) متفق عليه.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) رواه مسلم.

* وعنه أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا) رواه مسلم *وعنه قال رسول الله ﷺ : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم.

* عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع

أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود والترمذي.

* وعن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.

*وعنه قال قال رسول الله ﷺ من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) يعني ريحها رواه أبو داود.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) . متفق عليه

أولا: العقيدة :

سبق في الباب الأول من هذا الجزء الثاني عند الحديث عن العقيدة والمنهج ، بيان الأركان الأساسية لمعتقد أهل السنة والجماعة. وقد أوردناه بإيجاز في خطوط عريضة. ومن الواجب على خلايا المقاومة وسراياها أن يكون لقياداتها برنامج إعداد تربوي يشتمل في أول ما يشتمل على تدريس كتاب مختصر فيه تفاصيل الأدلة على أسس المعتقد عند أهل السنة والجماعة. وأنصح بأحد كتابين لاقيا القبول والانتشار في كثير من حركات الصحوة وهما كتاب : (شرح العقيدة الطحاوية) (لأبي العز الحنفي). أو أحد شروح : كتاب (العقيدة الواسطية) (لابن تيمية)، رحمهما الله تعالى. هذا كمستوى أولي لأنها كتب جامعة وجيزة وسهلة وميسرة.

أما في مجال العقيدة الجهادية والفكر الجهادي فقد ضمنت الباب الأول آنف الذكر موجزاً لأساسيات العقيدة الجهادية. وفيه فقرة بأدلة أركانها الأساسية كمادة مفيدة في التكوين والتربية لخلايا المقاومة. وأنصح عموماً لترسيخ العقيدة الجهادية ، بمؤلفات الشهيد سيد قطب رحمه الله ، ومؤلفات الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز ، كما أنصح جدا بمؤلفات الشيخ عبد الله عزام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتربية. كما أنصح بمكتبة الجماعات والتنظيمات الجهادية ، ومن ذلك مؤلفات الشيخ عمر عبد الرحمن. والشيخ أيمن الظواهري.

ومؤلفات الشيخ أبو المنذر الساعدي الليبي ، وإنتاج جماعاتهم الجهادية في مصر وليبيا، ومن المكتبات الفكرية الجهادية النافعة مؤلفات الشيخ أبو مُحَمَّد المقدسي. والشيخ مُحَمَّد الفزازي المغربي. ومكتبة الأستاذ مُحَمَّد قطب حفظه الله. ومؤلفات الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله وبعض المختارات من مؤلفات الشيخ سعيد حوى رحمه الله وغفر له. ولاسيما كتابه (جند الله ثقافة وأخلاقاً) ، وكتابه (خطوات للإمام على طريق الجهاد المبارك) ، مع الانتباه من زلاته في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له. هذا ما يحضرني الآن من الذاكرة. وكان من المفترض أن أشير إلى بعض الملاحظات حول بعض ما ورد في بعض كتب هؤلاء الأكارم مما أعتقد وجوب لفت النظر إليه ولكن لا أجد الآن الوقت لذلك ولعلي أستدرك ذلك لاحقا.

كما أنصح بسماع المحاضرات والتسجيلات لرموز الصحوة في بلاد الحرمين والتي أنتجت ما بين عام (1400هـ - 1980م) وعام (1415هـ-1995م) .. ففيها مادة عقدية وعلمية شرعية وفكرية حركية جهادية ممتازة. ولاسيما أشرطة الشيخ عبد الرحيم الطحان ، والشيخ مختار الشنقيطي ، والشيخ سفر الحوالي (رزقه الله حسن توبة مما هو فيه ونفع به) ، والشيخ سلمان العودة رزقه الله حسن عودة إلى ما عهدناه من الجد ، والشيخ ناصر العمر، والشيخ عبد الوهاب الطريري قوى الله عزائمهم .. وغيرهم من معاصرهم في تلك الفترة. مع الانتباه

من إنتاج وفتاوى بعض هؤلاء في مرحلة القمع بعد السجن ، واشتعال حملات مكافحة الإرهاب ، حيث سجلت على بعضهم انتكاسات منهجية ومواقف خطيرة غفر الله لنا ولهم. ولكن هذا لا يقلل من قيمة هذه المادة المنهجية في إنتاجهم ذاك. وتبقى مهمة الانتقاء واختيار المادة المناسبة لشباب وخلايا المقاومة ، مهمة الموجهين القادرين على انتقاء المواد المفيدة. كما ألفت النظر إلى أن في إنتاج بعض العلماء الرسميين ، في مجال العقائد والعلوم الشرعية إنتاج مفيد في غاية الجودة ، إذا استثنينا منه بعض الآراء الشاذة المعروفة عنهم في ممالأة سلاطينهم. ولكن منهجي في التعامل مع علماء السلطان ومنافقهم من أمثال هؤلاء ، الإعراض عن إنتاجهم ، إن وجد ما يعوض عنه لدى غيرهم ممن سلمهم الله من ذلك النفاق. وإلا فيستفاد من علومهم المجردة. ولا بأس مع التنبيه على مواقع الزلل. والغرض من البعد عنهم هو تحذير الأمة منهم حتى لا يكون لهم مكانة تفضي بالعامة إلى الأخذ بزلاتهم العظمى في فتاوى أيدت ضلال السلاطين ، وسوغت احتلال المستعمرين وهي أمور عظام اشتهرت.

وكما أسلفت فقد ضمنت في هذا الكتاب (العقيدة الجهادية) أفكاراً مركزة مهمة في ترسيخ أساسيات العقيدة اللازمة لمجاهد المقاومة لمن يألف البحث والقراءة.

ثانيا : العلم الشرعي:

أما في باب العلم الشرعي اللازم لمجاهد المقاومة. فاللازم للمسلم المجاهد معرفته من أبواب العلم الشرعي ثلاثة أمور يتعين عليه معرفتها:

1- الأحكام الشرعية للعبادات:

مثل فقه الطهارة وفقه الصلاة والصوم ، والزكاة إن كان لديه مال ، والحج إن قدر عليه. فيجب أن تعد كل خلية مقاومة لأفرادها موجزاً ميسراً في فقه العبادات على المذهب السائد في منطقتهم أو على الاختيارات التي يختارونها لأنفسهم. وهذه أمور ميسرة لا داعي لإيرادها هنا.

2- الفقه المختص بنشاطات حياته:

إذا أنه يجب أن يعرف الأحكام الشرعية في أفعاله. فإن كان متزوجاً على سبيل المثال ، فعليه معرفة فقه أحكام النساء وتعليمها أهله. وإن كان تاجراً فعليه معرفة فقه البيوع وأحكام التجارة والبيع والشراء وحركة المال في نوع تجارته ، وزكاة ماله ، وهكذا. وهذا أمر يجب أن يبحث المسلم أن يتعلمه ليحيي على بينة من دين ربه. ولا حاجة لإيراد شيء عن هذا هنا أيضاً.

وأنصح في البابين السابقتين (فقه العبادات) و(الفقه العام) مما يلزم المرء أن يأخذ فيه المسلم كما أسلفت ، بأحكام المذهب السائد

المألوف في بلدته إن كان من عوام المسلمين وغير يكن قادرٍ على البحث والإستزادة.

وهذه نصيحة ، وإلا فليتزم مذهباً أو موجزات تعتمد فقه الدليل وترجيحاته بحسب من اقتنع باتباعهم.

3- فقه الجهاد و أحكامه:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (النساء: 94). فيجب على مجاهد المقاومة والعازم على السير في هذا الدرب في سبيل الله ، أن يعرف فرض الجهاد وحكمه المتعين على كل مسلم في هذا الزمان حتى يستمر فيه عن قناعة وعقيدة. وأن يعرف مكانة هذه الفريضة في دين الله ، وما ذا يترتب على العمل بها من الأجر عند الله ، وما أعده سبحانه في منازل الشهداء بفضله وكرمه.

وعليه أن يعرف ماذا يترتب على ذنب تركه لهذه الفريضة من الإثم والعقاب عند الله تعالى ، وما يترتب عليه من العذاب في الحياة الدنيا على أمري الأعداء ، عليه وعلى أمته ، من الذل والهوان واستباحة البلاد والأعراض والأموال والكرامة وإزهاق الأرواح.

ثم إذا عزم على الجهاد ، توجب عليه أن يعرف أحكامه ، فالأمر متعلق بالدماء والأموال والحقوق ... ما يحل وما يحرم. ولا

يجوز له أن يخبط فيه خبط عشواء ، من غير معرفة أحكامه وحله وحرامه.

ومن باب الأولى يجب عليه أن يعرف مقاصده وأهدافه وآدابه.

وهذه مباحث يطول أمرها ، ويتوجب على المجاهد أن يعرف منها بقدر مسؤوليته وقدرته. وعلى كل تنظيم أو مجموعة أو سرية جهادية أن يكون لهم مرجعهم الموثوق به فيما أشكل عليهم من مسائل .

وقد نقلت في الباب الأول الذي احتوى أساسيات الفكر والمنهج لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية. مسائل شرعية تشكل مادة أساسية في منهاج التربية الشرعية وفقه الجهاد والحركة ، وقد احتوت على المواضيع التالية :

- **أولا** : حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين.
- **ثانيا**: الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع.
- **ثالثا**: بلاد الإسلام في حالة احتلال من قبل الأعداء وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع.

- **رابعا**: أحكام الشريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.
- **خامسا**: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم. حتى لو كان مسلما.
- **سادسا**: أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين. كما تقرر أن جميع أشكال تواجد الكافرين الغزاة في بلادنا خاصة وكل مكان حلال الدم والمال هدر.
- **سابعا**: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص. والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم.
- **ثامنا**: مسألة الديمقراطية وممارسة الإسلاميين لها في ميزان الشريعة والواقع.
- **تاسعا** : مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة.
- **عاشرا** : مسألة (التكفير) ، أحكام التكفير العامة ، وقضية تكفير المعين.

وهي أهم المبادئ الأساسية التي يبنى عليها فكر الجهاد والمقاومة برمته.

وأنقل هنا باختصار ، بعض أهم الأحكام الشرعية عن بعض المسائل الهامة التي تعترض سبيل المجاهد في مثل ظروفنا هذه الأيام :

(وقد نقلت معظمه عن كتاب : (موسوعة الذخائر العظام من مؤلفات **الشيخ عبد الله عزام**) - رحمه الله – ووضعته بين قوسين [ ] وعلقت عليه واستشهدت لفقراته بحسب ما تيسر بإيجاز، وجعلت ذلك بين قوسين { } .)

أحكام شرعية و مسائل هامة لمجاهد المقاومة :

(1) – **جهاد العدو الأبعد:**

[قال الشافعي في الأم (4/ 177) : (فإن اختلف حال العدو فكان بعض أنكى من بعض أو أخوف من بعض ، فليبدأ الإمام بالعدو الأخوف الأنكى ، ولا بأس أن يفعل. وإن كانت داره أبعد إن شاء الله تعالى حتى ما يخاف لمن بدأ به لما لا يخاف من غيره مثلا. وتكون هذه بمنزلة الضرورة ، لأنه يجوز في الضرورة مالا يجوز في غيرها. وقد بلغ النبي ﷺ عن الحارث بن أبي ضرار أنه مجمع له ، فأغار النبي ﷺ عليه وقربه عدوا أقرب منه. وبلغه أن خالد بن أبي

سفيان بن شح يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربه عدوا أقرب].اهـ.[1]

(2) – **استئذان الوالدين والزوج والدائن:**

[يتوقف حكم الاستئذان على حالة العدو:

1-فإن كان في بلاده ولا يحشد على الثغور وليس هنالك أثر على بلاد المسلمين ، فالثغور مشحونة بالجند ففي هذه الحالة الجهاد فرض كفاية ولا بد من الإذن لأن طاعة الوالدين والزوج فرض عين ، والجهاد فرض كفاية ، وفرض العين مقدم على فرض كفاية

2-وإن هجم العدو على ثغر من ثغور المسلمين ، أو دخلوا بلدة إسلامية ، فهنا كما ذكرنا يصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك البلدة ة وعلى من حولها وفي هذه الحالة يسقط الإذن ، فلا إذن لأحد على أحد ، حتى يخرج الولد دون إذن والده ، والزوجة دون إذن زوجها والمدين دون إذن دائنه.

وتبقى حالة سقوط استئذان الوالدين والزوج مستمرة حتى إخراج العدو من أرض المسلمين ، أو يجتمع عدد فيهم الكفاية لإخراج العدو ولو أجتمع كل المسلمين في الأرض.

---

[1] (الذخائر – ج128/1) .

ويقدم الجهاد وهو فرض عين على طاعة الوالد وهي فرض عين لأن الجهاد حماية للدين وطاعة الوالدين حماية النفس ، إذ أن الجهاد (مظنة حزنهما وتعبهما) والحفاظ على الدين مقدم على الحفاظ على النفس ، إذ الجهاد نفسه إتلاف لنفس المجاهد إذ استشهد من أجل حفظ الدين وحماية الدين يقين ، وتلف نفس الوالدين ظن، واليقين مقدم على الظن.

مثال فرض العين والكفاية:

مثل قوم على شاطئ البحر يتنزهون ، وفيهم مجموعة تتقن السباحة ورأوا طفلا يكاد يغرق وهو يصيح أنقذوني ، فلم يتحرك إليه أحد من السباحين ، وأراد سباح أن يتحرك لإنقاذه فنهاه أبوه عن إنقاذه ، فهل يقول فقيه من فقهاء العصور كلها أنه يجب عليه طاعة والده وترك الطفل يغرق؟

وهذا مثال أفغانستان { ومن في مثل حالها من البلد المحتلة كالعراق وفلسطين وكشمير و..و.. اليوم } إنها تستغيث ، فأطفالها يذبحون ، وتنتهك الأعراض فيها ، ويقتل الأبرياء ، وتتناثر الأشلاء ،

ويريد بعض الشباب الصادق أن يتحرك لإنقاذهم ولمساعدتهم فيتعالى عليهم النكير تذهب دون إذن والديك ؟

فإنقاذ الطفل الغريق فرض على كل السباحين الذين يرونه ، فقبل أن يتحرك أحد يتوجه خطاب وجوب الإنقاذ إلى الجميع ، فإن تحرك واحد للإنقاذ سقط الإثم عن الآخرين ، وإن لم يتحرك أحد فالإثم يلزم جميع السباحين ، وقبل أن يتحرك أحد لا إذن للوالدين ، ولو نهى ولده عن إنقاذ الغريق فلا طاعة له ، لأن فرض الكفاية خطابه إبتداءا كفرض العين ، وإنما يختلفان في النهاية ، فإن قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين ، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع.

يقول ابن تيمية : (فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعا). ودليل استئذان الوالدين في فرض الكفاية وعدم استئذانها في فرض العين والجمع بين الحديثين التاليين:

أولا: حديث البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (**جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك: قال نعم قال : ففيهما فجاهد**).

ثانيا روى ابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (**قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال قال: الصلاة قال : ثم مه قال: الجهاد قال فإن لي والدين ، فقال آمرك بوالديك خيرا، فقال : والذي بعثك بالحق لأجاهدن وأتركهما ، قال أنت أعلم**) قال الحافظ: وهو محمول على جهاد فرض العين توفيقا بين الحديثين.

استئذان الشيخ والمربي:

لم ينص أحد من الفقهاء سلفا وخلفا أن للشيخ أو المربي حق الإذن على تلميذه في العبادات ، سواء كانت فروض كفاية أم فروض عينية ، ومن قال بغير هذا فليأتنا بنص شرعي أو بسلطان مبين ، فلكل إنسان مسلم أن يذهب إلى الجهاد دون استئذان شيخه أو معلمه ، لأن إذن رب العالمين هو المقدم ، وقد أذن بل فرض الجهاد.

قال ابن هبيرة : (إن من مكائد الشيطان أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله ، مثل أن يتبين له الحق فيقول : ليس هذا مذهبنا ، تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق).

ولو كان هذا التلميذ يريد دراسة الهندسة أو الطب أو التاريخ في الدول الغربية أو أمريكا حيث الفتن كقطع الليل المظلم ، وحيث

الخضم المتلاطم من المغريات وبحور تسعير الشهوات وتأجج النزوات، أقول: لو ذهب هذا التلميذ لما أنكر عليه الشيخ ولا غيره ، ولكن إذ نفر للرباط أو خرج للجهاد تجد الألسنة عليه من كل جانب. حيث يقال كيف يخرج دون استئذان؟ وقد فات شيخه أن يسمع لكلام النبوة الشريف: (**حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**) وفي صحيح مسلم: (**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعملٍ ، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان**) ، (**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**). فعلى الشيخ وتلاميذه أن يبادروا بالأعمال ويستبقوا الخيرات ، ولا تفوتنهم نصيحة رسول الله ﷺ : (**اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك**) وعليهم أن يسمعوا الحديث الصحيح : (**قيام ساعة في صف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة**).

قال الشافعي : (أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد).

الاستئذان في جهاد العين:

وتبين لنا أنه لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجهاد إذا تعينت (أصبحت فرض عين) كما أنه لا يستأذن الوالد أو السيد في أداء فريضة الصبح قبل طلوع الشمس. كذلك لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجهاد. فإذا نام الأب وابنه في مكان واحد ، وأراد الابن أن يصلي الفجر وأبوه نائم ! فهل يقول أحد بوجوب استئذان الابن لأبيه في صلاة الفرض؟ ولنفرض الأب قد نهى ابنه عن القيام للصلاة لأي سبب في نفس الأب ؛ لئلا يزعج النائمين – الذين لا يصلون الفجر – أو لأن أباه لا يريد الصلاة . فهل يطيع الابن أباه؟ الجواب واضح: (**إنما في الطاعة في المعروف**) - متفق عليه – (**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**) – رواه أحمد – (**لا طاعة لمن لم يطع الله**) – رواه أحمد – وترك الجهاد معصية. ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . (...).

فأما إذا أصبح الجهاد فرض عين بعد الإستنفار، فإن استئذان النبي ﷺ يصبح علامة نفاق. فقد جاء في محكم التنزيل ﴿ **لاستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم**

بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ (التوبة/45/44)

وأما الخلفاء الراشدون – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم – فلا نعلم أن الصحابة والتابعين كانوا يستأذنونهم ، وما كان كل واحد يريد الغزو أو الجهاد يأتي إلى أبي بكر ليستأذنه ، فالمهم أن تعقد الراية وتخرج السرية ، وأمراء المؤمنين من بعد الخلفاء لا نعلم أن الذي كان ينوي الرباط أو الجهاد يرسل إليهم يستأذنهم ، ولا نعلم أن واحد من المسلمين في التاريخ الإسلامي كله قد عوقب من قبل أمير المؤمنين بسبب الجهاد والغزو بدون إذنه ، ،إنما يستأذن أمير الحرب وقائد المعركة في الغزو والهجوم من أجل التنظيم والتنسيق وحتى لا يفسد المرء الذي يهجم على العدو خطة المسلمين. وخصص بعض الفقهاء الأوزاعي الاستئذان من الإمام في حالة الجنود الذين يأخذون رواتبهم من ديون الجند . قال الرملي في نهاية المحتاج (60/8) : (يكره الغزو بغير إذن الإمام أو نائبه ولا كراهة في حالات :

1- إذا فوت الاستئذان المقصود.

2- أو عطل الإمام الغزو.

3- أو غلب على ظنه عدم الإذن كما بحث ذلك البلقيني.

نعود فنقول: هذا كله إذا كان الجهاد فرض كفاية ، أما إذا أصبح الجهاد متعينا (فرض عين) فلا إذن ولا استئذان ، قال ابن رشد (طاعة الإمام لازمة وأن كان غير عدل ما لم يأمر بمعصية ، ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين).

ونزيد المسألة وضوحا فنقول: إن الإذن والاستئذان في فرض الكفاية ، أي بعد أن يكون عدد المجاهدين كافيا للقيام بالفرض ، أما قبل أن تحصل الكفاية فالخطاب موجه إلى الجميع ، ويجب على الكل، ويسقط بفعل البعض ولا فرق بين فرض كفاية والعين قبل أن تتم الكفاية . و قبل الكفاية : لاإذن ولا استئذان إنما يكون بعد العلم بكفاية المسلمين في أرض المعركة للقيام بالفرض] .اهـ .[1]

(3) – الجهاد في غياب الأمير الواحد:

[هل نجاهد وليس لنا أمير واحد؟

نعم نجاهد وليس لنا أمير ، ولم يقل أحد أن عدم إتحاد المسلمين على أمير يسقط فرضية الجهاد ، بل لقد رأينا المسلمين أيام الحروب

---

[1] (الذخائر – ج1 / ص129) .

الصليبية و التتار يقاتلون مع أن أمراءهم مختلفون ، وفي كل بلد أميرا أو عدة أمراء ، ففي حلب أمير، وفي دمشق أمير، وفي مصر أكثر من أمير ، وبعضهم يستنجد بالصليبين على إخوانهم الأمراء كما حصل من الأمير شاور الذي استعان بالصليبيين على أمير آخر في مصر (ضرغام).

ولم بقل أحد من العلماء أن هذا الحال وهذا الغثاء يسقط فرضية الجهاد للدفاع عن أرض المسلمين ، بل يضاعف واجبهم ، وكذلك الحال في الأندلس التي كما يقول الشاعر:

وتفرقوا شيعا فكل محلةٍ   فيها أمير المؤمنين ومنبرُ

ولم يقل أحد من العلماء أنه لا جهاد في هذا الحال بل كان أعيان العلماء في مقدمة الصفوف في الأندلس.

وقد تخلوا المعركة من قائد شرعي معه الولاية من الأمير العام كما حدث يوم مؤتة ، فقام خالد بن الوليد واسلتم الراية وأنقذ الله به الجيش المسلم وأقره ﷺ وأثنى عليه.

وقد يكون الإمام أو أمير المؤمنين غير موجود ، وهذا لا يسقط فرضية القتال والدفاع عن أرض المسلمين ، ولا ننتظر حتى تقوم ولاية الكبرى وتستأنف ، الخلافة لأن الولاية العامة والخلافة لا تأتي نظريا بالثقافة والدراسة ، بل الجهاد أسلم طريقة لكي تصبح الولاية الخاصة – أي إمارة القتال – ولاية عامة وخلافة ، والمجاهدين يختارون أميرا للجهاد من بينهم يصلح أمرهم ، ويلم شعثهم ويرد قويهم عن ضعيفهم ففي الحديث الصحيح عن عقبة بن عامر وكان من رهطه قال: (**بعث رسول الله ﷺ سرية فسلحت رجلا سيفا قال ، فلما رجع قال : ما رأيت مثل ما لامنا رسول الله ﷺ قال : أعجزتم إذ بعثت رجلا فلم يمض لأمري أن تجلعوا مكانه من يمضي لأمري**). فالرسول صلى الله عليه وسلم حرضهم على تغيير أمير السرية الذي عقد له الراية بيده الشريفة ، فكيف إذا لم يكن أميرا أصلا؟ إن الحاجة أشد إلى تأمير للحرب] .اهـ .[2]

[2] (الذخائر – ج1 / ص133) .

(4) – **قتال الواحد إذا قعد الناس :**

[**هل يقاتل الإنسان وحده إذا قعد الناس؟** نعم يقاتل لأن الله عز وجل يخاطب نبيه ﷺ قائلا: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84) . فالآية تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، بأمرين واجبين – لأن الأمر للوجوب –:

1-القتال ولو وحده.

2-تحريض المؤمنين.

ويذكر رب العزة الحكمة من القتال وهو كف بأس الكفار ، لأن الكفار لا يخشون وجودنا إلا بالقتال: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (لأنفال: 39).

وبترك القتال يسود الشرك وهو الفتنة وينتصر الكفر. وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم الآية على ظاهرها. فعن أبي إسحق قال: (قلت للبراء بن عازب رضي الله عنه: الرجل يحمل على المشركين أهو يلقي بيده إلى التهلكة قال: لا ، لأن الله بعث رسوله ﷺ فقال: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: 84).

إنما ذاك في النفقة.

قال ابن العربي في أحكام القرآن (954/2): (وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار ، أو لحلوله بالعقر ، فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج، فإن قصروا عصوا) فإذا كان النفير عاما لغلبة العدو أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاما، ووجب خفافا وثقالا وركبانا ورجالا عبيدا وأحرارا ...، من كان له أب من غير إذنه ومن لا أب له، حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدو ويستنقد الأسرى ولا خلاف في هذا.

فكيف يصنع الواحد إذا قعد الجميع؟ يعمد إلى أسير واحد فيفديه ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازيا.

بل إن قتال المرء واحده يرضى الله ويعجبه. ففي الحديث الحسن الذي رواه أحمد أبو داوود قال ﷺ: (**عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهرق دمه، فيقول الله**

عز وجل لملائكته: أنظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه)].اهـ .[1]

(5) **– الجهاد والقتال مع الفساق والفجار:**

[هل نقاتل مع مسلمين ليسوا على مستوى مقبول من التربية الإسلامية ؟

هذا السؤال يثور من قبل بعض الناس وقسم منهم مخلصون ، ويتساءلون: كيف نقاتل مع قوم (كالأفغان) فيهم الصادق وفيهم الكاذب ، وينتشر بينهم شرب الدخان و النسوار (كالدخان) ، وقد يبيع بعضهم سلاحه؟ وهم أناس متعصبون لمذهبهم الحنفي ، وبعضهم يعلق الرقى (التمائم)، وقبل أن أبين الحكم الشرعي أقول: أروني شعبا في الأرض يخلو من هذه الأمور؟ فهل نترك الكفار في كل الأراضي المسلمين لأن هذه الأمور موجودة؟

الجواب يجب القتال ، لأن القتال مبني على دفع أعظم الضررين، فهنالك القواعد الفقهية: في مجلة الأحكام العدلية المادة رقم (26) : (يتحمل الضرر الخاص لدفع العام) ، وفي المادة رقم (27): (الضرر

---

[1] (الذخائر – ج1 / ص134) .

الأشد يزال بالضرر الأخف)، وفي المادة رقم (28): (إذا تعرضت مفسداتان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفها)، وفي المادة (29): (يختار أهون الشرين).

فلا بد من اختيار أهون الشرين. أيهما أعظم شرا استيلاء الروس على أفغانستان وتحويلها إلى بلاد كفر يمنع فيها القرآن والإسلام أم الجهاد مع قوم فيهم ذنوب وأخطاء؟

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (506/28): (لهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ. أنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين.

إما ترك الغزو معهم ، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا ، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شعائر الإسلام ، وإن لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها ، بل كثير من الغزو الحاصل مع الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه

وثبت عن النبي ﷺ: **الخيل معقود في نواصيها الخير إلى اليوم القيامة، والأجر والمغنم** ، فما داموا المسلمين يجب القتال معهم).

والراية في أفغانستان إسلامية والهدف المعلن هو إقامة دين الله في الأرض ، ولو قاتل المسلمون في فلسطين لما ضاعت فلسطين رغم المفاسد التي كانت في البداية ، وقبل أن يفسد الأمر نهائيا ويأتي جورج حبش ، ونايف حواتمه ، والأب كبوشي وأمثالهم.

يجب القتال مع أي قوم مسلمين ما داموا مسلمين مهما كان فسقهم وفجورهم ، إذا كان القتال ضد الكفار أو أهل الكتاب أو الملحدين.

يقول الشوكاني في نيل الأوطار(44/8): (وتجوز الإستعانة بالفساق على الكفار إجماعا).

هل يجوز الغزو مع الفجرة والفساق؟

الفتوى: نعم يغزى مع كل بر وفاجر يعني كل إمام ، قال أبو عبد الله (الإمام أحمد) وسئل عن الرجل يقول أنا لا أغزو ويأخذه ولد العباس إنما يوفر الفيء عليهم ، فقال : (سبحان الله هؤلاء قوم سوء

هؤلاء القعدة ، مثبطون جهال. فيقال أرأيتهم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم ؟ من كان يغزو؟ أليس كان قد ذهب الإسلام؟ ما كانت تصنع الروم ؟! وقد روى أبو داوود إسناد أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ: **(الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا)** وإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ، والإيمان بالأقدار**) ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضى إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم قال الله تعالى: (**ولولا دفع الله الناس بعضهم لفسدت الأرض**).

قال أحمد: لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضيع المسلمين ، وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه إنما ذلك في نفسه. ويروى عن النبي ﷺ. (**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**).

ولا يستصحب الأمير معه مخذلا وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج إليه والقتال والجهاد، مثل أن يقول الحر والبرد شديد ، ولا تؤمن هزيمة هذه الجيش وأشباه هذا. ولا مرجفا – وهو الذي يقول قد هلكت سرية المسلمين، وما لهم مدد ولا طاقة بالكفار الذين لهم قوة ومدد وصبر. ولا يثبت لهم أحد .. ونحو هذا – ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبهم بإخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم. ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد لقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة:47).

ولأن هؤلاء المضرة على المسلمين فيلزمه منعهم ، وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له ولم يرضخ وإن أظهر عون المسلمين لأنه يحتمل أن يكون أظهره نفاقا ظهر دليله ،فيكون مجرد ضرر فلا يستحق مما غنموا شيئا ، وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه لأنه

إذا منع خروجه تبعا فمتبوعا أولى ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه] .اهـ .[1]

(6) – قتل المدنيين من الكفار وإفساد أموالهم:

[قتل النساء والولدان والشيوخ.

قد بينا من قبل أن الإسلام لا يقتل إلا المقاتلة ، أو الذين يمدون المشركين وأعداء الإسلام بمال أو برأي، لأن الآية: ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم...**﴾ ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...** ﴾(البقرة: من الآية193)

والمقاتلة: مفاعلة في المشاركة من الجانبين، فمن قتل أو أشترك بوسيلة ما في القتال فإنه يقتل ويقاتل ، وإلا فلا حاجة إلى قتلة ولذا فلا حاجة لقتل النساء لضعفهن إلا إذا قاتلن ، ولا لقتل الأطفال ، ولا الرهبان عن قصد إلا إذا اختلطوا بالمشركين ، ولن نستطع أن نضرب المشركين المقاتلين منفردين ، فهنا نضرب المشركين ولا نقصد الضعفة.

---

[1] (الذخائر – ج1 / ص135 – 1017) .

إن التنكيل بالذرية والضعفة يورث الأحقاد بمداد الدموع والدماء لتتناقله الأجيال جيلا بعد جيل وهذا الذي لا يريده الإسلام.

إن الإسلام يريد أن يحبب الناس به ويريد أن يحبب الله رسوله ودينه إلى الناس ، ولكن الإسلام في نفس الوقت لا يربت على شهوات الناس ، ولا يغير منهاجه إرضاء لأهوائهم : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (المؤمنون/171) .

وقد أختلف آراء العلماء في هذه القضية على مذاهب:

المذهب الأول: لا يجوز قتل النساء والولدان بأي حال: (وهو مذهب مالك والأوزاعي). حتى ولو تترس الكفار بأطفالهم ونسائهم لا يجوز رميهم ، ولو تحصنوا في حصن ومعهم ذريتهم لا يجوز رميهم بالمنجنيق وغيره.

المذهب الثاني: لا يقصد الضعفة بالقتال إلا إذا قاتلوا أو اختلطوا بالمقاتلين بحيث لا نستطيع مقاتلتهم بدون قتلهم ، وهذا رأي الشافعي والحنفية.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية (41): (ولا يجوز قتل النساء والولدان في حرب ولا في غيرها ما لم يقاتلوا ، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلهم).

قال السرخسي في المبسوط (31/10): ولا يمنع تحريق حصونهم بكون والولدان فيها ، وكذلك لا يمنع تحريق حصونهم بكون الأسير المسلم فيها ، ولكن يقصدون المشركين.

ويجوز قتل الشيخ الكبير إن كان ذا رأي ، كما أقر رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري على قتل (دريد بن الصمة) وقد جاوز المائة والحديث في الصحيحين.

ولا يقتل الأعمى ولا المقعد ولا المعتوه من الأسارى لأنه إنما يقتل من يقاتل (والمقاتلة من الجانبين) ولا بأس بإرسال الماء إلى مدينة أهل الحرب وحرقهم بالنار ورميهم بالمنجنيق وإن كان فيهم أطفال أو ناس من المسلمين ...، ويحل رميهم وإن تترسوا بأطفال المسلمين وقد بين رسول الله ﷺ العلة في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داوود ، وإن كان فيه مقال لأن رسول الله ﷺ مر على امرأة مقتولة فقال: (**ما**

كانت هذه تقاتل) إذن العلة في القتل والمقاتلة ، فمن كان من أهل القتال قتل وقوتل.

ودار خلاف الأئمة حول الأحاديث المتعارضة ظاهرا:

فمالك أخذ بعموم النص ، نص ابن عمر رضي الله عنهما – قال **(وجدت امرأة مقتولة في بعض المغازي النبي ﷺ فنهى رسول اله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان)** (رواه الجماعة إلا النسائي).

أما الشافعية: فيستدل لديهم بأن هذا النص عام وله مخصص من حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم و ذراريهم ، قال: (**هم منهم**) رواه الجماعة إلا النسائي ، زاد أبو داوود ، وقال الزهري: ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان.

إن هذا وإن كان يستدل به من تمسك بالنهي عن قتل النساء والولدان مهما كان الأمر ويرى قول الزهري ناسخا إلا أنه يشهد للشافعية والحنفية الحديث الذي رواه الترمذي مرسلا : (**نصب رسول الله ﷺ المنجنيق على أهل الطائف**).

والحديث الذي رواه سلمة بن الأكوع: (**بيتنا هوازن مع أبي بكر الصديق وكان أمره علينا رسول الله ﷺ**) (رواه أحمد).

والبيات: هو الإغارة في الليل وغزو الطائف وهوازن كان في أواخر حياة رسول الله ﷺ .

أما منع الجيش المسلم من قتال المشركين إذا اختلطوا بأطفالهم على أية حال فهذا يعني وقف الجهاد ضدهم وفي هذا خطر على المسمين وإضرار بمصالح المجتمع المسلم ، خاصة في هذه الأيام التي أصبح القتال فيها بقذائف بعيد المدى من المدفعية الطائرات والدبابات وهذا يعني منع استعمال هذه جميعها وإيقافه.

فإذا كان الفقهاء باتفاق قد أباحوا قتل المسلمين حالة تترس الكفار بهم ، فكيف لا يبيحون حرب الكفار إذا كان معهم أطفالهم ونسائهم؟!

هل حرمة دماء نساء المشركين وأطفالهم أشد حرمة من دماء المسلمين؟

ثم إن المنع من قتل النساء اليوم إن كانت المرأة لا تشترك في الحرب و لا تدخل في الجيوش ولا تعتنق مبادئ كالشيوعية وغيرها تقاتل دونها وتموت في سبيلها ... أما الآن فقد تغير الوضع ، وأصبحت المرأة لا تفترق – في هذه الناحية – كثيرا عن الرجل ، يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (537/28): (إن الأمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقتلوا فإنه يجوز أن يرميهم ونقصد الكفار ، ولو لم تخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضا في أحد قولي العلماء).

قال ابن العربي في أحكام القرآن (104/1): لا تقتل النساء إلا أن يقاتلن ، لنهي النبي ﷺ عن قتلهن ، وهذا ما لم قاتلن ، فإن قاتلن قتلن.

وقد فرق الشافعية بين قتل الأطفال والنساء وبين قتل الرهبان والشيوخ والعمي ، فقد حرموا قصد قتل النساء والولدان إلا للضرورة فقال الرملي (64/8): وتحريم قتل صبي ومجنون وامرأة – ولو لم يكن لها كتاب – وخنثى مشكل ومن به رمق ، ما لم يقاتلوا أو يسبوا الله أو أحد رسله ﷺ.

أما بالنسبة للراهب والشيخ: فقال الرملي (64/8): ويحل قتل راهب وأجير وشيخ وأعمى ومن لا قتال منهم ولا رأي في الأظهر لعموم قوله تعالى: (.. **اقتلوا المشركين**) والثاني لا يحل قتلهم.

قتل الراهب:

أما الراهب فمدار القتل وعدمه على الخلطة مع الناس ، فإن خالط الناس قتل .. وإن كان معتزلا لعبادته يترك. وقد جاء في الحديث ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: (**اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع**) (رواه أبو داوود).

جاء في المبسوط للسرخسي (128/10) قال أبو يوسف ومُحَمَّد ورواية السير الكبير عن أبي حنيفة: لايقتلون.

قال أبو يوسف: (سألت أبا حنيفة عن أصحاب الصوامع والرهبان فرأى قتلهم حسنا ، وقال هؤلاء أئمة الكفر) ، والجميع بين روايتي أبي حنيفة ... الخلطة مع الناس ، فمن اختلط يقتل ، ومن لا يختلط لا يقتل.

قتل شيوخ المشركين والمرضى والعمي والزمنى :

اختلف في قتل المشركين على رأيين:

1- فمنهم من ألحق الشيوخ بالأطفال والنساء كالحنفية ومالك ، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داوود عن أنس مرفوعا: (**لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا**) والحديث فيه خالد بن الفزر وليس بذاك.

وقد قال الفقهاء أن مناط (علة) عدم قتلهم هي نفسها الموجودة في الأطفال ، إذا ليس لهم نفع للمشركين ولا ضرر على المسلمين فقال ابن نجيم في البحر (84/5): (ولا تقتل امرأة ولا غير مكلف ، وشيخ فان وأعمى ، ومقعد إلا أن يكون أحدهم ذا رأي في الحرب).

2- ومنهم كالشافعية – على الأصح – من أباح قتلهم ، ويستدل بحديث في الصحيحين (**بأن أبا عامر الأشعري قتل دريد بن الصمة وقد نيف على المائة عام..**).

ويستدل لهم كذلك بحديث عند أحمد والترمذي وصححه عن سمرة:

(**اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم**). (رواه النسائي).

وقد علل أحمد بن حنبل أمره ﷺ بقتل الشيوخ أن لا يكاد يسلم ، أما الصغير فهو الأقرب إلى الإسلام.

ويضاف إلى هذا أن الشيوخ غالبا لهم رأي ومكيدة في الحرب فدريد بن الصمة قد نصح مالك بن عوف أن لا يأخذ الذرية والنساء فرفض ...

ومما استدل به هؤلاء الفريق عموم قوله: (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**). ولأنه كافر لا نفع في حياته فيقتل كالشاب.

وخلاصة الأمر والذي نرجحه والله أعلم :

إن من كان به فائدة للمشركين أو غيره فإنه يقتل – شيخا كان أو راهبا أو مقعدا –.

وأما الشيخ الهرم – الخرف – والراهب والمعتزل والمريض الذي يعاني من آلامه ، وهم الذين ليس لهم نفع للكفر، ولا ضرر على المسلمين فالأولى تركهم للنصوص الواردة (وإن كان فيها ضعف لأن القياس يدعمها بجانب عدم النفع والضرر).

وقد أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان قائلا له: (ولا تقتلن امرأة ولا صبية ولا كبيرا هرما). أخرجه مالك في الموطأ .. أنظر الموطأ بشرح الزرقائي (290/3) ولكن الحديث مرسل.

وفي المبسوط للسرخسي (137/10): قال أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير الذي لا يطيق القتال والذين بهم زمانة فنهى عن ذلك وكرهه.

قطع الأشجار وقتل الحيوانات:

اتفق جمهور الفقهاء الأربعة أن كل ما فيه مصلحة للمسلمين أو مضرة للكافرين أثناء المعركة أو الإعداد لها يجوز فعله سواء كان هذا الفعل قتل إنسان أو حيوان أو قطع شجر أو تدمير بناء ، لأن المقصود بالمعركة ابتداء وانتهاء إزالة الفتنة ونشر الدعوة وإعلاء دين الله. فإذا أباح الإسلام قتل البشر الذين يقفون أمام الدعوة فمن باب أولى أن يجوز إتلاف أموالهم إن كان فيه إضرار بهم أو إجبار لهم على الخضوع لهذا الدين.

أما الآية: (**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها**..) فقد نزلت في الأخنس بن شريف عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه ثم عندما خرج أحرق الزرع وعقر المواشي فاستعمال هذه الآية مع الجيش المسلم – اضطر لقطع الأشجار – ليس له أدنى مناسبة بالموضوع.

نعود فنقول: كل ما كان في مصلحة الجهاد من نفع للمسلمين أو إضرار للكافرين فهذا يفعل لأن مصلحة الجهاد مقدمة على كل شيء.

قتل النساء الشيوعيات في أفغانستان:

أما النساء الشيوعيات في أفغانستان فيجب قتلهن سواء اشتركن في الحرب أو في رأي أم لم يشتركن وسواء إن انفردن أو اختلطن ، وسواء كانت واحدة أو مجموعة. لأنهن ذوات عقائد يكافحن ضد الإسلام ويؤذين الإسلام و المسلمين وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن امرأتين كانتا لبني عبد المطلب وكن يئذين الرسول الله ﷺ وأهله والإسلام بالكلام فقال فيهما وفي مجموعة من الرجال: (**أقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة**).

استعمال المدفعية والطائرات والهاون والصواريخ للقصف:

قد أشرنا أن القتال في الإسلام لإزالة العقبات أمام دعوته ولتحطيم الأنظمة السياسية التي تحول دون وصول الإسلام إلى الشعوب ، فإذا استطعنا أن نوصلها دون قتل أو قتال فهذا الذي يتمناه المسلم ؛ أن يهدي الله على يديه واحدا (وهو خير له من حمر النعيم). فإن لم نستطع ، فبدفع الحواجز بكل الطرق الممكنة بلا إزهاق لأرواح الضعفة ولا إتلاف للأموال.

فإن لم نستطع الوصول إلى الطواغيت المتألهة في الأرض إلا بقتل الذرية وقطع الأشجار وتدمير المنشآت ، فلا بأس ، لأن هذه اضطررنا إليها ولم تكن مقصودا لنا ولا هدفا.

وقد مر معنا حديث الصعب بن جثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم؟ فقال: **(هم منهم)** (رواه الجماعة).

قال الزهري: (ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان) فإن الزهري يعتبر قتل النساء والأولاد إذا لم يكن مقصودا يحرم ، وكذلك لأنه منسوخ ، وقد تعرضنا للرد عليه بالحديث المرسل الذي

أخرجه الترمذي أن الرسول الله ﷺ: (نصب المنجنيق على أهل الطائف) ورجاله ثقات أنظر سبل السلام (1352/4). وبالحديث الآخر عن سلمة بن الأكوع (بيتنا هوازن مع أبي بكر الصديق وكان أمره علينا رسول الله ﷺ) رواه أبو داوود وسكت عليه المنذري. وغزو الطائف وهوازن كان في أواخر أيام الرسول ﷺ.

قال الترمذي: قد رخص قوم من أهل العلم في الغارة بالليل ، وأن يبيتوا ، وكرهه بعضهم وقال أحمد وإسحاق: لا بأس أن يبيتوا العدو ليلا.

قال الصنعاني: عند حديث نصب المنجنيق : (في الحديث دليل على أنه يجوز قتل الكفار إذا تحصنوا بالمنجنيق) ويقاس عليه غيره من المدافع المعدة فيما جاء في الغزو لصديق حسن] . اهـ .[1]

(7) – حكم العمليات الاستشهادية:

[ولذا فالجهاد نفسه تغرير بالنفس ، ألا ترى أن الغلام قتل نفسه من أجل نشر الدين؟

[1] (الذخائر – ج1 / ص288 – 294)

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (450/28): (إن الغلام أمر بقتل نفسه من أجل مصلحة ظهور الدين ، ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين).

جاء في أحكام الجصاص (1262/1): قال مُحَّد بن الحسن في السير الكبير : (لو أن رجلا حمل على ألف رجل وحده لم أر بذلك بأسا إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه مما يرهب العدو فلا بأس بذلك ، لأن هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين).

قال الجصاص: (فأما إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ فقال: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾]. (ذخائر – ج1 – ص292).

[الانتحار حرام. لأن النفس ليست ملكا لصاحبها بل لله عز وجل ، فلا يجوز له أن يتصرف بنفسه إلا حسب مرضاة الله والمنتحر يستحق النار ، فقد روى الشيخان عن ثابت بن قيس عن النبي صلى

الله عليه وسلم: (**من حلف بما سوى الإسلام كاذبا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ولعن المؤمن كقتله**).

وليس من قبيل الانتحار : تضحية الإنسان بنفسه خدمة للإسلام، ورفعا لمعنويات المسلمين ، أو إنكاء فأعداء الله عز وجل.

فقد ورد في حديث الصحيح الذي رواه مسلم في تفسير سور البروج قصة الغلام الذي عجز الملك عن قتله فدله الغلام على طريقة قتل ، وقال به خذ سهما بعد أن تجمع الناس وتصلبني وقل: (**باسم رب الغلام أقتل هذا الغلام**) فقتله فقال الناس: آمن برب الغلام ، فهذا وأمثاله ممن نظن أن الله تعالى قال فيهم: (**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**).

وقد نص على هذا الشيخ الإسلام ومُحَمَّد بن الحسن والجصاص والسرخسي: بأن المسلم يجوز له أن يهجم على ألف من الكفار وإن تيقن فوات نفسه وقتلها إذا كان في ذلك مصلحة المسلمين ، أو نكاية بالكافرين، أو كان بالمسلمين ضعف وتخاذل ، فأراد أن يقوي هممهم ويشحذ عزائمهم ، ومن هذا القبيل قصة البراء بن مالك

عندما طلب من الصحابة أن يضعوه على لوح ، ويرفعوه على رؤوس الرماح ، ويلقوه في حديقة الموت على جند مسليمة الكذاب يوم اليمامة. ولقد سئلت عن نساء ألقين بأنفسهن في نهر (كونر) – في أفغانستان ، كن قد خشين على أعراضهن من الروس الذين صاروا يعتدون على الأعراض فقلت هذه شهادة إن شاء الله ، لأن العلماء أجمعوا على أنه لا يجوز للمرأة تستسلم للأسر إذا خشيت على عرضها ، وكذلك الغلام الأمرد] .اهـ . [1]

سؤال هام :

ما حكم الرجل يضع الحزام الناسف على بدنه ثم يلقي نفسه بين مجموعة كفار أو دبابات فتنفجر به وبهم جميعا؟ وما حكم الرجل الواحد يحمل وحده على حلبة العدو؟

الفتوى:

لقد أجاز الفقهاء التضحية بالنفس من أجل نصرة الإسلام ولا يعد هذا انتحارا.

---

[1] (الذخائر ج1/ 323) .

هنالك فرق بين الإنتحار والتضحية بالنفس.

فالإنتحار: قتل النفس هربا من هموم الحياة وآلامها. أما التضحية: فهي بذل النفس من أجل حماية دين الله ونصرة شريعته من دون هم ولا غم.

جاء في أحكام الجصاص (262/1) عن أسلم أبي عمران قال: غزونا القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه – الإسلام – قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:195) .

فإلقاء الأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا فنصلحها وندع الجهاد رواه أحمد والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

أما الرجل الواحد يحمل وحده على حلبة العدو ، قال مُحَمَّد بن حسن في السير الكبير:

إن رجلا لو حمل على ألف رجل وهو وحده لم أر بذلك بأسا إذا كان يطمع في نجاء أو نكاية.

فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية فإني أكره له ذلك لأنه عرض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين.

وإنما ينبغي للرجل أن يفعل هذا إذا كان يطمع في نجاة أو منفة للمسلمين.

1- فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يجرىء المسلمين لذلك حتى يفعلوا مثل ما فعل فيقتلون وينكلون بالعدو فلا بأس بذلك إن شاء الله وعندئذ لو كان لا يطمع في النجاة فلا رأى بأسا أن يحمل عليهم.
2- فكذلك إن طمع أن غيره فيهم بحملته عليهم فلا بأس ذلك وأرجو أن يكون فيه مأجورا.
3- وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه مما يرهب العدو فلا بأس لأن هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين.

قال الجصاص: فإذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا أمر شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ . (التوبة: 111)

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:169) . ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 207) .

في نظائر ذلك من الآيات التي مدح الله فيها من بذل نفسه لله.

وفي الحديث الشريف: (شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع) وذم الجبن يوجب مدح الإقدام والشجاعة فيما يعود نفعه على الدين وإن أيقن بالتلف.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (540/28).

إن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين ولهذا جوز الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه

أنهم يقتلونه إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين. قد بسطنا القول في هذه المسألة في موضع آخر].اهـ .[1]

{ **أقول وبالله التوفيق:** أني سألت الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز(الدكتور فضل) - فرج الله عنه - عن حكم العمليات الاستشهادية. فقال لي : (أنه كان لا يرى جوازها لعدم عثوره على دليل نصي صريح يخرجها عن حكم الإنتحار . وأنه تفكر فيها طويلا، حتى وجد دليل جوازها في قوله تعالى :

﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقّ ﴾ (الأنعام: 151).

وجهاد الأعداء ونكايتهم من أحق الحق. وقد رأيت دليله هذا من أصرح ما استُدل به على العمليات الاستشهادية بأسلوبها المعاصر ، إذ أن أكثر كلام الأقدمين ، منصرف لانغماس الرجل في صف العدو بما يغلب على ظنه هلكته ، ولكن قتلا بيد العدو . أما النص الذي استدل به شيخنا فهو عام. } والله أعلم.

---

[1] (الذخائر ج1/ 1016).

(8) – حكم أسرى الأعداء:

يختلف حكم الأسير باختلاف الجنس والعمر والدين ، والأسرى عادة على ثلاثة أصناف:

أولا: النساء والأطفال: هؤلاء لا يجوز قتلهم أثناء الحرب إذا كانوا منفردين وكذلك بعد الأسر لا يجوز قتلهم ، ويصبحون رقيقا بمجرد الأسر.

ثانيا: الرجال من المجوس وأهل الكتاب: وهؤلاء اختلفت آراء الفقهاء فيهم ، وإليك التفصيل – إن شاء الله –:

قال بعض العلماء – كالحسن ومجاهد –: لا يجوز قتل الأسير وحكى مُحَمَّد بن حسن التميمي إجماع الصحابة.

أما الفقهاء الأربعة: فقد اتفقوا أن الإمام مخير في الأسرى بين القتل والاسترقاق. أما المن بدون مال فمنعه الحنفية وأجازه الشافعية والحنبلية.

أما الإمام مالك فقد اختلفت عنه الرواية في المن بدون مال بالجواز وعدمه.

أما الفداء بالمال: فقد أجازه المالكية والشافعية والحنبلية ، وأما الحنفية فقد منعوه.

جاء في المبسوط للسرخسي: (سألته عن الأسير يقتل أو يفادي قال: يقتل أو يجعل فيئا).

وقال الشافعي: يفدى بالمال العظيم.

وقال مُحَّد: يفدى إن كان المسلمون بحاجة إلى مال.

واستشهد أبو حنيفة بقول أبي بكر: لا تفادوه وإن أعطيتم به مدين من ذهب.

ولأن تخلية المشرك ليعود حربا على المسلمين معصية ، وارتكاب المعصية لمنفعة المال لا يجوز وهو ترك واجب ... وقتل المشرك فرض ، ولو أعطونا مالا لترك الصلاة لا يجوز لنا مع الحاجة إلى المال.

ولا يجوز تقوية المشركين بالسلاح ، فكذلك لا تجوز تقويتهم بالرجال ، والذي يدل على جواز المن والفداء قوله عز وجل: ﴿ فإما منا بعد وإما فداء ﴾ (مُحَّد:4).

فنص على جواز المن بدون مال والفداء بالمال.

أما الحنفية: فيرون أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة: 5) .

لأنها نزلت بعدها ، لأن سورة التوبة نزلت بعد سورة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا دليل على النسخ ، وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أنه منّ وفادى وبادل الأسرى ، وقتل واسترق.

أما بالنسبة للمن ففي صحيح مسلم عن أنس: أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ. وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم ، فأخذهم ﷺ سلما فأعتقهم ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ (الفتح:24) .

وعن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ. قال في أسارى بدر: (**لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**) (رواه البخاري).

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ. من على ثمامة بن أثال من بني حنفية وهو سيد أهل اليمامة. نيل الأوطار (140/8)

أما الدليل على جواز الفدية ؛ فحديث ابن عباس رضي الله عنهما:

(**أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة**) رواه أبو داوود وسكت عليه هو والمنذري والحافظ في التلخيص ورجاله ثقات.

وأما الدليل على مبادلة الأسرى:

فقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ فادى بالرجل الذي من بني عقيل – صاحب العضباء – برجلين من المسلمين.

(العضباء اسم ناقة الأعرابي التي أصبحت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

ولقد ورد عن أبي حنيفة روايتان أظهرهما عدم الجواز ، وأما الصاحبان فقد أجازا مبادلة الأسرى ، المبسوط (129/10).

ولقد قتل رسول الله ﷺ رجال من بني قريظة وهم بين الستمائة والسبعمائة.

وقتل يوم بدر النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط – وهذا دليل على جواز قتل الأسرى.

الرأي الراجح في الأسرى:

لا شك أن الرأي الراجح في الأسرى هو رأي الجمهور: وهو أن الإمام مخير في الأسرى بما فيه مصلحة المسلمين بين القتل والاسترقاق والمن والفداء بمسلم أو مال.

وهذا الرأي الذي تدعمه الأدلة ، فالإمام يختار الأصلح للمسلمين بالنسبة للأسرى.

جاء في الشرح الكبير مع المغني (407/10) : فإن كان فيهم من له قوة ونكاية في المسلمين فقتله أصلح ، ومنهم الضعيف الذي له مال كثير ففداؤه أصلح ، ومنهم حسن الرأي في المسلمين يرجى إسلامه بالمن عليه أو معونته للمسلمين بتخليص أسراهم أو الدفع عنهم فالمن عليه أصلح ، ومنهم من ينتفع بخدمته ويؤمن شره فاسترقاقه أصلح كالنساء والصبيان ، والإمام أعلم بالمصلحة ففوض ذلك إليه. إذا أثبت ذلك فإن هذا تخير مصلحة واجتهاد لا تخير شهوة. فمتى رأى المصلحة في خصلة لم يجز اختيار غيرها. لأنه يتصرف لهم على سبيل

النظر لهم. فلم يجزله ترك ما فيه الحظ كولي اليتيم. ومتى حصل عنده تردد في هذا الخصال فالقتل أولى.

قال مجاهد في أميرين: أحدهما يقتل الأسرى وهو أفضل. وكذلك قال مالك.

وقال إسحاق: الإثخان أحب إلي ، إلى أن يكون معروفا يطمع به في الكثير.

حكم الأسير الشيوعي الأفغاني:

كثير من الشيوعين إذا أسرهم المجاهدون وشعروا أنهم سيقتلون ينطقون بالشهادتين ، ومع ذلك فإن المجاهدين يقتلونهم واعترض بعض الناس على هذا الفعل ظانين أن كلمة الشهادة تعصم دمه. وقد استشهد هؤلاء الناس بحديث أسامة (كيف قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله)؟.

والحق أن الحال في أفغانستان يختلف ، إذ أن المجاهدين من عادتهم إذا أسروا أسرى جاؤوا بهم إلى مجلس القضاء في الحزب. فيحققون

معهم وهم يعرفون بعضهم البعض ، فعندما يتأكدون أنه شيوعي ويتعرف عليه أهل قريته ، فإنهم يقتلونه سواء نطق بالشهادتين أو صلى أو أقام شعائر الإسلام.

نعم إن الحكم الشرعي في الكافر الأسير إذ أسلم لا يجوز قتله ويصبح معصوم الدم ويصير رقيقا في الحال ، له حكم الأطفال فلا يجوز قتله ويصبح عبدا ، وهذا عندما تكون كلمة لا إله إلا الله هي الفارق بين الكفر والإسلام .

أما الحال في أفغانستان فهو مختلف تماما. إذ أن (بابراك كارمل) و (نجيب) زعيم الحزب الشيوعي الأفغاني الذي يمحوا الإسلام من أفغانستان يقول أنا مسلم ويصلي وتظهر صورته بالتلفاز.

ومثل هؤلاء يقتلون ولا يقبل ادعاؤهم ، وإليك الأدلة على صحة هذا الحكم:

1-أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح في مجموعة: (**أقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة**) - منهم المقيس بن صبابة وابن خطل والجاريتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه – مع أن نساء أهل الحرب لا يقتلن كما لا تقتل الذرية.

2-روى الإمام مسلم: (عن عمران بن حصين قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق. فقال يا مُحَّد. فأتاه فقال: ما شأنك؟ فقال بنا أخذتني وأخذت سابقة الحاج؟- يعني العضباء- فقال أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ، ثم أنصرف ، فناداه فقال يا مُحَّد؟ فقال ما شأنك؟ قال إني مسلم ، قال لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح).

قال الشوكاني عن هذا الحديث: أن للإمام أن يمتنع من قبول إسلام من عرف منه أنه لم يرغب في الإسلام وإنما دعته إلى ذلك الضرورة ، ولاسيما إذا كان في عدم القبول مصلحة للمسلمين.

3- الشيوعي الأفغاني إما زنديق أو مرتد وحكم الزنديق أنه يقتل دون استتابة. هذا رأي جمهور الفقهاء وبه قال مالك وأحمد والليث وغيرهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقبل توبة من كرر ردته كالزنديق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (آل عمران:90) ، وفي الدراية (المذهب الحنفي) روايتان في الزنديق : (لاتقبل) كقول مالك وأحمد. وفي رواية تقبل كقول الشافعي.

4-أما المرتد الذي تغلظت ردت هو نصب نفسه لحرب الإسلام والمسلمين فيجوز قتله دون استتابة .

قال ابن رشد في بداية المجتهد (344/2): (وأما إذا حارب المرتد ثم ظهر عليه ، فإنه يقتل بالحرابة ، ولا يستتاب. كانت حرابته بدار الإسلام أو بعد أن لحق بدار الحرب إلا أن يسلم . والإسلام يسقط عنه حد الحرابة ، ولكن حكمه فيما جنى حكم المرتد إذا جنى في ردته في دار الإسلام ثم اسلم) ... أي يقتل قصاصا إذا قتل.

يقول ابن القيم في زاد المعاد (464/3) : يجوز قتل المرتد إذا تغلظت ردته من غير استتابة ، فإن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وهاجر . وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ. ثم ارتد ولحق بمكة، فلما كان يوم الفتح أتى به عثمان بن عفان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه ، فأمسك عنه طويلا ، ثو بايعه ، وقال : إنما أمسكت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه ، فقال له رجل: هلا أومأت إلي يا رسول الله ؟ فقال: (ما ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين).

5-كل من جاهر بسب الله ، أم بسب رسول الله ﷺ، أو بسب دين الإسلام فإنه يقتل دون استتابة سواء كان مسلما أو ذميا. ولذلك لمل قتل الأعمى أم ولده لأجل سب رسول الله ﷺ، أهدر دمها) .

ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فعليه أن يراجع كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) لشيخ الإسلام ابن تيمية. وهذا الحكم ، إجماع الخلفاء الراشدين ﵃ ، ومقتضى النصوص وعلى هذا أكثر من أربعين حديثا.

وهذا الشيوعي معروف لدى أهل بلده بسب الإسلام ومعاداة الرسول ﷺ ، وقد بقي يحارب الإسلام إلى آخر لحظة.

6-ولنفرض أنهم كانوا مسلمين أصلا وسيقوا إلى المعركة قصرا و قتلوا المسلمين ، فإنهم يقتلون قصاصا. قال عمر: (**لو اشترك أهل صنعاء في قتل رجل لقتلتهم به جميعا**) .

ملاحظات حول الأسرى:

1- من أسر أسيرا فلا يجوز له التصرف به، وإنما أمره إلى الأمير ، والأمير في الجهاد الأفغاني هو أمير التنظيم أو الحزب. ولا

يجوز لمن أسر أسيرا أن يقتله إلا إذا امتنع من السير معه ، أو كان جريحا لا يستطيع السير.

2- جرحى الحرب من الكفار يجوز قتلهم وإنهاؤهم.

3- (....) .

4- المرأة الشيوعية تقتل لأنها مرتدة. ففي الصحيح من بدل دينه فاقتلوه. وكذلك تقتل لأنها تشارك في الحرب وفي الرأي وفي تهييج الكفار ضد المسلمين.

5- لا يجوز تشويه الأسير ، ولا قطع أذنيه ولا قلع عينيه، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة ، ولا يجوز قطع رأسه ولا قدميه] .اهـ.[1]

(9) – حكم العين (الجاسوس):

[يختلف حكم الجاسوس باختلاف دينه وحاله ، فهناك الجاسوس الكافر وغير الذمي والمعاهد وغير المسلم ...

والجاسوس: هو الذي يطلع على أسرار الناس وعيوبهم وينقلها.

[1] (الذخائر – ج1/299–303) .

والمقصود بالجاسوس هنا: هو الذي ينقل أسرار المسلمين إلى أعدائهم.

أما الجاسوس الكافر فيقتل عند جمهور الفقهاء.

والدليل في هذا الحديث الذي في الصحيحين عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر ، فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أطلبوه ، فاقتلوه، فقتله ابن الأكوع فنفله سلبه**) (هذه رواه البخاري) .

وفي رواية مسلم قال ﷺ: (**من قتل الرجل؟** ، **قالوا**: **ابن الأكوع** ، **قال**: **له سلبه أجمع**).

قال النووي: (فيه قتل الجاسوس الحربي الكافر وهو اتفاق .. وأما المعاهد الذمي ، فقال مالك و الأوزاعي : ينتقض عهده بذلك ، وعند الشافعي خلاف في ذلك .. أما لو شرط عليه ذلك في عهده في ينقض إتفاقا.

أما الذمي: فإن تجسس على المسلمين فقد اختلف الفقهاء في إعتبار تجسسه نقضا لعهده ، فيقتل أو يكون فيئا للمسلمين أم لا.

فقال الحنفية: لا يكون هذا نقضا إلا أن ينعى عليه في عقد الذمة أو عهد الأمان.

جاء في شرح سير الكبير (2040/5): (قال مُحَمَّد ابن الحسن: وكذلك لو فعل هذا التجسس ذمي فإنه يوجع عقوبة ويستودع في سجن ، ولا يكون هذا نقضا منه للعهد كذلك لو فعله مستأمن فينا إلا أنه يوجع عقوبة في جميع ذلك).

فإن كان حيث طلب الأمان قال له المسلمون: قد أمناك إن لم تكن عينا فتجاهل المسألة ، فلا بأس بقتله ، وإن رأى الإمام سلبه حتى يعتبر به غيره فلا بأس بذلك ، وإن رأي أن يجعل فيئا فلا بأس به أيضا كغيره من الأسرى ... إلا أن الأولى أن يقتله هنا ليعتبر غيره، فإن كان مكان الرجل امرأة فلا بأس بقتلها أيضا إلا أنه يكره.

الشيخ العاقل الذي لا قتال عنده في منزلة المرأة أيضا فلا يجعل فيئا ولا يقتل.

أما الجاسوس الذي ظاهره الإسلام:

فقد إختلفت أراء الفقهاء فيه.

قال الحنفية والشافعية والحنبلية: لا يقتل بل يعزر. وقال مالك وابن القاسم وأشهب من المالكية : يجتهد في ذلك الإمام. وقال ابن الماجشون من المالكية : إن كانت تلك عادته قتل لأنه جاسوس. وقد قال مالك يقتل الجاسوس ، وهو صحيح لإحرازه بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض. (تفسير القرطبي (52/18). وقال الأوزاعي: عاقبه الإمام عقوبة منكلة وغربه إلى الآفاق. (شرح السنة للبغوي (71/10). جاء في السير الكبير: (قال مُحَمَّد بن الحسن : إذا وجد المسلمون رجلا ممن يدعي الإسلام عينا للمشركين على المسلمين يكتب إليهم بعوراتهم ، فأقر بذلك طوعا فإنه لا يقتل ولكن الإمام يوجعه عقوبة. والأصل في هذا الباب حديث حاطب بن أبي بلتعة البدري الذي كتب إلى كفار مكة يخبرهم بأن الرسول ﷺ يريد غزوهم، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا يا حاطب ؟ فقال :لا تعجل علي ، إني امرؤ ملصق في قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكان معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أقرباءهم ، ولم يكن لي بمكة

قرابة ، فأحببت إن فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا. والله ما فعلته شكا في ديني ولا رضي بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنه قد صدق. فقال عمر: يا رسول الله دعني أجز عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فنزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (الممتحنة: 1) .

جاء في شرح السنة للبغوي (74/10) قال الإمام في حديث حاطب دليل على حكم التأول استباحة المحظور خلاف حكم المعتمد لاستحلاله من غير تأويل. وأن من تعاطى شيئا من المحظور ثم ادعى له تأويلا محتملا لا يقتل منه. وأن من تجسس للكفار يتجافى عنه. وقد استدل الجمهور بآية: (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**) وقد سمى الله حاطب بن أبي بلتعة مؤمنا ... والمؤمن لا يجوز قتله ولا سفك دمه.

وقد مال الإمام ابن القيم إلى راي الإمام مالك . ونحن نرى رأي الإمام مالك رحمه الله. وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد

(114/4): ثبت عنه أنه قتل جاسوسا ، واستأذن عمر في قتل حاطب فقال: (وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). فاستدل به أيضا من يرى قتله كالإمام مالك ، وبعض أصحاب أحمد وغيرهم – رحمهم الله – قالوا لأنه علل بعلة مانعة منه قتله ، لم يعلل بأخص من أهل بدر ، لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير . وهذا أقوى والله أعلم)] .اهـ .[1]

{ **أقول والله أعلم بالصواب** :

يفضل للمجاهدين اليوم الأخذ برأي الإمام مالك ، والإمام ابن القيم ، وقتل الجواسيس الذين ظاهرهم الإسلام ، بعد أن أصبحت معظم المواجهات مع أعدائنا تحسم بالتجسس والاختراقات الأمنية ، وقد أصاب المجاهدين والتنظيمات السرية من هذا بلاء كبير، ويكفي أن نعلم أن في مناطق الفلسطينيين آلاف الجواسيس العاملين لصالح اليهود من عشرات السنين ، بل إن اليهود يعطون من أفنى عمره في ذلك راتبا تقاعديا ، ويبنون لهم قرى خاصة يبلغ تعداد سكان بعضها

---

[1] (الذخائر /ج1–304) .

آلاف الأسر !!، ويكفي أن نعلم أن الجهاد في سوريا ، وفي الجزائر وغيرها قد قضي عليه بسبب برناج تجسسي استخباراتي. فأميل إلى رأي الشيخ عبد الله عزام الذي اختار مذهب الإمام مالك وترجيح ابن القيم في أن ذلك للإمام ، وأنصح بقتل الجواسيس الذين يدعون الإسلام ، إلا في حالات نادرة يرى فيها أمراء الجهاد قرائن خاصة تقترب من مثال حاطب في رجل ذي بلاء في الإسلام والجهاد زلت به قدمه زلة محدودة لم يترتب عليها هلاك مسلم ، إن رأى أن يعفو عنه كحالة استثنائية تقدر بقدرها. وإلا فالأصل اليوم إعدام الجواسيس.

لعنهم الله وأخزاهم }.

(10) – حرمة بيع العدو ما يقويه على المسلمين :

[أما بالنسبة للمعاملات التجارية بين المسلمين والكفار أثناء الحرب ، فعندما وضع الفقهاء قواعدهم التجارية ، إنما بنوها على تصورهم فيما يكون فيه خير للمسلمين وتضييق على الكافرين.

1- فالإمام مالك مثلا يجيز الاستيراد من بلاد الكفار ، ويرى السماح للتجار الحربيين بالدخول إلى بلاد الإسلام يحملون معهم

تجاراتهم. ولأن في هذا تقوية للمسلمين، بينما يمنع الإمام مالك التصدير إلى بلاد الكفار لأن في هذا تقوية لهم.

بينما الشراء من مصنوعات الكفار في الواقع الدولي الآن ، إنما يعتبر تقوية للكفار بإدخال العملة الصعبة إلى الدول المصدرة. ويعتبر البحث عن الأسواق التجارية التي تصرف فيها المنتجات للدول الكبرى أحد الأسباب الرئيسية التي شنت من أجلها الحرب الحديثة وقام من أجلها الإستعمار.

وعلى كل حال فالقاعدة في الميدان التجاري عند الفقهاء: (يمنع تصدير أو استيراد أي شيء فيه تقوية للكفار) . (يسمح بتصدير أو استيراد كل شيء فيه تقوية للمسلمين).

فتصدير السلاح مثلا حرام إلى بلاد الكفار ، وكذلك البترول الذي تدار به مصانع السلاح ، وكل آلات الحرب. حتى منع الفقهاء تصدير الديباج والحرير لأنه تصنع منه آليات الحرب ، ويمنع تصدير الحديد الذي يصنع منه السلاح ، فقد جاء في الفتاوى الهندية : (ولا يباع كل ما هو أصل في الحرب). وفي العصر الحديث يمنع بيع النحاس والكوبالت والراديوم واليورانيوم (إذ منهما تصنع القنابل

الذرية). وقد قال الإمام مالك في المدونة : (أما كل ما هو قوة على أهل الإسلام مما يتقوون به في حروبهم من كراع وسلاح أو – خرثي- أو متاع أو شيء مما يعلم أنه قوة في الحرب من نحاس أو غيره فإنهم لا يباعون ذلك)] .اهـ.[1]

(11)- تترس الكفار في الحرب بغير المقاتلين منهم أو بالمسلمين :

أولا: تترس الكفار بنسائهم وأطفالهم:

التترس: هو التوقي والاحتماء بالترس ، والترس صفحة الفولاذ تحمل للوقاية من السيف فالترس: ما يتوقى به في الحرب.

والتترس يعني: اتخاذ المسلمين كترس (واقي) للكفار (ما يسمونه اليوم : دروعا بشرية) ، فقد يلجأ الكفار أحيانا في المعركة لوضع أسير مسلم أو مجموعة من أطفال المسلمين معهم في داخل الحصن أو القلعة حتى يمنعوا المجاهدين من إطلاق النار عليهم ، وذلك لأنهم يعلمون أن المجاهدين يخشون من قتل إخوانهم الأسرى في نفس

---

[1] (الذخائر ج1/164) .

الحصن مع الكافرين ، ولأن دماء المسلمين محرمة (**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله**) حديث صحيح.

وقد يلجأ الكفار أحيانا إلى وضع أطفالهم معهم (أطفال الكفار) في الحصن أو المعسكرات ليكونوا ذريعة لمنع المسلمين في إطلاق القذائف عليهم. لأن الكفار يعلمون (**أن الرسول ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان**) متفق عليه.

وهذه مشكلة كبيرة تواجه المجاهدين في الحرب الحديثة لأن رحى الحرب يدور معظمه على القذائف الثقيلة كالهاون والصواريخ والرشاشات الثقيلة وقد يتورع بعض المجاهدين لقلة علمه أن يطلق القذائف على حصن فيه أطفال المشركين أو أسير مسلم. وتزداد القضية تعقيدا عندما نعلم أنه ما من مركز للشيوعيين إلا فيه جنود من الشعب الأفغاني قد أخذوا كرها (التجنيد الإجباري) ، ويراهم الإخوة في المركز الشيوعي يصلون ويسمعون أذانهم وهؤلاء أحيانا يكون عددهم كثير، وليس لهم حول ولا قوة لأنهم أخذوا قسرا ووضعوا لحراسة المركز الشيوعية مع أن هؤلاء المجندين إجباريا يكرهون الشيوعية فما الحكم في مثل هذه الحالات؟!

حالات اختلاط الشيوعيين بأطفالهم:

أولا: حرم الإسلام قتل الأولاد إذا انفردوا أو أمكن تمييزهم وذلك للحديث (**نهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**) رواه الشيخان.

أما النساء فلا يقتلن إلا إذا قاتلن أو ارتددن بعد الإسلام كالشيوعيات في أفغانستان وهذا رأي الأئمة الثلاثة وخالف الحنفية في قتل المرتدة وقالوا تسجن ولا تقتل.

ثانيا: إذا أختلط أولاد (أطفال) المشركين مع المقاتلين منهم: هنا اختلف العلماء في إطلاق القذائف على الحصن الذي هم فيه على أقوال:

1- قال مالك الأوزاعي: لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم. (أوجز المسالك 223/8).

2-قال جمهور الشافعية والحنفية والحنبلية يجوز رميهم ولاكن لا نقصد قتل الصبيان فإن قتل الصبيان والنساء فلا بأس به ولا حرج وقد استدل الجمهور بحديث الصعب بن جثامة: (**مر النبي ﷺ بالأبواء أو بودان فسئل عن أهل الدار يبيتون فالمشركين فيصيبون من نسائهم و ذراريهم فقال هم منهم**) رواه البخاري ومسلم.

ومعنى البيات الهجوم ليلا بحيث لا يميز بين الصبي والرجل ، ومعنى هم منهم: أي حكمهم كحكمهم. قال النووي في شرح مسلم 49/12: (والمراد إذا لم يتعمد من غير ضرورة. وأما الحديث السابق في النهي عن قتل النساء والصبيان فالمراد به إذا تميزوا. وهذا الحديث ذكرناه في جواز بياتهم وقتل النساء والصبيان والبيات هو مذهبنا ومذهب أبي حنيفة والجمهور) وعلى مثل هذا نص النووي في المنهاج. أنظر: (زاد المحتاج بشرح المنهاج 303/4).

ومما احتج به المالكية قولهم حديث الصعب بن جثامة منسوخ بدليل قول الزهري بعد أن روا الحديث ثم نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان. وكذلك يحتجوا المالكية بالحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن كعب أنه قال: (نهى رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابن أبي الحقيق عن قتل النساء والولدان ، قال فكان رجلا منهم يقول برحت بنا امرأة ابن أبي الحقيق فأرفع عليها السيف ثم أذكر نهي رسول الله ﷺ فأكف ولولا ذلك لاسترحنا) (أوجز المسالك 220/8).

فلو كان هنالك أية رخصة في قتل النساء لقتلها وكما قال الصحابي (ولولا ذلك لاسترحنا) مع أنها اشتركت في الدفاع ولو بالصياح فكانت حياة الصحابة في خطر بسبب صياحها لأنهم في داخل حصن لابن أبي الحقيق اليهودي.

والأرجح هو رأي الجمهور لأن الجمهور جمعوا بين الحديثين: النهي عن قتل النساء والصبيان ، وحديث الصعب بن جثامة (هم منهم) فقالوا حديث صعب بن جثامة إذا لم يتميزوا ، وحديث النهي عند التمييز. ولو أخذنا برأي الإمام مالك لانسد باب الجهاد في هذه الأيام لأن معظم القتال بالرمي من بعيد بالقذائف والرشاشات وغيرها. ويشهد لرأي الجمهور كذلك حديث مكحول أن رسول الله ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف. رواه أبو داوود (...). والرسول ﷺ وقد قذف الحجارة بالمنجنيق يعلم أن الحجارة قد تصيب الأطفال والنساء وحصار الطائف كان في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه. أواخر سنة 8 هجرية.

وبناء على ما تقدم : يجوز رمي الكفار مع أطفالهم ونسائهم إذا لم يتميزوا. ولا يجوز قتل الأطفال والنساء إذا إنفروا، فإذا اشتركت النساء في القتال ولو رأيا ثم انفردن يقتلن.

ثانيا : تترس الكفار بالمسلمين :

هنالك بعض المراكز الشيوعية فيها جنود مكرهون يصلون ويؤذنون في كل وقت، وقد رأى الإخوة في جاجي في القواعد الشيوعية القريبة عليهم ، أناسا يصلون ويؤذنون وتحرجوا من قتالهم ، فسألوني عن الحكم الشرعي في هذا فأقول وبالله التوفيق: لو امتنعنا عن الهجوم على هذه المراكز لانسد باب الجهاد ولانتشر الكفر وعمت الفتنة واستراحت الشيوعية ورسخت أقدامها في أفغانستان. ولذا :

يجب قتال هذه المراكز ولو قتل هؤلاء المسلمون المكرهون للأسباب التالية :

1- دفع الضرر العام بارتكاب الضرر الخاص وهذه قاعدة شرعية منفق عليها ، فقتل هؤلاء الجنود المسلمين ضرر خاص وضياع البلاد ضرر عام يدفع بالضرر الخاص.

2- إن رسول الله ﷺ قال : **(يغزو هذا البيت** (الكعبة) **جيش من الناس . بينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم ، فقيل يا رسول الله إن فيهم المكره فقال: يبعثون على نياتهم**) رواه الشيخان.

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (537/28): (فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته – المكره فيهم وغير المكره – مع قدرته على التمييز بينهم مع أنه يبعثهم على نياتهم ، فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك؟).

3- إن ظاهر هؤلاء ضد المسلمين: فهم يقومون بحماية قواعد الشيوعيين الذين يفسدون البلاد ويهلكون العباد وهذه القواعد لقطع الطرق على المجاهدين المارين فقد يجرح بعضهم وقد يقتل بعضهم.

فوقوفهم في صف المشركين مع وجود السلاح معهم يبيح دمهم ، يقول مُحَّد بن حسن في السير الكبير فقرة (1446/2799): (وكذلك يباح قتال المسلم في صف المشركين إن كان عليه السلاح وهو في صف المشركين ولكنه لم يقاتل أحدا من المسلمين ، لأن من كان مستعدا للقتال في صف المشركين فهو مباح الدم وإن كان يستحب التبين في أمره عند التمكن من ذلك).

والظاهر حجة للمجاهدين بجواز قتال المسلمين الذين في صف الكفار فقد روي: أن العباس بن عبد المطلب قال للنبي ، لما أسره المسلمون يوم بدر: يا رسول الله إني كنت مكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(**أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله**) (مجموع الفتاوى 537/28) .

ويعقب ابن تيمية على هذا الحديث بقوله: لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضا.

وعندما تحرج المسلمون من قتال التتار لأن بعضهم يصلون ويصومون قال ابن تيمية: (إذا رأيتموني بينهم والمصحف على رأسي فاقتلوني).

4- إن عيش هؤلاء الجنود المسلمين بين الكافرين الذين يحاربون الله ورسوله ويقطعون الطريق على المجاهدين بل يقتلون المجاهدين فلا أقل من أن ينطبق عليهم جزاء قاطع الطريق :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة:33).

فهؤلاء المسلمون يعيشون مع الطائفة الممتنعة التي تقتل المسلمين وتقطع طريقهم فحكمهم هو نفس حكم المشركين عند عدم القدرة على التمييز.

ولقد قال علي ﵁ حين قاتل أهل البصرة بجيشه لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم و مقصوده من هذا الاستدلال (أن ظهور القتال من بعضهم كظهوره من جماعتهم في حكم إباحة قتالهم) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الحنفي (1446/2798) ، مع أن أهل البصرة كلهم مسلمون.

5-أجمع الفقهاء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم.

وجهود هذه المركز ضرر متحقق متعين لا شبهة فيه ولا مرية ، فوجودها من أجل قطع دبر الجهاد وإبقاء الكفار في البلاد.

أ- جاء في حاشية الدسوقي المالكي (178/2): (وإن تترسوا بمسلم قوتلوا ولم يقصدوا الترس بالرمي إن خفنا على أنفسنا لأن دم المسلم يباح بالخوف على النفس وإن لم يخف على أكثر المسلمين فإن خيف سقط حرمة الترس وجاز رميه).

ب- يقول النووي في المنهاج: (ويجوز حصار الكفار في البلاد والقلاع وإرسال الماء عليهم ورميهم بنار ومنجنيق وتبييتهم في غفلة فإن كان منهم مسلم أسير أو تاجر ولو التحموا حربا فتترسوا بنساء وصبيان جاز رميهم وإن دفعوا بهم عن نفسهم ولم تدع ضرورة إلى رميهم فالأظهر تركهم ، وإن تترسوا بالمسلمين فإن لم تدع ضرورة إلى رميهم تركناهم وإلا جاز رميهم على الأصح). (زاد المحتاج4/302).

ج- جاء في شرح السير الكبير: (فقرة 2800 ج4/1446) ولو حرقوا سفينة من سفائن المشركين أو أغرقوها وفيها ناس من المسلمين فليس على المسلمين دية ولا كفارة لأنهم باشروا فعلا هو حلال لهم شرعا مع العلم بحقيقة الأمر.

أما إذا نخشى اضرر على المجاهدين في حالة التترس بأسرى المسلمين فهل يجوز رميهم هنا اختلف الفقهاء الأربعة ، فقد أباحه الحنفية ومنعه الثلاثة ، جاء في فتح القدير (198/9) لابن الهمام الحنفي: (لو تترسوا بأسرى المسلمين وصبيانهم سواء علم أنهم إن كفوا عن رميهم انهزم المسلمون أو لم يعلموا ذلك إلا أنه لا يقصد رميهم إلا الكفار ، فإن أصيب أحد من المسلمين فلا دية ولا كفارة).

وعند الأئمة الثلاثة لا يجوز رميهم في صورة التترس إلا إذا كان في الكف عن رميهم في هذه الحالة انهزام المسلمين ، وهو قول الحسن بن زياد.

وفتوى الفقهاء الثلاثة مبنية على حالة أن الجهاد فرض كفاية حيث يفتح المسلمون بلادا جديدة. أما في مثل حالة أفغانستان حيث اغتصبت بلاد المسلمين ويتعرض دينهم للزوال ويضعون هؤلاء الجنود المسلمين لحماية الكفار ولاستمرار الاغتصاب وانتهاك الأعراض فلا أظن أن أحدا من الفقهاء يفتي بعدم جواز قتالهم.

يجب أن نتحرز في نياتنا عن قتل المسلمين :

يجب أن ننوي قتال المشركين وعدم قتل المسلمين، وإن كنا لا نستطيع التمييز بينهم في قتالنا ، أما في النية فهي مما وسعنا وأمكننا.

ولا دية ولا كفارة على من يقتل من المسلمين في صف المشركين:

يقول المرغيناني في الهداية: (وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو بالأسارى لم يكف عن رميهم) لما بيناه (ويقصدون بالرمي الكفار)

لأنه إذا تعذر التمييز فعلا فقد أمكن قصدا ، والطاعة بحسب الطاقة. وما أصابوه منهم فلا دية عليهم ولا كفارة. لأن الجهاد فرض عين والغرامات لا تقترن بالفروض). (فتح القدير 198/5) . وقال الحسن بن زياد قتل المسلم فيه الدية والكفارة ، وعند الشافعية في الكفارة قول واحد وفي الدية قولان.

6- ومما يستدل به على جواز القتال في حالة وجود المسلمين معهم ما رواه البخاري عن عكرمة قال: **أخبرني ابن عباس:** (**أن ناسا كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم ، أو يضرب فيقتل. فأنزل الله** : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء:97). فهذا حكم المستضعفين من المؤمنين في مكة الذين لم يهاجروا حفاظا على أموالهم وقتلوا في بدر ، فما حكم المستضعفين من الأفغان الذين يكثرون سواد الأفغان الشيوعيين المرتدين ؟ إن حكمهم أشد وعقابهم أنكى والله أعلم.

7- إن قتال هؤلاء المشركين الذين معهم مسلمون هو دفع للصائل ، ودفع الصائل المسلم واجب – فرض عند جمهور الفقهاء – وجائز عند بعضهم ، ولم يقل أحد من من المسلمين بكراهية أو حرمة دفع الصائل ولو كان من خيار المسلمين.

8- إن مصلحة حفظ الدين مقدمة على مصلحة حفظ النفس ، وقتل هؤلاء المسلمين في صف المشركين فيه مصلحة حفظ الدين وإن كان فيه ذهاب مصلحة حفظ النفس.

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (540/28): (والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل ، وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : [**من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون حرمه فهو شهيد**). فكيف بقتال هؤلاء المشركين الذين معهم مسلمون يصولون على الدين والعرض والنفس والمال ، فهو لا شك ولا ريب أولى وأوجب]. فلو كان جميع ما في القاعدة مسلمون وجب قتالهم إذا لم ينسحبوا بأنفسهم ، لأنهم صائلون على أرض المسلمين ودينهم.

خلاصة الأمر :

المسلمون الذين يختلطون بالجيش الكافر إذا استطعنا تمييزهم وعلمنا أنهم مكرهون فلا يجوز قتالهم. أما إذا فتحنا قلعة ووجدنا فيها جنودا مسلمين بعد أن نقدر عليهم ، فإن كانوا قد قتلوا مسلما فإنهم يقتلون قصاصا.

(أما إذا اختلطوا بالمشركين ولم نستطع تمييزهم ونحن لا نعلم المكره ولا نقدر على التمييز ، فإن قتلناهم بأمر الله كنا في ذلك مأجورين ومعذورين ، وكانوا هم على نياتهم. فمن كان مكرها لا يستطيع الامتناع فإنه يحشر يوم القيامة على نيته (الفتاوى540/28)].[1]

{ وهنا أقول : بأني أريد أن ألفت النظر لمسألة هامة جدا متعلقة بهذه المسألة وهي :

لفتة هامة في مسألة تترس الكفار بالمسلمين :

أقول والله المستعان:

---

[1] (الذخائر/1022- 1026) .

كما نرى فإن كل كلام العلماء السابق في مسألة التترس بالمسلمين منصرف إلى إحدى حالتين :

الأولى أن يأخذ الكفار بعض المسلمين من الأسرى ، أو المحتجزين ويضعوهم معهم كي لا يضربهم المجاهدون المسلمون تورعا عن قتل إخوانهم. وقد رأينا أن الخلاصة في ذلك هي ترجيح إباحة ضربهم وإن أدى ذلك لقتل المسلمين المحتجزين إذا خيف على المسلمين أن ينهزموا إذا لم يفعلوا ذلك ، أو كان الضرر المترتب على عدم ضربهم اكبر من ضرر قتل بعض المسلمين الأسرى والمحتجزين. ومع ذلك فقد تشدد بعض الفقهاء في المسألة ومنع قتل المسلمين ، لما لمسألة حفظ دم المسلم من القداسة والمكانة .

الثانية مسألة المكرهين على الخروج للقتال في صف الكفار (كالمجندين إجباريا من المسلمين في جيش الكفار) وقد مر الحكم بإباحة قتلهم إن لم يمكن تمييزهم ، وأن الله لا يظلمهم –حاشاه تبارك وتعالى – وأنهم يبعثون على نياتهم.

ولكن هناك أحوال جديدة طرأت هذه الأيام ، طرحت مسألة في غاية الدقة والصعوبة والحساسية. وهي أن قوات المحتلين الغزاة قد

دخلت بلادنا بما لا طاقة للمجاهدين في مقابلتهم بشكل مكشوف في صفين متقابلين متمايزين – كما هو الحال في العراق وأفغانستان وفلسطين وكشمير و الشيشان وسواها..، وتعددت أشكال تواجدهم العسكرية والأمنية والمدنية المختلفة الصور **بين الأهالي من المسلمين داخل المدن والتجمعات السكانية**. وأصبح أسلوب حرب العصابات والكر والفر هو الأساس في مواجهتهم ، وشاع أسلوب استخدام المتفجرات من قبل المجاهدين سواء بالتفجير عن بعد أو بالعمليات الاستشهادية أو غيرها من أساليب استخدام المتفجرات. كذلك الأمر في تواجد المرتدين من الطواغيت الموالين لأعداء الله الغزاة المحاربين لله ورسوله المسلمين ، واختلاطهم واختلاط عساكرهم وقوات أمنهم وحراسهم وحراس حلفائهم الكفار بالمسلمين ، وانتشارهم بين التجمعات السكنية وحركتهم في أسواق المسلمين ومناطق تواجدهم .. بحيث صار يؤدي استهداف أعداء الله أولئك بأساليب التفجير المختلفة ، إلى وقوع الكثير من الضحايا من المسلمين الأبرياء قتلا وجرحا ، وتدمير بيوتهم وممتلكاتهم وأموالهم ..

وقد شاع في بعض بيانات المجاهدين قياس هذه الأحوال على حكم الترس ، وجواز قتل المسلمين الذين تترس بهم الأعداء في الحرب ..، وأظن أن لا علاقة واضحة مباشرة لمسألة الترس بكثير من هذه الحالات ، كما أعتقد أن استسهال المسألة بهذا الشكل وإطلاقها على عواهنها بغير تدقيق ولا تفصيل ولا ضوابط ولا شروط ، لا يخلو من الخلل الذي قد يجعل بعض المجاهدين يتحملون وزر سفك دماء بريئة مسلمة ، وتدمير أموال واستباحة حرمات معصومة للمسلمين لا تحل — والله أعلم – بهذه الصورة المطلقة ، التي لا يبررها اعتماد مسألة حكم تترس الكافر بالمسلم في الحرب. وألفت النظر إلى عدد من النقاط على سبيل التنبيه:

(1) – أنا لا أقول بوقف قتال الكفار الغزاة أو أوليائهم ومعاونيهم من الطواغيت المحاربين لله ورسوله والمؤمنين ، إذا اختلطوا بالمسلمين كليا ، لأن هذا يؤدي إلى تمكنهم في بلادنا وبالتالي إفساد دين المسلمين ودنياهم وهو ما يريده أعداء الله. ومعاذ الله أن أدعو إلى ذلك.

(2) – يجب على المجاهدين أن يجهدوا أنفسهم في دراسة تبعات كل عملية شرعا وسياسة كما يجهدون أنفسهم في دراستها عسكريا وأمنيا ، ومن أهم ذلك ما نحن بصدده ، وهو مسألة من سيُقتل من المسلمين بتفجيرات المجاهدين. ووجوب توخي تحاشيهم بكل وسيلة ، وحساب مردود العملية وأهميتها ، ونسبة ما يصاب من المسلمين خطأ بغير قصد ، إلى النكاية المتوقعة الحاصلة في الكفار ، وأثرها فيهم ..، فقد وجدنا في بعض العمليات ، قنابل توضع في سوق مزدحم للمسلمين ، تقصد قتل بضعة أفراد من دورية عسكرية للكفار، أو سيارة مفخخة على باب قنصلية أمريكية ، من خارج السور الذي يسيج حديقة ، وراءها مكاتب أكثر من فيها ليسوا أمريكان .. حيث لا يحتمل في مثل هذه العملية عاقل أن يصاب أمريكي واحد ! فيقتل أو يجرح العدد القليل من الأعداء المستهدفين، وقد لا يصابون ، في حين يصاب العشرات من المسلمين بمن فيهم من الأطفال والنساء والأبرياء قتلا وجرحا ودمارا للأموال !! وهي نتيجة معروفة لكل عاقل، بحساب بسيط ودراسة للمكان واحتمالات من سيتواجد فيه من المسلمين. وأعتقد أن هذا لا يجوز.

فهناك فرق كبير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بين استخدام المتفجرات في بلاد الكفار وعواصمهم مثل تل أبيب و واشنطن ولندن ... ، واستخدامها في عواصم بلاد المسلمين وديارهم.

وقد مرت معنا فقرة بطولها بعنوان حرمة دم المسلم وعصمته وماله وعرضه ، في الصفحات السابقة ، ومنها قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: **(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ويدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)** .

فضرب الفاجر والكافر لا يبرر عدم تحاشي المؤمن وصاحب الذمة والعهد الصحيح شرعا. وكذلك ما روي عنه ﷺ في الحديث الذي أخرجه البيهقي من حديث البراء بن عازب: **(لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله من قتل مؤمن ، ولو أن أهل سماواته وأرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار)** وقوله يخاطب الكعبة المشرفة ينظر إليها : (إن لك عند الله لشأنا ولزوالك أهون عند الله من قتل امرئ مسلم). أو كما قال ﷺ.

فهل مظنة زوال بعض العلوج من الكفار أو أعوانهم الذين لا قيمة لهم ولا يغيرون شيئا في مسار المعركة طويلة المدى التي نخوضها ، يبرر زوال عشرات النفوس المؤمنة على وجه التأكيد أو الظن الراجح ؟!، أعتقد أن هذا القصد والنية ، لا تبرر مثل هذا العمل في كل تلك الحالات.

وقد مر معنا الكثير من النصوص القرآنية والنبوية الشريفة في التغليظ في حرمة النفس المسلمة ، ما فيه الكفاية لكي يتأملها المجاهدون في سبيل الله و يدققوا في أعمالهم.

(3)- قد يظن بعض المجاهدين أن مجرد نيته بأنه يقصد قتل الكفار، ولا يقصد من سيقتل من المسلمين كافية في استحلال كل تلك الأعمال ، وأعتقد أن صلاح النية والقصد وحده غير كاف. لأن الله لا يقبل من العبد إلا ما كان خالصا لوجهه وكان صوابا ، والصواب هو متابعة الكتاب والسنة كما شرحه العلماء ، ومن ذلك ولا شك تحاشي سفك دماء المؤمنين والمعصومين شرعا في القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

(4) – إذا كان الهدف الذي يقصده المجاهدون يحدث من النكاية المؤكدة في الأعداء (بحسب غلبة الظن) ما يساهم في هزيمة العدو ونصر المسلمين كأن يكون رأسا مهما من رؤوس الأعداء ، أو يوقع خسارة فادحة مؤثرة في صفوف الكفار... ، وبذل المجاهدون كل وسعهم في إبعاد المسلمين عن مكان الحدث ، وتحاشيهم ، واختيار الأوقات التي يندر فيها تواجدهم ... إلى آخر ما استطاعوه من

الإحتياطات ...، ثم حصل قدر بغير قصد سبب إصابة بعض المسلمين بغير قصد مع التحاشي ، فإني أرجو أن يغفر الله لهم ذلك لبذلهم الوسع ولصحة نيتهم وقصدهم.

(5) – سمعت من بعض المجاهدين أثناء نقاش هذه المسألة النازلة ، ما يوحي باستهانتهم بما يقع من خسائر في صفوف عوام المسلمين ، كقولهم ، إن أكثر هؤلاء المصابين من المسلمين من الفساق ، أو القاعدين الذين لا يجاهدون ، أو أنهم من المبتدعة الذين فسدت كثير من عقائدهم ، ...إلى آخر ما قد يصح أو لا يصح من الأوصاف. ولكن هذا الكلام باطل ، فكون أن الأصل فيهم الإسلام يعصمهم ، ويوجب تحاشيهم ، وما قال أحد ممن يعتد به من أهل الإسلام باستباحة دماء أمثال هؤلاء. فلا يحل دم مسلم إلا بما هو معلوم من الأحكام. ولكني رأيت في بعض الحالات ، أن الحالة النفسية التي قد يصل إليها بعض المجاهدين من ضغوط أعداء الله من جهة ، وإعراض العامة عن نصرة دين الله من جهة أخرى ، وما قد يتلبسون به من الأحوال الفاسدة ، سبب لدى البعض في الاستهانة بمسألة التحاشي الحقيقي ، وهذا خطير ولا يجوز.

(6) – أخيرا أنصح كل تنظيم أو سرية من المجاهدين. أن يكون لهم مرجعا شرعيا يعرضون عليه ما التبس من أمور في هذه الطامات النازلة ، رغم علمي بندرة من يمكن الوثوق بعلمه أو استعداده لنصرة المجاهدين بعلمه إن توفر في هذا الزمان ، وإلى الله نشتكي مما اشتكى منه عمر ﷺ. من جرأة الفاجر وعجز الثقة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم }.

(12) – **حكم السكن في ديار المشركين** :

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى:

[يحرم السكن في بلاد المشركين إلا للضرورة القصوى ، ففي الحديث الحسن الذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا " **من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله** ". وفي الحديث الحسن الذي رواه النسائي: " **لا يقبل الله من مشرك عملا بعدما أسلم أو يفارق المشركين**".

ومدار الحكم على علة حفظ الدين والعرض والمال ، وحيثما وجد مكان أحوط لسلامة دينه وعرضه فيجب عليه أن يختاره سكنا.

يقول صاحب المعيار (في الفقه المالكي) عن السكن في ديار الكفر : (فهو تحريم مقطوع به من الدين ، كتحريم الدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير الحق وأمثاله من الكليات الخمسة التي اتفق أهل الملل والأديان على تحريمها). (وقال القرطبي : وعلى هذا فلا يجوز لمسلم دخول دار الكفر لتجارة أو غيرها إلا لضرورة في الدين ، كالداخل لفداء المسلم ، وقد أبطل الإمام مالك شهادة من دخل دار الحرب للتجارة). والتكليف بحسب الإمكان والضرورة تقدر بقدرها. والحمد لله رب العالمين] .اهـ .[1]

{ و أقول والله المستعان :

إن تحريم السكن في ديار الكفار والمشركين هو حكم عام متفق عليه بين علماء الإسلام وجميع مذاهبهم لما يحتوي عليه من الفتنة في الدين ، وتشرب عادات المشركين ، والإلفة معهم التي تؤدي مع الوقت للود الذي حرمه الله معهم ، واختلاط الذرية الناشئة بينهم

---

[1] (الذخائر ج1/1022).

بأطفالهم وتعلم عوائدهم الخبيثة الفاسدة الكثيرة ... ، ناهيك عن البعد عن عادات الإسلام وأعراف المؤمنين وعدم وجود المساجد وما يذكّر بالله ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ... ، ناهيك عن محاولة الكفار أذية المسلمين والعدوان عليهم وفتنتهم في دينهم ... وقد قدر الله لي اضطرارا أن أعيش في البلاد الأوربية ردحا طويلا من الزمن :

خلال الأعوام (1983-1997م) ، بسبب الأحوال الأمنية التي ألزمت أمثالي بالهجرة والفرار من أنظمة حكم الطواغيت...، فسكنت في تلك البلاد ودرست فيها وعملت في مختلف ميادين الحياة من التجارة ، إلى العمل الصحفي .. وغير ذلك .. ، وقدر لي أن أقيم زهاء ثلاث سنين في فرنسا ، ونحو ثمان سنين في أسبانيا، وما يزيد على ثلاث سنين في بريطانيا ، وزرت بلاد أوربية عديدة مثل ألمانيا والدول الإسكندنافية وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وغيرها ، وعملت في أوساط الصحوة الإسلامية المتعددة فيها ...، وخلصت عمليا من خلال ما رأيت إلى أن نهي رسول الله ﷺ للمسلمين عن أن يقيموا في بلاد الكفار والمشركين ، هو في الحقيقة من معجزات النبوة ..، لما

رأيت من الأحداث والمشاهد وأحال المسلمين برهم و فاجرهم ، مؤمنهم وفاسقهم وكافرهم ..وحتى من ينسبون أنفسهم إلى العمل في الصحوة الإسلامية ، وحتى من لحق بأوربا من الجهاديين !.

فقد أثرت به تلك البلاد فيهم وفي ذراريهم جميعا ودون أي استثناء، وإنما الاختلاف في درجات التأثير والفساد من الفسوق المتدرج ، وصول إلى الردة الجامحة والعياذ بالله.

ولا يتسع المقام هنا لتسجيل خلاصة ما رأيت وسمعت به من أحوال تدمي القلب وتقطع الفؤاد حزنا على أحوال المسلمين ودينهم وعاداتهم وما حل بهم هناك. ولعلي إن سنحت لي الفرصة ، أن أسجل ذلك في رسالة خاصة. فالأكثرية الساحقة من الذين يسمون (مسلمين) في بلاد الكفر ، والبالغ عددهم عشرات الملايين في أوربا وحدها (قيل أكثر من 45 مليون (مسلم !)، ومثل ذلك في أمريكا وكندا وأستراليا وغيرها من بلاد الدنيا شرقا وغربا ، لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ، ولا يؤدون أكثر شعائر الإسلام ، لم يبق لهم من دين آبائهم إلا نتفا من العادات والتقاليد تذوب مع الوقت في ابنائهم وأحفادهم ، فنساؤهم وبناتهم سافرات يخالطون الرجال من المسلمين

والكافرين ويدرسون في مدارسهم ويعملون بينهم ، وشبابهم فساق أكثرهم يشرب الخمر وكثير منهم يأكل الخنزير ، وقد فشا فيهم الزنا والفجور ، وحتى في كثير من نسائهم ، وأدت كثرة الزواج بالكافرات (وأكثرهن ملحدات لا يجوز نكاحهن أصلا لأنهن لسن من أهل الكتاب لا دين لهن كأكثر شباب الغرب اليوم وهم يجاهرون ويفخرون بذلك) ، وأدت هذه الزيجات إلى ولادة ذرية لا تعرف لغة آبائها العرب أو المسلمين ، وتعيش على طريقة الأمهات ! ، بل لقد فشا مؤخرا زواج بنات المسلمين بالكافرين ، زواجا مدنيا وقد وجد من بعض الضالين من علماء السوء المستغربين من أحل بعض صور من ذلك الزواج المحرم. هذا ناهيك عما تعارفت عليه تلك الأوساط الغربية من طرق متعددة للزواج غير الشرعي من صور السفاح المختلفة وأشكال الزنا والتحلل . حتى أن كثيرا من بنات المسلمين يعاشرن الرجال والأصدقاء بمعرفة الآباء لا يستطيعون مجرد الإنكار عليهن ، حتى لا يغادرن البيت! فضلا عن بنات (المسلمين !) اللواتي احترفن الدعارة الرخيصة كما في دول وسط أوربا ! ، أما عما دون ذلك من العادات الأوربية ، والأعياد والمناسبات ، وطريقة العيش من طعام وشراب ولباس ...، فلا يمكن ن تجد فرقا بين الكفار وهؤلاء الذين

إذا سألتهم عن دينهم ، أجابوك بحماس أنهم (مسلمين !!). وهذه حال الأكثرية الساحقة. وقد حاولت أن أتخيل عدد المصلين في بعض البلاد التي عشت فيها ، من خلال مجموع من يصلي الجمعة (وأكثرهم لا يصلي الأوقات الخمسة) ، فوجدت أنها نسبة صغيرة من مجموع تعداد الجاليات الإسلامية ، وربما لا أخطئ لو قلت أن نسبة من يصلي الجمعة لا تزيد على 1% أو 2% من المجموع على أحسن تقدير !.

أما عن أوساط الملتزمين ورواد المساجد والمراكز الإسلامية ، فيمكن معرفة أفكارهم وأحوالهم من خلال متابعة بعض برامج الفضائيات التي تعنى بأخبارهم مثل (قناة إقرأ) وغيرها ، وخلاصة ما وجدته ، أن القوم قد أوجدوا لأنفسهم دينا أوربيا أمريكيا بدعوى الضرورات والرخص والاعتدال ، وتأليف القلوب ، والترفق بالمسلمين لدعوتهم ، ...وأستطيع الشهادة – عن علم - بكل بساطة أن ما تبقى في دينهم الإسلامي الغربي الجديد من دين مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم هو كم متواضع من الأصول العقدية وبعض العبادات والعادات ..وأكثر نشاط تلك المراكز والمساجد محصور في توفير اللحم (

الحلال) ، وترتيب صلاة الجمعة ، وعقود الزواج الشرعي ، وأمور الموتى والجنائز ...، وعقد المحاضرات ، وبعض الحفلات والمواسم التي وجدت لها طرقا إسلامية غربية تتناسب ودعاوى الإعتدال والوسطية وعدم التشدد ! لهذه الأقلية المتمسكة بدينها في تلك الجاليات التي ارتد – عمليا وواقعيا – أكثر أبنائها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقد فشا في أوساط من يسموهم (مفكرين إسلاميين !!) ، وبعض من ينسبون إلى العلماء في الغرب ، أفكار شوهاء مارقة ، للتقارب بين الأديان ، والتسامح الديني ، وحوار الحضارات ، والحوار الإسلامي المسيحي ، وما يسمونه حوار الآخر !! ، ونفي تهمة الإرهاب عن الدين ..، فقد فشت أفكار وفتاوى (إسلامية) في غاية الزندقة والانحراف تحتاج بحثا مفردا لاستقصائها والرد عليها ..، وكمثال واحد عن هذه الغرائب ما سمعته من بعض من يسموهم مفكرين مسلمين ، من أصحاب اللحى المنتوفة ، أو المحلوجة ، والقبة البيضاء وال (كرافيتة) وهي ربطة العنة أو (رسنُ الحضارة !) كما أسماها أحد شيوخنا. فقد قالوا : أن خروج الشمس من مغربها قبل

قيام الساعة ، معناه إسلام الأوربيين والأمريكان من أهل الغرب ، وهو ظهور شمس الإسلام في مغربها ! حيث سيحمل الأمريكان والغرب دعوة الإسلام ويأتوننا لبلادنا فاتحين بالإسلام (الذي أشرق في الغرب) ! لأنهم يمتلكون القوة العسكرية ، وسيمتلكون راية الإسلام ! وذلك مثلما حصل من التتار الذين جاؤونا فاتحين ثم أسلموا ، وعاد (تيمورلنك) وأحفاده من التتار المسلمين ففتحوا بلادنا وغيرها بالإسلام !

ولك أن تتخيل كم في هذا التكلُّف المجوج من الشطط والتفاهة، والإعراض عن صريح تفاصيل الأحاديث النبوية وشروحها ، وشواهدها الحسية المفصلة في الأحاديث الصحيحة. ناهيك عن ما تدل عليه هذه الآراء من الجهل بالتاريخ وبأحوال كفر أولئك التتار – الذين يستشهدون بهم – بعد زعمهم الإسلام وإفسادهم في الأرض وجهاد أجدادنا المسلمين لهم.

ولكن هذا هو حال العقول إذا انتكست ، وخرَّت وخسف بها من رؤوس أصحابها ، لتهذر بهذه التخريفات. أما التمحكات السياسية اليوم فحدث عنها ولا حرج. من الدعوة للاندماج في

المجتمعات الغربية، ودخول أحزابها السياسية ، وتشكيل اللوبيات الضاغطة على الحكومات ، والانسجام مع العادات الاجتماعية السائدة .. وغير ذلك من الطامات الشرعية.

وباستثناء قلة قليلة جدا من الإسلاميين والجهاد يين الفارين بدينهم من بلادهم واضطرارهم للاحتماء باللجوء السياسي في بعض دول الغرب ، وهم قلة نادرة تعيش الغربة المكعبة – صبرهم الله – غربة الدين والأوطان. وغربة بين الكفار ، وغربة بين أولئك المسلمين ممن ذكرنا حالهم. حيث تنظر أكثر تلك الأوساط الإسلامية بمن فيهم الأئمة والمراكز الإسلامية لهؤلاء الشباب نظرة الشبهة ، والتوجف والمخالفة في السلوك والمعتقد ، حتى أن بعضهم يطردهم من المساجد ويمنعهم من دخولها خشية انتشار عدوى صلاحهم إلى فساد الفاسدين والقاعدين. فباستثناء هؤلاء القلة النادرة فأحوال الحاليات هي ما ذكرت لمحة عنه.

ولدي قصص وشواهد كثيرة من الغرائب والعجائب والحكايات المؤلمة التي رأيتها بنفسي ، فضلا عما سمعته من الثقاة عن أحوال المسلمين وطرق عيشهم ، ودين أئمة مساجدهم ومدراء مراكزهم

(الإسلامية!)، ولا يتسع لها المقام هنا وأترك ذكرها لرسالة متعلقة بهذا الموضوع الهام إن يسر الله ذلك.

ولكن ومنذ انطلقت الحملات الصليبية المعاصرة ، منذ 1990م ، وانطلق معها ما سمي الحرب العالمية على الإرهاب ، أخذت أحوال المسلمين في الغرب تأخذ بعدا آخر ، بلغ اليوم أوجه بعد أحداث سبتمبر 2001م، وبعد احتلال العراق ، وإعلان أمريكا وحلفاءها مشاريعهم في الشرق الأوسط الكبير ! وانطلاق حملاتهم الصليبية صراحة.

فقد بدأت موجة من الممارسات والحملات العنصرية ضد المسلمين تتفشى في أوساط الشعوب الغربية في أوربا وأمريكا وغيرها .. وتجلى ذلك في العدوان على المساجد ، والمراكز الإسلامية بالحرق والنسف بالقنابل ، وبالعدوان على المسلمين وأطفالهم ونسائهم لاسيما المميزات بالحجاب. ولم يقتصر الأمر على هجوم المتعصبين والعنصريين وهم كثر جدا وفي تزايد ، من جراء حالة الحرب وما يقوم به المجاهدون من حربهم. ولكن العدوان على المسلمين يصل الآن ليكون سياسة للحكومات الغربية ذاتها. فقد سنت جميع الدول الغربية

تشريعات جديدة تضيق على المسلمين بدعوى مكافحة التطرف والإرهاب ، فصدر قانون لمنع الحجاب في فرنسا ، ويدرس مثل ذلك في بلاد أخرى. وصدرت قوانين لمراقبة الخطب المسجدية ، وطرد الخطباء الذين لا يلتزمون التعليمات الحكومية المتعسفة. ووضع أكثر المصلين ولاسيما الشباب تحت المراقبة وفي دائرة التهمة ، واستدعي الكثيرون للتحقيقات. وجندت الإستخبارات آلاف الجواسيس بين رواد المساجد. هذا في أوربا. أما في أمريكا فالإجراءات التعسفية شديدة وعدوانية ، اختلط فيها الحقد بإجراءات الأمن. وهذه الأخبار متكررة يوميا في وسائل الإعلام اليوم بما يغني عن الإطالة.

ولكن الجدير بالذكر ، التنبيه على أن هذه الأحوال والضغوطات، بدأت تدفع اليوم كثيرا من المسلمين المقيمين في الغرب ، إلى ارتكاب الأفعال المحرمة ، والتصريح بالأقوال التي تهدد دينهم وعقيدتهم من أجل دفع التهمة – تهمة الإرهاب والتطرف – عن أنفسهم ، والتدليل على بعدهم عن دينهم ، مثل ترك الحجاب أو ارتياد المساجد ، أو التصريح بدينهم أو معتقدهم. وقد وصل الأمر بالبعض للمجاهرة بالمعاصي والمنكرات لنفس الغرض. والأفدح من كل هذا ما

يقوم به أئمة المسلمين ، ومدراء المراكز ، ورؤساء الجاليات الإسلامية، من تراجعات خطيرة جراء تلك الضغوط. حتى بلغ الأمر بإظهار الولاء الصريح للكفار، والبراءة الصريحة من المؤمنين ولاسيما المجاهدين في سبيل الله. بل سبهم وشتمهم في وسائل الإعلام صراحة. ناهيك عن إطلاق الفتاوى الضالة ، والآراء المناقضة لمقتضيات الدين وأساسيات العقيدة. ومن يتابع وسائل الإعلام يقف على ما يندى له الجبين من تلك التصريحات والممارسات.

ولو نظرت في أسباب ذلك لرأيت بكل وضوح ، أن خلاصة الأسباب هو تمسك أولئك (المسلمين !) بإقامتهم في ديار الكافرين من أجل الدنيا التي يصيبونها ويدفعون دينهم ودين ذراريهم التي يكفر أكثرها مع الوقت ثمنا لهذا الهدف. تلك الإقامة المحرمة أصلا من قبل أن تحصل لهم هذه الضغوط وهذا العدوان من الكفار من أصحاب تلك البلاد. فما بالك بعد هذه الحملات الظالمة.

ولكن الحقيقة أن أكثر أولئك القوم قد رضوا بالحياة الدنيا هناك واطمأنوا بها.

ولابد لنا قبل أن نختم هذه الفقرة أن نذكر أولئك المسلمين ونلفت نظرهم لأمرين في غاية الأهمية :

أولا : أن يعلم كل من في قلبه حرص على دينه وعلى طاعة الله وطاعة رسوله بالحكم الشرعي في حالهم ، وهو حرمة إقامة كل من لا تلجئه الضرورة لتلك الإقامة في ديار الكفر والكافرين ، ووجوب عودته إلى بلاده (بلاد المسلمين) رغم ما فيها من الظلم ، والفقر وغير ذلك من المصاعب ، إن لم يكن عليه خطر من حكام بلده ، فإن كان ذلك فعليه البحث عن مهجر في بلاد المسلمين. إذ تجب الهجرة عن دار الكفر إلى دار الإسلام إن وجدت. فإن لم توجد فإلى ديار المسلمين حيث يأمن على دينه وعرضه ونفسه وماله ، ويجب أن يتحرى الأصلح فالأصلح والأقل فسادا فالأقل ..، وأما الدنيا والمال والرزق فقد تكفل بها الله تعالى. وليس العمل والتجارة والبحث عن رغد العيش عذر للبقاء في ديار الكافرين ، لاسيما وقد آلت الأحوال إلى ما آلت إليه.

ولا يحل البقاء في الغرب وغيرها من بلاد الكفر إلا قهرا لمن غلب على أمره لا يجد حيلة غيرها ، أو لمصلحة شرعية من قبيل جهاد

الكفار في بلادهم دفعا لهم عن بلاد المسلمين ، وهو فرض عين على كل مسلم كما بينا آنفا في الباب الأول من هذا الفصل . كما يجوز لمن كان من العلماء أو الدعاة إلى الله ممن يحتاجه المسلمون هناك البقاء ، شريطة أن لا يضر بنفسه وأسرته في دينهم ، وأن يتمكن من الدعوة إلى الله بحرية ، وأن لا يتلبس بالنفاق الذي فشا في تلك الأوساط رغبا ورهبا من الكفار وأذنابهم .والله هو الرقيب على القلوب والنوايا.

ثانيا : أن نلفت نظر المسلمين في ديار الغرب وغيرها من البلاد المحاربة للمسلمين المحالفة لأمريكا في غزوها لبلادنا. بأن الحرب قد قامت وستطول ، وهاهي تزداد ضراوة. وقد بدأت بوادر طلائع المجاهدين والمقاومين تتصدى لأمريكا وحلفائها ، في بلادنا وفي بلادهم على حد سواء. وستؤدي هذه الحالة التي ستتفاقم طبيعيا ، إلى انتقام الكفار منهم. وازدياد الضغوط عليهم. ولا أظن عاقلا يطالب المجاهدين في سبيل الله بترك جهاد أعداء الله الذين يحتلون بلادنا ويذبحون أطفالنا ونساءنا ورجالنا ، وينهبون ثرواتنا ويذيقوننا كل ألوان العذاب ، من أحل الحفاظ على مصالح قطعان من

المسلمين الذين اختاروا العيش بين أرجل الكفار والمشركين وتحت أقدامهم من أجل دنياهم وحياتهم بين ذلك العفن فارتد كثير منهم ، وأكثر من تبقى فاسقون ! فلا تترك الفريضة من أجل هؤلاء وأكثريتهم الساحقة هم من العصاة لربهم ، الناكصين عن أوامر نبيهم الصريحة الواضحة ووعيده – ﷺ – لهم ببراءته منهم ، إن هم أقاموا في ديار الكافرين.

وعلى أولئك الذين تصدروا الريادة الدينية لتلك الجاليات أن يبينوا هذه الأحكام وتفصيلاتها للمسلمين من حولهم. وعلى علماء الإسلام أن يصرحوا لهم بحكم إقامتهم تلك وما يترتب عليها ، ولاسيما وقد انعقدت الحروب الصليبية واستعرت بكل جلاء. }.

(13)- منع المثلة والتشويه والتعامل مع جيف المشركين :

[إن الإسلام دين يترفع عن الدنايا ، وعن الأعمال الخسيسة، وعن الأحقاد الصغيرة والتي تبرز في الانتقام من جثث الموتى ، حتى أن سدنة الجاهلية كانوا يترفعون عن هذا الفعل ، وإذا حصل من صغارهم فإنهم يتبرؤون منه (...).

(والمثلة هي تشويه الجثة من قبيل قطع أطراف القتيل أو سمل عينه أو قطع أذنه أو أنفه أو أي عضو من أعضائه ..).

وقد اختلف الفقهاء حول المثلة على رأيين :

1- الرأي الأول: رأي الحنفية والحنبلية لا يجيزون المثلة إبتداءا ، ولكنهم يجيزونه إذا كان من قبيل الجزاء والمعاملة بالمثل .

2- الرأي الثاني: رأي الشافعية والمالكية: بكراهة المثلة ، سواء كانت مبتدأة أو معاملة بالمثل.(...)].اهـ [1]

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله:

[ومن آداب الجهاد دفن جيف أجساد القتلى من المشركين ، وإذا أرادوا أخذها ودفع ثمنها فالأولى عدم أخذ الثمن ، فقد ألقى رسول الله ﷺ جثث زعماء قريش يوم بدر في القليب ، وحفر لبني قريظة الخنادق عند قتلهم. وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي أن المشركين سألوا النبي ﷺ أن يبيعهم جسد نوفل بن عبد الله بن المغيرة، وكان اقتحم الخندق فقال النبي ﷺ: (**لا حاجة لنا بثمنه ولا جسده**).

ونحن نرجح مذهب الشافعية والمالكية ، بمنع المثلة لأنه يتمشى مع القواعد العامة للإسلام. ويتفق مع الروح التي تسري في تعاليم هذا الدين ...] اهـ. [2]

---

[1] (الذخائر ج1/ 167) .

[2] (الذخائر ج169/1) .

(14) – **البيعة في الحرب:**

قال الشيخ عبد الله رحمه الله :

[1- (**عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع من اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها ، كانت رحمة من الله، فقيل له: على أي شيء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا ، بايعهم على الصبر)** (رواه البخاري).

البيعة في الحرب سنة نقلت عن المصطفى ﷺ لتثبيت القلوب وتذكيرها بعهد قطعته على أنفسها قبل المعركة.

الشجرة التي بايعنا تحتها: الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان عام (6هـ) ، وفي العام المقبل سنة (7هـ) لم يعرف اثنان منا مكان الشجرة ، وهذه رحمة من الله حتى لا تصبح الشجرة شيئا مقدسا ، ثم تنتشر البدع والخرافات من خلال وجودها وحتى لا يأتي الناس للتبرك بها ، وحديث جابر في مسلم: (**بايعنا على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت**).

والشجرة هي سمرة من أشجار الصحراء ، وقد خفيت على الصحابة في العام الذي تلا الحديبية خوفا من الفتنة.

1- (عن عبد الله بن زيد ﷺ قال: لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على لموت ، فقال لا أبايع على هذا أحد بعد رسول الله ﷺ) (رواه البخاري).

الحرة: معركة وقعت بالمدينة سنة (63هـ) ، وسميت الحرة لأن خيول (يزيد) اقتحمت الحرة (وهي أول مرة تقتحم فيها الخيول حجر الحرة) لأن الحرة منطقة حجارة سوداء تحيط بالمدينة من شرقها بحرة (واقم) ومن غربها بحرة (الوابرة) ولذا يقال ما بين حرتيها أو لابتيها ، ويعنون بها هاتين الحرتين ، وعندما استباح جيش (يزيد) المدينة قام الصحابي عبد الله بن حنظلة يبايع الناس على الموت لمقاتلة يزيد بعد خلع بيعته.

2- (عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل شجرة ، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟ قال: قلت: قد بايعت رسول الله ، قال: وأيضا ، فبايعته الثانية ، فقيل له: على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قال: على الموت).

لقد كان ﷺ يختار بعض أصحابه الذين يعدهم للمهمات في المستقبل ثم يأخذ عليهم عهودا خاصة يتميزون بها عن بقية الصحابة، كما أخذ على ثوبان وأبي بكر وفئة من الصحابة (أن لا يسألوا الناس

شيئا) فكان أحدهم يسقط سوطه من يده فلا يطلب من أحد مناولته إياه.

والبيعة دائما على البر والتقوى ، لأن عهد على التعاون على البر التقوى ولا يجوز البيعة على الإثم والعدوان ، كمن يتعاهدون عهدا خاصا ثم يطلب من المبايع بعد فترة أن يعمل أعمالا لا يرضاها الله ، ولا تقرها الشريعة كمقاطعة فلان ، والتجسس على فلان وتتبع عورات الآخرين.

يجوز للمسلم أن يعطي عدة بيعات لعدة أشخاص ، فيعطي الشيخ بيعة أن يجاهد معه ، والآخرين بيعة أن يتلقى العلم على يديه ويتربى على يديه ، ولا معارضة بين هذه البيعات ، ولا يجوز لأحد أن يفرض طاعته في كل شيء على من عاهد على شيء ولا يجوز لأحد أن يحتج ببيعته ليمنع المبايع من عمل بر نص عليه الكتاب والسنة كالجهاد في سبيل الله مثلا ، لأن البيعة عندئذ تنقلب إلى بيعة على الإثم (**وإنما الطاعة بالمعروف**) (**ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**)]

اهـ .[1]

---

[1] (الذخائر ج1-263) .

(15)– أحكام الشهيد :

في فقرة " الشهيد وأحكامه " من موسوعة الذخائر .. للشيخ عبد الله عزام رحمه الله تفاصيل مفيدة ننقل منها هنا باختصار ما يلي:

[**سبب تسميته شهيدا :**

قال الأزهري : (لأن الله تعالى ورسوله ﷺ شهدا له بالجنة).

وقيل : الشهيد : الحي .. فسموا كذلك لأنهم أحياء عند ربهم .. وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيقبضون روحه .. وقيل : لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله ..وقيل لآن روحه تشهد دارا السلام { حال وفاته } وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة.

تعريف الشهيد :

– عند الشافعية : (الشهيد الذي لا يغسل ولا يصلى عليه : هو الذي مات بسبب قتال الكفار حال قيام القتال سواء قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم خطأ ، أو عاد إليه سلاح نفسه ، أو سقط عن فرسه ، أو رمحته دابته فمات ، أو وطئته دواب المسلمين ، أو غيرهم ، أو أصابه سهم لا يعرف هل رمى به مسلم أو كافر ، أو وجد قتيلا

عند انكشاف الحرب ولم يعرف سبب موته ، وسواء كان عليه أثر دم أم لا ، وسواء مات في الحال ، أم بقي زمنا ثم مات بذلك السبب بعد انقضاء الحرب ، وسواء أكل وشرب ووصى ، أم لم يفعل شيئا من ذلك ، وهذا كله متفق عليه عندنا .. نص عليه الشافعي).

- عند الحنفية: (الشهيد هو كل مكلف مسلم طاهر قتل ظلما بجارحة ولم يجب بنفس القتل مال ولم يرتث).

شروط الشهادة :

1- أن يكون القتال في سبيل الله : (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) متفق عليه. وهذا نص ضابط فكل من كان قصده نصرة الإسلام ثم قتل فهو شهيد وإلا فلا.

2- الصبر: (إن قتلت صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، كفر الله خطاياك إلا الدين) رواه مسلم. والصابر هو المقبل على العدو لصبورته وقلبه ، ولا يضره مع ذلك أن يجد ألما في قلبه وكراهية للموت وفراق الأهل. والصبر على العبادة فعلها بشروطها.

3- الإقبال وليس الإدبار.

4- عدم الغلول: (**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**) حاملا غله على ظهره . و الغلول هو السرقة من الغنائم قبل القسمة. وفي البخاري : (**عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة فمات ، فقال النبي ﷺ : "هو في النار " فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها**) .

أثر الدين في الشهادة وتكفير الخطايا :

الدين لا يؤثر في الشهادة. ولكن تكفير الخطايا كلها قد يؤثر فيه الدين. (قال النووي: (إلا الدين).. فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين. وإنما تكفر حقوق الله تعالى.

وكذلك قال ابن عبد البر: وقد ذكر القرطبي شرطا في الدين المانع من مغفرة الذنوب وهو : (إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه ...) أما إذا لم يستطع قضاء الدين مع محاولته فالمرجو من كرم الله تعالى- إذا صدق قصده وصحت نيته – أن يرضي الله تعالى خصومه عنه بما شاء حتى يدخل الجنة .

هكذا حقوق الآدميين. أما حقوق الله تعالى فالظاهر أنها تغفر كلها بالشهادة. وفي النوادر أن التشديدات التي وردت في الدين كلها

منسوخة إلا من أدان في سرف أو فساد، ونحو ذلك عن ابن شهاب.

وهذا رأي المالكية.

غسل الشهيد:

اتفق الأئمة الأربعة على أن الشهيد لايغسل. وهذا قول عامة أهل العلم. ولم يخالف في هذا الحكم إلا الحسن وسعيد بن المسيب وابن سريج الشافعي. فقالوا بغسل الشهيد. واحتجوا بأنه: ما مات ميت إلا جنبا والجنب يجب غسله.

واحتج الجمهور بحديث جابر: (**أن رسول الله ﷺ أمر بشهداء أحد بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم**). ولأحمد أن النبي ﷺ قال في قتلى أحد : (**لاتغسلوهم فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة ، ولم يصل عليهم**).

ورأي الجمهور أرجح للأدلة الصحيحة التي تكاد تصل إلى حد التواتر.

الصلاة على الشهيد :

اختلف العلماء في الصلاة على الشهيد على رأيين :

الأول : – وهو رأي الجمهور– إنه لا يصلى عليه . وهو قول مالك والشافعي وجمهور الحنابلة.

الثاني: وهو رأي الحنفية والثوري ورواية عن أحمد أنه يصلى عليه ، وهو رأي الحسن البصري وسعيد بن المسيب.

هل يقال لفلان شهيد:

عندما نقول أن فلان شهيد: أي نعامله معاملة الشهداء في الدنيا من حيث ترك الغسل والصلاة عليه ، ولكننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار لأن القلوب بيد الله وله غيب السموات والأرض وإليه يرجع المر كله.

وهو الذي درج عليه المؤلفون مع أهل السير والمغازي والمعارك الإسلامية فيقولون شهداء أحد وحنين واليرموك والقادسية ...

أقسام الشهيد :

1-شهيد الدنيا والآخرة: وهو المسلم الذي قتل في المعركة مع الكفار ، وهو يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

2-شهيد الدنيا: المسلم الذي يقاتل في المعركة ضد الكفار ولكنه يقاتل حمية ورياء. (وهذا يعامل بأحكام الشهيد من قبل الناس).

3-شهيد الآخرة: الذي يأخذ أجر الشهادة ولا يعامل معاملة الشهيد. فيغسل ويكفن ويصلى عليه .. مثل الميت في طريق الهجرة والجهاد ، والمبطون ، والغريق..

من أنواع الشهداء:

(الغريق ، الحريق، الغريب، المهدوم عليه، المبطون ، المطعون، النفساء، الميت ليلة الجمعة ، صاحب ذات الجنب ، من مات بطلب العلم ، المراة الحامل والسل ، الصرع و الحمى، من مات دون ماله أو دمه، افتراس السبع ، حبس السلطان ، بالضرب ، من مات متواريا (مختفيا من السلطان) ، أو لدغته هامة ، المؤذن المحتسب والتاجر الصدوق و المائد في البحر، من ماتت صابرة على الغيرة ، من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام كل شهر ولم يترك الوتر سفرا ولا حضرا ، المتمسك بسنته ﷺ ، من قال في مرضه أربعين مرة (لا إله إلا أنت سبحانك غني كنت من الظالمين) ، من مات مرابطا ، من قرأ كل ليلة سورة (يس) ، من صرع عن دابة فمات ، من طلب الشهادة صادقا،

من مات يوم الجمعة ، من جاب طعاما إلى مصر من الأمصار، من اغتسل بالثلوج فمات).

جاء في أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ..(267/4) : (ذكر الحافظ في 27 منها أنها طريقها جيدة) ..(فكل من كثرت أسباب شهادته زيد له في سعادته).

المرتث:

وهو من حمل رثيثا (جريحا) من المعركة وبه رمق. وقد اتفق الفقهاء أن المرتث لا يعامل معاملة الشهيد كما فعل رسول الله بسعد بن معاذ ، وقد غسله وصلى عليه، وكما فعل الصحابة بعمر ﷺ.

ويكاد الفقهاء يتفقون أن المرتث: من حمل من أرض المعركة جريحا وفعل فعل الأحياء كالأكل ، وكتابة الوصية ، أو مضى عليه وقت صلاة وهو يعقل ، وقدر على أدائها. أما إذا فعل هذا والمعركة مستمرة وهو في أرض المعركة فإنه ليس مرتثا.

وأما منفوذ المقاتل (بأن كان جرحه عميقا قاتلا ولا يرجى برؤه) فإنه يعامل كالشهيد ولو أكل وأوصى. وكذلك الذي ينقل مغمورا

(مغمى عليه) ، فيعامل معاملة الشهيد ولو بقي أياما. فإذا شروط المرتث :

1- أن ينقل من أرض المعركة جريحا.
2- أن يفعل فعل الأحياء كالأكل والبيع أو كتابة الوصية.
3- أن لا يكون جرحه قاتلا.
4- أن لا يكون مغمورا (مغمى عليه).
5- وما لم تجتمع هذه الشروط الأربعة فإنه يعامل معاملة الشهيد.]
اهـ.[1]

{ أقول بعد هذه المختارات الفقهية الجهادية :

أنه وبشكل عام يجب أن يكون للمجاهد أرضيته المعرفية الشرعية عامة. وأنصح من أجل ذلك أن يطالع بعض الكتب - وبإشراف موجه لمن تيسر له ذلك - لتحصيل ثقافة إسلامية شرعية أولية فيما يلي :

- كتاب في العقيدة ، وأنصح بكتاب العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي.

---

[1] (الذخائر/ج1- 314) .

-كتاب في تفسير القرآن ، مثل تفسير ابن كثير ، وأنصح أن يضم إليه كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله.

-كتاب مختصر في الحديث الشريف مثل كتاب رياض الصالحين.

-كتاب مختصر في السيرة النبوية وأنصح بكتاب (الرحيق المختوم).

-كتاب مختصر في أصول الفقه.

-كتاب مختصر في مصطلح الحديث.

-كتاب في فقه العبادات. وأنصح أن يكون على أحد المذاهب الأربعة ، ولا سيما المعروفة في مكان عيشه وإقامته.

-كتاب في الرقائق والسلوك. وأنصح بكتاب صفة الصفوة وكتاب الترغيب والترهيب.

-كتاب الأذكار للنووي.

-كتاب في السياسة الشرعية مثل كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء.

-وأنصح باقتناء وقراءة كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم فهو كتاب جامع في هدي الرسول ﷺ.

۞۞۞۞۞۞۞

(2) المجال الثاني في التربية:

الأدب والعبادات والأخلاق والرقائق

- **الآداب العامة:**

قال ابن القيم رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:6) .

قال ابن عباس وغيره : أدبوهم وعلموهم . وهذه اللفظة مؤذنة بالاجتماع . فالأدب اجتماع خصال الخير في العبد. ومنه المأدبة وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس. وعلم الأدب هو علم إصلاح اللسان والخطاب وإصابة مواقعه وتحسين ألفاظه وصيانته عن الخطاء والخلل. وهو شعبة من الأدب العام والله أعلم.

والأدب ثلاثة أنواع: أدب مع الله سبحانه. وأدب مع رسوله وشرعه. وأدب مع خلقه.

أولا : والأدب مع الله ثلاثة أنواع:

أحدها صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة. الثاني : صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره. الثالث : صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه.

قال أبو علي الدقاق: (العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة ، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله) . وقال: (رأيت من أراد أن يمد يده في الصلاة إلى أنفه فقبض على يده). وقال ابن عطاء : الأدب الوقوف مع المستحسنات فقيل له وما معناه فقال أن تعامله سبحانه بالأدب سرا وعلنا ثم أنشد:

إذا نطقت جاءت بكل ملاحة وإن سكتت جاءت بكل مليحِ

وقال ابن المبارك : (نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم). وسئل الحسن البصري رحمه الله عن أنفع الأدب فقال: (التفقه في الدين والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك).

وقال سهل : (القوم استعانوا بالله على مراد الله وصبروا لله على آداب الله). وقال ابن المبارك: (طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون). وقال أبو حفص لما قال له الجنيد لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين فقال: (حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن ، فالأدب مع الله حسن الصحبة معه بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء كحال مجالس الملوك ومصاحبهم). وقال أبو نصر السراج: (الناس في الأدب على ثلاث طبقات ؛ أما أهل الدنيا فأكبر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار العرب. وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات. وأما أهل الخصوصية فأكبر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب). وقال سهل: (من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بالإخلاص). وقال عبد الله بن المبارك : (قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول إنه معرفة النفس ورعوناتها وتجنب تلك الرعونات).

وقال أبو عثمان: (إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب).

ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. ومن هذا أمر النبي الرجل أن يستر عورته وإن كان خاليا لا يراه أحد أدبا مع الله على حسب القرب منه وتعظيمه وإجلاله وشدة الحياء منه ومعرفة وقاره وقال بعضهم الزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهرا. وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا. وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله : (من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض. ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة) .. وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل. ولهذا كان الأدب استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل فإن لله سبحانه هيأ الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد. قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس:10) . فعبر عن خلق النفس بالتسوية والدالة على الاعتدال والتمام ثم أخبر عن قبولها

للفجور والتقوى وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارا ، ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأولياءه وهي التقوى ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور والله سبحانه وتعالى أعلم.

والمقصود أن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرا وباطنا ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء معرفته بأسمائه وصفاته ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علما وعملا وحالا والله المستعان.

ثانيا: وأما الأدب مع الرسول ﷺ فالقرآن مملوء به:

فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا أو يحمله شبهة أو شكا أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسل وتوحيد

متابعة الرسول فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه.

ومن الأدب مع الرسول أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ (الحجرات 1). وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم. قال مجاهد رحمه الله: لا تفتئتوا على رسول الله. وقال أبو عبيدة : تقول العرب لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه. وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى. ومن الأدب معه أن لا ترفع الأصوات فوق صوته فإنه سبب لحبوط الأعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به، أترى ذلك موجبا لقبول الأعمال ورفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوطها.

ومن الأدب معه أن لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا ، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد فكل هذا من قلة الأدب معه وهو عين الجرأة.

ثالثا : الأدب مع الخَلْق :

وأما الأدب مع الخلق فهو معاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم فلكل مرتبة أدب. والمراتب فيها أدب خاص ، فمع الوالدين أدب خاص وللأب منهما أدب هو أخص به ، ومع العالم أدب آخر. ومع السلطان أدب يليق به. وله مع الأقران أدب يليق بهم. ومع الأجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه. ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته. ولكل حال أدب فللأكل آداب وللشرب آداب وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب وللبول آداب وللكلام آداب وللسكوت والاستماع آداب.

وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة ، والإخلال به مع الأم- تأويلا وإقبالا على الصلاة - كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته وضرب الناس له ورميه بالفاحشة. وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر، كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان. وانظر قلة أدب عوف مع خالد كيف حرمه السلب بعد أن برد بيديه. وانظر أدب الصديق ﵁ مع النبي في الصلاة أن يتقدم بين يديه فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده فكان ذلك التأخر إلى خلفه وقد أومأ إليه أن اثبت مكانك جمزا وسعيا إلى قدام بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قدام تنقطع فيها أعناق المطي والله أعلم.

[ومن الأمور الهامة في تربية المجاهدين وشباب الإسلام عموما ، ما أورده ابن القيم عند قوله] :

وقال صاحب المنازل:

(الأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان)

هذا من أحسن الحدود فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الأدب والأدب الوقوف في الوسط بين الطرفين فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان والله لا يحب المعتدين. والعدوان هو سوء الأدب. وقال بعض السلف: دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه. فإضاعة الأدب بالجفاء كمن لم يكمل أعضاء الوضوء ولم يوف الصلاة آدابها التي سنها رسول الله وفعلها ، وهي قريب من مائة أدب ما بين واجب ومستحب. وإضاعته بالغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالأذكار والدعوات التي شرعت سرا ، وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه كالتشهد الأول ، والسلام الذي حذفه سنة وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله لا على ما يظنه سراق الصلاة والنقارون لها ويشتهونه .. ومثال هذا التوسط في حق الأنبياء عليهم السلام أن لا يغلو فيهم كما غلت النصارى في المسيح ولا يجفو عنهم كما جفت اليهود فالنصارى عبدوهم واليهود قتلوهم وكذبوهم . والأمة الوسط آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم واتبعوا ما جاءوا به ومثال

ذلك في حقوق الخلق أن لا يفرط في القيام بحقوقهم ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله أو عن تكميلها أو عن مصلحة دينه وقلبه وأن لا يجفو عنها حتى يعطلها بالكلية فإن الطرفين من العدوان الضار وعلى هذا الحد. فحقيقة الأدب هي العدل والله أعلم.] اهـ.[1]

- **أداب الإلفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخَلْق:**

قال الإمام الغزالي رحمه الله:

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا.وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخدانا، وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصلاة والسلام على مُحَمَّد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا أما بعد:

فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها

---

[1] (مدارج السالكين – منزلة الأدب – باختصار) .

يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدرات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب.

الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها فضيلة الألفة والأخوة : إعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد و التدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:4).

وقال النبي ﷺ: (**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**).

وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان فقال: (خلق حسن). وقال ﷺ: **(بعثت لأتمم محاسن الأخلاق)**. وقال صلى الله عليه وسلم: (**أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن**) . وقال ﷺ : (**يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة** ﷺ **وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك**). ولا يخفي أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة وكيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ وقال: ﴿فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ أي بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا إلى لعلكم تهتدون ﴾ ، وقال ﷺ: (**إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)**. وقال ﷺ في الثناء على الأخوة في الدين: (**من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن**

نسى ذكره وان ذكر أعانه). وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله ، فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله تعالى) . وقال صلى الله عليه وسلم : **(أن الله تعالى يقول: حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي حديث إن الله يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي)**. وقال ﷺ: **(إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)**. وقال ﷺ : **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**

حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل)

وقال عيسى عليه السلام: (تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله). قال علي ﵁: (عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة إلا تسمع إلى قول أهل النار فمالنا من شافعين ولا صديق حميم). وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا) وقال الحسن على ضده : (يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم). وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع. وقال الفضيل في بعض كلامه: (هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها

بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله).

وقال رجل لمحمد بن واسع : إني لأحبك في الله فقال: (أحبك ما الذي أحببتني له ثم حول وجهه و قال اللهم أني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض).

وقال الفضيل : (نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة و الرحمة عبادة).] اهـ.[1]

- **من آداب الجهاد**

جاء في كتاب (الذخائر العظام من مؤلفات الشيخ عبد الله عزام) في مسألة آداب القتال وأحكامه ، ما نقتطف منه مايلي:

[لقد شرع القتال في الإسلام لنشر الدعوة الإسلامية ، وإنقاذ البشرية من الكفر ، ونقلهم من ظلمة الدنيا إلى نور الآخرة. ولذا فإن القتال في هذا الدين الحنيف لإزالة العقبات السياسية و الإقتصادية و الاجتماعية أمام الدعوة الإسلامية ، بل تستطيع أن تقول أن وظيفة الجهاد (القتال) : هو تحطيم الحواجز التي تقف دون نشر هذا الدين

[1] (عن كتاب إحياء علوم الدين باختصار) .

في ربوع العالمين ، فإن قبل الناس هذا الدين فلا حاجة لإشهار سيف، ولا إراقة دماء ، ولا إتلاف منشآت وأموال ، لأن هذا الدين جاء للإصلاح و الإعمار لا للإتلاف والدمار.

والقتل والقتال ضرورة مفروضة على المسلمين لأنهم يحملون راية التوحيد ، وهم مأمورون بنشرها فوق كل رابية وسهل. و الضروة تقدر بقدرها.

فإذا لم نستطع الدعوة إلا بقتال الأنظمة السياسية والسلطات القائمة قاتلناهم لأنهم يحولون بيننا وبين تبليغ الناس. فإذا وقف أمامنا القوة السياسية وأصحاب والأموال وتجمعات القبائل اضطررنا لمواجهتهم بالسلاح حتى يستسلموا لهذا الدين و يفتحوا الطريق بيننا وبين الشعوب التي أمرنا بإنقاذها.

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال :39).

فالقتال لإزالة الفتنة ، وتحطيم الطغمة الذين يعبدون الناس لأنفسهم من دون الله ، فإن استسلمت هذه الطغمة وألقت السلم فلا حاجة لإشهار السلاح ولا ضرورة لقتل الناس.

ولذا فإن الإسلام يحرص أولا على إنقاذ الناس – حتى الطواغيت – من النار: من نار الجاهلية في الدنيا ومن جحيم الآخرة ، ولذا قال

النبي ﷺ لعلي حينما سلم له الراية يوم خيبر: (**فوالله لئن يهتدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**) متفق عليه.

ومن هنا فالقتال في الإسلام ضرورة لإنقاذ الشعوب المستضعفة والقطعان المستعبدة للآلهة البشرية ، فلا بد من إنزال هذ الآلهة البشرية إلى مقام العبودية وإنقاذ العبيد وتحريرهم ، فإن أبت هذه الأرباب الآدمية أن تزول من عليائها فلا بد من تحطيم كبريائها وإعادتها إلى حجمها الطبيعي إلى حدها الذي تخطته ظلما وعدوانا على بحور الدماء وجماجم الأبرياء وأشلاء الشهداء.

ومن هنا فإن الإسلام يعلم مبادئ كبرى ، ويخط خطوطا واضحة تعتبر قواعد عامة في الجهاد ، وأهمها: أن القتال لنشر الدعوة الإسلامية فمن لم يقف في طريقها فلا يجوز قتاله ولذا:

- لا بد من عرض الدعوة على الناس قبل قتالهم ،
- ولا يجوز قتالهم قبل تبليغهم الدعوة.
- لا يجوز قتل الذين لا يقاتلون (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**) وقاتل (فاعل): صيغة مشاركة ، أي: يجب أن يكون الذي يقاتله المسلمون مقاتلا ،
- ولا يجوز قتال الذين ليس لهم شوكة ولا بأس ولا تخشى منهم الفتنة كالأطفال ، والنساء، والمقعدين والذميين ، والرهبان ، والمنعزلين عن الناس.

- ولا يجوز إتلاف الموال ولا قطع الشجر ولا حرق البيوت إلا بقدر الضرورة لإزالة الحواجز أمام الدعوة.
- لا يجوز بعد القتال تمثيل (المثلة) ولا تشويه للموتى.
- لا يجوز بعد الاستسلام والذمة والعهد قتال ولا غدر ما وفوا بذمتهم وعهدهم، ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:4) . (لكل غادر لواء يوم القيامة) حديث صحيح] اهـ .[1]

خطوط رئيسية في آداب الجهاد:

رسم أبو بكر ﷺ معالم واضحة، وخطوطا واضحة في سياسة التعامل مع الكفار أثناء الجهاد، فقد أوصى يزيد بن أبي سفيان لما شيعه ماشيا ووجهه إلى الشام فقال: (وإني قد وليتك لأبلوك وأجربك ، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت عزلتك. فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك. وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له . وأقرب الناس إلى الله أشدهم تقربا إليه بعمله. وقد وليتك عمل خالد ، فإياك وعيبة الجاهلية ، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها ، وإذا قدمت على جندك

[1] (الذخائر ج285/1).

فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز. فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا. وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها ، والتخشع فيها . وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم، حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تريثهم – والله أعلم – فيروا خللك ، ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم. وكن أنت المتولي لكلامهم. ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث لصدق المشورة. ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك ، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار. وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم ، بغير علم منهم بك. فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه من غير إفراط. وأعقب بينهم في الليل، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسر لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تتجنى فيها. ولا تسرع إليها ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تتجسس عليهم فتفضحهم. ولا تكشف عن الناس أستارهم واكتف بعلانيتهم. ولا تجالس العابثين ، وجالس أهل الصدق والوفاء. واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس. واجتنب

الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر. وستجد أقواما قد حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له)] . اهـ .[2]

---

[2] (الذخائر ج1/ 175).

- **العبادات والنوافل:**

الصلاة :

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (سلوني فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يا رسول الله ما الإسلام قال لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان قال صدقت قال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله قال صدقت قال يا رسول الله ما الإحسان قال أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك قال صدقت قال يا رسول الله متى تقوم الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأحدثك عن أشراطها إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ قال ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ ردوه علي

فالتمس فلم يجدوه فقال رسول الله ﷺ هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا). رواه البخاري و مسلم والنسائي وأحمد .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد في المسند .

*عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها) رواه ومسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد.

* أبا عمرو الشيباني يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله قال: (سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها قال ثم أي قال ثم بر الوالدين قال ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني) رواه البخاري ومسلم الترمذي والنسائي وأحمد.

*عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد

*عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر) رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد

*عن معاذ بن جبل قال: (**كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر كله و عموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه قال كف عليك**

هذا فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم). قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي وابن ماجة.

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه وتصلي يعني عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث فيه) متفق عليه .

* عن أبي هريرة قال : (أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فأجب) رواه مسلم والنسائي .

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار) . رواه البخاري ومسلم

عقوبة تارك الصلاة:

* عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال : (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) متفق عليه.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية أبي كريب يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار حدثني زهير بن حرب حدثنا وكيع حدثنا الأعمش بهذا الإسناد مثله غير أنه قال فعصيت فلي النار) رواه مسلم وابن ماجة وأحمد.

* عن أبي سفيان قال سمعت جابرا يقولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) رواه مسلم وابن ماجة .

الزكاة:

* عن أبي أيوب ﷺ : (أن رجلا قال للنبي ﷺ أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال ما له ما له وقال النبي ﷺ أرب ما له تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم) رواه البخاري ومسلم.

*عن سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة يقول : (سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (رواه الترمذي وأحمد).

* عن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير لك وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان قال أبو بكر هل على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال نعم وإني أرجو أن تكون منهم يعني أبا بكر) .

* عن خالد بن أسلم قال : (خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال أعرابي أخبرني عن قول الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال ابن عمر رضي الله عنهما من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال) رواه البخاري وابن ماجة.

إثم مانع الزكاة:

قال الإمام البخاري :بَاب إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

*عن أبي هريرة ﷺ يقول قال النبي ﷺ : (تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها وقال ومن حقها أن تحلب على الماء قال ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار فيقول يا مُحَمَّد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول يا مُحَمَّد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت) متفق عليه.

صوم رمضان :

* عن أبي هريرة ﷺ : (أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا فلما ولى قال النبي ﷺ من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا) متفق عليه.

* عن أبي هريرة ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ : (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين) متفق عليه .

* عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (ما من حسنة عملها ابن آدم إلا كتب له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي الصيام جنة للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) متفق عليه واللفظ لنسائي.

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فريضة الحج:

قال الله تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ (آل عمران 97).

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن مُحَمَّداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» .

* عن أبي هريرة ﷺ قال « سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور » رواه البخاري ومسلم .

* وعنه قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم .

وعنه قال «قال رسول الله ﷺ العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة » رواه البخاري ومسلم .

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال لكن أفضل من الجهاد حج مبرور» رواه البخاري.

*و عنها أن رسول الله ﷺ قال « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه بعداً من النار من يوم عرفة » رواه مسلم .

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « عمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي » رواه البخاري ومسلم .

* عائشة رضي الله عنها قالت: « قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة » .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ثم سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل: قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور) .

* عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (ثم وفد الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر) .

* عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : (ثم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما تنفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة).

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (ثم اللهم أغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج).

* عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (ثم من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه) .

النوافل وفضائل الأعمال

- **فضل الوضوء:**

- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا

صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة:6).

- عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) متفق عليه .
- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) رواه مسلم.
- عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) رواه مسلم وزاد الترمذي : (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين).

فضل قراءة القرآن :

- عن أبي أمامة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه) رواه مسلم.

- عن عثمان بن عفان ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري.
- وعن عائشة ﵂ قالت قال رسول الله ﷺ : (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران). متفق عليه.
- عن عمر بن الخطاب ﵁ أن النبي ﷺ قال : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين) رواه مسلم.
- عن ابن مسعود ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) رواه الترمذي.
- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.
- عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم

السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم .

▪ **فضل صلاة النافلة :**

** **سنن الصلاة المكتوبة :**

- عن عائشة ﵂: (أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة) رواه البخاري.
- وعنها عن النبي ﷺ قال : (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) رواه مسلم.
- وعن أم حبيبة ﵂ قالت قال رسول الله ﷺ : (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار) رواه أبو داود والترمذي.
- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .
- وعن علي بن أبي طالب ﵁ : (أن النبي ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

** **استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها :**

- عن زيد بن ثابت ﵁ أن النبي ﷺ قال : (صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) متفق عليه.
- وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا) رواه مسلم.
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا) متفق عليه.
- عن جابر ﵁ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل) رواه مسلم .

** **فضل صلاة الضحى:**

- عليها عن أبي هريرة ﵁ قال (أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد) متفق عليه.

- عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال : (يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى) رواه مسلم.
- وعن عائشة ﷺ قالت : (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله) رواه مسلم.

**** صلاة تحية المسجد بركعتين وكراهية الجلوس قبل أن يصلي:**

- ركعتين في أي وقت دخل عن أبي قتادة ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه: (وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه وعن جابر ﷺ قال أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فقال صل ركعتين) متفق عليه.

****استحباب ركعتين بعد الوضوء :**

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لبلال: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في

ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي) متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

**** فضل قيام الليل:**

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء:79) . وقال تعالى: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ السجدة . وقال تعالى: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ الذاريات.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) . متفق عليه.
- عن علي رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان) متفق عليه .
- عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل قال سالم فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا) متفق عليه.

- عن ابن مسعود ﷺ قال: (ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال في أذنه) متفق عليه.
- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان متفق عليه) .
- وعن عبد الله بن سلام ﷺ أن النبي ﷺ قال : (أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام). رواه الترمذي.
- عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) رواه مسلم.
- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة) متفق عليه.
- عن عائشة ﷺ: (أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة تعني في الليل يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين

آية قبل أن يرفع رأسه ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة). رواه البخاري.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما) متفق عليه.
- وعن جابر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة) رواه مسلم.
- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين) رواه مسلم .
- وعنها ﷺ قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة) رواه مسلم.
- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (قال رسول الله ﷺ من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل) رواه مسلم.

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء) رواه أبو داود بإسناد صحيح.
- عن أبي سعيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعا كتب في الذاكرين و الذكرات) رواه أبو داود بإسناد صحيح.
- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ : (قال إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه) متفق عليه.

** **باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح** :

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.

** **فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها:**

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه.
- عن عائشة ﷺ قالت : (كان رسول الله ﷺ يجاوز في العشر الأواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) متفق عليه.
- (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر) متفق عليه.

- **فضل ذكر الله تعالى :**

- عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول وكيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا و تحميدا وأكثر لك تسبيحا قال يقول فما يسألوني قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال

يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) متفق عليه.

جاء في كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري :

كتاب الذكر والدعاء الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا والمداومة عليه وما جاء فيمن لم يكثر ذكر الله تعالى:

- عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (يقول الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه و أحمد .

- وعن معاذ بن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (قال الله جل ذكره لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملإ من ملائكتي ولا يذكروني في ملإ إلا ذكرته في الملا الأعلى) . رواه الطبراني بإسناد حسن.
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا وإذا ذكرتني في ملإ ذكرتك في ملإ خير من الذين تذكرني فيهم) رواه البزار بإسناد صحيح.
- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه رواه ابن ماجه وابن حبان.
- وعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرني بشيء أتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله). رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان.
- وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل ﷺ قال لهم : (إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت أي الأعمال أحب إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله) رواه ابن أبي الدنيا.
- وعن أبي المخارق ﷺ قال قال النبي ﷺ : (مررت ليلة أسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت من هذا ؟ أهذا ملك ؟ قيل لا قلت

نبي ؟ قيل لا قلت من هو ؟ قال هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه) رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا.

- وعن سالم بن أبي الجعد ﵁ قال : (قيل لأبي الدرداء ﵁ إن رجلا أعتق مائة نسمة قال إن مائة نسمة من مال رجل لكثير وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار وأن لا يزال لسان أحدكم رطبا من ذكر الله) رواه ابن أبي الدنيا موقوفا بإسناد حسن.
- وعن عبد الله بن بسر ﵁ : (أن رجلا قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام. قد كثرت فأخبرني بشيء أتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.
- وعن أبي الدرداء ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله قال معاذ بن جبل ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله) رواه أحمد بإسناد حسن .
- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : (أنه كان يقول إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي.

- وروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ : (أن رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قال قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر و يختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة) رواه الترمذي.
- وعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات) رواه أحمد.
- وروي عن أنس ﷺ أيضا عن النبي ﷺ قال: (إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول الله تبارك وتعالى غشوهم رحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) رواه البزار.
- وعن أبي الدرداء ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (ليبعثن الله أقواما يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال فجثا أعرابي على ركبتيه فقال يا رسول الله

حلهم لنا نعرفهم قال هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه) رواه الطبراني بإسناد حسن.

- وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.
- وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.
- الترهيب من أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه مُحَمَّد ﷺ : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن.

*** قال ابن القيم – رحمه الله – في كتابه القيم مدارج السالكين :**

(وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائما يترددون ، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ، ومن

منعه عزل. وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا. وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق. ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب. والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم   فنترك الذكر أحيانا فننتكسُ

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات ، إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم. فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة.

والذكر عبودية القلب واللسان ، وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم. فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو

عمارتها وأساسها. وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا. وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء. به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار. زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين. فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء. وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته. قال الحسن البصري رحمه الله: (تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق). وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف: (إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الإنسي).

وهو روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه والله أعلم.

فصل: وهو في القرآن على عشرة أوجه:

الأول : الأمر به مطلقا ومقيدا.

الثاني : النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع : الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة.

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الإنتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح.

فصل في تفصيل ذلك :

أما الأول: فكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً* هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب 43)، وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الأعراف 205).

وفيه قولان أحدهما في سرك وقلبك والثاني بلسانك بحيث تسمع نفسك. وأما النهي عن ضده فكقوله : ﴿ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف 205) . وقوله: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:19) .

وأما تعليق الفلاح بالإكثار منه فكقوله: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال 45).

وأما الثناء على أهله وحسن جزائهم فكقوله: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ

وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾

(الأحزاب:35) .

وأما خسران من لها عنه فكقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون:9) وأما جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له فكقوله: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:152) وأما الإخبار عنه بأنه أكبر من كل شيء فكقوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:45)

وفيها أربعة أقوال أحدها أن ذكر الله أكبر من كل شيء ، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني أن المعني أنكم إذا ذكرتموه ذكركم فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل وعلى الأول مضاف إلى المذكور.

الثالث أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر ، محق كل خطيئة ومعصية هذا ما ذكره المفسرون. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: معنى الآية أن في الصلاة فائدتين عظيمتين إحداهما نهيها عن الفحشاء والمنكر والثانية اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

وأما ختم الأعمال الصالحة به فكما ختم به عمل الصيام بقوله : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾(البقرة 185) وختم به الحج في قوله: ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ (البقرة 200) وختم به الصلاة كقوله : ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ (النساء 103)، وختم به الجمعة كقوله: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الجمعة 10).

ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا وإذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة. وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته وهم أولو الألباب

والعقول فكقوله تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ (آل عمران 191/190).

وأما مصاحبته لجميع الأعمال واقترانه بها وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله : ﴿ وأقم الصلاة لذكري﴾ (طه 14).

وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه، بل هو روح الحج ولبه ومقصوده كما قال النبي إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله.

وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران ومكافحة الأعداء فقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الأنفال 45) وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: ﴿ **إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه** ﴾ .

سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يستشهد به وسمعته يقول المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال كما قال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

وقال الآخر:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت منا المثقفة السمر

وهذا كثير في أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة فإن ذكر المحب محبوبه على تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه ، يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه ، أو أعز منها. وهذا دليل على صدق المحبة والله أعلم.

- والذاكرون هم أهل السبق كما روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : (كان رسول الله يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له (جمدان) فقال سيروا هذا جمدان ، سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله: قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات). والمفردون إما الموحدون وإما الآحاد الفرادي.
- وفي المسند مرفوعا من حديث أبي الدرداء ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا

أعناقكم ؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله ، قال: ذكر الله عز وجل) .

• عن أبي إسحاق قال سمعت الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله قال : (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) وهو في صحيح مسلم.

• ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله كما في صحيح مسلم عن معاوية ﷺ : (أن رسول الله خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا ، قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذلك . قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة) . وسأل أعرابي رسول الله أي الأعمال أفضل فقال (أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله).

• وقال له رجل إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتشبث به فقال :(لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله).

• وفي المسند وغيره من حديث جابر قال : (خرج علينا رسول الله فقال أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة. قلنا يا رسول الله وما رياض الجنة فقال : مجالس الذكر. وقال اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب

أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه).

- وروى النبي [ﷺ] عن أبيه إبراهيم [عليه السلام] ، ليلة الإسراء أنه قال له: (أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) رواه الترمذي .

- وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) ولفظ مسلم (مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت). فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر. وفي اللفظ الأول جعل الذاكر بمنزلة الحي والغافل بمنزلة الميت فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء والغافل كالميت في بيوت الأموات ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل.

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

وفي أثر إلهي يقول الله تعالى: (إذا كان الغالب على عبدي ذكري أحبني وأحببته). وفي آخر: (في فافرحوا وبذكري فتنعموا) وفي آخر : (ابن آدم ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك وتهرب إلى غيري وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا ، يا ابن آدم ما تقول غدا إذ جئتني). وفي آخر: (ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ، وارض بنصرتي لك فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك).

- وفي الصحيح في الأثر الذي يرويه رسول الله [ﷺ] عن ربه تبارك وتعالى: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .
- وقد ذكرنا في الذكر نحو مائة فائدة في كتابنا (الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب) وذكرنا هناك أسرار الذكر وعظم نفعه وطيب ثمرته وذكرنا فيه أن الذكر ثلاثة أنواع : ذكر الأسماء والصفات ومعانيها والثناء على الله بها وتوحيد الله بها. وذكر الأمر والنهي والحلال والحرام. وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأيادي. وأنه ثلاثة أنواع أيضا: ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان وهو أعلاها. وذكر بالقلب وحده وهو في الدرجة الثانية . وذكر باللسان المجرد وهو في الدرجة الثالثة .] اهـ .

- **فضل الأذكار بعد الصلوات المكتوبة :**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل ربد البحر**). (رواه مسلم).
- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: (**يا معاذ إني لأحبك ، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**) (رواه أبو داوود).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون قال ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعا

وثلاثين فرجعت إليه فقال تقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين) متفق عليه.

- عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: (خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل قال قال رسول الله ﷺ الصلوات الخمس يسبح أحدكم في دبر كل صلاة عشرا ويحمد عشرا ويكبر عشرا فهي خمسون ومائة في اللسان وألف وخمس مائة في الميزان وأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدهن بيده وإذا أوى أحدكم إلى فراشه أو مضجعه سبح ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر أربعا وثلاثين فهي مائة على اللسان وألف في الميزان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيكم يعمل في كل يوم وليلة ألفين وخمس مائة سيئة قيل يا رسول الله وكيف لا نحصيهما فقال إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في صلاته فيقول اذكر كذا اذكر كذا ويأتيه عند منامه فينيمه) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود ابن ماجة وأحمد.

فضل أذكار الصباح والمساء:

لقد هممت أن أجمع طائف من هذه الأذكار من بعض المصادر المشتهرة من أجل هذه الفقرة. ثم وجدت فيما جمعه شيخنا الشهيد

عبد الله عزام رحمه الله ، كفاية موجزة تناسب هذا المختصر ، وإليكموه:

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله عن طائفة الأحاديث التي جمعها :

كل هذه الأحاديث صحيحة وهي ضرورية لحماية الإنسان من كل الشرور ، ولحفظه من الشيطان وجميع الأضرار ، بالإضافة إلى الثواب العظيم الذي ينتظر قائلها.

وما من علاج أشفى لأمراض القلب من الذكر ، والذكر كالماء للسمك ، وكالماء للزرع ، والذكر يصفى القلب ، ويشفى الصدر من القلق والضنك ، ويقوي البدن والروح ، ويزيل الهم والغم ، ويطرد الشيطان ، وينزل الملائكة والرحمة و السكينة.

وكلما ذكر الإنسان فإن الملائكة تبني له منازل في الجنة ، فإذا توقف الذكر توقف البناء ، وكذلك الذكر غراس الجنة ، فإذا توقف الذكر توقف الغراس.

والذكر يزيل صدأ القلوب ، ويصفي الروح ، ويورث المحبة لله ثم للخلق ، ويبني التوكل ويورث الطمأنينة والرضا بالقدر.

والذكر بأنواعه كالصيدلية التي تضم أنواع الدواء للأمراض المختلفة. فمنها ما يشفي من الهم ، وآخر من الغم ، وثالث من الأرق ، ورابع من الخوف ، وخامس من الشيطان ... وهكذا ، ولقد وصف الطبيب الحكيم ﷺ بمقدار الجرعة (حبة أو ثلاثة أو سبعة ... الخ).

ووقت أذكار الصباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وأذكار المساء من بعد العصر.

1- بعد الصلاة الفجر مباشرة وهو على جلسة الصلاة يقول عشرة مرات: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**).

عن أبي أيوب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير – عشر مرات – كتب الله له بهن عشر حسنات ، ومحا بهن عشرا سيئات ، وكن له عدل عتا قه أربع رقاب ، وكن له حرسا حتى يمسي ، ومن قالهن إذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يصبح**).

2-أية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (البقرة:255).

عن أبي كعب ﷺ: أنه كان له جرن من تمر فكان ينقص ، فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبه الغلام ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال: ما أنت؟ جني أم أنسي؟ قال: جني فناولني يدك ، فناوله يده ، فإذا يده يد الكلب ، وشعره شعر كلب قال : هذا خلق الجن؟ قال: قد علمت الجن أن ما فيهم رجلا أشد مني. قال فما جاء بك؟ قال: بلغنا أنك تحب الصدقة ، فجئنا نصيب من طعامك ، قال: فما ينجينا منكم؟ قال: هذه الآية في سورة البقرة: ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾...

فمن قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي ، فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك ، فقال: (**صدق الخبيث**) .

3-آخر آيتين من سورة البقرة: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ

نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 285 - 286)

قال رسول الله ﷺ: (**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**).

4-(**قل هو الله أحد ، قل أعوذ برب الفلق ، قل أعوذ برب الناس**) ... كل واحدة (ثلاث مرات).

قال عبد الله بن خبيب : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: (**قل**) فلم أقل شيئا ، ثم قال: (**قل**) ، فلم أقل شيئا . قال: (**قل**) ، فقلت يا رسول الله ماذا أقول؟ قال: (**قل هو الله أحد ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح – ثلاث مرات – تكفيك من كل شيء**).

5-سبحان الله ثلاثا وثلاثين ، والحمد الله ثلاثا وثلاثين ، الله أكبر أربعا وثلاثين.

قال رسول الله ﷺ: (**من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، وقال تمام المئة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفر له خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر**).

6-الحديث: (**أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له ، لا إله إلا هو وإليه النشور**).

7-الحديث: (**أصبحنا على فطرة الإسلام ، وعلى كلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا مُحَمَّد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**).

8-الحديث: (**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر**).

عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته**).

9-الحديث: (**يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك**).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبدا من عباد الله قال : (**يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك) فعضلت بالملكين – أعيتهما – فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء ، فقالا : يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ، فقال الله عز وجل – وهو أعلم بما قال عبده – ماذا قال عبدي؟ قالا: يا ربي إنه قد قال: يا ربي لك الحمد كما ينبغي**

لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله عز وجل لهما: أكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها).

10-الحديث: (**رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا**).

عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (**من قال حين يمسي وحين يصبح رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ ونبيا ورسولا... كان حقا على الله أن يرضيه**).

11-الحديث: (**سبحان الله وبحمده عدد خلقه و رضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**) (**ثلاث مرات**).

عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت نعم. فقال النبي ﷺ: (**لقد قلت بعدك أربع كلمات – ثلاث مرات – لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه و رضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**).

12-الحديث: عن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ :

(ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر

مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم – ثلاث مرات – لم يضره شيء). (رواه الأربعة).

وكان أبان بن عثمان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه ، فقال أبان: ما تنظر؟ أما إن الحديث كما حدثتك ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله قدره.

13-الحديث: (**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه**). (رواه أحمد).

عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: (**يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء الله أن يقول: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ فقال: قولوا: اللهم إن نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه**).

14-الحديث: (**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) (ثلاث مرات)**. (رواه مسلم).

من قال حين يمسي – ثلاث مرات – (**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) لم يضره لدغة حية في تلك الليلة)**. (رواه الترمذي).

15-الحديث: (**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**). (رواه أبو داوود).

عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة ، فقال: (**يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في غير وقت الصلاة؟**) قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله .. فقال: (**ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟**) قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: (**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**).

قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني . (رواه أبو داوود).

16-الحديث: (**اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا أنت**) (رواه أبو داوود).

17-الحديث: عن شداد بن أوس مرفوعا: سيد الاستغفار أن تقول: **(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** من قالها من النهار موقنا بها ، فمات فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل – وهو موقن بها – فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة. (رواه البخاري).

18-الحديث: عن أبي هريرة ﵁ أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال: **قل: (اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء و مليكه أشهد أن ألا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه – وفي رواية – وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم) قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك.** (رواه الترمذي).

19-الحديث: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: **(اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني و دنياي و أهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي).** (أخرجه أبو داوود).

20-الحديث: **(أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه).**

عن أبي مسعود مرفوعا: من قال: **(أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان فر من الزحف).**

21-الحديث: **(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين).**

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: **(ما يمنعك أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين).** (رواه النسائي).

22-الصلاة على النبي عشرت مرات. **(من صلى علي حين يصبح وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة).** (رواه الطبراني).

23-سبحان الله وبحمده مائة مرة. رواية مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قال حين يصبح وحين يمسي: (سبحان الله وبحمده) مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثلما قال أو زاد عليه).**

24-كفارة المجلس:**(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **(من جلس في مجلس ، فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: " سبحانك اللهم**

وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب أليك " إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك). (رواه الترمذي).

25-الحديث: (**سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**). (أخرجه أبو يعلى).] اهـ.[1]

- <u>**فضل أذكار النوم:**</u>

1- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات ، وليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**) (رواه الجماعة).

2- وعن عائشة ﷺ قالت : (**إن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما ، فقرأ فيهما (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (وقل أعوذ برب الناس) . ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات**) (رواه البخاري).

3- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (**ومن قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه – ثلاث مرات – غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن**

---

[1] (الذخائرج114/1) .

كانت (عدد) ورق الشجر ، وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا) (رواه الترمذي).

4- وعن أبي هريرة ري الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(من قال حين يأوي إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر)** (رواه ابن حبان).

5- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي وإليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ماتتلكم به) (أخرجه الجماعة).

*** دعاء الفزع في النوم:**

6- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال:

(إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره) (رواه أبو داوود والترمذي والنسائي).

* **دعاء الأرق وتعذر النوم :**

7- وعن خالد بن الوليد ﷺ أنه أصابه الأرق ، فقال رسول الله ﷺ: **(ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن نمت؟ قل: للهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أظلت ، كن لي جارا من شر خلقك أجمعين ، أن يفرط علي أحد منهم أو أن يطغى ، عز جارك وتبارك اسمك)**. فقالهن فنام (رواه الطبراني).

8- وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ أرقا أصابني فقال: **(قل: اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم ، لا تأخذك سنة و لا نوم ، يا حي يا قيوم أهدئ ليلي وأنم عيني)** فقلتها فأذهب الله عز وجل ما كنت أجده.] اهـ .[1]

- **فضل الدعاء :**

جاء في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري : **الترغيب في كثرة الدعاء وما جاء في فضله:**

---

[1] (الذخائر : ج 1/ 116) .

* عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

قال سعيد كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه رواه مسلم واللفظ له ورواه الترمذي وابن ماجه ولفظ ابن ماجه : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تبارك وتعالى يقول يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته فاسألوني المغفرة أغفر لكم ومن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة واستغفرني بقدرتي غفرت له وكلكم ضال إلا من هديت فاسألوني الهدى أهدكم وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألوني أرزقكم ولو أن حيكم و ميتكم وأولكم و آخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فكانوا على قلب أتقى عبد من عبادي لم يزد في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا فكانوا على قلب أشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة ولو أن حيكم وميتكم وأولكم و آخركم و رطبكم و يابسكم اجتمعوا فسأل كل سائل منهم ما بلغت أمنيته ما نقص من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بشفة البحر فغمس فيها إبرة ثم نزعها ذلك بأني جواد ماجد عطائي كلام إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن فيكون) .

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يقول : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني) رواه البخاري ومسلم.

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة ثم قرأ :

﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ غافر، رواه أبو داود والترمذي .

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء) رواه الترمذي.

* وعن أنس بن مالك ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي) الحديث رواه الترمذي

* وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه

من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكثر قال الله أكثر) رواه الترمذي.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أعطاها إياه إما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له في الآخرة) رواه أحمد.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني فيقول نعم يا رب فيقول أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول إني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يا رب فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول إني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا

وكذا قال رسول الله ﷺ فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر له في الآخرة قال فيقول المؤمن في ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه) . رواه الحاكم .

* وعن أنس ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: (لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم.

* وعن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض) رواه الحاكم .

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا يعني أحب إليه من أن يسأل العافية وقال قال رسول الله ﷺ إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء). رواه الترمذي والحاكم .

* وعن سلمان ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين) رواه أبو داود والترمذي.

* وعن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن الله رحيم كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا رواه الحاكم.

* وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل) رواه أبو داود والترمذي والحاكم .

* وعن ثوبان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه) رواه ابن حبان والحاكم .

* وعن عائشة ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ :(لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة) رواه البزار والطبراني والحاكم .

* وعن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج) رواه الترمذي .

* وروي عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (الدعاء مخ العبادة)

رواه الترمذي .

* عن جابر بن عبد الله ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم أرزاقكم تدعون الله في ليلكم ونهاركم فإن الدعاء سلاح المؤمن) .

الترغيب في كلمات يستفتح بها الدعاء وبعض ما جاء في اسم الله الأعظم :

* عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب) رواه أبو داود والترمذي.

* وعن معاذ بن جبل ﵁ قال : (سمع النبي ﷺ رجلا وهو يقول يا ذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك فسل) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

* وعن أبي أمامة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال الملك إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل). رواه الحاكم .

الأخلاق والتربية السلوكية

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق :

قال الإمام النووي رحمه الله :

قال تعالى: ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ القلم . وقال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ آل عمران .

وعن أنس ﷺ قال : (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا متفق عليه وعنه قال ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من رسول الله ﷺ ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط أف ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله ألا فعلت كذا) متفق عليه.

* وعن الصعب بن جثامة ﷺ قال : (أهديت رسول الله ﷺ حمارا وحشيا فرده علي فلما رأى ما في وجهي قال إنا لم نرده عليك إلا لأنا حرم) متفق عليه.

* وعن النواس بن سمعان ﷺ قال : (سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقا) متفق عليه. وعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. البذيء هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال : (سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

* وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) رواه أبو داود.

* وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون). رواه الترمذي وقال حديث حسن. الثرثار هو كثير الكلام تكلفا والمتشدق المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه والمتفيهق أصله من الفهق وهو الامتلاء وهو

الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرا وارتفاعا وإظهارا للفضيلة على غيره. وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق قال هو طلاقه الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

وجاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري :

* عن أنس ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم) رواه الطبراني

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته) رواه أحمد والطبراني. الضريبة : الطبيعة.

* وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق) رواه ابن أبي الدنيا.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه) رواه ابن حبان والحاكم والبيهقي.

* وعن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال له : (يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق) رواه ابن حبان وغيره.

* وتقدم في الإخلاص حديث أبي ذر عن النبي ﷺ : (قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة الحديث) .اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله :

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه (وإنك لعلى خلق عظيم) وقالت عائشة ﷺ: (كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن).

وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ثم قال صلى الله عليه

وسلم : (هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك) .

*وقال ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة.

*وقال ﷺ (أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق) حديث أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء.

* وسئل عليه السلام أي الأعمال أفضل قال خلق حسن. وقال ﷺ : (ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار).

*وقال الفضيل : (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار).

*و(قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيمانا قال أحسنهم خلقا حديث قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيمانا قال أحسنهم خلقا) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة.

* قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: (يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فإذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فإذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي والله ولي ومن الشيطان بري.

*وقال الحسن (من ساء خلقه عذب نفسه) .

*وقال يحي بن معاذ (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق). وقال وهب ابن منبه : (مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طين).

وقال الفضيل : (أن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق).

* وقال الجنيد: (أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم ، والتواضع ، والسخاء ، وحسن الخلق وهو كمال الإيمان) .

* (وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العزيز إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق) .

* وقال عطاء: (ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق) .

- **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق:**

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله :

اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن (حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى) وقال الواسطي (هو أن لا يخاصم ولا يخاصم) من شدة معرفته بالله تعالى. وقال شاه الكرماني (هو كف الأذى واحتمال المؤن) وقال بعضهم (هو أن يكون من الناس قريبا وفيما

بينهم غريبا) وقال الواسطي مرة (هو إرضاء الخلق في السراء والضراء) وقال أبو عثمان (هو الرضا عن الله تعالى) وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال (أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه) وقال مرة أن (لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس) وقال علي رضي الله عنه (حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال) وقال الحسين بن منصور(هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق) وقال أبو سعيد الخراز (هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى) .

فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك

بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال تعالى : (إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل.

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوة

حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا).

وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة. وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة العقل والشرع. وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع. فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفد فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فإن مالت قوة الغضب

عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة و نقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا و جربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة:

الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها. ونعني الشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن

التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق الجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع و اللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث

والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة :

وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ ، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصحبة وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة. والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ إشارة إلى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة.

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصيرلا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين

صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الأخلاق لاتقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات.]

. اهـ .[1]

ولنتناول طرفا من مكارم الأخلاق وخصال الخير التي تنفع وتلزم كل مسلم ، وهي للمجاهد ألزم ، وفي حقه آكد:

الإخلاص:

ونقتطف من كلام ابن القيم – رحمه الله –في كتابه مدارج السالكين. مع بعض الإختصار:

قال الله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ (البينة 5). وقال: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له

[1] (إحياء علوم الدين – ج / 3 . باختصار).

الدين ألا لله الدين الخالص ﴾ (الزمر 23) وقال له: ﴿ قل إن صلاتي و نسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول لمسلمين ﴾ الأنعام وقال: ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك 2).

قال الفضيل بن عياض : (هو أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه فقال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا" ﴾ (الكهف 110).

وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ (النساء 125) فإسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه متابعة رسوله وسنته وقال تعالى: ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من علم فجعلناه هباء منثورا ﴾ (الفرقان 23) وهي الأعمال التي كانت على غير السنة أو أريد بها غير وجه الله. قال النبي لسعد بن أبي وقاص رضي

الله عنه: (إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيرا ودرجة ورفعة) (...).

وسئل رسول الله عن الرجل يقاتل رياء ويقاتل شجاعة ويقاتل حمية أي ذلك في سبيل الله فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). وأخبر عن أول ثلاثة تسعر بهم النار قارىء القرآن والمجاهد والمتصدق بماله الذين فعلوا ذلك ليقال فلان قارىء فلان شجاع فلان متصدق ولم تكن أعمالهم خالصة لله. وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به وأنا منه بريء) وفي أثر آخر يقول له يوم القيامة : (اذهب فخذ أجرك ممن عملت له لا أجر لك عندنا). وفي الصحيح عنه: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم). وقال تعالى: ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ (الحج 37).

وفي أثر مروي إلهي: (الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي). وقد تنوعت عبارتهم في الإخلاص و الصدق والقصد واحد فقيل : (هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة) .

وقيل : (تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين) فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له ، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق ولا الصدق إلا بالإخلاص ولا يتمان إلا بالصبر. وقيل من شهد في إخلاصه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص فنقصان كل مخلص في إخلاصه بقدر رؤية إخلاصه فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص صار مخلصا مخلصا. وقيل الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء أن يكون ظاهره خيرا من باطنه والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره وقيل الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله. ومن كلام الفضيل: (ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما) .

قال الجنيد : (الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله) . (وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس فقال الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب).

تعريف الإخلاص:

قال صاحب المنازل (الإخلاص تصفية العمل من كل شوب). أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم أو طلب تعظيمهم أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه أو طلب محبتهم له أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنا ما كان.

قال : **درجات الإخلاص : وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى :

إخراج رؤية العمل عن العمل والخلاص من طلب العوض على العمل والنزول عن الرضى بالعمل يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات رؤيته وملاحظته وطلب العوض عليه ورضاه به وسكونه إليه . ففي هذه الدرجة يتخلص من هذه البلية فالذي يخلصه من رؤية عمله مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا بنفسه وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته (...) .

فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله ومنته وإحسانه ونعمته وهو المحمود عليه فرؤية العبد لأعماله في الحقيقة كرؤيته لصفاته الخلقية من سمعه وبصره وإدراكه وقوته بل من صحته وسلامة أعضائه ونحو ذلك فالكل مجرد عطاء الله ونعمته وفضله.

فالذي يخلص العبد من هذه الآفة معرفة ربه ومعرفة نفسه. والذي يخلصه من طلب العوض على العمل علمه بأنه عبد محض والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضا ولا أجرة إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه وإحسان إليه وإنعام عليه لا معاوضة إذ الأجرة إنما يستحقها الحر أو عبد الغير فأما عبد نفسه فلا.

والذي يخلصه من رضاه بعمله وسكونه إليه أمران:

أحدهما مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره فيه وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان فقل عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل وللنفس فيه حظ سئل النبي عن التفات الرجل في صلاته فقال: (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد). فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله هذا

أعظم نصيب الشيطان من العبودية د فما الظن بما فوقه وأما حظ النفس من العمل فلا يعرفه إلا أهل البصائر الصادقون.

الثاني: علمه بما يستحقه الرب ﷻ من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة و الباطنة وشروطها وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقا وأن يرضى بها لربه فالعارف لا يرضى بشيء من عمله لربه ولا يرضى نفسه لله طرفة عين ويستحيي من مقابلة الله بعمله فسوء ظنه بنفسه وعمله وبغضه لها وكراهته لأنفاسه وصعودها إلى الله يحول بينه وبين الرضى بعمله و الرضى عن نفسه وكان بعض السلف يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ثم يقبض على لحيته ويهزها ويقول لنفسه يا مأوى كل سوء وهل رضيتك لله طرفة عين. وقال بعضهم آفة العبد رضاه عن نفسه ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور.

الدرجة الثانية : (الخجل من العمل مع بذل المجهود وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود) .

هذه ثلاثة أمور خجله من عمله وهو شدة حيائه من الله إذ لم ير ذلك العمل صالحا له مع بذل مجهوده فيه قال تعالى : ﴿ والذين

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ (المؤمنون 60) قال النبي: (هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه) وقال بعضهم إني لأصلي ركعتين فأقوم عنهما بمنزلة السارق أوالزاني الذي يراه الناس حياء من الله عز وجل ، فالمؤمن جمع إحسانا في مخافة وسوء ظن بنفسه والمغرور حسن الظن بنفسه مع إساءته. الثاني توفير الجهد باحتمائه من الشهود أي يأتي بجهد الطاقة في تصحيح العمل محتميا عن شهوده منك وبك.

الثالث أن تحتمي بنور التوفيق الذي ينور الله به بصيرة العبد فترى في ضوء ذلك النور أن عملك من عين جوده لا بك ولا منك فقد اشتملت هذه الدرجة على خمسة أشياء :

عمل واجتهاد فيه ، وخجل وحياء من الله عز وجل ، وصيانة عن شهوده منك ، ورؤيته من عين جود الله سبحانه ومنه.

قال الدرجة الثالثة : إخلاص العمل بالخلاص من العمل تدعه يسير سير العلم وتسير أنت مشاهدا للحكم حرا من رق الرسم قد فسر الشيخ مراده بإخلاص العمل من العمل بقوله تدعه يسير سير العلم وتسير أنت مشاهدا للحكم ومعنى كلامه أنك تجعل عملك

تابعا للعلم موافقا له مؤتما به تسير بسيره وتقف بوقوفه وتتحرك بحركته نازلا منازله مرتويا من موارده ناظرا إلى الحكم الديني الأمري متقيدا به فعلا وتركا وطلبا وهربا ناظرا إلى ترتب الثواب والعقاب عليه سببا وكسبا ومع ذلك فتسير أنت بقلبك مشاهدا للحكم الكوني القضائي الذي تنطوي فيه الأسباب والمسببات والحركات والسكنات ولا يبقى هناك غير محض المشيئة وتفرد الرب وحده بالأفعال ومصدرها عن إرادته ومشيئته فيكون قائما بالأمر والنهي فعلا وتركا سائرا بسيره وبالقضاء والقدر إيمانا وشهودا وحقيقة فهو ناظر إلى الحقيقة قائم بالشريعة . وهذان الأمران هما عبودية هاتين الآيتين : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (التكوير 28:29) وقال تعالى : ﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ﴾

(الإنسان 30/29) .

فترك العمل يسير سير العلم مشهد ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ وسير صاحبه مشاهدا للحكم مشهد ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾.

قال الشيخ عبد الله عزام:

النية وأسباب النصر:

1-(إنما ينصر الله هذه الأمة - بضعفائها - بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم) (رواه النسائي)

قال ابن العربي: من حكمة الله العظمى أنه أمر بالعدة للعدو وأخذه بالقوة وأخبر أن النصر بعد ذلك يكون بالضعفاء ، ليعلم الخلق فيما أمروا به من الاستعداد وقدر العبادة من النظر في العبادة ، وليرجعوا إلى الحقيقة، وأن النصر من عند الله يلقيه على يد الأضعف ، فالاستعداد للعبادة والعلم بجهة النصر في الضعيف للتوحيد وأن الأمر كله لله عادة وحقيقة يديرها كيف أخبر.

2-عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) (رواه البخاري).

وبداية الحديث في البخاري عن مصعب بن سعد قال : رأى – أي سعد رضي الله عنه – أن له فضلا على من دونه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم).

قال المهلب: إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد التواضع ونفي الكبر والزهو عن قلوب المؤمنين، وأخبر ﷺ أن بدعائهم ينصرون ويرزقون ، لأن عبادتهم ودعاءهم أشد إخلاصا وأكثر خشوعا لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا وزينتها وصفاء ضمائرهم عما يقطعهم عن الله تعالى ، فجعلوا همهم واحدا ، فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم.

3-عن أبي أمامة رضي الله عنه: (لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب ولا الفضة ، إنما كانت حليتهم العلابي والإنك والحديد) (رواه البخاري).

4-قال النبي ﷺ وهو في قبة: (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لن تعبد بعد اليوم ، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك ، وهو في الدرع ، فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وفي رواية (وذلك يوم بدر) (رواه البخاري).

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: (أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك الذي أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك

فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم العريش فكان فيه)

5-حدثنا أبو موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله) (رواه مسلم).

يقع القتال بسبب خمسة أشياء:

طلب المغنم ، وإظهار الشجاعة ، والرياء ، والحمية ، والغضب ، وكل منها يتناول المدح والذم.

والمراد بكلمة الله: دعوة الله إلى الإسلام ، ويحتمل أن يكون المراد أنه لايكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط ، بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل بذلك ، ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ذلك ضمنا لا أصلا

ومقصودا ، وبذلك صرح الطبري فقال: إن كان أصل الباعث هو الأول لا يضره ما عرض له بعد ذلك ، وبذلك قال الجمهور ، ويدل على صحة رأي الجمهور ما رواه أبو داوود بإسناد حسن عن عبد الله بن حوالة قال: (بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم فرجعنا ولم نغنم شيئا ، فقال: اللهم لا تكلهم إلي فأضعف عنهم ، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم).

واشتمل طلب إعلاء كلمة الله على طلب رضاه ، وطلب ثوابه ، وطلب دحض أعدائه ، وكلها متلازمة.

6-عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة ، فقال له ناقل أهل الشام: أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمة فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمة فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ،

ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمة فعرفه ، قال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) (رواه مسلم)

7-عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولم تصبه) وفي رواية (بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) (رواه مسلم).

8-(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه) (رواه مسلم)

ومعنى الحديثين: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه ، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير.

9-عن جابر قال: (كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض) ، وفي رواية (إلا شركوكم الأجر) (رواه مسلم).

وفي الحـديث: فضـيلة النيـة الخـير ، وأن مـن نـوى الغـزو وغـيره مـن الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته ، وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه من الغزاة ونحوهم كثر ثوابه و الله أعلم.

وفي الحديث دلاله أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه عن العمل.

10- عـن أبي أمامـة الباهلي ﷺ قـال: جـاء رجـل إلى رسـول الله ﷺ فقـال: (أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ قال رسول الله ﷺ: لا شيء له ، فعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ: لا شيء له ، ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه) (رواه النسائي).

وعـن أبي هريـرة: أن رجـلا قـال: (يا رسـول الله رجـل يريـد الجهـاد في سـبيل الله وهـو يبتغـي عرضـا مـن عـرض الـدنيا ، قـال: لا أجـر لـه ، فـأعظم ذلـك النـاس ، وقـال للرجـل: عـد لرسـول الله ﷺ فلعلـك لم تفهمه فقال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا ، قال: لا أجر له ، فقالوا للرجل عد لرسول الله ﷺ ، فقال الثالثة: لا أجر له) (رواه أحمد).

قال بن عابدين في حاشيته (120/4): (وأما إذا كان معظم مقصوده الجهاد ويرغب معه في الغنيمة فهو داخل قوله تعالى: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) يعني التجارة في طريق الحج ، فكما أنه لا يحرم ثواب الحج فكذا الجهاد).

11- (من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق) (رواه مسلم).

أي أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف ، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.] اهـ .[1]

الإحسان:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (سلوني فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يا رسول الله ما الإسلام قال لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان قال صدقت قال يا رسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته

---

[1] (الذخائر:ج276/1) .

وكتابه و لقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله قال صدقت قال يا رسول الله ما الإحسان قال أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك قال صدقت).

وعن أبي يعلى شداد بن أوس ﵁ عن رسول الله ﷺ قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) رواه مسلم.

قال ابن القيم رحمه الله: **منزلة الإحسان** :

وهي لب الإيمان وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منطوية فيها وكل ما قيل من أول الكتاب إلى ههنا فهو من الإحسان. قال صاحب المنازل رحمه الله: وقد استشهد على هذه المنزلة بقوله تعالى: ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (الرحمن - 60) فالإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق وهو أن تعبد الله كأنك تراه أما الآية فقال ابن عباس ﵁ والمفسرون: هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به مُحَّد إلا الجنة وقد روى عن النبي أنه قرأ :

﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ (الرحمن 60) ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا : الله ورسوله أعلم قال يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة. وأما الحديث فإشارة إلى كمال الحضور مع الله عز وجل ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته والإنابة إليه والإخلاص له ولجميع مقامات الإيمان.

(**درجات الإحسان**) : قال وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى :

(الإحسان في القصد بتهذيبه علما وإبرامه عزما وتصفيته حالا) يعني إحسان القصد يكون بثلاثة أشياء أحدها تهذيبه علما بأن يجعله تابعا للعلم على مقتضاه مهذبا به منقى من شوائب الحظوظ فلا يقصد إلا ما يجوز في العلم والعلم هو إتباع الأمر والشرع.

والثاني إبرامه عزما والإبرام الإحكام والقوة أي يقارنه عزم يمضيه ولا يصحبه فتور وتوان يضعفه ويوهنه الثالث تصفيته حالا أي يكون حال صاحبه صافيا من الأكدار والشوائب التي تدل على كدر قصده

فإن الحال مظهر القصد وثمرته وهو أيضا مادته وباعثه فكل منهما ينفعل عن الآخر فصفاؤه وتخليصه من تمام صفاء الآخر وتخليصه.

الدرجة الثانية:

الإحسان في الأحوال وهو أن تراعيها غيرة وتسترها تظرفا وتصححها تحقيقا.

يريد بمراعاتها حفظها وصونها غيرة عليها أن تحول فإنها تمر مر السحاب فإن لم يرع حقوقها حالت ومراعاتها بدوام الوفاء وتجنب الجفاء ويراعيها أيضا بإكرام نزلها فإنها ضيف والضيف إن لم تكرم نزله ارتحل. ويراعيها أيضا بضبطها ملكة وشد يده عليها وأن لا يسمح بها لقاطع طريق ولا ناهب. ويراعيها أيضا بالانقياد إلى حكمها والإذعان لسلطانها إذا وافق الأمر ويراعيها أيضا بسترها تظرفا وهو أن يسترها عن الناس ما أمكنه لئلا يعلموا بها ولا يظهرها إلا لحجة أو حاجة أو مصلحة راجحة فإن في إظهارها بدون ذلك آفات عديدة مع تعريضها للصوص و السراق والمغيرين (...) .

الدرجة الثالثة:

(الإحسان في الوقت وهو أن لا تزايل المشاهدة أبدا ولا تخلط بهمتك أحدا وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدا) .

أي لا تفارق حال الشهود وهذا إنما يقدر عليه أهل التمكن الذين ظفروا بنفوسهم وقطعوا المسافات التي بين النفس وبين القلب والمسافات التي بين القلب وبين الله بمجاهدة القطاع التي على تلك المسافات وقوله ولا تخلط بهمتك أحدا يعني أن تعلق همتك بالحق وحده ولا تعلق همتك بأحد غيره فإن ذلك شرك في طريق الصادقين. قوله وأن تجعل هجرتك إلى الحق سرمدا يعني أن كل متوجه إلى الله بالصدق والإخلاص فإنه من المهاجرين إليه فلا ينبغي أن يتخلف عن هذه الهجرة بل ينبغي أن يصحبها سرمدا حتى يلحق بالله عز وجل. فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويحمد غب السير من هو سائر ولله على كل قلب هجرتان وهما فرض لازم له على الأنفاس هجرة إلى الله سبحانه بالتوحيد والإخلاص والإنابة والحب والخوف والرجاء والعبودية. وهجرة إلى رسوله بالتحكيم له والتسليم والتفويض والانقياد لحكمه وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته فيكون تعبده به

أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر في ظلم الليل ومتاهات الطريق. فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحث على رأسه الرماد وليراجع الإيمان من أصله فيرجع وراءه ليقتبس نورا قبل أن يحال بينه وبينه ويقال له ذلك على الصراط من وراء السور والله المستعان.] اهـ.[1]

الاستقامة:

قال ابن القيم رحمه الله :

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ (فصلت 30) وقال: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (الأحقاف 14/13) وقال لرسوله: ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴾ (هود 112). فبين أن الاستقامة ضد الطغيان وهو مجاوزة الحدود في كل شيء. وقال تعالى: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه

---

[1] (مدارج السالكين . ج /2/ . باختصار) .

واستغفروه ﴾ (فصلت 6). وقال تعالى: ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ﴾ (الجن 16) ، سئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: (أن لا تشرك بالله شيئا يريد الاستقامة على محض التوحيد). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب). وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : (استقاموا : أخلصوا العمل لله). وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما: " استقاموا: أدوا الفرائض " ، وقال الحسن: " استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته ". وقال مجاهد:"استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله ". وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: " استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة". وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : (قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال : قل آمنت بالله ثم استقم). وفيه عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي قال: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). والمطلوب من العبد الاستقامة وهي السداد ، فإن لم يقدر عليها ، فالمقاربة فإن نزل

عنها ، فالتفريط والإضاعة كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي قال : (سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل). فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها فأمر بالاستقامة وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال وأخبر في حديث ثوبان أنهم لا يطيقونها فنقلهم إلى المقاربة وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم كالذي يرمي إلى الغرض فإن لم يصبه يقاربه ومع هذا فأخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة فلا يركن أحد إلى عمله ولا يعجب به ولا يرى أن نجاته به بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله. فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات. فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. قال بعض العارفين: "كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة ". وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: " أعظم الكرامة لزوم الاستقامة ".

الصدق :

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وهي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين. والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه من صال به لم ترد صولته ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين.

وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (التوبة 119). وقال

تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ (النساء 69)، فهم الرفيق الأعلى وحسن أولئك رفيقا ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده إحسانا منه وتوفيقا ولهم مرتبة المعية مع الله فإن الله مع الصادقين ولهم منزلة القرب منه إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين. وأخبر تعالى أن من صدقه فهو خير له فقال: ﴿ فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾ (محمد 21). وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق فقال: ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (البقرة 177).

وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان. وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق فقال: ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن

شاء أو يتوب عليهم ﴾ (الأحزاب 24). والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر. وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه.

قال تعالى: ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﷺ ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ المائدة وقال تعالى: ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ (الزمر 34) فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله فالصدق في هذه الثلاثة:

فالصدق في الأقوال استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها . والصدق في الأعمال استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد . والصدق في الأحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة . فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق. وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته ولذلك كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ذروة سنام الصديقية سمي الصديق على الإطلاق

والصديق أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق. فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل. وقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال : ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ (الإسراء 80). وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أنه يهب له لسان صدق في الآخرين فقال: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق فقال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾(يونس 2) و قال: ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ (القمر54/55) فهذه خمسة أشياء:

مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق ، وقدم الصدق ومقعد الصدق، وحقيقة الصدق.

في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة.

ومن علامات الصدق طمأنينة القلب إليه ومن علامات الكذب حصول الريبة كما في الترمذي مرفوعا من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي قال: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة). وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي قال: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا). فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها وهي غايته فلا ينال درجتها كاذب البتة ، لا في قوله ولا في عمله ولا في حاله ، ولاسيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته ونفي ما أثبته أو إثبات ما نفاه عن نفسه فليس في هؤلاء صديق أبدا ، وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرمه وتحريم ما لم يحرمه ، وإسقاط ما أوجبه وإيجاب ما لم يوجبه ، وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه كل ذلك مناف للصديقية. وكذلك الكذب معه في الأعمال بالتحلي بحلية الصادقين المخلصين والزاهدين المتوكلين وليس في الحقيقة منهم. فلذلك كانت الصديقية كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرا وباطنا حتى إن صدق المتبايعين يحل البركة في

بيعهما وكذبهما يمحق بركة بيعهما. كما في الصحيحين عن حكيم بن حزام ﷺ قال قال رسول الله : (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما).

كلمات في حقيقة الصدق:

قال عبد الواحد بن زيد (الصدق الوفاء لله بالعمل) وقيل (موافقة السر النطق) وقيل (استواء السر والعلانية) يعني أن الكاذب علانيته خير من سريرته كالمنافق الذي ظاهره خير من باطنه وقيل (الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة) وقيل (كلمة الحق عند من تخافه وترجوه (..) وقال الجنيد (حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب) وقيل (ثلاث لا تخطىء الصادق الحلاوة والملاحة والهيبة).

وفي أثر إلهي: (من صدقني في سريرته صدقته في علانيته عند خلقي). وقال يوسف بن أسباط : (لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلي من أضرب بسيفي في سبيل الله).

وقال بعضهم : (من لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل منه الفرض المؤقت قيل وما الفرض الدائم قال الصدق) وقيل: (من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل) وقيل : (عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك) وقيل: (ما أملق تاجر صدوق).

فمن ههنا كان الصادق مضطرا أشد ضرورة إلى متابعة الأمر والتسليم للرسول في ظاهره وباطنه والإقتداء به والتعبد بطاعته في كل حركة وسكون مع إخلاص القصد لله عز وجل فإن الله تعالى لا يرضيه من عبده إلا ذلك. وما عدا هذا فقوت النفس ومجرد حظها وإتباع أهوائها وإن كان فيه من المجاهدات والرياضات والخلوات ما كان فإن الله سبحانه وتعالى أبى أن يقبل من عبده عملا أو يرضى به حتى يكون على متابعة رسوله خالصا لوجهه سبحانه.

التوكل:

جاء في رياض الصالحين: قال الله تعالى: ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾ الأحزاب. وقال تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس إن

الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ آل عمران. وقال تعالى: ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ الفرقان . والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال ما الذي تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن

يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة) متفق عليه .

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى في النار وقالها مُحَّد ﷺ حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) رواه البخاري.

* عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) رواه الترمذي.

وننقل مما قال ابن القيم في مدارج السالكين (باختصار):

قال الله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (المائدة 23). وقال: ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (إبراهيم 11). وقال: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق 3) . وقال عن أوليائه: ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ (الممتحنة 4). وقال عن أصحاب نبيه ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (آل

عمران 173) وقال: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾. (الأنفال 2).
والقرآن مملوء من ذلك.

التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة. ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العالمين. وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم. فأولياؤه و خاصته يتوكلون عليه في حصول ما عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفي محابه وتنفيذ أوامره. ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس. ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك. ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه. بل قد يكون توكلهم أقوى من

توكل كثير من أصحاب الطاعات ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم.

فأفضل التوكل التوكل في الواجب أعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس. وأوسعه وأنفعه التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا توكل ورثتهم.

ثم الناس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم فمن متوكل على الله في حصول الملك ومن متوكل في حصول رغيف.

*** معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه:**

قال الإمام أحمد : (التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات).

ومنهم من يفسره بالرضى فيقول هو الرضى بالمقدور قال بشر الحافي : (يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله).

وقال أبو تراب النخشبي: (هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر). فجعله مركبا من خمسة أمور القيام بحركات العبودية وتعلق القلب بتدبير الرب وسكونه إلى قضائه وقدره وطمأنينته وكفايته له وشكره إذا أعطى وصبره إذا منع.

وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد. قال سهل بن عبد الله (من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان). فالتوكل حال النبي والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته وقيل التوكل قطع علائق القلب بغير الله وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله بلا علاقة. وكان شيخنا ﷺ يقول المقدور يكتنفه أمران التوكل قبله والرضى بعده فمن توكل على الله قبل الفعل ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية أو معنى هذا. قلت وهذا معنى قول النبي في دعاء الاستخارة اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فهذا توكل وتفويض ثم قال: فإنك تعلم ولا أعلم

وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلا أو آجلا وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلا أو آجلا فهذا هو حاجته التي سألها فلم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه له فقال واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني.

الأمانة:

جاء في رياض الصالحين:

قال الله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ النساء. وقال تعالى: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ الأحزاب.

*عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان). متفق عليه . وفي رواية (وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم).

*وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا) متفق عليه.

الحياء:

نتقل من مدارج السالكين باختصار:

قال الله تعالى : ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾. (العلق 14) وقال تعالى: ﴿ إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (النساء 1) وقال تعالى: ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ (غافر 1).

* وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله مر برجل وهو يعظ أخاه في الحياء فقال دعه فإن الحياء من الإيمان) .

* وفيهما عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحياء لا يأتي إلا بخير).

*وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان).

*وفيهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال :(كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه).

*وفي الصحيح عنه (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

*وفي الترمذي مرفوعا (استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحيي يا رسول الله قال ليس ذلكم ولكن من استحيي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت و البلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء).

تعريف الحياء:

والحياء من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء. وقلة الحياء من موت القلب والروح فكلما كان القلب أحيي كان الحياء أتم. قال الجنيد

رحمه الله : (الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق).

ومن كلام بعض الحكماء (أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيي منه. وعمارة القلب بالهيبة والحياء فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير) .

وفي أثر إلهي يقول الله عز وجل: (ابن آدم إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة). وفي أثر آخر (أوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه الصلاة والسلام عظ نفسك فإن اتعظت وإلا فاستحي مني أن تعظ الناس) . وقال الفضيل بن عياض (خمس من علامات الشقاوة القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الأمل). وفي أثر إلهي (ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أن أرده ويعصيني ولا يستحيي مني).

وقد قسم الحياء على عشرة أوجه: حياء جناية ، وحياء تقصير، وحياء إجلال ، وحياء كرم ، وحياء حشمة ، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها ، وحياء محبة ، وحياء عبودية ، وحياء شرف وعزة ، وحياء المستحيي من نفسه.

حفظ اللسان :

قال النووي رحمه الله :

اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه. لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) متفق عليه. وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام

خيرا وهو الذي ظهرت مصلحته ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه.
- وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) متفق عليه.
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب). متفق عليه.

- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)

رواه البخاري.

- وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت

يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه) رواه مالك في الموطأ والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

• وعن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: (قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا). رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي) رواه الترمذي.

• وعن عقبة بن عامر ﷺ قال : (قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا). رواه الترمذي.

معنى تكفر اللسان أي تذل وتخضع له.

• وعن معاذ ﷺ قال: (قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة

وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفيء الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون السجدة ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

اليقين:

قال ابن القيم في مدارج السالكين:

منزلة اليقين : وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد وبه تفاضل العارفون وفيه تنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون. وعمل القوم إنما كان عليه وإشاراتهم كلها إليه وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون:

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾

السجدة .

وخص سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين فقال وهو أصدق القائلين:

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ الذاريات. وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين فقال: ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ البقرة . وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تعالى: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ماندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾ الجاثية . فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح ، وهو حقيقة الصديقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره. عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : (لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن ما رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص

ولا يرده عنك كراهية كاره وإن الله بعدله وقسطه جعل الرَوْح والفرح في الرضى واليقين . وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

واليقين قرين التوكل ولهذا فسر التوكل بقوة اليقين ، والصواب أن التوكل ثمرته ونتيجته ، ولهذا حسن اقتران الهدى به قال الله تعالى: فتوكل على الله إنك على الحق المبين (النمل) فالحق هو اليقين وقالت رسل الله: ﴿ وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ إبراهيم . ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم فامتلأ محبة لله وخوفا منه ورضي به وشكرا له وتوكلا عليه وإنابة إليه فهو مادة جميع المقامات والحامل لها. واختلف فيه هل هو كسبي أو موهبي فقيل: هو العلم المستودع في القلوب. يشير إلى أنه غير كسبي. وقال سهل: اليقين من زيادة الإيمان ولا ريب أن الإيمان كسبي. والتحقيق: أنه كسبي باعتبار أسبابه موهبي باعتبار نفسه وذاته. وعند القوم: اليقين لا يساكن قلبا فيه سكون إلى غير الله. وقال ذو النون: اليقين يدعو إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد والزهد يورث الحكمة وهي تورث النظر في العواقب ، قال: وثلاثة من أعلام اليقين: قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك

المدح لهم في العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع. وثلاثة من أعلامه أيضا: النظر إلى الله في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال. وقال الجنيد: اليقين: هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب. وقال ابن عطاء: على قدر قربهم من التقوى أدركوا من اليقين. وأصل التقوى مباينة النهي وهو مباينة النفس فعلى قدر مفارقتهم النفس ، وصلوا إلى اليقين. وقال أبو بكر الوراق: اليقين ملاك القلب وبه كمال الإيمان وباليقين عرف الله وبالعقل عقل عن الله.

وقال النهرجوري: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء عنده مصيبة.

الصبر:

قال ابن القيم رحمه الله :

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا. وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان

نصفان نصف صبر ونصف شكر وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعا :

الأول: الأمر به نحو قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ (البقرة 153) وقوله: ﴿ اصبروا و صابروا ﴾ (آل عمران 20) وقوله: ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ النحل .

الثاني: النهي عن ضده كقوله: ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ (الأحقاف 35) فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على أهله كقوله تعالى: ﴿ الصابرين والصادقين ﴾ (آل عمران 17). وقوله: ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (البقرة 177) وهو كثير في القرآن.

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم كقوله : ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ (آل عمران 146) الخامس: إيجاب معيته لهم وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ليست معية عامة وهي معية العلم والإحاطة كقوله ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (الأنفال 46) وقوله: ﴿ والله مع الصابرين ﴾ (البقرة 249) .

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه كقوله : ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (النحل 126) وقوله: ﴿وأن تصبروا خيرلكم ﴾ (النساء 25).

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم كقوله تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل 96).

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب كقوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (الزمر 10).

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر كقوله تعالى: ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ (البقرة 55) .

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم كقوله تعالى: ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ (آل عمران 125). ومنه قول النبي ﷺ : (واعلم أن النصر مع الصبر).

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم كقوله تعالى: ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى 43).

الثاني عشر: الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر كقوله تعالى: ﴿ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ (القصص80) وقوله: ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (فصلت 35).

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر كقوله تعالى لموسى: ﴿ أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ (إبراهيم 5) وقوله في أهل سبأ: ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ (سبأ 9) ، وقوله في سورة الشورى: ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ (الشورى . 33/32).

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب والنجاة من المكروه المرهوب ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر كقوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ (الرعد 24/23).

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: ﴿ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ﴾ ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ (السجدة 24).

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان كما قرنه الله سبحانه باليقين وبالإيمان وبالتقوى والتوكل وبالشكر والعمل الصالح والرحمة . ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أدركناه بالصبر). وأخبر النبي في الحديث الصحيح أنه ضياء وقال من يتصبر يصبره الله. وفي الحديث الصحيح: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء

صبر فكان خيرا له). وقال للمرأة السوداء التي كانت تصرع فسألته أن يدعو لها : (إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها). وأمر الأنصار رضي الله تعالى عنهم بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض. وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر. وأمر بالصبر عند المصيبة وأخبر أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى. وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب فإن ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره. والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة ويذهب الأجر. وأخبر أن الصبر خير كله فقال: (ما أعطي أحد عطاء خيرا له وأوسع من الصبر).

تعريف الصبر:

والصبر في اللغة الحبس والكف ومنه قتل فلان صبرا، إذا أمسك وحبس ومنه قوله تعالى: ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ (الكهف 28). أي احبس نفسك معهم.

فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع :

صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله. فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها ، أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه. فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره ، لا كسب له فيها. ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر. وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس ولاسيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة فإنه كان شابا، وداعية الشباب إليها قوية. وعزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته. وغريبا والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله. ومملوكا والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر. والمرأة جميلة وذات منصب ، وهي سيدته وقد غاب الرقيب ، وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد

الحرص. ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار. ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارا وإيثارا لما عند الله. وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه. وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل ، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية. ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية. وله رحمه الله في ذلك مصنف قرره فيه بنحو من عشرين وجها ليس هذا موضع ذكرها. والمقصود الكلام على الصبر وحقيقته ودرجاته ومرتبته والله الموفق.

أنواع الصبر:

وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله . وصبر لله . وصبر مع الله.

فالأول: أول الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه كما قال تعالى ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ (النحل 127). يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

الثاني: الصبر لله ، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه. لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق. وغير ذلك من الأعراض.

والثالث: الصبر مع الله ، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ومع أحكامه الدينية. صابرا نفسه معها سائرا بسيرها مقيما بإقامتها يتوجه معها أين توجهت ركائبها وينزل معها أين استقلت مضاربها. فهذا معنى كونه صابرا مع الله أي قد جعل نفسه وقفا على أوامره ومحابه. وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها ، وهو صبر الصديقين. قال الجنيد : (المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن. وهجران الخلق في جنب الله شديد. والمسير من النفس إلى الله صعب شديد. والصبر مع الله أشد). وسئل عن الصبر: (فقال تجرع المرارة من غير تعبس). قال ذو النون المصري: (الصبر؛ التباعد من المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة). وقيل: (الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب). وقيل : (هو الفناء في البلوى بلا ظهور ولا شكوى). وقيل: (تعويد النفس الهجوم على المكاره). وقيل : (المقام مع البلاء بحسن الصحبة

كالمقام مع العافية). وقال عمرو بن عثمان: (هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة). وقال الخواص: (هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة).

وقيل: (الصبر هو الاستعانة بالله) وقيل: (الصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل). وقيل: (الصبر أن ترضى بتلف نفسك في رضا من تحبه كما قيل: سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة وحسبي أن ترضي ويتلفني صبري. وقيل مراتب الصابرين خمسة : صابر ، ومصطبر، ومتصبر، وصبور ، وصبار. فالصابر أعمها. والمصطبر المكتسب الصبر المليء به. والمتصبر المتكلف حامل نفسه عليه. والصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبار الكثير الصبر فهذا في القدر والكم والذي قبله في الوصف والكيف. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (الصبر مطية لا تكبو).

وقيل في قوله تعالى: ﴿ اصبروا و صابروا ورابطوا ﴾ (آل عمران 200) إنه انتقال من الأدنى إلى الأعلى فالصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة والمرابطة مفاعلة من الربط وهو الشد وسمى المرابط مرابطا لأن المرابطين يربطون خيولهم ينتظرون الفزع. ثم قيل لكل منتظر قد ربط

نفسه لطاعة ينتظرها مرابط. ومنه قول النبي ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط. وقال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها). وقيل : (اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله). وقيل:

(اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله) . وقيل : (اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء).

وفي كتاب الأدب للبخاري: (سئل رسول الله عن الإيمان فقال الصبر والسماحة). وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهانا وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها فإن النفس يراد منها شيئان بذل ما أمرت به وإعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهيت عنه والبعد منه فالحامل عليه الصبر. وقد أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: (الصبر

الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه ، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه ، و الهجر الجميل هو الذي لا أذى معه). وقال ابن عيينة في قوله تعالى: ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لماصبروا ﴾ (السجدة 24) قال: ﴿ أخذوا برأس الأمر فجعلهم رؤساء ﴾ .

والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر. فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبي إذا وعد لا يخلف. ثم قال : ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ (يوسف 86) . وكذلك أيوب أخبر الله عنه أنه وجده صابرا: مع قوله : ﴿ مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ (الأنبياء83). وإنما ينافي الصبر شكوى الله لا الشكوى إلى الله. كما رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة ، فقال يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك. ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلمُ

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ

الكرم :

قال الإمام النووي في كتابه (رياض الصالحين) :

باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه سبأ وقال تعالى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ البقرة . وقال تعالى : ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ البقرة .

* وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) متفق عليه. معناه ينبغي أن لا يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين.

* وعنه قال قال رسول الله ﷺ أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر) رواه البخاري.

* وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه .

* وعن جابر ﷺ قال : (ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا)

متفق عليه.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا) متفق عليه.

* وعنه أن رسول الله ﷺ قال : (قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم ينفق عليك) متفق عليه.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : (أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) متفق عليه.

* وعنه قال قال رسول الله ﷺ أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة). رواه البخاري .

* عن أبي أمامة صدي بن عجلان ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن

تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى. رواه مسلم.

* وعن أنس ﷺ قال ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن مُحَمَّدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. رواه مسلم.

* وعن عمر ﷺ قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت: يا رسول الله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم، قال: إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش فأعطيهم أو يبخلوني ولست بباخل) رواه مسلم .

* وعن جبير بن مطعم ﷺ أنه قال: (بينما هو يسير مع النبي ﷺ مقفله من حنين فعلقه الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا) رواه البخاري . مقفله أي حال رجوعه والسمرة شجرة والعضاه شجر له شوك.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل) رواه مسلم.

* وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء). رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

* وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : ما بقي منها ؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها قال بقي كلها غير كتفها) رواه الترمذي وقال حديث صحيح ومعناه تصدقوا بها إلا كتفها ، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

* وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (لا توكي فيوكي الله عليك وفي رواية أنفقي أو أنفحي أو نضحي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك) متفق عليه . وانفحي بالحاء المهملة هو بمعنى أنفقي وكذلك أنضحي.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع) متفق عليه.

والجبة الدرع ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته.

* وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) متفق عليه.

الفلو بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال أيضا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر.

* وعنه عن النبي ﷺ قال: (بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثا وأرد فيها ثلثه) رواه مسلم.

الحرة الأرض الملبسة حجارة سوداء والشرجة بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم هي مسيل الماء.

القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة وذم السؤال من غير ضرورة:

قال النووي في رياض الصالحين :

قال الله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ هود. وقال تعالى : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ البقرة . وقال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ الفرقان وقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ الذاريات .

* عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) متفق عليه.

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه) رواه مسلم.

* وعن حكيم بن حزام ﷺ قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع. واليد العليا خير من اليد السفلى، قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر ﷺ يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم إن عمر ﷺ دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال: يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفي) متفق عليه.

يرزأ براء ثم زاي ثم همزة أي لم يأخذ من أحد شيئا وأصل الرزء النقصان أي لم ينقص أحدا شيئا بالأخذ منه وإشراف النفس تطلعها

وطمعها بالشيء وسخاوة النفس هي عدم الإشراف إلى الشيء والطمع فيه والمبالاة به والشره.

* وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا الخرق قال أبو بردة فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال ما كنت أصنع بأن أذكره قال كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه) متفق عليه.

* وعن عمرو بن تغلب ﷺ: (أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو سبي فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال: أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ولكني إنما أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب، قال عمرو بن تغلب: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم)

رواه البخاري.

* وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله) متفق عليه .

* وعن سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا تلحفوا في المسألة فو الله لا يسألني أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته) رواه مسلم .

* وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ وكنا حديثي عهد ببيعة فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك، قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه) رواه مسلم.

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم) متفق عليه.

المزعة بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة القطعة.

* وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة : (اليد العليا خير من اليد السفلى).

متفق عليه.

واليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر) رواه مسلم .

* وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو في أمر لابد منه) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. الكد الخدش ونحوه.

* وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .

* وعن ثوبان ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا وأتكفل له بالجنة فقلت أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا .) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

* وعن أبي بشر قبيصة بن المخارق ﷺ قال: (تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش. ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا. رواه مسلم. الحمالة بفتح الحاء أن يقع قتال ونحوه بين فريقين فيصلح إنسان بينهم على مال يتحمله ويلتزمه على نفسه ، والجائحة الآفة تصيب مال الإنسان. والقوام بكسر القاف وفتحها هو ما يقوم به

أمر الإنسان من مال ونحوه والسداد بكسر السين ما يسد حاجة المعوز ويكفيه والفاقة الفقر والحجى العقل.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس) متفق عليه .

* وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) رواه البخاري.

* وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده) رواه البخاري .

الإيثار:

قوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ .

عن أبي هريرة قال : (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلى الأخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال من : يضيف هذا الليلة رحمه الله ، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله . فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني ، قال فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه. قال : فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد عجب الله عز وجل من صنيعكما بضيفكما الليلة) .

* وقال ابن عمر: (أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال: إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا

فبعثه إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك ، فنزلت : (ويؤثرون على أنفسهم).

- وقال ابن عباس قال النبي ﷺ للأنصار يوم بني النضير: (إن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الأنصار بل نقسم لإخواننا في ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة، فنزلت : (ويؤثرون على أنفسهم). الآية والأول أصح.
- الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنياوية ورغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة يقال آثرته بكذا أي خصصته به وفضلته ومفعول الإيثار محذوف أي يؤثروهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها حسب ما تقدم بيانه.
- وفي موطأ مالك : (أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها أعطيه إياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت أعطيه إياه قالت ففعلت قالت فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا شاة وكفنها فدعتني عائشة فقالت كلي من هذا فهذا خير من قرصك. قال علماؤنا هذا من المال الرابح والفعل الزاكي ثم الله تعالى يعجل منه ما يشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه ومن ترك

شيئا لله لم يجد فقده وعائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة وأن من فعل ذلك فقد وقى شح نفسه وأفلح فلاحا لا خسارة بعده.

- وروى النسائي عن نافع أن ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فاشترى له عنقود بدرهم فجاء مسكين فسأل فقال أعطوه إياه ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم ثم جاء به إليه فأراد السائل أن يرجع فمنع ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه لأن ما خرج لله لا يعود فيه.

- وذكر ابن المبارك قال أخبرنا مُحَّد بن مطرف قال حدثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب رضي الله أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها فذهب بها الغلام إليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع فذهب بها إليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي

إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ فقالت ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر بذلك. فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض.

- ونحوه عن عائشة ﵂ في إعطاء معاوية إياها وكان عشرة آلاف وكان المنكدر دخل عليها فإن قيل وردت أخبار صحيحة في النهي عن نظير بجميع ما يملكه المرء قيل له إنما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه فأما الأنصار الذين أثنى الله عليهم بالإيثار على أنفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.
- وروى أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتي أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يباع يتكفف الناس والله أعلم .
- التاسعة والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النفس ومن الأمثال السائرة : (والجود بالنفس أقصى غاية الجود).
- وأفضل الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح أن أبا طلحة ترس على النبي ﷺ يوم أحد وكان

النبي ﷺ يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك . ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت .

- وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت له أسقيك فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول آه آه فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.
- وقال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا ، فقلت وما حد الزهد عندكم قال إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا .
- وحكى عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئا إيثارا لصاحبه على نفسه.

- قوله تعالى ولو كان بهم خصاصة الخصاصة الحاجة التي تختل بها الحال وأصلها من الاختصاص وهو انفراد بالأمر فالخصاصة الإنفراد بالحاجة أي ولو كان بهم فاقة وحاجة.
- قوله تعالى: ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ الشح والبخل سواء يقال رجل شحيح بين الشح والشح والشحاحة. وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص (..). وروى الأسود عن ابن مسعود أن رجلا أتاه فقال له إني أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن إنما الشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما. ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق ﷺ بين الشح والبخل. وقال طاووس البخل أن يبخل الإنسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي الناس يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام.
- وقال أنس قال النبي ﷺ بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة. وعنه أن النبي ﷺ كان يدعو: (اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووساوسها). وقال أبو الهياج الأسدي رأيت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد

على ذلك شيئا فقلت له فقال إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل فإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف. قلت يدل على هذا قوله ﷺ : (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) وقد بيناه في آخر آل عمران. وقال كسرى لأصحابه أي شيء أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع والشحيح إذا وجد لم يشبع أبدا.

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين :

قال الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (الحشر 9). فالإيثار ضد الشح فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه. والشحيح حريص على ما ليس بيده فإذا حصل بيده شيء شح عليه وبخل بإخراجه. فالبخل ثمرة الشح والشح يأمر بالبخل كما قال النبي : (إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا) . فالبخيل من أجاب داعي الشح والمؤثر من أجاب داعي الجود كذلك السخاء عما في أيدي الناس هو السخاء

وهو أفضل من سخاء البذل قال عبد الله بن المبارك : (سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل) .

وهذا المنزل هو منزل الجود والسخاء والإحسان ، وسمي بمنزل الإيثار لأنه أعلى مراتبه فإن المراتب ثلاثة: إحداها أن لا ينقصه البذل ولا يصعب عليه فهو منزلة السخاء ، الثانية أن يعطي الأكثر ويبقي له شيئا أو يبقى مثل ما أعطى فهو الجود. الثالثة أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه وهي مرتبة الإيثار.

وعكسها الأثرة وهو استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه وهي المرتبة التي قال فيها رسول الله للأنصار ﷺ : (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). والأنصار هم الذين وصفهم الله بالإيثار في قوله: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . (الحشر9) . فوصفهم بأعلى مراتب السخاء وكان ذلك فيهم معروفا. (وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما من الأجواد المعروفين حتى إنه مرض مرة فاستبطأ إخوانه في العيادة فسأل عنهم فقالوا إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال : أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال

فهو منه في حل ، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده.
وقالوا له يوما : هل رأيت أسخى منك، قال: نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت إنه نزل بك ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال : شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها فقلنا : ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا اليسير، فقال : إني لا أطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر وهو يفعل ذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا إليه. ومضينا فلما طلع النهار إذا نحن برجل يصيح خلفنا ، قفوا أيها الركب اللئام أعطيتموني ثمن قراي . ثم إنه لحقنا وقال : لتأخذنه أو لأطاعننكم برمحي فأخذناه وانصرفنا.

الرفق والحِلْم :

قال النووي رحمه الله : **باب الحلم والأناة والرفق قال الله تعالى :** ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ آل عمران وقال تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ الأعراف وقال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي

أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ فصلت وقال تعالى :

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ الشورى .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة) رواه مسلم .
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) متفق عليه .
- وعنها أن النبي ﷺ قال : (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) رواه مسلم .
- وعنها أن النبي ﷺ قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) رواه مسلم .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه فقال النبي ﷺ : دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) رواه البخاري .
- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) متفق عليه .

- وعـن جريـر بـن عبـد الله ﷺ قـال : (سمعـت رسـول الله ﷺ : (يقول من يحرم الرفق يحرم الخير كله) رواه مسلم.
- وعـن أبي هريـرة ﷺ: (أن رجـلا قـال للنبي ﷺ أوصـني قـال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب) رواه البخاري .
- وعن أبي يعلى شداد بن أوس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) رواه مسلم .
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى) متفق عليه.
- وعن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار تحرم على كل قريب هين لين سهل) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

كما جاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري رحمه الله :

الترغيب في الرفق والأناة والحلم :

* وعن جرير بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إن الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا) رواه مسلم وأبو داود.

* وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

* وعن أبي أمامة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله عز وجل يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف) رواه الطبراني

* وعن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار تحرم على كل هين لين سهل) رواه الترمذي وابن حبان.

* وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : (التأني من الله والعجلة من الشيطان وما أحد أكثر معاذير من الله وما من شيء أحب إلى الله من الحمد) رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح .

* وعن أنس ﷺ قال : (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء) رواه البخاري ومسلم .

* وعن ابن مسعود ﷺ قال كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) رواه البخاري ومسلم.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) رواه البخاري ومسلم.

طلاقة الوجه وطيب الكلام :

جاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري :

* عن أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق) رواه مسلم.

* وعن الحسن ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طليق الوجه) رواه ابن أبي الدنيا وهو مرسل.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك) رواه أحمد والترمذي .

* وعن أبي ذر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة) رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه. وزاد وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة.

* وعن أبي جري الهجيمي ﵁ قال: (أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئا ينفعنا الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة ولا يحبها الله وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فإن أجره لك ووباله على من قاله) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان.

* وعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: (والكلمة الطيبة صدقة) رواه البخاري ومسلم.

* وعن عدي بن حاتم ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: (اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة) رواه البخاري ومسلم .

الرحمة :

قال الإمام النووي رحمه الله :

باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم :

قال الله تعالى: ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ الحج وقال تعالى: ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ الحج . وقال تعالى: ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ الحجر.

وقال تعالى: ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ المائدة .

* وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه: (وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) متفق عليه.

* وعنه قال: قال رسول الله ﷺ من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء. متفق عليه.

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) متفق عليه.

* وعن أبي هريرة ﵁ قال : (قبل النبي ﷺ الحسن ابن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال من لا يرحم لا يرحم) متفق عليه.

* وعن عائشة ﵂ قالت قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا : (أتقبلون صبيانكم فقال نعم قالوا لكنا والله ما نقبل فقال رسول الله ﷺ أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) متفق عليه.

* وعن جرير بن عبد الله ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) متفق عليه.

* وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه) رواه البخاري .

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) متفق عليه.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) رواه الترمذي.

* وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه

المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) رواه مسلم .

النجش أن يزيد في ثمن سلعة.

القوة :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) .

العفو والإعراض عن الجاهلين:

قال الإمام النووي : قال الله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ الأعراف وقال تعالى:﴿ فاصفح الصفح الجميل﴾ الحجر. وقال تعالى: ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ النور. وقال تعالى: ﴿والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ آل عمران. وقال تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ الشورى . والآيات في الباب كثيرة معلومة.

- عن عائشة قالت : (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى) رواه مسلم .
- وعن أنس ﷺ قال : (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء) متفق عليه.
- وعن ابن مسعود ﷺ قال : (كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) متفق عليه.
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: (قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) متفق عليه.

باب احتمال الأذى :

- قال الله تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) آل عمران. وقال تعالى : (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) الشورى.
- وعن أبي هريرة ﷺ : (أن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي ، فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دمت على ذلك) رواه مسلم.

التواضع :

قال ابن القيم في مدارج السالكين :

قال الله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ الفرقان أي: سكينة ووقارا متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين، قال الحسن: علماء حلماء وقال مُحَمَّد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن سفه عليهم حلموا والهون بالفتح في اللغة: الرفق واللين و الهون بالضم : الهوان فالمفتوح منه : صفة أهل الإيمان.

والمضموم صفة أهل الكفران وجزاؤهم من الله النيران وقال تعالى:
﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ المائدة . لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة على تضمينا لمعاني هذه الأفعال فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول كما في الحديث : المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل.
وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق : الكذاب والنمام والبخيل والجبار.
وقوله : أعزة على الكافرين هو من عزة القوة والمنعة والغلبة قال عطاء ﷺ : للمؤمنين كالوالد لولده وعلى الكافرين كالسبع على فريسته.

كما قال في الآية الأخرى : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الفتح وهذا عكس حال من قيل فيهم : كبر علينا وجبنا عن عدوكم لبئست الخلتان : الكبر والجبن.

- وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد).

- وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).
- وفي الصحيحين مرفوعا): ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر).
- وفي حديث احتجاج الجنة والنار : (أن النار قالت : مالي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم) وهو في الصحيح .
- وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : (العزة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني عذبته) .
- وفي جامع الترمذي مرفوعا عن سلمة بن الأكوع ﷺ : (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في ديوان الجبارين فيصيبه ما أصابهم).
- وكان النبي ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت وكان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه الثلاث وكان ﷺ يكون في بيته في خدمة أهله ولم يكن ينتقم لنفسه قط وكان ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة لأهله ويعلف البعير و يأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما ويبدأ من لقيه بالسلام ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر

شيء وكان ﷺ هين المؤنة لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه بساما متواضعا من غير ذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين لين الجانب لهم.

- وقال ﷺ : (ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم عليه النار تحرم على كل قريب هين لين سهل) رواه الترمذي. وقال : حديث حسن.
- وقال : (لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت) رواه البخاري.
- وكان ﷺ يعوض المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف.

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: (يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله). وقيل : (التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب) وهذا مذهب الفضيل وغيره. وقال الجنيد بن مُحَمَّد: (هو خفض الجناح ولين الجانب). وقال أبو يزيد البسطامي: (هو أن لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى في الخلق شرا منه) وقال ابن عطاء : (هو قبول الحق ممن كان والعز في التواضع) وقال إبراهيم بن شيبان : (الشرف في التواضع والعز في

التقوي والحرية في القناعة). ويذكر عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: (أعز الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني). وقال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : (رأيت عمر بن الخطاب ﵁ على عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرها). (وولي أبو هريرة ﵁ إمارة مرة فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره يقول طرقوا للأمير). (وركب زيد بن ثابت مرة فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال: مه يا ابن عم رسول الله فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا ، فقال: أرني يدك فأخرجها إليه فقبلها فقال : هكذا أمرنا نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ) . (وقسم عمر بن الخطاب ﵁ بين الصحابة ﵃ حللا فبعث إلى معاذ حلة مثمنة فباعها واشترى بثمنها ستة أعبد وأعتقهم فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بعد ذلك حلة دونها فعاتبه معاذ فقال عمر: لأنك بعت الأولى، فقال معاذ : وما عليك ادفع لي نصيبي وقد حلفت لأضربن بها رأسك، فقال عمر ﵁ : رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ) . (ومر الحسن بن علي صبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل فأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم

وكساهم وقال : اليد لهم لأنهم لا يجدون شيئا غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه). (ويذكر أن أبا ذر ﷺ عير بلالا ﷺ بسواده ثم ندم فألقى بنفسه فحلف : لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال).

(وقال رجاء بن حيوة قومت ثياب عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو يخطب باثني عشر درهما وكانت قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة) . (ورأى مُحَمَّد بن واسع ابنا له يمشي مشية منكرة فقال : تدري بكم شريت أمك ؟ بثلاثمائة درهم ! وأبوك لا كثر الله في المسلمين مثله أنا . وأنت تمشي هذه المشية .

(وقال حمدون القصار التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا). (وقال إبراهيم بن أدهم : ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات : كنت في سفينة وفيها رجل مضحاك كان يقول : كنا في بلاد الترك فأخذ العلج هكذا وكان يأخذ بشعر رأسي ويهزني لأنه لم يكن في تلك السفينة أحد أحقر مني، والأخرى كنت عليلا في مسجد فدخل المؤذن وقال: اخرج فلم أطق فأخذ برجلي وجرني إلى خارج. والأخرى كنت بالشام وعلي فرو

فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرته ، فسرني ذلك) وقال بعضهم: (رأيت في الطواف رجلا بين يديه شاكرية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل شيئا، فتعجبت منه فقال لي : إني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فابتلاني الله بالذل في موضع يترفع الناس فيه). (وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أن ابنا له اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه عمر: بلغني أنك اشتريت فصا بألف درهم فإذا أتاك كتابي فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن واتخذ خاتما بدرهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه : رحم الله امرءً عرف قدر نفسه) والله اعلم .

أول ذنب عصى الله به أبو الثقلين : الكبر والحرص فكان الكبر:

ذنب إبليس اللعين فآل أمره إلى ما آل إليه. وذنب آدم على نبينا وعليه السلام: كان من الحرص والشهوة. فكان عاقبته التوبة والهداية وذنب إبليس حمله على الاحتجاج بالقدر والإصرار وذنب آدم أوجب له إضافته إلى نفسه والاعتراف به والاستغفار فأهل الكبر والإصرار والاحتجاج بالأقدار : مع شيخهم وقائدهم إلى النار إبليس.

وأهل الشهوة: المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب الذين لا يحتجون عليها بالقدر: مع أبيهم آدم في الجنة. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: التكبر شر من الشرك فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى والمشرك يعبد الله وغيره. قلت: ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين كما قال الله تعالى في سورة الزمر وفي سورة غافر: ﴿فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ وفي سورة النحل: ﴿ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوي المتكبرين ﴾ وفي سورة تنزيل: ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم فقال تعالى ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ غافر. وقال ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). رواه مسلم.

وقال ﷺ: الكبر: (بطر الحق وغمط الناس). وقال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ النساء ، تنبيها على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك. وكما أن من تواضع لله رفعه فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقره.

ومن تكبر عن الانقياد للحق ولو جاءه على يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه فإنما تكبره على الله فإن الله هو الحق وكلامه حق ودينه حق والحق صفته ومنه وله فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله : فإنما رد على الله وتكبر عليه والله أعلم.

تعريف التواضع:

التواضع : أن يتواضع العبد لصولة الحق.

يعني: أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له والذل والانقياد والدخول تحت رقه بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك في مملوكه فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع ولهذا فسر النبي ﷺ الكبر بضده فقال: الكبر بطر الحق وغمط الناس فبطر الحق: رده وجحده والدفع في صدره كدفع الصائل. وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم ومتى احتقرهم وازدراهم : دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها ولما كان لصاحب الحق مقال وصولة: كانت النفوس المتكبرة لا تقر له بالصولة على تلك الصولة التي فيها ولاسيما النفوس المبطلة فتصول على صولة الحق بكبرها وباطلها فكان حقيقة التواضع: خضوع العبد لصولة الحق وانقياده لها فلا يقابلها بصولته عليها.

السمع والطاعة لولاة الأمور الشرعيين في غير معصية:

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ النساء .

*وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) متفق عليه .

* وعنه قال : (كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعتم) متفق عليه.

* وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :(من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) رواه مسلم .

* وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة) رواه البخاري .

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك) . رواه مسلم .

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتن يرقق بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر). رواه مسلم .

* وعن أبي هنيدة وائل بن حجر ﷺ قال : (سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فقال رسول الله ﷺ اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ماحملوا وعليكم ما حملتم) رواه مسلم .

* وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم) متفق عليه.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) متفق عليه.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية) متفق عليه.

- **التحذير من مساوئ الأخلاق:**

وقال أنس بن مالك : (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد).

ونتناول طائفة من مساوئ الأخلاق للتحذير منها ونذكر بعض ما جاء فيها من آثار:

الرياء والسمعة وحب الظهور :

جاء في رياض الصالحين :

قال الله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ البينة وقال تعالى ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ﴾ البقرة . وقال تعالى: ﴿ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ النساء .

*وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

* وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار) رواه مسلم.

*وعن ابن عمر رضي الله عنهما : (أن ناسا قالوا له إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم). رواه البخاري.

* وعن جندب بن عبد الله بن سفيان رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (من سمَّع ، سمَّع الله به ومن يرائي الله يرائي به). متفق عليه. ورواه مسلم أيضا من رواية ابن عباس رضي الله عنهما سمع بتشديد الميم ومعناه أشهر عمله للناس رياء سمع الله به أي فضحه يوم القيامة ومعنى من راءى أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم راءى الله به أي أظهر سريرته على رؤوس الخلائق.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

باب ما يتوهم أنه رياء وليس برياء :

عن أبي ذر ﷺ قال: (قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم .

العجب والغرور:

قال الإمام النووي رحمه الله :

باب تحريم الكبر والإعجاب :

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:83)

وقال تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا ﴾ الإسراء . وقال تعالى : ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ لقمان . ومعنى تصعر خدك للناس أي تميله وتعرض به عن الناس تكبرا عليهم والمرح التبختر. وقال تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ القصص . إلى قوله تعالى : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ الآيات.

*عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال).

الكبر بطر الحق وغمط الناس رواه مسلم بطر الحق دفعه ورده على قائله وغمط الناس احتقارهم.

* وعن سلمة بن الأكوع ﷺ : (أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه إلا الكبر قال فما رفعها إلى فيه) رواه مسلم.

* وعن حارثة بن وهب ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر) متفق عليه.

* وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما علي ملؤها) رواه مسلم.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا) متفق عليه.

* وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر) رواه مسلم. العائل الفقير وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (قال الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذبته) رواه مسلم.

* وعنه أن رسول الله ﷺ قال : (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة متفق عليه مرجل رأسه أي ممشطه يتجلجل بالجيمين أي يغوص وينزل) .

* وعن سلمة بن الأكوع ﵁ قال قال رسول الله ﷺ :

(لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم) رواه الترمذي . وقال حديث حسن يذهب بنفسه أي يرتفع ويتكبر.

البخل :

قال النووي رحمه الله :

باب النهي عن البخل والشح :

قال الله تعالى : ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾ الليل . وقال تعالى: ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ التغابن . وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) رواه مسلم .

الظلم :

جاء في رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ غافر. وقال تعالى : ﴿ وما للظالمين من نصير ﴾ الحج . وأما الأحاديث فمنها :

• عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) رواه مسلم.

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) رواه مسلم.

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا نتحدث عن حجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندري ما حجة الوداع حتى حمد الله رسول الله ﷺ وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته أنذره نوح والنبيون من بعده وإنه إن يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفي عليكم إن ربكم ليس بأعور وإنه أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثلاثا ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه البخاري وروى مسلم بعضه.

• وعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين) متفق عليه.

• وعن أبي موسى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ :

(إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ") .

- وعن معاذ ﵁ قال : (بعثني رسول الله ﷺ فقال إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك و كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) متفق عليه.
- وعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي ﵁ قال : (استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي إلي ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي! أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو

شاة تبعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال اللهم هل بلغت ثلاثا) متفق عليه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) رواه البخاري.
- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه .
- وعنه ﷺ قال : (كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة فمات أصحاب النبي ﷺ فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال النبي ﷺ كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة) رواه مسلم .
- وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ عن رسول الله ﷺ: (أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم كيف قلت قال أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي فقال رسول الله ﷺ نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك) رواه مسلم.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار) متفق عليه.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما) رواه البخاري.

- وعن خولة بنت عامر الأنصارية وهي امرأة حمزة رضي الله عنه قالت : (سمعت رسول الله ﷺ يقول إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة) رواه البخاري.

حب السلطان والإمارة :

عن كعب بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

النهي عن سؤال الإمارة:

قال الله تعالى: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ القصص .

- وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ: (يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك). متفق عليه.
- وعن أبي ذر ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم) .
- رواه مسلم وعنه قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني فضرب بيده على منكبي ثم قال : (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم

القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) رواه مسلم.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة) رواه البخاري.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتاب " السياسة الشرعية" 1 /15:

(الباب الأول الولايات: أما أداء الأمانات ففيه نوعان أحدهما الولايات وهو كان سبب نزول الآية [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] ، وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول إستعمال الأصلح: فإن النبي ﷺ لما فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة من بني شيبة طلبها منه العباس ليجمع له بين سقاية الحاج و سدانة البيت فأنزل الله هذه الآية ، بدفع مفاتيح الكعبة إلى بني شيبة. فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجل وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله). وفي رواية: (من

قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين). رواه الحاكم في صحيحه (..)

وقال عمر بن الخطاب ﵁: (من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين). وهذا واجب عليه فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان والقضاة ومن أمراء الأجناد ومقدمي العساكر الصغار والكبار وولاة الأموال من الوزراء والكتاب والشادين والسعاة على الخراج والصدقات وغير ذلك من الأموال التي للمسلمين وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده وينتهي ذلك إلى أئمة الصلاة والمؤذنين والمقرئين والمعلمين وأمير الحاج والبرد والعيون الذين هم القصاد وخزان الأموال وحراس الحصون والحدادين الذين هم البوابون على الحصون والمدائن ونقباء العساكر الكبار والصغار وعرفاء القبائل والأسواق ورؤساء القرى الذي هم الدهاقين فيجب على كل من ولي شيئا من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب بل ذلك سبب المنع. فإن في الصحيحين عن النبي

ﷺ: (أن قوما دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه). وقال لعبد الرحمن بن سمرة : (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها). أخرجاه في الصحيحين وقال ﷺ: (من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله إليه ملكا يسدده) رواه أهل السنن.

فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة أو صداقة أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب أو لضغن في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾.

ثم قال : ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ **، فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات أو يعطيه مالا يستحقه فيكون قد خان أمانته. وكذلك قد يؤثره زيادة في**

ماله أو حظه بأخذ مالا يستحقه أو محاباة من يداهنه في بعض الولايات فيكون قد خان الله ورسوله وخان أمانته.

ثم إن المؤدي للأمانة مع مخالفة هواه يثبته الله فيحفظه في أهله وماله بعده. والمطيع لهواه يعاقبه الله بنقيض قصده ، فيذل اهله ويذهب ماله. وفي ذلك الحكاية المشهورة أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك فقال: (أدركت عمر بن عبد العزيز فقيل له يا أمير المؤمنين اقفرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتهم فقراء لا شيء لهم وكان في مرض موته ، فقال أدخلوهم علي فأدخلوهم وهم بضعة عشر ذكرا ليس فيهم بالغ فلما رآهم ذرفت عيناه ، ثم قال: " يا بني والله ما منعتكم حقا هو لكم ، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وإنما أنتم أحد رجلين ؛ إما صالح فالله يتولى الصالحين. وإما غير صالح فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله . قوموا عني ". قال فلقد رأيت بعض ولده حمل على مائة فرس في سبيل الله يعني أعطاها لمن يغزو عليها. قلت هذا وقد كان خليفة المسلمين من أقصى المشرق بلاد الترك إلى أقصى الغرب بلاد الأندلس وغيرها ، ومن جزائر قبرص وثغور الشام والعواصم كطرسوس

ونحوها إلى أقصى اليمن وإنما أخذ كل واحد من ألاوده من تركته شيئا يسيرا يقال أقل من عشرين درهما. قال وحضرت بعض الخلفاء وقد اقتسم تركته بنوه فأخذ كل واحد منهم ستمائة ألف دينار، ولقد رأيت بعضهم يتكفف الناس أي يسألهم بكفه. وفي هذا الباب من الحكايات والوقائع المشاهدة في الزمان والمسموعة عما قبله ما فيه عبرة لكل ذي لب. وقد دلت سنة رسول الله ﷺ على أن الولاية أمانة يجب أداؤها في مواضع مثل ما تقدم ومثل قوله لأبي ذر رضي الله عنه في الإمارة: (إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) رواه مسلم.

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (إذا ضعيت الأمانة انتظر الساعة قيل يا رسول الله وما إضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) وقد أجمع المسلمون على معنى هذا فإن وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح فالأصلح كما قال الله تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) ولم يقل إلا بالتي هي حسنة وذلك لأن الوالي راع على الناس بمنزلة راعي الغنم كما قال النبي صلى الله عليه

وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته والعبد راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). أخرجاه في الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة) رواه مسلم . (ودخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان فقال: السلام عليك أيها الأجير فقالوا قل السلام عليك أيها الأمير فقال السلام عليك أيها الأجير. فقالوا قل أيها الأمير، فقال السلام عليك أيها الأجير فقالوا قل الأمير فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول فقال إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها فإن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وفاك سيدها أجرك وإن أنت لم تهنأ جرباها ولم تداو مرضاها ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها) . وهذا ظاهر في الاعتبار فإن الخلق عباد الله والولاة نواب الله على عباده وهم وكلاء العباد على نفوسهم بمنزلة أحد الشريكين مع الآخر ففيهم معنى الولاية والوكالة ثم الولي والوكيل متى

استناب في أموره رجلا وترك من هو أصلح للتجارة أو العقار منه وباع السلعة بثمن وهو يجد من يشتريها بخير من ذلك الثمن فقد خان صاحبه لاسيما إن كان بين من حاباه وبينه مودة أو قرابة فإن صاحبه يبغضه ويذمه ويرى أنه قد خانه وداهن قريبه أو صديقه.

الكذب:

قال الله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ الإسراء. وقال تعالى: ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ ق.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) . متفق عليه
- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) متفق عليه .

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ) . رواه البخاري.

بيان ما يجوز من الكذب :

إعلم أن الكذب وإن كان أصله محرما فيجوز في بعض الأحوال بشروط قد أوضحتها في كتاب الأذكار ومختصر ذلك أن الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا وإن كان واجبا كان الكذب واجبا فإذا اختفي مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وأخفي ماله وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب بإخفائها والأحوط في هذا كله أن يوري ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة إليه وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ وبالنسبة

إلى ما يفهمه المخاطب ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الحال واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم ﵂ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا) متفق عليه. زاد مسلم في رواية قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.)

الغيبة:

قال الإمام النووي رحمه الله :

قال الله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ الحجرات وقال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ الإسراء. وقال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ق .

اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه. لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثير في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء.

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه.
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) متفق عليه.
- وعن معاذ رضي الله عنه قال : (قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) السجدة. ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر و عموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك

بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

- وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) رواه مسلم.

- وعن أبي بكرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم النحر بمنى في حجة الوداع : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت). متفق عليه.

- وعن عائشة ﵂ قالت: (قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته. قالت : وحكيت له إنسانا فقال ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا) . رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . ومعنى مزجته خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها.

وهذا من أبلغ الزواجر عن الغيبة. قال الله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم وعن أنس ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) رواه أبو داود.

- وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

(كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) رواه مسلم.

باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها :

فإن عجز أو لم يقبل منه فارق المجلس إن أمكنه قال تعالى: ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ القصص . وقال تعالى: ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ المؤمنون . وقال تعالى: ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ الإسراء . وقال تعالى: ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ الأنعام.

- وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

بيان ما يباح من الغيبة: اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها:

وهو ستة أسباب:

-الأول **التظلم** : فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان بكذا.

-الثاني **الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب**: فيقول لمن يرجوا قدرته على إزالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

- الثالث **الاستفتاء** : فيقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة ولكن الأحوط

والأفضل أن يقول ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

- الرابع **تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم** : وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك أو مجاورته ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة ومنها إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة وهذا مما يغلط فيه وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويلبس الشيطان عليه ذلك ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك. ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها إما بألا يكون صالحا لها وإما بأن يكون فاسقا أو مغفلا ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح أو يعلم

ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

- الخامس **أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته:** كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلما وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

- السادس **التعريف** : فإذا كان الإنسان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه.

النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد:

قال الله تعالى : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ القلم . وقال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ق.

• وعن حذيفة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة نمام) متفق عليه.

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله) متفق عليه.

قال العلماء معنى وما يعذبان في كبير أي كبير في زعمهما وقيل كبير تركه عليهما.

ذو الوجهين:

قال الله تعالى: ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضي من القول وكان الله بما يعملون محيطا﴾

النساء.

* وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) متفق عليه.

* وعن مُحَّد بن زيد: أن ناسا قالوا لجده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم قال : " كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ" رواه البخاري .

إشاعة الفاحشة وإفساد ذات بين المسلمين :

- عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة قال أبو عيسى هذا حديث صحيح ويروى عن النبي ﷺ أنه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) .
- حدثنا زيد بن يحيى الدمشقي حدثنا أبو معيد حدثنا مكحول عن أنس بن مالك قال (قيل يا رسول الله متى ندع الائتمار بالمعروف والنهي عن المنكر قال إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل إذا كانت الفاحشة في كباركم . والملك في صغاركم. والعلم في رذالكم).

شهادة الزور:

قال الله تعالى: ﴿ واجتنبوا قول الزور﴾ الحج وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ الإسراء وقال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا

لديه رقيب عتيد﴾ ق ، وقال تعالى ﴿ إن ربك لبالمرصاد﴾ الفجر وقال تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ الفرقان وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. متفق عليه.

الفحش والبذاءة :

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

لعن إنسان بعينه أو دابة:

* عن أبي زيد ثابت بن الضحاك الأنصاري ﷺ وهو من أهل بيعة الرضوان قال قال رسول الله ﷺ : (من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة ، وليس على رجل نذر فيما لا يملكه ، ولعن المؤمن كقتله) متفق عليه.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا) رواه مسلم.

* وعن أبي الدرداء ﷺ قال رسول الله ﷺ : (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) رواه مسلم.

* وعن سمرة بن جندب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار) رواه أبو داود والترمذي وقالا حديث حسن صحيح.

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لُعن فإن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلى قائلها) رواه أبو داود.

* وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال : (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة) قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد . رواه مسلم.

سب المسلم بغير حق:

قال الله تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ الأحزاب.

* عن ابن مسعود ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق عليه.

* وعن أبي ذر ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (لا يرمي رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) رواه البخاري.

* وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : (المتسابان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم) رواه مسلم.

* وعنه قال : (أتي النبي ﷺ برجل قد شرب قال اضربوه قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه فلما انصرف

قال بعض القوم : أخزاك الله ، قال لا تقولوا هذا لا تعينوا عليه الشيطان) رواه البخاري.

الإيذاء:

قال الله تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ الأحزاب.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه، ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه.
- وعنه قال قال رسول الله ﷺ: (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتي إليه) رواه مسلم.

الحسد وهو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا:

قال الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ النساء.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب) .رواه أبو داود.

التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه :

قال الله تعالى: ﴿ ولا تجسسوا ﴾ الحجرات . وقال تعالى: ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ الأحزاب.

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا التقوى ههنا – ويشير إلى صدره – بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه ، المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) وفي رواية: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا) وفي رواية: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا)

وفي رواية : (لا تهاجروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض) رواه مسلم بكل هذه الروايات . وروى البخاري أكثرها.

- وعن معاوية ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم) حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح.
- وعن ابن مسعود ﵁: (أنه أُتى برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به).

حديث حسن صحيح رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

سوء الظن بالمسلمين من غير ضرورة:

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ الحجرات.

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) متفق عليه.

احتقار المسلمين :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات:11) .

وقال تعالى: ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ الهمزة .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) رواه مسلم.
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم . ومعنى بطر الحق دفعه وغمطهم احتقارهم.
- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال رجل والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك) رواه مسلم.

إظهار الشماتة بالمسلم:

قال الله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الحجرات. وقال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ النور.

- وعن واثلة بن الأسقع ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

الغش والخداع:

قال الله تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ الأحزاب.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا) رواه مسلم.
- وفي رواية له : (أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا) .

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم : (نهى عن النجش) متفق عليه.

• وعنه قال: (ذكر رجل لرسول الله ﷺ أنه يخدع في البيوع فقال رسول الله ﷺ من بايعت فقل لا خلابة) متفق عليه.

الخلابة بخاء معجمة مكسورة وباء موحدة وهي الخديعة.

الغدر :

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ المائدة وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ الإسراء .

• وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) متفق عليه.

• وعن ابن مسعود وابن عمر وأنس رضي الله عنهم قالوا: قال النبي ﷺ : (لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان) متفق عليه.

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة) رواه مسلم.

• وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفي منه ولم يعطه أجره) رواه البخاري.

المن بالعطية :

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾ البقرة . وقال تعالى: ﴿ الذين ينفقون أمواهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ﴾ البقرة.

* عن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أبو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) رواه مسلم.

الافتخار والبغي :

قال الله تعالى : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ النجم.

وقال تعالى: ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ الشورى .

- عن عياض بن حمار ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد) رواه مسلم . قال أهل اللغة البغي التعدي والاستطالة.
- وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) رواه مسلم. الرواية المشهورة أهلكُهم برفع الكاف وروي بنصبها وهذا النهي لمن قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس وارتفاعا عليهم فهذا هو الحرام ، وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم وقاله تحزنا عليهم وعلى الدين فلا بأس به. هكذا فسره العلماء وفصلوه.

هجران المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة تظاهر بفسق أو نحو ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ الحجرات .

وقال تعالى:﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ المائدة .

• عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) متفق عليه.

• وعن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) متفق عليه.

• وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل امريء لا يشرك بالله شيئا إلا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم .

• وعن جابر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم. التحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم.

• وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار) رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري.

• وعن أبي خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي ويقال السلمي الصحابي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

• وعـن أبي هريـرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: (لا يحـل لمـؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث فإن مرت به ثلاث فليلقه وليسلم عليه فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة) رواه أبو داود بإسناد حسن قال أبو داود إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا في شيء.

الرقائق والزهد وعلاج أمراض القلوب

ذكر الموت وقصر الأمل :

جاء في رياض الصالحين: قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ آل عمران.

وقال تعالى: ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ لقمان.

وقال تعالى: ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ النحل .

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم

من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ المنافقون .

وقال تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون..﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ المؤمنون . وقال تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾الحديد والآيات في الباب كثيرة معلومة.

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) رواه البخاري.

• وعنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) متفق عليه. هذا لفظ البخاري وفي رواية لمسلم يبيت ثلاث ليال قال ابن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي) .

• وعن ابن مسعود ﵁ قال : (خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال هذا الإنسان وهذا أجله محيطا به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا) رواه البخاري .

• عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : (بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

• وعنه قال رسول الله ﷺ : (أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ذكر القيامة والحشر والجنة والنار:

جاء في كتاب الترغيب والترهيب ، للإمام المنذري رحمه الله تعالى:

• عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحابه فقالوا فكيف نفعل يا رسول الله أو نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله) رواه الترمذي ابن حبان و أحمد .

• وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس فلا تزال ترتفع في السماء وتنتشر حتى تملأ السماء ثم ينادي مناد يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه وإن الرجل ليمدر حوضه فلا يسقي منه شيئا أبدا والرجل يحلب ناقته فلا يشربه أبدا) رواه الطبراني بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك وفي رواية من أن ينظر بعضهم إلى بعض) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.

• وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بؤلس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال). رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن.

• وعن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم بن عامر والله ما أدري ما يعني بالميل مسافة الأرض أو الميل التي تكحل به العين قال فتكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه) رواه مسلم.

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يوما كان مقداره خمسين ألف سنة فقيل ما أطول هذا اليوم قال النبي صلى الله

عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان.

• وعن عبد الله بن عمرو ﵁ عن النبي ﷺ قال: (تجتمعون يوم القيامة فيقال أين فقراء هذه الأمة ومساكينها فيقومون فيقال لهم ماذا عملتم فيقولون ربنا ابتليتنا فصبرنا ووليت الأموال والسلطان غيرنا فيقول الله عز وجل صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل الناس وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان قالوا فأين المؤمنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه.

• عن أبي بردة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

• وعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: (من نوقش الحساب عذب فقلت أليس يقول الله فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا الانشقاق فقال إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) رواه البخاري ومسلم.

• عن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول: (قال رسول الله ﷺ: (سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحدا الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) رواه البخاري.

• وعن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا) رواه أحمد.

• وعن عبد الله بن أنيس ﵁ أنه سمع النبي ﷺ يقول: (يحشر الله العباد يوم القيامة أو قال الناس عراة غرلا بهما ، قال قلنا وما بهما قال: ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الديان أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف وإننا نأتي عراة غرلا بهما قال الحسنات والسيئات) رواه أحمد بإسناد حسن.

• وعن أبي أمامة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظُلموا يقصون من الذين ظَلموا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات فإن لم يكن لهم

حسنات رد عليهم من سيئاتهم حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار) رواه الطبراني.

- وتقدم في الغيبة حديث عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم وغيره .

- وعن أنس بن مالك ﷺ قال : (بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم) فذكر الحديث رواه الحاكم وقال صحيح.

- وعنه ﷺ عن النبي ﷺ في قوله: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) الإسراء قال: (يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ قال:

فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم بارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله مسودا وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابه فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه.

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب فقال يزيد بن الأخنس والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصهب في الذباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا و زادني ثلاث حثيات قال فما سعة حوضك يا نبي الله قال كما بين عدن إلى عمان وأوسع وأوسع ، يشير بيده قال فيه مثعبان من ذهب وفضة قال فماء حوضك يا نبي الله قال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه). رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح وابن حبان في صحيحه.

- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حوضي كما بين عدن وعمان فيه أكاويب عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا وإن من يرده علي من أمتي الشعثة رؤوسهم الدنسة

ثيابهم لا ينكحون المنعمات ولا يحضرون السدد يعني أبواب السلاطين) رواه الطبراني وإسناده حسن.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت إلى أين قال إلى النار والله فقلت ما شأنهم فقال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم هلم قلت إلى أين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) رواه البخاري.

- وعن أنس ﷺ قال حدثني رسول الله ﷺ قال: (إني لقائم أنتظر أمتي تعبر إذ جاء عيسى عليه السلام قال فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك يدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه فالخلق ملجمون في العرق فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيتغشاه الموت قال ياعيسى انتظر حتى أرجع إليك قال وذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع قال فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنسانا واحدا قال فما زلت أتردد على ربي فلا أقوم فيه مقاما إلا شفعت

حتى أعطاني الله من ذلك أن قال أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك) رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.

- وروي عن كليب بن حزن ﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم فإن الجنة لا ينام طالبها وإن النار لا ينام هاربها وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة) رواه الطبراني.

- وعن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رأيت يا رسول الله قال رأيت الجنة والنار) رواه مسلم وأبو يعلى.

- وروي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : (أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم وهم يضحكون فقال تضحكون وذكر الجنة والنار بين أظهركم قال فما رئي أحد منهم ضاحكا حتى مات قال ونزلت فيهم : " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ". الحجر) رواه البزار وليس في إسناده من ترك ولا اتهم.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه خطب فقال: (لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم إلى الصعيد ولحثيتم على رؤوسكم التراب) رواه أبو يعلى.
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) رواه مسلم والترمذي.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية قال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) رواه البخاري.
- وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين) رواه البيهقي بإسناد حسن.
- وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال أعد

للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء الجورة) رواه ابن ماجه واللفظ له والترمذي.

• عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة) رواه أحمد والطبراني والحاكم.

• وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان) رواه الترمذي والبيهقي. إلا أنه قال: (فيخلص فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه) روياه من طريق أبي السمح. وهو دراج عن ابن حجيرة وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح.

الحميم هو المذكور في القرآن في قوله تعالى: (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) محمد . وروي عن ابن عباس وغيره أن الحميم الحار الذي يحرق . وقال الضحاك الحميم يغلي منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم يسقونه ، ويصب على رؤوسهم ، وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيسقونه ، وقيل غير ذلك. وفي قوله

تعالى: (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) إبراهيم. قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره. قال الله عز وجل: ﴿ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ﴾ ويقول: ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب ﴾ الكهف .

- وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: (لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا) رواه الترمذي.
- وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك من شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط) رواه مسلم.
- وعن سويد بن غفلة ﷺ قال : (إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل للرجل منهم صندوقا على قدره من نار لا ينبض منه عرق إلا فيه مسمار من نار ثم تضرم فيه النار ثم يقفل بقفل من نار ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل بقفل من نار ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما

نار ثم يقفل ثم يلقى أو يطرح في النار فذلك قوله : " من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون " الزمر. وذلك قوله لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون الأنبياء قال فما يرى أن في النار أحدا غيره) رواه البيهقي بإسناد حسن موقوفا.

ذكر الجنة :

- وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك و مجامرهم الألوة أزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء)

وفي رواية (...) لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا) رواه البخاري ومسلم واللفظ لهما والترمذي وابن ماجه.

- وعن المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبي ﷺ : (أن موسى عليه السلام سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة فقال رجل يجيء بعد ما دخل أهل

الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر) رواه مسلم.

- عن علي رضي الله عنه : [أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا..) مريم ... قال: قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب قال النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم بنضرة النعيم وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبدا فيضربون الحلقة بالصفيحة ، فلو سمعت طنين الحلقة يا علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجدا مما يرى من النور والبهاء ، فيقول أنا قيمك الذي وكلت بأمرك فيتبعه

فيقفو أثره فيأتي زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبدا وأنا الناعمة فلا أبأس أبدا وأنا الخالدة فلا أظعن أبدا ، فيدخل بيتا من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق خضر وطرائق صفر ما منها طريقة تشاكل صاحبتها فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشا على كل فراش سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضي جماعهن في مقدار ليلة تجري من تحتهم أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاؤوا ثم تطير فتذهب وفيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاؤوا إن شاء قائما وإن شاء متكئا وذلك قوله "وجنى الجنتين دان "الرحمن وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة عن الحارث وهو الأعور عن علي مرفوعا هكذا. ورواه ابن أبي الدنيا أيضا والبيهقي وغيرهما عن عاصم بن ضمرة عن علي موقوفا عليه بنحوه وهو أصح وأشهر.

• ولفظ ابن أبي الدنيا : (قال يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم بنضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم تغيرا بعدها أبدا ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الزمر قال ثم تلقاهم أو يلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته فيقولون أبشر بما أعد الله لك من الكرامة قال ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو ذا بإثري فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أي شيء أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق لولا أن الله قدر له الألم أن يذهب ببصره ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة الغاشية فنظروا إلى تلك النعمة ثم اتكئوا وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف الآية ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون أراه قال فلا تمرضون أبدا) .

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). رواه البخاري ومسلم.
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) رواه البخاري.
- وعن أبي هريرة ﷺ قال : (قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال : (لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه) رواه أحمد وغيرهما.
- وعن كريب أنه سمع أسامة بن زيد ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ : (ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا حظر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية ، قالوا : نعم يا رسول الله نحن

المشمرون لها ، قال: قولوا إن شاء الله، فقال القوم: إن شاء الله) رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والبزار وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

• عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

• وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا دفرات ولا سخرات ولا طماحات حور عين كأنهن بيض مكنون) رواه ابن أبي الدنيا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (حور مقصورات في الخيام الرحم قال الخيمة من درة مجوفة طولها فرسخ ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل رواه ابن أبي الدنيا موقوفا وفي رواية له وللبيهقي الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب) وإسناد هذه أصح.

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على

الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

• عن أنس بن مالك ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها إن شئتم فاقرؤوا : "وظل ممدود وماء مسكوب " الواقعة. رواه البخاري والترمذي.

• وعن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤوا إن شئتم وظل ممدود الواقعة وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤوا إن شئتم : " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز" آل عمران) . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وروى البخاري ومسلم بعضه.

وعن جرير بن عبد الله ﵁ قال : (نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه قال فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله قال فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان ﵁ فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لا أدري قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين إصبعيه فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا أبا عبد الله

فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاه التمر). رواه البيهقي بإسناد حسن.

* وعن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله : " وذللت قطوفها تذليلا " الإنسان. قال إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين). رواه البيهقي وغيره موقوفا بإسناد حسن.

- وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد و لؤلؤ فتهب لها ريح فتصطفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه) رواه أبو نعيم في صفة الجنة.
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نخل الجنة جذوعها من زمرد خضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم) رواه ابن أبي الدنيا موقوفا بإسناد جيد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت

ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) رواه البخاري ومسلم.

- وروي عن أنس بن مالك ﷺ قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (حدثني جبريل عليه السلام قال يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة قال رسول الله ﷺ فبأي بنان تعاطيه لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها فبينا هو متكيء معها على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه فيظن أن الله عز وجل قد أشرف على خلقه فإذا حوراء تناديه يا ولي الله أما لنا فيك من دولة فيقول من أنت يا هذه فتقول أنا من اللواتي قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولدينا مزيد ﴾ ق . فيتحول عندها فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى فبينا هو متكيء معها على أريكته وإذا حوراء أخرى تناديه يا ولي الله أما لنا فيك من دولة فيقول من أنت يا هذه فتقول أنا من اللواتي قال الله عز وجل : " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون " السجدة فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة) . رواه الطبراني في الأوسط .

• وروي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها قالت : (قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ حور عين ﴾ الواقعة قال: حور بيض عين ضخام شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر، قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل كأنهن الياقوت والمرجان الرحمن، قال: صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل فيهن خيرات حسان الرحمن ، قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ الصافات قال: رقتهن كرقة الجلد الذي في داخل البيضة مما يلي القشر، قلت: يا رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل ﴿ عربا أترابا﴾ الواقعة قال هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذراى عربا متعشقات متحببات أترابا على ميلاد واحد ، قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، قلت: يا رسول الله وبم ذاك؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله عز وجل وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا ألا نحن الناعمات فلا نبأس أبدا ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط

أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا ، قلت يا رسول الله : المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها منهم ؟ قال يا أم سلمة: إنها تخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة). رواه الطبراني في الكبير والأوسط وهذا لفظه .

- وعن أبي هريرة ﷺ قال إن في الجنة نهرا طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها قلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء، قال: إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل. رواه البيهقي موقوفا ، فصل في سوق الجنة.

- عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوهم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فتقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا) رواه مسلم.

- وعن سعيد بن المسيب : (أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، قال سعيد: أو فيها سوق ؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ قال إن أهل الجنة إذا دخلوها

نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنيء على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال: نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا قال : كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم عز وجل ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى إنه ليقول للرجل منكم ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا يذكره بعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل

عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها قال: ثم نصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا) رواه الترمذي وابن ماجه.

- وروي عن علي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ : (يقول إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد البصر فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ، قال: فيقال لهم كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون) رواه ابن أبي الدنيا.

- وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قول الله عز وجل : ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ الأعراف.) رواه مسلم والترمذي.

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي به مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي مناد يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ مريم . وأشار بيده إلى الدنيا) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي .

المراقبة والمحاسبة :

قال ابن القيم رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ البقرة . وقال تعالى: ﴿ وكان الله على كل شيء رقيبا ﴾ الأحزاب. وقال تعالى: ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ الحديد . وقال تعالى: ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ العلق . وقال تعالى: ﴿ فإنك بأعيننا ﴾ الطور. وقال تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ غافر. إلى غير ذلك من الآيات.

* وفي حديث جبريل عليه السلام: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال له: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين ، هي المراقبة ، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين. والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات فكيف بحال المريدين، فكيف بحال العارفين. قال الجريري: (من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة ، لم يصل إلى الكشف والمشاهدة). وقيل: (من راقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه). (وقيل لبعضهم: متى يهش الراعي غنمه بعصاه عن مراتع الهلكة فقال: إذا علم أن عليه رقيبا). وقال الجنيد: (من تحقق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير). وقال ذو النون: (علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله).

وقيل: (الرجاء يحرك إلى الطاعة والخوف يبعد عن المعاصي والمراقبة تؤديك إلى طريق الحقائق) ، وقيل: (المراقبة مراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل خطرة وخطوة) وقال الجريري: (أمرنا هذا مبني على فصلين: أن تلزم نفسك المراقبة لله وأن يكون العلم على ظاهرك قائما). وقال إبراهيم الخواص: (المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل). وقيل: (أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريق : المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم). وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: (إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك). وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر ؛ سبب لحفظها في حركات الظواهر. فمن راقب الله في سره ، حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته. والمراقبة هي التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير. فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة والله أعلم. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحا فاتهمه فإن الرب تعالى شكور يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة

عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول والقصد: أن السرور بالله وقربه وقرة العين به تبعث على الازدياد من طاعته وتحث على الجد في السير).

قال الإمام الغزالي في كتاب المراقبة والمحاسبة من كتابه إحياء علوم الدين (ما ننقل منه باختصار):

(قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ وقال تعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ وقال تعالى: ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ وقال تعالى : ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ وقال تعالى : ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾. وقال تعالى: ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه﴾

وقال تعالى: ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾.

فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ فرابطوا أنفسهم أولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق:

المقام الاول من المرابطة : المشارطة:

اعلم أن مطالب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطالبة وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى: ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا ، فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويحزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة ، فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها ، فإن هذه تجارة ربحها الفردوس

الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى (..) فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها ، فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطه النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلى وأنعم علي به، ولو توفاني لكنت

أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثم قد رددت ، فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها (..) فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة ، فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار ، وقد قال بعضهم هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تعالى : ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة ، وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة ، وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن

الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام، ثم إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للإقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها عضوا عضوا لاسيما اللسان والبطن، أما اللسان فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على الأعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول النهار إلا في الذكر ، فنطق المؤمن ذكر ونظره وعبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته

بشهواتها ، هكذا يشرط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها ، وهذه شروط يفتقر إليها في كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وإن أطاعت في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقى ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها ، فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل.

والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير، قال الله تعالى: ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة ، فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل. وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه: (إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانته عنه) .. وقال بعض الحكماء: (إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة). وقال لقمان: (إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة) وروى شداد بن أوس عنه ﷺ أنه قال: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) ، دان نفسه أي حاسبها ، ويوم الدين يوم الحساب. وقوله أئنا لمدينون أي لمحاسبون. وقال عمر رضي الله عنه:

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر) ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: (حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة) وقال لكعب: كيف تجدها في كتاب الله؟ قال: ويل لديان الأرض من ديان السماء. فعلاه بالدرة وقال: إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه. وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها.

المرابطة الثانية : المراقبة: إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظاتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها ، أما الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال : (أن تعبد الله كأنك تراه) حديث متفق عليه. وقال عليه السلام: (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك). وقد قال تعالى: ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ وقال تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ إن الله كان عليكم

رقيبا﴾ وقال تعالى: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾. وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره ، فقال :كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل. وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالى بغيره. وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم. وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات. وقال الجريري: أمرنا هذا مبنى على أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما. وقال أبو عثمان : قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك (..) وقال رجل للجنيد بم أستعين على غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه. وقال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل (..) وقال مُحَمَّد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك وأجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمة عنك وأجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه وأجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. وقال سهل لم يتزين القلب

بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهدة حيث كان. وسئل بعضهم عن قوله تعالى: (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده. وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال: بخمس ؛ استقامة ليس فيها روغان ، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية ، وانتظار الموت بالتأهب له ، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب (..) وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني ، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت. وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. وقال فرقد السنجي: إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى. وقال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر ابن الخطاب ﷺ إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له: يا راعى بعني شاة من هذه الغنم ، فقال: إني مملوك فقال: قل لسيدك أكلها الذئب، قال: فأين الله؟ قال: فبكى عمر

ﷺ ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه ، وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها: أعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب ، وانصراف الهم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال أنه يراقب فلانا ويراعى جانبه. ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه. وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت ، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك. فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعنى أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته. فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه. والموقنون بهذه المعرفة هم

المقربون، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين:

الدرجة الأولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب ، أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم (..).

الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين إطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت

إلى الأحوال والأعمال إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة (..) ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل. أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه ، وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه (..) وقال الحسن: كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه. وقال الحسن: رحم الله تعالى عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر (..) وقال مُحَّد بن علي: إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه

المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقة بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوة إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر، هيهات ! بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم ، لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقى ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه، فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران. فحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به ، فإن الخطوة الأولى في الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي أن تحسم

مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ما وراءه يتبعه. ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى.

فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد، فقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ، لا تسأل عني عالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي، فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشرة والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى ، فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا فلتكن همه المريد أولا في إحكام العلم أو في طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة ، (..) فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله ﷺ إذ قال: (فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك) وكل من خاض في شبهه بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى:

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾. وقوله عليه السلام : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) ، وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمة كان دعاء الصديق رضي الله تعالى عنه: اللهم أرني الحق حقا وارزقني إتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها على فأتبع الهوى. وقال عيسى عليه السلام: الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه. (..) فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده: ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ وأراد به العلم ، وقال تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾. وقال تعالى: ﴿ إن علينا للهدى ﴾ وقال: ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ وقال: ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾.

وقال على كرم الله وجهه: (الهوى شريك العمى ، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، ونعم طارد الهم اليقين ، وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة ، رب بعيد أقرب من قريب ، وغريب من لم

يكن له حبيب ، والصديق من صدق غيبه ، ولا يعدمك من حبيب سوء ظن ، نعم الخلق التكرم ، والحياء سبب إلى كل جميل ، وأوثق العرا التقوى ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك وإن كنت جازعا على ما أصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك ، واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه ، والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا، وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك على ما خلفت ، وشغلك لآخرتك ، وهمك فيما بعد الموت).

وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فإذن النظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى. وقد قال ﷺ: (ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه: لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يرائي بشيء من عمله ، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا) ... وأكثر ما

ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه، لقوله ﷺ : (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه).

النظر الثاني للمرقبة عند الشروع في العمل ، وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ، ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه. وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون ، فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب. فإن كان قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ : (خير المجالس ما استقبل به القبلة).. ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك ، وملك الملوك مطلع عليه. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول: هكذا تجالس الملوك ، فلم أجلس بعد ذلك متربعا. وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعها. فكل ذلك داخل في المراقبة ، بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة. فإذن لا يخلو العبد أما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح. فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال، ومراعاة

الأدب وحراستها عن الآفات. وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر. وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها. ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها. وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه ، إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته. ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة ، فإذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون. والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى : ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة. فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة أو رفاهية ، وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا

يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها ، وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه ، فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها ، بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة ، وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام : (لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلاث ؛ تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم) (..) وما روي عنه أيضا في معناه (وعلى العاقل أن تكون له أربعة ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب) ... فإن في هذه الساعة عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من

أعمال الجوارح ، والناس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب ، وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه ، وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا.

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله ، فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون

أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى ، وأن من ذم شيئا من خلق الله بغير إذن فقد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر).

المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل ، ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها ، أما الفضيلة فقد قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال (..) وقال تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه. وقد قال ﷺ : (إني لاستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة) .. قال تعالى: ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدره إذا جنه الليل ويقول لنفسه : ماذا عملت اليوم. وعن ميمون ابن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه. والشريكان يتحاسبان بعد العمل. وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت: ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ، ثم قال

لها :كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال. فقال: لا أحد أعز علي من عمر، فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها. وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته ... وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له: يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال: أردت أن أجرب نفسي هل تنكره . وقال الحسن : المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبه. ثم فسر المحاسبة فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك. وهذا حساب قبل العمل، ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله . وقال أنس بن مالك : (سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك) وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿

ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ قال لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ؟ ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟ والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه. وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا. وقال ميمون بن مهران: التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح. وقال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي : يا نفس أي شيء تريدين؟ فقالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي. وقال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب وهو يقول: رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره ، رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به ، رحم الله امرأ نظر في مكياله ، رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حتى أبكاني. وحكى صاحب للأحنف ابن قيس قال : كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجئ إلى المصباح

فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا.

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل: إعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ، ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك. ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الأمارة بالسوء

فيحاسبها على الفرائض أولا ، فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط ، كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت ؟ وعن سكونه لم سكن؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر، أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه (..) .

وعن وهب بن منبه : أن رجلا تعبد زمانا ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يعطها ، فرجع إلى نفسه وقال: منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك ، فنزل إليه ملك وقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك.

وقال عبد الله بن قيس: كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول أي نفسي ألم أشهد مشهد كذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك فقلت لأرمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ثم أن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذاك دأبه حتى رأيته صريعا ، فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة (..) وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه

ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا وأنكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه ، فنتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير ورأى مُحَمَّد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح ، فقال له : لو أكلته بملح، فقال: أن نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة ولا ذاق دواد ملحا ما دام في الدنيا فكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم ، والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدو لك وأشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت إن العيش عيش الآخرة وإن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها.

المرابطة الخامسة : المجاهدة :

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من

الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤديها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى، فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم ، وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة، وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين ، وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ما شيا أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطه للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها ، فإن قلت إن كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها؟ فأقول: سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين (..) ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به. وكان بعضهم يقول كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال مُحَّد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعا. إلا أن هذا العلاج قد تعذر، إذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع

أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد ، وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تعالى من ذلك. ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما حرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم (..) قال الحسن: أجهدتهم العبادة قال الله تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله. وقال رسول الله ﷺ : (طوبي لمن طال عمره وحسن عمله) .. ويروى أن الله تعالى يقول لملائكته: (ما بال عبادي مجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبادي لكانوا اشد اجتهادا) وقال الحسن : (أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطئونه بأرجلكم أن كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ، ولا جعل بينه وبين

الأرض شيئا قط ، وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم. إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة). ويحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له: يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض ، فقال: سألتك بالله إلا صدقتني ، فقال: يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة ، وصغر عندي زهرتها وحلاوتها ، واستوى عند ذهبها وحجرها ، وكأني أنظر إلى عرش ربى والناس يساقون إلى الجنة والنار ، فأظمأت لذلك نهاري أسهرت ليلي ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه. وقال أبو نعيم : كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. ودخل رجل عليه يوما فقال: إن في سقف بيتك جذعا مكسورا ، فقال: يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى

السقف. وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام . وقال مُحَّد بن عبد العزيز: جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنه ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة. وقالت امرأة مسروق: ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة . وقالت: والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له. وقال أبو الدرداء: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا: الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر. وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد. وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له : إن الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا : فقال إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به . وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثم قال: عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك ، عجبت

للخليقة كيف أنست بسواك ، بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك. وكان ثابت البناني قد حببت إليه الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري. وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعا إلا في علة الموت (..) وعن أبي مُحَمَّد المغازلى قال جاور أبو مُحَمَّد الجريرى بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه ، فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له: يا أبا مُحَمَّد بم قدرت على اعتكافك هذا ؟ فقال : علم صدق باطني فأعانني على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا. (..) وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال: إني إذن لفارغ . وكان أويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة ، وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة. وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه: لو رفقت بنفسك ، قال: الرفق أطلب دعيني أتعب قليلا وأتنعم طويلا. وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا . وكان سفيان الثوري يقول: عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى. وقال عبد الله بن داود : كان أحدهم إذا

بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل. وكان كهمس بن الحسن يصلى كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكى ويقول ذهب نصف عملي (..) ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: صليت خلف علي رضي الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال : (والله لقد رأيت أصحاب مُحَمَّد ﷺ وما أرى اليوم شيئا يشبههم ، كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، وكأن القوم باتوا غافلين – يعنى من كان حوله –) وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتى ، وكان يقول أيظن أصحاب مُحَمَّد ﷺ أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا . وكان صفوان بن

سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضر به البرد وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي. وقال القاسم بن مُحَمَّد غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلي صلاة الضحى وهي تقرأ : ﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ وتبكي وتدعو وتردد الآية. فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هى تردد الآية وتبكي وتدعو. وقال مُحَمَّد بن إسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن ابن الأسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء. وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين، وقيل للحسن: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها؟ فقال : لأنهم خلوا

بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وكان عامر بن عبد القيس يقول إلهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجرى مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه ثم قلت لي استمسك، إلهي كيف أستمسك إن لم تمسكني ، إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح (..) وعن القاسم بن راشد الشيباني قال:كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع من ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعض الحكماء : (إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا) . وهذه

طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء. (..) فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك على سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر.

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها:

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها ، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية قال: تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولا بوعظ نفسك ، أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ

نفسك فإن اتعظت فعظ الناس إلا فاستحي مني ، وقال تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق (...)

فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضيا والسلام والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا مُحَّمد وآله وصحبه وسلامه).

الخوف من الله تعالى :

قال النووي – رحمه الله – في رياض الصالحين :

قال الله تعالى: ﴿ وإياي فارهبون﴾ البقرة. وقال تعالى:﴿ إن بطش ربك لشديد﴾ البروج . وقال تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي

وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ هود.
وقال تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ آل عمران . وقال تعالى: ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ عبس . وقال تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ الحج . وقال تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ الرحمن . وقال تعالى: ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾. الطور. والآيات في الباب كثيرة جدا معلومات والغرض الإشارة إلى بعضها وقد حصل.

وأما الأحاديث فكثيرة جدا فنذكر منها طرفا وبالله التوفيق:

- عن ابن مسعود ﵁ قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ

فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها). متفق عليه .

- وعنه قال قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) رواه مسلم.
- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا). متفق عليه.

وننقل (باختصار) بعض ما جاء في الباب مما قاله ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين:

منزلة الخوف:

وهى من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب. وهي فرض على كل أحد. قال الله تعالى: ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

وقال تعالى: ﴿ فإياي فارهبون ﴾ آل عمران. وقال: ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون﴾ المائدة. ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال: ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ المؤمنون ، وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : [قلت يا رسول الله قول الله ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ المؤمنون . أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق قال: لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه]. قال الحسن : " عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم ، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا ". والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة قال أبو القاسم الجنيد: (الخوف توقع العقوبة على مجارى الأنفاس) وقيل : (الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف) وقيل : (الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام) وهذا سبب الخوف لا أنه نفسه وقيل: (الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره) والخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله قال الله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فاطر. فهي خوف مقرون بمعرفة. وقال النبي ﷺ : (إني أتقاكم لله وأشدكم له

خشية) فالخوف حركة ، والخشية انجماع وانقباض وسكون . فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك : له حالتان إحداهما : حركة للهرب منه وهي حالة الخوف. والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية. وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه. وبين الرهب والهرب تناسب في اللفظ والمعنى يجمعهما الاشتقاق الأوسط الذي هو عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع وأما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته. وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة. والإجلال: تعظيم مقرون بالحب. فالخوف لعامة المؤمنين ، والخشية للعلماء العارفين ، والهيبة للمحبين ، والإجلال للمقربين ، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال النبي ﷺ : (إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) وفي رواية خوفا. وقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى) فصاحب الخوف يلتجىء إلى الهرب والإمساك ، وصاحب الخشية: يلتجىء إلى الاعتصام بالعلم ومثلهما مثل من لا علم له

بالطب ، ومثل الطبيب الحاذق فالأول يلتجيء إلى الحمية والهرب والطبيب يلتجيء إلى معرفته بالأدوية والأدواء. قال أبو حفص : (الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه) وقال: (الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر) وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل فإنك إذ خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه). قال أبو سليمان: (ما فارق الخوف قلبا إلا خرب) وقال إبراهيم بن سفيان: (إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق) وقال حاتم الأصم: (لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أصلح الجنة ولقي فيها آدم ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعورا لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم ، ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي ﷺ ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون) ، والخوف ليس مقصودا لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والخوف يتعلق بالأفعال والمحبة تتعلق بالذات والصفات ، ولهذا

تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم ولا يلحقهم فيها خوف ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه ، والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط ، قال أبو عثمان: (صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله وقال صاحب المنازل: الخوف: هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر) يعني الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد.

الرجاء:

قال ابن القيم رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾(الإسراء 57). فابتغاء الوسيلة إليه : طلب القرب منه بالعبودية والمحبة . فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه : الحب والخوف والرجاء قال تعالى: ﴿ من

كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت ﴾ (العنكبوت 5). وقال: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف 110) . وقال تعالى: ﴿ أولئك الذين يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ (البقرة 218).

* وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله يقول قبل موته بثلاث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه). وفي الصحيح عنه: (يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء).

الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير وقيل هو الإستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى. والفرق بينه وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد. والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. فالأول كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع. ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

قال شاه الكرماني: (علامة صحة الرجاء حسن الطاعة). والرجاء ثلاثة أنواع ؛ نوعان محمودان ، ونوع غرور مذموم. فالأولان رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه ، ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه. والثالث رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

وللسالك نظران ؛ نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف. ونظر إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره يفتح عليه باب الرجاء. ولهذا قيل في حد الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله . وقال أبو علي الروذباري: (الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت). وسئل أحمد بن عاصم: (ما علامة الرجاء في العبد فقال أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة وتمام عفوه عنه في الآخرة). واختلفوا أي الرجائين أكمل رجاء المحسن ثواب إحسانه أو رجاء المسيء التائب مغفرة ربه وعفوه. فطائفة رجحت رجاء المحسن

لقوة أسباب الرجاء معه ، وطائفة رجحت رجاء المذنب لأن رجاءه مجرد عن علة رؤية العمل مقرون بذلة رؤية الذنب. قال يحي بن معاذ: (يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أصفيها وأحرزها وأنا بالآفات معروف ، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف). وقال أيضا: (إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك وأعذب الكلام على لساني ثناؤك وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك).

التوبة:

قال النووي في رياض الصالحين:

قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب. فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط ؛ أحدها أن يقلع عن المعصية ، والثاني أن يندم على فعلها ، والثالث أن يعزم ألا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة ؛ هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبة استحله منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقي .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة قال الله تعالى: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ النور. وقال تعالى: ﴿ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ هود. وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ التحريم.

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخاري.
- وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة) رواه مسلم.

• وعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) متفق عليه. وفي رواية لمسلم : (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد آيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) .

• وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم.

• وعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) رواه مسلم.

• وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) رواه الترمذي.

جاء في مدارج السالكين ما ننقل منه باختصار:

ونذكر نبذا تتعلق بأحكام التوبة تشتد الحاجة إليها ولا يليق بالعبد جهلها منها:

أن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور ولا يجوز تأخيرها فمتى أخرها عصى بالتأخير فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى وهي توبته من تأخير التوبة وقل أن تخطر هذه ببال التائب بل عنده: أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شيء آخر وقد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة.

ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكنا من العلم فإنه عاص بترك العلم والعمل فالمعصية في حقه أشد.

وفي صحيح ابن حبان: أن النبي ﷺ قال: (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، فقال أبو بكر فكيف الخلاص منه يا رسول الله قال: أن تقول: " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ") فهذا طلب الاستغفار مما يعلمه الله أنه

ذنب ولا يعلمه العبد. وفي الصحيح عنه ﷺ: أنه كان يدعو في صلاته: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله إلا أنت). وفي الحديث الآخر: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله خطأه وعمده سره وعلانيته أوله وآخره. فهذا التعميم وهذا الشمول لتأتي التوبة على ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه.

وهذا يتبين بذكر التوبة النصوح وحقيقتها قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ التحريم. فجعل وقاية شر السيئات وهو تكفيرها بزوال ما يكره العبد ودخول الجنات وهو حصول ما يحب العبد منوطا بحصول التوبة النصوح. والنصوح على وزن فعول. المعدول به عن فاعل قصدا للمبالغة كالشكور والصبور، وأصل مادة نصوح لخلاص الشيء من الغش والشوائب الغريبة، وهو ملاق في الاشتقاق الأكبر لنصح إذا خلص. فالنصح في

التوبة والعبادة والمشورة: تخليصها من كل غش ونقص وفساد وإيقاعها على أكمل الوجوه والنصح ضد الغش وقد اختلفت عبارات السلف عنها ومرجعها إلى شيء واحد فقال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما:

(التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع) وقال الحسن البصري : (هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه وقال الكلبي : أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن) .

الورع :

قال ابن القيم رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾ (المؤمنون 51)، وقال تعالى: ﴿ وثيابك فطهر﴾ (المدثر 4). قال قتادة ومجاهد نفسك فطهر من الذنب فكنى عن النفس بالثوب. وهذا قول إبراهيم النخعي والضحاك والشعبي والزهري

والمحققين من أهل التفسير قال ابن عباس: لا تلبسها على معصية ولا غدر ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ، وتقول للغادر والفاجر؛ دنس الثياب. وقال أبي بن كعب: لا تلبسها على الغدر والظلم والإثم ولكن ألبسها وأنت بر طاهر. وقال الضحاك: عملك فأصلح (..) والمقصود أن الورع يطهر دنس القلب ونجاسته كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته. وقد جمع النبي الورع كله في كلمة واحدة فقال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة فهذه الكلمة كافية شافية في الورع.

قال إبراهيم بن أدهم: (الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات). وفي الترمذي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس). قال الشبلي: (الورع أن يتورع عن كل ما سوى الله)، وقال إسحاق بن

خلف: (الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنهما يبذلان في طلب الرياسة). وقال أبو سليمان الداراني: (الورع أول الزهد كما أن القناعة أول الرضى). وقال يحي بن معاذ: (الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل). وقال: (الورع على وجهين ورع في الظاهر وورع في الباطن فورع الظاهر أن لا يتحرك إلا لله وورع الباطن هو أن لا يدخل قلبك سواه) وقال: (من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء). وقيل: (الورع الخروج من الشهوات وترك السيئات). وقيل: (من دق في الدنيا ورعه أو نظره جل في القيامة خطره). وقال يونس بن عبيد: (الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة عين). وقال سفيان الثوري: (ما رأيت أسهل من الورع ما حاك في نفسك فاتركه). وقال سهل: (الحلال هو الذي لا يعصي الله فيه والصافي منه الذي لا ينسى الله فيه). وسأل الحسن غلاما فقال له : (ما ملاك الدين ؟ قال: الورع ، قال فما آفته قال: الطمع. فعجب الحسن منه). وقال الحسن: (مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة). وقال أبو هريرة : (جلساء الله غدا أهل الورع والزهد). وقال بعض السلف:

(لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس). وقال بعض الصحابة: (كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام).

الخوف يثمر الورع. والاستعانة وقصر الأمل. وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد. والمعرفة تثمر المحبة. والخوف والرجاء والقناعة تثمر الرضاء. والذكر يثمر حياة القلب. والإيمان بالقدر يثمر التوكل. ودوام تأمل الأسماء والصفات يثمر المعرفة. والورع يثمر الزهد أيضا. والتوبة تثمر المحبة أيضا. ودوام الذكر يثمرها والرضا يثمر الشكر. والعزيمة والصبر يثمران جميع الأحوال والمقامات. والإخلاص والصدق كل منهما يثمر الآخر ويقتضيه. والمعرفة تثمر الخلق والفكر يثمر العزيمة. والمراقبة تثمر عمارة الوقت وحفظ الأيام. والحياء والخشية والإنابة وإماتة النفس وإذلالها وكسرها يوجب حياة القلب وعزه وجبره. ومعرفة النفس ومقتها يوجب الحياء من الله عز وجل. واستكثار ما منه واستقلال ما منك من الطاعات ومحو أثر الدعوى من القلب واللسان وصحة البصيرة تثمر اليقين. وحسن التأمل لما ترى تسمع من الآيات المشهودة والمتلوة يثمر صحة البصيرة.

وملاك ذلك كله أمران ، أحدهما أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته تنزلها على داء قلبك، فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب ولا جوع ولا عطش ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق البتة ، وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين فيها ويحميهم ويدفع عنهم ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وآفاتها وقطاعها والله المستعان.

الخشوع:

قال الله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ الحديد . قال ابن مسعود ﷺ : (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين). وقال ابن عباس: (إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن. وقال تعالى: ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين

هم في صلاتهم خاشعون ﴾ المؤمنون. والخشوع في أصل اللغة: الإنخفاض والذل والسكون ، قال تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ طه. أي سكنت وذلت وخضعت ومنه وصف الأرض بالخشوع وهو يبسها وانخفاضها وعدم ارتفاعها بالري والنبات قال تعالى: ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليهما الماء اهتزت وربت ﴾ فصلت.

والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه. وقيل الخشوع الانقياد للحق. وهذا من موجبات الخشوع فمن علاماته: أن العبد إذا خولف ورد عليه بالحق استقبل ذلك بالقبول والانقياد. وقيل الخشوع خمود نيران الشهوة وسكون دخان الصدور وإشراق نور التعظيم في القلب. وقال الجنيد: (الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب). وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح وهي تظهره. رأى ﷺ النبي رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه). وقال صلى النبي الله عليه وسلم: (التقوى ههنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات). وقال بعض العارفين : (حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن) .

(ورأى بعضهم رجلا خاشع المنكبين والبدن فقال: يا فلان الخشوع ههنا وأشار إلى صدره لا ههنا وأشار إلى منكبيه). وكان بعض الصحابة ﷺ وهو حذيفة يقول: (إياكم وخشوع النفاق فقيل له: وما خشوع النفاق قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع) (ورأى عمر بن الخطاب ﷺ رجلا طأطأ رقبته في الصلاة فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب) . (ورأت عائشة ﷺ شبابا يمشون ويتماوتون في مشيتهم فقالت لأصحابها : من هؤلاء فقالوا : نساك فقالت : كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع وإذا أطعم أشبع وكان هو الناسك حقا) ، وقال الفضيل بن عياض : (كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه وقال حذيفة رضي الله عنه: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ورب مصل لا خير فيه ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعا). وقال سهل : (من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان).

الزهد :

قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين 8/2:

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

قال الله تعالى: ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وقال تعالى: ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ (...)

والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها فإذا أراد الله بعبد خيرا أقام في قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار، وقد أكثر الناس من الكلام في الزهد وكل أشار إلى ذوقه ونطق عن حاله وشاهده فإن غالب عبارات القوم عن أذواقهم وأحوالهم والكلام بلسان العلم أوسع من الكلام بلسان الذوق وأقرب إلى الحجة والبرهان. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : (الزهد ترك مالا ينفع

في الآخرة والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة) وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها. وقال سفيان الثوري: (الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء) وقال الجنيد : (سمعت سريا يقول إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم، وقال: الزهد في قوله تعالى : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود).

وقال يحيي بن معاذ: (الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح) وقال ابن الجلاء : (الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها) وقال ابن خفيف: (الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك) وقال أيضا: (الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك) ، وقيل : (هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف) ، وقال الجنيد : (الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد) وقال الإمام أحمد: (الزهد في الدنيا قصر الأمل) وعنه رواية أخرى أنه عدم فرحه

بإقبالها ولا حزنه على إدبارها فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا ؟ فقال : نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت). وقال عبد الله بن المبارك : (هو الثقة بالله مع حب الفقر) وهذا قول شقيق ويوسف بن أسباط. وقال عبد الواحد بن زيد : (الزهد .. الزهد في الدينار والدرهم). وقال أبو سليمان الداراني: (ترك ما يشغل عن الله) وهو قول الشبلي ، وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال: (استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب وقال مرة هو خلو اليد عن الملك والقلب عن التتبع) وقال يحيي بن معاذ : (لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة) ، وقال أيضا : (الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر) ، وقيل حقيقته : (هو الزهد في النفس) وهذا قول ذي النون المصري وقيل: (الزهد الإيثار عند الاستغناء والفتوة الإيثار عند الحاجة قال الله تعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾).

(وقال رجل ليحيي بن معاذ متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزاهدين وأقعد معهم فقال إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حد لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك فأما ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح). وقد قال الإمام أحمد بن حنبل: (الزهد على ثلاثة أوجه الأول ترك الحرام وهو زهد العوام ، والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين). وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه ﵁ من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد ، والذي أجمع عليه العارفون أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة وعلى هذا صنف المتقدمون كتب الزهد كالزهد لعبد الله ابن المبارك وللإمام أحمد و لوكيع ولهناد بن السري ولغيرهم ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله. وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما

ولهما من المال والملك والنساء ما لهما وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة ، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان ﷺ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال وكان الحسن بن علي ﷺ من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم ، وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد وكان له رأس مال يقول لولا هو لتمندل بنا هؤلاء ، ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن أو غيره (ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك فهذا) . من أجمع كلام في الزهد وأحسنه وقد روي مرفوعا.

وقد اختلف الناس في الزهد هل هو ممكن في هذه الأزمنة أم لا فقال أبو حفص: (الزهد لا يكون إلا في الحلال ولا حلال في الدنيا فلا زهد) وخالفه الناس في هذا وقالوا بل الحلال موجود فيها وفيها الحرام كثيرا وعلى تقدير أن لا يكون فيها الحلال فهذا أدعى إلى الزهد فيها وتناول ما يتناوله المضطرمنها كتناوله للميتة والدم ولحم الخنزير.

وقال يوسف بن أسباط: (لو بلغني أن رجلا بلغ في الزهد منزلة أبي ذر وأبي الدرداء وسلمان والمقداد وأشباههم من الصحابة ﭫ ما قلت له زاهد لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يوجد في زماننا هذا وأما الحرام فإن ارتكبته عذبك الله عزوجل).

درجات الزهد:

الدرجة الأولى: (الزهد في الشبهة بعد ترك الحرام بالحذر من المعتبة والأنفة من المنقصة وكراهة مشاركة الفساق)، أما الزهد في الشبهة فهو ترك ما يشتبه على العبد هل هو حلال أو حرام كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي : (الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات اتقى الحرام ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب) فالشبهات برزخ بين الحلال والحرام (...)

وقوله بعد ترك الحرام أي ترك الشبهة لا يكون إلا بعد ترك الحرام. وقوله بالحذر من المعتبة يعني أن يكون سبب تركه للشبهة الحذر من توجه عتب الله عليه. وقوله والأنفة من المنقصة، أي يأنف لنفسه من نقصه عند ربه وسقوطه من عينه عينيه لا أنفته من نقصه عند الناس وسقوطه من عيونهم وإن كان ذلك ليس مذموما بل هو محمود أيضا ولكن المذموم أن تكون أنفته كلها من الناس ولا يأنف من الله . وقوله وكراهة مشاركة الفساق يعني أن الفساق يزدحمون على مواضع الرغبة في الدنيا ولتلك المواقف بهم كظيظ من الزحام فالزاهد يأنف من مشاركتهم في تلك المواقف ويرفع نفسه عنها لخسة شركائه فيها (كما قيل لبعضهم ما الذي زهدك في الدنيا قال : قلة وفائها وكثرة جفائها وخسة شركائها. إذا لم أترك الماء اتقاء تركت لكثرة الشركاء فيه) :

إذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب يلغن فيه

الدرجة الثانية:

(الزهد في الفضول وهو ما زاد على المسكة والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت وحسم الجأش والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين). الفضول ما يفضل عن قدر الحاجة والمسكة ما يمسك النفس من القوت والشراب واللباس والمسكن والمنكح إذا احتاج إليه، والبلاغ هو البلغة من ذلك الذي يتبلغ به المسافر في منازل السفر فيزهد فيما وراء ذلك اغتناما لتفرغه لعمارة وقته ، ولما كان الزهد لأهل الدرجة الأولى خوفا من المعتبة وحذرا من المنقصة كان الزهد لأهل هذه الدرجة أعلى وأرفع وهو اغتنام الفراغ لعمارة أوقاتهم مع الله، لأنه إذا اشتغل بفضول الدنيا فاته نصيبه من انتهاز فرصة الوقت فالوقت سيف إن لم تقطعه وإلا قطعك ، وعمارة الوقت الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلى الله أو يعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو..

وأما حسم الجأش فهو قطع اضطراب القلب المتعلق بأسباب الدنيا رغبة ورهبة وحبا وبغضا وسعيا. فلا يصح الزهد للعبد حتى يقطع هذا الاضطراب من قلبه بأن لا يلتفت إليها ولا يتعلق بها في

حالتي مباشرته لها وتركه ، فإن الزهد زهد القلب لا زهد الترك من اليد وسائر الأعضاء فهو تخلي القلب عنها لا خلو اليد منها. وأما التحلي بحلية الأنبياء والصديقين فإنهم أهل الزهد في الدنيا حقا إذ هم مشمرون إلى علم قد رفع لهم غيرها فهم زاهدون وإن كانوا لها مباشرين.

الدرجة الثالثة:

(الزهد في الزهد وهو بثلاثة أشياء : استحقار ما زهدت فيه واستواء الحالات فيه عندك ، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادي الحقائق) وقد فسر الشيخ مراده بالزهد في الزهد بثلاثة أشياء أحدها احتقاره ما زهد فيه، فإن من امتلأ قلبه بمحبة الله وتعظيمه لا يرى أن ما تركه لأجله من الدنيا يستحق أن يجعل قربانا لأن الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، فالعارف لا يرى زهده فيها كبير أمر يعتد به ويحتفل له ، فيستحي من صح له الزهد أن يجعل لما تركه لله قدرا يلاحظ زهده فيه، بل يفنى عن زهده فيه كما فني عنه ويستحي من ذكره بلسانه وشهوده بقلبه. وأما استواء الحالات فيه عنده فهو أن يرى ترك ما زهد فيه وأخذه متساويين

عنده إذ ليس له عنده قدر. وهذا من دقائق فقه الزهد فيكون زاهدا في حال أخذه كما هو زاهد في حال تركه إذ همته أعلى عن ملاحظته أخذا وتركا لصغره في عينه. وأما الذهاب عن شهود الاكتساب فمعناه أن من استصغر الدنيا بقلبه واستوت الحالات في أخذها وتركها عنده لم ير أنه اكتسب بتركها عند الله درجة البتة لأنها أصغر في عينه من أن يرى أنه اكتسب بتركها الدرجات وفيه معنى آخر وهو أن يشاهد تفرد الله عز وجل بالعطاء والمنع، فلا يرى أنه ترك شيئا ولا أخذ شيئا بل الله وحده هو المعطي المانع، فما أخذه فهو مجري لعطاء الله إياه كمجرى الماء في النهر وما تركه لله ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي منعه منه فيذهب بمشاهدة الفعال وحده عن شهود كسبه وتركه ، فإذا نظر إلى الأشياء بعين الجمع وسلك في وادي الحقيقة غاب عن شهود اكتسابه وهو معنى قوله ناظرا إلى وادي الحقائق. وهذا أليق المعنيين بكلامه فهذا زهد الخاصة قال الشاعر :

إذا زهدتني في الهوى خشية الردى جلت لي عن وجه يزهد في الزهد

فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر :

جاء في رياض الصالحين:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) متفق عليه.

- وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) متفق عليه.
- وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط) رواه مسلم.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) متفق عليه. وهذا لفظ مسلم. وفي رواية البخاري: (إذا

نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه).

- وعنه عن النبي ﷺ قال : (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض) رواه البخاري.
- وعنه رضي الله عنه قال : (لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته) رواه البخاري.
- وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك) رواه البخاري.

قالوا في شرح هذا الحديث معناه لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها

إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق.

- عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال : (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.
- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : (ذكر عمر بن الخطاب ﵁ ما أصاب الناس من الدنيا فقال لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه) رواه مسلم . الدقل بفتح الدال المهملة والقاف رديء التمر.
- وعن خباب بن الأرت ﵁ قال : (هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله تعالى فوقع أجرنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير ﵁ قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الإذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها) متفق عليه.

- عن سهل بن سعد الساعدي ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذي.
- وعن أبي هريرة ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالما ومتعلما) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
- عن عبد الله بن الشِّخِير ﵁ أنه قال : (أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال : يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) رواه مسلم.
- عن عبد الله بن مغفل ﵁ قال: (قال رجل للنبي ﷺ : يا رسول الله والله إني لأحبك فقال انظر ماذا تقول قال والله إني لأحبك ثلاث مرات فقال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
- عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال : (نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا يا رسول اله لو اتخذنا لك وطاء فقال مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

- عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام) رواه الترمذي . وقال حديث صحيح.
- وعن ابن عباس وعمران بن الحصين ﵃ عن النبي ﷺ قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) متفق عليه.
- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار) متفق عليه.

فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات :

قال الله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ﴾ مريم . وقال تعالى: ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ القصص . وقال تعالى: ﴿ ثم لتسألن يؤمئذ عن النعيم ﴾ التكاثر . وقال تعالى: ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ﴾ الإسراء.

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

- عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : (والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منايح وكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا) متفق عليه.

- وعن أبي هريرة ﷺ قال : (خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما فقاما معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم) رواه مسلم.
- وعن خالد بن عمر العدوي قال : (خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الدنيا آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا والله لتملأن أفعجبتم ولقد ذكر لنا

أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا)

رواه مسلم.

- وعن ابن مسعود ﵁ قال قال رسول الله ﷺ من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.

أمراض القلوب وشفائها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب أمراض القلوب:

قال الله تعالى عن المنافقين في سورة البقرة ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ وقال تعالى في سورة الحج ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ﴾. وقال في سورة الأحزاب ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾ .

وقال في سورة المدثر ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾. وقال تعالى في سورة يونس ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ وقال في الإسراء ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ وقال في التوبة ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ﴾.

ومرض البدن اختلال صحته وصلاحه وهو فساد يكون فيه يفسد به إدراكه وحركته الطبيعية فإدراكه إما أن يذهب كالعمى والصمم وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه كما يدرك الحلو مرا وكما يخيل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج وأما فساد حركته الطبيعية فمثل أن تضعف قوته عن الهضم أو مثل أن يبغض الأغذية التي يحتاج إليها ويحب الأشياء التي تضره ويحصل له من الآلام بحسب ذلك ولكن مع ذلك المرض لم يمت ولم يهلك بل فيه نوع قوة على إدراك الحركة الإرادية في الجملة فيتولد من ذلك ألم يحصل في البدن إما بسبب فساد الكمية أو الكيفية فالأول إما لنقص المادة فيحتاج إلى غذاء وإما بسب زيادتها فيحتاج إلى استفراغ والثاني

كقوة في الحرارة والبرودة خارج عن الاعتدال فيداوى وكذلك مرض القلب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب كما فسر مجاهد وقتادة قوله البقرة في قلوبهم مرض أي شك وإرادة يفسر بشهوة الزنا كما فسر به قوله الأحزاب فيطمع الذي في قلبه مرض (...) والمرض دون الموت فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل فله موت ومرض وحياة وشفاء وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفاءه قال تعالى الحج ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض لأن ذلك أورث شبهة عندهم والقاسية قلوبهم ليبسها فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان فصار فتنة لهم وقال الأحزاب لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة كما قال المدثر وليقول الذين في قلوبهم مرض لم تمت

قلوبهم كموت قلوب الكفار والمنافقين وليست صحيحة صالحة كصالح قلوب المؤمنين بل فيها مرض شبهة وشهوات وكذلك الأحزاب فيطمع الذي في قلبه مرض وهو مرض الشهوة فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة لمرض وضعفه ، فإذا خضعن بالقول طمع الذي في قلبه مرض والقرآن شفاء لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره فيبقى القلب محبا للرشاد مبغضا للغي بعد أن كان مريدا للغي مبغضا للرشاد ، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يتغذى البدن بما ينميه ويوقمه فإن زكاة القلب مثل نماء البدن والزكاة في اللغة النماء والزيادة في الصلاح يقال

زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له ، ولا بد مع ذلك من منع ما يضره فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ومنع ما يضره ، وكذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا، والصدقة لما كانت تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار صار القلب يزكو بها وزكاته معنى زائد على طهارته من الذنب قال الله تعالى التوبة خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكذلك ترك الفواحش يزكو به القلب وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ومثل الدغل في الزرع فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغا من تخليطاته حيث خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه، فزكاة القلب بحيث ينمو ويكمل قال تعالى:

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد أبدا﴾ النور

وقال تعالى: ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ النور

وقال: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ النور . وقال تعالى: ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾ الأعلى . وقال تعالى: ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ الشمس.

فالتزكية وإن كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير فإنما تحصل بإزالة الشر فلهذا صار التزكي يجمع هذا وهذا وقال ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ فصلت . وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وإثبات إلهية الحق في القلب وهو حقيقة لا إله إلا الله وهذا أصل ما تزكو به القلوب (..)

قال تعالى: ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ﴾ الأنعام وذكر سبحانه آية النور وآية الظلمة فقال: ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ النور . فهذا مثل نور الإيمان في قلوب المؤمنين ثم قال: ﴿والذين كفروا

أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ النور. فالأول مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها شيئا ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئا ينفعه فوفاه الله حسابه على تلك الأعمال والثاني مثل للجهل البسيط وعدم الإيمان والعلم فإن صاحبها في ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصر شيئا فإن البصر إنما هو بنور الإيمان والعلم قال تعالى: ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ الأعراف. وقال تعالى: ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ يوسف ، وهو برهان الإيمان الذي حصل في قلبه فصرف الله به ما كان هم به وكتب له حسنة كاملة ولم يكتب عليه خطيئة إذ فعل خيرا ولم يفعل سيئة (..).

والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقين كان من أعظم أسباب ذلك دعاؤهم الله بهذا الدعاء في كل

صلاة مع علمهم بحاجتهم وفاقتهم إلى الله دائما في أن يهديهم الصراط المستقيم فبدوام هذا الدعاء والافتقار صاروا من أولياء الله المتقين قال سهل بن عبد الله التستري: ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار وما حصل فيه الهدى في الماضي فهو محتاج إلى حصول الهدى فيه في المستقبل وهذا حقيقة قول من يقول ثبتنا واهدنا لزوم الصراط وقول من قال زدنا هدى، يتناول ما تقدم لكن هذا كله هدى منه في المستقبل إلى الصراط المستقيم ، فإن العمل في المستقبل بالعلم لم يحصل بعد ولا يكون مهتديا حتى يعمل في المستقبل بالعلم ، وقد لا يحصل العلم في المستقبل بل يزول عن القلب وإن حصل فقد لا يحصل العمل فالناس كلهم مضطرون إلى هذا الدعاء ولهذا فرضه الله عليهم في كل صلاة فليسوا إلى شيء من الدعاء أحوج منهم إليه ، وإذا حصل الهدى إلى الصراط المستقيم حصل النصر والرزق وسائر ما تطلب النفوس من السعادة والله أعلم.

تكلم الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين عن مسألة القلوب وأمراضها وعلاجها ما ننقل منه – باختصار–:

{ مكانة القلب }:

(فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة ، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما الساري

إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه إذ كل إناء ينضح بما فيه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين مع أصابع الرحمن وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين) .

{ القلب الأبيض والقلب الأسود}

(فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها، ثم فسره فقال: أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وقوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ قال أبي بن كعب رضي الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ مثل قلب المنافق ، وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿ في لوح محفوظ﴾ وهو قلب المؤمن، وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب (...)

ولو عكس الأمر وقهر الجميع (جميع الصفات والغرائز في الإنسان) تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن

عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين (..) وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى: ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقال عز وجل: ﴿ أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى: ﴿ واتقوا الله واسمعوا

واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة ، قال ميمون بن مهران: إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أخرجه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد ، وهو بعض الحديث الذي يليه فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له ، فمن أقبل على المعاصي اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تتمسح فإنها لا تخلو عن كدورة وقد قال ﷺ: القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب

المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق. الحديث أخرجه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى.

{ بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب وأثر ذلك }

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فحماية القلب عن وسواس الشيطان

واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي، فقال موسى: نعم ، فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أد الأمانة ، فقال موسى: يا رب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى، يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه، فلقي موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال: لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ، ثم قال له يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي

إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت فيه أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقي الزحف فإني آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص، فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد. وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس: أربي كيف تغلب ابن آدم، فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى ، فقد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك، قال: الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة ، وقيل: إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ، ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه إذ قال ﷺ : حبك للشيء يعمي ويصم. الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي

الدرداء بإسناد ضعيف، ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاء الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا ، فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح: ما أدخلك؟ فقال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك، فقال له نوح: أخرج منها يا عدو الله فإنك لعين ، فقال له إبليس: خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهم بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنين فقال له نوح: ما الاثنتان ؟ فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص ، ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان، فقد روي أن إبليس ظهر ليحيي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له: يا إبليس ما هذه المعاليق، قال هذه

الشهوات التي أصبت بها ابن آدم، فقال: فهل فيها من شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا ، قال: لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا، فقال له إبليس: ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا. ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة أولها أن يذهب خوف الله من قلبه الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع والثالث أنه يثقل عن الطاعة والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس أن يهيج فيه الأمراض ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الإنسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية ، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه ومن أبوابه العظيمة ، الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم

يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به، فقال: لا حاجة لي به، قال: انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة ، وانظر كيف تكون إذا غضبت فإني أملكك إذا غضبت، ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الأمور وقال ﷺ: العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى، الحديث أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة، وقال حسن: وقال عز وجل ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ وقال تعالى: ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾ وقال لنبيه ﷺ: ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه ﴾ وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روي أنه لما ولد عيسى بن مريم

عليه السلام، أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها ، فقال هذا حادث مكانكم، فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به فرجع إليهم فقال : إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا ، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ، فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى، وقد كان قبل وجود المئة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه، قال ثابت البناني: لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما

هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاءوا وقالوا : ما ندري ؟ قال : أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله مُحَّدا ﷺ ، قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك ، فقال لهم إبليس: رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا. الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا، وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام توسد يوما حجرا فمر به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته إلى النوم ، هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الميثرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى، ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو

الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز ، قال خيثمة بن عبد الرحمن : إن الشيطان يقول ما غلبني ابن غلبة فلن يغلبني على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه، وقال سفيان : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ، ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هي معشش الشياطين (...) ومن أبوابه العظيمة التوصل التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق ﷺ وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ﷺ أن يضع حصاة

في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه ، فأنى لهذا الفضولي أن يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته، وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي ﷺ وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ ونرى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي ﷺ ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة ، وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه و يمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلا أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة ﷺ من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى، لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم، ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلي لم يكن عليه

خوف وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة ﵂، وهي بضعة منه (حديث فاطمة بضعة مني) متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا (حديث إني لا أغني عنك من الله شيئا قاله لفاطمة) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة ، فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى، ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم،

وقال الحسن : بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار، فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء، وقد صدق الملعون، فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات ، قال عبد الله بن مسعود: جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع ، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ، ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير أحدهم بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله ، فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء قالت

عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : (إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه)أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة ، والنبي ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم، فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم. روي عن علي بن حسين: (أن صفية بنت حيي

بن أخطب أخبرته أن النبي ﷺ كان معتكفا في المسجد قالت فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال: إنها صفة بنت حيي فقالا: يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا ، فقال إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما) متفق عليه. فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه ، فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو. فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب

العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه ، وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله ، فإن قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله ، فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه. نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى ، لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى :

﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ خصص بذلك المتقى فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر قال أبو هريرة: (التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا أدهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فأنا

أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه). وكان مُحَمَّد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: (اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير) ، قال فتمثل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الرقية (..) .

فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر ﷺ كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة قال الله تعالى: ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ وقال تعالى: ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾. ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله

بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن الذكر يطرد الشيطان الحديث الوارد بأن الذكر يا عمر يطرد الشيطان تقدم ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين، فأنظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا ، فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر ﵁ . ولذلك قال وهب بن منبه : (اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر) أي أنت مطيع له وقال بعضهم : (يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه) وكما أن الله تعالى قال: ﴿ ادعوني

أستجب لكم ﴾ وأنت تدعوه ولا يستجيب لك ، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء. قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ قال: لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها قال ثمان خصال: عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده ، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته ، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ، وقال تعالى إن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي ، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم، فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم).

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات) :

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه

من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول: (لا ومقلب القلوب) أخرجه البخاري . وكان كثيرا ما يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال: وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء). أخرجه الترمذي والحاكم . ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمرو: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك). وللنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث النواس بن سمعان: (ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه) .

وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا تهدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى. والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى). وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مكشاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية

ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وبقوله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة.

القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة

ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل

عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى: ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ وبقوله عز وجل: ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ وبقوله : ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالذي لا يملك

نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان.

القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك

حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل لك إلا من أتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر

ما هو سبب بعده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب، أعني التقليب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فإنه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق، وكل ذلك بقضاء من الله

وقدر. ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء﴾ ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ .

فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعمله بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾ ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه ﷺ : (هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي). أخرجه أحمد وابن حبان فتعالى الله الملك الحق . (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب :

فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو

المراد بقوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها وإهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ﴾.

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة:

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا ، وهذا الاعتدال يحصل على وجهين أحدهما بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع، فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا ، وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة ، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد

وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة ، وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا ، فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال ﷺ: وجعلت قرة عيني في الصلاة. الحديث أخرجه النسائي من حديث أنس وقد تقدم، ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقال ﷺ: اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره

خير كثير. الحديث أخرجه الطبراني، ثم لا يكن في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال: طول العمر في طاعة الله تعالى الحديث، رواه القضاعي في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف وللترمذي من حديث أبي بكرة وصححه، أي الناس خير قال: من طال عمره وحسن عمله. ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل ، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشرع

والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة ونرى المقامر قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار ، مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء، بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته بالصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد منهم إربا إربا على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية ، فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله

وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين ، فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة ، فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فإذن قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة

وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن ، فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى

يصير ذلك طبعا له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ، ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي

إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال رضي الله تعالى عنه: إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله، فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاثة حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صورته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن

يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

<u>بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق:</u>

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول: مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها ، مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة

وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه ، فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها ، وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا ، وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد ، وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق ، لابد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من معيار

العلة حتى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها، فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته ، فإن كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولا بتركها فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه ، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى

الأسواق للكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه ، فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يخسو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعه فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء ، إذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب

في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة ، فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيأ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم ، وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصبحه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه ، كما حكي عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل ، وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج، وعباد الهند

يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع، وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل، فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كملة واحدة فقال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ والأصل المهم في لمجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة، وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية.

برنامج تربوي مقترح ووصايا للمجاهد
في ميدان العبادة والنسك والسلوك والأخلاق

(1) - العمل على تجديد الإيمان وتصحيح النية والإخلاص لله تعالى في كل حين.

(2) – الحرص على حسن إقامة الصلاة بالتزام الصلوات في أول أوقاتها والحرص على أدائها في جماعة – إن أمكن – وإتمام ركوعها وسجودها والتزام سننها القبلية والبعدية. واستحضار الخشوع فيها وإتمامها على أكمل وجه وبذل الجهد في تحسين أدائها باستمرار.

(3) – التزام الأذكار والتسبيحات المعروفة دبر كل صلاة وعدم الإنصراف من مجلس الصلاة إلا بعد أدائها. ودعاء الله وسؤاله من خير الدنيا والآخرة بعد أداء التسبيحات.

(4) – الحرص على إيتاء الزكاة – لمن كلن له مال تجب الزكاة فيه – وتحري إحصاء الحق فيها وأدائها عن طيب نفس ، وتحري الصالحين المحتاجين المستحقين لها ، وخاصة من ذوي الأرحام والقرابة ، ومن

الأسر التي أصيبت في سبيل الله من المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله، ولا سيما أسر الشهداء والمعتقلين الأسرى لدى الأعداء.

(5) – تحري صوم رمضان إيمانا واحتسابا على خير وجه ، والتشوق إليه ، والإكثار من الطاعات فيه ولا سيما ، قيامه (صلاة التراويح)، وقراءة القرآن وكثرة الصدقات لمن وجد.

(6) – أداء فريضة الحج فور الاستطاعة الشرعية. ومحاولة أدائها في سن الشباب.

(7) – إلتزام أداء أذكار الصباح (مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس) وأذكار المساء ، (مابين صلاة العصر إلى المغرب) وتضمينها وردا من الإستغفار 100 مرة يوميا. والتزام أذكار النوم. وتحري أن يكون آخر الكلام قبل النوم ترديد الشهادتين.

(8) – إلتزام سنة صلاة الضحى (من ارتفاع الشمس إلى قبيل الزوال)، ركعتان أو أربعا أو ثمانية ركعات.

(9) – إلتزام ورد يومي من القرآن بقراءة جزء يوميا ، وختمه في كل شهر قمري مرة على الأقل. والتزام قراءة سورة الكهف كل يوم جمعة، مابين الفجر إلى قبيل المغرب.

(10) – إلتزام قيام الليل يوميا ، بورد يقدره الأخ بحسب قدرته ، يصليها في الثلث الأخير من الليل إن قدر ، وإلا فليصل ما قدر عليه قبل النوم ثم يوتر. والسنة النبوية فيه أحد عشر ركعة . والإكثار من الإستغفار وقت السحر.

(11) - إلتزام ورد من صيام النافلة ، وأقله ثلاثة أيام من كل شهر ، وهي الأيام البيض (13-14-15) من كل شهر قمري. وأوسطه صيام الاثنين والخميس ، وأفضل الصيام صيام داوود عليه السلام ، صيام يوم وإفطار يوم.

(12) – إلتزام قدر من الصدقة المالية أسبوعيا أو شهريا بحسب القدرة.

(13) – إلتزام جلسة للتفكر والمحاسبة في آخر النهار قبل النوم ، ومراجعة حصاد الإحسان والإساءة اليومية. وتعاهدها بالإستغفار ، وتشديد محاسبة النفس في مصادر الكسب وتحري أن يكون حلالا خالصا ، ورد الحقوق لأهلها ، وتصدق بما رقى إليه الشك من

الكسب المحرم. واستحلال من أصابه الأخ بأي شكل من أشكال الأذية. وتعود مراقبة الله في السر والعلن.

(14) – تحري رضا الوالدين وبرهما أحياءا بحسن الصلة والمعاملة ، وأمواتا بالحج عنهما إن لم يحجا ، وبالصدقة لهما ، وبصلة أصدقائهما بعد رحيلهما ، وبكثرة الإستغفار وطلب الرحمة لهما.

(15) - تحري صلة الأرحام وزيارتهم وبرهم والإحسان إليهم ، وتعاهدهم بالصلة والهدية. وبالصدقات إن كانوا في حاجة.

(16) – تحري حسن الخلق في معاشرة الناس ، والإحسان إليهم والصبر على إساءتهم والأستغفار لهم والدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(17) – تحري سنة رسول الله ﷺ في كل الحركات والسكنات ، وتحري أقواله وأفعاله ، وما سنه وشرعه في المأكل والمشرب والملبس والنوم واليقظة ومعاشرة الأهل وحسن صحبة الجيران وصلة الأرحام ، وتحري أخلاقه الشريفة – ﷺ في كل شأن. والإستعانة بالكتب التي تتبعت ذلك مثل (كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله).

(3)– المجال الثالث:

الفهم السياسي وفقه الواقع

إن عملية التربية السياسية ورفع مستوى فقه الواقع لدي الفرد عملية معقدة وتأخذ وقتاً طويلاً. ولكنها إن كانت في حكم المندوبة للمجاهد العادي ، فهي مفروضة على قيادات وكوادر المقاومة ، لأنها مستند قرارات الحركة السياسية الشرعية وحسابات تبعاتها. كما أن حدا أدنى منها يجب أن يتوفر للأفراد حتى يستطيعوا تقدير الأسباب التي جعلت قياداتهم تتخذ قرارا معينا ، بناء على حسابات المصالح والمفاسد والمترتبات.

وتتفاوت عملية التأهيل على كل حال باختلاف مستوى الفهم وحدة الذكاء والاستعياب لدى الفرد ، وبمستوى الكمية المعرفية للمعلومات التي يستطيع الشخص تحصيلها. وتحتاج فوق المعلومات العامة إلى عمليه متابعة مستمرة لمجريات الأمور، واختلاط بالحياة والناس ، ومتابعة الأخبار والأحداث ، وارتفاع مستوى الثقافة العامة في مختلف مناحي العلوم والمعارف.

ومن المعلومات اللازمة لمجاهد المقاومة حتى يستوعب ما يجري من حوله ، ويستطيع أن يقدر المصالح والمفاسد المترتبة على أعماله ، وفق محاكمات منطقية جملة من المعارف الأساسية من أهمها مايلي:

1- معلومات تاريخية:

فيعرف فكرة عامة عن تاريخ الحضارة والوجود البشري ، وصولاً لمرحلة انطلاق دعوة ، الإسلام ثم فكرة عن تاريخ المسلمين ، وتتابع دولة وحكوماته بدء من البعثة النبوية ومروراً بالخلفاء الراشدين ، ثم المرحلة الأموية فالعباسية فدول الطوائف ، ثم المرحلة العثمانية ، وصولا إلى سقوط الخلافة نهائيا سنة 1924م، فمرحلة خضوع بلادنا للاستعمار الأوروبية منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا . وخاصة فترة الأزمات الكبرى في تاريخ المسلمين. وقد لخصنا في الفصل الثالث من الجزء الأول خلاصة مفيدة في ذلك إن شاء الله.

كما يجب أن يعرف نبذة عن تاريخ عدونا ودوله المختلفة وتطورها ، وصولاً إلى دول الروم المعاصرين أمريكا وأوروبا الناتو. وقد مر في الفصل الثالث أيضا لمحة من ذلك.

ومن خلال ذلك يجب أن يعرف نبذة عن الأحداث الهامة ، والشخصيات التاريخية ، وتاريخ الصراع بين الإسلام والمسلمين من جهة ، والروم وحضارتهم من جهة ثانية.

وقد أوردت ملخصا لذلك لأهميته في فهم ما يجري اليوم ، عبر الفصلين الثالث والرابع.

2- معلومات لجغرافية:

التاريخ والصراعات تجري على الأرض ، وضمن جغرافية الممالك والبلاد المختلفة. فيجب على الكادر الجهادي المثقف أن تكون لديه أرضية أساسية ومعرفة بالجغرافية في هذا العالم. وكيفية تقسيماته السياسية وكياناته ، حتى يستطيع فهم الأخبار والأحداث ، ويربطها بمواقعها وتاريخ تلك المواقع.

3- معلومات في الاقتصاد:

معظم هذه الصراعات الدائرة اليوم ذات أبعاد اقتصادية رئيسية أو أساسية ، فهي صراعات على المصالح في بعد أساسي من أبعادها. فيجب أن يحيط المجاهد بقسط من المعرفة الإقتصادية ، كفكرة عن الموارد ، وأنواع الإقتصاد في الدول المختلفة ونظمه ، ومستويات دخل الأفراد والشعوب ، وأوجه نشاطهم الإقتصادي ودورة المال والإقتصاد وعلامته بالسياسة والحروب.. الخ.. فهي معلومات أساسية لفهم الصراع ، وفهم نقاط القوة والضعف في صفنا وصف العدو، والمقاتل التي يمكن أن تأتيه منها.

4- معلومات في الجغرافيا البشرية:

الجغرافيا البشرية هي مجموعة المعلومات المتعلقة بالسكان؛ خصائصهم ، أعراقهم ، أديانهم ، مذاهبهم ، عاداتهم حضاراتهم ... لأن البشر هم العنصر الفاعل المتحرك في هذه الصراعات والخلاف في تكوينهم الديني والعرقي والحضاري بعد أساسي من أوجه الصراع..

5- معلومات في السياسة والجغرافيا السياسية:

والمقصود معلومات عامة في علم السياسة ونشأته ، والمذاهب السياسية القديمة والمعاصرة ، ومذاهبها القائمة حالياً ، وجذورها من القومية والديمقراطية والإشتراكية والشيوعية والليبرالية... إلى آخر ذلك.. وكذلك فكرة عن الصراعات السياسية العالمية ومحاورها بين الدول العظمى ، والأحلاف القائمة بينها ، وأوجه التنافس بين هذه الأحلاف ، وداخل الحلف الواحد ومكوناته من الدول.. ثم الجغرافيا السياسية للدول الكبرى ، ولا سيما المعادية لنا ومكوناتها و تناقضاتها الداخلية. لأن كل ذلك يفيد في وضوء تصورات المواجهة..

فالجغرافية السياسية هي خريطة القوى في مكان ما أو تجمع ما ، سواء كانت دولا أو أحزابا أو كيانات وشخصيات ، والعلاقات بينها بمختلف أشكال تلك العلاقات. ومن المعلومات السياسية الهامة ،

معرفة أوجه الصراع ومحاوره ، وتاريخه وحاضره ، بيننا وبين العدو.
والمؤامرات على العالم الإسلامي وشكلها وتاريخها.

ومن الضروري وخاصة للكوادر الموجهة للمجموعات والخلايا في السرايا المقاومة ، أن تجمع بقسط لا بأس به بين فهم لغة السياسة ومصطلحاتها ، ومداليل تلك المصطلحات المتجددة والمتوسعة بشكل يومي.

6- معلومات وثقافة عامة:

وهذا باب واسع كبير، فالثقافة العامة كما تدل عليه الكلمتين المكونتين للمصطلح: هي مجموعة المعارف والمعلومات العامة في كل منحى وفن.

وكلما اتسعت المعرفة ، زادت القدرة على الفهم. وبالتالي اتسع التفكير ، ونتج عنه القدرة على رسم الخطط وتوقع مسار الأحداث..

فإن مستويات الفهم السياسي العام تمر بأربعة مراحل:

أولها معرفة الخبر، وثانيها فهم الخبر، وثالثها تحليل أبعاد الخبر، ورابعها توقع مجالات تأثير هذا الخبر على المستقبل وبالتالي استقراء مستقبل الأحداث...

فهذه الأمور تتدرج بدءً من مستوى الفهم العادي ، وصولاً إلى العبقرية التي عرفوها تعاريف كثيرة من أدقها أنها (القدرة على التحليل

والتركيب) فعندما تكون لديك معلومات. عليها العقل ويعيد تركيبها في مفاهيم ومدارك.. فاللغة ثمانية وعشرين حرفاً.. يختلف مستوى استعمال الناس لها ، من أبله يتمتم بألفاظ لا معنى لها ، إلى شاعر يخرج منها بياناً كأنه السحر، إلى فيلسوف يصيغها حكماً ومعرفة.

وكل هذا يعتمد كما أسلفت على الموهبة والملكة والفهم والذكاء والإدراك من جهة ومن جهة ثانية على المعارف المكتسبة ، التي بدونها لا يستفيد الإنسان من مواهبه ومداركه التي تتماوت بفعل الجهل والركود الفكري. وكذلك فإن المعارف والمدارك المكتسبة ترفع مستوى الجاهل ليكون عالماً مدركاً ولكنها لا تسمو به إلى مستوى العبقرية والإبداع ، إلا بالملكة والموهبة والفهم والذكاء والحكمة. وهذه عطية من الله تعالى.. فقد روي عنه ﷺ : إنما العلم بالتعلم (فالتعلم ممكن) وإنما الحلم بالتحلم (وهذا كذلك). ومن يتصبر يصبره الله. فهي معارف وسلوك مكتسب.. ولكن الله تعالى قال ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء﴾.. فهي هبة ، ﴿ يؤت الملك من يشاء﴾ ، ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ونسأله من واسع فضله كرمه ورحمته وجوده. فهو مالك الملك سبحانه.

وإذا كانت المعارف والمعلومات هامة للمجاهد في كل وجه وفن، فإنها تزداد أهمية بقربها من ساحة الصراع الذي يعمل فيه ، والقوى التي تشتبك في هذا الصراع.

فلا بد من معرفة واسعة بأنفسنا وبعددنا وعدتنا ، وبساحة الصراع وشبكة القوى والمؤثرات فيها.

فالحكم الشرعي لا يصح إلا بفقه الواقع وإنزال العلم الشرعي والنص والفتوى عليه. وبقدر جهله تخرج الفتوى السياسية الشرعية عن سياقها.

والقرار العسكري لا يصح إلا بالمعرفة بالواقع ، وإلا لربما اتخذ المقاتل قراراً كان فيه حتفه. وقل مثل ذلك عن كل شيء من مجالات الحركة.

وكل حديثنا هذا في عالم الأسباب الواجب الأخذ به شرعاً. وإلا فالأصل هو توفيق الله وفتحه ونصره. قال تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ وقال تعالى: ﴿ الذين آمنوا يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ فالذي نتحدث عنه هو العلم ، وأما توفيق الله فهو النور والروح والمدد. ونسأل الله من فضله العظيم.

وقد ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وفي أبعاد النظرية السياسية في الجزء الثاني ، وفي طيات مختلف الفصول.. نبذة عن كثير من هذه المعلومات والمعارف التي تساعد على فهم الصراع وأطرافه ومعطياته. ولكن ذلك لا يكفي إلا على أرضية من المعارف العامة التي ذكرت. ومن أجل ذلك..

أنصح الموجهين وكل مجاهد قادر على الإطلاع والقراءة بأن يرفعوا من مستواهم بقراءة كتب ميسره في المحاور التالية لأمثلة على بعض أبواب المعارف ، وإلا فالمجال كبير، ورحب واسع جداً جداً.. ولا يحضرني أسماء كتب بعينها ، وهي في ازدياد كل يوم . وقد فتحت شبكات المعلومات أبوابا هائلة. فمن المفيدة. أن يحيط المجاهد ولا سيما الكوادر والقيادات بشيء من المعارف التالية :

- **في علوم التاريخ :**

- تاريخ الحضارات القديمة.
- تاريخ الروم القدماء.
- تاريخ أوربا المعاصرة منذ سقوط القسطنطينية وقيام الممالك الأوروبية.
- تاريخ أوربا في مرحلة الحربين العالميتين.
- تاريخ أمريكا ونشأتها وعلاقتها بأوروبا والعالم منذ الحرب العالمية الثانية.
- تاريخ العرب قبل الإسلام.
- تاريخ الإسلام بمراحله المختلفة بدء من عصر النبوة على نبينا أفضل الصلاة والسلام ووصولاً لسقوط الخلافة العثمانية 1924م.

- تاريخ العرب والمسلمين الحديث منذ 1924م وإلى الآن. ولاسيما تاريخ البلاد التي يعيش فيها ، ويريد الجهاد فيها.

- **في الجغرافيا :**

- كتاب في الجغرافيا الطبيعية للعالم ، وكذلك جغرافيا الموارد والاقتصاد، وتوزيع الثروات فيه.
- كتاب في الجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي ، وكذلك توزع الثروات والموارد.
- كتاب في الجغرافيا البشرية للعالم الإسلامي والعربي. الأعراق، القوميات ، الأديان والمذاهب ، أوجه الثقافات والنشاط السكاني.

- **في علم السياسة والإقتصاد :**

- كتاب موجز عام في علم السياسة.
- كتاب ميسر في المذاهب السياسية المعاصرة ونشأتها ومبادئها.
- كتاب ميسر في علم الاقتصاد ومدارسه المعاصرة.
- الدراسات الإحصائية الإقتصادية المختلفة.
- كتاب حول الصراع الإقتصادي على العالم العربي والإسلامي.
- كتاب حول محاور القوى الإقتصادية المعاصرة والصراع فيما بينها (لاسيما الصراع الإقتصادي بين أمريكا وأوربا واليابان وشرق أسيا والصين.

- الأطماع الإستعمارية الحديثة والصراع على النفوذ في العالم العربي والإسلامي.
- معرفة بالخريطة السياسية للمكان الذي يعيش فيه المجاهد ومكوناته ومعطياته.
- تاريخ الصراع العربي والإسرائيلي ومراحله ، ومشاريع التطبيع الحديثة ومؤامراتها.
- الصراع الدولي وتاريخه على النفط والطاقة والموارد في العالم العربي والإسلامي.
- مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة ومذاهبها ورجالها.
- تاريخ الصحوة في البلد الذي ينتمي إليه ويعمل فيه المجاهد.
- ومن الكتب المهمة جدا ، كتب مذكرات الزعماء وصناع القرار والسياسة في العالم وفي بلادنا من شتى المشارب والمذاهب.
- أمر مهم آخر كتاب ميسر في الإعلام ومدارسه ووسائله المعاصرة.
- كتاب موجز في علم الإدارة.
- كتاب في كيفية إدارة الوقت والإستفادة من الوقت.

- **معلومات وثقافة عامة:**

- إتقان اللغة الإنكليزية. التي صارت اليوم وللأسف وسيلة الإتصال العالمي ، وأداة النفاذ إلى كثير من العلوم والمعارف.

- إتقان استعمال الكومبيوتر. والإستفادة من شبكة الإنترنت.
- معرفة عامة بعلوم الطبيعة، وعلوم الصحة والإسعافات الأولية، وعلم الكهرباء ، ... وما تيسر له من كل علم وفن وثقافة.

وألفت النظر إلى أن متابعة الأخبار العالمية والمحلية. والبرامج الثقافية التلفزيونية العامة ، أمر في غاية الأهمية والأثر في تكوين المعارف والثقافة السياسية والعامة. مع الانتباه إلى المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام ولا سيما الفضائيات والإنترنت من تشر الأفكار الضالة والمنحرفة التي يشيعها العدو لتغير الهوية الدينية والفكرية للمسلمين. وكذلك مجالات الفساد والأغلال والمحرمات التي تشيعها هذه الوسائل التي اختلط خيرها بشرها بطريقة لا ينقذ فيها ولا يعين عليها إلا الله سبحانه وتعالى وهو الهادي.

وكذلك فإن مطالعة الصحف والمجلات السياسية والفكرية والأدبية أمر مهم في متابعة الأحداث وعيشها وفقه الواقع.

وأختم بلفت النظر إلى مؤلفات **الشيخ عبد الله عزام** التي حوت جانبا كبيرا في فقه الواقع وأحوال المسلمين المعاصرة . وهي متناثرة في كتبه ومؤلفاته التي جمعت في (**موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشيخ عبد الله عزام**). وأخص بالذكر منها لموضوع هذه الفقرة (الفهم السياسي) كتبه في: (**المنارة المفقودة**) الذي تحدث فيه عن سقوط الخلافة العثمانية. وكتاب (**أضواء على القومية العربية**)، وكتاب

(**السرطان الأحمر**) الذي تحدث فيه عن الشيوعية وانتشارها في أوساط العرب والمسلمين إبان الستينيات والسبعينيات. وكتاب (**الإسلام ومستقبل البشرية**) ، وكتاب (**مبشرات النصر**). وكتاب (**خط التحول التاريخي**) وهو كتاب هام جدا وصغير الحجم موجز، ولكنه عظيم الفائدة غني المحتوى. وأعتقد أن على كل موجه للشباب المجاهد أن يعتمده في منهج التوعية السياسية المعاصرة في أحوال المسلمين.

وقد نقلت من هذه الكتب المذكورة مقاطع مهمة نثرتها في مواضعها المناسبة في هذا الكتاب. رحم الله الشيخ الشهيد وأجزل مثوبته وغفر له وجمعنا وإياه في الصالحين.

۞۞۞۞۞۞۞

(4)– المجال الرابع:

التربية العسكرية والإعداد الجهادي

سأترك التفصيل في هذا الباب هنا ، على اعتبار أننا سنفرد لها باباً خاصاً في هذا الفصل وهو (**نظرية التدريب والإعداد في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**). إن شاء الله.

۞۞۞۞۞۞۞

(5)– المجال الخامس:

التربية العملية بأداء فريضة الجهاد

روى البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول:
(أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد فقال ثم يا رسول الله أقاتل وأسلم قال **أسلم ثم قاتل** الراوي ثم قاتل فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل قليلا وأجر كثيرا).

وعن أبي هريرة : (أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه ، فجاء يوم أحد ، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد قال: أين فلان؟ قالوا بأحد ، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد ، فلبس لأمته ، وركب فرسه ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو ، قال: إني قد آمنت ، فقاتل حتى جرح ، فحمل إلى أهله جريحا ، فجاء سعد بن معاذ ، فقال لأخته: سليه: حمية لقومك أو غضبا لهم ، أم غضبا لله؟ فقال: بل غضبا لله ورسوله، فمات فدخل الجنة. ما صلى لله صلاة).

منذ نزل الإذن بالقتال بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج:39) ومازال نهجه صلى الله عليه وسلم في نفسه الشريفة ، وفي توجيه أصحابه هو الجهاد في سبيل الله والنشاط فيه دفعا وطلبا. بصرف النظر عن مستوى العلم الشرعي والفهم العام والإعداد المأمور به شرعاً ، وعن مستوى القدم وحظ واحدهم من التربية ..، فالجهاد فريضة ، وإذا دخل وقتها أداها المسلم بصرف النظر عن مستواه في الدين والعلم وسوى ذلك. فتطور المسلم في زيادة إيمانه وفقهه وعلمه وأخلاقه وسلوكه وإدراكه لواقعة وإمكانياته الإعدادية الجهادية ، أمور تسير معه منذ نشأته وإلى وفاته. ولكن لم يقل أحد في سلف ولا خلف أن تدني تلك المستويات في وجه من وجوه الدين تسقط الفريضة الشرعية في القتال. الذي لا يسقطه إلا الأعذار الشرعية.

﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (النور: 61) ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة: 91) .

أما الأعذار الثمانية الأخرى ، وما يتفرع عنها ، والتي سميت أعذار المنافقين. وهي أعذار القاعدين في كل زمان ومكان ، فقد

حصرتها الآية الكريمة بإعجاز مذهل.. لم يترك عذراً منتحلاً إلا ويدخل تحتها أو يتفرع عنها..

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَابناؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:24)

ولكن القاعدين وشيوخهم وقياداتهم الجبانة الخائرة في هذا الزمن ، اخترعوا أعذاراً واهية جديدة عجيبة..

فهم يقولون سنجاهد ، ولكننا في مرحلة التربية السلوكية وتصحيح الدين. وقال آخرون سنجاهد ، ولكن لما تصح العقائد وتصفوا الراية.. وقال فريق ثالث سنجاهد ولكن لما تكتمل أجهزة التنظيم وأركان الجماعة ، ولا نتعجل الثمرة.. حتى تنقضي المرحلة المكية!!

ثم جاء القرن الحادي والعشرين.. وجاءت أمريكا بخيلها ورجلها وأعلنت الحرب العالمية على الإسلام والمسلمين تحت ذريعة الإرهاب..

فاستعلن القوم أخيرا فقالوا.. نحن لا نجاهد ، فهذا إرهاب ، ونحن دعاة وسطية ، وقد كان الجهاد لكسر الحواجز عن الدعوة. والآن الدعوة متاحة بالأساليب السلمية والديمقراطية وعبر شبكات الإنترنت ومحاضرات الفضائيات وندواتها..

وقالوا.. سنجاهد ولكن في البرلمان وبالطرق (الشرعية!) ، (شرعيتهم الجديدة طبعا!) ، ونحن في دولة قانون ، ويجب علينا نبذ العنف..، وصرحوا بما كتموا في نفوسهم أخيرا ، وصدق الله العظيم : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ (محمد:29)

فأما طريقتنا في التربية ، فهي على النقيض من ذلك. فركنها الخامس والأساسي في التربية ، هو أننا ندعو إلى أداء فريضة جهاد الدفع العينية في الحال وبالمتيسر، وكل حسب وسعه ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فكل مسلم عليه الجهاد بنفسه لدفع الصائل بالقتال. فوراً وحالاً فرضاً لازماً ، يأثم بتركه. فقد حل العدو في العقر.. في كل عقر من بلاد المسلمين ! وقد سبق بيان الحكم الشرعي وأدله ذلك.

ونعو إلى السير في عملية التربية في المناحي المتكاملة قدر المستطاع، وبحسب كل ظرف واستطاعة كل فرد ، سعياً لزيادة الإيمان، وترسيخ العقيدة ، وفهم أحكام الدين ، وتزكية النفس ، والرقي بالأخلاق والسلوك ، ورفع سوية الفهم السياسي والواقعي. ولكن على طريقة (أسلم ثم قاتل).. فما دام المسلم مسلماً فعليه جهاد قتال الدفع فريضة مثلها مثل الصلاة والصيام لا تختلف عنها إلا بأنها أشد فرضية كما بينا.

عن أبي هريرة: (أن عمرة بن أقيش كان له ربا في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه ، فجاء يوم أحدد ، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد ، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد: قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد ، فلبس لأمته ، وركب فرسه ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو ، قال: إني قد آمنت ، فقاتل حتى جرح ، فحمل إلى أهله جريحا ، فجاء صعد بن معاذ ، فقال لأخته: سليه: حمية لقومك أو غضبا لهم ، أم غضبا لله رسوله؟ قال: غضبا لله ورسوله ، فمات ودخل الجنة. ما صلى لله صلاة) رواه الجماعة.

وهناك إشارة لطيفة لا يدركها القاعدون ولن يفهموها قراءةً هنا، ونحن نشير إليها لعلها تثير فضولهم ، وتشد أصحاب العزيمة لطريقة (فمن ذاق عرف)..

وهي (التربية بممارسة القتال).. التربية تحت بريق السيوف وأزيز الرصاص ، ودوي المدافع ، وهدير الطائرات.. ، ولا أقصد التربية العسكرية والتدريب العملي هنا .. لا ، وإنما التربية في كل وجه..

تصحيح العقيدة في ميدان المعركة..، نعم هناك حيث يدرك المؤمن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وتشرق أنوارها في قلبه ، فتصح عقيدته ، ويدرك ويفهم بطريقة إلهية عجيبة ، أن الله هو الخالق وهو الرزاق ، وهو وحده المحي المميت ، وهو القوي القادر، وهو الجبار وهو المنتقم.. ويدرك أن الله معه يسمعه ويبصره وينصره ويدبر أمره.

هناك حيث تزرع العقيدة وجوهرها في أعماق نفسه وروحه ، بشهود ساعة في الصف بإخلاص..، ويدرك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة.. وجبت له الجنة)! ، وهل تجب الجنة لفاسد عقيدة!؟

وفي مقام الصف الأول ، وساعة القتال ، تزكوا نفسه ، ويتعلم مكارم الأخلاق ، لأنه باع نفسه لله وانخلع من الدنيا..، فيَحسُن خلقه ، ويذهب همه وغمه ، وتراه سهلاً ليناً عابداً خاشعاً. هناك إذ تراآى له الموت ، ورآه في الحنايا و الزوايا ، وتوقع مع كل صغير قذيفة تنقض بالموت والنار المنتشر مع الشظايا أن فيها أجله ،فيتذكر خطاياه وقد لاح الموت ، فيقول :استغفر الله العظيم.. مرة واحدة ، فتسري معاني الإستغفار في كل خلايا بدنه.. ، ولعلها خير من تريدها مئات المرات بسبحة أنيقة ، ذات أحجار كريمة ،على سجادة فاخرة أعجمية ، فوق الموكيت الأوربي الفاره ، في صالون أنيق خافت الأضواء ، بعد عشاء دسم. وقد هجع الأولاد ونامت أم العيال.. وخلا هذا العابد المرفه إلى زاويته يتهجد.. أقول لعل ذلك الإستغفار أبعد أثرا في النفس وأسرع وصولا .. لعلها ، والإخلاص والقبول منة الله تعالى..

وكذا كل خلق ، وكل فهم وكل بصيرة ، هناك في الثغور حيث يفتح الله على المخلصين ، وصدق أحمد بن حنبل وأقرانه من السلف

الذين كانوا يقولون ؛ إذا أعجمت عليكم المسألة فأحيلوها إلى أهل الثغور فقد تكفل الله لهم بالهداية لقوله تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾..

فالقتال ومباشرته.. ليس مجرد عبادة فقط ، وهو كذلك وهذا أساسه ، طاعة وعبادة يؤجر بأدائها ويأثم بتركها.. ولكنه وسيلة تربية في طريقتنا وهو أقصر السبل..، فهو (كورس مركز) لتصحيح العقيدة، وتهذيب السلوك ، وفهم الواقع ، والإعداد العسكري المختصر المباشر.. ومن ذاق عرف.. وياهم من مساكين أولئك الذين لا يعرفون هذا ولا يفهمونه ، مساكين .. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..، وتلك وليمته تبارك وتعالى يولج أناسا ويصرف آخرين ، ويتقبل أناساً ويكرمهم ، ويرد لآخرين ، ويختار من يتخذ من الشهداء ويؤجل آخرين .. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص:68).

وإنا وإن كنا نعتقد وندعو إلى ممارسة الجهاد جنبا إلى جنب مع العمل في باقي مناحي التربية. ولا سيما إذا تعينت الفريضة في جهاد الدفع كما هو حالها اليوم. إلا أن الجهاد كل متكامل يحتاج العبد كي

يستقيم فيه ويصبر ويثبت إلى أن يقوم بالجهاد بكل مناحيه ومراتبه وأنواعه ..

يقول الإمام ابن القيم في الزاد:

- **مراتب الجهاد:**

لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة. كان رسول الله في الذروة العليا منه واستولى على أنواعه كلها. فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان. وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا وأعظمهم عند الله قدرا. وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه وقال: ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴾ (الفرقان 52) . فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة:73) .

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون به أفراد في العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددا فهم الأعظمون عند الله قدرا ولما كان من

أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الأوفر وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك أكمل الجهاد وأتمه .

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلا له فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله ، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يمكنه جهاد عدوه والإنتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله. بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما. وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويخذ له ويرجف به ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوت اللذات والمشتهيات ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدوين إلا بجهاده فكان جهاده هو الأصل لجهادهما وهو الشيطان قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ (فاطر 6). والأمر باتخاذه عدوا تنبيه

على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

فهذه ثلاثة أعداء أمر العبد بمحاربتها وجهادها وقد بلي بمحاربتها في هذه الدار وسلطت عليه امتحانا من الله له وابتلاء فأعطى الله العبد مددا وعدة وأعوانا وسلاحا لهذا الجهاد وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا وبلا أحد الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلو أخبارهم ويمتحن من يتولاه ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى: ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ﴾ (الفرقان 20). وقال تعالى ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد 4). وقال تعالى: ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ (محمد 31). فأعطى عباده الأسماع والأبصار والعقول والقوى وأنزل عليهم كتبه وأرسل إليهم رسله وأمدهم بملائكته وقال لهم: ﴿ إني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ (الأنفال 12). وأمرهم من أمره بما هو من أعظم العون لهم على حرب عدوهم وأخبرهم أنهم إن امتثلوا ما أمرهم به لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوهم وأنه إن سلطه عليهم فلتركهم بعض ما أمروا به ولمعصيتهم له ثم لم يؤيسهم ولم يقنطهم بل أمرهم أن يستقبلوا أمرهم ويداووا جراحهم ويعودوا إلى مناهضة عدوهم فينصرهم عليهم ويظفرهم بهم فأخبرهم أنه مع المتقين منهم ومع المحسنين ومع الصابرين

ومع المؤمنين وأنه يدافع عن عباده المؤمنين ما لا يدافعون عن أنفسهم بل بدفاعه عنهم انتصروا على عدوهم ولولا دفاعه عنهم لتخطفهم عدوهم واجتاحهم وهذه المدافعة عنهم بحسب إيمانهم وعلى قدره ، فإن قوى الإيمان قويت المدافعة فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وأمرهم أن يجاهدوا فيه حق جهاده ، كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته ، وكما أن حق تقاته: أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. فحق جهاده أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون كله لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه. ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره وارتكاب نهيه فإنه يعد الأماني ويمني الغرور ويعد الفقر ويأمر بالفحشاء وينهى عن التقى والهدى والعفة والصبر وأخلاق الإيمان كلها فجاهده بتكذيب وعده ومعصية أمره فينشأ من هذين الجهادين قوة وسلطان وعدة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله لتكون كلمة الله هي العليا. واختلف عبارات السلف في حق الجهاد فقال ابن عباس: هو استفراغ الطاقة فيه وألا يخاف في الله لومة لائم. وقال مقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته . وقال عبد الله ابن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى.

فإذا عرف هذا فالجهاد أربع مراتب :

- **جهاد النفس .**
- **وجهاد الشيطان .**
- **وجهاد الكفار .**
- **وجهاد المنافقين .**

- **وأما جهاد النفس:**

فجهاد النفس أربع مراتب أيضا:

إحداها أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية أن يجاهدها على العمل به بعد عمله وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين. فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف

الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

- **وأما جهاد الشيطان:**

ما جهاد الشيطان فمرتبتان إحداهما جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان الثانية جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر قال تعالى: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (السجدة 24) فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

- **وأما جهاد الكفار:**

العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله نوعان أحدهما عقوبة المقدور عليه من الواحد والعدد كما تقدم. والثاني عقاب الطائفة الممتنعة كالتي لا يقدر عليها إلا بقتال فاصل. هذا هو جهاد الكفار أعداء الله ورسوله. فكل من بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له ، فإنه يجب قتاله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. وكان الله لما بعث نبيه وأمره بدعوة الخلق إلى دينه لم يأذن له في قتل أحد على ذلك ولا قتاله حتى هاجر إلى المدينة فأذن له وللمسلمين بقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ

يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ ثم إنه بعد ذلك أوجب عليهم القتال بقوله تعالى: ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ وأكد الإيجاب وعظم أمر الجهاد في عامة السور المدنية وذم التاركين له ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب فقال تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾. وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ قال تعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ * فَهَلْ

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ وهذا كثير في القرآن وكذلك تعظيمه وتعظيم أهله في سورة الصف التي يقول فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وكقوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلا

يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فذكر ما يولده عن أعمالهم وما يباشرونه من الأعمال والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ومن صلاة التطوع وصوم التطوع كما دل عليه الكتاب والسنة حتى قال النبي ﷺ : (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة و ذورة سنامه الجهاد) وقال : (إن في الجنة لمئة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله) متفق عليه وقال : (من اغبر قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار) رواه البخاري. وقال ﷺ : (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات اجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان) رواه مسلم. وفي السنن : (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) وقال ﷺ : (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) قال الترمذي حديث حسن وفي مسند الإمام أحمد : (حراسة ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها). وفي الصحيحين : (أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بشيء يعدل الجهاد في سبيل الله قال لا تستطيع قال أخبرني قال هل تستطيع إذا خرج

المجاهد أن تصوم لا تفطر وتقوم لا تفتر قال لا قال فذلك الذي يعدل الجهاد). وفي السنن أنه ﷺ قال: (إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله).

وهذا باب واسع لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه. فهو ظاهر عند الإعتبار فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال على مالا يشتمل عليه عمل آخر والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائما إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة. ثم إن الخلق لا بد لهم من محيا وممات ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتها. فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد وقد يرغب في ترقية نفسه حتى يصادفه الموت فموت الشهيد أيسر من كل ميتة وهي أفضل الميتات. وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين. وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم

فلا يقتل عند جمهور العلماء إلا أن يقاتل بقوله أو فعله وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر إلا النساء والصبيان لكونهم مالا للمسلمين.

وأبلغ الجهاد الواجب للكفار والممتنعين عن بعض الشرائع كمانعي الزكاة والخوارج ونحوهم يجب ابتداء ودفعا فإذا كان ابتداء فهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وكان الفضل لمن قام به كما قال الله تعالى: ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾.

فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال الله تعالى: ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ وكما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم وسواء أكان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن وهذا يجب بحسب الإمكان على كل احد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق ولم يأذن الله في تركه أحدا أذن في ترك الجهاد ابتداء لطلب العدو الذي قسمهم فيه إلى قاعد وخارج بل ذم الذين يستأذنون النبي ﷺ ﴿يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ فهذا دفع عن الدين والحرمة والأنفس وهو قتال اضطرار وذلك قتال اختيار للزيادة في الدين وإعلائه ولإرهاب العدو.

- **وأما جهاد المنافقين:**

جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (التوبة 73). فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون به أفراد في العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددا فهم الأعظمون عند الله قدرا ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الأوفر وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك أكمل الجهاد وأتمه.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما سيرته في المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله وأن يجاهدهم بالعلم والحجة وأمره أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين.

ونختم هذا الباب (موضوع التربية ومجالاتها) بكلمات في التربية لرجل عاش تجربة التربية الجهادية بنفسه متعلما ومعلما ومربيا ومجاهدا.. إلى أن لاقى ربه شهيدا على ذلك الدرب ، رحمه الله وتقبله في الصالحين. فنقتطف من تراثه العظيم بعض المختصرات .. للشيخ المجاهد الشهيد أبو مُحَمَّد عبد الله عزام رحمه الله:

- **خصائص القاعدة الصلبة المجاهدة :**

لا بد للوصول إلى المجتمع المسلم من طلائع تتحمل تكاليف الطريق ، وعلى هذه الطلائع أن تدرك أن الذي يتصدرون لإنقاذ البشرية ليسوا أناسا عاديين ، بل من النماذج التي تسترخص كل شيء في سبيل دعوتها ، ولا بد أن تتوفر عندهم صفات على رأسها:

1 – أن يكونوا ربانيين:

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79). والرباني هو العالم العامل ، فقد قال سعيد بن جبير: ربانيين: أي حكماء وأتقياء ، وقد قال مُحَمَّد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: (اليوم مات رباني هذه الأمة)، ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا

وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 146) والربي كما قال الحسن البصري: (العلماء الصبر ، والربي هو الرباني لأنه عرف ربوبيته الله وعبده وصبر من أحله).

يجب أن يكون ربانيا من حيث حركته ودعوته وسمته وصبره وعلمه وعمله ، أي لا يغيب عنه لحظه أن الله على كل شيء قدير ، وأنه مصدر العزة ، وأنه كافيه وحاميه يكلؤه ويرعاه. ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ* وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر:36-38).

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام:17).

يجب أن يضع الداعية نصب عينيه أن الله على كل شيء قدير ، ثم بعد ذلك يعلن على الملأ الجاهلية: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ

فَلا تُنْظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾

(الأعراف:195-196) .

لا بد أن يستمد الإنسان عونه وعزته وإلهامه من الله. لا بد لمن يتصدى لإنقاذ الناس أن يكون أقوى منهم بالله ، لا بد لمن يتصدر لتطهير الناس أن يكون أطهر منهم ، ولا بد لمن يتقدم لرفع الناس أن يكون أعلى منهم.

2 - التجرد للدعوة عن المنافع الدنيوية وثمارها العاجلة القريبة :

إذ جاء الأنبياء جميعا يقولون: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء -145) تكررت هذه الآية كثيرا على لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في سورة الشعراء.

ولذا فعندما عرض الرسول ﷺ على بني عامر بن صعصعة قال له بحيرة بن فراس أحد رجالها: (أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ الأمر لله يضعه حيث يشاء ، فأبوا عليه).

ولم يكن يعلم رسول الله ﷺ أنه سينتصر ، وأن هذا الدين سيظهره الله في حياته وعلى يديه ، بل كان ربه يخاطبه قائلا: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ (الزخرف:41-42).

ولكن رسول الله ﷺ يعتقد أن هذا الدين سينتصر ، وكان لا يعد ولا يبايع أحدا من المسلمين إلا على الجنة ، فقد قال هذا للمضطهدين المعذبين: (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

وقال ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية للأنصار: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نسائكم وابناءكم قالوا : فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة). فالبيعة والصفقة مع الله على الجنة، والبيعة في الدنيا على العمل للجنة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111)

3- بناء القاعدة الصلبة:

يجب الاهتمام بتربية النماذج ، لا بإكثار الأعداد ، لأن الناس إنما يتغير بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم ، والفئة الصابرة والصادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة:249).

هذه القاعدة الصلبة هي التي أعادت الجزيرة العربية كلها أيام الردة إلى الإسلام ، لأن من نماذجها أبا بكر الذي صاح عندما بلغوه ردة القبائل: والله لو منعوني عناقا – جديا – كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه ، ثم قال: (أينقص الدين وأنا حي؟) وفي رواية لو منعوني عقالا – حبل الذي يربط به البعير – .

وأصر أبو بكر على إنفاذ جيش أسامة ، وأجاب الذين راودوه على تأخيره قائلا: (والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله) ، وفي رواية (لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة) وفي هذه اللحظة الحاسمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ساق الله رجلا حازما – أبا بكر – لينقذ بموقفه أمة بكاملها من الإندثار والبوار.

لابد من تربية النماذج الصلبة التي تستعصي على الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأعداء والأصدقاء. ولابد من تربية الأفذاذ الذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي ، ولا يتميعون في ظروفه المختلفة ، العناصر الصلبة التي تحمل المجتمع والدعوة فوق

كاهلها. نريد الأفرع الصلبة التي لا تتلوى مع رياح المجتمع ، ولا تتثنى مع أهوائه.

لقد كان اجتياز الجيش الإسلامي لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبان فيضانه من القضايا التي أذهلت المؤرخين وحيرهم تفسيرها: اجتياز الجيش لدجلة دون ان يفقد فردا واحدا من عدده. ولكن القضية الأروع أن هذا الجيش خاض بحور أكبر مدنيتين – الروم والفرس – دون أن يفقد من خلقه ولا من دينه شي.

لقد تربع سلمان الفارسي على مقام كسرى بعد أن أذله الله وثل عرشه ، وكان كسرى يبكي ويقول : لم يبق عندي سوى ألف طباخ فكيف أستطيع أن أعيش بهذا العدد فقط؟ بينما سلمان – أمير فارس المسلم – ينفق كل يوم درهما واحدا.

4- بناء الدعاة لأنفسهم بالعلم الحقيقي والعبادة الخالصة:

لا بد من أن يربط الداعية نفسه أو يربطه شيخه بالقرآن الكريم تلاوة وتجويدا وتفسيرا ومعرفة أحكامه ، وأن يبني المسلم نفسه بين أروقة المساجد حيث السكينة والرحمة والملائكة والإعتكاف.

وأن يحسن اختيار الصحبة الطيبة التي تدله على الله ، وعليك يا أخي أن تحسن الاتصال بمن يدلك على الله حاله ، ويذكرك بالآخرة مقاله. ولا تنس قيام الليل فله أثر عميق في بناء النفسية المسلمة وصفاء الروح ، وقد كان قيام الليل دأب الصالحين ، وكذلك صيام النافلة وخاصة يومي الإثنين والخميس.

ولابد من الذكر باستمرار لإحياء القلب. وحفظه من الشيطان و وسواسه ، ولتحصين النفس من الهوى والشهوة الجارفة والميل.

وكذلك توطين النفس على الشكر في الرخاء ، والصبر على البلاء، والاستغفار من الذنوب والأخطاء ، وتربية النفس على الصبر على متاعب الطريق وتضحيات العقيدة ولأواء الجادة.

ولا بد من استغلال الوقت في المطالعة فيما يفيد ، أو العبادة والعمل ، ولا يجوز أن نقتل حياتنا بالجلسات الفارغة والسهرات الخاوية من الفائدة.

ويجب أن ترعى بناء التصور الصحيح لأنفسنا من خلال كتاب الله وسيرة رسول الله ﷺ وحياة السلف الصالح] .اهـ . [1]

- **أثر الذنوب على المسلم :**

من وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء ، من عرف الله ذاق سعادة الدارين ، ومن نسى الله أنساه نفسه. ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(الحشر:19).

الحقيقة التاسعة : قانون الذنوب والمصائب – مصائب الناس – قسمان: مصائب الأنبياء – وهم معصومون من الذنوب – لرفع الدرجات ، ومصائب غير الأنبياء – غير المعصومين – لتكفير السيئات ثم رفع الدرجات.

القانون يقول: الذنوب تؤدي إلى مصائب.

مصائب + صبر = مغفرة الذنوب.

وهذا القانون مسطر في كتاب رب العالمين: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى:3)

[1] (الذخائر1/773) .

وهذا القانون لخصه سيدنا علي ﷺ بقوله: (وما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة).

وقال الحسن: بلغنا أنه ليس أحد خدش عود ولا نكبه قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر، قال القرطبي قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ وذكر الحديث.

وفي الحديث الصحيح: (والذي نفسي بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا صب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها خطاياه حتى الشوكة يشاكها).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: (مايصيب المسلم من نصب ولا و صب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه).

قال ابن خيرة: – من أصحاب علي ﷺ – (جزء المعصية: والوهن في العبادة ، والضيق في المعيشة ، والتعسر في اللذة ، قيل في اللذة؟ قال لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه من ينغصه إياها).

يقول مالك بن دينار : (إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك ، وحرمانا في رزقك ، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك).

وهذا القانون يعم كل جوانب الحياة من أمراض بدنية ونفسية ، ومن ضيق في الرزق وظنك في العيش، وشدة في الحياة ، وانحباس في المطر ، وحل في الأرض ، وقحط في الزرع ، كل هذا بسبب الذنوب.

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر مرفوعا: (كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فاقبل علينا رسول الله ﷺ يوجهه فقال: يا معشر خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن:

1-ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.

2-وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة الؤنة وجور السلطان.

3-وما من قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء لولا البهائم لم يمطروا.

4-ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.

5- وما لم تعلم أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا).

قال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ونسيه إلا بذنب.

وقال مرة الهمداني : رأيت على ظهر كف شريح قرحة ، فقلت: يا أبا أمية ، ما هذا قال: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

وقال ابن عون: (إن مُحَّد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك ، فقال إني لا أعرف هذا الغم ، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة).

وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها ، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها).

وكلا عكرمة هذا هو خلاصة قانون المصائب: أنها إما بذنب فجاءت البلية لتكفره ، أو لأن الله يحب المرء فيريد رفع درجته عنده فيصيبه البلاء ولكن لا ينزل كذلك بالصالحين الذين يريد الله أن يرفع درجاتهم إلا بسبب ذنوبهم وهفواتهم.

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا القانون ، فتراهم يفسرون الأحداث من خلاله ، قال الحسن دخلنا على عمران بن الحصين فقال رجل:

لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع ، فقال عمران: يا أخي لا تفعل ، فوالله إني لأحب الوجع ، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى:30) فهذا فبما كسبت أيدي ، وعفو ربي عما بقى أكثر.

وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ، فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم .

وهذا القانون (الذنوب سبب المصائب) ورد في كثير من الآيات والأحاديث ، وعلى لسان الصحب الكرام والسف الصالح كما أوردنا آنفا قبسات من مشكاتهم ، ففي الكتاب العزيز: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم:30).

وأنت تلمح من خلال النظم الكريم رحمة الله الواسعة بأن الفساد كان عقوبة لبعض ذنوب الناس ، ولكن لو حاسب الله المخلوقات على جميع ذنوبهم ما ترك على ظهرها من دابة ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ

النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل:61).

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب: (توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قال إذا علا فجارها على أبرارها ، وساد القبيلة من فقوها).

وذكر الإمام أحمد عن صفية قالت: (زلزلت المدينة على عهد عمر فقال: يا أيها الناس ما هذا: ما أسرع ما أحدثتم ، لئن عادت لا تجدوني فيها ، ففسر عمر سبب الزلزلة بالمعاصي التي أحدثت في المدينة.

وقد يقول قائل: إن سبب الزلزلة أمر جيولجي أرضي من تقلص في قشرة الأرض أو غير ذلك ، ونحن نؤمن معه هذا السبب الظاهري ، ولكن ما السبب الحقيقي الذي كانت نتيجة أن يأمر الله بالزلزلة ، إنه الذنوب والذنوب فقط.

وروى الإمام أحمد بإسناده عن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا

بالعينة واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء ، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم) ورواه أبو داوود بإسناد صحيح.

قال ابن القيم وإن الذنوب لتعم مصائبها الحيوانات والحشرات والجعلان في جحورها، يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾ (البقرة:159-160)

قال ﷺ: (**اللاعنون: دواب الأرض**) (رواه ابن ماجة بإسناد حسن).

قال مجاهد وعكرمة: هي الحشرات والبهائم يصيبها الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم.

قال ابن مسعود: كاد الجعل أن يعذب في حجره بذنب ابن آدم.

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت ... في وكرها لظلم الظالم.

قال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم.

لقد كان إهلاك الأمم السابقة ، ودمار عمرانها ، وبوار إنتاجها ، وسحق ابنائها بسبب الانحراف عن منهج الله وتنكرها له. ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (يونس:13). ﴿ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ ﴾ (سبأ:8).

فالذين انطمست بصائرهم ، وجحدوا فطرتهم ، وأنكروا آخرتهم ، في عذابهم واصب ، وشقاء دائب ، وتيه مستمر وجحيم مستقر في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وإلا فأخبرني بربك ما الذي أغرق الأرض بأحيائها أو أشجارها وأناسيها زمن نوح عليه الصلاة والسلام إلا الإعراض عن منهج الله ؟!

وما الذي أهلك عادا إرم ذات العماد ، فأحلها كأعجاز نخل منقعر سوى البعد عن دين الله؟ وما الذي أرسل أصيحة على ثمود فأصبحت كهشيم المحتظر سوى التنكب لطريق الله؟ أيكفيك هذا؟ أم لا بد أن تمر بخرائب مدين ، وخرائب أصحاب الأيكة لتدرك أن مغبة الإعراض عن دين الله عاقبته وخيمة ، ونهايته خطيرة. وسنرى

بالتفصيل من خلال الصفحات القادمة كيف تسبب الذنوب ضيقا في الرزق ، وهزيمة في المعركة ونسانا للعلم.

ففي الرزق: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) (رواه أحمد) ولفظ ابن ماجة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزيد في العمر إلا البر ، ولا يرد القدر إلا بالدعاء ، وإن الرجل ليحرم بالذنب يصيبه) وفي رواه الزوائد إسناده حسن.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (خرج نبي من الأنبياء يستسقي فإذا هو بنملة رافعة قوائمها إلى السماء ، فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من شأن النملة) وجاء في بعض رواياته (اللهم نحن خلق من خلقك فلا تؤاخذنا بني آدم).

وأما هزيمة المعركة فقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: 155) .

فهزيمة المعركة كانت نتيجة لبعض الذنوب وأما العلم فعن ابن مسعود مرفوعا: (إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به الشيء من الرزق وإنه

ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم كان قد علمه ، وإنه ليذنب الذنب فيمنع قيام الليل).

وكل هذا سنراه تفصيلا ونحن نطرق أبواب السعادة البشرية باباً باباً ، وندرك أثر طاعة الله في السعادة، ونتيجة الذنوب حدوث المصائب والمحن والشقاء والبوار ، والحق أن هذه القاعدة هي جماع الأمر كله في هذا الدين بل خلاصة دين الله هي هذه القاعدة ولذا لا يستطيع الإنسان أن يوفيه حقا ولو من كبار العلماء وأساطينهم ، فيكف بعبد صغير جاهل مثلي؟

وإذا ضربنا أمثلة فإنما هي علي سبيل توضيح القاعدة لا على سبيل الحصر ، فإن الأمثلة كثيرة من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ، ودعنا ترى بعض الأمثلة الشاهدة لهذه القاعدة الكبرى.] اهـ.[1]

كتب الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في رسالة لأحد أصدقائه:

---

[1] (الذخائر ج1/779-785) .

[ودعك عن الظروف الداخلية والخارجية التي يمر بها إخواننا ، وانشغالهم بأمور ، هنالك أشياء كثيرة أعظم منها وأرفع ذكرا وأعز شأنا ، وأما حرقة الإخوة فأرجوا الله أن تكون معبرة بين المؤمنين ، وأن تحفظ الحرمات وتحمي الأعراض وتصان الكرامات.

لا يهمني شخصي ، ولا يهمني ما ألاقى من متاعب في ذات الله وابتغاء مرضاته لإعادة الفريضة الغائبة إلى دنيا المسلمين ، وأن لا تمسخ التأويلات لنصوص القتال ، ولا تؤول إلى كلمات مبرمجة وجمل مرتبة مصفوفة ، يكتبها فارغ بال وهو مجلس على أريكة تحت أثير المكيف. نريد أن يعود الجهاد إلى حياة المسلمين ، نريد أن نتنفس كيف شئنا ، نريد لقلوبنا أن لا تحصى نبضاتها ، ولأفواهنا أن تتكلم كيف شاءت ومتى شاءت لا أن تعيش مكممي الأفواه مقيدي الأيدي ، موثقي الأرجل ، لقد أضحى العمل للإسلام خطبة حارة ، أو كتابا مجلدا أنيقا ، أو جليسا خلف مكتب للتفكير كيف يكون الإسلام و فالناس ينظرون إلى الإسلام من خلال بروجهم العاجية ، يتحركون في فراغ ، ويعملون في فراغ ، ولا ينتجون إلا الفراغ ... لا بد من مجموعة المسلمين تتصدر عملية نقل الإسلام من الأوراق إلى

الأرض ، فنرجو الله أن نكون منهم ، لا بد من طليعة تضحي بكل ما تمتلك وتعيش ، من أجل قضية القتال (**وليس الجهاد بالقلم واللسان)** ، لا بد من نخبة تتحمل تكاليف إحياء الجهاد في واقع الناس بعد أن أصبح نسيا منسيا. فوقفنا هنا في أثمن فرصة مرت علينا في حياتنا نحاول تجميع المسلمين على هذا المعنى العظيم ، وقفنا نحاول أن نفي بالعقد المعقود بيننا وبين رب العالمين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:111)] .اهـ.[2]

وفي نهاية باب نظرية التربية المتكاملة هذا أعود إلى القول ..

إن الجهاد اليوم فريضة متعينة على كل مسلم ، نعم وبهذا نقول وإليه ندعوا. ولكن مهمتنا كدعاة للجهاد والمقاومة لا تنتهي هنا ، بل

[2] (الذخائرج1/ 793).

من هنا تبدأ. ويجب أن نربي من لبى داعي الجهاد ، ونوفر لهم سبل التربية المتكاملة.

ولقد رأيت من خلال ما من الله به علي من مواكبة التجارب الجهادية ، وصحبة الكثيرين من المجاهدين في أكثر من قضية وساحة .. رأيت البون واسعا ، والفرق شاسعا ، بين مجاهد قد أخذ حظا من التربية وآخر قد فاته هذا الخير. ورأيت الفارق هائلا بين مجاهد قد فقه عقيدته القتالية ، فعلم من هو وماذا يريد ، وآخر قد جاءت به العاطفة والحماس. ورأيت الاختلاف بيّنا بين مجاهد قد أخذ حظا من التربية السلوكية والأخلاق ، وأنعم الله عليه بحظ من العبادة والنسك وبين آخرين حرموا من ذلك. وقل مثل ذلك عن الفارق بين مجاهد يفهم ما يجري من حوله من أحداث ، وآخر لا يعرف كيف الدنيا تدور. كما ظهر في القتال والميدان الفارق الواسع بين مجاهد قد أعد وصبر على الإعداد والرباط في دورات التدريب ، وآخرين قفزوا على ذلك إلى الميدان شوقا إلى القتال فلما حضروا المعركة كانوا أقل فعلا وأثرا ..

لقد تبدت تلك الفوارق ولا سيما السلوكية والأخلاقية عندما عصفت بنا الخطوب والمحن ودخلنا مرحلة الفاقة والمطاردات ... وظهرت معادن الرجال على حقيقتها ، فظهر الصدق والثبات ،

والشجاعة والكرم ، والإيثار والتفاني والتضحية ، وأخلاق الأخوة ، ومزايا الصادقين المخلصين المؤهلين .. ممن أنعم الله عليهم.

وظهرت أضداد ذلك من تفاهات النفوس واستزلال الشيطان ، حتى بين بعض المجاهدين ، بل وبعض قدمائهم. ونسأل الله العافية والستر في الدنيا والآخرة.

والحقيقة فإن كل نقص في مجال التربية يجبر بعون الآخرين من الصحب المجاهدين ، إلا ضعف العقيدة ونقص النسك ، وسوء الخلق ونقص المروءة .

فإن ضعف العقيدة يورث الخور ، وربما الردة على الأعقاب. وكذلك فإن نقص النسك والعبادة يورث القسوة والجفوة ، وإن رداءة الأخلاق وسوء التربية لا تنجبر وتنعكس على صاحبها عنتا ، وعلى من ابتلي بصحبته بلاء.

فالنسك وكثرة النوافل والعبادة تورث معية الله وحبه ، وتنعكس على صاحبها طراوة ونورا. وأما حسن الخلق فقد ذهب بخير الدنيا والآخرة ، ويكفي هذا صاحبه إلى أن يبلغه أعلى منازل الجنة برحمة الله ، ونسأل الله من فضله العظيم.

ولا يقولن أحد أن البرنامج الذي أشرت إليه في أنواع التربية كبير ويتطلب وقتا طويلا. لأن هذا يسير مع الإنسان في حياته بشكل

طبيعي إن كان في حياته الطبيعية ويأتي مع تعود المطالعة والتزام المساجد ودروس العلم. وأما في حالات التفرغ للجهاد والرباط في المعسكرات والجبهات فما يمكن فعله هائل لو توفرت قيادات تولي مسألة التربية ما تستحقه من الاهتمام. لأن العناصر يأتون بنفسية مستعدة للتلقي وبتفرغ في سبيل الله على مدار الوقت.

ولقد مر بنا خلال الرباط على ذمة الجهاد في تجربة الجهاد في سوريا سنين ، تفرغ فيها مئات المجاهدين كليا ، ولم يتلقوا إلا تربية محدودة وضاع الوقت أكثره هدرا ، ولم يستفد إلا من حرص على تأهيل نفسه ووقته. وفي تجربة الجهاد الأفغاني بمرحلتيه ، ضاعت أكثر الأوقات هدرا على أكثر الناس ، وقد استفاد البعض من خلال جهد بعض التنظيمات ، أو من خلال الجهد الشخصي وحصلوا نتائج طيبة .

فعلى من يريد الجهاد أن يعنى بهذا الأمر في نفسه ومن معه ، فالوقت نعمة من نعم الله على العبد سيسأله عنها ، وسن الشباب خاصة نعمة من نعم الله سيسأله عنها . وكذا كل نعمة.

الفصل الثامن

الباب الرابع

النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية

هذا الباب هو قلب الكتاب بجزئية ولأجله وضع كل الكتاب ورتبت له كل المقدمات والفصول.. فهو جوهر فكرتنا وخلاصتها.

وهو الفكرة الأولى لدعوة المقاومة التي كتبتها في البيان الأول أواخر 1990م. ونشرتها مطلع 1991م. ومن أجل جوهرها عدت لأفغانستان في عهد طالبان وقمت بمحاولة مستميتة لأحولها لمشروع حي يتحرك على الأرض.. ولكن قدر الله وأدركنا ما أدركنا من أحداث ليصرفنا إلى ما نحن فيه والأمل بالله كبير..

وكما هي طريقتنا ، فإن توليد نظريتنا العسكرية جاء من خلال دراسة لتجاربنا الذاتية في التيار الجهادي، ومعاناة ومعايشة ميدانية لها ولمراحلها المختلفة. وفق نهج النظرية العملية التي عرّفتها.

فمثل هذه النظريات لا يصوغها بتوفيق الله سبحانه تعالى إلا العاملون ، فهي تكتب للميدان ، وتتجمع جزئيات أفكارها في

الميدان ، وفي ساعات التأمل أثناء استراحات المحاربين المجاهدين .. نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وألفت النظر إلى أمر مهم وهو:

أن أكثر ما سأذكره هنا هو اجتهاد حركي وعسكري خاص ، مبني على التجارب الذاتية والدراسة والمقارنة ، والمحاورة مع أصحاب التجارب من قادة المجاهدين وكوادرهم .. وأكثر هذه المواضيع ليس من مسائل العقائد وأحكام الحلال والحرام ، وإنما آراء بنيت على دروس التجارب من قضايا الرأي والحرب والمكيدة.

وقد وضَعت البذرة الأولى وجوهر الفكرة صيف 1991م، فيما كانت نذر عاصفة الصحراء ورياحها العاتية تهب علينا في أفغانستان. ثم طورتُها من بعد مع زلازل ومحن آخر التجارب الجهادية في الجزائر. ثم بلورتُها في معسكرات الرباط وخطوط القتال في الإمارة الإسلامية في أفغانستان وحاولت تنفيذها بالتعاون مع الإمارة الإسلامية ، ثم جاء سبتمبر، لأتفرغ كليا لصياغتها بشكلها النهائي بعد أن ألزمتنا المطاردات الظالمة حالة قريبة من السجن والإقامة الجبرية ، كان من حسناتها التفرغ لمتابعة الأحداث والتفكير والمراجعة والكتابة. وقد مضى علينا منذ سقوط أفغانستان وإلى الآن زهاء ثلاث سنوات حصلت فيها تحولات تاريخية قلبت فيها الأحداث وجه

الحضارة ومسار التاريخ..، وانطلقت الحملات الأمريكية بأساليبها العسكرية الجديدة وهجمتها الشاملة في كل منحى.. ، لتؤكد لي صحة هذه الأفكار– والله أعلم – ، ولتزيدني قناعة بها وتساعدني على تطويرها وتكييفها ، بما يتناسب مع الواقع الجديد. فلقد اختلت موازين القوى المادية بيننا وبين أعدائنا ، ثم رجحت لصالحهم ، ثم انهارت.

فليس بيننا وبينهم مادياً وعسكرياً موازين ولا مقارنات..، ولا أجد مفراً وبدأً إذا قررنا المواجهة ، واعتبرناها فرضاً دينياً — كما هي حقيقتها – من اعتبار الأسلوب الأوحد الممكن ، بحسب وجهة نظرية للمواجهة الشاملة إلا مثل هذه الأفكار التي سأفصلها في هذا الباب بإذن الله وأسأله الفتح والتيسر والهام الحق والخير والهدى والإخلاص أولاً وآخراً وأن يتوج كرمه بالقبول إنه سميع مجيب..

- **استعراض أساليب الجهاد وطرقه في مسار التيار الجهادي (1963–2001م):**

كما أسهبت في الفصل السادس والسابع في الجزء الأول. فقد انطلق الجهاد مطلع الستينات من القرن الماضي ، واستمرت التجارب إلى أن جاء سبتمبر 2001م، وابتدأ عالم الجديد..

والناظر في تلك التجارب يستطيع تصنيف التجارب الجهادية من حيث أسلوب المواجهة إلى ثلاثة مدارس جهادية ، ينضوي تحتها كل جهاد قام خلال تلك الفترة.

وقد كانت وكانت نتائج أدائها كما يلي:

مدرسة التنظيمات الحركية (القطرية –السرية–الهرمية)	**مدرسة الجبهات المفتوحة والمواجهات المكشوفة .**	**مدرسة الجهاد الفردي وإرهاب الخلايا الصغيرة.**
وهي من قبيل التجارب والتنظيمات الجهادية التي تحدثت عنها آنفاً. فقد كانت تتبنى الفكر الجهادي والعمل الحركي ، في المجال القطري وفق النظام السري، والبناء الشبكي الهرمي وكان الهدف الأساسي هو إسقاط الحكومات والأنظمة القائمة وإقامة النظام الإسلامي عبر الجهاد المسلح. **وكانت خلاصة النتيجة:** 1- **فشل عسكري** وهزيمة ميدانية. 2- **فشل أمني** وتفكيك التنظيمات.	وهو من قبيل التجارب التي حصلت في ساحات المواجهة المفتوحة وأشهرها التجارب الأخيرة في أفغانستان، البوسنة، الشيشان . وقد اعتمدت هذه المواجهات أسلوب المواجهة من خلال قواعد ثابتة . وحرب العصابات شبه النظامية **وكانت خلاصة النتيجة:** 1- **نجاح عسكري** ساحق. 2- **نجاح أمني** أعاق دور الإستخبارات. 3- **نجاح دعوي** أدى لحشد الأمة وراء تلك	وهي من قبيل العمليات الفردية التي قام بها أفراد أو مجموعات صغيرة . وهي من قبيل عمليات منها: - سيد نصير المصري وقتله للصهيوني الكبير كاهانا. - رمزي يوسف البلوشي ومحاولة تدمير برج نيويورك الأولى. - الدقامسة الأردني الذي قتل الصهيونيات على الحدود. - سلمان خاطر المصري الذي قتل حرس الحدود الإسرائيلي. - العمليات الفردية أيام

3- **فشل دعوي** وعدم القدرة على حشد الأمة. 4- **فشل تربوي** نتيجة السرية. 5- **فشل سياسي** بعدم تحقق الهدف.	القضايا. 4- **نجاح تربوي** نسبي في المعسكرات والجبهات. 5- **فشل سياسي إلا في أفغانستان** حيث أقيمت الدولة الإسلامية .	حرب الخليج..وقائمة تطول.. **والخلاصة:** 1- **نجاح عسكري** هز كيان العدو. 2- **نجاح أمني** لأنها أعمال لا تؤدي لإجهاض توليد مزيد من الخلايا. 3- **نجاح دعوي** حشد الأمة . 4- **فشل تربوي** لعدم وجود برنامج. 4- **فشل سياسي** لعدم وجود برنامج يحولها إلى ظاهرة.
المحصلة : **فشل كامل على كل الأصعدة.**	**المحصلة :** **نجاح بشكل عام ، ونجاح كامل في أفغانستان.**	**المحصلة :** **نجاح في إرباك العدو، وتحريك الأمة.**

فإذا جئنا لنقاش هذه المدارس الثلاثة بحثاً عن أفضل طريقة للمواجهة اليوم نجد ذلك كما يلي:

- **أولاً: مدرسة التنظيمات الجهادية (القطرية – السرية – الهرمية):**

كما أوجزت في الجدول السابق لقد آلت هذه المدرسة إلى الفشل التام في كافة المناحي. ولا أقول هذا الكلام عن هذه الطريقة كناقد من خارجها. بل لقد كنت (ولله الفضل وأسأله الإخلاص والقبول). من أقطابها ودعاتها ومنظريها الحركيين.

ولكني أنظر إلى الأساليب على أنها وسائل ، وليست أوثاناً. فما ثبت جدواه عملنا به وما تجاوزه الزمن تجاوزناه وإلا تجاوزنا الزمن معه.

صحيح أني ذكرت في التأريخ أن أحداث سبتمبر قد قضت على ما تبقى من تنظيمات التيار الجهادي - ولاسيما العربية – ودمرت تداعيات تلك الأحداث ما تبقى من تلك التنظيمات جماعياً وصفت أكثر أفرادها قتلاً وأسراً. ولكن ليس هذا سبب انتهاء هذه المدرسة. لقد انتهت هذه المدرسة عملياً قبل ذلك بعشر سنين منذ انطلق النظام العالمي الجديد عام 1990م.

وعلى مدى العقد الأخير من القرن المنصرم استطاعت برامج مكافحة الإرهاب أن تفكك تلك التنظيمات أمنياً ، وتهزمها عسكرياً، وتعزلها عن جماهيرها وتشوه سمعتها ، وتجفف منابعها المالية، وتشرد عناصرها وتدخلهم في دوامة الخوف والجوع ونقص في الأموال

والأنفس .. لقد كان هذا واقعاً أعرفه كما عرفه أمثالي من قدماء الجهاديين.

وشيئاً فشيئاً تلاشت تلك التنظيمات ، وانحلت وأصبح شراذم الباقين منها مشردين في الشرق والغرب ، مطاردين بأسرهم وأطفالهم، وأفراد تنظيماتهم. فرارون بدينهم وأفكارهم ، مستخفون هنا وهناك ، لا يكادون ينتجون شيئاً.

لقد قضى نظام الفرعون الهالك الحسن الثاني على المحاولة الجهادية المبكرة التي قام بها تنظيم الشبيبة المغربية ضده في المغرب الأقصى مطلع الستينيات ، في مهدها.

وهذا ما فعله نظام الشاذلي بن جديد في الجزائر أواسط السبعينيات مع تنظيم حركة الدولة الإسلامية ، ودون كبير عناء.

واستطاع النظام الأمني للحكم البعثي الطاغوتي النصيري في سوريا أن يقضي على تنظيم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين)، بعد ثورة مسلحة دامت زهاء عقد من الزمن ، قبل أن يقوم النظام العالمي الجديد بعشر سنوات ، وقبل سبتمبر بعشرين سنة.. وقضى عليه قضاءً تاماً.

واستطاع النظام الفرعوني المجرم في مصر بزعامة حسني – لا بارك الله به وبأمثاله. أن يقضي على تنظيمات الجهاد كلها في مصر الواحد تلو الآخر. وكان آخرها تنظيم (الجهاد) ، وتنظيم (الجماعة

الإسـلامية) ، اللـذان قضـي عليهمـا أواسـط التسـعينات وفككـت الإسـتخبارات المصـرية خلاياهمـا وأسـرت الحكومـة معظـم مكوناتهـا البشرية وذلك قبل أحداث سبتمبر بسنين.

وقل مثل ذلك عما حصل في ليبيا ، فقد قضى نظام القذافي على المحاولتين الرئيسيتين أواسط الثمانينات وأواسط التسعينات.

وتكـرر هـذا عندما اصـطدمت التنظيمـات الجهادية في كـل قطـر عربي وإسلامي ، حتى مع أضعف الأنظمة الأمنية والإستخباراتية في البلاد العربية والإسلامية ! أذكر هذا هنا بإيجاز وقد مر سرد تفصيل ذلك في الفصلين (6-7) من الجزء الأول من الكتاب. إلى أن كانت التصـفية الكـبرى والنجـاح السـاحق للنظـام الأمـني العـربي في الجزائـر مـؤخرا (1991- 1997م) ، رغـم مـا تـوفر لتلـك التجربـة مـن أسـباب النجـاح. ثم تلاشـت آخـر النبضـات الجهـادية للتنظيمـات في الـيمن ، وفي لبنان أواخر القرن الماضي.

لقـد استطاع النظام الأمني المحلي في بلادنا أن يقضـي علـى تلـك المحاولات ، بفعل نظام التنسيق العربي والإقليمـي ، وتمـت لهـم النتـائج عنـدما وصـل ذلـك التنسـيق للمسـتوى الـدولي ، وهكـذا كمـا أسـلفت بالتفصيل ، كان موجز نتيجة طريقتنا تلك :

(2) – هزمـت تنظيماتنـا عسـكريا في كـل المواجهـات. نعـم لقـد سـجلنا انتصـارات في ي كـثير مـن المعـارك ولكننـا خسـرنا الحـرب ، وفي كـل

التجارب والمواجهات. ولست بصدد النقاش مع من يريد المكابرة. فالواقع أكبر شاهد.

(3) – هزمت تنظيماتنا أمنيا، وكشفت خلاياها وتفككت وأجهضت محاولات بنائها ، وتحول النظام الأمني إلى مستوى الضربات الإجهاضية للمحاولات قبل إنشائها ، أو في مهدها.

(4) – سجلنا في تجاربنا تلك فشلا ذريعا على المستوى الدعوي. فلم تستطع التنظيمات الجهادية أن تتمدد في الجماهير ، ولا أن تكون شعبية ، رغم الحق الذي حملته. ولم تتجاوز أعداد عناصرها المئات وربما العشرات في بلاد مليونية.

(5) – كما فشلت التنظيمات الجهادية على صعيد تربية عناصرها وإعدادهم وتأهيلهم للمواجهة فكريا وعقديا ومنهجيا وأمنيا وسياسيا وعسكريا.. إلا في حالات محدودة. خاصة بعد بدء المواجهات. لأنه لم تستطع أي من تلك التنظيمات أن تستكمل برامج الإعداد والبناء تحت شعار (البناء من خلال المعركة). حيث حالت السرية والظروف الأمنية دون ذلك. وهكذا استُهلِكت الكوادر والعناصر المكوَّنة عبر التربية الطويلة ، ليغلب على القواعد التالية انخفاض المستوى التربوي. وقد حصل هذا في عموم التجارب.

(6) – وفي النهاية ونتيجة الفشل الشامل في التفاصيل تجلى الفشل الشامل في العجز عن تحقيق أهداف المشروع العام.

والآن لنلفت النظر من خلال هذا الإيجاز إلى مآل هذه الأساليب في ظل واقعنا الحالي بعد انطلاق النظام العالمي الجديد ، وخاصة بعد سبتمبر وحملات مكافحة الإرهاب :

- إذا كان فشلنا في أسلوب (التنظيمات السرية القطرية الهرمية) في مواجهة الأنظمة الأمنية المحلية عبر العقود الماضية تاما ، فكيف بنا في مواجهة الآلية الأمنية للنظام العالمي الجديد ، وانطلاق الحرب العالمية لمكافحة الإرهاب بكل وسائلها الأمنية والعسكرية والفكرية والسياسية والاقتصادية... ؟! لم يعد الأمر ممكنا ، بل إن الإصرار على هذا الأسلوب ، مع هذه المعطيات المعاصرة ، هو – في رأيي – ضرب من الانتحار والإصرار على الفشل، يصل لحد جريمة التغرير بالبسطاء من شباب المسلمين المتحمس للجهاد. وتحمل لمسؤولية إيرادهم المهالك في دروب ثبت فشلها ، ودفعنا زكي الدم ثمنا لهذا الاكتشاف.
- لم تكن العلة في أسلوب التنظيمات ولا في التنظيمات بشكل عام، وإنما هي تحولات الزمن ومعطيات الواقع الجديد بعد (1990م) ، الذي جعل تلك الأساليب بائدة. وقد ضربت لهذا مثلا يوضح المقصود في بعض المحاضرات في أفغانستان ، وأعيده هنا..

فلو كان لديك ماكينة كهرباء جيدة وقوية وممتازة ، ولكنها تعمل بنظام الكهرباء القديم /110 فولت / فقط. ثم كما حصل في بلادنا

تم تحويل مصادر الطاقة الكهربائية كلها إلى /220 فولت / ، فماذا يحصل لو أصررت على العمل بها ؟! سوف تحترق الماكينة ، وتضرب نظام الكهرباء عندك ، وربما كهربتك معها !! وبديهي أن العلة ليست في الماكينة ، فهي سليمة وصالحة للعمل في وقتها ، ولكن الظروف المحيطة الجديدة جعلتها خارج الزمن ، وصار مكانها الطبيعي في المتحف ! في زاوية الخزانة كأثر من الماضي. ولن يغير من الواقع شيئا حبك لها وذكرياتك الجميلة معها ، وأنها من إرث والديك.

لم تعد الماكينة صالحة للعمل ، لقد تغير الوقت وخرجت من الخدمة. وهذا ما فعله النظام العالمي الجديد بماكيناتنا التنظيمية (القطرية – السرية – الهرمية). رغم روعتها. ولذلك حصلت ظواهر هامة نذكر ملاحظاتها هنا:

- لقد استغرقت المعركة بين الحكومات والتنظيمات الجهادية خلال الستينات والسبعينات والثمانينات. سنينا طويلة حتى تمكنت الحكومات من القضاء على التنظيمات الجهادية ، وكان ذلك بعد معارك طاحنة وخسائر كبيرة للحكومات . فقد استغرق الجهاد في سوريا زهاء عشرة سنين من المواجهة (1973-1983م). وفي مصر مثل ذلك أو أكثر ، ولكن أنظر في الجزائر رغم توافر المعطيات الهائلة والظروف الرائعة للحركة الجهادية. لقد دمرت المحاولة خلال أربع سنين (1992- 1995م) ! ولكن المواجهات والمحاولات التي حصلت

أواخر التسعينات ومطلع القرن الحادي والعشرين. لم يستغرق القضاء عليها إلا أياما معدودة فقط ! ففي لبنان ، دمر تنظيم أبو عائشة رحمه الله الذي أستغرق بناؤه عدة سنوات في خمسة أيام ! وقضي علي حركة أبو الحسن المحضار رحمه الله في اليمن في ثلاثة أيام وهكذا..! وهذا يثبت أن هذه الماكينة القديمة لم تعد صالحة إلا للاحتراق وإحراق أصحابها إن أصروا على العمل والاستمرار بها كما هي. وهناك ملاحظات أخرى.

- لقد أُغلقت الهوامش الإقليمية والدولية أمام عمل التنظيمات السرية الإقليمية والدولية حتى غير الإسلامية نتيجة قيام النظام العالمي الجديد بعد 1990م ، ولاسيما بعد سبتمبر 2001م. فقد كان هناك عدة أقطاب في النظام السياسي العالمي ما قبل الجديد. فهناك المعسكرين الشرقي والغربي ، وداخل المعسكر الغربي كان هناك محاور ومصالح دول وتنازعات. وقد مكن هذا الثائرين على بعض الأنظمة من أذيال محور دولي معين ، اللجوء إلى أراضي إحدى الدول من محور آخر، واستئناف العمل. حيث تلقت التنظيمات الدعم ، وأحست بالأمن ، وكونت الملاذات الآمنة ونمت وتمولت. وهكذا فر الثائرون على عبد الناصر في مصر وهي من محور الشرق إلى السعودية لدى الملك فيصل ، وهو من محور الغرب. وعمل الخارجون على صدام من سوريا ، كما عمل الإخوان المسلمون والطليعة المقاتلة ضد

النظام السوري في العراق والأردن. وساح الجهاديون والإسلاميون والمعارضون السياسيون من كل قطر، في كثير من دول العالم وحصلوا اللجوء السياسي وعملوا سرا عبر الحدود .. إلخ .

ولكن ما إن سقط روسيا ، وقام نظام القطب الأوحد (أمريكا) ، أصبحت معظم الدول وخاصة الصغيرة منها أذيالا لقطب واحد فرض سياسة واحدة ، فألغيت الهوامش بين الأذيال والمحاور ، وهكذا خسرت الدول والأحزاب والقوى الصغيرة ، تلك الهوامش ، وصارت مضطرة للسير في سياق أوامر سياسة النظام الطاغي على الأرض. وكلما كانت الدولة أو التنظيم أو الجهة ضعيفة. زادت خسارته مع هذا النظام العالمي الجديد. وكان من أكبر الخاسرين في هذا الإنقلاب، التنظيمات السرية المقاومة ، والأحزاب المعارضة. حيث اضطرت إلى التوقف أو الانحلال أو الاستسلام أو التوبة والتسوية مع حكوماتها.

وإلا فإن الخيار الآخر هو التصفية. وكان من أفظع الأمثلة ما حصل مع (حزب العمال الكردستاني) وزعيمه (عبد الله أوجلان). وهو من أقوى الأحزاب المعارضة العسكرية في العالم ، ولديه عشرات آلاف المقاتلين ، المنتشرين في معسكرات وجبهات في تركيا وسوريا وشمال العراق ولبنان .. وله مؤيدين في شمال غرب إيران. ويمده مئات آلاف الأكراد في أوروبا ولاسيما ألمانيا بنسب معينة من مداخيلهم الشهرية،

وهي موارد بمئات الملايين من الدولارات ، ولديه حتى عدة محطات بث فضائية... إلخ . فهو إمبراطورية تنظيمية بالنسبة للتنظيمات الجهادية الإسلامية !

فلما قام النظام العالمي الجديد ، ودخلت سوريا في المحور الأمريكي خوفا وطمعا ، عصفت بمعسكراته في سوريا و لبنان غصبا عنها. ثم هُجِّر رئيسه إلى عدة بلدان ، ثم أختطف بتعاون من (CIA و (الموساد) و(المخابرات التركية) ، بل ساعدت حتى (اليونان) ، الخصم التاريخي لتركيا في تسليمه لتركيا. وحل الحزب. ودمرت معسكراته. وأخرجت أمريكا من بقي منها في العراق ، وأخيرا أعلن من بقي منهم تخليه عن الخيار المسلح ، وتشكيل حزب سياسي معارض بمقاييس الديمقراطية والنظام العالمي الجديد !! فيما صار أمل زعيمه المسجون أن لا يعدم فقط !

والمثال الآخر (الجيش الجمهوري الأيرلندي (IRA) ، وهو منظمة عسكرية يمتد تاريخها وجذورها لأكثر من 100 سنة. وهو من المنظمات الهائلة ، وله امتدادات في الجاليات الأيرلندية في أمريكا ، ويتلقى منها مددا بالمليارات ، وكان له في الولايات المتحدة معسكرات تدريب راقية ، وكان له علاقات تدريب ودعم مع دول غربية مثل الجزائر وليبيا ، ومع عدد من المنظمات اليسارية العربية ..إلخ. فلما قام النظام العالمي الجديد ، ودخلت بريطانيا في رأس محور

الحلف الأمريكي ، أجبر الجيش الجمهوري الأيرلندي على الخيار السلمي ، وتم نزع سلاحه وتفكيكه وانتهت القصة !

هذه بعض الأمثلة الصارخة أمامنا وهناك غيرها ، فإن لم نتعظ بها فلا نلومن إلا أنفسنا عندما يقضى على 80 % من قواتنا في تداعيات سبتمبر خلال سنتين فقط ! كي ندرك أن مرحلة (العقلية الطورابورية) يجب أن تنتهي.

لقد تحول الزمن ، وعلينا أن نصمم طريقة للمواجهة بحسب مقاييس الوقت الحاضر.

وأعود فأكرر.. ليست العلة الرئيسية في تركيبة التنظيمات ، وعللها الداخلية وإن كانت سبباً أساسياً ولكن العلة الرئيسية سببها تحول الزمان ومعطيات الواقع تحولاً جذرياً انقلابياً غير وجه التاريخ والحاضر وبالتالي المستقبل.

- **ثانياً: مدرسة الجبهات المفتوحة في عالم ما قبل سبتمبر:**

القصد من الجبهات المفتوحة هي التي تكون فيها قوات المجاهدين متواجدة بشكل مكشوف وثابت وتقاتل قوات الأعداء في خطوط قتال مفتوحة ، أو تشن حرب عصابات انطلاقاً من تلك المناطق الثابتة. وأوضح مثال عليها في تجاربنا : (الجهاد الأفغاني الأول) – (البوسنة) – (الشيشان) – ثم (الجهاد الأفغاني الثاني في مرحلة

طالبان). وكما قلت فقد أثبتت هذه الطريقة على عكس سابقتها جملة من الأمور هي:

(1)– النجاح العسكري الساحق:

وذلك رغم الفارق الهائل في العدو والعدة والسلاح والتكنولوجيا وكل الموازين المادية. ففي التجربة الأولى تمكن المجاهدون الأفغان على عوزهم ، ومن معهم من المجاهدين العرب والمسلمين –كما مر شرحه – على هزيمة دولة عظمى وطي أعلامها إلى الأبد إن شاء الله.

وفي البوسنة تمكن حفنة من المجاهدين العرب والأتراك والمسلمين ، من قلب ميزان القوى في حرب الإبادة الصربية. وقاموا بأعاجيب. ويكفي أن نذكر أن 60 ألف جندي من القوات الأمريكية رابطوا في البحر على شواطئ البوسنة وصربيا ، واشترطوا لدخولهم البوسنة بعد اتفاق (دايتون) ، أن يخرج 600 مجاهد مسلم منها..! فكان كل رجل منهم يبث الرعب في مئة من جنود الإمبراطورية العظمى ومن في حلفها ..!

وأما في الشيشان فحدث ولا حرج عن المعجزات العسكرية التي أذهلت العالم ، من صمود حفنة من الرجال في وجه الآلة العسكرية السوفيتية..! من شعب لا يبلغ مليون نسمة ، في بلد لا يبلغ 50 ألف كيلومتر مربع !

وهكذا أثبت المجاهدون المؤمنون ، أنهم في ميادين المواجهات المكشوفة مقاتلون لا مثيل لهم ، ولم تقف الموازين المختلة بينهم وبين أعدائهم حائلاً دونهم ودون الانتصارات.

(2) – النجاح الأمني البني:

على اعتبار أن المواجهات قامت بشكل مكشوف ، فلم يكن هناك من دور يذكر لاستخبارات الأنظمة في أن يكون لها دور في إجهاض تلك الجبهات. بل كانت المشاركة الميدانية القتالية حاجزاً يكتشف عنده كثير من المندسين والإستخبارات فيتوبون أو يهربون..، واقتصر عملهم على رصد حركة التنظيمات التي لجأت لتلك الجبهات، وليس في إجهاض الجبهات ذاتها.

(3)– النجاح الدعوي:

وهو الأمر الثالث البالغ الأهمية. فقد نجحت تلك القضايا في حشد الأمة بمئات ملاينها وراءها. وعلى العكس من التجارب التنظيمية ، حيث لم تستطع أعرق التنظيمات الجهادية ، أن تحشد معها الشعب في قطرها المحدود حيث تواجه الأنظمة . ناهيك عن أن أغلب شعوب الأمة الإسلامية ، لم تسمع بها أصلاً ، فضلاً عن أن تؤيدها ! فإنه في حالة الجبهات المفتوحة وقفت الأمة بمئات ملايين

الشعوب تؤيد وتدعم ، ويلتحق خلاصة ابنائها بالجبهات ، ويضرع شيوخها وعجائزها إلى الله يسألونه النصر للمجاهدين. وتبرع أغنياء المسلمين وفقراؤهم بأموالهم ودعموا الجهاد..

لقد كان الحشد الذي توفر لجهاد الجبهات عارماً.. والدعوة لتلك القضايا ناجحة بطريقة مذهلة.

(4)– النجاح التربوي:

تقوم النظرية الإسلامية في التربية على التلقي المباشر للعلم ، وعلى القدوة والأسوة الحسنة بالمعاملة. وهكذا كانت من الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ، ومنهم للتابعين ، ومن هؤلاء لتابعي التابعين ، ثم لكبار علماء السلف وصلحاء الأمة ، ثم لتلاميذهم ومريدهم ، وهكذا على مر التاريخ..

وعلى عكس عدم إمكانية ذلك في ظروف التربية السرية ، حيث لا يمكن أن يتوفر الوقت ولا الظرف ، لإعطاء جرعات حقيقية من التربية . وكذلك لا توفر السرية معرفة القدوة والقائد والشيخ .. وإمكانية التأثر به والتأسي به ، فإن جهاد الجبهات وفر ذلك.. ولكن وللأسف كان هناك قصور كبير من القيادات التي أشرفت على تلك المرحلة ، وذلك على صعيد الاهتمام بمسألة التربية بمناحيها المختلفة. حيث اهتمت الجموع بالتربية العسكرية والقتال. ولكن هذا

القصور لا ينفي أمران: الأول أن التربية كانت ممكنة. والثاني أنها حصلت بشكل جزئي من البعض وكان أثرها رائعاً كما في تجربة أفغانستان والبوسنة ، وأكبر بكثير من ذلك الذي حصل مع التجربة السرية الجهادية.

(5) – النجاح السياسي:

النجاح السياسي هو تحقق الأهداف والشعارات.. وقد كان الهدف من كل الجهاد هو دحر العدو وإقامة الحكم الإسلامي. وفي التجربة الأفغانية الأولى حصل النجاح تاماً.. وأسفر الجهاد بعد مروره بالفتن والمحن عن قيام الإمارة الإسلامية. وتحقق الحلم. وإن كان قد أطفئ بعد حين ، وسيعود قريبا إن شاء الله. وأما في البوسنة فقد كان الهدف إنقاذ المسلمين من الإبادة ، وقد تحقق هذا. ولكن قيام دولة إسلامية في قلب أوروبا ، وفي ظل النظام العالمي الجديد لم يكن أمراً ممكناً. وأعتقد أن ما تحقق نظراً للظروف يشكل نجاحاً إلى حد كبير. وأما في الشيشان فلم يتحقق المشروع السياسي رغم النجاحات العسكرية. لأن المعطيات الاستراتيجية للشيشان كبلد مساحةً ومعطيات وتعداد سكان يجعل ذلك أمراً شبه مستحيل.. وما تحقق من الاستمرار يعتبر كسباً تاريخيا.

وبالإجمال فإن النجاح السياسي أمر مرتبط بعوامل أبعد من التي ندرسها في هذا البند وهو الأداء العسكري..

وهكذا نستطيع أن نوجز بأن تجربة الجبهات تعتبر ناجحة كأسلوب مواجهة إذا ما قورنت بالفشل التام على كافة الأصعدة لأسلوب التنظيمات السرية القطرية الهرمية.. رغم ما تحلى به أصحابها من الإخلاص و التضحية وما تحقق من المكاسب والانتصارات التي ضاعت في النهاية نتيجة ما أسلفنا وكان أمر الله قدراً مقدورا.

ولكن نظرية صمود الجبهات تعرضت للسقوط في عالم ما بعد سبتمبر 2001م. واستعمال أمريكا لتفوقها التكنولوجي الخرافي ، واستخدامها لإستراتيجية الحسم الجوي الصاروخي. والسيطرة الفضائية والإلكترونية المطلقة. كما سنناقش هذا لاحقا إن شاء الله .

- **ثالثاً: مدرسة الجهاد الفردي والخلايا الصغيرة:**

وهذه المدرسة الجهادية قديمة جداً.. ولعل أول تجاربها سرية الصحابي الجليل أبي بصير وقصته المشهورة، عندما شكل أول مجموعة حرب عصابات في الإسلام ، ثم لحق به الصحابي الجليل أبو جندل. ومن الشواهد على هذه الطريقة ما حصل في آخر حياة رسول الله ﷺ. عندما إرتد الأسود العنسي في اليمن. واستولى على الحكم فيها وقهر المسلمين. وتصدى للأمر رجل مبارك كما وصفه رسول الله

ﷺ من آل بيت مباركين. وقام بعمل فردي من تلقاء نفسه.. فاغتال الأسود العنسي وقلب الموازين، ورسخ الإسلام في اليمن. وبشر جبريل رسول الله ﷺ بهذا النصر الحاسم الذي قام به حفنة من الرجال المبادرين.

وعلى مر التاريخ الإسلامي تكررت المبادرات الفردية. وفي زمن الحروب الصليبية، وفساد الأمراء وانحلال الأمة، تصدت جموع المجاهدين المقاومين للأزمة قبل أن تنهض الدولة الزنكية ومن ثم الأيوبية. وقام كثير من السرايا والمجموعات المنعزلة بفريضة الجهاد. وفي تاريخ العرب المعاصر قصة مشهورة عندما تمكن فيها مجاهد بمفرده من قلب موازين القوى، والتأثير على مسار حملة استعمارية كبرى، وذلك عندما نفر المجاهد سليمان الحلبي رحمه الله، من حلب- مدينتي العريقة- في شمال غرب الشام إلى بيت المقدس حيث استفتى أحد علمائها بقتل (كليبر) قائد الحملة الفرنسية الذي استخلفه (نابليون بونا برت على مصر). ووصل إليه وقتله. وكان هذا أحد أسباب رحيل الحملة الفرنسية عن مصر. ولم يكن ثمن ذلك إلا فوز سليمان الحلبي وشيخه الذي أفتاه بالشهادة في سبيل الله، حيث أعدما رحمها الله تعالى..

ومنذ حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) 1990م، وقيام النظام العالمي الجديد إنتعشت هذه المدرسة. وحصلت منذ ذلك

الوقت عشرات العمليات الفردية هنا وهناك في مختلف بقاع العالم العربي والإسلامي، ومازالت إلى اليوم.. فقد قتل سيد نصير في الولايات المتحدة المتعصب الصهيوني الحاخام (مائير كاهانا) الذي كان من أشد اليهود على المسلمين في فلسطين. وكان لديه برنامجا لطرد الفلسطينيين بالكامل من فلسطين. وأدى قتله لحل جماعته وانطفائها. وفي 1993م حاول (رمزي يوسف) أحد الأفغان العرب، (وهو باكستاني بلوشي) مع مجموعة من المجاهدين نسف برج مبني التجارة العالمي في نيويورك. وفي الأردن أقدم مجند أردني من حرس الحدود على إطلاق النار على عدد من الطالبات اليهوديات كن يقمن بحركات استهزاء بصلاة المسلمين وقتل عدداً منهن. وفي مصر قام الجندي البطل (سلمان خاطر) بإطلاق النار بقرار فردي منه، على عدد من اليهود على الحدود المصرية الإسرائيلية. وعلى حدود الأردن مع إسرائيل حصلت عشرات عمليات العبور من قبل شباب مجاهدين، كان بعضهم لا يحمل إلا سكين مطبخ! للهجوم على دوريات اليهود على ضفاف نهر الأردن الغربية. وفي بيروت اعتلى مجاهد سطح عمارة وأطلق عدداً من الصواريخ الـR.P.G. على السفارة الروسية أثناء احدي حملات الروس على الشيشان. وفي أيام حرب الخليج طعن عجوز مغربي عشرة من السياح الفرنسيين في المغرب. وعُثر على جثة إيطالي في الإمارات. وطعن شاب عدداً من

الأجانب في عمان الأردن وأطلق عليهم النار. وفي فلسطين تتم كثير من العمليات الفردية من قبل المواطنين الثائرين ضد المستوطنين أو جنود الاحتلال. وفي باكستان قتل مجاهدون عددا من الأمريكان واليهود. وفي مصر تقدم مواطن برسالة إلى حسني مبارك ثم طعنه بسكين فقتله الحراس. وفي الأردن قامت مجموعة رائعة مكونة من أربعة أفراد بتشكيل خلية لاغتيال الماسونيين في عمان، وتمكنت من إعدام العديد منهم، ثم قبض عليهم بعد اشتباك واستشهد بعضهم. وهكذا ...

والملاحظ على هذه الطريقة العفوية التي بدأت تنتشر مع اشتداد هجوم الحملات الأمريكية على بلاد المسلمين، واستعار المشروع الصهيوني في فلسطين، وانتشار الأخبار عبر الفضائيات وشبكات الاتصال. الملاحظ عليها ما يلي:

1- <u>النجاح العسكري</u>:

وهذا تستخلصه من حجم الرهبة والرعب الذي بثته في العدو، وأثرها على مصالحه، حتى أن بضع عمليات سنة 1994م دعت أكثر من 34 رئيس دولة على رأسهم (بيل كلينتون) إلى مؤتمر (شرم الشيخ) لمكافحة الإرهاب.

2- النجاح الأمني:

وذلك أن هذه العمليات العفوية من قبل أفراد وخلايا هنا وهناك، على مدى اتساع العالم. من غير رابطة بينهم ،أدخلت أجهزة الإستخبارات المحلية والعالمية في حالة إرباك. إذ أن اعتقال ما سقط من تلك الخلايا لا يؤثر في مجال أعمال آخرين لا رابطة بينهم. وقد استفدت من هذه الملاحظة إلى حد كبير في تصميم فكرة عمل خلايا دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المنشودة.

3- النجاح الدعوي:

لقد حققت هذه المسألة نجاحاً دعوياً كبيرا. إذ كان لها بالغ الأثر في إذكاء روح الجهاد والمقاومة في الأمة. وحولت أفراداً مغمورين مثل (الدقامسة، وسلمان خاطر، وسيد نصير، ورمزي يوسف...) ليكونوا رموز أمة، تهتف باسمهم الجماهير، وتشفي صدورها، ويتأسى بهم جيل الشباب من المتحمسين للمقاومة.

4- أما من الناحية السياسية:

فالملاحظ على هذه الأحداث أنها بقيت في حجم ردود الأفعال والانفعالات العاطفية هنا وهناك، ولم تبلغ عددياً أن تكون ظاهرة. رغم عتو الهجمة وتطاول الأزمان. ولهذا أسباب سنعرض لها عند صياغة نظريات العمل والحركة إن شاء الله.

5- أما تربويا:

فإن غياب المنهج المشترك لهؤلاء المقاومين، لم يجعل لهذه الظاهرة بعداً تربوياً. وهذا خلل يمكن تلا فيه كما سنرى إن شاء الله.

وهكذا تلاحظ أيضاً أن هذه الطريقة قد سجلت نجاحاً نسبياً أيضاً. ولاسيما في أثرها في العدو واستعصائها على الإجهاض الأمني.

ونستخلص من الدراسة الفاحصة لهذه المدارس الجهادية الثلاثة، في المرحلة الماضية أسس في غاية الأهمية:

(1)- انتهاء إمكانية العمل بأسلوب الطريقة السالفة، عبر التنظيمات (القطرية- السرية- الهرمية). ولاسيما أنه بعد أحداث سبتمبر وانطلاق الحملات الأمريكية، دمرت الغالبية الساحقة من التنظيمات التي كانت موجودة، وجعلت الظروف إمكانية قيام تنظيمات أخرى بهذه الطريقة مستحيلة وعقيمة.

(2)- علينا أن نركز البحث في أسلوب الجبهات المفتوحة، وأسلوب العمل الجهادي الفردي بأسلوب المقاومة الشاملة لتطويرها. من أجل استخلاص النظرية العسكرية والحركية المناسبة للمرحلة المقبلة، وذلك من خلال الأساليب التي ثبت جدواها.

وهما؛ العمل في الجبهات المفتوحة، والمقاومة السرية عبر الجهاد الفردي والخلايا الصغيرة.

ولكن قبل أن نناقش هذين الأسلوبين؛ يجدر بنا أن نلفت النظر إلى أمر مهم. وهو ضرورة غرس فكرة عولمة الجهاد على كل الأصعدة، فقد فرض العدو ذلك. لكي تساعدنا الظروف على التحرك فعلياً وفق معتقداتنا الأممية أصلاً. وهذا من بديهيات العقيدة.

ولكن طريقتنا الجديدة للعمل الجهادي في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، هي طريقة ودعوة عالمية. وكذلك نظريتنا العسكرية التي نحن بصددها، فإنها تعتمد على التحرك في الأفق العالمي. وهو أساس في الحركة العسكرية، فضلاً عن كونه استراتيجية سياسية وعقيدة دينية.

- **فكرة الانتماء لمجموع لأمة وضرورتها للجهاد :**

وذلك على مستوى الاعتقاد الديني، والإحساس النفسي، والانتماء الجغرافي وعلى كل صعيد.

فإننا لو جئنا لأي مسلم الآن، وسألناه من أين أنت؟ فإنه سيذكر بلده؛ من مصر.. من سوريا.. من تونس.. من السعودية.. الخ..

فلن يذكر ابتداءً مدينته ليقول لك أنه من دمشق أو بيروت أو القاهرة أو طشقند.. لأنه منصرف في الإنتماء إلى حدود (سيكس بيكو) التي رسمها الإستعمار في عقله.

والذي يجب أن نرسخه الآن في عقول المجاهدين العازمين على المقاومة؛ هو حقيقة الإحساس والإنتماء وفق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:92) .

والحمد لله فإن هجوم العدو العسكري الآن قد وضعنا في حدود خريطة واحدة اسماها (منطقة العمليات الوسطى) وتشمل عملياً أكثر دول وبلاد العالم العربي والإسلامي ، وكذلك في المجال السياسي والهجوم الفكري والاقتصادي والحضاري.. فقد وضعنا (بوش) في خريطة واحدة تشمل نفس المنطقة وأسماها سياسياً (الشرق الأوسط الكبير)..

وهكذا عَوْلَمَ العدو قضيتنا ، بهجمته علينا ولله الحمد. وهذا يساعد من لم يسعفه المعتقد والفهم على هذا الاتجاه في التفكير الأممي الذي هو من أساسيات ديننا.

ويجب الانتباه إلى أن لهذا الانتماء الأممي بعدا عسكريا مهما يساعد في فهم النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

فهي تقوم استراتيجياً في البعد الأممي لكافة الوطن الإسلامي الكبير، ولا يمكن نجاحها لو حذفنا منها هذا البعد الأممي العالمي.

فلو جئنا لجهاد الجبهات وقرنا مواجهة أمريكا في جبهات مفتوحة ، سنجد أنه حتى ينجح الجهاد في جبهة ما ، فإن ذلك يستلزم شروطاً استراتيجية. وليست هذه الشروط متوفرة إلا في مناطق

محدودة في العالم الإسلامي. في حين تحتاج تلك الجبهات نفير المجاهدين من أي قطر إسلامي ، ويسد المدد من مختلف الاختصاصات أي بلد ثغرة هامة في تلك الجبهات عندما تقوم.

وكذلك في الجهاد السري الفردي ، فإن العمل في الأفق الأممي والعالمي ، يفتح آفاق ذلك العمل بصرف النظر عن الحدود والقطر. فالعدو يحتل العراق ويواجهنا هناك ، وكذا في فلسطين الآن .. فهل لزاماً على مجاهد في تونس ، أو المغرب ، أو إندونيسيا ... ، أن يحضر إلى العراق ليهب لنصرة إخوانه.. قد يستطيع ذلك قلة ، وسيصعب جدا مع الوقت لتعاون أنظمة الردة في محيط ساحات المواجهة مع أمريكا ضد المجاهدين. ولكن أي مسلم يريد الجهاد والمقاومة ، يستطيع أن يشارك في هذه المعركة ضد أمريكا في بلاده أو أي مكان ، وبفعالية أكثر أثرا بمئات المرات ربما مما يستطيعه لو وصل ساحة المواجهة المفتوحة.

فلابد من الإحساس بالانتماء للأمة وعالمها ، في البعد الجغرافي والسياسي والعسكري وكل مجال.

ولكن الغريب ، أن الناظر في هذه الخطوط المستقيمة والمنحنية والمعوجة بصورة عجيبة وهي ترسم خرائط بلادنا، يرى وكأنها لما خطتها أقلام ومساطر الكفار من وزارات المستعمرات ، حفرت في العقول والقلوب لدى الغالبية من ابناء هذه الأمة ، والعجيب أنها

مأساة لم يمض عليها إلا عشرات السنين فقط ، وذلك منذ سقط الكيان السياسي الجامع للأمة سنة 1924م ، بسقوط آخر الخلفاء الرمزيين لهذه الأمة.

فعلينا أن نفتح أدمغة شباب الأمة وقلوبهم ليحسوا بالانتماء للأمة كلها. وهذا أساس في الدين والعقيدة ، وهو كذلك في السياسة والتصور العسكري الاستراتيجي.

والآن لننقل إلى نظريتنا العسكرية.

- **النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية**

تقوم النظرية العسكرية لدعوة المقاومة على اعتماد الجهاد في منحيين:

1- جهاد الإرهاب الفردي والعمل السري للسرايا الصغيرة المفككة عن بعضها كليا.

2- المشاركة في جهاد الجبهات المفتوحة حيث توفرت شروطها.

ونلفت النظر إلى أن :

جهاد الإرهاب الفردي أو الخلوي على طريقة حروب العصابات المدنية أوالريفية. هو الأساس في إنهاك العدو وإيصاله إلى حالة الانهيار والانسحاب. بإذن الله.

وأما جهاد الجبهات المفتوحة فهو الأساس في السيطرة على الأرض لتحريرها وإقامة شرع الله عليها. بعون الله.

فجهاد الإرهاب الفردي وحروب العصابات التي تقوم بها الخلايا الصغيرة، يمهد للنوع الآخر (جهاد الجبهات المفتوحة) ، و يساعده ويرفده. ولكن بدون المواجهة الميدانية والسيطرة على الأرض لا تقوم لنا دولة. وهو الهدف الاستراتيجي لمشروع المقاومة.

هذا خلاصة ما كنت قد بلورته من النظرية العسكرية في آخر أشكالها وسجلته في المحاضرات التي سجلتها صيف سنة 2000م.

ولكن ما حصل بعد ذلك من المواجهات الجبهوية بيننا وبين القوات الأمريكية في معارك سقوط الإمارة في عموم أفغانستان في / ديسمبر 2001م / ولاسيما في معارك شمال أفغانستان و(قلعة جانغي) في مزار شريف ، ومعارك (طورة بورة) ، ومعارك قندهار ... إلخ. وكذلك بعض المعارك الأخرى بعد ذلك ، مثل معركة (شاهي كوت) التي أسماها الأمريكان (عملية أناكوندا) التي تكبدوا فيها مئات

القتلى ، وغيرها من المواجهات .. والثمن الإستراتيجي الفادح الذي دفعناه في هذه المواجهات رغم ما تكبدته قوات أمريكا وحلفاؤها ..

ثم ومن خلال متابعتي المستمرة ودراستي لسير طريقة المواجهة العسكرية والأداء الأمريكي إبان غزو العراق في مارس وأبريل 2003م.

ثم كذلك لبعض المعارك التي قامت بها بعض الجيوش العميلة بإدارة القيادة الأمريكية العسكرية والأمنية في المنطقة كما حصل في مداهمات الجيش اليمني لمواقع ومعسكرات جبلية للمجاهدين في (جبال حطاط) وغيرها هناك...

وكما حصل أثناء محاصرة الجيش الباكستاني واقتحاماته مراراً على مناطق بعض المجاهدين العرب ومن دافع معهم في مناطق القبائل في ولاية سرحد شمال غرب باكستان..

ومثل ذلك ما حصل من تدمير الأمريكان لمواقع بعض المجاهدين في كردستان العراق في (خورمال) ، باستخدام استراتيجية القصف الجوي والصاروخي الأمريكي المركز ، ثم زحف قوات العملاء مدعومة بالقواة الخاصة الأمريكية على مواقع المجاهدين.

وما جرى مؤخرا في معارك الفلوجة الصامدة نور الله وجوه ابنائها المجاهدين ووجوه المجاهدين في كل مكان ..

كل هذا أثبت أن عملية المواجهة مع الحملات قوات الأمريكية وقوات حلفاءها بشكل مكشوف وفق أسلوب الجبهات المفتوحة ،

وانطلاقا من مراكز الدفاع الثابت ، ما يزال في غير وقته الآن – وسيأتي إن شاء الله – وذلك حاليا بسبب التفوق التكنولوجي الخرافي للقوات المعادية ولاسيما في المجال الجوي ، وفي السيطرة الفضائية والقدرات الجبارة على التصوير وتوجيه القصف الجوي والصاروخي. والقدرات الهائلة غير القابلة للمقارنة للقوات المعادية في الإنزالات المحمولة جواً ، والتي تصل لحد القدرة على إنزال فرق من الآليات والمدفعية وقوات الكوماندوس بحجوم إستراتيجية في أي مكان يريدونه وبسرعات قياسية.

وإذا استصحبنا مع هذه الدروس الحالية الهامة. دروس تجارب جهادية مأسوية متعددة لنا بطريقة حرب عصابات (الدفاع الثابت)، كما حصل معنا في الجهاد في سوريا في (معارك حماة – فبراير 1982م) ، وفي معارك طرابلس ضد قوات الحكومة السورية ، وفي الدفاع عن (تل الزعتر) في بيروت - لبنان ضد القوات السورية واللبنانية العميلة برا والإسرائيلية بحرا وجوا !!!، وفي اليمن في تجربة المحضار في اليمن 1998م ، وفي النبطية في لبنان ثانية سنة 2000م ...إلخ ، نجد أن كلها تؤكد ما درسناه و درَّسناه في (أصول قواعد حرب العصابات) ، وما تنص عليه من أن (الدفاع الثابت) في غير وقته ، هو من أكبر مقاتل العصابات ، كما أسهبت في ذلك كتابات

كبار منظري هذا الفن العسكري من أمثال (ماوتسي تونغ) و(جيفارا) و(جياب) و كاسترو... وغيرهم.

والخلاصة التي خلصت إليها الآن هي :

أن المحور الأساسي للأعمال العسكرية للمقاومة ضد أمريكا وحلفائها الآن ، يجب أن تبقى في إطار (حروب العصابات الخفيفة) ، و(الإرهاب المدني) ، والأسلوب السري ، وخاصة على صعيد العمليات الفردية وسرايا المقاومة الصغيرة المتفككة عن بعضها بشكل تام وكلي.

ولكن مع ذلك أقول: إن أي اختلال في الموازين لصالح قوى المقاومة والجهاد ، يلغي تأثيرات السيطرة الأمريكية في أماكن تستكمل شروط الجبهات المفتوحة كما سأوردها ، يعيد مسألة المواجهة المكشوفة لتحرير الأرض والتمركز عليها وإقامة نويات الكيان السياسي والشرعي للقوى الإسلامية هدفاً يجب اقتناص فرصه حيث سنحت.

والآن لنستعرض تفاصيل النظرية العسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية في مجال الجبهات، وفي مجال حرب عصابات الإرهاب الفردي. وأبتدئ بالجبهات، لقصر تفاصيلها وعدم احتياجنا كثيرا لها الآن. وأترك الإسهاب للأسلوب الأساسي في الأوضاع

الراهنة ، والذي أظنه يمتد لوقت غير قصير ما لم تتداركنا رحمة الله بما يقلب موازين القوى.

أولاً: جهاد الجبهات المفتوحة:

في الوقت الذي يمكن فيه أداء الجهاد الفردي في أي مكان من العالم العربي والإسلامي بل وفي العالم كله ، لأن ذلك ليس متعلقاً بشروط موضوعية له حيث يجري. فإن جهاد الجبهات المفتوحة يحتاج لمعطيات استراتيجية لازمة لتوفير ظروف النجاح بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

المعطيات اللازمة لنجاح جهاد الجبهات المفتوحة:

***- المعطيات الجغرافية:**

وهو معطيات الأرض حيث يشترط أن تكون:

1- واسعة المساحة.

2- متنوعة وطويلة الحدود.

3- أن يصعب حصارها.

4- أن تحتوي على وعورة نسبية من الجبال أو الغابات أو سواها مما يساعد على التمركز ومواجهة القوات الزاحفة على الأرض، وأفضل ذلك الجبال المشجرة.

5- كما أن من شروط الأرض أن تكون مواردها الغذائية والمائية كافية في حال الحصار.

***- المعطيات السكانية:**

وهو وجود عدد كبير من السكان لا يمكن ضبط حركته ، ولاسيما إذا كان منتشراً في أرياف معمورة ومدن عالية التركيز السكاني، ومن ذلك أن يكون شعب تلك المنطقة قد عرف بشكيمته العسكرية ، وقدرته على المواجهة والصبر عليها ، وأن تتوفر له مصادر السلاح في تلك المنطقة.

***- المعطيات السياسية:**

وهو وجود قضية يتوفر لها إمكانية إيمان السكان المحليين بها ، بشكل يكفي لحملهم على الجهاد في سبيلها. وكذلك أن تكون تلك القضية قابلة لحشد الأمة الإسلامية وراءها، لنصرة ذلك الشعب في الدين والجهاد معه بالنفس والمال.. وغير ذلك من الدعم. وأفضل تلك القضايا التي تبعث على المقاومة ، هي الغزو الخارجي وتوافر

الأسباب الدينية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة والجهاد.

وهو ما يدعى في كتب حروب العصابات بالمناخ الثوري ونصطلح عليه في أدبياتنا بـ (المناخ الجهادي).

ووفق هذه الشروط يمكن أن نستفيد من دراسة هذه المعطيات في النماذج الرئيسية الثلاثة التي حصلت في الفترة الماضية من جهاد الجبهات :

في أفغانستان ، والشيشان ، والبوسنة. وهذا يتضح بالجدول البسيط التالي:

البلد/ المعطيات	الجغرافية	السكانية	السياسية	النتيجة
أفغانستان	-650 ألف كم2 - وعورة. - وموارد عالية الحدود واسعة غير قابلة للإقفال. ومعطيات أخرى.	- 24 مليون نسمة، معظمهم من الشباب. - شعب مقاتل صبور. - توفر عالي للسلاح	- قضية احتلال وغزو خارجي. - باعث ديني. - باعث قبلي.	**نجحت كلياً**
الشيشان	- صغر في المساحة: 47000 كم2 - وعورة متوفرة حدود	- عدد محدود من السكان زهاء 850 ألف نسمة - شعب محارب ذو شكيمة -	- قضية احتلال وغزو خارجي. - باعث ديني	**- نجاح عسكري** **- نجاح دعوي**

	مفتوحة نسبيا – موارد متوفرة	ووفرة في السلاح.	– باعث قومي	– فشـــــل سياســـي إلى الآن.
البوسنة	صغر في المساحة– حدود مقفلة جداً ومحصورة – وعورة وموارد متوفرة .	عدد السكان محدود: المسلمين نحو 4 مليون. شعب غير محارب ليس ذو شكيمة وسلاح محدود المصادر.	قضية عدوان وإبادة صليبية غربية. – باعث ديني. – صراع من أجل البقاء.	**فشلت عموماً إلا في تأييد الأمة لها.**

فإذا ما استعرضنا بلدان العالم الإسلامي وأقاليمه ، بحسب التقسيمات السياسية ، من منظور هذه المعطيات الإستراتيجية ، سنجد أن الأقاليم والبلدان التي تتوفر فيها هذه المعطيات ، ولاسيما الجغرافية ، والسكانية ضعيفة في غالب تلك الكيانات المصطنعة بطرقة قي غاية الخبث.

وأما القضية فإنها ما لم يتوفر الشعور بالانتماء للأمة كلها ، ستكون ضعيفة. وأما المناخ الثوري بسبب الباعث الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي للثورة ضد ظلم الحكام وعمالتهم ، فقد أطفأه علماء السلاطين و الدعاة القاعدون في كل الأنحاء حيث. زرعوا في عقول الأمة أن من لم يحكم بما أنزل الله .. فأولئك هم

المؤمنون ! ، وأن من تولى الأعداء منهم فإنه منا وولي أمرنا وتاج رأسنا !!

ولذلك يجب البحث عن مفاتيح الثورة والمقاومة والجهاد ، تحت شعار مواجهة الغزو الأمريكي الصهيوني اليوم لكامل الأمة. حيث لا يمكن لعلماء السلاطين وأجهزة الإعلام أن تنجح إلا في السقوط مع حكامها وسيدتهم أمريكا عندما تتصدى لهذه الدعوة ، وهو ما يحصل اليوم.

وأما عن صلاحية مناطق العالم الإسلامي للمواجهات في جهات مفتوحة فأفضلها بحسب توفر المعطيات إذا تناولناها كأقاليم وليس كيانات سياسية:

وهذه المناطق هي:

1 – أفغانستان:

وقد سبقت الإشارة لمعطياتها.

2 – بلاد وسط آسيا وما وراء النهر:

وهي رقعة كبيرة تناهز مساحتها 5 مليون كم^2. وفيها ما يناهز ال50 مليون مسلم تتوافر فيها كامل المعطيات المطلوبة للجبهات المفتوحة ولاسيما مع بقاء الإحتلال السوفيتي في بعضها وتسرب

الإحتلال الأمريكي شبه العلني لما تبقى منها بطريقة الإستعمار الحديث على الطريقة الأمريكية. وقد سبق أن كتبت بحثا بعنوان (المسلمون في وسط آسيا) تناولت فيه هذا الأمر بالتفصيل.

3- اليمن وجزيرة العرب:

وهي رقعة هائلة المساحة تجاوز بمجموعها الـ (2.5) مليون كم^2.. وعدد سكانها الإجمالي نحو 45 مليون نسمة. وقلعتها الأساسية الصالحة للمواجهة المفتوحة هي **اليمن**. وفيها من المعطيات الإستراتيجية الدينية والاقتصادية والموقع ما لا يخفي.. وقد سبق أن كتبت بحثاً أيضاً حول الجهاد في جزيرة العرب وركنه الأساسي في اليمن بما يغني عن الإطالة هنا.[1]

4- المغرب الأقصى وشمال إفريقيا:

وهي رفق شاسعة المساحة أيضاً مفتوحة الحدود البرية ، طويلة الشواطئ البحرية ، وافرة الجبال والحصون الطبيعية ، متوفرة على السلاح والموارد اللازمة ، تستعصي على الحصار لتعدد حدودها وتنوعها. كما أن سكانها من العرب والبربر قد عرفوا تاريخياً بالبأس والشجاعة والقدرات القتالية. وتتوفر للمنطقة موارد تسليحية كبيرة من

---

[1] راجع رسالة **(مسؤولية أهل اليمن عن ثروات المسلمين ومقدساتهم)** – للمؤلف .

وسط وغرب إفريقيا ، كما أن تماسها البحري مع أوربا يوفر لها معطيات كبيرة. ناهيك عن أن أحول شمال أفريقيا ولاسيما المغرب ، تتوفر على معظم معطيات المناخ الجهادي الثوري. وحالة الإحتلال الاقتصادي والسيطرة الغربية واليهودية ، توفر مفاتيح ذهبية لانطلاق شرارة الجهاد أيضاً.

4- بلاد الشام والعراق:

تكون إقليماً متكاملاً ومتواصلاً تزيد مساحته على 700 ألف كم^2 مجتمعاً. وتتوفر له بمجموعه كامل معطيات الجبهات المفتوحة ، ولاسيما في المناطق الجبلية في شمال وغرب العراق ، وشمال وغرب سوريا ، وفي معظم لبنان ، وكذلك في هضاب شرق نهر الأردن وشماله.. وعدد السكاني المنطقة كلياً يزيد أيضاً على 60 مليون نسمة.

ويشكل الإحتلال الأمريكي الماثل الآن ، والذي أعلن عن عزمه على الاستقرار ولأمد بعيد. كما يمهد لمد عدوانه إلي سوريا ليسيطر على كامل الشام بعد أن احتل اليهود سوريا وسيطر النصارى على لبنان واستحوذت أمريكا على كبير الأمور و صغيرها في الأردن.

وفي المنطقة وفرة كبيرة من السلاح والعتاد ، كما أن هناك تنوع في الحدود والسواحل والممرات.

وتشكل إسرائيل باعث قضية إسلامية عالمية ، كما يضيف الإحتلال الأمريكي بعدا ثوريا ممتازا كمفتاح للجهاد..

وهناك مناطق أخرى شبيهة تتوفر لها الكثير من المعطيات التي تصلح للمواجهات المفتوحة أيضاً مثل تركيا وهي من أصلح البلاد لقيام حرب عصابات جهادية ، حيث تتوفر كل العوامل. وكذلك وأكثر منه في باكستان [1]. وبعض مناطق القرن الإفريقي وسواها.. ولكن الغالبية العظمى للدول والكيانات الإسلامية التي يربو عددها على 55 دولة لا يصلح بحال للمواجهات المفتوحة ، لتخلف كل الشروط المناسبة أو بعضها.

وهنا يجب التنبه إلى موضوع القضية السياسية التي ستكون مسألة الصراع والحشد من أجل المواجهة.

فيجب أن تكون كما وضحت الآن مسألة دفع الإحتلال الأمريكي في المنطقة ، ومسألة الصراع مع اليهود ، ومسألة إخراج المشركين من جزيرة العرب. ومسألة النفط والثروات ، ومسألة الهيمنة الأمريكية ، والمظالم والبلايا المترتبة على الإحتلال وحلفائه في المنطقة.

[1] راجع كتاب (**باكستان مشرف – المشكلة والحل والفريضة المتعينة**) – للمؤلف .

كيفية المشاركة في المقاومة في جهاد الجبهات المفتوحة:

معظم البلاد العربية والإسلامية بتقسيماتها وكياناتها السياسية الحالية. لا تتوفر لها معطيات الجبهات المفتوحة. وهي في معظمها ساحات مناسبة لجهاد الإرهاب الفردي والسرايا الصغيرة وحروب العصابات السرية نتيجة كثافة تواجد أشكال تواجد مصالح أمريكا وحلفائها ومشاريع الهيمنة الغربية والصهيونية.

وأما من أراد من المجاهدين المساهمة في المواجهة المفتوحة، فعليه بالتوجه إلى حيث تفتح الجبهات لما تفتح ، والعمل تحت قيادة قياداتها الميدانية ، طالما توفر الحد الأدنى للراية الشرعية والجهاد الشرعي تحت شعار الإسلام العام ، بما يتوافق مع أصول المقاومة وأيديولوجيتها وعقيدتها الجهادية.

فإذا ما أسفر الجهاد في جبهة من تلك الجبهات عن انتصار المسلمين ، فإن ذلك سيكون نواة لإمارة إسلامية من المفترض أن تحكم بشرع الله ، وتكون نواةً ومهجراً لمن حولها من المهاجرين للجهاد في سبيل الله. وستبقى القيادة والإمارة فيها لأهل ذلك البلد بالإجمال، فهناك موروثات اجتماعية وواقعية لا ينفع تجاوزها، وتناسي آثارها إلى أن يقوم المجتمع المسلم القائم على أممية الإسلام وجنسية الإسلام وهذا يحتاج لوقت طويل والله أعلم.

هذا عن جهاد الجبهات المفتوحة بصورة عامة واختصار ولكني أعود للقول والتنبيه..

إن من المهم جداً لمن يتصدون لحمل راية الجهاد أن يفهموا واقعهم وواقع المسلمين ومعطيات العصر الأمريكي الحالي حتى يزيل الله دولتهم ويشتت شملهم..

هناك طغيان وجبروت أمريكي في كل مجال ؛ اقتصادي وعسكري وبشري وسياسي لا يجوز تجاهله ولا ينفع تجاهله.. ولدينا منذ أحداث سبتمبر نماذج بالغة الدلالة.. كلها تشير إلى أنه يجب التريث كثيراً قبل التفكير في المواجهة عبر جبهات مفتوحة مع هذه القوة الطاغية وأن الوقت الآن وطالما بقيت المعطيات على حالها هو في العمل بالمقاومة السرية وفق أصول حرب عصابات مدنية أو ريفية تناسب هذه الأحوال من خلال اعتماد جهاد الإرهاب الفردي وعمل السرايا الصغيرة وهو ما سنشرحه فيما تبقى من المساحة في هذا الباب إن شاء الله. وهو الفقرات التالية.

• ثانياً: جهاد الإرهاب الفردي وسرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

مفهوم الإرهاب:

أعتقد أن من أهم مجالات نجاحات الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة ، نجاحهم في مجالات الإعلام. ومما نجحوا فيه في ذلك ، فرضهم للمصطلحات وتعريفاتها على الناس ، وإلزام البشرية بفحوى تلك المصطلحات ما يوافق رؤيتهم ومن المصطلحات التي فرضوها اليوم بصورة شوهاء لتعبر عن أبشع الأعمال والصفات والممارسات.

ومن ذلك اليوم مصطلح (الإرهاب) و (الإرهابيين)..و(مكافحة الإرهاب) ...

حتى أصبح الطبيعي في الإعلام العربي والإسلامي وحتى إعلام الصحوة نفي هذه الصفة وكأنها تهمة ورذيلة وكارثة ، تؤدي بمن يتهم بها إلى الاتصاف بكل خصائص الرذائل و مترتباتها في الدنيا والآخرة..

وبكل بساطة وشجاعة نقول:

بأننا نرفض أن نفهم هذا المصطلح وفق التوصيف الأمريكي. (فالإرهاب) كلمة مجردة ومثل كثير من الكلمات المجردة ، فقد تحمل معنى صالحاً أو طالحاً بحسب نسبتها ، وما يضاف إليها وما تنضوي عليه. فالكلمة مجردة لا صفة لها من سلب ولا إيجاب..

أرهب : أي أرعب والمصدر. **الرَهَبْ**.. أي الخوف الزائد. والقائم بالفعل **(إرهابي)**.. والذي يقع عليه الفعل **مُرهب** أو **مرهوب**.

وبهذا يكون لدينا هناك نوعان من الإرهاب..

1- إرهاب مذموم:

وهو إرهاب الباطل وقوى الباطل ، ويمكن تعريفه بأنه كل فعل أو قول أو تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى والخوف بالأبرياء بغير وجه حق .

ومن هذا القبيل إرهاب اللصوص. وقطاع الطرق. وإرهاب الغزاة والمعتدين. وإرهاب الظلمة والمتسلطين على الناس بغير حق ، من الفراعنة وأعوانهم... فهو إرهاب مذموم وفاعله (إرهابي مجرم) يستأهل العقاب على إرهاب وجرمه بقدر أذاه وفعله الذميم.

2 – إرهاب محمود:

وهو الإرهاب المعاكس لذلك الإرهاب المذموم. هو إرهاب المحق المظلوم الذي يدفع الظلم عن المظلومين. وذلك بإرهاب ظالمة ودفعه.

ومن هذا القبيل إرهاب رجال الأمن العدول للصوص وقطاع الطرق. وإرهاب المقاومين للمحتلين. وإرهاب المدافعين عن أنفسهم لأعوان الطاغوت. فهذا إرهاب محمود.

إرهاب الأعداء فريضة دينية ، واغتيال رؤوسهم سنة نبوية:

أذكر أني أُلحقت بدورة تدريبية لإعداد كوادر الجهاز العسكري لتنظيم الإخوان المسلمين أيام الجهاد والثورة على نظام حافظ الأسد وكان لي من العمر 22 عاما. وكان ذلك في معسكر الرشيد التابع للجيش العراقي ببغداد سنة 1980م. ولما دخل علينا المدرب – وكان– رحمه الله – رجلا فاضلا ، وشيخا مسناً من الرعيل الأول ، من الذين بايعوا الشيخ حسن البنا رحمه الله لما كان عمره 17 عاما ، وجاهد في فلسطين سنة 1948م، وجرح في القدس ، وعمل في الجهاز الخاص ، وشارك في المقاومة السرية ضد الإنكليز في قناة السويس مطلع الخمسينات ، وصحب سيد قطب رحمه الله ، وهاجر عن مصر بقية حياته ، وكان مدربا في معسكرات الشيوخ في شرقي الأردن مع منظمة التحرير سنة 1969م وانتدب لمساعدة أكثر من حركة جهادية ساندها الإخوان عندما كانوا إخوانا على منهج البنا وقطب ، قبل طاعون الديمقراطية والبرلمانات...

فكان يدربنا المواد العسكرية ويجري معنا في الطابور الرياضي – رغم سنواته التي ناهزت الستين – ويلقي فينا المحاضرات. وأذكر أنه أول ما دخل على الفريق المكون من 30 شابا هم نخبة الجهاز العسكري للإخوان السورين في حينها ، كان أول ما قاله لنا بلهجته المصرية :

(**إنتو إخوان مسلمين ؟**) فقلنا نعم. فقال: (**متأكدين يبني**) ؟ قلنا متأكدين. فقال مشيرا إلى عنقه: (يِبَقى حَتِدِّبْحُوا كُلُّكُو ..موافئين ؟) .. فقلنا جميعا والسرور والبهجة تغمرنا : موافقين يابيه..

فاستدار إلى السبورة وكتب عليها عنوان أولى المحاضرات :

(الإرهاب فريضة والاغتيال سنة) !

وخط تحتها خطا واستدار لتبدأ الدروس .. ونبدأ المشوار .. فوعينا الدروس وطال المسار وبقيت البشارة .. والأمل في كرم الله كبير لمن قضى نحبه من ذلك الفريق ولمن ينتظر.

وهذا الذي لخصه الشيخ – رحمه الله – جزء من عقائد هذا الدين . وقد افتتحت بها فيما بعد دروسي.

لقد أمر الله بإرهاب أعدائه في صريح كتابه ، وجاءت به سنة رسوله المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية. وقد فصل الكتاب والسنة أحكام هذا الإرهاب المحمود لأعداء الله بصريح العبارة. ففي القرآن قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (لأنفال:60) .

والآية صريحة النص قطعية الدلالة.. (**وأعدوا**) أي تدربوا على القتال. (**لهم**) أي لأعدائكم (**ما استطعتم من قوة ومن رباط الخير**) وهو

الرمي والركوب والسلاح. قال ﷺ: (**ألا إن القوة الرمي**) يكررها ثلاث مرات.

فلماذا الإعداد والتدرب على القتال وحشد السلاح وربط الخيل؟.. لقد بينت الآية ذاتها ذلك: (**ترهبون**): أي لكي ترهبون (**به**): أي بما أعددتم للقتال (**عدو الله وعدوكم**): وهم المقصودين بالفعل الإرهابي. (**وآخرين من دونهم**) : أي ممن يعينهم ويساعدهم أو يتربص بكم للعدوان. فلما يرى هؤلاء إرهابكم للمعتدي ومقاومتكم ودفاعكم عن أنفسكم (يُرهَب) ويخاف ويُردَع عن الإقدام ، من دون أن تكونوا قد علمتم بعزمه على العدوان. ولكن الله علم ذلك وردعه بإعدادكم وإرهابكم لأعداء الله المعتدين. والله تعالى أعلم.

وهكذا وباختصار:

لقد أمرت الآية الكريمة بالإعداد بغية الإرهاب للمعتدين وأعداء الله من الكفار وأعوانهم.

وقد فهم الفار الآية أكثر من كثير من علماء المسلمين في هذا الزمان ، فطالبت أمريكا كل الدول الإسلامية بحذفها ، وكل (سورة الأنفال) و (التوبة) و(آل عمران) .. من مناهج التعليم !!.

ومن يرهب الآخرين فهو (**إرهابي**) بلا لف ولا دوران ، وبهذا فهناك:

- **إرهابي ظالم معتد..**
- **إرهابي عادل مدافع عن نفسه أو عن المظلومين الآخرين.**

وبذلك لا نجد في كلمة **إرهابي** أي مدلول سيئ في حالة نعت بها المقاومون والمجاهدون.. فهم في الحقيقة إرهابيون لأعدائهم وأعداء الله وعباده الضعفاء ، فأين الإشكال وأين المذمة ؟!

.. **نعم نحن إرهابيون لأعداء الله.** وقد أرهبناهم وجعلناهم يرتجفون في جحورهم رغم مئات الآلاف من العاملين في أجهزتهم الأمنية. ولله الحمد ، وذلك بعد أن أرهبوا البلاد والعباد وأدخلوا الخوف على الأجنة في بطون أمهاتهم ..

ومن هنا فالإرهاب مأمور به في كتاب الله ، فيكون في مثل حال دفع المجاهد لعدوه و إرهابه في جهاد الدفع ؛ فريضة من أهم الفرائض بل ليس أوجب بعد توحيد الله منها كما نص على ذلك الفقهاء والعلماء ، قبل أن يطالنا إرهاب وسائل إعلام العدو و إرهابهم الفكري أن نتبرأ من ذواتنا و كتاب ربنا وفرائض ديننا..

ولقد علم أعداء الله أن الأمر بإرهابهم متكرر في كثير من المواضع في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فصرح (رامسفيلد) وغيره بذلك. وطالبوا الدول الإسلامية بحذف آيات كثيرة من مناهج التدريس في بلاد العرب والمسلمين حتى وصل الأمر إلى قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الكافرون ... لكم دينكم ولي دين ﴾ فقالوا هذه آيات تبعث على

الكراهية وتفرق بين أهل الأديان ويجب حذفها !! ، وما أدري أين يذهب المنافقون المغفلون بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد:4) .

وقوله ﷺ : (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي و جعل الذلة و الصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهم منهم) ، وقوله ﷺ : (يا معشر قريش و الله لقد جئتكم بالذبح)... !

ولقد استجاب الحكام ووزارات التربية لهم وعدلت المناهج مرارا والشواهد كثيرة جدا وآخرها خروج وزيرة الثقافة الباكستانية جهارا أمام الصحافة لتقول أن سورتي الأنفال والتوبة يجب حذفها من المناهج لأنها تدعو للإرهاب !!

ثم وصل الأمر أخيرا بأمريكا أن تجمع عددا من العلماء المقيمين في الغرب والمستشرقين ، ليلخصوا القرآن ، ويحذفوا منه ما يدعوا للكراهية و القتال بزعمهم !! ، وخرجوا بمصحف جديد مختصر ، أسموه (فرقان الحق) !! ، وقد تحدث عن هذا عدد من وسائل الإعلام. وقد سمعت بعض ذلك في برنامج عن حصاد الصحافة في

قناة (إقرأ) السعودية – الخليجية ! وهكذا ، وصدق الله العظيم إذ أنذرنا بقوله :

﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة:217) . والأمر واضح بين.

ومن أوائل أعمال الإرهاب لأعداء الله ولرؤوسهم وأئمة الكفر منهم قتال أئمة الكفر . كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة:12) .

فمن أوائل الأعمال الجهادية هو تصفية رؤوسهم قتلاً واغتيالاً. وقد ثبت عنه ﷺ في عدة أحداث منفصلة إرساله لسرايا من المجاهدين كفرق وسرايا خاصة (كوماندوس) من خيار الصحابة.. لينفذوا اغتيال رأس من رؤوس الكفر في زمانه ﷺ و هذه الأحداث ثابتة. بل منها إرساله لاغتيال امرأة شاعرة تؤذي الله ورسوله والمسلمين بشعرها ، فأرسل من اغتالها وأخرس لسانها.

وما فعله رسول الله ﷺ. سنة نبوية نعتز بها ونستن بها ونقتدي بها ونكفر من استنكرها.

وفي آخر حياته ﷺ اغتال (فيروز الديلمي) في اليمن ، رأس الردة فيها (الأسود العنسي) الذي استولي على الملك في اليمن وأراد حمل الناس على الردة فقتله فيروز اغتيالا ، وأخبر جبريل رسول الله بالواقعة وهو في مرض الموت وبشره بها. وأخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته وروي أنه قال لهم :(قُتل الأسود العنسي . قتله رجل مبارك من آل بيت مباركين).

فاغتيال رؤوس الكفر من مدنيين وعسكريين ورجال سياسة ودعاية وإعلام ، من الطاعنين في دين الله، ومن المناصرين لأعداء الله الغزاة للمسلمين. هو سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ وهي من أهم فنون الإرهاب وأعماله وأساليبه الناجعة الرادعة.

بل هي أساليب يطبقها أعداء الله ، وقد حصلت الـ (CIA) على ترخيص من الحكومة الأمريكية باغتيال رؤساء دول إن اقتضت ذلك مصلحة أمريكا القومية ، ونفذوه مرات ومرات. وفي (CIA) شعبة خاصة بذلك ! فما أدري لماذا يحرمون هذا علينا ؟ ثم يتابعهم على الباطل أوباشنا والمنافقون من علمائنا قاتلهم الله ؟!

وبعد هذه المقدمة اللازمة لإزالة اللبس عن لفظة : (إرهاب) ومشتقاتها لأننا سنستعملها كشكل وهدف من أهداف الجهاد ، ننتقل للفقرة التالية.

- **ملاحظات حول أعمال الإرهاب والجهاد الفردي السالفة :**

نلاحظ أن تلك العمليات بقيت محدودة ، وحصلت من البعض كتعبير عن رد فعل عاطفي هنا وهناك. إثر بعض أعمال العدوان على المسلمين. وهي تزداد في أماكن العدوان ذاتها وذلك لن العقول والنفوس مازالت مجبولة على الشعور القطري. فلو غزا الاستعمار بلداً وجدت الكثير من ردود الأفعال فيه. ولكن ذات قوى الاستعمار العسكرية والمدنية ومن مختلف الأشكال موجودة في أقطار مجاورة لا يتهدد مصالحها أحد.

كما نلاحظ أنها غير مبرمجة من قبل أصحابها لكي تكون ظاهرة من أجل تقديم القدوة وجر شباب الأمة للتأسي بها والبناء عليها ، وإنما مجرد ردود أفعال انفعالية.

فلم تتحول لظاهرة لأنها عفوية. ولم يتصد أحد لبرمجتها وطرحها كأسلوب عمل إستراتيجي. وهو ما سنتبناه كاستراتيجية أساسية في أساس نظريتنا العسكرية في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

الظروف والضرورات التي تحتم استخدام المقاومة لأسلوب عمل الجهاد الفردي :

إن مما يفرض أسلوب العمل هذا كخيار إستراتيجي ظروف عدم التوازن في القوي بين المقاومة وتحالف العدوان الكبير من الكفار والمرتدين والمنافقين ، ومن ذلك :

(1) - فشل أسلوب عمل التنظيمات السرية الهرمية في ظل الهجمة الأمنية الدولية والتنسيق الإقليمي والدولي الذي أشرنا إليه آنفاً وضرورة قيام أسلوب عمل لا يمكن تلك الأجهزة الأمنية من التوصل إلى إجهاض خلايا المقاومة باعتقال أفرادها عن طريق التعذيب والاعترافات.

(2) - عجز التنظيمات السرية عن استيعاب كل شباب الأمة الذين يريدون أداء فريضة الجهاد والمقاومة بالمساهمة بفعل ما من دون الاضطرار للالتزام بتبعات الانتساب لتنظيم مركزي.

(3) - اتساع تواجد العدو وتنوع أهدافه وتواجده في بقاع كثيرة يصعب أن تقوم فيها جبهات قتال كما يصعب أن تنشأ فيها تنظيمات مركزية.

(4) - سقوط فكرة الجبهات والمواجهة الثابتة مع العدو نتيجة استخدام العدو لاستراتيجية الحسم الجوي بالقصف الصاروخي المدمر

والرمايات الجوية الموجهة بالأقمار الصناعية التي تسيطر على الأرض بل وترى ما تحت الأرض بفضل التكنولوجيا العالية ، وهو أمر يجب الاعتراف به والتخطيط للمواجهة على أساسه.

الأسس العامة لنظرية العمل الجهادي الفردي في دعوة المقاومة من الناحية العملية:

(1) – نشر ثقافة المقاومة وتحويلها لظاهرة استراتيجية منظمة وليس مجرد مجموعة ردود أفعال.

(2) – نشر فكر المقاومة ومنهجه وأسسه الشرعية والسياسية ونظريات عمله بحيث تكون في متناول من يريدها من شباب الأمة العازم على الجهاد والمقاومة.

(3) – إرشاد المقاومين إلى ساحات العمل المناسبة لجهاد الإرهاب الفردي.

(4) – إرشاد المقاومين إلى أهم الأهداف التي عليهم استهدافها في عمليات المقاومة وجهاد السرايا الصغيرة.

(5) – نشر العلوم والمعارف الشرعية والسياسية والعسكرية وسواها مما يلزم المجاهدين للقيام بأعمال المقاومة من دون أن يكون ذلك بطريقة مباشرة تؤدي لتسلسل اعتقال الشبكات كما حصل في التنظيمات المركزية.

(6) – إرشاد الشباب إلى طريقة العمل المسلح وبناء خلايا سرايا المقاومة بطريقة (نظام العمل) وليس (التنظيم للعمل) كما سنين لاحقاً هنا وفي الباب الخاص بنظريات (أمن الحركة والتنظيم والتدريب والإعداد) ..

(7) – تنسيق طريقة تتلاقى فيها الجهود لتجميع نتيجتها بآلية تحقق إرباك العدو وإنهاكه ورفع معنويات الأمة لتنخرط في ظاهرة المقاومة.

ساحات العمل الأساسية المستهدفة بجهاد الإرهاب الفردي:

نظراً لاتساع الأمة والساحات التي تتواجد فيها أهداف العدو الغازي ومصالحه.. ونظراً لتعذر الرحيل إلى ساحات المواجهة على كل الشباب الراغب بالمساهمة في المقاومة. بل تعذر قيام مثل هذه الجبهات في المدى المنظور فإن طريقتنا تعتمد إرشاد المسلم الذي يريد المساهمة والمقاومة إلى العمل حيث هو، أو حيث يستطيع التواجد بشكل طبيعي ويمارس حياته العامة بشكل طبيعي ويمارس الجهاد والمقاومة سرياً بنفسه أو مع خلية صغيرة من الموثوقين لديه يشكلون سرية مستقلة للمقاومة والجهاد الفردي.

وأما أولوية الساحات التي يجب أن نضرب بها العدو فإن ترتيب أولوياتها يكون:

1- حيث تؤلم العدو أكثر وتكبده أفدح الخسائر.

2- حيث توقظ المسلمين أكثر وتحيي فيهم روح الجهاد والمقاومة.

وبهذا يكون تسلسل الساحات بحسب أهميتها كما يلي:

1- بلدان الجزيرة العربية والشام ومصر والعراق:

فهذه الرقعة تحتوي المقدسات ، والنفط ، وإسرائيل ، ودول الطوق المحيط بها. والوجود الأمريكي عسكرياً واقتصادياً ، وهي المقر الأساسي والنهائي للطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

2 - بلدان شمال إفريقيا من ليبيا إلى موريتانيا:

وفيها مصالح الغرب ولاسيما الدول الأوروبية الحليفة الأساسية لأمريكا في الناتو.

3- تركيا والباكستان وبلدان وسط آسيا:

وفيها ثاني أكبر مخزون للنفط في العالم ، وفيها مصالح أمريكا الإستراتيجية وقواعدها العسكرية واستثماراتها الاقتصادية الأساسية ، وفيها حركات إسلامية ضخمة وتاريخية ، تعتبر عمقا استراتيجيا لحركات الجهاد والمقاومة العربية.

4 - باقي بلدان العالم الإسلامي:

وتحتوي على مصالح وتواجد الأمريكان ودولهم الحليفة. وبمجموعها تحتوى على الظهير الأساسي للمقاومة ، وهم شباب

الأمة المتعاطف مع قضاياها والراغب بالمشاركة في الجهاد والمقاومة وهو ظهير بمئات الملايين من المسلمين .

5 – المصالح الأمريكية والحليفة في بلدان العالم الثالث:

ولاسيما الداخلة في الهجمة الصليبية وذلك لإمكانياتها الأمنية الضعيفة قياساً بالإجراءات الأمنية التي تطبقها الدول الغربية في بلدانها. والجهاد في هذه البلدان يقع أساساً على عاتق المجاهدين المقيمين أساساً في تلك البلاد ويعيشون فيها حياة طبيعة تساعدهم على الحركة والتخفي ومعرفة الأهداف وسهولة التعامل معها.

6 – في دول أوروبا الحليفة لأمريكا الداخلة معها في الحرب:

وذلك لتواجد جاليات إسلامية ضخمة وقديمة فيها يزيد تعدادها في أوربا على 45 مليون نسمة. وهي جاليات بالملايين في أستراليا وكندا وأمريكا الجنوبية.

وخاصة أوربا لقربها من العالم العربي والإسلامي وتداخل مصالحها معها وكثرة الحركة والتنقل فيما بينها وبينه. والمسلمون في تلك البلاد مثلهم مثل المسلمين في كل مكان عليهم فريضة الجهاد والدفع والمقاومة سواءً بسواء مع المسلمين في بلادهم.

ولمن العمل في أوربا وتلك الدول يجب أن يخضع لضوابط المصالح والمفاسد السياسية بحسب مواقف تلك الحكومات ، مع اتخاذ

استراتيجية كسب الشعوب وعدم إيذائها ، وهذا سنفصله في النظرية السياسية للمقاومة إن شاء الله.

7- في قلب أمريكا ذاتها. وذلك باستهدافها بالعمليات الإستراتيجية المؤثرة كما سيأتي بيان ذلك في الفقرات التالية إن شاء الله. فهي رأس الأفعى كما أسماها الشيخ أسامة بحق ، وهي أصل البلاء ورأس الحلف الذي سينفرط بهزيمتها ، وننتقل لمرحلة تاريخية جديدة إن شاء الله .

أهم الأهداف المعادية التي يستهدفها جهاد الإرهاب الفردي:

الهدف من عمليات المقاومة وجهاد الإرهاب الفردي هو إنزال أكبر كمية ممكنة من الخسائر البشرية والمادية في مصالح أمريكا والدول الحليفة لها. وإشعارهم بأن المقاومة قد تحولت إلى ظاهرة انتفاضه ضدهم بسبب عدوانهم تمتد من وسط آسيا وجنوبها وجزر الفلبين وإندونيسيا شرقا وإلى سواحل الأطلسي غربا ، ومن القفقاس وبلاد القرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا ، وإلى الهند ووسط أفريقيا جنوبا ، على امتداد العالم الإسلامي بالإضافة لأماكن الانتشار البشري للمسلمين.

وساحة البلاد الإسلامية هي الساحة الأساسية للمقاومة كما بينا في النظرية السياسية وكما سنوضح في فقرة (استراتيجية المقاومة) في نهاية هذا الفصل الهام.

والأصل في العمل هو ممارسة المجاهد عضو المقاومة بالجهاد الفردي في أرضه حيث يعيش ويقيم ، ومن دون أن يكلفه الجهاد مشقة السفر والهجرة والتحرك إلى حيث يمكنه الجهاد المباشر. فالعدو اليوم واحد وهو منتشر في كل مكان والحمد لله.

وإذا أردنا أن نذكر أهم الأهداف بحسب أهميتها فنقول بأنها:

1. في بلادنا (العالم العربي والإسلامي)
2. وفي بلادهم (أمريكا والدول الحليفة).
3. وفي (بلاد العالم الأخرى).

- **أولا: الأهداف في الساحة الأساسية (بلاد العالم العربي والإسلامي):**

(1) - مراكز التبشير والتنصير والبعثات الثقافية والمؤسسات المشرفة على الغزو الحضاري والفكري الأمريكي الغربي لبلاد المسلمين. من دون المساس بدور العبادة ومرافق النصارى الأصليين المقيمين في بلادنا.

(2) - كافة أشكال التواجد الاقتصادي الأمريكي والغربي الحليف له: (شركات ، مناجم ، خبراء، مهندسين، تجار، مندوبين شركات أجانب (من غير المسلمين) .. مساكن أسر هؤلاء اللصوص المستعمرين...إلخ .

(3) – كافة أشكال التواجد الدبلوماسي لأمريكا وحلفائها من سفارات وقنصليات وبعثات دبلوماسية...إلخ .

(4) – كافة أشكال التواجد العسكري لأمريكا وحلفائها.. (قواعد عسكرية– أساطيل بحرية– موانئ – مطارات – محطات تحرك – قطعات عسكرية...إلخ).

(5) – كافة أشكال التواجد الأمني لأجهزة الاستخبارات الأمريكية والغربية الحليفة مثل مكاتب (CIA) و (FBI) وسواها المعلنة أو المستترة بأغطية وهمية.

(6) – كافة أشكال وفود التطبيع الصهيوني أو الأمريكي الغازية لبلادنا اليوم عبر المؤسسات المدنية والأهلية والحكومية من ثقافية ورياضية وفنية... وسوى ذلك.

(7) – كافة أشكال التواجد السياحي من شركات السياحة ووفود السياح الأجانب ومكاتبهم وشركات طيرانهم وغير ذلك. فهؤلاء هم سفراء الرذيلة والفساد والدعارة والانحلال. فضلاً عن أنهم الصورة المهينة للاحتلال الذي استولي على بلادنا وحولها إلى حديقة خلفية للاستراحة والاستجمام لفجاره والمترفين من شعوبه..

(8) – الأركان الأساسية لأنظمة الردة المتعاونة مع الحملات الغازية.

(9) – الأركان الأساسية لقوى العمالة ومختلف أشكال التطبيع مع الحملات الغازية في شتى المجالات.

وباختصار.. استهداف كافة أشكال التواجد البشري والمادي للأمريكان وحلفائهم في بلادنا وهي الساحة الأساسية للمقاومة.

تفاصيل هامة:

- **البعد الاقتصادي للاحتلال الأمريكي:**

إن البعد الاقتصادي للاحتلال الأمريكي القادم إلى بلادنا هو من أهم أبعاد هذا الاحتلال والغزو الصليبي واليهودي ، بعد البعد الديني والحضاري الذي تحركه دوافعهم الصهيونية والصليبية. وإيمانهم بأساطيرهم وخرافات كتبهم الدينية المنحولة.

وبلاد المسلمين تحتوي على بحيرات النفط الأساسية في العالم. حيث تمتلك السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي أكبر احتياطي معروف في العالم، ويمتلك العراق أكبر احتياطي غير مستكشفي العالم يقدر بـ (300 مليار برميل على الأقل). وتمتلك منطقة وسط آسيا ومحيط قزوين ثاني أكبر احتياطي معروف في العالم ، وفي سوريا احتياطيات هائلة يتحاشى الإستعمار الحديث عنها ، وفي السودان والقرن الإفريقي بحيرة جوفية نفطية هائلة ، وفي شمال إفريقيا وخاصة في الجزائر مثل ذلك ، ويشكل غاز الجزائر الذي يعبر إلى أوربا عبر

المغرب ومن تحت مضيق جبل طارق نحو (65 %) من استهلاك أوربا للطاقة !!!.

ويمتلك العالم العربي والإسلامي ثروات معدنية مختلفة هائلة أيضاً فضلاً عن الثروات الزراعية والحيوانية ومصادر المياه العذبة ...إلخ فالهدف الأول للاستعمار هو **نهب تلك الثروات** ، وكما صرح معاون بوش الأب إبان حرب الكويت 1990م: (بأنهم جاؤوا لتصحيح خطأ الرب بخلق النفط في بلادنا) تعالى الله علوا كبيرا عما يقول أحفاد القردة والخنازير.

و الهدف الثاني للاستعمار الأمريكي والغربي هو تحويل بلاد العالم الإسلامي التي يشكل مجموع سكانها (1/5) سكان الكرة الأرضية تحويلهم إلى **سوق لتصريف المنتجات** الغربية الصناعية والتكنولوجية التي تعاني من ركود كبير ومنافسة من مصادر شرق آسيا والصين . وهكذا يمكن اختصار الأهداف الاقتصادية للاستعمار والغزو الأمريكي والغربي بنقطتين:

1 – نهب الثروات   2– تصريف المنتجات.

وهذين الهدفين يجب أن يكونا هدفاً للمقاومة وللإرهاب المشروع. يجب أن نقطع عليهم طريق أخذ الثروات. ونمنعهم من بيع المنتجات.

ليس فقط عبر جهاد العجزة والمقعدين من الدعاة للمقاطعة السلمية، ومن الحملات الكلامية العالمية لدفع العدوان! – وهي مقاومات هامة إذا اقترنت بالدفع الجهادي- ولكن بالمقاومة العسكرية وجهاد الإرهاب الفردي وعمل السرايا المقاومة الصغيرة.

إن فقهاء الإسلام مجمعون على حرمة بيع العدو ما يقويه على المسلمين ، فكيف بوقود الدبابات والطائرات وقت الحملات الصليبية؟!

وعليه فإن من أهم الأهداف المعادية تفصيلاً:

أولا : النفط ومصادر الطاقة من المنبع إلى المصب:

وهي من أهم أهداف المقاومة (حقول النفط – أنابيب النفط – موانئ التصدير – خطوط الملاحة البحرية والناقلات – موانئ الاستيراد في بلادهم – مستودعات التخزين في بلادهم)..

قد يقول قائل بأن هذا النفط هو مورد عيش المسلمين في تلك البلدان المصدرة للنفط .. وهذا غير صحيح ، إنها مصدر نهب العدو لهذا الشريان المتدفق عليهم بالطاقة والصناعة والمال .. إنه شريان الحياة لأعدائنا القتلة الغزاة الصليبيين ، ودم آلتهم العسكرية التي تصب علينا الموت والذل صباح مساء منذ مطلع القرن العشرين، وإلى اليوم .. ولا يعود في الواقع منه على بلادنا إلا نسبة يسيرة يصب

معظمها في جيوب حفنة من الأمراء المرتدين الحاكمين ، وذريتهم وأزلامهم من الفساق والزناة والمعربدين الذين يتحكمون بها. ولا يفيض منها على باقي شعوبهم إلا الفتات. هذا فضلاً عن أن نصيب فقراء هذه الأمة من شعوب المسلمين الأخرى ، هو الحرمان رغم حق الجميع شرعا في نعمة الله هذه ..

إن (50 %) من عائدات النفط تذهب للشركات الأجنبية بحكم العقود الاستعمارية ، وتتحول الـ (50%) الباقية أرقاماً إلكترونية بلهاء في بنوك اليهودية العالمية ! ليس لأصحابها اللصوص من فجار الأمراء الحق والحرية في سحب شيء منها إلا بموافقة اللصوص الكبار أسيادهم من اليهود والصليبين.

لقد تحول النفط لعنة بعد أن كان نعمة. وهكذا بدل حكام المسلمين نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار !!

نعم إن تعطل تصدير النفط سيفقد تلك الحكومات الخائفة ميزانياتها. وبالتالي سينعكس هذا على قطاعات التنمية الاقتصادية المحدودة التي تتم في تلك البلاد.. ولكن ما هو وزن هذه المضرة الجزئية على تلك الشرائح المحدودة قياساً بمضرة وصول هذا النفط إلى العدو الصهيوني والصليبي ؟! الأمر واضح.. !!

باختصار إنه شريان حياة أعدائنا وينبع من بلادنا ويجب علينا قطعه..

وعندما تؤول ثرواتنا إلينا ونملكها نتعامل معهم تعاملاً تجارياً صحيحاً على أساس قواعد العدل وحسن الجوار.

ثانيا : مناجم الثروات المعدنية:

ذهب، نحاس، حديد، ألومونيوم ، كوبالت، فوسفات ،...إلخ . وقائمة ثرواتنا تطول. وهذه أيضاً يجب قطع الطريق عن وصولها إليهم ومنعهم من استثمارها. وكذلك يكون ذلك بمنع تصديرها. بإغلاق المناجم وقطع طرق التصدير ووسائلها.

ثالثا : المضائق البحرية والمعابر المائية الرئيسية:

في الكرة الأرضية خمسة (5) مضائق بحرية هامة أربعة منها في بلاد العرب والمسلمين والخامس في أمريكا وهو مضيق باناما. وهذه المضائق هي:

1- مضيق هرمز بوابة النفط في الخليج العربي – الفارسي.
2- قناة السويس في مصر.
3- باب المندب بين اليمن والقرن الأفريقي.
4- مضيق جبل طارق في المغرب الأقصى.

وهذه المعابر المائية يمر فيها معظم اقتصاد العالم الغربي تجارةً ونفطاً كما تمر فيها الأساطيل العسكرية وحاملات الطائرات و صواريخ

الموت الذاهبة إلى أطفالنا ونسائنا.. ويجب إغلاق هذه المعابر حتى ترحل الحملات الغازية. وذلك باستهداف سفن الأمريكان وسفن الدول الحليفة معها من جهة. وذلك بإغلاقها بالألغام ، وإغراق السفن فيها ، أو بتهديد الحركة فيها بالعمليات الاستشهادية وأعمال القرصنة وبقوة السلاح ما أمكن.

يجب أن يعرف العدو وشعوب بلاد العدو أنهم أشعلوا حرباً عالمية شريرة بسبب نزوات حكامهم والصليبيين والمتصهينين. وأن عليهم أن يرحلوا عن بلادنا وينهوا تدخلهم بها ودعمهم لحكامهم الخونة. وأنهم إن لم يعقلوا ويتصرفوا بعدل وإنسانية ، فإنهم يجب أن يأخذوا خطهم من الموت الذي يذيقونه لأهلنا وأطفالنا ، وأن ينالوا حظهم من الفقر والإنهيار الاقتصادي ونكد العيش الذي يسببوه لنا. ويجب أن نقنعهم بقوة السلاح ونتائج المقاومة وما يترتب عليهم من خسائر.. أنه من الخير لهم أن يتركوننا وشأننا ، لنسقط حكامنا المجرمين ، ومن ثم نقيم حكوماتنا الشرعية ونتعامل معهم وفق قواعد حسن الحوار والمعاملة الشرعية المنصفة.

ويجب أن نفهم شعوبنا عبر البيان والإعلام والتحريض ، أن عليهم أن يتحملوا ضريبة الحرب إلى جانب المجاهدين .. وأننا في حالة حرب فرضها العدو، ويجب أن نتحمل خسائرها الإقتصادية المؤقتة. حتى لا نخسر كياننا وثرواتنا وديننا وكل مكونات وجودنا.

ضرب الأهداف الإستراتيجية لحلفاء الحملات الصليبية اليهودية في البلاد العربية والإسلامية:

كما بينا في الباب الثاني (النظرية السياسية للمقاومة) فإن الحملات الأمريكية تعتمد بصورة رئيسية في زحفها على بلادنا على ظهير ضخم من قوى الردة والنفاق. وعلى طابور خامس طويل عريض من المتأمركين الذين يرحبون بهذا الغزو ويربطون مصالحهم ووجودهم به.

وهذا الفريق الضخم من تحالف المرتدين والمنافقين أشكال وأنواع بعضها متوافق وبعضها متنافس وبعضها متحارب.. وسنختار أهم وأبرز مفاصل هذه الجبهة من ركائز الإستعمار بحسب أولوياتها. ونبين أهمية وكيفية استهدافها بما يتناسب مع الإستراتيجية العامة للمقاومة. وهي إعطاء المحور الأساسي في المقاومة لمواجهة القوات الغازية. أمريكا وحلفائها. والاقتصار في الجبهات الفرعية في بلادنا على المحاور الهامة والرئيسية متوافقين مع نظرية البناء والهدم.

فكما يجب علينا أن نبني قوى المقاومة وننشر سراياها ، يجب أن نهدم ونحطم ونصفي مرتكزات قوى الخصم الهامة بين أظهرنا ، بما لا يشغلنا عن المحور الأساسي للهجوم الإستراتيجي قي مقاومة الاحتلال وهم الأعداء الخارجيون.

وأهم هذه الأهداف العسكرية للمقاومة من قوى الردة والنفاق في بلادنا:

(1) – الحكومات العربية والإسلامية:

وذلك باستهداف ملوكها ورؤسائها وأمرائها وكبار وزرائهم ومسؤوليهم الكبار فقط. ولاسيما الذين يرتكز عليهم مشروع الغزو الأمريكي. أو من ترتكز عليهم الحملات الأمنية من كبار المسؤولين ورجال الطبقة الأولى.

دون تحويل ذلك إلى ثورة محلية وحركة جهاد هدفها جهاد الحكومة واستهداف منشأتها ورموزها كباراً وصغاراً على غرار ما حصل في الثورات الجهادية السالفة في مصر وسوريا والجزائر وغيرها وآلت للفشل كما بينا سابقا.

فالمطلوب فقط تصفية كبار رؤوس المرتدين المتحالفين مع الحملات الأمريكية الغازية وقصدهم هجوماً.

(2) – قوات الأمن والقوى العسكرية والسياسية المتعاونة مع الاحتلال مباشرة:

كحالة الشرطة العراقية ، والشرطة الكشميرية .. والجيش الذي يعمل بإمرتهم ، حال وجود هذه الصورة. واستهدافهم هجوماً. وذلك

قبل أن تتمدد هذه الأجهزة ويستغني الاحتلال بوجودها عن استخدام قواته. [وهذا في حال الاحتلال المباشر الصريح فقط].

(3) – قوات الأمن وجيش وعساكر الأنظمة والتي تستهدف المجاهدين والإسلاميين:

وهذه نشتبك معها دفاعاً فقط ولا نستهدفها هجوماً بل يجب أن تستهدف بخطاب إسلامي ووطني وعاطفي لين لجرها إلى خندق المقاومة. ولإرشاد أفرادها وضباطها إلى الدور الذي يمكن أن يؤدونه دفاعاً عن دينهم وبلادهم وأمتهم.

ولكن في حال تصديهم للمجاهدين وقصدهم بالقتل والاعتقال والأذى فيجب الاستبسال في دفعتهم وعدم الاستسلام لهم. وقتالهم قتال طائفة الردة والكفر. من دون اعتقاد كفر أعيانهم (وقد أتى شرح هذا في نظرية المنهج).

ويجب نشر ثقافة عدم الاستسلام في شباب المقاومة ورفض الأسر والدفاع حتى الشهادة ما أمكن.

(4) – دعاة الإستعمار ورموزه:

ظهرت طبقة جديدة في المجتمعات العربية والإسلامية من العلمانيين والمعارضين الديمقراطيين الذين يدعون صراحة إلى الترحيب

بالمشروع الأمريكي على كافة الصعيد العسكرية والسياسية والفكرية والثقافية من أمثال النموذج الشهير الدكتور (سعد الدين إبراهيم). وهذه (الموديلات المرتدة المنافقة) تعمل اليوم صراحة ، مستغلة الغطاء الأمريكي تحت ذرائع مؤسسات المجتمع المدني والدعوى الديمقراطية ، حتى أنه أصبح لها حصانه ضد أجهزة قمع الطواغيت. وتمددت وصار لها ومؤسسات وبرامج عمل وموارد هائلة من الأمريكان علناً. فهذه النماذج هي من أهم الأهداف العسكرية لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية . فيجب أن يقصد رؤوسها بالاغتيال والتصفية ، ومؤسساتها بالنسف والحرق والتدمير، لتلحق بمساجد الضرار التي أمر الله تعالى ورسوله بتحريقها وإزالتها.

(5) – مشاريع التطبيع الصهيوني والأمريكي:

يعتمد الهجوم الإستراتيجي الأمريكي اليوم على بث مشاريع ذات طابع فكري أو ثقافي أو منهجي أو أكاديمي جامعي في البلاد العربية والإسلامية. والهدف منها نشر الثقافة الاستعمارية من جهة وتخريج أجيال من المتأمركين محلياً ، أو ابتعاثهم إلى أمريكا وبعض الدول الحليفة ليحوزوا الشهادات ويأخذوا الخبرات ويتأهلوا ليكونوا حكام ورجال المرحلة الأمريكية القادمة في (الشرق الأوسط الكبير)..

وتقوم وسائل الإعلام الأمريكية بالدعاية لهذه الشراذم المصنوعة أمريكياً ، والترويج للحاق بها في أوساط الأقليات العرقية أو الدينية ، أو أوساط النخبة المالية والسياسية والاجتماعية ، في المجتمعات العربية والإسلامية. وهذه المشاريع من قبيل (مشروع وادي عربة) على الحدود الإسرائيلية الأردنية وهذه المؤسسات والمنشآت هي من أولى أهداف المقاومة بالنسف والتدمير والتحريف. وأولئك المتخرجين منها والمتعاملين معها وكبار الداعمين لها. من أهم الأهداف المقصودة بالتصفية والاغتيال . فهم مرتدون منافقون من كبار أئمة الكفر الطاعنين في دين الله ، الخائنين للمسلمين.

(6) – كبار الطاعنين في دين الله والمحاربين للمجاهدين من رجال الإعلام والفكر الاستعماري:

وهذا طابور بدأ يتوسع كثيرا هذه الأيام ، ويتكون من أدباء أو شعراء أو مفكرين أو كتاب أو صحفيين... ، وهؤلاء الذين يشنون اليوم الغارة على عقائد الإسلام وعلى المدافعين عنه بكل صراحة جهارا نهارا بلا خوف ولا حياء. وقد استطالوا على دين الله وعلى عبادة المجاهدين. وراحوا تحت ستار وغطاء (الحملة الدولية على الإرهاب) كما يدعونها يكشفون عن أحقادهم الدفينة على دين الله

وأوليائه . وقد انجرت الصحوة الإسلامية ورجالها ومؤسساتها ، إلى دوامة الاشتباك معهم عبر الحوارات والقنوات الفضائية وهذا جيد.

ولكن السباق يسير تحت عنوان احترام الآخر والاعتراف بالرأي الآخر وهذا باطل. فهؤلاء ليسوا مجرد جهال أو مخالفين حتى يحاوروا بالحسنى. فأكثر هؤلاء مسلمين أصلاً مرتدين واقعاً ، أو أنهم من غير المسلمين أصلاً كالنصارى والأقليات الكافرة في مجتمعات المسلمين. فهم ليسوا على ذمة ، ولو كانوا عليها لانتقضت بشنهم الحملات الدعائية على الإسلام وأهله.

فهؤلاء أسماهم القرآن صراحة (أئمة الكفر) ، وأمر بقتالهم واغتيالهم ، فيجب قتلهم استجابة لأمره تعالى في صريح كتابه العزيز: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة:12) .

(7) – دعاة الانحلال والفسوق والرذيلة ومؤسسات إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا:

تعتمد الغزوات الأمريكية الصليبية اليهودية اليوم. على تحطيم الأسس الدينية والأخلاقية والثقافية والفكرية للمسلمين. ومن أساليب ذلك نشر ثقافة الانحلال والرذيلة والزنا والفجور، والسفور والعرى والاختلاط.. ومختلف أشكال الفساد الاجتماعي. وقد افتتحت

لذلك كثير من وسائل الإعلام والدعاية وشغلت فيها كثيراً من رجال الفكر والفن والأدب وسوى ذلك. ومن أعظم وسائلها اليوم المحطات التلفزيونية الفضائية التي تمول من قبل مليونيرات الدعارة و الفساد من بعض رجال المال الخليجيين والسعوديين وسواهم من شاكلة أمير الدعارة (الوليد بن طلال بن عبد العزيز) وشبكة فضائياته ..

روتانا وغيرها .. والآن ..

تحاول بعض وسائل الإعلام الشريفة ، وبعض رجال الصحوة الإسلامية التصدي لهذا السيل العفن والوباء الجارف من ثقافة الإفساد والانحلال والرذيلة عبر الحوارات والتوجيهات المعاكسة. ويحاولون نشر ثقافة الفضيلة والحفاظ على الهوية الدينية والأخلاقية للأمة. وهذا طيب ولكنه غير كاف.

فعندما تنتشر الجراثيم والأوبئة والجراد .. لا تكافح بالحوار !

وإنما بالمبيدات الحشرية ، وأدوية إبادة الجراثيم. وهذا بدهي لكل عاقل.

فالواجب شرعاً وعقلاً ومنطقاً أن تكون هذه المؤسسات وكبار رجالها ودعاتها والقائمين عليها هدفاً للنسف والتدمير والاغتيال لرؤوسها.

من أمثال سيء الذكر هذا ؛ الأمير (الوليد بن طلال) وأشباهه ومن أمثال (فضائية روتانا) .. وبرامج (فيديو كلوب) ، و(ستار أكاديمي) ، وغيرها من مظاهر الطاعون الزاحف عبر الفضائيات اللبنانية وغيرها من دعاة الرذيلة والفساد..

وقد اتسع الخرق على الراقع فلا يستلزم ذلك فتح حرب مع كل صغير وكبير من هؤلاء ولكن مع الرؤوس، الرؤوس الفنية والأدبية وقبل ذلك المالية التي تمول بوابات الشيطان على دين الأمة وأخلاقها قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النور:19) .

- **تنبيه هام جداً جدا ... جدا :**

هناك بعض المنتسبين لقطاع علماء المسلمين أو دعاة وقيادات الصحوة الإسلامية من الذين شذوا إما طمعاً في المكاسب الدنيوية والمناصب لدى حكوماتهم. أو خوفاً من بطشهم والتلبس بتهمة الإرهاب والعنف. فراحوا يدندنون تحت دوى (الإسلام المعتدل) و (احترام الآخر) و (الوسطية).. بتقديم إسلام مشوه معدل على المقاس الأمريكي. وقد تجاوز بعضهم إلى حد التهجم على فريضة الجهاد ومبدأ المقاومة. وصاروا يحاربون المجاهدين في سبيل الله ، ويشنون هجمة لا هوادة فيها على المقاومين ورؤوسهم ومجاهديهم من جند الله. ويصدرون الفتاوى بالحكم عليهم بأنهم مفسدون في الأرض. ويفتون الحكام والسلطات الاستعمارية بأنهم خوارج ومفسدون ، ويحلون لهم قتلهم وسجنهم وتعذيبهم ، بل بلغ الأمر أنهم يتألون على الله بأن هذه النخبة من المجاهدين ليسوا شهداء ولا

يدخلون الجنة !!.. بل صاروا يدعون عوام المسلمين إلى التعاون مع أمن الحكام المرتدين والسلطات الاستعمارية في كشف أسرار المجاهدين والتبليغ عنهم تحت دعاوى التعاون ضد الإرهاب أو الحفاظ على مصالح المسلمين..

وهنا أنبه إلى أمر هام جداً..

فعلى الرغم من أن كثيراً من هؤلاء قد صاروا بذلك في حكم المرتدين والمنافقين المجاهدين للمؤمنين بولائهم للطاغوت وللكفار الغزاة.. وحلت دماء الكثيرين منهم شرعاً للردة والخيانة وحرب الله ورسوله والمؤمنين ..

إلا أن :

إلا أن من الأسس الاستراتيجية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن يكون سلاح المواجهة مع هذه الفئة المارقة من دعاة الشيطان وعلماء السلطان ، الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها ؛

هو بالحجة والبيان والأدلة الشرعية والسياسية والواقعية العقلية.

وليس بالسلاح والسيف.

وإن كان كثير منهم يستأهلونه. وذلك درءً لمفاسد عظيمة. مما لا يخفي من وضع السيف بين المسلمين وتعصب أتباعهم لهم ومحاربتهم للمجاهدين وانقلابهم على المقاومة إلى معسكر الأعداء.. إلى آخر ما هنالك من المفاسد العظيمة..

فالمواجهة مع هؤلاء .. كما نؤكد ونعيد بالحجة والبينة من أهلها ، من أهل العلم والقلم والأدب. وليس بالسلاح ..

السلاح يوجه لصدور الغزاة وكبار المتعاونين معهم من كبار المرتدين والخونة كما بينا هجوماً. وضد من قصد المجاهدين من جنود الطواغيت بالقتال دفاعاً. وهذا أساس استراتيجي في غاية الأهمية من أسس النظرية السياسية والعسكرية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

- **ثانيا: ضرب الغزاة في بلادهم في قلب أمريكا وفي أراضي الدول الحليفة لها عسكريا :**

بالنسبة لضرب أمريكا أو أي من حلفائها في أراضيها واستهداف دولة أو ترك أخرى. أو استهدافها ثم التوقف عن استهدافها. أو الإعراض عنها ثم استهدافها ثانية.. فهذا ليس محل بحثه هنا وإنما في الباب الأول والثاني الذي اختص بالبعد الشرعي والعقدي وكذلك بالبعد السياسي لأساسيات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. ولكننا هنا نبحث الأمر من زاويته العسكرية في حال كان من المصلحة السياسية استهداف دولة ما.

فإذا ما كان استهداف دولة ما مشروعاً شرعاً وللمقاومة فيه مصلحة سياسية فإن أهم الأهداف التي يجب استهدافها هي التالية:

أهم الأهداف في أمريكا والدولة الغربية الحليفة لها عسكريا :

(1) - الشخصيات السياسية الرئيسية التي تقود الحملة على المسلمين من رؤساء الدول ووزرائها وقادتها العسكريين والأمنيين.

(2) - الأهداف الإقتصادية الإستراتيجية الكبرى مثل : مقرات البورصة – مجمعات الطاقة والنفط – المطارات – الموانئ – شبكات السلك الحديدة والجسور وعقد الطرق السريعة – الأنفاق على الطرق – شبكات مترو الأنفاق – الأهداف السياحية ...إلخ من مصادر الاقتصاد والموارد .

(3) - القواعد العسكرية وثكنات تجمعات الجيوش. ولاسيما القواعد العسكرية الأمريكية في أوروبا.

(4) - الشخصيات والمراكز الإعلامية التي تشن الحرب على المسلمين وتزكي الهجوم عليهم من المؤسسات الإعلامية الصهيونية الصليبية المتصهينة.

(5) - مراكز المعلومات والكومبيوترات المركزية التي يتحكم في ربط مؤسسات الدولة المختلفة لأن هذا يشل الحركة كلياً في تلك الدول.

(6) - تجمعات اليهود وشخصياتهم ومؤسساتهم في أوروبا. مع تجنب دور العبادة والكنس.

(7) - المكاتب الرسمية للمؤسسات الحكومية للدول المحاربة على مستوى الدولة . وعلى مستوى الاتحادات والأحلاف السياسية والعسكرية حال مشاركتها في العدوان . كمكاتب حلف الناتو. والاتحاد الأوروبي ...، وهذه تحتاج لقرارات تدرس سياسيا بشكل دقيق.

(8) - مباني الأمن والإستخبارات المركزية في العواصم الأمريكية والدول الغربية الحليفة.

(9) – ضرب المدنيين عامة في حالات الردع والمعاملة بالمثل (مع تجنب النساء والأطفال إذا انفردوا عن الرجال في أماكن مخصصة لهم كالمدارس وسواها ..) .

وذلك مثلا .. رداً على عمل وحشي قامت به أمريكا وقواتها الحليفة. فالهدف الذي يردع الدول ويسقط الحكومات هو المجازر البشرية الجماعية. وذلك باستهداف التجمعات البشرية لإحداث أكبر كمية ممكنة من الخسائر البشرية. وهذا سهل جداً لكثرة الأهداف كالملاعب الرياضية الحاشدة والحفلات السنوية الجماعية والمعارض الدولية الكبرى. والأسواق المزدحمة وناطحات السحاب والعمارات المزدحمة...الخ.

وهنا يجب التنبيه إلى الملاحظات المتعلقة باستهداف المدنيين التي أوردناها في الباب الثاني والنظرية السياسية وكذلك الضوابط الشرعية

الواردة في الباب الثالث في فقرة الأحكام الشرعية الجهادية.. وهناك في هذه الحالة أهداف كثيرة جداً وسهلة يمكن أن يستهدفها المقاومون العاديون من المسلمين المقيمين في أمريكا والدول الغربية الحليفة لها للمشاركة في الجهاد والمقاومة وتقديم يد العون للمجاهدين. وذلك عن طريق أعمال المقاومة الشعبية.. مثل تخريب الأهداف الاقتصادية وحرق الغابات في أوقات الحر في الصيف... من أعمال المقاومة المدنية . وهنا يجب أن نلفت النظر إلى الفارق في المواجهة مع أمريكا ومع أوربا كما أسلفنا أثناء تناول النظرية السياسية ، فالمواجهة مع أمريكا أساسية. ومع أوربا فرعية لإخراجها من الحلف بالضغط عليها.

- **ثالثا : الأهداف الأمريكية والحليفة في دول العالم الإسلامي وباقي دول العالم الثالث وغيره:**

(1) - الأهداف الإقتصادية الأمريكية والغربية في مختلف دول العالم لسهولتها وكثرتها.

(2) - الأهداف الدبلوماسية كالسفارات والقنصليات والبعثات..

(3) – المصالح الإقتصادية لأمريكا والدول الحليفة في تلك الدول.

(4) - البعثات والوفود الأمريكية والغربية (في الدول الحليفة). الرياضية والتجارية والسياحية..

(5) - القواعد العسكرية والبعثات العسكرية – برية – بحرية – جوية..

وهذا مجال رحب من المساهمات. ولكن عليهما من ينتبهوا للضوابط الشرعية والمصالح السياسية والإشكالات الأمنية. وسيأتي لهذا تفاصيل لاحقا إن شاء الله.

وهناك ملاحظ أخيرة في موضوع استهداف الأهداف في قلب البلاد المعادية أمريكا والدول الغربية الحليفة. وهي الابتعاد عن استهداف أماكن العيادة لكل دين وملة سواءً كانت نصرانية أو يهودية أو سوى ذلك. وتجنب إصابة المدنيين من رعايا تلك الدول ممن لا علاقة لهم بالصراع ولو كانوا غير مسلمين ، للحفاظ على سمعة المقاومة أمام مختلف أوساط الرأي العام.

- **استراتيجية الردع بالإرهاب:**

تقوم نظرية الإرهاب على أساس ردع العدو بالخوف. كما قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾

(لأنفال:60). وكما قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (لأنفال:57).

فالمقاومة في حالة حرب مع الحملات الغازية أساساً. ويجب أن تتعامل معها بأسلوب الإرهاب والمواجهة كما بينا. ولكن هناك أطرافاً أساسية أو فرعية تدخل على خط هذه المواجهة بين حين وحين إما خوفاً من أمريكا وحلفائها أو طمعاً بما تعدها به.. ويجب أن لا تغفل المقاومة أهمية ردع هؤلاء. وأن تثبت أن ذراعها طويلة وتستطيع الوصول لكل من تسول له نفسه العدوان على المسلمين والمجاهدين المقاومين أو نصرة أعدائهم الغزاة.

وفي الغالب فإن أغلب أعدائنا المناصرين للغزو الأمريكي ، ولاسيما في قطاع المرتدين والعملاء والمنافقين والمفسدين وأدعياء الثقافة والتطور.. مجموعة من الفئران الجبانة، بدءً من كبار ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وإلى أصغر كتابهم ورجال إعلامهم وأزلامهم بكافة أطيافهم.. وهؤلاء يرتدع أكثرهم يأخذ العبرة من ضرب بعضهم والتنكيل بهم . حيث ينسحب أكثرهم من المواجهة.

فالأصل أن كل دولة ولو لم تكن في حلف أمريكا.. قبض على مجاهد أو مقاوم أو داعية أو عالم وتسلمه لأمريكا أو لحكومته لتعرضه للقتل أو السجن أو العذاب.. أن تتلقى عملية الردع فوراً من أي مسلم أو سرية مقاومة يستطيع أداء هذه الفريضة. فهذا واجب نصرة

المسلمين وردع من امتد إليهم بأذى ولاسيما من أَسَرَهم وسلمهم لأعدائهم..

والأصل أن أي عملية قتل للمدنيين أو أي أذى للآمنين المسلمين، أو أي فعل تقوم به قوات دولة محاربة.. أن يقابله عمل رادع بالمثل كما قال تعالى: ﴿ فمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾(البقرة194) والأصل أن كل دولة تدخل حلف الأمريكان بأي تأييد عسكري أو سياسي أو أمني.. أن تتلقى الضربة الرادعة فوراً.. لفك مفاصل هذا الحلف المجرم، وهكذا..

ولكن الذي يجري حتى الآن هو العكس..

فالمسلمون والمجاهدون والمقاومون المتهمون بالإرهاب.. هم من أكثر المرهوبين في الحقيقة.. ومنذ عشرات السنين. فهم مرهوبين من حكامهم ، ومن أجهزة أمنهم ، ومن أمريكا ومطارداتها ، ومن الجواسيس.. ومن كل أعوان هذه السلسلة النكدة.

وكل هؤلاء الإرهابيين الحقيقيين بدء من أمريكا وسلسلة حلفائها ومنافقيها استطاعوا أن يقلبوا الصورة إعلامياً وسياسياً ويظهروننا بمظهر الإرهاب المرفوض أمام الرأي العام ، وهذا هو مجال نجاحهم الحقيقي ..

وليس لهذا حل إلا ما يجب من تكثيف جهود الدعوة والإعلام والدعاية. والعمل السياسي القائم على المعرفة والفهم وإدراك ما يجري في عالم اليوم. بالإضافة إلى الردع العسكري الحقيقي..

لقد أثبت (الإرهاب المسلح) عبر التاريخ نجاعته كأفضل الوسائل السياسية في إقناع الخصم بالخضوع لإرادة فاعلة..

وإني أخط هذه السطور بعيد أيام قلائل من عملية رادعة قامت بها سرية مجاهدة من المجاهدين في أسبانيا بتاريخ 11 /2004/3م. حيث قامت بسلسلة تفجيرات أسقطت زهاء 200 قتيل و1700 جريح بحسب إحصائيات الإسبان. وكان من نتائجها الرئيسية ما يلي:

1- تغير الرأي العام في أسبانيا الذي دلت الإحصائيات قبيل ثلاثة أيام من الانتخابات البرلمانية والرئاسية على أنه يسير لصالح الحزب اليمني ورئيسه (أثنار) المتحالف مع (بوش) والذي أرسل نحو 2000 جندي أسباني إلى العراق. تغييره على الفور لصالح الحزب الاشتراكي المعارض لهذا الحلف الذي كان رئيسه (ثباتيرو) تعهد بسحب قوات أسبانيا إن وصل حزبه للحكم. مما أدى لفوز الأخير في الإنتخابات وهكذا أسقطت العملية الحكومة وأخرجت حليفا رئيسيا من جانب أمريكا بعملية واحدة كلفت مجموعة صغيرة من الشهداء والأسرى .جزاهم الله خيرا وتقبل منهم.

2 - إعلان رئيس الحكومة الجديد عن سحب القوات الأسبانية من العراق التي سحبت على عجل بعيد ذلك بقليل ثم انسحاب جنود (هندوراس) تبعا لهم. وهكذا أدت عملية رادعة واحدة لانسحاب جيش ودولة بكاملها من الحرب.

3- اهتزاز الحلف الأوروبي الأمريكي بكامله وبدء التصريحات من قبل العديد من الدول بتفكيرها في الانسحاب.. وهذه أول عملية ردع حقيقية منذ بدأت هذه الحملات الظالمة على المسلمين منذ أكثر من 14 سنة.

وأنا أتناول هذه العملية كمثال للبحث على الأثر السياسي للردع العسكري. وإلا فإن هناك بعض الملاحظات والحسابات السياسية الهامة حول مثل هذه العمليات ، والتي يجب أن تخضع قبل اتخاذ القرار فيها لحسابات سياسية شرعية دقيقة.. تأخذ بعين الإعتبار المصالح والمفاسد و التوازنات السياسية ومصلحة المسلمين فيها.

وللأسف.. فمنذ انطلقت هذه الحملات الظالمة في 1990م وإلى اليوم:

- قتل في حربا لعراق الأولى أكثر من 300 ألف شخص ومات في الحصار أكثر من مليون ونصف طفل على مدى 13 سنة ...

- وفي الحرب الأخيرة للإسقاط صدام قتل زهاء 10 آلاف مدني ، وفي السجن اليوم عشرات الآلاف ، وقد فضح الله أعمال أمريكا في تلكم السجون .

- وقتل في فلسطين الآلاف ، وما يزال السيف الإسرائيلي يعمل ...

- وقتل في البوسنة أكثر من 200 ألف مسلم ، وسجلت أكثر من 60.000 حالة اغتصاب لنساء المسلمين هناك ، مما أسفر عن آلاف مواليد الزنا من الاغتصاب ألقت بهم أمهاتهم ليتحلوا لأقبية الكنائس وينصروا !!

- وقتل في الشيشان أكثر من 300 ألف مسلم وانتهكت الأعراض، وهدمت البيوت وسجن آلاف الناس وشرد مئات الآلاف.

- وقتل في أفغانستان عشرات الآلاف عن الحرب الأهلية التي أشعلتها أمريكا وأدارتها باكستان.. ثم قتل أكثر من عشرة آلاف في الهجمة الأخيرة 2001م في ديسمبر. وملأت أمريكا غوانتانامو بمئات الأسرى من الأبرياء !

- وقتل الآلاف في إندونيسيا ، ودفن النصارى بعضهم أحياء وأحرقوهم وصوروهم وهم يأكلون لحومهم.

- وغير ذلك كثير في القرن الأفريقي ووسط أفريقيا والفلبين وتايلند وكشمير ..

- ووصل عدد سجناء المسلمين من الجهاديين والإسلاميين في كل الدول العربية والإسلامية لعشرات الآلاف بلا حسيب ولا رقيب.. وسجن علماء واختطف دعاة .. وقتل رموز .. وأحرقت مساجد ومراكز إسلامية في أوربا وأمريكا .. واغتيل مسلمون مهاجرون من الجاليات الإسلامية ظلماً وعدواناً.. الخ.

فأين ردع هؤلاء الإرهابيين المسلمين المزعومين ؟!..، حقيقة إن الإرهاب الحقيقي بمفهومه الصحيح ليستحي من نسبتنا إليه .. ! فنحن في قعر قائمة المرهوبين من كل أشكال الكفرة والمرتدين والظالمين.

ثم جاءت أحداث سبتمبر ، ليدفع الغرب المتصهين والأمريكان ، فاتورة صغيرة مما عليهم من حساب عسير ، فقامت الدنيا وما قعدت إلى الآن !!

سيتفلسف علينا المتفلسفون بالحديث عن دماء المعصومين والمستأمنين والمدنيين والمسلمين الخائنين من المنافقين العملاء.. إلى آخر دعاوى فقهاء السوء..

ولكن المقاومة الجهادية في الحقيقة .. لا تستهدف إلا المستحقين للردع بالإرهاب والمقصودين بالتصفية ، المستحقون للعقاب وفق قوانين السماء وحتى تشريعات الأرض. بل إنها تعرض عن كثير من المستأهلين لذلك الردع درءاً للمفاسد واستجلاباً للمصالح..

وقد مر في فقرة الأحكام الشرعية في الباب الثالث الكثير من التفاصيل في أحكام الدماء المستهدفة.. فليعاد إليها في مكانها.

وأضيف :

إن هذه الهجمة الدولية العاتية لا يمكن أن يقوم بردعها بعض التنظيمات الجهادية ولا عشرات أو مئات المجاهدين هنا وهناك.. لا بد من أن تتحول المقاومة إلى ظاهرة استراتيجية .. إلى نموذج من الانتفاضة الفلسطينية ضد قوى الاحتلال والمستوطنين والمتعاونين معهم.. ولكن على شكل موسع يعم كل أرجاء العالم الإسلامي أساساً ، وتصل ذراعه الرادعة إلى عقر ديار الغزاة الأمريكان وحلفائهم من الكفار من كل جنس وفي كل مكان.

يجب أن تتحرك الأمة.. بكامل شرائحها للمقاومة والردع وسنين في الفقرة التالية. آلية عمل المقاومة من الناحية العسكرية والحركية. لتحقيق مثل هذا الردع بإذن الله.

- **آلية عمل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية ونظرياتها العسكرية ونظام عملها:**

تمت عملية استنباطنا لآلية العمل العسكري في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية من خلال دراسة الطرق الثلاثة السابقة. والبحث الدقيق والطويل في الأساليب القديمة التي مارسناها في تجارب الجهاد السالفة ، وما آلت إليه. ومن خلال دراسة واقع موازين القوى الأمنية والعسكرية بيننا كجهاديين ومقاومين بشكل عام ، وبين حجم القوات الأمريكية والحليفة من الخارج والداخل ، وخاصة منذ الهجمة الأخيرة على أفغانستان والعراق والمطاردات الأخرى في غيرهما.

وكان التفكير منصبا لدي ومنذ عدة سنوات على إيجاد طريقة يتوفر فيها الحد الأدنى من الشروط التالية:

(1) - فتح إمكانية المشاركة أمام آلاف وقل مئات آلاف أو ملايين المسلمين من المتعاطفين مع الجهاد وقضايا أمتهم حيث لا يمكن أن تستوعبهم إمكانيات التنظيمات الجهادية المحدودة من جهة ولا يريد أكثرهم الارتباط بهذا الالتزام وتداعياته الأمنية والشخصية.. وكذلك لا يستطيعون أو لا يرغبون إحراق أنفسهم أمنياً باللحاق بالجبهات المفتوحة والمحدودة القدرة على الاستيعاب أيضاً.

(2) - إيجاد طريقة للعمل السري نستطيع فيها تجاوز مشكلة العلة الأمنية في القضاء على كافة التنظيم جراء اعتقال بعض أفراده بفعل

التعذيب للأسرى والمطاردات الأمنية التي انتقلت من المستوى القطري للإقليمي للدولي ، وأجهضت بذلك نهائيا فكرة حرب العصابات المدنية السرية من أساسها.

(3) - إيجاد طريقة تحول المبادرات الفردية الرائعة التي تمت عبر العقد المنصرم ، من نبضات عاطفية وردود أفعال مبعثرة ، إلى ظاهرة يتم توجيهها واستثمارها. ودفع مشروع الجهاد بذلك ليكون معركة أمة وليس صراع نخبة.

(4) - إضفاء صفة حالة الوحدة العامة على الأعمال الفردية لتيار جهادي مقاوم يناسب المرحلة بحيث تلتف حوله جماهير الأمة ، ويجمع ما بين شكل من أشكال المركزية على صعيد الإنتماء والشعارات والرموز والأفكار، وبين عدم الارتباط المركزي بحيث لا يمكن إجهاضه أمنياً.

كنت أبحث باختصار عن طريقة ليس للعدو سبيل إلى إجهاضها حتى لو فهمها وفهم أساليبها ، وقبض على ثلثي العاملين فيها. طريقة قابلة لتجديد نفسها والاستمرار كظاهرة بعد أن تواجدت كل ظروفها وأسبابها من قبل العدو ذاته. وهكذا ولدت الفكرة لدي عمليا من خلال التأمل في فحوى الآية الكريمة: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84). وما أقدم عليه بعض

المجاهدين الفدائيين من العمليات الفردية.

حيث نشرتها سرا في بيان كان بعنوان : (**بيان من أجل قيام المقاومة الإسلامية العالمية)** أواخر سنة 1990م أوائل. 1991م وثم تطوير الفكرة كما ذكرت في المقدمة على مراحل إلى أن وصلت شكلها النهائي أواخر سنة 2000 في كابل ونضجت الآن مع دراسة تداعيات أساليب المواجهات بيننا وبين أمريكا وحلفائها في عالم ما بعد سبتمبر وغزو العراق. لتكون على الشكل الذي أعرضه هنا.

- **خصائص طريقة عمل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية:**

1- نظام لا تنظيم:

فهو نظام عمل لا تنظيم مركزي للعمل ، حيث تقوم الفكرة على أن يتم ربط كافة أطياف المقاومين أفراد وخلايا وسرايا وجماعات محدودة بثلاثة روابط مركزية فقط وهي:

الروابط المركزية لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية :

1- الاسم المشترك والعهد الشخصي مع الله تعالى على الانتماء إليه.

2- المنهج السياسي الشرعي والعقيدة المشتركة والعهد مع الله على الالتزام به.

3- الهدف المشترك وهو مقاومة الغزاة وحلفائهم والعهد مع الله على الجهاد في سبيله لدحرهم ، ثم العمل على تحكيم شرعه.

وذلك بالطريقة التالية :

(1) - نشر فكر دعوة المقاومة ومنهاجها وبرامج عملها وطريقة أدائها ونظريات عملها في المناحي الثمانية التي ذكرناها (العقيدة القتالية – النظرية السياسية – طريقة التربية المتكاملة للمقاومين – النظرية العسكرية – نظرية الإعلام والتحريض ثم نظرية الحركة التي تشتمل على أساليب التدريب والتمويل والتنظيم وأمن الحركة) بحيث تم تعبئة شباب الأمة ورجالها العازمين على المقاومة في أي محور من محاورها العامة ولاسيما المحور العسكري.

(2) - توجيه الشباب إلى ضرب الأهداف المعادية في بلادنا خاصة - وهي ساحة المقاومة الأساسية - وفي بلادهم كساحة ردع ومعاملة

بالمثل. بما يتناسب مع الضوابط الشرعية للمنهج ، وحسابات المصالح السياسية ، وذلك لتحقيق المردود السياسي والهدف من المقاومة.

(3) - إرشاد الشباب إلى أن تعد كل مجموعة نفسها بنفسها ، على ما يلزم من العمل العسكري وتقوم بالعمليات المتناسبة مع ما حققته من إمكانيات التدريب والإعداد المختلفة. بدءً من أساليب المقاومة الشعبة وانتهاءً بالعمليات الإستراتيجية المعقدة ، ومروراً بكل أشكال ومستويات عمليات العصابات سواءً كانت في المدن أو الأرياف أو سوى ذلك من أنواع حروب العصابات السرية.

(4) - ليس هناك أي رابط تنظيمي من أي شكل لكافة المنتمين لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية إلا الارتباط بـ (**منهج الاعتقاد . ونظام العمل. والاسم المشترك. والهدف المشترك**).

(5) - تعتبر كل سرية مكونة من فرد أو أكثر وحدة مستقلة يرأسها أميرها ويدبر شؤونها. وتتجه للعمل العسكري مباشرة ولا تتجه لأي شكل من أشكال التنظيم والدعوة والتحريض وسوى ذلك من أعمال الجماعات السرية. بل تكون نفسها وتختار هدفها وتهاجمه. وتبلغ أي وسيلة إعلام (بطريقة أمنية سنشير إليها في نظرية الإعلام). بأنها سرية (كذا) باسمها الخاص الذي اختارته ، وتؤكد على أنها (من سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) مما يشير لمنهج أصحاب العمل ويربط عمليتهم بإنتاج المجموع المكون لسرايا المقاومة. وسنأتي على

مزيد من التفاصيل التنظيمية والعملية في نظرية العمل والحركة إن شاء الله .

(6) - فالفكرة هي عملية جمع لجهد المقاومين من أصحاب الجهاد الفردي وبقايا التيار الجهادي وأنصاره والمتعاطفون الجدد والناقمون على الغزو الأمريكي و الراغبون بالتحرك العملي من مختلف شرائح هذه الأمة بكل مستوياتها ، وضبطها بالأسلوب المشترك والمنهج المشترك لتحقيق النتيجة. وتحويل الجهاد الفردي إلى ظاهرة يضم جهد المجموع تحت مسمى واحد ولهدف واحد وعلى شعار واحد منضبط بمنهج سياسي شرعي تربوي واحد..

فوائد هذه الطريقة وميزاتها:

(1) - تفتح الطريقة المجال للفرد المجرد إن كان يرغب في العمل بمفرده مطلقاً ولا يطمئن لمشاركة أحد ، أو للسرية الصغيرة جداً من آحاد الرجال والأصدقاء الذين يثقون ببعضهم ، لتكوين سرية من شخصين أو أكثر يتعاهدون فيما بينهم ويعاهدون الله على الانضمام. (لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية) من أقرانهم في كل مكان ومن كل لون وجنس من المسلمين. وهكذا توفر لهم هذه الطريقة تجانسهم واحتياطهم الأمني وإمكانياتهم وتفتح لهم مجال العمل المشترك الواسع دون ارتباط ، وترشدهم للعمل حيث هم وحيث يستطيعون دون

تكلف أعباء الرحيل إلى ساحات المواجهة أو الانضواء في تنظيم جامع يلزمهم بما لا يطيقون بحسب قناعاتهم. وهؤلاء شريحة ضخمة جداً في الشباب المسلم.

(2) - تسمح الطريقة بالانقطاع التام بين تلك الخلايا بحيث لو كشف كل من عمل يقوم وينفذ ، فلا يؤثر هذا على من يعمل أو ينوي العمل لأنه لا رابطة بينهم من أي شكل . فهو شكل من أشكال (تنظيم الفكرة) وليس (فكرة التنظيم) و (نظام عمل) وليس (عمل تنظيم)..

وهذه هي الطريقة الوحيدة للاستمرار في ظل الهجمة الأمنية العاتية التي نشهدها اليوم ويواجهها كل من يريد الجهاد.

(3) - يوحي تجمع الجهود تحت مسمى واحد للأمة بوجود التنظيم والجهة الموجهة والمركز الذي يربط المجموع بحكم المسمى الواحد ، والعقيدة القتالية المشتركة ، وطريقة التربية التفصيلية.

فيرفع هذا الهمم ، ويحفر المترددين على الانضمام لقافلة تسير في نظام عمل سري محكم.. كما يوحي المسمى المشترك والهدف والفكر للعدو بوجود تنظيم واحد وراء تلك الأعمال. تنظيم :

يوجه بالفكرة ، ويدرب بالإرشاد ، ويوحد بالهدف والاسم المشترك العام. ويدير من الخفاء وعن بعد.

ولكنه لما يأتي العدو ليقبض عليه. أو على بعض أجزائه يكتشف أنه لم يقبض على شيء يذكر قياساً لباقي الجسد. وهو أمة تجاهد. وليس مجموعة مجاهدين من أمة قاعدة .

(4) – تراكم المتوالية الحسابية لعمليات المجاهدين: وهذه هامة جداً..

سنطلق الفكرة وننشرها كاملة بكل مستلزماتها بإذن الله تعالى وتيسيره بكل وسيلة ، مباشرة أو بالمراسلة ، أو عبر شبكات الاتصال والإنترنيت ، ووسائل النشر المختلفة مقروءة ومسموعة ومصورة.. وسنحاول وصولها مترجمة للغات الحية من أمم المسلمين وللغات العالمية الرئيسية مع الوقت..

فلو فرضنا وهو ما نرجوه من الله أن يؤمن بهذه الفكرة بعض الآحاد ممن يساهم في عمل واحد في كل سنة مرة واحدة على الأقل ، وهذا سهل إذا فتحنا أمامه مختلف أشكال الأهداف والأفكار الإرهابية العسكرية وأساليب المقاومة الشعبية وصولا إلى العمليات المعقدة للخلايا التي لاقت خطاً من التدريب..

فلنفرض أن في طول الأمة وعرضها بمئات ملايينها المقهورة الثائرة. اقتنع في السنة الأولى من نشر الدعوة اثني عشر مجموعة مكونة من فرد أو رهط من الأصدقاء.. وعملت كل مجموعة من هؤلاء وبصورة لا مركزية مرة في السنة فستكون الحصيلة 12 عملية في السنة أي

عملية شهرياً ابتدأ.. ولو وصل العدد لاثنين وخمسين مجاهد أو خلية تعمل كل واحد منهم مرة في السنة. لكانت الحصيلة عملية أسبوعيا.. وهذا ليس بطاقة أي تنظيم سري أو عصابة مسلحة..

فلوما نسبت العمليات لمسمى واحد جامع (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) وتحت فكر وشعار وهدف واحد. لكانت النتيجة المفترضة بإذن الله تحـريض المئـات والآلاف. وعنـدها تتـدرج العمليـات والمساهمات الفردية لتصبح ظاهرة فعلاً كما هو شعار دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

الجهاد والمقاومة: معركة أمة ، وليس صراع نخبة.

وبالتضافر مع ما سنوجه له من محاور المقاومة الأخرى من المقاومة المدنية والإعلامية والفكرية والسياسية.. نصل إلى المنشود بإذن الله تعالى. وهو انتفاضة أمة شاملة على امتداد العالم الإسلامي وحيث توجد الجاليات الإسلامية من مختلف الجنسيات.. على شاكلة (الانتفاضة الفلسطينية) ولكن ضد أمريكا بصورة رئيسية ثم حلفائها الخارجين والمحليين في كل مكان. ضمن الضوابط الآنفة الذكر شرعياً وسياسياً.. وعندها ستولد بإذن الله خلايا تعمل ليس مجرد مرة في السنة وإنما أكثر من ذلك..

وباكتشاف المتوالية الحسابية نجد أن بالإمكان الوصول لعشرات العمليات أو أكثر يومياً إن شاء الله. وهكذا نضع مهمة الجهاد في طريقها الصحيح كفريضة الصلاة والزكاة.. وهذا يحتاج ضم جهود العلماء والدعاة والأدباء والخطباء والمفكرين والكتاب لتصب جميعها بالتحريض كل بحسب حجمه وما يسمح له وضعه وأسلوبه.. لتهييج المشاعر لتظهر في النهاية آثار ذلك على شكل سرية من سرايا المقاومة المنشودة بإذن الله.

(5)- تسمح فكرة (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) ، بل تتضمن فكرة تسمية كل سرية باسمها الخاص الذي تختاره لنفسها سواءً كانت من مجاهد واحد أو اثنين أو خمسة أو أكثر.. وهذا يشعر السرية بإنتاجها وارتباط اسمها بإنتاجها وهذا إحساس ورغبة فطرية لدى الإنسان . كما تفتح باب التسابق بين السرايا وفرق الكوماندوس المقاوم كل بحسب حجمها.. فيولد تسابق ومسارعة في درب الشهادة وطاعة الله ونكاية أعدائه ، وهكذا يمكن التشبيه بين فكرة انتشار المقاومة ورابطتها بين أعضائها وسراياها التي لا رابط بينها حركياً بفكرة (الطرق الصوفية) في انتشارها دون اتصال بقيادة ولا حتى معرفة بالمرشد وشيخ الطريقة. **مع الفارق الأساسي وهو أن:**

طريقة المقاومة الإسلامية العالمية :

طريقة متكاملة تعتمد عقيدة أهل السنة والجماعة وفقه مذاهبهم المعتمدة وأئمتهم الأعلام ، وتقوم على فهم متكامل. فهي: طريقة عقدية جهادية سياسية سلوكية تربوية شاملة.

وكما تنتشر بعض الطرق ليعد أتباعها بالملايين من كل أقطار الدنيا دونما رابط إلا اسم الطريقة ومنهاجها وبرنامجها التربوي ورموزها التاريخية.. نأمل أن تنتشر طريقة المقاومة العالمية هذه حيث ستوفر قائمة الشهداء في المقاومة.. أقطاب ورموز هذه الطريقة الجهادية الشاملة.

(6) – تقوم فكرة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية على تجانس السرية ضمن خيار أعضائها في المذاهب ضمن مدارس أهل السنة والتصور والفهم العام سياسياً وأمنياً وعسكرياً و تربوياً.. بما يناسب حالهم ومكان عملهم دون أن يتضارب هذا مع حالة التنوع على مستوى السرايا ككل ودعوة المقاومة بكل محاورها العسكرية والمدنية و الدعوية والسياسية والإعلامية.. إلى آخر مجالات ومحاور المقاومة.

(7) – سهولة الانتماء ومباشرة العمل دونما تعقيدات في مراحل التنظيم والتكوين والتربية كما هو معهود في الجماعات والتنظيمات

التقليدية. فكما شرحنا في نظرية التربية ، فإن شعار أداء الفريضة وتوقيتها هو قوله ﷺ (أسلم ثم قاتل):

تعتبر طريقة المقاومة الإسلامية العالمية

قتال أعداء الله الغزاة ومن والاهم وقاتل المسلمين معهم فرض عين كالصلاة والزكاة وتعتبر توقيت أداء الفريضة في أحوالنا هذه فوريا ، يقع التكليف فيه بمجرد الإسلام.

كما قال ﷺ :

(أسلم ثم قاتل)

وهكذا: .. فكل من كان مسلماً حتى ولو دخل الإسلام منذ ساعة بعد أن دخل الإحتلال وحل الجهاد وصار فريضة عينية. تعينت عليه الفريضة. أما مراحل التربية في مراحل العقيدة الجهادية والفهم السياسي واستيعاب الأحكام الشرعية.. فتتم مع الوقت ولكن على أن يجدَّ أمير كل سرية أو مجموعة بتأهيل نفسه ومن معه من خلال برنامج دعوة المقاومة المفصل والميسر بطريقة سهله ميسره..

<u>وهكذا فما على من يريد الجهاد والإنتماء لهذه الدعوة إلا أن يعقد العزم على ذلك ، ويعاهد الله على التزام منهجها واسمها</u>

وشعاراتها ويسلك سبيل العمل المباشر ضمن استطاعته. ولاسيما أولئك الذين سبق لهم تلقي تدريب عسكري إما في جماعة جهادية أو مؤسسة عسكرية رسمية أو غير رسمية..

فالقضية في أساسها كما سنشرح في نظرية التدريب على أساس الحقيقة التي تقول أن أساس عمل المجاهد ولاسيما في حروب العصابات على مبدأ (إرادة القتال) وتوفيره ورفع مستواه.

- **أنـواع سـرايا المقاومـة الإسـلامية العالميـة ومسـتوى عملياتهـا العسكرية:**

تختلف المستويات بين سرية وأخرى من حيث الإعداد العسكري والمادي واللوجيستي..، مما يجعل أهليتهم في تنفيذ العمليات التي أشرنا لبعض نماذج أهدافها مختلفة أيضا. في الداخل والخارج.

وهنا نميز بين عدة أنواع من السرايا بحسب قدراتها الفنية والعسكرية والتكنولوجية والأمنية والمالية.. وذلك بحسب التسلسل التالي:

أولا : سرايا المقاومة الشعبية:

وتتكون هذه السرايا من الأفراد والمجموعات الصغيرة المحدودة الإمكانيات من حيث التمويل أو من حيث مستوى التدريب وهم غالبية المسلمين الساحقة.

وهؤلاء يستطيعون القيام بأعمال بسيطة محدودة المستوى من الناحية العسكرية ولكن أهمية مشاركتهم تأتي في الدرجة الأولى من كثرتها حال تحول المقاومة إلى ظاهرة. لأنها لن تدع للمستعمر قراراً يقر في بلادنا. وستسبب إزعاجاً هائلاً إذا تفشت ظاهرة المقاومة في الجاليات المسلحة المقيمة في الدول المشاركة في الحرب على المسلمين ولاسيما الدول الغربية.

ثانيا : السرايا العسكرية العامة:

وتتكون هذه السرايا المسلحة محدودة الإمكانيات ، من الأفراد الذين سبق لهم التدريب على استخدام الأسلحة الخفيفة الفردية والمتفجرات بمستوى متوسط. وجل هؤلاء من بقايا خلايا التيار الجهادي وتنظيماته أو المجاهدين الذي سبق لهم مشاركة ما في ساحات الجهاد كأفغانستان أوالشيشان أو البوسنة وكشمير أو الفلبين أو غيرها.. أو سبق لهم التدريب في أن سبيل آخر. أو عبر خدماتهم في الأجهزة الأمنية أو العسكرية لبلادهم.. وقد تكون العوائق المادية

والأمنية حائلاً دون تمكن هذه السرايا من عمليات نوعية كبيرة مدوية. ولكن مساهماتها العسكرية هي الأساس في حرب العصابات التي تشنها سرايا المقاومة الإسلامية العالمية لكثرة هذا النوع من الكوادر الجهادية في العالم العربي والإسلامي. وحتى بين الجاليات المسلمة في البلاد المحاربة. فهو عدد من فئة عشرات الآلاف من الجهاديين وأنصار المقاومة. ناهيك عن مئات آلاف وقل الملايين من الرجال الذين انتسبوا لجهاز حكومي أمني أو عسكري في حياتهم كدورات عامة أو كمحترفين وتركوا ذلك أو ما زالوا في الخدمة. ويحركهم مشاعر دينية ووطنية وقومية أو مشاعر الضمير الحي بشكل قوي.

ثالثا : سرايا المقاومة النوعية:

وهي السرايا عالية الإمكانيات الأمنية والحركية والعسكرية والمادية وتتشكل من العناصر أو المجموعات التي كانت قد تلقت تدريباً عالياً في المجال الأمني على العمل السري والإرهاب المدني وإدارة الخلايا في حروب العصابات وتقنيات الاتصالات وأمنياتها وكذلك تدريباً عسكرياً عالياً في مجال استخدام الأسلحة والمتفجرات ولاسيما تكتيكات قتال حروب العصابات في مختلف الظروف وخاصة تصنيع

المتفجرات واستخدامها وإتقان استعمال طرق التفجير المختلفة ولاسيما الإلكترونية.

وكذلك توفر لها عامل مهم للعمل وهو الإمكانيات المالية العالية التي تمكن هذه الخلايا من العمل على مستوى عالي في داخل ساحة المقاومة الرئيسية الأولى أو في الساحة الخارجية داخل الدول المعادية أمريكا في أمريكا في الدرجة الأولى ثم الدول الحليفة لها.

رابعاً: سرايا العمليات الاستراتيجية:

وهذه السرايا سرايا خاصة يمكن أن يقوم بتشكيلها من تتوفر لهم الشروط التالية:

1 - فهم استراتيجي لطبيعة الصراع وما وصل إليه من الناحية السياسية والعسكرية والاستراتيجية عامةً وقدرة على الدراسة الشرعية للعمليات الكبرى وآثارها السياسية ، من أجل قيادة وإدارة هذا النوع من السرايا.

2- إمكانيات مالية عالية جداً لتأهيل مثل هذه السرايا وتمويل عملياتها.

3- إمكانيات أمنية وحركية عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

4- إمكانيات عسكرية عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

5- معرفة وإمكانيات عملياتية في امتلاك واستخدام أسلحة الدمار الشامل وقت الحاجة للمعاملة بالمثل أو للحسم الاستراتيجي للصراع مع أمريكا.

ويمكن أن يقوم بتشكيل هذه السرايا نخبة من المولين المسلمين المؤمنين بنهج المقاومة ، بالتعاون مع كبار قدماء الجهاديين وبالتعاون مع بعض الشرفاء الذين سبق لهم العمل في أجهزة الأمن السابقين في حكومات بلاد المسلمين وكذلك قدماء العسكريين والعلماء الإستراتيجيين في المجالات العسكرية ، وبعض السياسيين المخلصين من المتقاعدين أو حتى من الذين مازالوا عاملين في بعض أجهزة الحكومات العربية أو الإسلامية ، ممن يمكن الوثوق بولائهم لدينهم وأمتهم وبلادهم ، وبسريتهم وإيمانهم ببرنامج المقاومة الإسلامية العالمية.

وهؤلاء يكفي أن ينجز من أعمالهم واحدة كل سنة أو سنتين على أن تكون من الحجم الحاسم. والله الموفق ولله جنود السموات والأرض .. وما يعلم جنود ربك إلا هو.

- **الثقافة الإرهابية والملكة الإرهابية والصفات المكتسبة لمقاتل حرب العصابات :**

الثقافة الإرهابية:

هي مجموعة المعارف والمعلومات والثقافة العامة التي يتملكها المقاتل بأسلوب (الإرهاب) ولاسيما في حرب عصابات المدن.. ومن ذلك بعناوين مختصره..

- الانخراط في الحياة العامة بشكل عملي ومعرفة بأوجه نشاط الناس.

- معرفة ومطالعات في كتب الإستخبارات والجاسوسية والحروب الخفية.

- معرفة ومطالعات في أساليب الإستخبارات في التحقيق والاستجواب والتحري ، وجمع المعلومات والمطاردات الأمنية والتجسس والتصنت وأدواتها وأجهزتها الحديثة.

- معرفة ومطالعات في علم الأدلة الجنائية وأساليب الأمن في متابعة الوقائع الأمنية والحوادث الجنائية وما شابهها.

- معرفة ومطالعات في تاريخ العمليات الخاصة وتفاصيل أحداثها ، سواءً العسكرية التي قامت بها النخب العسكرية من كوما ندوس

العصابات والجماعات المسلحة العالميةً وكذلك في أسباب نجاح وفشل تلك العمليات ولاسيما الكبرى منها..

- معرفة بأساليب عمل ما يسمى (بفرق مكافحة الإرهاب) وأسلحتها وتدريباتها وطرق عملها. ودراسة في بعض عملياتها الناجحة والفاشلة في مختلف دول العالم ولاسيما خلال السنوات العشر الأخيرة.

- معرفة ومطالعات في كتب (حرب العصابات) بمختلف أشكالها.. حروب العصابات المدن و الجبال والغابات أو الأرياف ، وحرب العصابات في الصحراء وحروب الإنفاق وغير ذلك.. وغير ذلك من أنواع تلك الحروب وفنون و أسلحة كل نوع من تلك الحروب وأساليبها وتاريخ تجاربها ومدارسها الشهيرة في التاريخ الحديث ولاسيما في الثورات الكبرى في الحقبة الاستعمارية في فترة ما بين الحربين. ثم فترة الصراع ضد الإمبريالية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ولاسيما في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وبعض الدول الأخرى في آسيا.

- علوم ومعارف عامة تساعد في عمل حرب العصابات عموماً ولاسيما حرب عصابات المدن أو أعمال الإرهاب المدني ومن ذلك:

* علم الكومبيوتر؛ فهو اليوم من أهم العلوم التي تساعد في كافة مجالات العلوم والثقافات الأخرى اليوم وكذلك.

* معرفة عامة بعلم الكهرباء والإلكترونيات والأجهزة الإلكترونية. ومن المفيد معرفة عامة بعلم الميكانيكا والآلات ولاسيما المركبات والأسلحة والتعامل معها وإصلاحها وتعديلها بحسب ما يلزم..

* شيء من المعلومات والمطالعات العامة حول التاريخ والسياسة والاقتصاد... وبجغرافيا ومناخ واقتصاد وطرق وبنية البلد الذي يعمل فيه والعادات والتقاليد وعموم أوجه النشاط الحياتي البشري في منطقة عمل مقاتل عمل العصابات أو المجاهد بأسلوب حرب العصابات. إلى آخر ذلك..

إن مجموعة هذه العلوم والمعارف تكوّن عند المجاهد في مجال حرب عصابات المدن أو ما يسمى (الإرهاب). هذه المعارف تكون ثقافة لدى الإرهابي وتنمي لديه الملكة. ملكة الإرهاب في اختيار الأهداف وطبيعة العمليات وإمكانية تنفيذها ولوازمها وآثار ذلك وتبعاته من النواحي الأخرى السياسية والأمنية.. الخ ذلك. وأقترح فعلاً على المشرفين على إعداد الخلايا والسرايا الإرهابية أن يضيفوا إلى برامج الإعداد لديهم مادة باسم (ثقافة إرهابية) تشمل ذلك وتضم مكتبة ينصح بها المتدرب للمطالعة والتثقف.

الملكة الإرهابية:

أذكر أن ألقيت محاضرة في دورة لتأهيل الكوادر في تنظيم القاعدة من بعض الشباب المختارين من المجاهدين العرب أيام الجهاد الأفغاني سنة 1989م، وكانت بعنوان:

(الإرهاب ملكة)..

وفعلاً وبعد طول تماس مع التيار الجهادي ومجالات التدريب والعمل والاحتكاك بمئات المجاهدين من مختلف الجنسيات والأنواع والمستويات.. فضلاً عن مطالعات كثيرة يسرها الله تعالى في هذه المجالات.. رأيت أن الاستعداد للعمل في مجال الإرهاب يقوم على ثلاث أسس:

(1) ملكة. (2) ثقافة عامة واسعة. (3) صفات مكتسبة وإعداد.

وفي حين يمكن أن يرفع مستوى الثقافة لدي المجاهد ، وكذلك يمكن رفع مستوى الإعداد ومستوى الصفات المكتسبة ، وهذا يؤثر في صقل الملكة.. ولكن تبقى الملكة أساس في إيجاد الإرهابي المتقن لعمله وأدائه.

ومن هذا الوجه فإن ملكة الإرهاب مثلها مثل ملكة الشعر والموسيقي والرسم ومختلف أوجه الفنون والأدب الهوايات .. والملكات والعقلية والعملية الأخرى عموماً.. هي موهبة. فهناك أشخاص

مؤهلين بالفطرة والإمكانيات الذاتية ليكونوا إرهابيين ناجحين يتقنون اختيار العمليات والتخطيط لها وتنفيذها ويدركون حساباتها السياسية وضوابطها الشرعية والأخلاقية.. الخ.

وعلى المدربين والمشرفين على إنشاء السرايا في المقاومة أن يكتشفوا تلك المواهب ويصقلوها بالثقافة والتدريب لتأخذ مكانها في قيادة أعمال الإرهابيين في هذا النوع من الجهاد المبارك..

الصفات المكتسبة لمقاتل العصابات:

وهي مجموعة العلوم والإمكانيات والمدارك والمعارف والقدرات البدنية والفنية التي يتم تدريب مقاتل العصابات عليها ، في مختلف المجالات العسكرية المباشرة كاستعمال الأسلحة المختلفة ، وما يتبع ذلك أو العلوم التابعة الأخرى.. وأترك الخوض في بعض تفاصيل هذه إلى باب الإعداد والتدريب بما يسيره الله تعالى وهو المستعان.

وأخيراً في ختام النظرية العسكرية بعد استعراض مجالي عمل المقاومة في الجبهات المفتوحة والإرهاب الفردي . يجدر أن أعرج على العلاقة بين هذين النوعين من الجهاد. قبل أن أختم هذا الباب..

- **العلاقة بين جهاد الجبهات المفتوحة وجهاد الإرهاب الفردي:**

سيأتي شيء من التفصيل لهذه الفقرة في باب نظرية التنظيم ولكن يمكن إيجاز بعض الأفكار في هذه الفقرة بما يلي:

(1) - بضوابط أمنية صارمة يجب الأخذ بها يمكن أن تستفيد السرايا العاملة في مجال جهاد الإرهاب الفردي في رفع إمكانيات عناصرها العسكرية والتدريبية عامة في الجبهات المفتوحة.

(2) - يمكن أن تستفيد بعض العناصر العاملة في مجال تجنيد وبناء السرايا من الجبهات المفتوحة في تجنيد بعض العناصر القادمة للجهاد وانتقائها وإرسالها للعمل في بلدانها أو حيث تستطيع في مجال إرهاب الجهاد الفردي أو الخلوي مع مراعاة ملاحظة هامة جداً وهي أن لا يأخذ ذلك شكل التنظيم والارتباط المركزي.

(3) - يمكن أن تشكل الجبهات المفتوحة مفراً وملاذاً آمناً للمطاردين والمطلوبين من الذين عملوا في مجال جهاد الإرهاب الفردي. حيث كشفوا ولم يعودوا يستطيعون المتابعة بشكل مكشوف ولا يستطيعون الاختفاء.

(4) - يجب التنبيه على أن سرايا المقاومة من العاملين في مجال العمل السري يجب أن يبقوا على أسلوبهم السري حال انتقالهم للعمل في الجبهات ، ولا يتحولوا للعمل والدعوة العلنية وهذا مقتل ومنزلق خطير نتيجة الأجواء الآمنة والعاطفية.

(5) - يجب أن يعمل أفراد سرايا السرية المقاومة إن توجهوا للجبهات المفتوحة تحت قيادة أمراء تلك الجبهات وخاصة المحليين أو الإدارات العامة التي تنشأ حال تكرار مثل ذلك .. فيجب أن يعملوا تحت إدارتها بإخلاص وتفان طالما تواجدوا في تلك الأجواء. وأن يسعوا إلى التواجد في خطوط القتال الأولى ومعسكرات الإعداد لأداء الفريضة بإخلاص وللتماس بالمجاهدين ونشر الدعوة ومنهجها بشكل سري ما أمكن.

(6) - أما ما تستفيده الجبهات من سرايا الجهاد الفردي والخلوي فهو أن عمل هذه السرايا هو ذراع طويلة لجهاد تلك القضايا تستطيع من خلال عملها توفير الردع اللازم للقوى المعتدية ، وفي تصفية قيادات الخصوم، والعمل خلف خطوط العدو، وتنفيذ العمليات الخاصة بالتعاون مع أمراء تلك الساحات والقضايا بشكل سري ومبرمج.

والآن وفي الختام نناشد من يبلغه النداء ..

أيها الشباب المجاهد.. يا رجال هذه الأمة من الشرفاء .. أيها الأوفياء العازمون على الجهاد.. إن الأمة اليوم قد تماوت في معظم رجالها العزيمة ، وضربها الوهن من حب الدنيا وكراهية الموت. ولاسيما منذ سقطت خلافة المسلمين وكيانهم السياسي واستعمرهم أعداؤهم.

ويجب أن نحيي الأمة و نأخذ بيدها من هذا الموات..

لقد كان بعض الشباب المجاهد إبان زحف الأمريكان الأول على العراق سنة 1991م. يعبر نهر الأردن بسكين أو مسدس أو ما تيسر له ، يبحث عن جندي صهيوني ليصرعه ويساهم في جهاد هذه الأمة.. وكان بعض المجاهدين يذهب إلى آخر الدنيا لتنفيذ عمل خلف خطوط العدو رداً على عدوانه على هذه الأمة.. أو ليلتحق بساحة جهاد لا يصلها إلا بشق الأنفس.

وها قد سهل الأمر.. لقد جاءتنا أمريكا بمئات آلاف الجنود والخبراء ونشرتهم بين أظهرنا.. فضلاً عن مئات آلاف المدنيين من العاملين في المجالات الاستعمارية الأخرى من سياسية واقتصادية وثقافية وسوى ذلك.. ولا يكلف الأمر الذي ندعوا إليه انتسابا لتنظيم ولا يستدعي سفرا ولا هجرة ، ولا تغييرا لنظام الحياة.

فكل ما يحتاجه الأمر:

- قرار شخصي حازم على أداء الفريضة المتعينة، وعزم أكيد على

المساهمة في الجهاد والمقاومة..

– عهد بينك وبين الله تعالى ، ثم بينك وبين من ستعمل معه على الانتساب لدعوة المقاومة.

– شكل سريتك.. وتكون بذلك عضواً في هذه الدعوة ، وسرية ضمن سرايا المقاومة العالمية.

– إسع في فهم المنهج ، وتطبيق برنامجه التربوي وسر به بتؤدة قدر استطاعتك.

– أعدَّ نفسك ومن معك قدر استطاعتك.

– بادر للعمل فالجهاد فريضة عينية واختر هدفا معاديا يناسب إمكانياتك المادية والعسكرية .

– تريث وفكر.. صمم واستخر الله .. ثم أقدم..

وحيا هلا على طريق الحسنين ، إما نصر وإما شهادة. إنها دعوة عمل وشهادة .. ليست طريقة جدل ولا منهجا للقيل والقال وكثرة السؤال. فقد شبعت الأمة من ذلك وآلت إلى ما نحن فيه..

والله المستعان وأن أوان النفير ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ والأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة:**111**)

الفصل الثامن

الباب الخامس

نظرية التنظيم والعمل في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية

نظرية التنظيم ونظام العمل في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية:

تقوم نظرية العمل والبناء التنظيمي على أساس القاعدة والشعار الأساسي في طريقة العمل وهو : (نظام عمل وليس تنظيم للعمل) "**نظام لا تنظيم**" أي أن سرايا المقاومة الإسلامية تبني طريقة عملها كما مر شيء من شرح ذلك في النظرية العسكرية على أساس نظام للعمل وجمع جهود نتائجه وليس على أساس التنظيم المركزي . ولنبين ذلك بمزيد من الشرح :

- **أسس ومقومات بناء التنظيمات التقليدية:**

كنت قد لخصت في محاضرة ألقيتها في بيشاور سنة 1990م المقومات والأسس التي تقوم عليها التنظيمات التقليدية وهي خمسة:

1 - المنهج: وهو الفكر والعقيدة الحركية التي يلتقي عليها أعضاء التنظيم.

2 – القيادة: وتشمل الأمير – ودائرة الشورى والإدارة – وطريقة اتخاذ القرار.

3 – المخطط: وهو برنامج استراتيجية العمل لتحقيق الأهداف.

4 – التمويل: وهو الوسائط المادية الكفيلة بسد احتياجات تنفيذ ذلك المخطط.

5 – البيعة: وهو نظام الارتباط بين الأمير والمأمور في تلك السلسلة الحركية.

- **أسس ومقومات بناء دعوة المقاومة الإسلامية العالمية وسراياها المجاهدة:**

كما بينت في النظرية العسكرية. وعبر ما سبق فإن أسس البناء في دعوتنا تقوم على:

- الإيمان بفكر الدعوة وعقيدتها الأساسية والجهادية ونظريتها السياسية الشرعية.
- العمل لتحقيق الهدف المشترك وهو دفع الصائل من الغزاة المحتلين وقتال من عاونهم.
- تطبيق منهج التربية المتكاملة من قبل الأعضاء.

- طريقة العمل والحركة وتشتمل التفاصيل المحددة في النظريات (العسكرية – التنظيمية – الإعداد – والتدريب - التمويل – التحريض –).
- حمل الإسم المشترك العام للسرايا إلى جانب الاسم الخاص للسرية.
- العهد مع الله تعالى على التزام المنهج والعمل على تحقيق الهدف.

فإذا ما أردنا عقد مقارنة بين مقومات التنظيمات التقليدية ومقومات نظام عمل سرايا دعوة المقاومة الإسلامية العالمية لوجدناه اختصاراً بحسب الجدول التالي:

أسس العمل	مقومات التنظيمات التقليدية	نظام عمل سرايا المقاومة
الهدف	إسقاط الحكومة وإقامة الحكومة الشرعية في القطر المحدد.	المقاومة من أجل دفع صائل الغزاة وأعوانهم.
المنهج	فكر ومنهج التنظيم الجهادي.	منهج دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

القيادة	الأمير المركزي والقيادة	الإرشاد العام للسرايا العالمية. والأمير الخاص للسرية.
المخطط	برنامج عمل التنظيم	مقاومة الإحتلال وضربه في كل مكان.
التمويل	مصادر تمويل التنظيم وبرنامج إنفاقه ومصادره التبرعات.	التمويل الخاص بالسرية ومصدره الغنائم والتبرعات.
البيعة والعهد	بيعة مركزية للأمير	عهد مع الله على الجهاد والمقاومة وعهد على طاعة أمير السرية.

فدعوة المقاومة تقوم على الخلايا اللامركزية. وسراياها المجاهدة تقوم على العمل الفردي وعمل الخلايا الصغيرة المنفصلة تماماً واللامركزية تماماً. بحيث لا يربطها كما أسلفنا إلا **الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج الاعتقاد وطريقة التربية**.

- **بناء الخلايا والسرايا: (نظام البناء والعمل):**

عندما وضعتُ نظريات المقاومة بشكلها النهائي سنة 2000م في كابل في ظلال الإمارة الإسلامية في أفغانستان أيام طالبان وبدأت محاولة بناء نواتها لأولى على الأرض في أفغانستان. كانت صيغة البناء التنظيمي بحسب ما شرحتها في سلسلة دروس (الجهاد هو الحل) و دروس الفيديو (سرايا المقاومة) على الشكل الذي سأبين في هذه

الفقرة حيث سأذكر بعد هذا البيان، التعديل الذي ألزمتنا إياه تداعيات أحداث سبتمبر والحملات الأمريكية وجعلتني أعدل الفكرة بما يناسب الواقع الحالي.

- **<u>** الدوائر التنظيمية الثلاثة لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية:</u>**

<u>* أولاً الدائرة الأولى: وهي (السرية المركزية):</u>

والتي مهمتها الأساسية الإرشاد والتوجيه والدعوة. وذلك من خلال نشر أدبيات الدعوة ومناهجها السياسية الشرعية والتربوية والحركية وإيصالها إلى مختلف شرائح الأمة. وإصدار البيانات الإعلامية والمنهجية باسم الدعوة وسراياها بحيث تشتمل على فكرها وطرق أدائها ووجهة نظرها. بالإضافة إلى بناء السرية المركزية العاملة عسكرياً على أرض الجبهة التي كانت مفتوحة في أفغانستان. والعمل من خلال التواصل مع من أمكن التواصل معه في بناء علاقات تعاون وتنسيق مع سرايا غير مركزية تحمل دعوة المقاومة وتعمل بشكل منفصل تماماً على الصعيد الحركي.

*** ثانياً: دائرة التنسيق أو (السرايا اللامركزية):**

وتتكون من العناصر التي أمكن التواصل معها وإخضاعها لدورات التأهيل الفكري والمنهجي والتربوي المتكامل فكرياً وسلوكياً وعسكرياً وحركياً من خلال التماس معها. حيث يكون برنامج تلك العناصر الارتحال عن الجبهة ، والانتشار في الأرض كل بحسب ظرفه وحياته. والعمل بشكل حر ومنفصل تماماً عن السرية المركزية من الناحية الحركية بحيث لا يربطها إلا الاسم والهدف والمنهج العقدي والتربوي وطريقة العمل وتنقطع الصلة بها تماماً. وميزة هذه السرايا عن التالية أن قياداتها قد أمكن تربيتها بشكل مباشر على فكر الدعوة مما يمكنها من نقل أساليب التربية ومنهج الاعتقاد والتفكير والعمل بشكل سليم. كما أمكن إعدادها عسكرياً بشكل متقن يمكنها من نشر العلوم العسكرية اللازمة.

*** ثالثاً: الدائرة الثالثة (دائرة الدعوة) أو السرايا العامة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:**

وهذه السرايا هي الأساس في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي رفعت شعار:

(المقاومة معركة أمة وليس صراع نخبة)

حيث تكون الدعوة وإيصال الفكرة بكل الأساليب المختصرة والمفصلة لتمكين الشباب العازم على الجهاد من الدخول في الدعوة وتشكيل سراياهم الخاصة المستقلة كليا للمشاركة في المقاومة دون أي ارتباط حركي بالمركز.

حيث يقتصر الرابط كما أسلفنا على الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج العقيدة الجهادية المشترك ومنهج التربية المتكاملة. وحيث تُوفِر لهم المناهج المنشورة ،كافة المواد اللازمة لاستكمال إعدادهم الذاتي حيث هم لمباشرة العمل على بصيرة ومن خلال منهج منضبط واضح.

بحيث لا يلزم العنصر الملتحق بسرايا الدعوة العامة ، إلا أن يؤمن بالفكرة ويجزم النية ويلتحق بالدعوة ويربي نفسه ومن معه على منهجها مع الوقت مبتدءاً العمل وفق الأساليب والطرق المبينة في منهج الدعوة المنشور وأدبياتها..

وقد ركزت في الكتابات والتسجيلات التي شرحت بها الطريقة على أن أساس الدعوة ومجالها الاستراتيجي هو الدائرة الثالثة سرايا الدعوة.. (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) وقد وضعنا تفاصيل تشرح للمريدين لهذه الطريقة سبل إنشائهم للسرايا وطريقة عملهم التي سأبينها فيما يلي. **ولكني أشير قبل ذلك**..

إلى أن تداعيات أحداث سبتمبر وإسقاط إمارة أفغانستان. وانهيار نظريات المواجهة المتمركزة نهائياً مع الهجوم العسكري الأمريكي الطاغي مادياً وتكنولوجياً وبشرياً على كل صعيد. وثبوت ذلك في المواجهات المحدودة التي تمت بين قوات المجاهدين المتمركزة المكشوفة و قوات هذه الحملات الأمريكية في أفغانستان ثم في باكستان وفي العراق وبعض البؤر الأخرى كاليمن وسواها.. أكد لي تماماً الأهمية الاستراتيجية للعمل السري الفردي والتركيز على الدائرة الأساسية في دعوة المقاومة وهي دائرة الدعوة العامة..

إذ أني أعتقد أنه ربما سيطول الوقت.. والله أعلم.. قبل أن يمكن لنا.. إن بقينا إلى ذلك أو لغيرنا من المجاهدين أن يستطيعوا التمركز ثانية والعمل وجهاً لوجه من خلال الدفاع الثابت والمواجهة الجبهوية.

وعلينا ضمن معطيات الوضع الحالي أن نعمل من خلال دائرتين: هما الأولى والثالثة.

** **الدائرة الأولى:** وهي **مركز الإرشاد** :

التي تشرف على الإرشاد والتوجيه ونشر المنهج وبرامج التربية وتصدر البيانات والأبحاث اللازمة لمتابعة ذلك. وتعمل بشكل سري يناسب الأحوال.

**الدائرة الثالثة (سرايا دعوة المقاومة) :

وهي السرايا التي نأمل من الله ، ونتوقع أن تتشكل بشكل تلقائي من قبل الراغبين بالعمل وفق هذا المنهج والطريقة والتي سيتشكل بإذن الله من خلال بلاغ الدعوة لأوساط المسلمين الذين تدفعهم كل الظروف من حولهم للانخراط في المقاومة. وذلك من خلال العمل الدعوي السري على إقناع تلك الشرائح بضرورة الضبط المنهجي للمقاومة. وضرورة العمل من خلال منطلقات هذه الدعوة جمعاً للجهود ومحاولة للوصول إلى الهدف الاستراتيجي وهي دحر العدوان وهزيمة الحملات النازية وقيادتها الأمريكية الصهيونية.

ولو قدر الله لي الحياة إلى أن يحصل التوازن الذي نرجو بما يعيد لنا إمكانية التمركز والدفاع الثابت .. فسأعمل على استئناف ما بدأت به من تكوين الدوائر الثلاثة وبشكل عملى فقد كانت تلك البداية واعدة ومشجعة ولست بصدد استعراض تلك التجربة التي انهارت كغيرها من المحاولات الجهادية في ثنايا تداعيات سبتمبر وسقوط إمارة أفغانستان الإسلامية .

وآمل إن حصل ذلك التوازن وتمكن المجاهدون من التمركز بعد أن أكون قد لقيت ربي وأساله الرحمة والمغفرة وشهادة في سبيله ترضيه ، أن يقيض الله لبعض كوادر المجاهدين الأكفاء أن يعملوا على ما حلمت به وعملت له من تشكيل :

(مكتب إرشاد سرايا المقاومة الإسلامية العالمية)، والسرية المركزية المحترفة لهذه الدعوة التي لخصت فيها خلاصة تجربتي وأفكاري الحركية والجهادية عبر ربع قرن من الزمن تجربة وعملا وأسال الله الإخلاص.

وأرجو أن تكون الفكرة قد نضجت واحتوت مساهمة جدية بين المساهمات المخلصة الجادة لدفع صائل الغزاة وأعوانهم عن هذه الأمة المؤمنة المستضعفة التي آن – بإذن الله – أوان نهوضها.

أما الآن فسأعود إلى مزيد من الشرح الذي يساعد الذين يقتنعون بهذه الدعوة الجهادية للمقاومة على تشكيل سراياهم السرية المستقلة بشكل كامل..

- **أنواع سرايا المقاومة الإسلامية العالمية من حيث مهام عملها:**

(1) – العناصر والسرايا بانية السرايا العاملة:

وهذه العناصر والسرايا تتخصص في نشر فكرة دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. وإقناع الكوادر من الجهاديين والشباب العازم على المقاومة بفكرة الدعوة والمسارعة إلى تشكيل سريتهم المستقلة وإعدادهم فكرياً وعسكرياً وأمنياً وتزويدهم بالأبحاث المختلفة الشرعية والسياسية والعسكرية الأمنية وتأهيلهم لكي يدربوا عناصرهم وأنفسهم ليكونوا سرايا فاعلة . كما أن من المهام المحتملة لمثل هذه السرايا

البانية أن تزود نويات السرايا بالأموال التي تساعدهم على الانطلاق من حيث أمكنها توفيرها.

ومن الصفات اللازمة للعناصر والسرايا التي ستتصدى المهمة بناء السرايا ما يلي:

1- أن تكون غير مكشوفة قادرة على الحركة في أوساطها التي تعيش فيها بأمن وحرية.

2- أن يكونوا متفهمين لمنهج دعوة المقاومة ولديهم الأهلية الفكرية لشرحها والدعوة لها. وعلى قدر لا بأس به من الفهم الشرعي والسياسي والحركي.

3- مستوى عالي من الفهم والأهلية الأمنية في الحركة لتأهيل الآخرين للحركة السرية.

4- مستوى مناسب في القدرة على التدريب السري على الأسلحة الخفيفة والمتفجرات وأسلحة العصابات الخفيفة الأخرى.

5-قدرة على الاتصال ببعض مصادر تمويل المقاومة لتزويد السرايا العاملة التي شكلوها بالدفعة الأولى للانطلاق للعمل.

(2) - السرايا العاملة:

وتتكون من عنصر فأكثر. ويفضل أن لا يجاوز عدد السرية الخمسة إلى عشرة على أقصى تقدير ، بحيث تتشكل تلقائياً

لإطلاعها على الفكرة وأدبياتها وإيمانها بالانتماء للدعوة والتوجه للعمل مباشرة. أو بتشكلها بمساعدة عنصر من بناة السرايا من الخلايا آنفة الذكر. ومهمة هذه السرايا الانصراف للعمل الجهادي والانخراط في القتال فورا ، وتربية أنفسهم على منهج الدعوة ذاتياً. **وعدم الانجرار إلى التوسع والتحول إلى بناء سرايا أخرى. ومقاومة الشعور الفطري بما لرغبة في التوسع خشية التحول إلى هرميات تنظيمية صغيرة. وهذا خطير جدا** وسيؤدي إلى القبض عليهم بسرعة – لا قدر الله –.

(3) – سرايا التحريض السرية:

وهذه السرايا تتشكل من خلايا صغيرة جداً من (1-3) عناصر. من أصحاب الكفاءة الشرعية والسياسية والفكرية والخبرة الإعلامية. والوعي الحركي. والخبرة باستخدام الإنترنيت وشبكات الإتصال الإلكتروني. ومهمة هذه السرايا نشر دعوة المقاومة وإعادة بث أدبياتها وأبحاثها ودراساتها ومناهجها المختلفة بوسائل النشر السري ولاسيما (الانترنت) والعمل على ترجمة أبحاث المقاومة وبياناتها إلى لغات المسلمين واللغات العالمية. مع الانتباه إلى أمنيات توزيع المواد بحيث تبتكر هذه السرايا لنفسها طرقاً للعمل بحسب إمكانيات كل بلد ومكان تعمل فيه.

وسيأتي بعض البيان لطرق عمل هذه السرايا في باب نظرية الإعلام والتحريض.

- **إيضاحات على طريقة بناء وعمل السرايا السرية:**

أولا : طريقة بناء السرايا المتعددة من قبل العناصر البانية للسرايا العاملة:

مر معنا آنفاً طريقة البناء التنظيمي الهرمي وخطورتها حيث يؤدي اعتقال أي من عناصر الهرم إلى اعتقال من معه ومن تحته ومن فوقه في الهرم التنظيمي. وهكذا تتسع دوائر الاعتقال حتى يأتي الدمار على الهرم التنظيمي بكامله . فلو كان لدينا هرماً تنظيماً.

واعتقل عنصر ما سيؤدي اعتقاله إلى اعترافه على من في مستواه . وعلى من فوقه وهو. وكذلك على من في مثل مسؤولية .. وهكذا تتكرر المأساة باعتقال من تحته وفوقه وقد أدت أساليب الاعتقال والتعذيب الوحشية والغير أخلاقية إلى إجهاض أقوى التنظيمات السرية في كل مكان خلال التجارب السالفة.

وكما شرحنا آنفاً فقد اعتمدت بعض التنظيمات الطريقة العنقودية بترك رؤوس العناقيد في بلد آخر غير الذي تعمل فيه بحيث تقيم

القيادة في مكان آمن وتتصل بالعناصر القيادية الميدانية أو تلتقي معها حيث تقيم هي الأخرى في مكان آمن وتدير هذه العناصر عناقيد تنظيمية هرمية تعمل داخل ساحة البلد المعني بالعمل بحيث لو قضى على الهرم المرتبط بالعنصر الرئيسي ، لا يؤدي لاعتقاله وتنقطع سلسلة الانهيار عنده . وقد نجحت هذه الطريقة في إعطاء بعض التنظيمات العربية والإسلامية وحتى العالمية هامشاً للمناورة. ولكن التعاون الدولي الآن في مكافحة الإرهاب قضى عليها إذ يؤدى طلب العنصر المطلوب من قبل حكومته إلى اعتقاله من قبل حكومة أخرى واعترافه على من في بلدان أخرى فيتم اعتقالهم خلال ساعات أو أيام على الأكثر ، بعد أن رفع شعار القضاء على الملاذات الآمنة. ولما لجأت قيادات التنظيمات إلى بعض الملاذات خارج نطاق سيطرة النظام الدولي كأفغانستان والشيشان.. كان من برامج العدو الإطاحة بها وإخضاعها لسيطرة النظام الدولي.. وهكذا أجهض الأسلوب العنقودي بالإدارة من ملاذات آمنة. وانتهى بذلك زمن التنظيمات نهائيا ، ولا يمكنه أن يعود إلا بدمار النظام العالمي الجديد والله تعالى أعلم . وهو الهدف الذي نسعى إلى إيجاد طريقة لتحقيقه بعون الله.

**** وأما الطريقة التي نقترحها على بناة السرايا فهي التالية:**

يقوم العنصر النشط من بناة السرايا. والذي يجب أن يكون من أهم مميزاته أهليته السابقة أمنيا وشرعيا وثقافيا .. كثرة المعارف والقدرة على التأثير في دائر ة واسعة من الآخرين.

يقوم باختيار بعض معارفه من الذين يظن بهم الأهلية لقيادة سرايا. ويفاتح كلاً منهم على حدة وانفصال تام في الموضوع. بالتدرج وبعد أن يستوثق من كل واحد منهم على حدة ويقوم بإعداده بصفة منفصلة أو مع معاون أو اثنين له على الأكثر.. ويعدهم خلال فترة إعداد بالاستعانة بمناهج الدعوة المطبوعة والمسموعة وخاصة هذا الكتاب ، وسلسلة محاضراتي التي بعنوان (الجهاد هو الحل ، لماذا وكيف) ومحاضراتي المسجلة بالفيديو بعنوان (سرايا المقاومة الإسلامية العالمية) ، أهمها أبحاث هذا الكتاب لتوسعه وتدقيق معلوماتها . كما أن لدي عدد من المحاضرات المسجلة حول (أصول حرب العصابات) وهي مفيدة كثقافة عسكرية للحروب السرية وعمل العصابات ، وهي ثلاث مجموعات (محاضرات مختصرة في شريطين)، و(دروس في ستة أشرطة) ، وأوسعها محاضرات كورس من (32) شريط كاسيت ، وهي (شرح كتاب حرب المستضعفين) وهو من أهم الكتب التي شرحت حروب العصابات وبينت أسباب نجاحها

وفشلها والكتاب الذي شرحته يقع في نحو 170 صفحة وهو مترجم لمؤلف أمريكي متخصص بمكافحة حروب العصابات.

كما يفيد في الإعداد الانتفاع بما تيسر من الأبحاث لأمنية والعسكرية المتوفرة في الساحة الآن وعلى شبكة الإنترنيت وبلغات متعددة. ولدى نية إن يسر الله لإعداد بعض الملخصات المختصرة من ذلك ، مع بعض الأبحاث الفكرية المتممة لما يحتويه هذا الكتاب الجامع لأهم ما يلزم من الإعداد الفكري والسياسي الشرعي والحركي.

كما يجب على من يبني السرايا أن يخضعهم لبرنامج الإعداد الفكري والأمني والعسكري لمدة أقدر أنها لا تحتاج أكثر من شهر أو شهرين إذا اتبع معهم أسلوب الكورس المكثف. هذا عن الإعداد الفكري وهو الأهم ، وسيأتي لاحقا بيان طرق الإعداد العسكري السري إن شاء الله.

وهكذا لنفرض أن العنصر (باني السرايا) أعد أربع أو خمس سرايا منفصلة تماماً لا نعرف بعضها ولا تعرف عن بعضها شيئاً.

||A | | B | | C | | D | | E | | F

الآن يوكل لكل واحد منهم مهمة بناء سريته من عنصرين أو ثلاثة أو لوحده إن شاء ويحدد لهم تاريخاً لا يبدؤون العمل قبله. لكي يبتعد هو من ساحتهم لأنه المقتل الوحيد لهذه المجموعات.

وقبيل حلول هذا التاريخ يجب أن يكون العنصر المؤسس من بناة السرايا قد غادر إلى جهة مجهولة لهم بحيث لا يمكن لهذه العناصر أن تدل عليه.

إما إلى جبهة من الجبهات المفتوحة في مناطق عدم السيطرة ، وإما إلى بلد آخر بأوراق شخصية لا يعرف أحد معلوماتها. وإما إلى الاختفاء التام في ساحة جديدة.

وإما بأن يكون على برنامج العنصر المؤسس أن يقوم بعملية استشهادية بعد بنائه لعدد من السرايا. لأنه يمثل نقطة المقتل الوحيدة أمنيا للسرايا التي بناها. فإنه لو اعتقلت أي سرية لا سبيل لها للاعتراف إلا عليه لأنها لا تعرف الأخرى.

ومن الضروري جداً أن يتنبه العنصر المؤسس إلى أن لا يكون في حديثه أو حركته ولو من باب الإشارة والتشجيع ما يشير لبعض العناصر بأنه قد جند آخرين يمكن لبعضهم أن يخمن من هم هؤلاء الآخرون فيعترفون على بعضهم بالظن.

ويمكن أن تتشكل السرية تلقائياً من غير أن يبنيها مؤسس خارج عنها ، وتعمل في المقاومة مباشرة ولا تعمل على دعوة غيرها. وذلك

بأن يقتنع رجل بالإنخراط في دعوة المقاومة ، فيشكل سريته الصغيرة ، أو يعمل بنفسه فقط أو مع صديق معاون يقنعه ، فيعدون أنفسهم على هذه الأبحاث ، ويسمون سريتهم ، ويعملون مباشرة ، ولا يسعون إلى تنظيم غيرهم ، ولا يعملون في مجال الدعوة والتحريض وينصرفون للعمل المباشر. وهذه أعل الإحتياطات الأمنية.

ويدرك من له أقل خبرة وإطلاع على التدريب وأصول العمل السري ، بأن سرية صغيرة من عنصرين أو ثلاثة ، مأهلة أمنيا وعسكريا، ولديها (ثقافة إرهابية) عالية ، أن تقوم بأعمال هائلة ، وتتنقل بأعمالها في دائرة بلدها في عدة مدن ، مما يخيل لمن لا يعرفها أن في البلد عشرات المجموعات العاملة. ولي العديد من القصص والشواهد الحية والأمثلة الرائعة على ذلك مما يضيق المجال عن سرده.

ثانيا : الحذر من خلط العمل العسكري للسرية بالإعلامي والدعوة للطريقة :

ويجب أن يحذر المجاهدون الذين يقومون ببناء سريتهم كل الحذر من خلط الأعمال الدعوية بالعسكرية فإنهم بذلك يجنون على أنفسهم وعلى غيرهم.

فالأصل أن يشكل الذي بلغته الفكرة واقتنع بها سريته من نفسه لوحده ويعمل في حدود إمكانياته إن كان لا ثقة له بآخرين. أو مع

اثنين أو ثلاثة على الأكثر ممن يثق بهم ، حيث يشكلون سرية واحدة ويعملون بصمت واحتساب في المجال العسكري ويختارون هدفاً من الأهداف المعادية التي مر ذكرها والإشارة إلى بعضها ويقومون بعمل ولو في كل عدة أشهر مرة واحدة. ويبلغون بطريقة أمنية مناسبة وموجزة عن عملهم.

وليكن في علمكم : إن الدعوة لتنظيم الآخرين ، وأعمال الدعاية والإعلام .. وجمع التبرعات .. هي أساليب مناقضة للسرية ومباشرة العمل ، ولا تجتمعان أبدا. وقد أدى الجمع بين هذه المتناقضات في تاريخنا الجهادي الحركي إلى كوارث حقيقية. هذه من أهم خلاصات التجارب المؤلمة الماضية.

إن مبدأ (علنية الدعوة، وسرية التنظيم) هو من أفشل المبادئ الحركية ولقد أدت ممارسته إلى كوارث دموية. فمن يعمل بالدعوة والتحريض ، فليترك العمل السري القتالي. والعكس بالعكس. واعلموا أنه في حين يلزم الأمة عشرات آلاف المقاتلين الفدائيين اليوم. فإنه يكفيها بعض المحرضين بالدعوة الكلامية.

إن ممارسة القتال ونكاية أعداء الله ، وبذل النفس في سبيل الله. هي أبلغ الرسائل التحريضية التي تحتاجها أمة قاعدة عن الجهاد كي تقوم من رقادها.

إن ممارسة التحريض ، لا تسقط عن المسلم فرض القتال المتعين اليوم ، الذي يعتبر الناكص عنه كتارك الصلاة والزكاة والصيام والحج ، بل أشر منهم. لما يترتب على الأمة بذلك من ضرر تسلط أعدائها، وذهاب دينها ودنياها .. فلا تغالطوا أنفسكم .. واتقوا الذي يعلم السر وأخفى ، و يحصل ما في الصدور إذا بعثر ما في القبور ، فإن ربنا بعباده خبير بصير.

ثالثا : دعوة المقاومة دعوة عمل جاد :

يجب أن يتنبه المجاهدون إلى أنه يكفي للتحريض بعض السرايا ، والحاجة ماسة للسرايا العاملة. والأصل في الفريضة الهامة هي القتال ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ﴾ أما التحريض فهو للكفاية والقادرين عليه والمؤهلين له.

فلا يترك العامل سبيلاً للشيطان يقعده عن العمل بإقناعه بأنه يحرض غيره أو يجند غيره. وهذا من تدليس إبليس. ومهمة تجنيد الغير مسؤولية كبيرة لأنها تقتضي منه كما ذكرنا الاختفاء تماماً الساحة التي جند بها غيره من العاملين. ولذلك فالأصل أن يجند الإنسان نفسه ويعمل مع من ارتبط به مباشرة.

رابعا : شاركوا في المتوالية الحسابية للمقاومة :

أعيد الإشارة إلى ما ذكرته في باب النظرية العسكرية. بأن أهمية فكرة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية تأتي من انتشارها وتجميع الجهود. فكما أسلفت فإنه لو أن اثني عشر سرية تشكلت في طول عالمنا الإسلامي وعرضه. وعملت كل سرية مرة في السنة لكان لدينا عملية شهرياً. ولو عملت مرتين لكان عملية كل 15 يوم. وهذا لا يستطيعه أقوى التنظيمات. فما بالك لو اقنع معنا خلال سنة من إطلاق الفكرة 100 شخص نجح بالعمل منهم 50 شخصا ، وعمل كل واحد عمليتين أو ثلاثة في السنة سيكون المردود أن يذكر جهد سرايا المقاومة يومياً عدة مرات مع من الوقت. وهذا ينكأ العدو ويحفز المسلمين على العمل. وهو المرجو من الله سبحانه وتعالى أن يبارك في هذه الفكرة ويهيئ لها رجالها ويبارك في جهودنا جميعاً ويرينا هزيمة الأعداء ويختم لنا بالشهادة في سبيله.

۞۞۞۞۞۞۞

الفصل الثامن

الباب السادس

نظرية التدريب في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

- **استعراض طرق التدريب القديمة التي اعتمدها الجهاديون في تجاربه السالفة :**

على نفس طريقتنا آنفة الذكر في استنباط النظرية المناسبة والطرق الناجحة بإذن الله. فإننا نستخلص نظرية تدريب سرايا المقاومة الإسلامية العالمية من خلال دراسة طرقه التدريب التي اعتمدت في تجاربنا الجهادية السابقة وهي طرق قد تسني لي بفضل الله أن أعمل في معظمها على مر السنين الماضية متدربا ثم مدربا ، ثم مشرفا على التدريب في برنامجنا الخاص في أيام طالبان. وبنظرة شاملة نجد أن التجارب الجهادية قد استخدمت إحدى الطرق التالية:

1 – التدريب السري في البيوت .

2 – التدريب في المعسكرات السرية الصغيرة في مناطق العمل ذاتها.

3 – التدريب العلني برعاية دول الملاذات الآمنة.

4 – التدريب العلني في معسكرات الجبهات المفتوحة.

5 – التدريب في مناطق الفوضى وعدم السيطرة.

ولنلق الضوء بإيجاز على سلبيات وإيجابيات كل طريقة من هذه الطرق وأمثلة عن كل منها لاختيار الأسلوب الأمثل للتدريب اليوم في ظروف عالم ما بعد سبتمبر وأجواء مكافحة الإرهاب العالمية.

** **التدريب السري في البيوت:**

استعملت التنظيمات الجهادية السرية هذه الطريقة في كافة التجارب الجهادية. بل يمكن القول أن هذه الطريقة هي الأساس في إعداد كافة التنظيمات والعصابات السرية في العالم. ورغم أنها لا تسمح إلا بالتدريب على الأسلحة الشخصية والخفيفة وبعض دروس استخدام المتفجرات وأسلحة المرحلة الأولى من حروب العصابات. إلا أنها أثبتت فعاليتها جداً. حيث أن الأساس كما سنين في عمل العصابات هو الدافع المعنوي وإرادة القتال وليس زيادة المعرفة بأسلحة لن يستخدمها المجاهد عمليا.

وفي هذه الطريقة يتعلم المتدربون فك وتركيب السلاح واستعماله وكيفية الرمي عليه نظرياً. حيث يقومون بشيء من التطبيقات العملية والرمي المحدود في المناطق الخالية أو الكهوف أو حتى الأقبية المعزولة عن خروج الصوت داخل البيوت ذاتها. وكثيراً ما تكون الطلقات الأولى التي يرميها المتدربون هي في عملية اشتباك حقيقي.

وقد استعمل المجاهدون في التجربة السورية الجهادية (1975-1982م) هذه الطريقة وكانت ناجحة ومفيدة. وفعلاً تمكن بعض المجاهدون من قتل بعض المرتدين وأعوانهم بإطلاق النار لأول مرة ، وطوروا إمكانياتهم من خلال العمل الحي. وكانت تجربة فريدة . وقد حصل مثل ذلك في تجارب جهادية في بلدان أخرى.

**** التدريب في المعسكرات السرية الصغيرة:**

وقد استعملت التنظيمات الجهادية هذه الطريقة حيث أمكن أن تتوفر بعض المناطق الخالية في الجبال والغابات أو الأرياف الزراعية البعيدة حيث تكون الطريقة هي إخضاع مجموعات صغيرة محدودة العدد ولا تتجاوز السرية الصغيرة 5 – 12 شخص. بحيث يتمكنون من إنشاء معسكر متنقل في مناطق نائية معزولة ويجرون دورات مكثفة يمكن أن يطبق فيها بعض التكتيكات العسكرية المتقدمة عن حروب عصابات المدن والأرياف من الكمائن والإنجازان والتمارين الأخرى. مع تطبيق شيء من الرمايات المحدودة التفجيرات في مناطق قريبة من مقالع الأحجار ومصائد الأسماك بالمتفجرات وحيث يؤلف سماع صوت التفجير.. أو حتى داخل لكهوف بكميات صغيرة محدودة. وهي طريقة فعالة جداً وكافية لتخريج المجاهدين القادرين على دخول معارك المرحلة الأولى من حروب العصابات ولاسيما المدنية.

**** التدريب العلني برعاية دول الملاذات الآمنة:**

وقد كانت هذه الطريقة معتمدة جداً في عالم ما قبل انطلاق النظام العالمي الجديد. فقد تمكنت كثير من التنظيمات الجهادية الاستفادة من هوامش التناقضات السياسية ومحاور الصراع الإقليمية والدولية كما أسلفت في الفصل السادس وأقامت معسكرات معلنة في دول معارضة لأنظمة الحكم التي خرجت عليها.. ومن تلك التجارب تجربتنا الجهادية في سوريا فقد تمكن المجاهدون من الطليعة المقاتلة ومن الإخوان المسلمين في سوريا من إقامة معسكرات متطورة في العراق قدم لهم فيها النظام العراقي مساعدات عسكرية ومنيفة ومادية كبيرة. وتخرج خلال الفترة ما بين (1980- 1983م) دفعات كثيرة من المجاهدين الذين أجروا الدورات العامة و الإختصاصية التي وصلت بمختلف صنوف الأسلحة الأرضية حتى المتوسطة والثقيلة مادون الطائرات. كما حصل مثل ذلك بشكل محدود في الأردن بمعاونة نظام الملك حسين وإشراف أجهزة استخباراته . وقد بدأ مثل ذلك مع مصر حيث أجرى فريق متخصص من المجاهدين من سوريا تدريبات عالية المستوى على عمليات عصابات المدن والعمليات الخاصة بإشراف جهاز المخابرات العامة في مصر إبان خلاف السادات الشهير مع سوريا وبعض الدول العربية أواسط 1981م وقد شهدت

بنفسي هذه التجارب في العراق ومصر وكانت مفيدة جداً وحصلنا فيها خبرات عالية.

وقد عمل بهذه الطريقة عملياً كافة التنظيمات الإسلامية وغير الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية خلال الفترة الممتدة من مطلع الستينات وإلى أواسط التسعينات حيث انتهت كما أسلفت بقيام نظام التعامل الأمني بين الدول العربية والإسلامية بإشراف أمريكا ومن تلك التجارب..

عمل التنظيمات الجهادية في سوريا مع عدد من دول الجوار وعمل التنظيمات المعارضة لصدام ولاسيما من الشيعة في سوريا وإيران ولبنان ، وعمل معظم إن لم يكن كافة التنظيمات الفلسطينية في سوريا وإيران ولبنان والأردن والسودان وغيرها.. وعمل تنظيمات لبنانية إسلامية وغيرها كذلك.. وتدرب بعض التنظيمات المصرية في لبنان عند حزب الله والفلسطينيين وفي إيران وكذلك بعض المجموعات من شمال إفريقيا الغربية في الجزائر وليبيا وبعض دول وسط إفريقيا والعكس.. بل بقدر موضوع الهوامش هذا إلى دخول منظمات عسكرية عالمية مثل E.T.A والجيش الجمهوري الأيرلندي I.R.A. للتدريب وتلقي المدد من دول عربية وشرق أوسطية. واستفاد حزب العمال الكردستاني التركي من سوريا ولبنان وشمال العراق ، ونمت منظمة مجاهدو خلق الإيرانيين وغيرهم في العراق .. وهكذا. والأمثلة

كثيرة جداً. وهذه الطريقة مهمة جداً ومفيدة حيث تكررت ظروفها. إذا تجنبت التنظيمات السلبيات السياسية والأمنية لمثل ذلك الانفتاح فإن فوائدها العسكرية كبيرة.

****التدريب العلني في معسكرات الجبهات المفتوحة:**

والتجارب الشهيرة الأخيرة أشهر من أن تذكر تفاصيلها مثل ما حصل في أفغانستان أيام الجهاد الأفغاني (1986- 1992م) ، وفي شوط الثاني للأفغان العرب أيام طالبان (1996- 2001م) حيث تدرب خلال هذين الشوطين عشرات آلاف المجاهدين العرب والمسلمين. واستفاد من ذلك الهامش الرائع عشرات التنظيمات الجهادية والعديد من التنظيمات الإسلامية حتى غير الجهادية. وكذلك حصل مثل ذلك بحجم أقل في الشيشان. والبوسنة. كما حصل مثل ذلك في العديد من معسكرات الثورات والجبهات المفتوحة في الفيليبين والقرن الأفريقي وكشمير.. وسوى ذلك.

وقد كان التدريب في تلك المعسكرات هو أفضل مجالات التدريب على الإطلاق إذ تتكامل فيه وسائل التدريب العسكرية والتربوية بكامل مناحيها بشكل حر تماماً بدون التعرض الضغوط والتوجيهات التي تحصيل في معسكرات دول الملاذات الآمنة التي غالباً ما تفرض حكوماتها بعض القيود السياسية والفكرية.

[**]التدريب شبه العلني في مناطق الفوضى وعدم السيطرة:

قبيل انطلاق النظام العالمي الجديد كانت مناطق الفوضى وعدم السيطرة في العالم كثيرة ولاسيما في نطاق العالم العربي والإسلامي ، وخصوصاً في مناطق القبائل شبه المستقلة والمناطق النائية البعيدة عن سيطرة الحكومات الضعيفة في بعض الدول.. كمناطق القبائل في اليمن والصومال والقرن الأفريقي وقبائل المناطق الحدودية في باكستان والحزام الطويل في دول الصحراء الكبرى في أفريقيا والممتدة من السودان وإلى سواحل المحيط الأطلسي وقد أمكن وربما لا يزال ممكناً أن تستفيد العديد من المجموعات الجهادية المحلية وغير المحلية من هذه المناطق وتنشئ المعسكرات شبه العلنية حيث توفرت الأجواء والسلاح والذخيرة بتكاليف قليلة. ولكن أمريكا بعد سبتمبر وضعت على أول أولوياتها السيطرة على هذه الفجوات غير المسيطر عليها. ولكن مع ذلك ما تزال كثير من الفجوات صالحة للإفادة.. ولاسيما للمجموعات المحلية أو القريبة من تلك البلاد.

وإذا أردنا أن نسجل الملاحظات على عمليات التدريب والإعداد التي قام بها الجهاديون خلال المرحلة الماضية عبر هذه الآفاق الخمسة نوجزها باختصار بما يلي:

1 – التدريب الداخلي: في البيوت والمعسكرات الداخلية المحدودة:

في تجارب تدريب البيوت كان مستوى الإعداد العسكري منخفض نسبياً. ولكن المردود الأمني كان عالياً إذ يتم ذلك في ظروف من السرية والاحتياط الكبير به. وكذلك كان التدريب المعنوي والفكري عالياً وانعكس على مستوى العقيدة الجهادية ومستوى الفهم الفكري والسياسي وأصول نظرية حروب العصابات الجهادية. ولاسيما في مثل التجارب الجهادية في سوريا ومصر وليبيا والجزائر والمغرب وغيرها.. وأذكر لما كنت عضواً في جهاز التدريب أثناء إقامتنا شبة السرية في الأردن إبان الثورة الجهادية على النظام السوري (1980- 1982م).. كنا ندرِّس سراً في البيوت المنتشرة للمجاهدين في عمان وغيرها من المدن الأردنية أكثر من خمسة عشر مادة عسكرية وتربوية نظرياً.. ونجري فيها امتحانات للخلايا المختلفة. وبعدها تقوم بإرسال الذين تجاوزوها للمعسكرات في بغداد في العراق حيث تجري لهم دورات مكثفة ومختصرة لأنهم انتهوا من التدريب النظري. ويُستبقى من سيتخصص منهم في العمل العسكري للدورات التخصصية على مختلف صنوف الأسلحة بما فيها الدبابات.. وقد رأينا أن المواد التي يمكن أن تدرس في البيوت ليست قليلة وهامة جداً. وخاصة العقائدية فيها والفكرية. وفي حال تمكن الخلايا من عمل معسكرات محدودة ومتنقلة فإن الدائرة العملية تكتمل وتحتل أفضل صور الإعداد حتى

وإن لم تصل إلى مستويات عسكرية عالية. نظراً لعدم وجود سلبيات أمنية وسياسية كما في حالة الرحيل إلى معسكرات التدريب في الخارج.

2- في تجارب المعسكرات الخارجية في معسكرات الملاذات الآمنة في الدول الأخرى:

سجلت إيجابية واضحة وهي المستويات العسكرية العالية التي أمكن أن يحققها بعض الكوادر من خلال ما وفرته إمكانات الدول وجيوشها وأجهزتها الأمنية من الإعداد ومواده المتعددة والراقية ولكن كان هناك سلبيات خطيرة كشفتها التجارب مع الوقت ومن ذلك:

-- كشف الكثير من أسرار التنظيمات وخباياها الشخصية والمعلوماتية للدول المضيفة للمعسكرات ، وقد شكلت هذه المعلومات أوراق للضغط والمساومة وصبغت في النهاية على طاولة التعاون الأمني الإستخباراتي بين الدول التي تبدل مواقفها بشكل ميكافيلي ومتواصل. وأثبتت التجارب أن هذا كان مقتلاً استراتيجياً.

-- مكنت هذه الطريقة الدول المضيفة من اختراق التنظيمات حتى الجهادية والإسلامية مع الوقت. وكسبت لصالح العمل تحت إدارتها واستخباراتها بعض أعضاء هذه التنظيمات ولا سيما عندما طال مكوث تلك التنظيمات في الدول المضيفة وصار لها هياكل

سياسية وإعلامية وعسكرية كما في التجربة الجهاد السورية ، أثناء توجد قياداتها في العراق والأردن وكذلك غيرها.. ومع الوقت استطاعت تلك الدول التدخل في شؤون الجماعات وفرض إرادتها لتصبح أوراق سياسية إقليمية في يدها اضطراراً حيث اتبعت تلك الدول سياسة الإغراق والاستيعاب المالي كما سنشير لذلك في باب التمويل.

-- شكلت عملية الرحيل إلى معسكرات الملاذات الآمنة المجاورة غالباً مقتلاً أمنياً بسبب تحرك العناصر المجاهدة وسفرها إلى هناك وكانت مصائد أمنية لأجهزة الاستخبارات اليقظة في مثل تلك الحالات حيث استطاعت في كثير من الحالات زرع عملاء لها في تلك المعسكرات والأوساط المفتوحة التي غالباً ما تنساق للحركة العلنية وتترك ما هي عليه من الاستنفار الأمني وخاصة مع تطاول الوقت وتحول رحيل العناصر من هدف التدريب والعودة إلى حجم المعارضات التي تهاجر للاستقرار وتفرغ ساحة الجهاد ذاتها.

3 – معسكرات الجبهات المفتوحة:

والصورة النموذجية لهذه الحالة هي معسكرات أفغانستان في الشوطين العربيين الأول أيام الروس والثاني أيام طالبان. وكذلك معسكرات البوسنة إلى حد ما. في حين لم تشكل الشيشان ساحة

تدريب واستقطاب للتنظيمات والعناصر الراغبين في ذلك وإنما كانت ساحة قتال وجهاد وعمل مباشر كون كوادر ميدانية راقية المستوى.

وقد كانت إيجابيات هذه التجارب (كبيرة جدا) من حيث النقطة التي نحن بصددها وهي موضوع التدريب والإعداد وخاصة في المستويات العسكرية التي وفرتها. وأما سلبياته فبالإمكان إيجاز أهمها بما يلي:

* ضياع فرصة التربية المنهجية نتيجة كثرة التنظيمات والساحات والتجاذبات والتنافس الذي لم يكن منضبطاً شرعا ولا عقلا في كثير من الأحوال وهذا قد سبقت الإشارة إليه.

* مشكلة التكاليف الباهظة لقدوم المتدربين من أقاصي العالم إلى ساحة التدريب. (تكاليف السفر والإقامة..).

* مشكلة الاحتراق الأمن حيث يشكل الحصول على الفيزا من سفارات الدول المجاورة ولاسيما باكستان والعبور والحركة العلنية. والانتشار السهل للجواسيس و العملاء لكافة أشكال أجهزة الاستخبارات. مع حركة علنية بشكل كامل للمتواجدين. والإشكالات الأمنية التي ترتبت على عودتهم وانتشارهم وتعامل العالم بأسره معهم تجاوباً مع حملات مكافحة الإرهاب بصفتهم إرهابيين مفترضين. وتكبد شرائح كثيرة منهم خسائر وأضرار قادحة دون أن تقوم بأي مردود جهادي يبرر ذلك العناء.

4- معسكرات مناطق الفوضى:

.. فلم يرج استخدامها كثيراً في المرحلة الماضية بشكل رئيس وإيجابيات وسلبياتها قريبة من طريقة المعسكرات السرية الصغيرة مع فارق التكاليف المادية العالية للذهاب إليها..

هذه باختصار واستعراض سريع أهم سلبيات وإيجابيات أساليب التدريب في عالم ما قبل سبتمبر والحملات الأمريكية الحالية على العالم الإسلامي.

أما اليوم فيبدو تلقائياً من خلال مسار الحملات إلغاء معظم تلك الأساليب بإلغاء الهوامش التي أتاحتها..

فلم يعد ممكناً ولا عملياً في الظروف الحالية إقامة الجبهات المفتوحة. ولا عاد ممكنا الدول أن تفتح الملاذات والمعسكرات للإسلاميين والجهاديين.. وتوشك مناطق الفوضى أن تكون تحت السيطرة الأمريكية وتغلق كما في مناطق وقبائل اليمن ومناطق قبائل سرحد شمال غرب أفغانستان.. والحزام الصحراوي وسط أفريقيا وغيرها..

وهكذا يبدو واضحاً أن الطريقة الوحيدة التي بقيت ممكنة لنا الآن ، في عالم الهجمة الأمريكية والتنسيق الدولي لمكافحة الإرهاب هي أساليب التدريب السري في البيوت والمعسكرات المنتقلة .

والفرص الخاضعة لأساليب السرية بل شديدة السرية في هذه الظروف بالغة الشدة والقسوة. وهو ما سنحاول أن نضع له بعض الآفاق والشرح لمساعدة سرايا المقاومة وغيرها من المجاهدين في كل مكان على تدريب نفسها وإعداد قواتها لإرهاب أعداء الله من الأمريكان والصهاينة وحلفائهم.

ولكن قبل الانتقال لصلب الموضوع وهو لب الفقرة أساليب تدريب سرايا المقاومة. أعرض لجملة من المفاهيم والنقاط التي تساعد على استخلاص وفهم الفقرة الأساسية وهي طرق التدريب اللازمة لنا الآن.

- **مفهوم الإعداد وسببه وهدفه:**

الإعداد: هو الإلمام بمجموعة من المعارف والعلوم والإمكانيات المعرفية والبدنية من أجل أداء مهمة الجهاد وهو القتال في سبيل الله وقد لحضت مفاهيمه ووسائله وأهدافه الآيتان الكريمتان التاليتان. وفصلت في ذلك كثير من نصوص السنة القولية والفعلية التي يستأهل أن يفرد لها كتاب مفرد. ولكنا هنا بصدد الإيجاز، وهاتين الآيتين هما قوله تعالى في الآية (60) من سورة الأنفال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ .

وفي الآية (36) من سورة التوبة: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ .

ولنذكر بعض الفوائد التي تشير إليها هذه الآيات:

فأما آية الأنفال فإنها:

1- تقرر أن الإعداد على قدر الاستطاعة وليس فوق الاستطاعة وهو التكليف الشرعي فكل مسلم يعد طاقته وسلاحه بحسب قدرته.

2- القوة ورباط الخيل: وهذا كلام جامع يشير إلى كل أسباب السلاح وآلات الحرب ووسائل الحركة والنقل وقد بينها رسول الله ﷺ في حديثه فقال (ألا إن القوة الرمي) يكررها ثلاث مرات.

وقد أوصى القرآن كل المسلمين بحيازة السلاح وعدم الغفلة عنه فقال: ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (النساء: 102) .

3 – بينت الآية أن الفرض من الإعداد ليس مجرد حيازة المعرفة والرياضة وغير ذلك مما شاع مؤخراً من الإعداد كسياحة بغير قصد

الجهاد. وإنما الإعداد لهدف محدد.. ﴿**أعدوا**﴾ ... ﴿ **ترهبون به عدوا الله وعدوكم وآخرين** ﴾.. الآية وهذا سبقت الإشارة له.

4- ثم أشارت الآية إشارة لطيفة بعد الأمر بالإعداد وحيازة السلاح وآلة الحرب إلى الإنفاق لعلم الله بتكاليف ذلك وقصور ذات يد غالب المريدين للجهاد عنه.. فأمرت الآية و ختمت بالأمر بالإنفاق ووعدت بجزيل الأجر والعطاء من الله عليه..

وأما آية التوبة :

ففيها إشارات عظيمة وفقه عظيم لعلاقة الإعداد بالإيمان وعلاقته بالجهاد العملي ومن لطائف ذلك:

أن الآية تكلمت عن المنافقين وزعمهم إرادة الجهاد بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن علاقة المؤمنين وأنهم يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ولا يستأذنون للفرار كما يفعل المنافقون الذين ارتابت قلوبهم واستأذنوا فراراً (ولذلك سميت سورة التوبة بالفاضحة للمنافقين). وهنا تأت الآية التي نحن بصددها لتقرر أن من علامات نفاق المنافقين إعراضهم عن الإعداد للقتال والجهاد وتقول عنهم (**ولو أرادوا الخروج**) أي لو صدقت عزيمتهم على القتال والخروج إليه (**لأعدوا له عدة**)، أي لأعدوا للقتال ما يلزمهم وفق وسعهم وقدر استطاعتهم. وقررت أن الله سبحانه وتعالى قد كره انبعاثهم للجهاد

وثبطهم عنه لعلمه بحالهم ، فأقعدهم رأفة بالمجاهدين. لأن خروج هؤلاء خبال وأذىً.

ولنعد لموضوعنا وهو علاقة الجهاد بالإعداد فالآية تشير إلى أن مراحل ذلك هو في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة:46) .

وما نفهمه من إشارات الآية أن مراحل ذلك هي ثلاث مراحل:

(إرادة) .. ف (إعداد) .. ف (انبعاث) ..

وهذا الترتيب الحركي والمنطقي يختصر آلية العمل في فعل الجهاد والمقاومة.

1- الإرادة: إرادة القتال مقدمة للإعداد ثم الجهاد:

أجمعت كل المدارس العسكرية على أن **إرادة القتال** و**الروح المعنوية للمقاتل** هي الأساس في الانتصار وحسن الأداء. والإرادة أساس في كل عمل وكل وجه من أوجه النشاط الإنساني كله.

فمن يبتغي الطعام أو الشراب أو الزواج أو التجارة أو السفر أو أي أمر، يجب أن يبتدئ ذلك عنده بالإرادة الصادقة. وعلامة صدق تلك الإرادة هي التحرك للإعداد اللازم لذلك العزم...

وفي حالتنا وهو الجهاد.. فإن الإعداد هو ثمرة الإرادة الصادقة. وبعد أن تصدق الإرادة والعزم يتحرك المرء للإعداد بحسب الاستطاعة ولإرهاب عدو الله وعدو المسلمين.. وبعد الإعداد يحصل الانبعاث للقتال.. هذا إن صدق العزم و أعد المستطاع وتحرك الفرد منبعثاً ما لم يثبطه الله سبحانه وتعالى لخباله وهوانه نسأل الله العافية والثبات– وما لم يسلط عليه شيطان ونزعات نفسه من جبن وخور وقعود باعثه باختصار كما قال ﷺ : حب الدنيا وكراهية الموت.

إن هذه الإرادة القتالية التي توجد الحافز للإعداد والنشاط له إذا كانت هامة جداً وأساساً للجندي النظامي. فهي أساس حركة مقاتل حروب العصابات عامة والمقاومة الجهادية خاصة. بل هي سلاحه الأساسي الذي يحركه بما استطاع حتى بالأسلحة المدنية إن لم يجد سواها.

- **ظاهرة غريبة في دنيا الإعداد المعاصر للجهاد:**

لطالما أشرت لهذه الظاهرة الغريبة. وأحببت أن نصححها ونصلح عوجها لأثرها السلبي الخطير على الأمة.. فالمعروف في دنيا القاعدين والمنافقين والفارين من الجهاد أنهم لا يعدون كما ذكرت الآية.. لو أرادوا الجهاد والانبعاث لأعدوا ، ولكنهم ما أرادوا فلم يعدوا وبالتالي لم يجاهدوا..

ولكن لفت نظري خاصة في تجربتنا الجهادية العظيمة في أفغانستان بشوطيها الأول والثاني قدوم عشرات الآلاف من الشباب للإعداد في المعسكرات وليس بغية الجهاد !!. وإنما يصرحون صراحة بأنهم جاؤوا من أجل فريضة الإعداد!! وقد عاد هؤلاء العشرات الآلاف إلى بلادهم متخمين بالدورات العسكرية التي أجروها وتعلموا خلالها استخدام مختلف أنواع الأسلحة وتكتيكات القتال.. ومنذ ذلك الوقت عصفت بالأمة أحداث عظام مثل نزول القوات الأمريكية والحليفة في جزيرة العرب.. ثم احتلال أفغانستان ثم احتلال العراق وبين ذلك وقبله نزيف الدم في فلسطين.. فضلاً عن استمرار الحكام المرتدين بسلسلة مآسيهم وخياناتهم وظلم عملائهم.. ولم يبدوا من الغالبة الساحقة لأولئك الذين أعدوا ولم ينبعثوا حراك بل غطسوا في سكون عجيب..

وهنا يظهر لنا حالة جديدة في سلسلة تناقضات الأمة المعاصرة ومظاهر سقوطها وانهيارها وهو **ظاهرة من أعدوا ولكنهم لم يريدوا الانبعاث. لقد أرادوا الإعداد وهم ينوون عدم الجهاد ، لقد أرادوا العقود مع سبق الإصرار والترصد !..**

ولست هنا بصدد أسباب ذلك وقد مر طرف كثير من أسبابها. ولكن أذكرها هنا لعلاقتها بالإعداد وهو الإعداد الفارغ دون فائدة

الذي لا يشكل إلا حجة على صاحبه بالعقود عن خبرة ، والعجز عن قوة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسلحة المقاومة والعصابات الجهادية:

أشرت في تسجيلات ومحاضرات سابقة إلى أسس حروب العصابات ومراحلها وأسلحتها وأساليبها العسكرية والسياسية ونحن هنا بصدد موضوع التدريب على موضوع أسلحة المقاومة للتركيز عليها واعتماد أساليب من التدريب بقدر الحاجة وبحسب مقتضيات الظروف الحالية فكما تنقسم حروب العصابات نظرياً بحسب التجارب العالمية المختلفة وبحسب كتَّاب هذا الفن إلى ثلاث مراحل ، تختلف أسلحة كل مرحلة من تلك المراحل وهذه المراحل بشكل رئيس هي:

المرحلة الأولى: وتدعى مرحلة الإنهاك.

وهي مرحلة العصابات الصغيرة وحروب الإرهاب المحدود حيث تعتمد العصابات الصغيرة العدد والحجم أسلوب الاغتيالات والإغارات والكمائن الصغيرة وأعمال المتفجرات المنتقاة لإرباك العدو سواءً كان سلطة استعمارية أو حكومة استبدادية وذلك لإيصاله إلى حالة الإنهاك الأمني والإرباك السياسي والإجهاد الاقتصادي.

المرحلة الثانية: وتدعي مرحلة التوازن.

وتنتقل فيها العصابات إلى مرحلة الهجمات الاستراتيجية الكبيرة وتجبر القوات النظامية على دخول معارك حاسمة قد تؤدي إلى تفكيك بعض قطعاتها والتحاق جزء من كوادرها وضباطها وعناصرها بقوات العصابات. ولكن دون الوصول إلى حال المواجهات المكشوفة إذ تبقى الإغارة والكمين هي الأساس في عمليات العصابات وإن يشكل أوسع. وقد تقوم العصابات في هذه المرحلة بعمليات سيطرة مؤقتة على بعض المناطق لتحقيق أهداف هامة عسكرية أو إعلامية وسياسية ولكنها لا تتمركز.

المرحلة الثالثة: وتسمى مرحلة الحسم أو التحرير.

وفي هذه المرحلة تدخل العصابات عمليات شبه نظامية وأخرى نظامية وتسيطر على بعض المناطق وتنطلق فيها في عملية تحرير لباقي رقعة البلد. وذلك بعد أن تكون قطعات من الجيش النظامي قد التحقت بالثوار أو رجال العصابات وصار لديها القدرة التكتيكية و التسليحية على دخول معارك المواجهة حيث تبقى للعصابات الصغيرة أهمية في العمل خلف الخطوط العدو في إرباك قواته بتكتيكات العصابات..

هذه النبذة المختصرة جداً عن مراحل عمل العصابات عموماً. تعطينا فكرة عن أسلحة كل مرحلة.. وقد تحدثت كتب حروب العصابات عن ذلك. وباختصار فإن:

**** أسلحة المرحلة الأولى:**

وهي الأسلحة البدائية والأسلحة الفردية مثل المسدسات والرشاشات الخفيفة والمتوسطة كحد أبعد. والقاذفات الخفيفة المضادة للآليات مثل R.P.G. وما يعادلها. والقنابل اليدوية وسلاح المتفجرات الشعبية والعسكرية.

**** أسلحة المرحلة الثانية:**

وتدخل فيها الرشاشات المتوسطة والثقيلة التي تحتاج لأكثر من شخص أو التحرك على آليات وبعض المدافع المتوسطة ولاسيما الهاون وكذلك سلاح الألغام المتنوعة. وبعض الصواريخ أرض أرض قصيرة المدى سهلة الحركة بالإضافة لسلاح المتفجرات الذي يتطور استعماله في هذه المرحلة لمرحلة الفرق الهندسية المختصة في الاستخدام الهندسي للمتفجرات والألغام.

**** المرحلة الثلاثة :**

ويدخل فيها باقي أسلحة الجيش بكافة صنوفها الأخرى بعد أن تدخل في عملية الثورة ومواجهة القطعات النظامية العسكرية المتفككة لصالح العصابات.

ومن هنا ومن خلال هذه المقدمة. نجد أنفسنا في ظل الوضع الحالي وبما يتناسب مع نظرية المقاومة الإسلامية العالمية في أهدافها السياسية والعسكرية أمام المرحلة الأولى الآن وحاجتنا الآن وإلى أمد ليس بقصير هو لأسلحة المقاومة والعصابات الجهادية في مرحلتها الأولى وخاصة فيما يتعلق بسرايا المقاومة الإسلامية العالمية الشعبية والبسيطة والتي تعتمد حرب الإنهاك ضد القوات الأمريكية وحلفائها الخارجين وعملائها المحليين كما بينت ذلك في الباب الثاني (السياسي) والثالث (العسكري) أما في المناطق التي نضطر فيها للمواجهة بعمليات شبه مكشوفة كما يحصل الآن في العراق وأفغانستان وأطراف قبائل سرحد فهذا يدعونا إلى تطوير أسلحة المرحلة الثانية.

ولكن في ظل استراتيجية العدو الحالية الطاغية جوياً وبرياً وبحرياً وفي ظل استراتيجيتنا تبعا لذلك واضطرارنا لخوض ما يسمي بحروب العصابات أو حروب المستضعفين فإن حاجتنا للتدريب تتلخص في عنوانين:

(1) – اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمعسكرات الصغيرة السرية المتنقلة.

(2) – اقتصار التدريب على أسلحة المرحلة الأولى أساساً وأسلحة المرحلة الثانية في بعض الساحات المناسبة لذلك كأفغانستان والعراق وما شابهها.

وتفصيل ذلك هو الفقرة التالية:

- **تدريب سرايا المقاومة الإسلامية العالمية: الأسلوب والأسلحة:**

تقوم نظريتنا في التدريب على الأسس التالية:

1 - التركيز على الإعداد العقدي والفكري وتنمية إرادة القتال والروح المعنوية.

2- التركيز على فهم نظرية حرب العصابات الجهادية أو ما يدعى بحرب المستضعفين.

3- نشر مناهج التدريب الفكرية والنظرية والعسكرية في الأمة بشتى الوسائل.

4- اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمعسكرات والمحدودة المتنقلة.

5- تطوير الكفاءة القتالية من خلال العمل الجهادي والانخراط في المعركة.

ولنلق بشيء من التفصيل الضوء على مناحي هذه الاستراتيجية في الإعداد و التدريب.

أما موضوع الإعداد العقدي وترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية عامة والعقيدة الجهادية خاصة كأساس في عملية المقاومة لإيجاد المقاوم المجاهد العقائدي ورفع مستوى حرارة المناخ العام في الأمة إلى مستوى الجهاد والثورة على الظالمين وأعوانهم. فقد مر ذكره بإسهاب في فقرات كثيرة في هذه السلسلة.

فقط أشير هنا إلى أن ذلك يجب أن يكون بأسلوب منهجي ويجب أن يكون ذلك من خلال جهد تقوم به كل سرية مهما صغرت أو كبرت بإشراف أميرها. بإعداد عناصرها وكوادرها إعداداً منهجياً بتوفير الأبحاث والكتب والمطالعات الإلزامية لهم بحسب مستوى فهمهم وقدراتهم على الاستيعاب.

وقد وفرت في سلسلة رسائل المقاومة هذه كماً لا بأس به من الأسس المنهجية. وأنصح بمعظم كتابات شهيدنا الإمام عبد الله عزام رحمه الله فقد ترك تراثاً عظيماً لم يعرف قدره إلى الآن. بالإضافة للاستعانة بكتب المكتبة الإسلامية التراثية والمعاصرة مما يعين على رفع

إرادة القتال والتحريض عليه وعلى بصيرة وعلم كما أسلفت في رسالة نظرية التربية المتكاملة.

كما يجب التركيز على فهم نظرية حرب العصابات عامة وأصول حروب العصابات الجهادية خاصة وذلك من خلال مذكرات منهجية (سأحاول توفير خلاصات عنها) ملحقة بهذه السلسة أن شاء الله وكذلك من خلال المكتب والمراجع العسكرية التي تحدثت عن ذلك. وقد سبق أن سجلت خلال مرحلة الجهاد الأفغاني بشوطين سلسلة من المحاضرات في هذا الفن هي خلاصة كتب ومطالعات كثيرة وفق الله لها وسجلت خلاصتها في تلك المحاضرات وأذكرها هنا لأهميتها وهي:

- (دروس في حرب العصابات) شريطين كاسيت في ثلاث ساعات.
- (إدارة وتنظيم حرب العصابات) 6 أشرطة كاسيت في نحو 9 ساعات.
- ثم البحث والكورس المطول والهام جداً وهو: (شرح كتاب حرب المستضعفين) وهو من أهم كتب حروب العصابات المترجمة وقد شرحته في 36 شريط كاسيت ربما في نحوه 25 ساعة..

وسأحاول إن وفقني الله تعالى وكان في العمر بقية أن أفرغ تلك التسجيلات وأحولها إلى كتاب بعنوان أصول حرب العصابات الجهادية في ضوء ظروف الحملات الأمريكية المعاصرة. فإن لم يقدر لي

ذلك فأرجو أن يوفق الله من يستطيع ذلك إلى تفريغ الأشرطة كما هي وصياغتها بلغة الكتابة مع التدقيق الشديد في المحافظة على محتواها دونما إضافات أو تعليقات.. وأسأل الله أن ينفع بها ويكتب لي أجرها. وهذا الفن الهام جداً من العلوم العسكرية قل من كتب فيه في المكتبة العربية عموماً ولا أعرف في المكتبة الإسلامية والجهادية كتابات مهمة فيه أو لم أطلع بالأحرى على مثل ذلك رغم بحثي عنه.. وأرجو أن أكون قد سددت بتلك المحاضرات والكتب المنبثقة عنها إن تم ذلك بعون الله ثغرة مهمة.

أما عن هذه الفقرة فهي من أهم مرتكزات التدريب في دعوتنا الجهادية للمقاومة. وهي نشر ثقافة الإعداد والتدريب وبرامجها ومناهجها بكل مناحيها عبر كافة وسائل النشر ولاسيما الإنترنت وتوزيع الأقراص الإلكترونية والإرسال المباشر والتسجيلات وبكل وسيلة.

أساليب تدريب سرايا المقاومة في ظل الحملات الأمريكية :

أظن أنه وإلى وقت لا أعتقد أنه سيكون قصيراً.. لن يمكن والله أعلم إنشاء المعسكرات المفتوحة على غرار ما عملناً في العقد الأخير. فالظروف الأمنية قد تغيرت جداً. ناهيك أن المعسكرات والجبهات

مهما اتسعت لن تستطيع استيعاب الأمة المليارية وشبابها المجاهد الذي سيكون قريباً بالملايين إن شاء الله. لن يمكن استيعابهم في معسكرات ويجب أن تحافظ سرايا المقاومة على سريتها وسرية حركتها بكاملها، ومن ذلك التدريب والإعداد ولذلك فعلى عكس ما كانت عليه نظرية التدريب في الأوساط الجهادية خلال العقدية الأخيرين والتي قامت على دعوة الأمة للمعسكرات. تقوم نظرية التدريب في

دعوتنا للمقاومة على نقل المعسكرات إلى داخل الأمة.

يجب نقل التدريب إلى كل بيت وكل حي وكل قرية في بلاد المسلمين .. وذلك بنشر المناهج وتفاصيلها ولاسيما العسكرية.. ودروس استخدام الأسلحة وتكتيكات القتال في عملية عسكرة شاملة لشباب الأمة الإسلامية ورجالها ، وحتى نسائها وأطفالها .

فالقضية جد منطقية ؛ لا يمكن حشد الأمة في معسكرات ولكن بالإمكان زرع المعسكرات في أنحاء الأمة في كل بيوتها وأحيائها .

هذا إذا أردنا أن نحقق شعارنا في المواجهة وهو: (**المقاومة معركة الأمة وليست صراعات النخبة**).

يجب استعمال أسلوب تدريب البيوت والمعسكرات المحدودة المتنقلة كما أسلفت. فأسلحة المقاومة الشعبية وأسلحة حرب

<u>العصابات الجهادية المدنية في مرحلة الإنهاك والإرباك بالإرهاب أسلحة بسيطة.. مسدس رشاش.. قنبلة يدوية.. قاذف صواريخ.. متفجرات.. هي أسلحة بسيطة والتدريب عليها جد بسيط ويجب على من سبق له معرفة بهذه الأسلحة وتلقي شيئاً من التدريب أن يدرب من حوله وستساعد البرامج المنشورة المبسطة على ذلك جداً .</u>

* ولكن يجب أن يكون هناك حذر شديد في موضوع المتفجرات وقصر التدريب عليها في البيوت نظرياً والخروج لخارج المناطق السكينة للتعامل مع مكوناتها ولو البسيطة تفادياً للخسائر الناجمة عن الحوادث ولما يترتب على ذلك من الكشف الأمني.

* وأما عملية الرماية والتطبيق فتكون عن طريق إيجاد المواقع اللازمة والظروف المناسبة في الكهوف.. والجبال الخالية.. الغابات الواسعة.. الصحاري.. الخ مع الإحتياطات الأمنية الشديدة ووضع نقاط إنذار أثناء العمل على مسافات كبيرة.

* لقد أصح اعتماد هذا الأسلوب ملحاً جداً في عالم ما بعد سبتمبر. وقد تنبهت لهذا الأمر في الحقيقة قبل ذلك بفترة ، وحاولت أن أشيع هذه الملاحظة في أوساط المجاهدين العرب في أفغانستان أيام طالبان بعد استهداف صواريخ الكروز لمعسكرات القاعدة في أفغانستان صيف 1998م، والدقة التي لاحظتها في الاستهداف. والكثافة في الرماية حيث نزل على الأهداف 75 صاروخ كروز خلال دقائق

محدودة استطاعت فيها أمريكا أن تضع صاروخاً في كل غرفة من غرف لمعسكرات.. وقد حادثت العديد من إخواننا آنذاك بأن زمن المعسكرات الثابتة بهذه الحادثة قد ولى ، وأن علينا اعتماد أسلوب تدريب البيوت و(معسكرات المجاهدين الرُحَل) كما أسميتها.. بيوت من الشعر وسيارتين وعدة عناصر ومخيم في الفيافي والقفار يطبق البرنامج ويمشي.. ويأتي غيره لمكان آخر وهكذا.. ولكن الأوساط العربية كانت تعتمد أسلوب الدعاية والحشد ودعوة الأمة للمعسكرات ولم تتنبه في عمومها إلى عصر الأقمار الصناعية والتصويب بعيد المدى.. وكان أمر الله قدراً مقدورا.. أما الآن فأرى أن انتشار المعرفة بمجربات الحرب وأسلحتها يجعل الجميع يقتنع بالبحث عن وسائل بديله وما أرها إلا الحرب السرية في كل شيء تدريساً وتدريباً وتنفيذاً.. طالما أن التكنولوجيا الحديثة الأمريكية تهمين على الفضاء والأجواء.. وسأعطي في نهاية هذه الرسالة (فكرة عن برامج مثل هذا التدريب في دورات البيوت السرية والمعسكرات المجاهدين الرُحَل) .

* أما تطوير الكفاءة القتالية من خلال العمل المباشر والانخراط في المعركة فقد رأينا نجاعته عملياً من خلال ما تم من التجارب الجهادية في بعض البلاد العربية والإسلامية ومنها التجربة السورية. وكذلك في تجربة أفغانستان في مرحلتها.

فقد كانت السرايا الأولى من المجاهدين في الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين في سوريا تعتمد الأسلوب التالي في التدريب المنزلي والتطبيق في ميدان المعركة المواجهة كما يلي:

- أنقسم التنظيم إلى عناصر كامنة غير مكشوفة وغير مطلوبة للنظام وإلى قسم آخر من المطلوبين الذين يختفون في قواعد مدنية في مخابئ في البيوت.

- كان القسم الكامن غير المكشوف يعمل في مهام الاستطلاع وجمع المعلومات والأموال والتجنيد وبعض عمليات الإسناد وللعمليات.

- أما العناصر المكشوفة فكانت تقوم بالمهام العسكرية الأساسية التي كان معظمها عمليات اغتيال أو كمائن محدودة لدوريات الأمن أو مهاجمة لبعض مراكز الحكومة الإستخبارات.

- كان التدريب يجري في البيوت على فك وتركيب الأسلحة البسيطة التي كانت عبارة عن المسدسات في الغالب وبعض الرشاشات الخفيفة وخاصة الكلاشينكوف بالإضافة لبعض القنابل اليدوية. وكانت تتم بعض عمليات الرماية المحدودة أحياناً في البساتين والمناطق المعزولة. وأشرف على التدريب من كان لهم خبرات سابقة تلقوها في التدريب مع المنظمات الفلسطينية ولاسيما معسكرات الإسلامية سنة 1969م. أو من كان قد خدم في بعض أجهزة الحكومة العسكرية.

- كان العنصر غير المدرب يخرج في عملية أولى بصفة مراقب فقط يشاهد تنفيذها مع الناس، وفي المرحلة الثانية يخرج مسلح كعنصر إسناد لا يتدخل إلا للضرورة. وفي المرحلة الثالثة يخرج منفذ ويسنده عناصر مدربه قديمة. وبعدها ينخرط في التدريب والمشاركة الميدانية معاً.

- وهكذا تطورت الخبرات من خلال المعركة. ثم بعد ذلك بدأ إرسال بعض العناصر ليتلقوا التدريب في العراق اعتباراً من سنة 1981م وعادوا لتدخل بعض الأسلحة المتوسطة كالرشاشات وقذائف الصواريخ المضادة للدروع والهاون الخفيف وال متفجرات.

- كانت بعض المعسكرات التدريبية تجري حتى قبل انطلاق الجهاد بقليل أثنائه من خلال المخيمات والكشفية وبغطاء رحلات الشباب حيث تم التدريب على اللياقة البدنية والتكتيكات العسكرية بدون سلاح. ويبقى استخدام السلاح لبعض الحالات المحدودة.. وقد خرَّجت هذه الطريقة كوادر ممتازة أدت أداءً حسناً وكان العامل الأساسي في ذلك هو إرادة القتال العالية جداً،والإعداد المعنوي. وقد سمعت عن شبيه بهذه التجارب في التدريب في البيوت والرمايات في معسكرات محلية في المناطق المعزولة من قبل ما حصل في مصر وليبيا والجزائر والمغرب وسواها..

* أما في تجربة أفغانستان فقد كان الأساس هو إخضاع العناصر لدوارات تدريبية جيدة قبل انتقالها لخطوط الجبهات. ولكني شهدت العديد من الحالات ودورات التدريب من خلال المعركة واختلاط التدريب بالجهاد الفعلي وكانت تجارب ممتازة. فقد شهدتُ ذات مرة دورة على استعمال مدافع الهاون تمت في الجبهة مباشرة. أثناء الجهاد ضد الروس والشيوعيين.. فقد شرح لنا المدرب (أبو همام المصري)- رحمه الله - دروساً نظرية على المدفع لمدة يومين. ثم تم التطبيق الفعلي بالرمي الحي على أهداف معادية. حيث ردت علينا تلك الأهداف بالقصف المماثل.. وعلى مدى ثلاثة أو أربع أيام عاش المتدربون أجواءً حيةً ممتازة للتدريب والقتال في آن واحد.

فالتدريب الميداني الفعلي من خلال المعركة ممكن وفعال وله نكهة خاصة وفاعلية مختلفة. إذا توفر بعض العناصر المدربة التي تشرف على التدريب.. وأعود للقول بأني رأيت عملياً ومن خلال عملي كمدرب في أثناء تواجدنا في العراق والأردن إبان الجهاد ضد النظام الطاغي في سوريا ، وكذلك في تجربة أفغانستان الأولى والثانية وفي بعض تجارب العمل المحدودة الأخرى..

أن الأساس في تخريج المقاتل هو إرادة القتال والتدريب المعنوي وأما التدريب العسكري فهو أساسي وضروري ولكن يمكن إجراؤه حتى بأبسط الوسائل والظروف وإرغام الفعالية من خلال الإنخراط في

العمل.. ويكفي قوله تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾.. فالجهاد أساسه هو إمداد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وعونه في التدريب والعمل سواء.. والأصل الإرادة . ﴿ **ولو أرادوا الخروج .. لأعدوا له عدة** ﴾

- **فكرة مختصرة عن برنامج التدريب من خلال البيوت والمعسكرات السرية المتنقلة:**

إن يسر الله فسنحاول أن نلحق برسائل المقاومة ملحقاً عسكرياً ببرامج دورات تفصيلية في بعض العلوم العسكرية اللازمة لحرب العصابات ولاسيما المدنية والسرية التي هي أساس عمل سرايا المقاومة في المرحلة الحالية. بحيث يغطي البرنامج التدريب على الأسلحة الخفيفة وإتقانه الرماية عليها وعلم المتفجرات وملحقاته من بعض العلوم في الكهرباء والإلكترونيات.. وبعض تكتيكات حروب عصابات المدن إن شاء الله.

ولكني هنا أشير لبرنامج خفيف تستطيع أبسط الخلايا العازمة على المقاومة تطبيقه في أشد الظروف الأمنية والسرية. ويشمل هذا البرنامج الخطوط العريضة كما يلي من برنامج التدريب:

- إخضاع العنصر نفسه ومن معه لبرنامج رياضة بدنية مركز من خلال الانتساب لنادي رياضي في إحدى الرياضيات العنيفة

(مصارعة، كاراتيه، جيدو.. ملاكمة.. الخ.. أو لبرنامج رياضي شخصي يومي يتضمن الجري لمسافات وأوقات طويلة وحركات بدنية رياضية توفر اللياقة العالية.

- دروس في فك وتركيب المسدسات والرشاشات المتوفرة من خلال توفير مذكرات تبين ميزاتها وخصائصها وطريقة التعامل معها والرمي عليها.
- البدء بالرمي على أسلحة الصيد التي تستعمل الهواء المضغوط لصيد العصافير والطيور وهذه البنادق والمسدسات التي تستعمل المقذوفات الرصاصية الصغيرة متوفرة في كل مكان.
- الدراسة النظرية لاستعمال القنابل اليدوية من خلال دراسة المذكرات والتدرب على رمايتها برمي ما يشبهها من الأحجار حجما وزنا.
- الدراسة النظرية لاستخدام المتفجرات وخصائصها وطرق تخزينها والتعامل معها. وتدريب العناصر على مجسمات شبيهيه بالمواد الأساسي مجسمات خشبية وحبال ونماذج بلاستيكية. دون استعمال المواد الأساسي واستخدام التمديدات الكهربائية لشرح طرق التوصيل و (اللمبات) والمصابيح الصغيرة بدل الصواعق. وقد جربنا هذه الطريقة عملياً وكانت ناجحة تماماً وكان كورس المتفجرات النظري يتكون من نحو 40 ساعة من الدروس على نماذج خشبية وبلاستيكية

حيث يتقن استعمال المتفجرات ولا يبقي إلا التطبيق في مكان مناسب على عبوات صغيرة جداً.

- إتقان استعمال أجهزة الاتصال اللاسلكية ودراسة مذكرة عن أمنيات استخدامها وعدم استعمالها في البيوت الخاصة وإنما في الخلاء ولمدد بث تدريبية لا تتجاوز نصف دقيقة حتى لا يتم رصدها والتحدث بأحاديث شبيه باتصالات الأجهزة الحكومية.

- دراسات نظرية تشمل المواد العسكرية والتكتيكية التالية من خلال المذكرات التي تتوفر اليوم على الإنترنت وسواها وأهم هذه المذكرات هي:

- مذكرات في الأسلحة الخفيفة والمتوسطة.
- مذكرة في علم هندسة المتفجرات.
- مذكرة في علم الطوبوغرافيا العسكرية.
- مذكرة في علم الاتصالات اللاسلكية والشيفرة.
- مذكرة في الأمن والحركة والعمل السري والاختفاء والهروب من المطاردات الأمنية ورصد الأهداف.
- مذكرة في علم الكهرباء والإلكترونيات والعلوم الملحقة المساعدة لعلم هندسة المتفجرات.

- مذكرة في علم تركيب وتصنيع المتفجرات (**على أن يشرف على التطبيق متخصص بالكيمياء ويجري التطبيق في أماكن بعيدة عن السكان وبكميات محدودة جداً**).

- مذكرات في تكتيكات القتال مثل: - تكتيكات حروب المدن – حروب الجبال – حروب الغابات – حروب العصابات – تكتيكات الجيوش النظامية وطرق مواجهتها ... الخ..

- مذكرات في السلوك التنظيمي والأمني وضبط المواعيد وتسليم واستلام الرسائل سراً.. الخ..

إن هذه الثقافة العسكرية هامة جداً ويمكن توفيرها على أقراص كومبيوتر ونقلها والإستفادة منها وتخريج العناصر على برنامج مكثف وإجراء تطبيقات فعلية كثيرة ومفيدة في البيوت أو في المعسكرات الرياضية والكشفية وسواها حيث تبقى الحاجة فقط إلى تطبق الرماية والتفجير. وهذا يبحث له عن مكان مناسب وتم في ساعات محددة سواءً في المعسكرات المتنقلة السرية أو من خلال ما تيسير.. ومن المهم جداً ضبط أمن الحركة في إجراء هذه التدريبات. والله الموفق.

الفصل الثامن

الباب السابع

نظرية التمويل لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية

المال عماد الجهاد وأساسه. وقد أفهمنا الواقع المرير ذلك وجعلنا ندرك لم اقترن معظم ذكر الجهاد بالنفس بذكر الجهاد بالمال وقدم عليه في الذكر في كثير النصوص القرآنية..

وكدأبنا في استخلاص نظريات عمل سرايا المقاومة من خلال تجارب الماضي.. نبدأ البحث في مآسي هذه المشكلة التي أرهقت المجاهدين المعاصرين وأوردتهم البلايا عبر عقود طويلة من المعاناة ، انتهت بكوارث الخطط العالمية المعادية في مكافحة المجاهدين وبرامجها في تجفيف المنابع.. لنحاول البحث عن حلول لتمويل سرايا المقاومة المقبلة و الله الهادي إلى سبيل الرشاد..

- **طرق التمويل في التجارب الجهادية للتنظيمات السرية في المراحل الماضية:**

اعتمدت التنظيمات الجهادية في التجارب الماضية في تمويلها على المصادر التالية:

- البداية بمساهمة الأعضاء والمناصرين المقربين عند انطلاق العمل.
- -الاعتماد على تبرعات المحسنين المحليين في المراحل الأولى.
- -الاعتماد على تبرعات المحسنين الخارجين بعد انطلاق العمل وتحول المواجهة للعلن.
- الاعتماد على دعم بعض الأنظمة المجاورة المستفيدة من جهاد تلك التنظيمات لحكومات مناوئة لها في السياسات الإقليمية ، حيث استفادت بعض التنظيمات من تلك الهوامش مادياً وفي غير ذلك.
- الاعتماد على الغنائم بشكل جزئي لم يتطور في أي تجربة جهادية للتنظيمات والجماعات الجهادية ليكون مورداً أساسياً.

هذا بشكل عام. فقد اختلفت نسبة الاعتماد على هذه الموارد من تجربة الأخرى. ولكن السمت العام لمعظم التجارب بقي تبرعات المحسنين أساساً.. وكان خلاصة نظرية التمويل وشعارها في تجارب التنظيمات.. هو: (لله يا محسنين.. أعينونا على الجهاد..).

طرق التمويل في تجارب الجهاد في الجبهات المفتوحة:

وذلك في مثل تجارب أفغانستان بشوطيها والجهاد في البوسنة والشيشان وغيرها كالفيليبين وإريتريا وسواها.. ونلاحظ بوضوح أن مصادر تمويل الجهاد في حالة الجبهات أيضاً كان:

تبرعات المحسنين من المسلمين لتلك القضايا التي حشدت الأمة أو معظمها في تأييدها..

تأييد بعض الحكومات والجبهات الدولية المستفيدة من اتجاه الجهاد في تلك الجبهات.

الغنائم من سلاح وعتاد العدو بشكل ليس أساسي لمصدر تمويل.

إلا أن خلاصة قضية التمويل وشعارها كان أيضاً في تجارب التيار الجهادي لما شارك في تلك القضايا كان كذلك باختصار (لله يا محسنين.. أعينونا على الجهاد..)..

ملاحظات سريعة على قضية التمويل في التجارب الماضية:

يمكن اختصار الملاحظات والدروس والعبر في تجاربنا الماضية بالنقاط التالية:

أولا : أن مشكلة التمويل ظلت في كافة التجارب الجهادية مشكلة المشاكل ومعضلة المعضلات. وكانت في كثير من الأحيان

سبباً من الأسباب الرئيسية في انهيار الجهاد أو استيعابه من جهات غير مخلصة وحرفه عن مساره نتيجة سياسة الاختراق وهو ما يسمى (سياسة الإغراق المالي) حيث تبدأ تلك الجبهات بالتمويل المتدرج على الشكل التالي:

أ- تمويل دون قيد أو شرط.

ب- تمويل مع نصائح وتوجيهات غير ملزمة.

ج- تمويل مع اقتراحات ملحقة وتذمر لعدم الأخذ بها.

د- التمويل بشروط الالتزام بإرادة الجهات الممولة بعد تأكدها من أن مصاريف الجهاد والمسؤولين عليه قد وصلت لحال يستحيل فيه على قيادته أن تستمر بدون أموال الممولين الذين يبدؤون بإملاءاتهم عند تحققهم من بلوغ الجهاد تلك المرحلة.

ثانيا : ثبت أنه حتى أفضل الممولين إخلاصاً قل أن يمولوا بدون التدخل والتحكم ومحاولة الإملاءات على قيادات الجهاد تنظيمية كانت أم جبهوية إلا في حالات نادرة جداً.

ثالثا : ثبت أن توسع التنظيمات السرية ودخولها مرحلة المواجهة وتوسع قائمة المصاريف العسكرية والتنظيمية وتبعاتها من أسر الشهداء والمعتقلين ، بالإضافة إلى مصاريف الحركة.. الخ تجعل المصاريف هائلة بشكل تعجز أكبر التنظيمات عن حل هذا المشكل.

رابعا: ثبت أن الجبهات المفتوحة قد مرت بحالتين من حيث موضوع تمويلها:

١- جبهات كان سياق أدائها موافقاً لاتجاه السياسات الدولية الرئيسية الكبرى وخاصة اتجاه السياسات الغربية لأمريكا وحلفائها أو لأمريكا على الأقل.. وقد انعكس ذلك شلالات من الدعم المادي على تلك الجبهات كما كان حال الجهاد الأفغاني الأول كنموذج للتوافق الدولي على الدعم أو على الأقل الإجازة بوصول أموال المحسنين بكميات هائلة إليه. وكما كان حال الجهاد في البوسنة في مراحله الأولى عند ما كان في صالح أمريكا الضغط على أوروبا وعرقلة مشاريعها النازعة للاستقلال عن القرار الأمريكي. وكذلك المراحل الأولى من الجهاد في الشيشان والذي وافق السياسات الأمريكية في حصار روسيا والضغط عليها.

2- جبهات كان سياقها معاكساً للإرادة الدولية ولاسيما الأمريكية كما صار حال الجهاد في أفغانستان أيام طالبان وفي البوسنة بعد (دايتون) وفي الشيشان بعد رضوخ روسيا للسياسات الغربية وتواطؤ الغرب والعالم النصراني بكامله بما فيه روسيا على المواجهة العالمية مع الإسلام خاصة منذ أواسط التسعينات من القرن الماضي. وقد انعكس هذا حصاراً وسداً لمنافذ المال على تلك الجبهات

والعاملين فيها من قياداتها المحلية أو المتطوعين من المجاهدين المسلمين للعمل فيها.

وكذلك كانت مشكلة التمويل الخارجي بالتبرعات وبالاً على الجبهات في الحالتين ففي حال الفتح وتدفق الأموال كان هذا العامل سبباً للسيطرة على قيادات العمل وأطرافه وإملاءات المولين من المحسنين والدول وسيطرتها في النهاية على مجريات تلك القضايا بشكل شبه كامل في الغالب كما كانت سبباً من الأسباب الرئيسية لإجهاض العمل في حالات الإغلاق.

وإذا أردنا أن نذكر بعض الانعكاسات السلبية لمأساة التمويل على التيار الجهادي وتجاربه جماعات وأفراد خلال تلك التجارب نجد من ذلك:

(1) - على عكس ما كان في تاريخ الإسلام منذ عصر الصحابة فما بعده وإلى آخر أيام الخلافة الإسلامية ، حيث كان المجاهدون من الطبقات الغنية في الأمة ، بل بلغ بعضهم أن يكونوا من أغنى الأغنياء مما حصلوه من حصتهم في الغنائم وما حازوه من السلب والجوائز والحوافز كما كان سيدنا الزبير بن العوام ﵁ أحد أغنياء الصحابة ولم يكن له مورداً إلا ما حصله من الغنائم وقصته مشهورة. وكذلك الكثيرون من الصحابة فمن بعدهم حتى كان قيادات الجند وكبار

المحاربين والمجاهدين من الأغنياء والإقطاعيين عندما كانت الغنائم تقسم بالسوية والخلفاء والملوك تعدل في الرعية.

ولكن ظاهرة الجهاد المعاصر جعلت المجاهدين المعاصرين من أفقر طبقات الأمة ، وأشدهم إفلاسا وحاجةً وفاقة. وربطت وضع المجاهد بالتسول والحاجة والتبعية لمن يموله ويساعده على أداء هذه الفريضة، رغم أنهم كانوا طليعة الأمة و زبدتها و أرقي شرائحها ديناً وتضحية وفداءً..!!

(2) - رهنت مصادر التمويل إرادة قيادات التنظيمات أو حتى قيادات الجبهات ومسؤوليها لإرادة الممولين. وقد أدى هذا الكشف كثير من الأسرار عنوةً ودخول الممولين ومن رافقتهم من الاستخبارات في المعسكرات والجبهات و جلسات خاصة القيادات. بل بلغ الأمر في تجارب مثل الجهاد الأفغاني الأول أن تفرض المخابرات السعودية على إدارة العرب مع وجود كبار رموزهم منع الحديث في (الحاكمية) وإلقاء دروسها ونشر فكرها في المعسكرات الرئيسية العرب!! وفي البوسنة فرضت المخابرات السعودية على معسكرات العرب منع تدريس (حروب العصابات) ودروس المتفجرات ، خشية أن يعود بها المجاهدون لبلادهم.. هذا من قبل الممولين المحسنين القادمين بجلباب الإسلامية ولحى الإخوة.

ناهيك عما حصل من بلاء الدول الداعمة . كما حصل للجهاد في سوريا من سيطرة الحكومة العراقية وفرضها للراية العلمانية على الجهاد في النهاية وإلزام الإخوان المسلمين بالتحالف مع أحزاب المرتدين بل مع جزء من النظام النصيري المعادي!! وليس هنا محل ذكر مزيد من الشواهد ولكنه بحث مؤلم مرير كثير الشواهد..

(3) - بلغ الأمر من المرارة أن تفرض حتى بعض التنظيمات الجهادية الكبيرة المتمولة إرادتها على التنظيمات الصغيرة وتلزمها سياساتها ورغباتها ووجهات نظرها ، بل وتفرض عليها النشاط والتوقف بفعل المساعدات (الأخوية!) التي قدمتها لها (في سبيل الله) ! حيث كانت الجهات الممولة ترى مصلحة الإسلام والمسلمين في ما تراه من سياسات وأساليب عمل..

فلما أدرك العدو ما لمسألة تمويل الجهاد من أهمية وأثر . اتخذ من شعار تجفيف المنابع خطة متكاملة للحصار والتجويع وشل المجاهدين عن الحركة. حيث أجبرت أمريكا كل الدول على رفع تقارير عن جهودها في مراقبة حركة الأموال ، وتجميد حسابات من تتهمهم بالإرهاب ، ووصل الأمر إلى حد سلب أموال مؤسسات خيرية وإلغائها ، ونال البلاء المجاهدين وكل قريب منهم باي شكل من الأشكال ولو لمجرد تهمة أمريكا وعملائها لهم بذلك.

وهكذا وباختصار أقول..

لقد حفلت تجاربنا الماضية بمآسي كثيرة مما يجعل من أهم الأمور التي يجب أن نبحث فيها عن تصور لتمويل سرايا الجهاد المقاومة للمقاومة في المرحلة المقبلة هي موضوع مصادر تمويل الجهاد..

وقبل أن ننتقل لوضع تصورنا في ذلك نذكر بعض الأفكار التي تضيء لنا تصورات البحث عن الحلول.. والله المستعان..

- لو نظرنا في نظرية التمويل في الإسلام بكافة مراحله منذ أُذن بالجهاد ثم فرض وعلى مختلف مراحل الدولة الإسلامية منذ دولة المدينة في عهده ﷺ وإلى دولة الخلفاء الراشدين فمن بعدهم من دول الإسلام ومراحله ولاسيما في العهد والذهبية الزاهرة. لوجدنا أنها تقوم أساساً على موارد الجهاد من الغنيمة والفيء من الجهاد المباشر.. أو على ما ينتج من الموارد عن الجهاد مثل الجزية والخراج والعشور.. الخ حيث لا تشكل الزكاة والصدقات إلا مورداً فرعياً لسد حاجات بعض فقراء المسلمين محليا . أما المصاريف الأساسية للجهاد وحتى للدولة الإسلامية فقد كانت من موارد الجهاد وأنفاله وما أدخله في أملاك المسلمين.
- لو نظرنا في غزوات رسول الله ﷺ وسراياه لوجدنا قسماً كبيراً منها قد رصد لتحصيل الموارد.. ويكفي أن درة تلك الغزوات وطليعتها (بدر) بدر الكبرى الموقعة التي أسماها تبارك وتعالى (يوم الفرقان) كانت أساساً لترصد عن قريش ليستعيد المؤمنون عوضاً عما كان قد سلبه

الكفار منهم.. فقد كان البعد الاقتصادي بعداً هاماً جداً من أبعاد الجهاد. وهي ميزة من الميزات التي خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمس أعطيت له لم تعط لنبي من قبله منها أن أحلت له الغنائم وصارت حلالاً وسنة لأتباعه من بعده..

فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: (**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم**).رواه أحمد.

فرزقه ورزق أمته من بعد في ظل رمحه ﷺ وظل رماحهم من بعده. رغم أنف المهزومين من أصحاب فلسفات الضلال على دروب الوسطية المزعومة. وإذا أدهشهم ذلك فلينظروا لأمريكا التي جعلت اقتصادها وسياستها تحت ظل رمحها بعد أن صار المسلمون غثاءا كغثاء السيل !

وفي الحديث الآخر عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها ، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: (**كذبوا الآن جاء القتال ، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى**

تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) (رواه الطبراني).

وفي الحديث الآخر.. عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أدخل الله عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم**) (رواه أحمد)

والشواهد كثيرة في الحق على الغزو والغنائم..

وقد انطلق صحابة رسول الله ﷺ بهذه المعاني ، فلما فتحوا البلاد ورأوا الأراضي وخصوبتها في الشام والعراق في عهد عمر.. هموا في الزراعة.. وزرعوا سهول فلسطين.. فلما علم عمر بخبرهم أرسل من حرق لهم المحصول وأرسل لهم يعلمهم أنهم بعثوا جنوداً ومجاهدين ولم يبعثوا زراعاً..

وهكذا فاض المال وتدفق على المجاهدين والأمة من بعدهم خيراً ومددا وكان أساس ذلك الجهاد وما دره من أموال غنائم وفيء مباشر.. وأموال جزية وخراج أراضي.. الخ.. وهكذا كانت دورة الموارد والمصارف عبارة عن حلقات يصب بها الخير من موارد الجهاد من مصادر شيء..

ليملأ بيت المال وليصدر عنه بعد ذلك نحو المصارف من جديد. لتكتمل الدورة المالية للاقتصاد الإسلامي. أما لو نظرنا في دورة الموارد والمصارف في قضايا الجهاد اليوم وتنظيماته وجماعه لوجدناها ببساطة على عكس نظرية التمويل التاريخية.

فخزانة تمويل التنظيمات المرهقة بالمصارف يجب أن تغطي مصاريف القتال ، والتدريب ، وأسر الشهداء والمعتقلين ، وحركة المجاهدين ، والإعلام ... إلخ وهذا محال ، ولذلك وقع الخلل وصرنا للحال الذي أشرت لبعض مآسيه. ولذلك فإن:

- **طريقة التمويل في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية :**

(1) - مساهمات الأعضاء المجاهدين حال القدرة لتأسيس السرية.

(2) - المساعدات غير المشروطة من قبل المجاهدين بأموالهم من الموثوقين المعروفين لإدارة السرية المجاهدة .

(3) - الغنائم والفيء من أموال الكفار والمرتدين بحيث يأخذ المجاهدون نصيبهم ويضعون ما عليهم من نسبة بيت المال في بيت مال السرية بحسب ما يتفق عليه بالشكل الذي نفصله فيما يلي.

أولاً: الأموال التي يحل غنيمتها اليوم للمجاهدين في سبيل الله:

ذكرنا بعض التفصيل في فقرة أحكام شرعية جهادية في الباب الثالث الذي تكلم عن التربية المتكاملة للمجاهد ولذلك نشير هنا إلى ذلك إشارة دون تفصيل ونقول:

ترتكز هذه الأحكام على الحقيقة الشرعية القائمة في بلاد المسلمين والتي تمت الإشارة إليها في الفصل الثاني (الحكم الشرعي في واقع المسلمين) وهي أن الحكومات القائمة في بلاد العرب والمسلمين اليوم حكومات غير شرعية وساقطة ، لردة الحكام بسبب ولائهم للكافرين وبسبب حكمهم بغير ما أنزل الله وتشريعهم من الله ولأسباب فرعية أخرى مما يزيد هذه الحقيقة تأكيداً. وعليه فإنه يتقرر:

أ – حل أموال الحكومات المرتدة وأملاكها العامة ، وأملاك كبار مجرميها الحاكمين.

ب – حل أموال كافة الكفار الأجانب في بلاد المسلمين لسقوط أمانهم بسقوط شرعية الحكومات القائمة التي ليس لها حق إعطاء الأمان والذمة وإبرام العهود والمعاهدات مع الكفار.

ج – حل أموال كافة غير المسلمين المقيمين في بلاد المسلمين لنفس السبب السابق.

ج – حل أموال المرتدين من المجاهرين بتعاونهم مع قوات الاحتلال ونصرتهم على المسلمين.

د – حل أموال الكفار في البلاد المحاربة للمسلمين لقيام حالة الحرب بيننا وبينهم . وعدم وجود معاهدات بينهم وبين كيانات وإمارات إسلامية شرعية تلزم رعاياها من المسلمين بعهود بينها وبين أولئك الكافرين.

هذا بشكل عام. ويعاد لمزيد من التفصيلات الشرعية في الفصل الخاص بذلك مما سبق ، ولتفصيلات المصالح السياسية في تجنب ضرب بعض الأهداف لمصالح سياسية. وأذكر بالتنبيهات الهامة التالية:

1- الحرمة القطعية لأموال المسلمين ودمائهم حيث كانوا في بلاد المسلمين أو في بلاد الكافرين مهما تلبسوا به من الفسوق والمعاصي والنقائص. حتى ولو طرأ الشك على أصل إيمانهم فالشك لا يذهب اليقين. واليقين هنا هو شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّد رسول الله. فيجب الحذر من الوقوع في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فهي حرام و مقدسة.

2- من كان بينه وبين أحد من الكفار عقد أو عهد يقتضي الأمان فلا يحل له أن ينقض عهده أو يخفر ذمته وأمانه سواءً كان في بلاد المسلمين أو بلاد الكافرين قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾(المائدة:1) وقال : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾ (الإسراء: 34)..

3- أمان أمراء الجهاد وأمراء المسلمين إذ وجدوا في دائرة سلطاهم يجب احترامه وكذلك يجب على أتباعهم الوفاء بما أعطا أمراؤهم من الذمة والأمان للكفار.

4- **أُذكر هنا بالحكم الشرعي لتلك الأموال والدماء للكافرين والمرتدين من حيث حلها بشروطها. وأما تطبيق هذه الأحكام وممارسة أعمال الغنيمة منهم. فيجب أن يخضع بعد ذلك لدراسة المصالح والمفاسد السياسية بالهجوم على هدف بعينه في مكان بعينه في وقت بعينه فإن تحقق ترتب مفسدة ظاهرة على ذلك للإسلام والمسلمين حرم ذلك ليس لأصل الحرمة وإنما للفساد المترتب على ذلك.** وعلى من يجهل تقدير هذه الأمور أن لا يتخوض بغير علم بل يسأل من يثق به من أهل الذكر وهم العارفون بأمور الأحكام الشرعية والسياسة الشرعية من الثقاة في دينهم وفهمهم جهادهم.

- **مصادر غنائم وفيء سرايا المقاومة وطريقة قسمها بين المجاهدين :**

ونعود لسياق البحث لنقول بأن مصدر التمويل الأساسي لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية يجب أن يكون بعد انطلاق العمل بمال المجاهدين الخاص ، أو ما يصلهم من تبرعات غير مشروطة من محسنين أوفياء. هو من الغنيمة والفيء من أموال :

1- أموال الكفار المحاربين في بلادهم أو في بلادنا.

2- أموال الحكومات المرتدة المتعاونة مع الإحتلال مع الانتباه لحفظ دماء المسلمين العاملين في تلك المصالح المختلفة.

2- أعيان من ثبتت ردتهم بولائهم للكفار ومظاهرتهم على المسلمين فأموالهم حلال كدمائهم لردتهم.

- **توزيع أموال الغنائم والفيء في سرايا المقاومة الإسلامية العالمية:**

سألت شيخنا عبد القادر عن ذلك أيام الجهاد الأفغاني وكيف تقسم الغنيمة بين سرية من المجاهدين غنموها فقال التالي:

أ- القاعدة الأساسية: في قسمة الغنائم هو ما قرره القرآن (فأن لله خمسه) : وهو 20 % من المال المغنوم يوضع في بيت مال المسلمين. و(80 %) من المال المغنوم يقسم على المجموعة المجاهدة التي غنمته.

ب- الاتفاق بين أعضاء السرية المجاهدة هذه قبل الغنيمة على طريقة قسمها وما اتفقوا عليه أنفذوه بالعدل على أن لا يقل القسم المصروف في مصالح الجهاد والمسلمين عن الخمس وهو 20 % وإن رأوا زيادة ذلك بالرضا قبل العمل زادوه بالاتفاق لحاجة تنظيمهم أو سريتهم لمصاريف الجهاد ..

ج - إذا كانت السرية تعمل بقوة تنظيم أو مجموعة سرايا أخرى توفر الخدمات العامة من الذخيرة والسلاح والاستطلاع والدعاية واللوازم

الأخرى. يسهم لكافة أعضاء التنظيم بنصيب يتفق عليه بحسب التراضي بين قيادة ذلك التنظيم وقواعده.

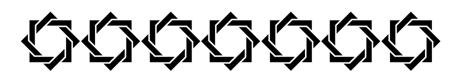
وعليه فإن الطريقة المقررة لدينا في قسمة ما تحصله السرايا المقاومة من غنائم من العدو هو على الشكل التالي:

1- تقوم السرية بتخصيص بيت مال خاص بها تضع فيه مساهمات أعضائها أو ما تحصله من دعم غير مشروط لأعمالها الجهادية من معارفها المقربين الموثوقين كما تضع فيه نسبة الخمس على الأقل من أي غنيمة تغنمها أي 20 % من الغنيمة أو قيمتها المالية.

2- يتفق أعضاء السرية على الأسس المالية فيما بينهم إذا أرادوا رفع حصة بيت مالهم للمساهمة في زيادة قدرتهم التسليحية مثلاً أو الإنفاق في وجوه الجهاد أو معاونة سرايا أخرى أو معاونة أسر بعض من يعرفون من الذين فقدوا عائلهم في الجهاد في سبيل الله أو ما رأوا من مصارف المسلمين.

3- يتفق أعضاء السرية على الأسس التي يقسمون بها حصة لباقي أعضاء السرية الذين لم يشاركوا في عمليه من عمليات الغنائم مباشرة.. باعتبارهم داعمين للسرية وبهذا يتكاملون فيما بينهم فمثلاً : يمكن أن يتفقوا على ثلاثة أسهم لكل رجل من المنفذين وسهم لكل عضو من السرية لم يحضر التنفيذ بعد إخراج الخمس أو ما اتفقوا عليه

فيمـا بيـنهم ومـا اتفقـوا عليـه لـزمهم إنقـاذه بالعـدل والإحسـان. والله الموفق.



الفصل الثامن
الباب الثامن
نظرية الإعلام والتحريض في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (لأنفال:65) . وقال تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84) .

وقد أخذ التحريض على الجهاد والقتال والتحبيب فيه وذكر فضله والوعيد من تركه مساحة كبيرة من آيات القرآن الكريم منذ نزلت آية الإذن بالقتال في السنة الثانية للهجرة وقال الله تعالى:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 39-40) .

وكما حفلت آيات القرآن الكريم بالتحريض على القتال وحض المسلمين عليه فكذلك جاءت الكثير من النصوص النبوية والسنة الفعلية والتقريرية منه ﷺ تحض على الجهاد وتفصل في فضله وأجره ، وما أعد الله للمجاهدين والشهداء ، وتستنفر المؤمنين للقتال ، وتثير فيهم الحمية لدينه والبغض لأعدائه ، والرغبة في الثواب عنده. وتعدهم النصر والظفر والتمكين.

ويكفي أن رسول الله ﷺ قد خرج بنفسه للجهاد مرات كثيرة . وأرسل أحب الناس إليه على رايات الغزوات ولقيادة السرايا. وجهز الغزاة ورعى شؤونهم. وقضى حياته يعد ويجاهدوا ويقاتل ويحرض المؤمنين كما أمره ربه تبارك وتعالى. فجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين صلوات الله وسلامه عليه. وبقى كذلك حتى لحظاته الأخيرة.. فكان هم الغزو والجهاد همه وهو على فراش الموت ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة الزكية الطاهرة. يحض على إنفاذ جيش أسامة لقتال الروم.. ويوصيهم أخرجوا المشركين من جزيرة العرب..

والتحريض صنو الجهاد والباعث عليه. ومهمة الخلفاء والأمراء والعلماء والدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف من كل شرائح وطبقات الأمة. هذا إذا كان طلباً للعدو في ديارهم وإعلاءً لكلمة الله ونشراً

لدينه وراياته وتحكيماً لشريعته في الأرض. وإما إذا صار الجهاد دفعاً عن الدين والنفس والعرض والأرض والمقدسات كما هو شأنه اليوم ، وكما كان في أزمنة النوازل الكبرى.. فهو من أهم الفرائض على كل مسلم عامة ، وعلى أهل العلم والدعاة إلى الله. بل حتى الذين عذرهم الله عن القتال لعجزهم عنه لمرضهم وعللهم المانعة لهم من الجهاد، اشترط عليهم قبول عذرهم بأن يحركوا ألسنتهم بالدعوة إلى الله والتحريض على نصرة دينه فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة:91) .

وكما قلت فإن كتاب الله تعالى وسنة نبيه وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه الراشدين من بعده وصالح الملوك والسلاطين والأمراء من بعدهم على مر تاريخ الإسلام ، حافلة بالقصص والنماذج والسير والعبر. وتشكل كنوزاً من الآثار في فنون التحريض وأساليبه ودروسه وعبره وتجاربه. وهي من أهم التراث العظيم الذي يجب أن نعود إليه وتغترف منه ونقوم بفريضة التحريض اليوم في أمة ران عليها الكسل وغلب على خاصتها وعامتها القعود. ودب في غالبتها العظمى الوهن من حب الدنيا وكراهية الموت. حتى عدت عليها الأمم وتداعت تماماً كما أخبر رسول الله ﷺ تداعي الأكلة إلى قصعتها تتناهبها تناهب الذئاب الضواري وتنهشها نهش الكلاب

العوادي ، بعد أن فرَّ حراسها. وسكت عن الحق والدعوة للجهاد والدفع علماؤها ، وتاه عامتها في بحور العجز والضياع ..

ونعود في استخلاص نظريات عملنا وحركتنا من خلال تقييم دروسنا وتجاربنا الماضية ، عبر مسار الدعوة والتيار الجهادي في صحوتنا المعاصرة. إذ يمكن دراسة تجارب التحريض تلك من خلال مجالاتها ومقوماتها الإعلامية الأربعة بحيث ندرسها على مستوى:

1- **جهة الخطاب**: وهي الجهة التي اتجه إليها خطاب المحرض من المسلمين.

2- **فحوى الخطاب**: وهي الرسالة الإعلامية التحريضية والدعوة التي وجهها الداعي للجهاد.

3- **أسلوب الخطاب**: وهو لهجة وبناؤه وطريقة تقديمه لدعوته.

4- **طريقة إيصال الخطاب**: وهي الوسائل التي اتبعها الداعي للجهاد لإيصال رسالته للناس لدعوتهم للجهاد.

فإذا ما جئنا لنعقد مقارنه كي نستخلص طريقتنا ونظرية عملنا في الإعلام والتحريض من خلال التجارب السالفة ومعطيات الواقع وتغيراته سلباً وإيجاباً نجد ذلك كما يلي:

- **أولاً: طريقة التحريض في التجارب التاريخية القديمة:**

- **جهة الخطاب**: كان الدعاة إلى الجهاد عبر تاريخنا كله يوجهون الخطاب بالجهاد إلى عموم الأمة بكافة شرائحها وطبقاتها، حكامها ومحكوميها ، فقرائها وأغنيائها ، أقويائها وضعفائها ، من كل جنس ولون وعنصر من عناصر هذه الأمة المحمدية.

- **فحوى الخطاب** : كان عموم فحوى الخطاب هو تحريض الأمة على جهاد الطلب أيام كان حال الأمة ما كان من العز والسؤدد ، بتذكيرهم بالأجر والثواب عند الله لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات لإلى النور ، وما يترتب على الظفر من الغزو من اتساعه دولة الإسلام وما يفيض على الأمة من خيرات الجهاد وغنائمه وفتوحه .

وإذا كان دفعاً كما في أيام النوازل وغارات العدو، كان الخطاب ينصب على إثارة بواعث الغيرة والحميه للدين والعرض والأرض ، والدفع عن أنفس المسلمين وأموالهم. والتذكير بالوعيد المترتب على ترك الجهاد من العقاب عند الله ، ومن الذلة والصغار وتحكم الأعداء وقتل الأنفس وانتهاك الأعراض وسبي الذرية وخراب الديار.

- **أسلوب الخطاب**: كان أسلوب الدعوة إلى الجهاد يعتمد على إثارة مكامن الغيرة لدين الله ويستنفر مكامن الطمع في جند الله وعفو

ورضوانه ومكامن النخوة والرجولة في نفوس الأمة وكان يعتمد على كل آفاق الوعد والوعيد وكان وسيلته الشعر والنثر والخطابة.

- **طريقة إيصال الخطاب:** كانت المساجد أساساً هي المحرك الأساسي للأمة حيث كانت محل دروس العلماء وخطابات الخطباء.. ومنها تصدر الأخبار والمناشير والفرمانات عن السلاطين والخلفاء والأمراء. وكذلك منها تخرج الفتاوى بالجهاد بحسبها كفاية أو عنياً بحسب الأحوال.

وكان للأدباء والشعراء والخطباء دور كبير ومكانة مرموقة في مجتمعات المسلمين. وكانوا ولاسيما في النوازل الكبرى يهيجون الأمة على الدفع والبذل والعطاء حيث كانت تنتشر تلك الخطب والأشعار والفتاوى لتسير بها الركبان وتبلغ المشارق والمغارب.

- **ثانياً: التحريض والإعلام في تجارب التيار الجهادي وتنظيماته السرية المعاصرة :**

وتناول ذلك أيضاً من خلال أركان الإعلام والتحريض الأربعة:

- **جهة الخطاب:** إذا ما نظرنا إلى غالبية نشرات وأدبيات التيار الجهادي ومحتواها ولهجتها والأوساط التي استهدفتها ، سنجد أن الخطاب في معظمه كان موجهاً إلى النخبة من شباب الصحوة الإسلامية بالدرجة الأولى وربما بشكل شبه حصري.

- **فحوى الخطاب:** ركز الخطاب الجهادي على موضوع الحاكمية بالدرجة الأولى ، وأخذت فكرة كفر الحاكم ومفاصلته وطائفته ، وقضية الخروج والثورة عليه ، والأدلة الفقهية على ذلك القسم الأعظم من فحوى الخطاب ورسالة الجهاديين الإعلامية.

ومنذ الجهاد الأفغاني الأول أواخر الثمانينات ، وعلى مر العقد الأخير في التسعينات أضيف إلى موضوع الحاكمية الموضوع العقدي وفق الأسس السلفية وطروحاتها العقدية ، التي طبعتها اللهجة النخبوية والصيغة العلمية المعقدة ، وهكذا يمكن القول بأن الفحوى.. فحوى رسالة الإعلام والتحريض لدى الجهاديين كان أحادي الطرح **(عقائد – حاكمية)** وذا طابع معقد و نخبوي ، ولم يكن ذا بعد شعبي يمكن القول بأنه موجه لجماهير جماهير المسلمين عامة. وقد غاب عن بشكل شبه كامل أبعاد مفاتيح الطرح الأخرى كالجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، وأبعاد معاناة المسلمين اليومية. لقد كان خطاباً أحادياً منغلقاً على نفسه.

- **أسلوب الخطاب:** تميز خطاب الجهاديين الإعلامي التحريضي إجمالاً النخبوية والفوقية. بل وبكثير من الشدة والجفاف وغلبة الوعيد وغياب آفاق العاطفة والرقائق واستمالة الجماهير من مفاتيحها النفسية. وكان الأسلوب صورة للفحوى أحادية الطابع والطرح نخبوياً في أسلوبه كما فحواه بالإجمال.

- **طريقة إيصال الخطاب:** اعتمد التيار الجهادي في إيصال خطابه على أسلوب المنشور والنشرة السرية .. وفي أحيان قليلة جداً الكاسيت الصوتي وقد تميز المجهود في إيصال المنشور بأنه قليل جداً قياساً إلى حجم الأداء العسكري وطول المدة التي عمل بها..

ففي مرحلة العمل السري وقبل المواجهة لم يكن هناك مجهود لإيصال أي خطاب للجماهير بما يتناسب مع حالة السرية ! ومع اشتعال المواجهة أدت الأوضاع الأمنية إلى صعوبة وصول ذلك الخطاب ! وبعد خروج التنظيمات إلى المهجر.. صار الخطاب بعيداً .ولم يصل إلى الوطن الأم المعني بالثورة ! بل صارت نشرات الجهاديين عبارة عن نشرات مهاجرة تمثل خطاباً ذاتياً يكتبها ثلة من الإعلاميين ويوزعونها في أوساط الجهاديين أنفسهم ليعيدوا قراءة ذات أفكارهم التي آمنوا بها ولم يستطيعوا إيصالها عملياً للناس!!

وبالإجمال يمكن القول أن البعد الإعلامي والتحريضي لجماعات التيار الجهادي كان أحد أبرز أوجه الفشل في الأداء.. ولم يسجل أي نجاح . اللهم إلا بعد انفراط عقد الجمع العربي في الجهاد الأفغاني وانتشار الجهاديين في المهاجر والملاذات.. حيث حصل نوع من انتشار الفكر والأدبيات الجهادية في أوساط الصحوة ذاتها واتسعت آفاق المد الجهادي داخل الصحوة ولكن الخطاب بقي بعيداً عن مختلف شرائح الأمة كماً وكيفاً ونوعاً..

- **ثالثاً: التحريض والإعلام في التجارب الجهادية في الجبهات المفتوحة:**

ولنأخذ مثالاً على ذلك أهم التجارب وهي الجهاد الأفغاني ضد الروس والجهاد مع المسلمين في البوسنة ضد حملات إبادة الصرب الصليبية ، ثم تجربة الجهاد في الشيشان ثم أخيراً الجهاد العربي إلى جانب طالبان.. وهي أبرز القضايا التي أخذت بعداً أمميا على مستوى أمة الإسلام في قضايا مواجهات جهادية فنجد أن المناحي الأربعة للإعلام والتحريض في تلك القضايا كانت كما يلي:

- **جهة الخطاب:** توجه الخطاب الإعلامي في كل تلك القضايا الجهادية إلى عموم الأمة بكل شرائحها كما هو الأصل.

- **فحوى الخطاب:** ركز الخطاب على مسألة بسيطة مفهومة (شعبياً) وحقيقة دينية راسخة من عقائد عموم المسلمين وهي دفع الصائل الغازي الأجنبي العادي على المسلمين وأن الجهاد معهم ونصرتهم بالنفس والمال فرض عين على المسلمين.

- **أسلوب الخطاب:** كان الأسلوب عاطفياً سلساً.. تحريضاً جمع الوعد إلى الوعيد.. ورجح اتجاه الوعد بالثواب والأجر على الجهاد وعلى ما أعد الله للمجاهدين والمرابطين والشهداء..

- **طريقة إيصال الخطاب:** اعتمد الخطاب في بدايته أواخر الثمانينات على المجلات والنشرات والكاسيت والفيديو.

وقد أسس الشيخ **عبد الله عزام** رحمه الله مدرسة إعلامية رائعة في ذلك تستأهل الدراسة والتأمل والاستفادة منها والتطوير والبناء عليها..

ثم أضافت المدرسة الإعلامية للجهاد في البوسنة بعداً مهماً باستخدام الفيديو والكاسيت. وسدت ثغرة هائلة. ثم دخل الجهاد العربي في الشيشان على الخط ليطور تكتيكات الإنترنت فأوصل التجربة إلى آخر مداها ونجاحها. وعملوا على نشر الفيديو أيضاً وسجلوا حضوراً عظيماً.. وبالاختصار..

لقد كان النجاح الإعلامي في جهاد الجبهات عظيماً ولا أدل ذلك ولا أبلغ من الوقفة الهائلة التي وقفت فيها الأمة مع تلك القضايا وانعكست في جودها بحر أموالها بمئات الملايين من الفقراء والأغنياء والرجال والنساء.. وبطيران فلذات أكبادها بالآلاف بل بعشرات الآلاف إلى ساحات الشرف والنصر والشهادة.

ومن خلال دراسة هذه التجارب والدروس نخرج بالخلاصة والعبر التي تساعدنا بإذن الله وتوفيقه على وضع أسس نظرية الإعلام والتحريض لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية. ودعوتها الجامعة المتكاملة بإذن الله. وأهم هذه الدروس والعبر المستفادة من تجاربنا السالفة في هذا المجال الحيوي الهام:

(1) – يقــول الله ســبحانه وتعــالى ﴿**وحــرض المــؤمنين**﴾.. أي كــل المؤمنين. ولفظا (**المؤمنين**) و (**المسلمين**) كما هو معلوم إذا انفردا دل اللفظ على أهل ملة الإسلام أهل لا إله إلا الله . وإذا اجتمعتا عم لفظ (المسلمين) أهل الإسلام ، وخص لفظ المؤمنين الصفوة المؤمنة منهم كما قال تعالى :

﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾ .

وموضع الشاهد هنا. أن الأمر لرسول الله ﷺ بتحريض الأمة في الآية التي كانت أساس دعوتنا ومستندها ومنطلق نظرياتها وشعارها وهي قوله تعالى:

﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين** ﴾..

هي أمر لكل فرد وتكليف شخصي بالقتال، سواء قاتل الناس أم قعدوا.. وأمر للمجاهد عامة ولأهل العلم والدعوة وأصحاب الخطابة والقلم والكلمة ، أن يحرضوا المؤمنين ، أي كل المسلمين. فالدرس الأول هو الإتجاه للأمة ، كل الأمة ، بدعوة المقاومة. وليس فقط لخاصتها من أهل الصحوة أو أهل التدين. فالجهاد فريضة على الجميع وعلينا أن نحرض الجميع ونقاتل معهم برهم وفاجرهم ، قويهم وضعيفهم ، ولاسيما وأن دعوة المقاومة هي دعوة دفع صائل عامة براية الإسلام العامة.

(2) - أن أنجح شعارات الحشد والجمع على الجهاد كانت شعارات الجهاد ضد الصائل الخارجي. وهو حالنا اليوم . وهو هدف دعوة المقاومة. فعلى رسالتنا التحريضية و دعوتنا أن تتخذ من ذلك أساس الدعوة.. دفع الصائل والفريضة العينية في ذلك.

(3) - أن أمة الإسلام اليوم تتعرض لهجوم الصائل عليها في كافة مناحي وجودها ،فهو يستهدفها في دينها بالإزالة والطمس والتبديل ، وفي أنفسها بالقتل وبالإبادة ، وفي أعراض بالأذى وانتهاك الكرامة ، وفي أموالها وثرواتها بالنهب .. الخ، ولذلك فإن مفتاح الجهاد وبرنامج التحريض وشعاراته يجب أن يكون شاملاً لكل ذلك ، ويجب أن يأخذ مفتاح الطرح والجهاد ثلاث أبعاد عامة ويشتمل برنامج الإعلام على تفاصيلها:

أبعاد الرسالة الإعلامية لدعوة المقاومة إسلامية العالمية :

أولا: البعد الديني: الدفاع عن (العقائد – المقدسات – أركان الدين وأسسه).

ثانيا: البعد الاقتصادي: الدفاع عن (الثروات – الأرض – مقومات الوجود).

ثالثا: البعد السياسي: الدفاع عن (الكيان الحضاري مقومات الوجود)

رابعا : البعد العاطفي: الدفاع عن الكرامة والأعراض والقيم والمثل

والأعراف والتقاليد العالية الموروثة، كالغيرة والرجولة ، وحماية العرض والشرف ...

(4) – استعمال الأسلوب الشعبي العاطفي السهل ، كان أساس دعوة عوام الأمة وليس المطولات الفقهية والمسائل العقدية وتفاصيلها.. فإثارة الغيرة على الدين والمقدسات.. والنخوة على العرض والدم والمال.. ومكامن الرجولة في المسلمين والثأر للدين والأعراض والأنفس والأموال.. إثارة العواطف في مآثر الجهاد وقصص البطولات ومآثر الأبطال والشهداء قديماً وحديثاً.. إثارة الشجون والأشواق للجنة ومنازل الشهداء وما أعده الله لهم – اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا رب وكرمك وفضلك – و التخويف من القعود وعواقبه في الدنيا والآخرة ..

(5) - اعتماد الطرق المتنوعة في أسلوب إيصال الخطاب لأن يكون شعبيا .. وفي هذا الزمان فإن المحوران الرئيسيان في التماس مع الجمهور هما.. الإنترنت والفضائيات.. ثم ما يمكن نشره من الأفلام والتسجيلات والمؤلفات عبر أقراص الكومبيوتر. هذه الأساليب الشعبية التي تطال النخبة وعامة الناس ، قامت بها فعلاً حجة الله على من يريد البلاغ من خلقه. ففي الوقت الذي كان تكاليف طباعة كتاب ونشره على نطاق واسع تفوق إمكانيات أكثر

التنظيمات . ناهيك عن صعوبة نشر الفكر الجهادي بل استحالته.. دخلت الفضائيات والإنترنت والكومبيوتر كل البيوت.. أغنياء وفقراء على حد سواء.. وصار الأمر لا يحتاج بعد توفيق الله أكثر من العزيمة والصدق والنية والإخلاص في الصدع بالحق والقيام بواجهة وشيء من الحركية وسعة الأفق.

(6) – عدم إغفال دور المساجد ومؤتمراتها الأسبوعية.. خطب الجمعة، هذا المفتاح العظيم الذي أعطاه الله لورثة الأنبياء.. فأضاعه أكثر علماء ودعاة هذه الأمة رهباً ورغباً للسلاطين.

المساجد ، بُعد إعلامي تحريضي غائب يجب إعادته..

(7) – الابتكار والتنوع في الأساليب والمضامين والتجديد والحضور في الأمة وخطابها بمستجدات القضايا ومتابعة الرسالة الإعلامية معها..وعليه فإن :

خلاصة نظرية الإعلام والتحريض لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية :

أولا :جهة الخطاب: خطاب المقاومة متجه للأمة . كل الأمة بكل شرائحها. عالمها و جاهلها ، عربيها وعجميها ، عاملها و قاعدها ، ذكرها وأنثاها ، فقيرها وغنيها .. الكل مقصود بدعوة المقاومة كما قال تعالى: ﴿ **وحرض المؤمنين** ﴾ كل المؤمنين أي كل المسلمين.

ثانيا : فحوى الخطاب: هو دفع الصائل وأنه فرض عين على كل

مسلم ومسلمة وتفاصيل الفحوى بحسب كل شريحة ، فهناك الخطاب العام الموجه للعموم ، وهناك الخطابات الخاصة لكل فئة بما يناسبها.

ثالثا :أسلوب الخطاب: خطاب الناس على قدر عقولهم ، على قدر أفهامهم وعلمهم وثقافتهم ولغتهم ونوعها.. فالخطاب العام الموجة لعموم الأمة.. أسلوبه التأليف والرحمة وجمع المفرق ونفي أسباب الفتن والتفرق. من أجل الاجتماع على دفع الصائل. وأسلوب ذلك الخطاب الجاد والعاطفي والقائم على بالكتاب والسنة. وأما الخطاب الخاص فأسلوبه ما يناسب حال أهله من الثقافة والجنس والحال الخاص بهم.

رابعا : وسائل إيصال الخطاب: كما أسلفنا استخدام الوسائل الشعبية والعصرية في آن واحد وعلى رأسها: الفضائيات وشبكات الاتصال والكومبيوتر. وإيصال رسالتنا بالوسائل المقروءة والمسموعة ، والمصورة لإيصال رسالة المقاومة إلى كافة طبقات وشرائح الأمة.

**ونأتي لشيء من الشرح والتفصيل لإيضاح ما أوجزنا في أسس نظريتنا في الإعلام والتحريض:

- **جهة الخطاب العامة والجهات الخاصة وفحوى خطابها وأسلوبه ووسيلته:**

جهة الخطاب العامة هي الأمة والشرائح العريضة منها بصرف النظر عن أي عامل يخصصها.. وخطابها يكون بصفة الإسلام فقط، بصرف النظر عن الجنس ، أو المستوى العلمي الشرعي ، أو الوعي الثقافي.. خطابها خطاباً عاماً.

أما جهات الخطاب الخاصة. فهو بسبب تميز شريحة بعامل رئيس يجمعها. بحيث يكون خطابها آخذين بعين الاعتبار هذه الخاصية الجامعة لها.. ويمكن أن يكون هذا من قبيل ما يلي كأمثلة لا للحصر..

* **الجنس والقوم** : وعند ذلك يؤخذ بعين الإعتبار فهم حالهم وتاريخهم و واقعهم وخطابهم بلغتهم وتذكيرهم بمآثرهم ، والعزف على وتر تفاعلاتهم العاطفية مع الإسلام وقضية دفع الصائل من خلال خصوصيتهم.

* **مستوى العلم الشرعي** : فخطاب العلماء غير خطاب الجهلاء، وخطاب الدعاة غير خطاب قواعد الدعوة.. فهنا يبرز دور الدليل الشرعي وتفاصيله ، وحتى داخل هذه الشريحة ، هناك مستويات وأنواع فخطاب العلماء يختلف عن خطاب الدعاة الحركيين.

* **المستوى الثقافي** : خطاب المثقف غير خطاب العامي والجاهل والأمي ، ولكل مفتاحه ومداخله. فالمثقفون. يخاطبون بالمنطق

والإحصائيات و الأرقام والدلائل السياسية والواقعية. وهم أيضاً أنواع وشرائح ومستويات يخاطب كل بحسبها. والعامة تخاطب بالعاطفة وبواعث الحمية.

* **الانتماء الفكري والسياسي:** حيث يختلف خطاب المسلم الملتزم أو ابن الصحوة ،عن خطاب صاحب الهوية الفكرية السياسية الأخرى من العلمانيين أو الوطنيين أو القوميين. ولكل مداخله التي يجب البحث عن القواسم المشتركة بين المخاطب وبين دعوة المقاومة بجمع الشرفاء على راية المقاومة وفروعها. وتألف الآخرين من دون الإخلال بثوابت الدين والهوية. والحكمة أساس ذلك ومن يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً.

وهكذا .. فخطاب أهل السنة يختلف عن خطاب الفرق العقدية من أهل القبلة ، وحتى داخل أهل السنة يأخذ بين الاعتبار المدرسة العقدية والمذهب الفقهي لكل فريق وقوم، وهكذا تتعدد التصنيفات.. فخطاب الرجال غير خطاب النساء.. وخطاب الشباب غير خطاب الكهول والمسنين. وخطاب العمال يختلف عن خطاب التجار والزراع.. وهكذا إذا دخلنا مجالات الخطاب الخاص يجب أن نأخذ بعين الإعتبار فهم المخاطب وثقافته ومستواه وقناعته وخصائصه وواقعه ومشاكله كل ذلك بحثاً عن مكان الإقناع لديه لجره إلى الخط العامل. وتأليف الكل على دعوة المقاومة وفرضيتها العينين

مستند به إلى الأصل الجامع في عقيدتنا عقيدة أهل السنة بأن قتال الدفع لا يشترط له شرط ولا راية وأنه مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم.

وهكذا فإن تحديد جهة الخطاب بدقة يحدد باقي معطيات الإعلام والتحريض. فتحديد جهة الخطاب يحدد فحوى الخطاب ، وأسلوبه ووسيلته. وهي النقطة المفصلية في إصابة الخيارات أو خطئها في باقي مقومات عملية التحريض والإعلام.

- **سرايا التحريض والإعلام والدعوة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:**

مهمة الإعلام والتحريض في الأمة عامة وخاصة. فأما العامة فهي الدعوة العامة لمحاربة محاور الحملات الغازية بكل مناحيها العسكرية والثقافية والفكرية والتربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكل مجال.. لأن الحملات اليوم شاملة كاملة. لها برنامج في كل مقوم من مقومات حضارتنا وحضارتهم. فهم يستهدفون كل شيء يريدون هدمه وإحلال نقيضه من مقومات حضارتهم. وعليه فإن مهمة المواجهة الحضارية تقع على عاتق كامل مكونات الأمة.

علماءها في مساجدهم وكتبهم ودروسهم ، ومثقفها في محاضراتهم وأدبياتهم ونشاطهم الثقافي. ورجالها في ميادين عملهم ووجوه حركتهم. ونسائها في بيوتهم وتربية أطفالهم..

وهكذا.. يبرز الدور للجميع في التحريض والإعلام العام لإحياء جذور المقاومة وخلق أجواء المقاومة ومناخ الثورة على الغازي وأعوانه والتحريض على دفعهم.. فهذا مجال عام يجب أن نحرض أوساطه على أن يكون لكل منها دوره..

فهناك دور للعلماء وللشعراء والكتاب والأدباء. وهناك دور للمثقفين وللسياسيين وللاقتصاديين وللأكاديميين. وهناك دور للطلاب والعمال ولكل شريحة.. هذا عن مجال التحريض العام للحفاظ على هوية الأمة ومكوناتها وأسس نهضتها وحضارتها وكينونتها بكل مقوماتها الدينية والقومية والوطنية وغير ذلك..

أما مجال التحريض الخاص. فهو التحريض على المقاومة المسلحة. وهو من مهام أعضاء دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ومؤيديها. وخلاصته التحريض على الانخراط في مهمة القتال وتكون السرايا الضاربة المنفصلة ، سرايا المقاومة الإسلامية العالمية، السرايا الجهادية المسلحة.. وهذه مهمة يجب أن تقوم بها خلايا تنذر نفسها لهذه المهمة.

إن مهمة القتال هي مهمة كل مسلم وفرض عين على كل مسلم وعلى كل مسلم. أن يحدد وسعه ويبذل جهده بقدره لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وعليه أن يرفع من مستوى ذلك الوسع بإعداد نفسه والتعاون مع من يثق من إخوانه المسلمين.

وأما مهمة التحريض فهي مهمة كل بحسبه. وهي فرض على كل امرئ حتى من عذر الله عن الجهاد من أصحاب الأعذار الذين عذرهم الله تعالى عن القتال فقال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ (التوبة:91).

فقد عذرهم بشرط : (**إذا نصحوا لله ورسوله**) وسمى ذلك منهم إحساناً فقال تعالى : ﴿ **ما على المحسنين من سبيل** ﴾..

ولكن مهمة التحريض المتخصصة تقع على عاتق المؤهلين لذلك.. ومهمتهم أن يشكلوا خلايا للدعوة للجهاد والتحريض عليه. ويسهلوا سبل ذلك للناس بإمدادهم بالمعلومات والتوجيه والبرامج. وهذه الخلايا هي ما ندعوه **سرايا التحريض** على أن يدرك القائمون على هذه السرايا أن القيام بمهمة التحريض لا يسقط عنهم فريضة القتال. إلا أن يكونوا حالات خاصة من أهل العلم المتفرغين للدعوة والجهاد بالعلم والفكر والنية كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**

وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة:122) .

ومن المهام الرئيسية لسرايا التحريض في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ما يلي:

(1) - نشر كتب ورسائل دعوة المقاومة الإسلامية العالمية بكل وسيلة ونشر ممكنة. لإيصالها لأوسع دائرة ممكنة من شرائح الأمة المسلمة ومكوناتها.

(2) - نشر كل ما من شأنه مساعدة الأمة على الجهاد من مناهج التدريب والإعداد العسكري والدورات العسكرية وطرق المقاومة الشعبية.. وسنحاول أن نيسر من ذلك ملاحق لسلسلة كتب ورسائل دعوة المقاومة بإذن الله.

(3) - ترجمة هذه الرسائل والكتب والمناهج إلى اللغات الإسلامية الحية الرئيسية كاللغة التركية والأردية والإندونيسية والماليزية .. غيرها من لغات المسلمين الكثيرة . وهذه مهمة من يتقن اللغة العربية من ابناء تلك الجنسيات والقوميات ونقل هذه المؤلفات والرسائل إلى اللغات الحية الرئيسية المتداولة من قبل المسلمين مثل اللغة الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والألمانية. وهذه مهمة من يتقن هذه اللغات واللغة العربية بشكل مجيد يمكنه من الترجمة الأمنية. ولاسيما التدقيق على ترجمات النصوص الدينية والفتاوى. فهو مستوى يتطلب العلم

باللغتين. بالإضافة لمستوى عال من فهم النصوص الشرعية ولغة الخطاب الديني.

(4) - نشر كل فكر من شأنه إذكاد روح المقاومة ومن ذلك:

- فتاوى العلماء الأقدمين والمعاصرين في جهاد الأعداء ومن أعانهم بكل وسيلة.

- فتاوى العلماء وكتابات المفكرين الإسلاميين الذين ينادون بمفاصلة الكافرين ومقاطعتهم ومقاطعة من تعاون معهم في كل مجال.

- الشعر والأدبيات والأناشيد والكتابات الفكرية وكل نشاط أدبي أو فكري أو ثقافي أو فني ينشر روح المقاومة.

ويجب الانتباه لأمرين مهمين جداً جداً.. وهما :

1 - وهو عدم إصدار أي بيان أو كتاب أو فتوى أو مؤلف بالإسم المحدد (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية) حتى لا يلحق بها جهلاً أو عمداً ما يتناقض مع منهجها الذي حددناه ونشرناه تحت اسم سلسلة المقاومة الإسلامية العالمية .

وإنما نشر ما يرونه داعما للمقاومة باسم أصحابه أو باسم عام حقيقي أو حركي بحسب ما يختار أصحابه له. وهذا أمر مهم جداً.

أما السرايا التي تنفذ العمليات فلا تزيد في بيانها على تبني العملية باسم سرايا المقاومة واسم السرية الخاص. بدون أي رسالة إعلامية فكرية أو سياسية أو شرعية.

2 – الالتزام في نشر تلك الأدبيات والنشاطات والفتاوى وإن كان باسم أصحابها بمبادئ دعوة المقاومة الإسلامية العالمية وأسسها العقدية المبنية في دستور المقاومة و نظريتها المنهجية.

والمشروحة في أسس نظريتها السياسية واستراتيجيتها العامة المبينة في نظريتها السياسية وأسسها الأخرى المبينة في باقي أدبياتنا الخاصة. كل هذا تمشياً مع الوضع السري الذي يفرضه علينا الواقع الأمني والحركي للحملات الطاغية الآن.

وعندما تنجلي هذه الأزمة سنعمل على ذلك من خلال هيئة شرعية إعلامية سياسية معلنة بمكوناتها وأسماء كتابها وإدارتها إن شاء الله تعالى .

وأما ونحن في مرحلة الجهاد السري والمقاومة السرية قتالاً وتحريضاً فيجب الالتزام بهذه الضوابط حتى لا تنحرف الدعوة بقصد المفسدين العامدين المدسوسين . أو بجهل المندفعين الذين يقع بعضهم بجهله بأعظم من فجور الفاجر كما جاء في الأثر: (**إن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر**).

وأؤكد هنا على براءة من ينتسب لهذه الدعوة وبراءتي شخصيا من كل ما يتنافى مع أسس الدعوة ومبادئها والتي بيناها بوضوح. وبينا أدلتها

من الكتاب والسنة ومقتضى المصالح والمفاسد بناءً على دروس تجارب الجهاد السابقة ومسار الصحوة الإسلامية و عناءاتها.

- **أساليب وأفكار إعلامية تحريضية لإحياء دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:**

أولاً: من حيث مادة الخطاب:

الاهتمام والتركيز على جمع المواد في الأبواب التالية:

1- النصوص القرآنية التي تحرض على القتال والجهاد وتذكر أجر فاعله وجزاء القاعد عنه. ونصوص السنة النبوية في مثل ذلك.

2 - فتاوى العلماء الأقدمين والمعاصرين في فرضية الجهاد ولاسيما جهاد الدفع. وفقه الجهاد وأحكامه وآدابه وما يتعلق به.

3 - جمع القصص من سيرة الرسول ﷺ ومن سير المغازي وقصص التاريخ الإسلامي كله مما يحرض على القتال ويذكر بأمجاد المسلمين ومآسيهم ونوازلهم الكبرى.

4 - التركيز على تاريخ الحملات الصليبية الأولى وأحداثها ووقائعها وأدبياتها ومجرياتها فأكثر أحداث اليوم وأطرافه هي مما يعيد فيه التاريخ نفسه.

5 - التركيز على الحملات الصليبية الاستعمارية المعاصرة منذ مطلع القرن السادس عشر ولاسيما حملات الدول الاستعمارية الكبرى منذ

القرن الثامن عشر وأحداث ذلك و تاريخه وقصص جهاد أجدادنا للروم المعاصرين في كل بلاد العالم العربي والإسلامي.

6 - جمع قصص المآسي والعدوان والمجازر والدمار الذي أحدثه الاستعمار الحديث في بلادنا بالوقائع والإحصائيات والشواهد ولاسيما من مصادرهم وكتبهم التي اعترفت بذلك.

7 - ذكر تاريخ المؤامرات المعاصرة على العالم الإسلامي من قبل المستعمرين وحركات الإستشراق وعلاقة الاستشراق والغزو الفكري بالإستعمار ومساره.

8 - ذكر دور حملات التغريب الفكري والمذاهب العلمانية المعاصرة وأحزابها ومفكريها ودعاتها ورجالها من ابناء عالمنا العربي والإسلامي ودورهم الفكري والسياسي في خدمة الاستعمار وتدمير الأمة.

9 - ذكر وقائع الهجمة الصهيونية اليهودية على العالم الإسلامي منذ وعد بلفور والهجرات الصهيونية لفلسطين ومراحل قيام إسرائيل ومراحل الصراع العربي الإسرائيلي وتاريخه ثم تاريخ مؤامرات ما يسمى (بالسلام مع اليهود) والتطبيع معهم وبرامجه العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وأثره المدمر على العالم الإسلامي.

10 - ذكر وقائع الهجمة الأمريكية المعاصرة على العالم الإسلامي منذ انطلاق النظام العالمي الجديد وأساليبها وميادينها. والتعريف بأمريكا وفسادها في الأرض في كل مجالات الحضارة والحياة والعلوم ومجازرها

وهجمتها في البشرية منذ انطلقت إلى العالم إبان الحرب العالمية الثانية وإلى اليوم وكشف مساوئها الحضارية بكل أبعادها للمسلمين. وذكر دور حلفائها الأوروبيين والغربيين المعاصرين ولاسيما الرئيسين من مكونات حلف الناتو. وواقع خداعهم ومكرهم ومشاركتهم في الغزو الحالي.

11 - الاهتمام بذكر تاريخ الصحوة الإسلامية ومآثرها بكافة مدارسها في الحفاظ على دين الأمة ومكوناتها. وصراعات الصحوة وتجاربها ومشاهدها وشهدائها ورجالها وتاريخها في كل بلد من قبل أصحاب ذلك البلد ومن شهد تلك التجارب ولاسيما الجهادية منها ونشر وعي الأمة بتاريخها المعاصر.

12- الاهتمام بنشر أدب المقاومة المعاصر شعراً ونشراً ونشيداً وفناً وكل ما من شأنه إزكاء روح الحماسة والإقدام والجهاد.

13 - التنبه على محاور الغزو الفكري والثقافي الأمريكي المعاصر ووسائله في الإفساد الفكري والاجتماعي ووسائله عبر الإنترنت والفضائيات ودور الطابور الخامس من المستغربين والمتأمركين صراحةً ومن العادين على الإسلام وفكرة وتراثه باسم الإعتدال والوسطية ودعاة الإسلام الأمريكي المعاصر.

14 - نشر الثقافة الأمنية وكتبها ونشر ملخصات لذلك وتوعية المسلمين بأساليب الأعداء الأمنية في اختراق مجتمعاتنا ومحاربة المقاومة.

15 - نشر الثقافة العسكرية وكتبها وملخصات بكتبها وبالمدارس العسكرية المعاصرة وبحروب العصابات وأساليبها وطرق المقاومة الشعبية وأسلحتها. وتبادل الخبرات والتجارب المعاصرة في مواجهة هذه الحملات الأمريكية الطاغية.

16- نشر أبعاد الحملات الأمريكية في كل مجال. في مجال المهينة العسكرية ومجال المؤامرات السياسية ومجال النهب الاقتصادي ومجالات التدمير الحضاري الثقافي والاجتماعي وطرق مكافحة كل ذلك..

17- نشر فظائع الحملات الأمريكية وأفعالها وأفعال حلفائها وفظائعهم لاستثارة الهمم والنخوة والحمية في الأمة .

18 - تعميم فتاوى العلماء والمواد المفيدة الصغيرة الحجم من خلال إرسالها عبر البريد الإلكتروني لمختلف شرائح الأمة..

19 - إرسال رسائل النصح والتذكير للمنحرفين والمتعاونين مع الحملات الأمريكية في كل مجال من مجالاتها الحضارية عامة.

20 - إرسال رسائل التهديد والوعيد للمؤسسات والشخصيات المتعاملة مع الحملات الأمريكية الغربية الصهيونية في كل مجال.

21- إرسال رسائل التحريض الموجزة المدعمة بالصور والشواهد لمختلف المؤسسات والأوساط والشخصيات في مختلف شرائح الأمة.

هذه مجرد أمثلة لفتح الآفاق والبركة في إبداع العاملين بتوفيق الله.

ثانياً: أفكار في وسائل إيصال الخطاب: أذكر بالأساليب الأساسية:

1 - استغلال إمكانيات شبكات الإنترنت والبريد الإلكتروني وشبكات الاتصال الدولية في إيصال كل تلك المعلومات وتبادلها وبلاغها لأصحابها ودخول المنتديات الحوارية مع الانتباه الأمني لاستعمال تلك الشبكات . وهذا باب خطير يجب التنبه له بعدم بث مواد خطير ومن مواقع ثابتة أو فتح مواقع مراقبة من أرقام شخصية ...

2 - استغلال السباق الإعلامي في الفضائيات العربية والإسلامية والإعلامية في إيصال المواد الإعلامية من بيانات وفتاوى ومعلومات وكل ما يمكن أن تستجيب الفضائيات لنشره وكذلك عبر الندوات والمقابلات والحواريات والاتصال المباشر مع مراعاة الرزانة والأدب والعلمية وهوامش الحرية في تلك الفضائيات ..

3 - استغلال إمكانيات الكومبيوتر في نشر كل المواد عبر الكتب والنشرات والمحاضرات والصور وأفلام الفيديو التي يمكن تحميل كميات

كبيرة منها في الأقراص الإلكترونية المضغوطة.وإرسالها بالبريد أو التبادل الشخصي ، أو عبر الانترنيت.

4 - الاستفادة من المساجد والدروس والخطب والاجتماعات العامة بكل صعيد يمكن في خطاب المسلمين.

5 - نشر المنشورات والأبحاث مطبوعة وتداولها بين المسلمين ولاسيما الشرائح الشعبية التي لا تستعمل وسائل الاتصال المعاصرة وكذلك نشر الكاسيت وأفلام الفيديو في تلك الأوساط.

- **شواهد مختارة للتحريض وشحذ الهمم :**

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن ، ما ننقل منه باختصار :

قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:104)

.

قال أبو بكر: قد حوت هذه الآية معنيين. أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والآخر: أنه فرض على الكفاية ليس

بفرض على كل أحد في نفسه إذا قام به غيره. لقوله تعالى: { **ولتكن منكم أمة** } وحقيقته تقتضي البعض دون البعض ، فدل على أنه فرض الكفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين.

وقد ذكر الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع أخر من كتابه ، فقال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110) وقال فيما حكى عن لقمان: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:17) وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9) . وقال عز وجل : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:79-78) .

فهذه الآي ونظائرها مقتضية لإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ، وهي على منازل: أولها تغييره باليد إذا أمكن ، فإن لم يمكن وكان في نفيه خائفا على نفسه إذا أنكره بيده فعليه إنكاره بلسانه ، فإن تعذر ذلك لما وصفنا فعليه إنكاره بقلبه.

عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: {**من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**}.

عن عبد الله بن جرير البجلي عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { **ما من قوم يعمل بينهم بالمعاصي هم أكثر ، وأعز ممن يعمله ثم لم يغيروا إلا عمهم الله منه بعقاب** } .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : { **إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ثم قال** : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة:78). إلى قوله: ﴿فاسقون ﴾ **ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف**

وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم و لتأطرنه على الحق أطرا وتقصرنه على الحق قصرا }.

قال أبو داود وزاد فيه: { **أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ليلعننكم كما لعنهم** }. فأخبر النبي ﷺ أن من شرط النهي عن المنكر أن ينكره ثم لا يجالس المقيم على المعصية ، ولا يؤاكله ، ولا يشاربه . وكان ما ذكره النبي ﷺ من ذلك بيانا لقوله تعالى : ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (المائدة: 80) فكانوا بمؤاكلتهم إياهم ومجالستهم لهم تاركين للنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:79) . مع ما أخبر النبي ﷺ من إنكاره بلسانه إلا أن ذلك لم ينفه مع مجالسته ومؤاكلته ومشاربته إياه ، وقد روي عن النبي ﷺ. قال أبو بكر بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة: 105) وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : { **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب** } وحدثنا مُحَّد بن بكر (...) حدثني أبو

أمية الشعباني قال: **سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت : { يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية :** ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ **فقال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله ﷺ قال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك يعني بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه كقبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله . قال : و زادني غيره : قال : يا رسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم . }** .

وفي هذه الأخبار دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما حالان : حال يمكن فيها تغيير المنكر وإزالته ، ففرض على من أمكنه إزالة ذلك بيده أن يزيله ، وإزالته باليد تكون على وجوه : منها أن لا يمكنه إزالته إلا بالسيف ، وأن يأتي على نفس فاعل المنكر فعليه أن يفعل ذلك. كمن رأى رجلا قصده أو قصد غيره بقتله أو بأخذ مال أو قصد الزنا بامرأة أو نحو ذلك ، وعلم أنه لا ينتهي إن أنكره بالقول أو قاتله بما دون السلاح فعليه أن يقتله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : { **من رأى منكرا فليغيره بيده** } ، فإذا لم يمكنه تغييره بيده إلا بقتل المقيم على هذا المنكر فعليه أن يقتله فرضا عليه. وإن

غلب في ظنه أنه إن أنكره بيده ودفعه عنه بغير سلاح انتهى عنه لم يجز له الإقدام على قتله ، وإن غلب في ظنه أنه إن أنكره بالدفع بيده أو بالقول امتنع عليه ، ولم يمكنه بعد ذلك دفعه عنه ، ولم يمكنه إزالة هذا المنكر إلا بأن يقدم عليه بالقتل من غير إنذار منه له فعليه أن يقتله . وقد ذكر ابن رستم عن مُحَمَّد في رجل غصب متاع رجل : "وسعك قتله حتى تستنقذ المتاع وترده إلى صاحبه " وكذلك قال أبو حنيفة في السارق إذا أخذ المتاع : " وسعك أن تتبعه حتى تقتله إن لم يرد المتاع ". قال مُحَمَّد: وقال أبو حنيفة في اللص الذي ينقب البيوت: " يسعك قتله " وقال في رجل يريد قلع سنك ، قال فلك أن تقتله إذا كنت في موضع لا يعينك الناس عليه " وهذا الذي ذكرناه يدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾

(الحجرات:9) .

فأمر بقتالهم. ولم يرفعه عنهم إلا بعد الفيء إلى أمر الله تعالى وترك ما هم عليه من البغي والمنكر . وقول النبي ﷺ : { **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده** } يوجب ذلك أيضا ، لأنه قد أمر بتغييره بيده على أي وجه أمكن ذلك ، فإذا لم يمكنه تغييره إلا بالقتل فعليه قتله حتى يزيله.

وكذلك قلنا في أصحاب الضرائب والمكوس التي يأخذونها من أمتعة الناس : إن دماءهم مباحة وواجب على المسلمين قتلهم. ولكل واحد من الناس أن يقتل من قدر عليه منهم من غير إنذار منه له ، ولا التقدم إليهم بالقول ، لأنه معلوم من حالهم أنهم غير قابلين إذا كانوا مقدمين على ذلك مع العلم بحظره ، ومتى أنذرهم من يريد الإنكار عليهم امتنعوا منه حتى لا يمكن تغيير ما هم عليه من المنكر ، فجائز قتل من كان منهم مقيما على ذلك ، وجائز مع ذلك تركهم لمن خاف إن أقدم عليهم بالقتل أن يقتل ، إلا أن عليه اجتنابهم والغلظة عليهم بما أمكن وهجرانهم .

وحديث أبي ثعلبة الخشني أيضا الذي قدمناه يدل على ذلك ، لأنه قال ﷺ: { **ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك العوام** } يعني والله أعلم : إذا لم يقبلوا ذلك واتبعوا أهواءهم وآراءهم فأنت في سعة من تركهم وعليك نفسك ودع أمر العوام ، وأباح ترك النكير بالقول فيمن هذه حاله. **وروي عن عكرمة أن ابن عباس قال له : قد أعياني أن أعلم ما فعل بمن أمسك عن**

الوعظ من أصحاب السبت ، فقلت له : أنا أعرفك ذلك ، اقرأ الآية الثانية قوله تعالى : ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ (الأعراف: **165**) **قال : فقال لي: أصبت وكساني حلة.** فاستدل ابن عباس بذلك على أن الله أهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه ، فجعل الممسكين عن إنكار المنكر بمنزلة فاعليه في العذاب.

وحدثنا مكرم بن أحمد القاضي قال: حدثنا أحمد بن عطية الكوفي قال: حدثنا الحماني قال : سمعت ابن المبارك يقول : لما بلغ أبا حنيفة قتل إبراهيم الصائغ بكى حتى ظننا أنه سيموت ، فخلوت به فقال : كان والله رجلا عاقلا ، ولقد كنت أخاف عليه هذا الأمر، قلت : وكيف كان سببه ؟ قال : كان يقدم ويسألني ، وكان شديد البذل لنفسه في طاعة الله وكان شديد الورع ، كنت ربما قدمت إليه الشيء فيسألني عنه ، ولا يرضاه ، ولا يذوقه وربما رضيه فأكله ، فسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى أن اتفقنا على أنه فريضة من الله تعالى فقال لي : مد يدك حتى أبايعك فأظلمت الدنيا بيني وبينه ، فقلت : ولم ؟ قال : دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه وقلت له إن قام به رجل وحده قتل ، ولم يصلح للناس

أمر ، ولكن إن وجد عليه أعوانا صالحين ورجلا يرأس عليهم مأمونا على دين الله لا يحول. قال : وكان يقتضي ذلك كلما قدم على تقاضي الغريم الملح كلما قدم علي تقاضاني ، فأقول له : هذا أمر لا يصلح بواحد ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء ، وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض ، لأن سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده وهذا متى أمر به الرجل وحده أشاط بدمه وعرض نفسه للقتل فأخاف عليه أن يعين على قتل نفسه. وإذا قتل الرجل لم يجترئ غيره أن يعرض نفسه ولكنه ينتظر فقد قالت الملائكة : ﴿ قالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: 30).

ثم خرج إلى مرو حيث كان أبو مسلم ، فكلمه بكلام غليظ فأخذه ، فاجتمع عليه فقهاء أهل خراسان وعبادهم حتى أطلقوه ، ثم عاوده فزجره ، ثم عاوده ثم قال : ما أجد شيئا أقوم به لله تعالى أفضل من جهادك ولأجاهدنك بلساني ليس لي قوة بيدي ، ولكن يراني الله ، وأنا أبغضك فيه فقتله) .

وأضاف الجصاص رحمه الله :

(ولم يدفع أحد من علماء الأمة وفقهائها سلفهم وخلفهم وجوب ذلك إلا قوم من الحشو و جهال أصحاب الحديث ، فإنهم أنكروا قتال الفئة الباغية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسلاح ، **وسموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتنة.** إذا احتيج فيه إلى حمل السلاح وقتال الفئة الباغية ، مع ما قد سمعوا فيه من قول الله تعالى: ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ وما يقتضيه اللفظ من وجوب قتالها بالسيف وغيره. **وزعموا مع ذلك أن السلطان لا ينكر عليه الظلم والجور وقتل النفس التي حرم الله وإنما ينكر على غير السلطان بالقول أو باليد بغير سلاح ، فصاروا شرا على الأمة من أعدائها المخالفين لها ، لأنهم أقعدوا الناس عن قتال الفئة الباغية وعن الإنكار على السلطان الظلم والجور. حتى أدى ذلك إلى تغلب الفجار بل المجوس ، وأعداء الإسلام حتى ذهبت الثغور وشاع الظلم وخربت البلاد وذهب الدين والدنيا وظهرت الزندقة والغلو ومذاهب الثنوية والخرمية والمزدكية والذي جلب ذلك كله عليهم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإنكار على السلطان الجائر** والله المستعان.

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : { **أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر** } . وحدثنا مُحَّد بن عمر قال (...) : سمعت أبا حنيفة يقول : أنا حدثت إبراهيم الصائغ عن عكرمة عن ابن عباس : قال النبي ﷺ { سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله . }

قال الحسن قال النبي ﷺ من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن درة بين أبي لهب قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ هو على المنبر، فقال: من خير الناس يا رسول الله ؟ قال: آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم لرحمه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : لا يحل لمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا: يا رسول الله وما إذلاله نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يقوم له. قلت وخرجه ابن ماجه عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن جندب عن حذيفة عن النبي ﷺ وكلاهما قد تكلم فيه وروي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكرا لا

يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم إن هذا منكر ، فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه. وزعم ابن العربي أن من رجا زواله وخاف على نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الغرر وإن لم يرج زواله فأي فائدة عنده قال والذي عندي أن النية إذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يبالي قلت هذا خلاف ما ذكره أبو عمر من الإجماع وهذه الآية تدل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع خوف القتل وقال تعالى (وأمر بالمعروف) أنه عن المنكر واصبر على ما أصابك وهذا إشارة إلى الإذاية.

روى أنس بن مالك قال: (**قيل يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم قال زيد تفسير معنى قول النبي ﷺ والعلم في رذالتكم إذا كان العلم في الفساق**) أخرجه ابن ماجه.]

اهـ . [1]

---

[1] (أحكام القران– للجصاص– باختصار) .

وقال الإمام ابن تيمية في الفتاوى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (التوبة:71) ولهذا قال أبوهريرة : (**كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة**) فبيّن سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحسانا إليهم لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم وهذا كمال النفع .

وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضا كذلك فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته كما قال النبي : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .

وإذا كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به ولهذا قيل ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة اذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد بل كل ما أمر الله به فهو صلاح وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم المفسدين في غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمر والنهى أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به.

وان كان قد ترك واجب وفعل محرم إذ المؤمن عليه أن يتقى الله في عباده وليس عليه هداهم وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد، فأما القلب فيجب بكل حال إذ لا ضرر في فعله ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال النبي

وذلك أدنى أو أضعف الإيمان ، وقال ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل وقيل لابن مسعود من ميت الأحياء فقال الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا .

وإذا كان هذا حد كل عمل صالح فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون هكذا في حق نفسه ولا يكون عمله صالحا أن لم يكن بعلم وفقه وكما قال عمر بن عبد العزيز: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: العلم إمام العمل والعمل تابعه. وهذا ظاهر فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلا وضلالا وإتباعا للهوى كما تقدم وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام، فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهى بالصراط المستقيم وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود.

ولابد في ذلك من الرفق كما قال النبي: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانه) وقال: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطى عليه ما لا يعطي على العنف) ولا بد أيضا

أن يكون حليما صبورا على الأذى فإنه لا بد أن يحصل له أذى فان لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال لقمان لابنه: (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالصبر كقوله لخاتم الرسل بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة فإنه أول ما أرسل أنزلت عليه سورة (يا أيها المدثر) بعد أن أنزلت عليه سورة (اقرأ) التي بها نبئ فقال: ﴿ يا أيها المدثر* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة وختمها بالأمر بالصبر ونفس الإنذار أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فعلم انه يجب بعد ذلك الصبر وقال: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

فلا بد من هذه الثلاثة العلم والرفق والصبر.

العلم قبل الأمر والنهى والرفق معه والصبر بعده وان كان كل من الثلاثة مستصحبا في هذه الأحوال وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه، وليعلم أن الأمر بهذه الخصال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يوجب صعوبة على كثير من النفوس فيظن أنه بذلك يسقط عنه فيدعه وذلك مما يضره أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو قل فإن ترك الأمر الواجب معصية فالمنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار والمنتقل من معصية إلى معصية كالمنتقل من دين باطل إلى دين باطل وقد يكون الثاني شرا من الأول وقد يكون دونه وقد يكونان سواء، فهكذا تجد المقصر في الأمر والنهي والمعتدى فيه قد يكون ذنب هذا أعظم وقد يكون ذنب هذا أعظم وقد يكونان سواء ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا.

وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال وأن الطاعة سبب النعمة فإحسان العمل سبب لا حسان الله قال تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (النساء: 79) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ (آل عمران: 155) وقال : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: 165). وقال : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى:34)

وقال : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْأِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى: 48) وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (لأنفال:33).

- **من تراث الشيخ الشهيد عبد الله عزام في مجال التحريض:**

ونقتطف من كلمات رجل وهب حياته لأداء فريضة الجهاد وتحريض المسلمين عليها، بالقدوة الحسنة بنفسه ، وبلسانه وخطاباته ، وبما خطه بقلمه ، تاركا تراثا ثرا من الدعوة لأداء هذه الفريضة. قال شيخنا الشهيد عبد الله عزام رحمه الله :

(1) – الجهاد بالمال:

[لا شك أن الجهاد بالنفس أعلى مرتبة من الجهاد بالمال ، ولذلك لم يعف الأغنياء في زمن الرسول ﷺ من المشاركة بأنفسهم . من أمثال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، لأن صقل النفوس وتربية الأرواح إنما تتم على مستوى رفيع في خضم المعركة ، ولذا فقد أوصى ﷺ أحد أصحابه قائلا: (... **وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام**) ولذلك فعندما سئل رسول الله ﷺ: (**أيفتن المرء في قبره؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**).

ولذا فقد حذر رسول الله ﷺ من الانشغال بالدنيا عن الجهاد: فقد أشار ذات مرة إلى سكة محراث وقال: (**لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل**).

وفي الصحيح: (**إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم بأذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعون إلى دينكم**).

وفي الصحيح كذلك: (**لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا**) والضيعة: هي العقار أو الحرفة ، ففي هذه الأحاديث جمع رسول الله ﷺ متاع الدنيا وأسباب الانشغال: الزراعة ، والتجارة بالربا وحيلة (العينة) والإنتاج الحيواني ، والصناعة ، والحرف (الصنعة) ، فالانشغال بهذه في وقت يتعرض فيه الإسلام لمعركة الوجود أو الاجتثاث يعد حراما وموبقة شرعية.

أما الجهاد بالمال فهو فرض إذا احتاج المجاهدون إليه ، فرض على النساء وفي أموال الصغار حتى لو كان الجهاد فرض كفاية ، كما قرر ذلك ابن تيمية.

ولذا يحرم على الناس الادخار في حالة الحاجة للمال ، بل لقد سئل ابن تيمية سؤالا: (لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال : قدمنا الجهاد وإن مات الجياع ، كما في

مسألة التترس وأولى ، فإن هناك – التترس – نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله).

قال القرطبي: (اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها). وقال مالك: (يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضا).

والحفاظ على الدين مقدم على الحفاظ على النفوس ، والحفاظ أولى من الحفاظ على المال ، فأموال الأغنياء ليست أغلى ولا أثمن من دماء المجاهدين ، فلينتبه الأغنياء إلى حكم الله في أموالهم ، حيث الجهاد في أشد الحاجة ، ودين المسلمين وديارهم معرضة للزوال ، والأغنياء غارقون في شهواتهم ، ولو صام الأغنياء يوما واحدا عن شهواتهم ، وأمسكوا أيديهم عن إتلاف الأموال في كمالياتهم ، وحولوها إلى المجاهدين الذين يموتون بردا ، وتتقطع أقدامهم من الثلج، ولا يجدون قوت يومهم ، ولا ذخيرة يدفعون بها عن أنفسهم ويحقنون بها دماءهم.

الخلاصة:

أولا: الجهاد بالنفس فرض عين على كل المسلمين في الأرض .

ثانيا: لا إذن لأحد على أحد في الجهاد ، فلا إذن للوالدين على الولد.

ثالثا: الجهاد بالمال فرض عين ويحرم الادخار ما دام الجهاد بحاجة إلى مال المسلمين.

رابعا: إن ترك الجهاد كترك الصلاة والصيام ، بل ترك الجهاد أشد في هذه الأيام. ونقل ابن رشد الإتفاق على أن الجهاد إذا تعين أقوى من الذهاب إلى حجة الفريضة] .اهـ .[1]

- **القعود وطمس البصيرة:**

وختاما نقول: ليست القضية بكثرة النصوص ووفرة الشواهد ، وإنما الأمر متعلق بالقلوب . فإن أعطاه الله نورا أبصرت الحق وأتضح فيه ،

[1] (الذخائر العظام : ج1/130) .

وإن أظلمت القلوب لم تعد ترى . ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: 46) (الأنعام:104).

وإبصار القلوب للبصائر والآيات الربانية تأتي نتيجة التقوى والطاعة والاجتهاد في العبادة (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) (الأنعام:104) وهذه البصيرة تفجر في القلب ينابيع المعرفة والإدراك. وهذه لا تنال بكسب ولا دراسة ، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبدا في كتابه ودينه على قدر بصيرة قلبه ، (وهذه البصيرة تنبت في أرض القلب) ، يفرق به بين الحق والباطل ، والصادق من الكاذب ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر:75) .

وكل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها ، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه ، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس ، ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ، ولاسيما إذا قامت له شبهة ، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصورة وينطمس وجه الحق . وإذا كان الحق ظاهرا لا

خفاء به ولا شبه فيه أقدم على مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة . وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأعراف:169) .

فإن إتباع الهوى يعمي عين القلب ، فلا يمز بين السنة والبدعة ، أو ينكسه فيرى البدعة السنة والسنة بدعة ، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات. (الفوائد:113).

وهذه الآيات فيهم إلا قولهم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:175/176).

ولذلك فإن النصوص وحدها لا تكفي ، ولا بد من بصيرة القلب حتى يبصر بها الحق.

إن القلب إذا كثر تكالبه على الدنيا ، وكثرت ذنوب النفس التي تحمله يكون عليه الران ، لأن كل ذنب يكون نكتة سوداء على القلب ، ولا تزال النكات السوداء تتكاثر حتى يكون الران (الغلاف الأسود) الذي يمنع النور إلى هذا القلب.

وعندما يظلم القلب لا تظهر صورة الأشياء على حقيقتها ، فيلتبس الحق ولا تظهر صورته ، وقد ينتكس القلب فيرى الحق باطلا والباطل حقا.

ولذا لا بد من التقوى حتى يظهر الفرقان ، ويصفو القلب ، وتبدو الأشياء على مرآته جلية واضحة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنفال:29). ولذا كانوا إذا أشكل عليهم وأعضلتهم مسألة يقولون: اسألوا أهل الثغور لأنهم أقرب الناس إلى الله .وقد سألوا أحمد بن حنبل من نسأل بعدك؟ قال: أسألوا أبا بكر الوراق فإن عنده ورع – كما يحسب – وأرجوا أن يوفق للإجابة.] هـ .[1]

---

[1] (الذخائر العظام : ج139/1) .

- **مبررات الجهاد:**

إن الناظر في الواقع المسلمين اليوم يجد أن مصيبتهم الكبرى هي ترك الجهاد(حب الدنيا وكراهية الموت)، ولذا تسلط الطغاة على رقاب المسلمين في كل ناحية وفوق كل أرض ، وذلك لأن الكفار لا يهابون إلا القتال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ (النساء:84)

ونحن إذ ندعو المسلمين ونستحث خطاهم للقتال لأسباب كثيرة وعلى رأسها:

1- حتى لا يسود الكفر.
2- لقلة الرجال { المستعدين للقتال }.
3- الخوف من النار.
4- أداء الفريضة واستجابة للنداء الرباني.
5- إتباعا للسلف الصالح.
6- إقامة القاعدة الصلبة التي تكون منطلقا للإسلام.
7- حماية المستضعفين في الأرض.
8- طمعا في الشهادة.

1 – حتى لا يسود الكفر:

ففي الآية الكريمة: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنفال:39).

إذا توقف القتال ساد الكفر ، وانتشر الفتنة وهي الشرك.

2 – لقلة الرجال:

إن أزمة العالم الإسلامي هي أزمة الرجال الذين يضطلعون بحمل المسؤولية ، والقيام بأعباء الأمانة ، وكما جاء في الصحيح: (**الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة**).

أي لا تجد في كل (مائة جمل) واحدا يحتملك في أسفارك ، وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لصفوة من صحبه تمنوا ، فتمنى كل واحد منهم شيئا ، ثم قالوا: تمن يا أمير المؤمنين ، فقال: أتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة، إن الرجال الذين يعلمون قليلون ، والذين يعملون أقل ، وإن الذين يجاهدون أندر وأغرب ، وإن الذين يصبرون على هذا الطريق لا يكادون يذكرون.

ونحن نأمل من الإخوة الذين لم يستطيعوا أن ينفلتوا من قفص العادات الاجتماعية ، ولم ينفضوا عن رؤوسهم ركام التقاليد ، ولم يلقوا عن كاهلهم موروثات الأجيال المهزومة تحت ضغط الواقع المرير ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر الشرير ، أقول لهؤلاء الإخوة: إن لم ينفروا إلينا بأنفسهم فلا أقل من أن يدعوا الذين يرفرفون بأرواحهم فوق أرض الجهاد أن يصلوا بأجسادهم إليها.

ولذا فقد آن أوان الرجال ، وهذا مقام الفعال دون حال المقال.

فدع عنك نهبا صحيحا في حجراته وهات حديثا ما حديث الرواحل

لقد حل بالمسلمين أمور عظيمة ، وأرزاء فادحة أليمة ، فدع الكلام عن الطعام وعن أساليب الكلام ، ولكن حدثني عن هذا الأمر الجلل وماذا قدم له المسلمون.

أمور لو تأملهن طفـــــل لطفل في عوارضه المشيبُ

أتسبى المسلمات بكل صقع وعيش المسلمين إذا يطيبُ

أما لله والإسـلام حـــــــق يدافع عنه شبـــان وشيبُ

3 – الخوف من النار:

يقول الله عز و جل: ﴿ إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة:39).

قال ابن العربي: (العذاب الأليم هو في الدنيا باستيلاء العدو ، وبالنار في الآخرة)

وقال القرطبي: وقد قيل أن المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة ، وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم. يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ (النساء:97/99)

روى البخاري بإسناده عن عكرمة : أخبرني ابن عباس أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ ، يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله ، فأنزل الله تعالى : ﴿(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ

كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا..﴾

فإذا كان المؤمنون في مكة – القابضون على دينهم ولم يهاجروا وخرجوا حياء وخوفا من الكفار يوم بدر فكثروا سواد المشركين (عددهم) ثم قتل بعضهم – قد استحقوا جهنم برواية البخاري ، فما بالك بالملايين من المتمسلمين الذين يسامون سوء العذاب ، ويعيشون حياة السوائم ، لا يملكون أن يردوا عادية عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم ، بل لا يستطيع أحدهم أن يتحكم في لحيته فيطلقها لأنها تهمة إسلامية ظاهرة ، بل لا يستطيع أن ينفرد في لباس زوجته فيطيله حسب الشرع لأنها جريمة يؤخذ عليا بالنواصي والأقدام، ولا يستطيع أن يعلم القرآن لثلاثة من الشباب المسلم في بيت الله ، لأنه تجمع غير مشروع في عرف الجاهلية ، بل لا يستطيع في بعض البلدان المسماة الإسلامية أن يغطي شعر زوجته ، ولا يستطيع أن يمنع رجال المخابرات أن يأخذوا بيد ابنته بعد وهن من الليل ، تحت جنح الظلام الدامس إلى حيث يشاؤون!! وهل يستطيع أن يرفض

أمرا يصدر من الطاغوت يقدم فيه هذا الفرد قربانا رخيصا على مذبح شهوات هذا الطاغية؟!

أليست هذه الملايين تعيش ذليلة مهينة مستضعفة وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها ؟ فماذا سيكون جوابها إذا سألتها الملائكة ﴿**فيم كنتم** ﴾ ألا يقولون ﴿**كنا مستضعفين في الأرض**﴾ إن الضعف ليس عذرا عند رب العالمين ، بل هو جريمة يستحق صاحبها جهنم ، وقد أعذر الله الطاعنين في السن والأطفال والصغار والنساء الذين لا يجدون حيلة للتخلص ، ولا يعرفون الطريق إلى أرض العزة ، ولا يستطيعون الهجرة إلى دار الإسلام ، ولا الوصول إلى قاعدة الجهاد :

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها لساني معقولا وقلبي مقفلا

وإن صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولا

إن الجهاد والهجرة إلى الجهاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدين ، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض ولا أن تستوي شجرته على سوقها ، وأصالة الجهاد التي هي من

صميم هذا الدين ولها وزنها في ميزان رب العامين ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تنزل فيها القرآن ، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين.

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال (2-742) في تفسير هذه الآية: [لو كان الجهاد ملابسة طارئة في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول من صلب الكتاب الله في مثل هذا الأسلوب ! ولما استغرق كذلك كل هذه الفصول من سنة رسول الله ﷺ وفي مثل هذا الأسلوب .لو كان الجهاد ملابسة طارئة ما قال رسول الله ﷺ تلك الكلمة لكل مسلم إلى قيام الساعة (**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه يغزو مات على شعبة من النفاق**). (رواه عن أبي هريرة) .]

إن الله سبحانه يعلم أن هذا أمرا تكرهه الملوك! ويعلم أن لا بد لأصحاب السلطان أن يقاوموه ، لأنه طريق غير طريقهم ، ومنهج غير منهجهم ، ليس في ذلك الزمن فقط ولكن اليوم وغدا وفي كل أرض وفي كل جيل! وإن الله سبحانه يعلم أن الشر متبجح ، ولا يمكن أن يكون منصفا ، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك

هذا الخير من طرق سليمة موادعة ، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطر على الشر ، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل ، ولا بد أن ينجح الشر إلى العدوان ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة! هذه جبلة! وليست ملابسة وقتية ، هذه فطرة ! وليست حالة طارئة.

ومن ثم لا بد من الجهاد ... لا بد منه في كل صورة ... ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير ، ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود ... ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة ... و إلا كان الأمر انتحار أو كان هزلا لا يليق بالمؤمنين.

4- الإستجابة للنداء الرباني:

قال تعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:41).

وقد أورد القرطبي في تفسيره (8 -150) في تفسيرها عشرة أقوال (خفافا وثقالا):

1- روي عن ابن عباس: شبانا وكهولا.

2- روي عن ابن عباس وقتادة : نشاطا وغير نشاط.

3- الخفيف: الغني ، والثقيل: والفقير ، قاله مجاهد.

والصحيح في فهمنا الآية أن الناس أمروا جملة ، أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت ... روي أن ابن أن مكتوم جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: أعلي أن أغزو ؟ فقال: نعم ، حتى أنزل الله تعالى ﴿**ليس على الأعمى حرج** ﴾ .

وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال في الثقل والخفة ، ولا يشك عاقل أن حالتنا التي نعيشها في أفغانستان وفي فلسطين ، بل في معظم أرجاء العالم الإسلام يداخله تحت نص هذه الآية ، فقد اتفق المفسرون المحدثون والفقهاء والأصوليون على أنه إذا دخل العدو أرضا إسلامية أو كانت في يوم من الأيام دار للإسلام ، فإنه يجب على أهل تلك البلدة أن يخرجوا الملاقاة العدو ، فإن قعدوا أو قصروا أو تكاسلوا أو لم يكفوا توسع فرض العين على من يليهم ، فإن قصروا أو قعدوا فعلى من يليهم ، وثم حتى يعم فرض العين الأرض كلها ، ولا يسع (يمكن) أخذا تركه كلاصلاة والصيام ، بحيث يخرج الولد دون إذن والده ، والمدين دون إذن دائنه ، والمرأة دون إذن زوجها

والعبد دون إذن سيده ، ويبقى فرض العين مستمرا حتى تطهر من رجس الكفار (ولكن خروج المرأة لا بد له من محرم).

ولم أجد (بقدر اطلاعي القليل) كتابا في الفقه. أو التفسير أو في الحديث إلا ونص على هذه الحالة ، ولم يقل أحد من السلف أن هذه الحالة فرض كفاية ، أو أنه يجب استئذان الوالدين ، ولا يسقط الإثم عن رقاب المسلمين ما دامت أية بقعة في الأرض (كانت إسلامية) في يد الكفار ، ولا ينجو من الإثم إلا الذي يجاهد.

فكل من ترك الجهاد اليوم فهو تارك لفريضة ، كالمفطر في رمضان بدون عذر ، أو كالغني الذي يمنع زكاة ماله ، بل تارك الجهاد أشد.

وكما يقول ابن تيمية : والعدو الصائل الذي يفسد الدين ليس أوجب من دفعه.

والحق المبين الذي لا محيد عنه قول أبي طلحة عندما قرأ : ﴿ **إنفروا خفافا وثقالا** ﴾ قال: شباب وكهولا ، ما سمع الله عذر أحد ، ثم قال: أي بني جهزوني ، فقال بنوه: يرحمك الله لقد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات، فنحن نغزو عنك . فقال: لا. جهزوني ، فغزا ، فمات في

البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوه فيها ولم يتغير رضي الله عنه .

يقول القرطبي (7-151) في تفسيره: (إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر (أصل الدار) فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافا وثقالا، شبابا وشيوخا ، كل على قدر طاقته ، من كان له أب بغير أذنه ومن لا أب له .

ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، فإن عجز أهل تلك البلدة حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم ، وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكن غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم.

فالمسلمون كلهم يد على من سواهم ، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتلها سقط الفرض عن الآخرين.

ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه، حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة ، وتحفظ الحوزة ، ويخزى العدو ، ولا خلاف في هذا.) اهـ.

وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته التي ترجوه أن يجلس عند عائلته:

باتت تذكرني بالله قاعدة والدمع يهطل من شأنيهما سبلا

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني كرها وهل أمنعن الله ما فعلا

فإن رجعت فرب الخلق أرجعني وإن لحقت بربي فابتغي بدلا

ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

5- اتباعا للسلف الصالح:

فقد كان الجهاد دينا للسلف الصالح وكان ﷺ سيدا للمجاهدين، وقائدا للغر الميامين ، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول الله ﷺ فيكون أقربهم إلى العدو ، وعدد مغازيه ﷺ التي خرج بنفسه فيها سبع وعشرون ، وقاتل في تسع منها بنفسه : (بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف) وهذا على قول من قال: مكة فتحت عنوة ، وكانت سراياه التي بعثها سبا وأربعين ، وقيل أنه قاتل بني النضير.

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ كان يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كل شهرين أو أقل .

وسار الصحب الكرام على سنة النبي الكريم ﷺ ، فلقد كان القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربية جهادية ، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدنيا كما يحمي أحدنا لديغه من الماء ، فلقد روى الحاكم في المستدرك (2-275) وصححه ووافقه الذهبي ، **عن أسلم أبو عمران قال: حمل رجل من المهاجرين – بالقسطنطينية – على صف العدو حتى خرقه ، ومعنا أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذا الآية ، إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحببا ، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين ، والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيها ، فنزل فينا:** ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة:195) **فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد**

وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص – وكان من المستضعفين في مكة وكان مريضا – فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة قال: أخرجوني ،

فهيء له فراش ثم وضع عليه وخرج ، فمات في الطريق بالتنعيم – على بعد (6 كم) من مكة – .

وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود في حمص على تابوت صراف ، وقد فضل على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو ، فقيل: عذرك الله ، فقال: أتت علينا سورة البعوث (**إنفروا خفافا وثقالا**).

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه ، فقيل له: إنك عليل ، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع .

وروى أن بعض الناس رأى في غزوات الشام رجلا حاجباه على عينيه من الكبر ، فقال له: يا عم إن الله قد عذرك ، فقال: يا ابن أخي قد أمرنا بالنفير خفافا وثقالا.

وهذا إبراهيم بن أدهم (الصوفي !) عندما أحس بالموت قال: أوتروا لي قوسي ، وتوفي وهو في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الروم .

وهذا عبد الله بن المبارك كان يقطع مسافة ألفين وستمائة كيلومترا راجلا أو راكبا على دابته ليقاتل في سبيل الله في ثغور المسلمين.

وقال زهير بن قمير المروزي: أشتهى لحما من أربعين سنة ولا آكلها حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم.

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كان في بيته سبعون فرسا مربوطة للجهاد.

وهذا مُحَمَّد بن واسع كان من العباد المحدثين الغزاة المرابطين يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: لإصبع مُحَمَّد بن واسع تشير إلى السماء في المعركة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير – قوي – .

وهذا أحمد بن إسحاق السلمي يقول: أعلم يقينا أني قتلت بسيفي هذا ألف تركي ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي.

وهذا أبو عبد الله بن قادوس لكثرة قتله من نصارى الأندلس كان النصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل على الماء قال له: مالك أرأيت بن قادوس في الماء؟!

وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطة ، فيمدحه المتنبي:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

وهذا عمر المختار يقول عنه غارسياني (القائد الإيطالي) : لقد خاض عمر المختار مع جنودنا (263) معركة خلال عشرين شهرا ، أما مجموع معاركة فقد بلغت ألف معركة!!.

وهذا الشيخ مُحَّد فرغلي { مجاهد من الإخوان المسلمين } كان الإنجليز في الإسماعيلية { في مصر } يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة ، وقد دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه لمن يأتي برأسه حيا أو ميتا.

وهذا يوسف طلعت { مجاهد آخر من الإخوان } كان يسمى (جزار الإنجليز) لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس ، فأعدمهما عبد الناصر {رئيس مصر 1952–1969م} إرضاء لسادته الأمريكان!!.

6 – إقامة القاعدة الصلبة لدار الإسلام:

إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض ضرورية للمسلمين ، ضرورة الماء والهواء ، وهذا الدار لن تكون إلا بحركة إسلامية منظمة تلتزم الجهاد واقعا وشعارا ، وتتخذ القتال لحمة ودثارا.

وإن الحركة الإسلامية لن تستطيع إقامة المجتمع المسلم إلا من خلال جهاد شعبي عام ، تكون الحركة الإسلامية قلبه النابض ، وعقله المفكر ، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الذي يفجر العبوة الناسفة الكبيرة ، فالحركة الإسلامية تفجر طاقات الأمة الكامنة وينابيع الخير المخزونة في أعماقها.

فالصحابة رضوان الله عليهم كان عددهم قليلا جدا بالنسبة لمجموع عامة المسلمين الذين قوضوا عرش كسرى وثلوا مجد قيصر. بل إن القبائل المرتدة عن الإسلام في أيام الصديق قد سيرهم عمر بن الخطاب – بعد أن أعلنوا توبتهم – إلى قتال الفرس ، ولقد أصبح طلحة بن خويلد الأسدي – الذي ادعى النبوة من قبل – أحد أبطال القادسية البارزين ، واختاره سعد لمهمة استكشاف أخبار الفرس فأبدى شجاعة فائقة.

أما الحفنة من الضباط التي يمكن أن يتوهم البعض أن بإمكان هم عمل مجتمع مسلم فهذا ضرب من الخيال ، أو وهم يشبه المحال لا يعدوا أن يكون تكرارا لمأساة عبد الناصر مع الحركة الإسلامية مرة أخرى.

والحركة الشعبية الجهادية مع طول الطريق ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات، وفداحة الأرزاء تصفي النفوس فتعلو على واقع الأرض الهابط ، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات الصغيرة على دراهم ، وعن الأغراض القريبة ، وسفاف المتاع ، وتزول الأحقاد ، وتصقل الأرواح ، وتسير القافلة صعدا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدا عن نتن الطين وصراع الغايات.

وعلى طول طريق الجهاد تفرز القيادات ، وتظهر الكفاءات من خلال العطاء والتضحية ، ويبرز الرجال شجاعتهم وبذلهم.

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا الحرب و الفتكة البكر

ومع ارتفاع الاهتمامات ترتفع النفوس عن الصغائر ، وتصبح الأمور العظيمة غاية القلوب وأمل الشعوب.

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

وطبيعة المجتمعات كالماء تماما ، ففي الماء الراكد تطفو على السطح الطحالب و الأعفان ، وأما المتحرك فلا يحمل العفن فوقه ، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون على قدر المسؤولية لأنها لا تبرز من خلال الحركة والتضحية والبذل والعطاء ، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي (ﷺ) ما برزوا إلا من خلال الأعمال الجليلة والتضحيات الباهظة ، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما أجمعت الأمة على انتخابه ، فما أن فاضت روح رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في الجنة تطلعت العيون إلى الساحة فلم تجد أفضل من أبي بكر ﷺ.

والأمة التي تجاهد، تبذل الثمن غاليا فتجني الثمرة الناضجة ، ليس من السهل أن تفرط فيما جنته بالعرق والدم ، وأما الذين يتربعون

على صدور الناس من خلال البيان الأول في انقلاب عسكري صنع وراء الكواليس في السفارات ، يسهل عليهم التفريط بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

والأمة الجهادية التي يقودها أفذاذ بروزا من خلال الحركة الجهادية الطويلة ، ليس من السهل أن تفرط بقياداتها أو تخطط للإطاحة بها ، وليس من اليسير على أعدائها أن يشككوها بمسيرة أبطالها ، والحركة الجهادية الطويلة تشعر الأمة بأفرادها جميعا أنهم قد دفعوا الثمن وشاركوا في التضحية من أجل قيام المجتمع الإسلامي ، فيكون حراسا أمناء لهذا المجتمع الوليد ، الذي عانت الأمة جميعها من آلام مخاضه.

لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد ، ولا بد للميلاد من مخاض، ولا بد للمخاض من آلام.

7 – حماية المستضعفين في الأرض:

إن من بواعث الجهاد الإسلامي حماية المستضعفين في الأرض ، ورفع الظلم عنهم..

﴿ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ (النساء: 75) ومعنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين.

كيف القرار وكيف بهذا مسلم والمسلمـــــات مع العدو المعتدي

القائلات إذا أردن تأسفا جهد المقـــــــــالة ليتنا لم نولد

وقد اتفق الفقهاء على أن الجهاد فرض عين بالنفس والمال إذا سبيت امرأة مسلمة ، وفي (البزازية) إذا امرأة سبيت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها.

فليتهم إذا لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى فهلا أتوه رغبة في المغانم

وكما قال آخر :

أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذا يطيب

أما لله والإســـلام حق يـــــدافع عنه شبان وشيب

لقد جاء الإسلام لإقرار العدل فالأرض: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد:25).

8- طمعا بالشهادة والمنازل العلى في الجنة:

لقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي عن المقدام بن معد يكرب مرفوعا: (**للشهيد عند الله سبع خصال ، يغفر له في أول دفع من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويشفع في سبعين إنسانا من أهل بيته**) (صحيح الجامع:5058).

وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس**) (فتح الباري:9/6).

9 – إن الجهاد حفظ لعزة الأمة ورفع للذل عنها:

ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد عن ابن عمر مرفوعا:

(إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر، سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم).(صحيح الجامع:688).

10 – إن الجهاد حفظ لهيبة الأمة ورد لكيد أعدائها:

﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا** ﴾ (النساء:84).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داوود عن ثوبان:

(يوشك أن تداعي عليكم الأمم من كل أفق كما تداعي الأكلة إلى قصعتها ، قيل يا رسول الله فمن قلة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم ، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت) (صحيح الجامع:8035).

11 – في الجهاد صلاح الأرض وحمايتها من الفساد:

﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾

(البقرة:251).

12 – في الجهاد حماية للشعائر الإسلامية:

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج:40)

13– وفي الجهاد حماية الأمة من العذاب ومن المسخ والاستبدال:

﴿**إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم** ﴾ (التوبة:92)

14 – وفي الجهاد غني الأمة وزيادة ثرواتها:

(وجعل رزقي تحت ظل رمحي) (رواه أحمد).

15 – والجهاد ذروة سنام الإسلام:

(وذروة سنامه الجهاد) حديث صحيح عن معاذ ، وهو رهبانية هذه الأمة (**وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام**) (رواه أحمد).

16 –الجهاد من أفضل العبادات وبه ينال المسلم أرفع الدرجات:

قال أفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر أمر العدو يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه. وقال عنه غيره : ليس يعدل لقاء العدو شيئ ، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقتلون العدو هم الذين يدافعون عن الإسلام ، وعن حريمهم ، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون وقد بذلوا مهج أنفسهم.

ورد في البخاري (6-9) الحديث: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**).

ونحن على قدر إطلاعنا القليل وعلمنا اليسير ، نعتقد أن الجهاد في مثل هذه الحالة الراهنة في أفغانستان فرض عين بالنفس والمال كما قرره فقهاء المذاهب الأربعة بلا استثناء ، ومعهم جمهرة المفسرين والمحدثين الأصوليين.

يقول ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (4-608) : إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب...

ويقول في مجموع الفتاوى (28-358) فإذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين كما قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ (الأنفال:72).

كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم ، وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال ، أو لم يكن ، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب ، وكما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد.

ونصوص فقهاء المذاهب الأربعة صريحة قاطعة بهذا لا تحتمل تأويلا دون لبس ولا غموض.

يقول ابن عابدين الحنفي في حاشيته (3- 238): إن هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام ، فيصير فرض عين على من قرب منه ، فأما من وراءه ببعد عن العدو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان قرب العدو عن المقاومة مع العدو أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا ، فإنه يفترض على من

يليهم —فرض عين — كالصلاة والصوم ، ولا يسعهم تركه ، وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج.

وبمثل هذا النص الواضح الجلي أفتى الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع (7- 72) ، وابن نجيم الحنفي في البحر الرائق (5- 72) ، وابن همام في فتح القدير (5-191).

وراجع إن شئت حاشية الدسوقي المالكي (2-174) ، ونهاية المحتاج للرملي الشافعي (8-58) ، والمغني لابن قدامة الحنبلي (8-345).

ولعل بعض الناس يجدون مبررا لأنفسهم بأن كثيرا من الأفغان ليسوا على المستوى الإسلامي المقبول من التربية ، ويعذرون أنفسهم بالقعود بسبب بعض المخالفات.

ولكن الرد على هذا بأن الفقهاء نصوا على أنه يجب الجهاد ولو مع عسكر كثيري الفجور.

وهذا من أصول أهل السنة والجماعة (الغزو مع كل بر وفاجر) **(فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وبأقوام لا خلاق لهم)** ،

وهذا طريقة خيار هذه الأمة قديما وحديثا ، وهي واجبة على كل مكلف.

وعدم الغزو مع الأمراء (ولو كانوا فجارا) أو مع عسكر كثيري الفجور هو مسلك الحرورية – من فئات الخوارج – وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم (مجموع الفتاوى لابن تيمية 28- 506).

وبعض الناس يعذرون أنفسهم بأن مكانهم في بلدهم ضروري للتربية والتعليم ، ونحن نورد لهم قول الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له: إنك عليل ، فقال استنفر الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

فأي الناس منزلته وعمله يداني سيد التابعين ، ووارث علم النبوة عن طريق صهره والد زوجته – أبي هريرة – ﷺ. لقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين ، واشتد الأمر على المسلمين ، فمتى النفير؟! وإلى متى القرار؟!.

فإن كان الفقهاء يفتون كما جاء في البزازية: امرأة سبيت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها.

فماذا يفتي علماؤنا بالآلاف من العواتق تنتهك أعراضهن في خدورهن؟

وماذا يجيبون في النساء اللواتي يلقين بأنفسهن في نهر (كونر في لغمان) فرارا بأعراضهن من الانتهاك على يد الجنود الحمر ، لأن المرأة لا يجوز لها باتفاق العلماء أن تستسلم للأسر إذا خشيت على عرضها.

أو ما تخشى أن تدور الدائرة عليك ويصل الأمر إلى عرضك؟ {ورسول الله صلى الله عليه يقول}: (**ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك من حرمته إلا خذله الله تعالى فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**) (رواه أبو داوود). فاتقوا الله في أعراضكم.

وقال حبان بن موسى: خرجنا مع ابن المبارك مرابطين إلى الشام، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم التفت إلي

وقال: إنا لله إنا إليه راجعون على أعمار أفنيناها وليال وأيام قطعناها في علم (الخلية والبرية) –كنايات الطلاق– وتركنا هاهنا أبواب الجنة مفتوحة!!

هذا ابن المبارك الذي كان يرابط شهرين أو أكثر في السنة ، يدع تجارته ومجالس الحديث ويخرج للرباط ، لأنه لم يرابط طيلة عمره انشغل بالعلم عن الرباط ، فماذا يقول الذين لم يطلقوا طلقة في سبيل الله؟!

إذا كان مرض الموت – الذي ألم برسول الله ﷺ – لم يشغله عن تذكير الصحابة بإنفاذ بعث أسامة رضي الله عنه .

وعندما حاول أبو بكر الصديق أن ينفذ بعث أسامة حاول الصحابة أن يثنوه عن عزمه ، فقال كلمته المشهورة: والذي لا إله غيره لو جرب الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ ، ولا حللت لواء عقده رسول الله.

ويشاء الله أن تكون آخر وصايا صاحب رسول الله ﷺ في حث الناس على الجهاد إذ يستدعي أبو بكر عمر في آخر ساعات حياته قائلا: اسمع يا عمر! أقول لك ثم اعمل به ، إني لأرجو أن أموت من

يومي هذا – وذلك يوم الاثنين – فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، لا يشغلنكم مصيبة – وإن عظمت – عن أمر دينكم ، ووصية ربكم ، وقد رأيتني مُتوفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله ، وبالله لو أني تأخرت عن أمر رسوله لخذلنا الله و لعاقبنا فأضرمت المدينة نارا.

فلقد أدرك أبو بكر – خير الناس بعد النبي ﷺ – أن التأخر في تنفيذ أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالنفير إلى الجهاد عاقبته الخذلان ومآله الخسران.

هذا كتاب الله يحكم بيننا ، وهذه سنة رسوله ﷺ ناطقة شاهدة علينا. وهذا هدي أصحابه في فهمهم لأهمية الجهاد في هذا الدين فهل لنا من تعقيب على هذه النصوص المتوافرة الناصعة الجلية القاطعة؟

لقد وصل اللص إلى داخل خدور المؤمنات ، فهل ندعه ؟!! ينتهك الأعراض ويمسخ القيم ويجتث المبادئ؟!

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

لقد أخذ الروس مائتين وخمسة آلاف من أطفال المسلمين الأفغان لتربيتهم على العقيدة الشيوعية ، ولغرس الإلحاد في أعماقهم ، وقرر الأمريكان فتح ستمائة مدرسة ، وتعهد مائة وخمسة آلاف من أطفال الأفغان في الداخل والخارج بالتربية والتعليم.

فأين دعاة الإسلام؟ وأين المربون المسلمون؟ وماذا أعدو لإنقاذ الجيل المسلم ، ومن أجل رعاية هذا الجيل المبارك العظيم. { أقول : ولله الأمرمن قبل ومن بعد ، فقد آتت أعمال الأمريكان هذه أكلها في بحر عشرين سنة ، وجاءتنا مع كرزاي (2002م) بجيش من هؤلاء الأفغان المتأمركين الذين تربوا في مدارسها وبلدها } .

لقد نص الفقهاء على أن بلاد المسلمين كالبلد الواحد ، فأي بقعة من بقاع المسلمين تعرضت الخطر وجب أن يتداعى جسد الأمة الإسلامية كلها لحماية هذا الشلو الذي تعرض لغزو الجراثيم.

ماذا على العلماء لو حرضوا الشباب على الجهاد ؟ لاسيما والتحريض فرض.

﴿وحرض المؤمنين﴾ (النساء:84).

ماذا على الدعاة لو خصصوا سنة من حياتهم للعيش بين المجاهدين يوجهون ويرشدون؟

ماذا على طلاب الجامعة لو أجلوا سنة من دراستهم لينالوا شرف الجهاد ، وليسهموا بأنفسهم في إقامة دين الله في الأرض؟ ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التوبة:87-88).

ماذا على الأئمة لو أخلصوا النصح لمن يستنصحهم بالخروج في سبيل الله بالدم والروح؟

إلى متى يُثبَط الشباب المؤمن ويعوق عن لجهاد؟ الفتية الذين تضطرم أفئدتهم نارا وتتفجر حماسا وتلتهب غيرة لتسقي تربة المسلمين بدمهم الطاهر. إن الذي ينهى شابا عن الجهاد لا يفرق عن الذي ينهاه عن الصلاة والصوم.

أما يخشى الذي ينهى عن الجهاد أن يدخل – ولو بطريقة غير مباشرة – تحت المعنى العام الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرا ﴾ (الأحزاب:18- 19).

ماذا على الأمهات لو قدمت الواحدة منهن أحد ابنائها في سبيل الله يكون عزا لها في الدنيا وذخرا لها في الآخرة بالشفاعة؟

ماذا على الآباء لو دفعوا بأحد ابنائهم ليشب في مصانع الأبطال وميادين الرجال وساحات النزال؟ وليهب أحدهم أن الله خلقه عقيما، فمن شكر النعمة أن يؤدي زكاة أولاده شكرا لربه.

أنفس هو خالقها ، وأموال هو رازقها ، فلم البخل على رب العالمين؟ البخل على المالك بما يملك ، مع العقيدة الراسخة بأنه : **(لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها)**.

ماذا على المسلمين لو سطروا في صحائف أعمالهم وديوان حسناتهم أياما من الرباط ، وساعات من القتال؟

وقد ثبت في الحديث الصحيح : (**رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه**) ، وفي الحديث الحسن: (**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها**). وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي في صحيح الجامع (4503): (**قيام ساعة في الصف القتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة**).

فيا إخوة الإسلام أقبلوا لحماية دينكم ونصرة ربكم وإعلاء سنة نبيكم.

أيها الأخ الحبيب: إمتشق حسامك ، واعل صهوة جوادك ، وامسح العار عن أمتك ، إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن؟
أيها الأخ الكريم:

طال المنام على الهوان فأين زمجرة الأسود

واستنسرت عصب البغاث ونحن في ذل العبيد

ذل العبيد من الخنوع   وليس من زرد الحديد

فمتى نثور على القيود   متى نثور على القيود

فيا خيل الله اركبي!!!

أيها الأخ العزيز: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾ (يوسف:111)

فقصة بخارى الدامية ، ورواية فلسطين الجريحة ، وعدن المحترقة ، والأوجادين الأسيرة ، وأحاديث الأندلس الأسيفة ، و إرتريا الأليمة ، وبلغاريا المكلومة ، السودان مع قرنك المحزنة ، ولبنان الممزقة أشلاؤها، والصومال وبورما وتشاد وقفقاسيا بجراحاتها العميقة ، وأوغندا وزنجبار وإندونيسيا ونيجيريا ... ذات الملاحم والمآسي خير عبرة لنا ، فهل نعتبر فيما مضى قبل فوات الأوان؟ أم تجري علينا السنن ونحن نتجرع الهوان ، ونندثر كما اندثروا ، ونضيع كما ضاعوا؟ ونحن نأمل من الله أن يندحر الروس في أفغانستان { وينهزموا من تلقاء أنفسهم في العراق وغيرها } ، ويرتدوا على أعقابهم خائبين ، وإن كانت الأخرى، فليت شعري أي داهية تحل بالمسلمين؟

فقد روى أبو داوود بإسناد قوي عن أبي أمامة مرفوعا: (**من لم يغز أو يجهز غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة**).

﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾

(ق:45)

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد . ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد؟ ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

1- إذا دخل العدو أرض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين عند جميع الفقهاء المفسرين والمحدثين.

2- إذا أصبح الجهاد فرض عين فلا فرق بينه وبين الصلاة والصوم عند الأئمة الثلاثة ، أما الحنبلية فيقدمون الصلاة.

جاء في بغلة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك: الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام البعض سقط عن الباقين ويتعين – أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم – يتعين الإمام وبهجوم العدو على محلة قوم وجاء في مجمع الأنهر في المذهب الحنفي: فإذا لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة.

وجاء في حاشية ابن عابدين الحنفي (2-238): وفرض عين هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام ، فيصير فرض عين كالصلاة والصوم ولا يسعهم تركه.

3- إذا أصبح الجهاد فرض عين فلا إذن للوالدين ، كما لا يستأذن الوالدين في أداء فريضة الصبح أو صيام رمضان.

4- لا فرق بين تارك الجهاد بدون عذر إذا تعين (صار فرض عين) وبين مفطر رمضان بدون عذر.

5- لا يغني دفع المال عن الجهاد بالنفس مهما كان المبلغ الذي دفع، ولا تسقط فريضة الجهاد اللازمة في عنقه ، فكما أنه لا يجوز أن يدفع مبلغا من المال لفقير حتى يصوم عنه أو يلي فكذلك الجهاد بالنفس.

6- الجهاد فريضة العمر كالصلاة والصوم ، فكما أنه لا يجوز أن يصوم عاما ويفطر أو يصلي يوما ويترك آخر ، فكذلك الجهاد لا يجوز أن يجاهد سنة ويترك سنوات قدر طاقته.

7- إن الجهاد الآن فرض عين بالنفس والمال في كل مكان استولى عليه الكفار ، ويبقى فرض العين مستمرا حتى تتحرر كل بقعة الأرض كانت في يوم من الأيام إسلامية.

8- إن كلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني القتال بالسلاح كما قال ابن رشد وعليه اتفق الأئمة الأربعة.

9- إن المتبادر من كلمة (**في سبيل الله**) هو الجهاد كما قال ابن حجر في الفتح (6- 22).

10- إن قولهم رجعنا من الجهاد الأصغر– القتال – إلى الجهاد الأكبر– جهاد النفس – الذي يرددونه على أساس أنه حديث ، هو حديث باطل موضوع لا أصل له ، وإنما هو من قول إبراهيم بن أبي عبلة أحد التابعين ، وهو مخالف للنصوص والواقع.

11- إن الجهاد ذروة سنام الإسلام وتسبقه مراحل ، فقبله الهجرة ، ثم الإعداد (التدريب) وثم الرباط ، ثم القتال ، والهجرة ملازمة للجهاد ، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد عن جنادة مرفوعا: (**إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد**).

وأما الرباط وهو السكن على حدود العدو لحماية المسلمين فهو ضرورة من ضرورات القتال ، لأن المعارك ليست كل يوم ، فقد يرابط الإنسان فترة طويلة ويدخل معركة أو معركتين في هذه الفترة.

12- إن الجهاد اليوم فرض عين بالنفس والمال على كل مسلم ، وتبقى الأمة الإسلامية آثمة حتى تتحرر آخر بقعة إسلامية من يد الكفر ، ولا ينجو من الإثم إلا المجاهدون.

13- إن الجهاد في زمان رسول الله ﷺ كان أنواعا ، فقد كانت غزوة بدر مندوبة – مستحبة – وكانت غزوة الخندق وتبوك فرض عين

على كل مسلم ، استنفر الأمة ، وأما الخندق فلأن الكفار غزوا أرض الإسلام ، وأما غزوة خيبر (7هـ) فكانت فرض كفاية ولم يأذن رسول الله ﷺ بحضورها إلا لمن شهد الحديبية (6هـ).

14- أما الجهاد في أيام الصحابة والتابعين فمعظم أحواله فرض كفاية ، لأنه كان فتوحات جديدة.

15- أما الجهاد بالنفس اليوم فكله فرض عين.

16- لم يعذر الله عز وجل أحدا بترك الجهاد إلا المريض والأعرج والأعمى ، والطفل الذي لم يبلغ الحنث ، والمرأة التي لا تعرف طريق الجهاد والهجرة ، والطاعن السن وحتى المريض مرضا شديدا ، والأعرج، والأعمى إذا استطاعوا أن يصلوا معسكرات التدريب لينضموا للمجاهدين ويعلموهم القرآن ويحدثوهم ويشجعوهم فالأولى أن يأتوا كما فعل عبد الله بن أم مكتوم في أحد وفي القادسية.

وغير هؤلاء ليس لهم عذر عند الله سواء كان موظفا أو صاحب صنعة أو من أرباب الأعمال أو تاجرا كبيرا، فهؤلاء ليسوا معذورين بترك الجهاد بأنفسهم وأن يدفعوا أموهم.

17- إن الجهاد عبادة جماعية ، وكل جماعة لا بد لها من أمير ، وطاعة الأمير في الجهاد من الضرورات ، فلا بد من تعويد النفس على التزام

طاعة الأمير: (**عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**). (رواه مسلم)

حكم الصادين عن الجهاد :

إن الذي يصد عن الجهاد كالذي يصد عن الصيام ، ومن نصح مسلما قادرا.

الأولى هجران الذين يثبطون عن الجهاد وعدم الدخول معهم في نقاش يؤدي إلى جدل يقسي القلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (15- 313):

[وجماع الهجرة هي هجرة السيئات وأهلها ، وكذلك هجران الدعاة إلى البدع ، وهجران الفساق ، وهجران من يخالط هؤلاء أو يعاونهم ، وكذلك من يترك الجهاد الذي لا مصلحة لهم بدونه ، فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم على البر والتقوى ، **فالزناة واللوطية ومن ترك الجهاد** وأهل البدع وشربة الخمر فهؤلاء كلهم ، ومن خالطهم مضرة على دين الإسلام ، وليس فيهم معاونة على بر ولا تقوى فمن يهجرهم كان تاركا للمأمور فاعلا للمحظور] .

{ فانظر بمن قرن الإمام تارك الجهاد !! سبحان الله !! }

حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن إذا رجع المجاهد من الجهاد إلى مسقط رأسه:

إن هذا الأمر ليس عذرا أبدا لأنه ظن وشك ، واليقين لا يزول بالشك ، فالجهاد يقيني ، والخوف من سؤال المخابرات شك ، وكذلك لو تيقن أن المخابرات تسأله فهذا ليس عذرا يرفع به إثم القعود عن الجهاد ، لأن العذر بالإكراه المعتبر في الشريعة الذي يسقط به إثم ترك الفرائض هو (الإكراه الملجئ الذي به فوات النفس أو العضو) أي الذي فيه موت أو قطع عضو ، وكذلك التخوف من أجهزة الأمن في البلدان التي يحمل جوازها – ولو تيقن أنه إذا رجع وأمسكت به قتلته أو قطعت عضوا من أعضائه – فهذا ليس عذرا مقبولا عند الله ، لأنه في هذه الحالة يجب أن يترك بلده في أرض الجهاد:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا

فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾(النساء:96-99).

الذخائر: ج194/1).

حكم الذي به عاهة تمنعه عن القتال ولكن لا تمنعه من العمل في مجالات أخرى:

إن فرضية العين لا تسقط عن الأعرج ولا عن المريض غير مقعد ، لأن بإمكانهم أن يعملوا في مجالات الصحة والتعليم وهو ميدان واسع، والمجاهدون الآن حاجتهم إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والسلاح والدواء.

قال ابن الهمام القدير (5-441) : وأما الذي يقدر على الخروج دون الدفع –القتال – ينبغي – يجب – أن يخرج لتكثير السواد ، فإن فيه إرهابا للعدو.

فإذا كان الخروج لتكثير العدد واجب ، فكيف بالخروج لتعليم المجاهدين أحكام دينهم ؟ إن هذا أشد وجوبا وأعظم فرضية .] اهـ.[1]



[1] (الذخائر العظام : ج- 1- 194/179) .

إتحاف العباد بفضائل الجهاد

- فضل الشهادة:

1- رائحة دمه كالمسك: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك**). (رواه أحمد).

سبحان الله ، لقد رأينا هذا من كثير الشهداء ، رائحة دمائهم كالمسك ...

2- أحب القطرات إلى الله : عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين أو أثرين . قطرة دمعة من خشية الله ، وقطرة دم تهراق في سبيل الله ، وأما الأثران فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله**) (روه الترمذي)

كلمة الجهاد إذا أطلقت كما يقول ابن رشد: (وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

3- الشهيد يحب أن يرجع إلى الدنيا : عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ما من عبد يموت له عند الله خير لا يسره أن يرجع إلى الدنيا ، وإن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى**) . وفي لفظ (**فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة**).

4- حارثة في الفردوس الأعلى : (**قال ﷺ لأم حارثة بنت النعمان، وقد قتل ابنها معه يوم بدر فسألته: أين هو؟ قال: إنه في الفردوس الأعلى**). (رواه البخاري)

5- أرواحهم في حواصل طيور خضر : عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنه لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في جسدنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**). (رواه مسلم).

قال القاضي: فيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ، ويعذب المسيء ، وقد جاء به القرآن ، والآثار ، وهو مذهب أهل السنة ، فأرواح الشهداء في حواصل طيور خضر ، وأما غيرهم فإنما يعرض مقعده بالغداة و العشي كما جاء في حديث ابن عمر ، وكما قال في آل فرعون : (**النار يعرضون عليها غدوا وعشيا**).

وقيل: بل المراد وجميع المؤمنين الذين يدخلون الجنة الآن بدليل عموم الأحاديث ، وقيل بل أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم : وقيل إن المتنعم جزء من الجسد تبقى فيه الروح.

6- خصال الشهيد: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن للشهيد عند الله خصالا – سبع خصال – أن يغفر له من أول دفعة دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلبة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، يأمن الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه**).

7- شهداء أحد: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل**

مـن ثمارهـا ، وتأوي إلى قناديـل في ظـل العـرش ، فلمـا وجـدوا طيـب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنـا لـئلا يزهـدوا في الجهـاد ولا ينكلـوا عنـد الحـرب ، فقـال الله أنا أبلغهـم عـنكم ، فـأنزل الله على رسوله هـذه الآيات: "ولا تحسبن الـذين قتلوا في سبيل الله أمواتا"). (رواه أحمد)

الشهداء أحياء:

وقد رأينا بعض الآيات البينات تدل حسا على أن الشهداء أحياء...

8- الشهداء على بارق نهر: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**الشهداء على بارق – نهر بباب الجنة – في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا)**. (رواه أحمد)

يعني تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع..

قال القرطبي في الجامع : لعل هؤلاء هم الشهداء الذين عليهم دين وكان معهم وفاء ولم يوفوه.

9- الشهادة خير من المدن والقرى : عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لأن أقتل في سبيل الله أحب إلى من أن يكون لي أهل المدر والوبر**). (رواه أحمد)

10- الشهيد لا يحس بالألم: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**الشهيد لا يجد مس القتل كما يجد أحدكم من مس القرصة**). (رواه أحمد) وفي رواية صحيحة: (**الشهيد لا يجد مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها**).

11- منازل الشهداء: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول ، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلون ، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ويضحك إليهم ربك ، إذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**).

12- القتلى ثلاثة: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**القتلى ثلاثة رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى قتل فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة ، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى لقي العدو فقاتل حتى قتل ، فتلك**

مصمصة محت ذنوبه وخطاياه إن السيف محاء الخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى قتل فإن ذلك في النار إن السيف لا يمحو النفاق).

فأين المجاهدون الذين يريدون غسل ذنوبهم بالسيوف؟

13- أي القتل أفضل: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أي القتل الأفضل؟ قال: من اهريق دمه وعقر جواده في سبيل الله**). (رواه أحمد).

14- سيد الشهداء: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**). (رواه الترمذي).

وهذا يدل على منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام .. وإنكار المنكر والظلم في المجتمع واجب ، ولو في وجه الحاكم المسلم إذا كان ظالما أو فاسقا ، أما الحاكم الكافر فلا يجوز السكوت عليه بحال، ولا تجوز ولايته ، والخروج عليه فرض من قبل الأمة جميعا.

15- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمار الجنة**). (رواه الترمذي)

16- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ادفنوا القتلى في مصارعهم**). (رواه الأربعة).

قالها رسول الله ﷺ في شهداء أحد: (**قال جابر: بينما أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح (جمل) فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، وجاء رجل ينادي: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت ، فرجعنا فدفناهما في القتلى حيث قتلا ، فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابر والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا (ظهر) فخرج طائفة (جزء) منه ، قال: فأتيته فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء ، قال : فواريته ، فصارت سنة الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم**) (رواه أحمد).

17- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**خمس من قبض في شيء منهم فهو شهيد: المقتول في سبيل الله شهيد ، والغريق في سبيل الله شهيد ، والمبطون في سبيل الله شهيد ، والمطعون في سبيل الله شهيد ، والنفساء في سبيل الله شهيد**) (رواه النسائي).

18- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه**) (رواه مسلم).

ولكن الصدق في طلب الشهادة هو إعداد العدة: (**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة**).

أما أن تمر عشر سنوات على الجهاد في أفغانستان ، والطريق آمنة، والحدود مفتوحة ، ولا يصل بيشاور ، فهذا نرجو الله أن يغفر له إن كان يظن أنه صادق في طلب الشهادة. ألم تر إلى ذلك الأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ: (**اتبعك على أن أضرب ها هنا – حلقه – فأدخل الجنة فأصيب الأعرابي حيث أشار فقال** ﷺ: **صدق الله فصدقه**).

19- وفي حديث أم حرام بنت ملحان : (**فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزواتهم قافلين فنزلوا الشام فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت**).

وهذا يدل أيضا أن حكم الراجع من الغزو ، حكم الذاهب إليه.

20- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من قاتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دوم دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**) (رواه أبو داوود).

وهذا يسمى في الفقه : دفع الصائل هو الذي يسطو بالقوة على الأعراض والنفوس والأموال.

وقد اتفق الفقهاء الأربعة على وجوب دفع الصائل على الأعراض ، وأما الصائل على النفس أو المال فيجب دفعه عند جمهور العلماء ، مع الرأي الراجح في مذهبي مالك والشافعي ، ولو أدى إلى قتل الصائل المسلم.

قال الجصاص: (لا تعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفا على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله).

وقال ابن تيمية: فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

وكم كلف جهل هذا الحكم الشرعي المسلمين من ضحايا ، لأن المخبر كان يأخذ زوجته في منتصف الليل ولا يقتله خوفا من سفك دم امرئ مسلم!!.

21- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من قتل دون مظلمة فهو شهيد**).

ويفسر الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: (**فلا تعطه مالك**) قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: (**قاتله**) قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: (**فأنت شهيد**) قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: (**هو في النار**).

تمني الشهادة:

22- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**) (رواه النسائي).

وفي رواية (**ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي**).

وروى الحاكم يسند صحيح عن جابر: (**كان النبي ﷺ إذا ذكر أصحاب أحد قال: والله لوددت أني غدوت مع أصحابي بفحص الجبل**).

23- **(غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها و المائد فيه كالمتشحط في دمه)** (رواه الحاكم).

24- **(يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)**.

قال القرطبي: (الدين الذي يحبس به صاحبه عن الجنة – والله أعلم – هو الذي قد ترك له وفاء ولم يوص به ، أو قدر على الأداء ولم يؤده أو أدانه – استدانه – في سرف أو في سفه ومات ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنة إن شاء الله).

والشهيد الذي يحبس عن الجنة تكون روحه على نهر بباب الجنة يسمى (بارقا) في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا – والله أعلم – كما قال القرطبي.

وهنا يرد سؤال: إذن أيهما أولى للمدين ، أينفر في سبيل الله أم يعمل حتى يسد الدين ثم ينفر؟

وهنا يقول وبالله التوفيق: (إنه إذا وطئ شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين ، وهنا يخرج المدين دون إذن دائنه والولد دون إذن والده) وهذا محل اتفاق بين سلف الأمة وخلفها.

وينظر المدين: فإن لم يكن معه سداد (قضاء) دينه فإنه ينفر ولا ينتظر قضاء الدين ، وإن كان مع المدين وفاء دينه فإنه ينظر فإن كان يظن أن الدائن لو استوفى دينه فإنه يستعمل المال في الجهاد فالواجب أداء الدين له – وفاؤه – لتحصيل المصلحتين: الوفاء والجهاد.

هكذا أفتى ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (183/4).

وقال ابن تيمية : يجب على النساء الجهاد إن كان فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا هجم العدو ، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعا.

25- **شهيد لم يركع لله ركعة:** عن أبي هريرة : (**أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه ، فجاء يوم أحد ، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد قال: أين فلان؟ قالوا بأحد ، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد ، فلبس لأمته ، وركب فرسه ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو ، قال: إني قد آمنت ، فقاتل**

حتى جرح ، فحمل إلى أهله جريحا ، فجاء سعد بن معاذ ، فقال لأخته: سليه: حمية لقومك أو غضبا لهم ، أم غضبا لله؟ فقال: بل غضبا لله ورسوله ، فمات فدخل الجنة. ما صلى لله صلاة).

26- شهيد قتل بسلاح نفسه: عن سلمة بن الأكوع قال:

(لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالا شديدا فارتد عليه سيفه فقتله ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك ، شكوا فيه: رجل مات بسلاحه ، فقال ﷺ: مات جاهدا مجاهدا ، قال ابن شهاب: ثم سألت ابنا لسلمة بن الأكوع فحدثني عن أبيه بمثل ذلك ، غير أنه قال: فقال رسول الله ﷺ: كذبوا ، مات جاهدا مجاهدا فله أجره مرتين).

- **فضائل الهجرة:**

1- استمرار الهجرة إلى يوم القيامة: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد**) (رواه أحمد) و عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**لن تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار**).

وهذا يدل على أن الهجرة مرتبطة بالجهاد ، والحق أن الجهاد لا ينفصم عن الهجرة ، والهجرة ماضية إلى يوم القيامة بسبب استمرار الجهاد إلى يوم القيامة.

2- الأمر بالهجرة: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن الله أمر يحي بن زكيا بخمس كلمات وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن : الجماعة ، والسمع، والطاعة ، والهجرة والجهاد في سبيل الله**).

قال العيني: (الهجرة في الشرع مفارقة دار الكفار إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين).

وقال ابن حجر: وقد وقعت في الإسلام على وجهين:

- الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرة الحبشة.
- الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ في المدينة.

والرسول ﷺ رتب الأمور الضرورية التي لا بد منها للوصول إلى الجهاد ، فهي درجات تبتدئ بالجماعة ، لأن الجهاد عبادة جماعية ، فلا بد من جماعة ، ولا جماعة بلا أمير ، ولا إمارة بلا سمع وطاعة ، ثم الهجرة وهي الخطوة الأساسية للجهاد ، لأنها عنوان الصدق في الخلاص من عوائق الأرض ، وتحطيم القيود ، وأما الجهاد فهو ذروة سنام الإسلام.

3- الشيطان يحارب الهجرة لأنها طريق الجنة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له في طريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول (الحبل) فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد؟ فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد ، فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة**).

4- تزداد حصته في الجنة بقدر بعده عن مولده: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة**) (روه أحمد).

5- الرسول ﷺ يكفل للمهاجر ببيوت في الجنة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في أعلى غرف الجنة فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا ، يموت حيث شاء أن يموت**).

6- براءة الرسول ﷺ ممن يسكن مع المشركين: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم**).

لا يجوز السكن في أرض لا يستطيع المسلم أن يظهر فيها شعائر دينه كالصلاة والصوم والزكاة ، وتجب الهجرة من كل أرض تجري فيها أحكام الكفر إلى بلد فيها أحكام الإسلام ويختار في آخر الزمان أقلها إثما وأحوطها لسلامة العرض والدين والمال ، ولا يجوز السكن تحت حكم العدو الدين بحيث يخاف المسلم على دينه وأهله وماله.

7- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**) (رواه أبو داوود).

قال ابن تيمية: (المشابهة و المشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة ، والمشاركة في الأمر الظاهر توجب مناسبة وائتلافا ، وإن بعد المكان والزمان ، وهذا أمر محسوس فمرافقتهم و مساكنتهم ولو قليلا سبب لاكتساب أخلاقهم ، ولما كان مظنة الفساد خفي غير منضبط علق الحكم به (المساكنة) وأدير التحريم عليه ، فمساكنتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة ، بل في نفس الاعتقادات ، فيصر المساكن للكافر مثله ، وأيضا المشاركة في الظاهر تورث نوع محبة ومودة وموالاة في الباطن).

8-المهاجر له الجنة مهما كانت ميتته: عن رسول الله ﷺ أنه قال : **(من فصل في سبيل الله فمات أو قتل أو وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة)**.

- **فضل الإعداد والرمي:**

1-عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ستفتح عليكم أرضون ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**) (رواه مسلم).

2- (**إن فقيما اللخمي قال لعقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير بشق عليك ، قال عقبة: لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه ، قال الحارث: فقلت لابن شمامة: ما ذاك؟ قال: من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصا**) (رواه مسلم).

أجر الرمي:

3- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أيما مسلم رمي بسهم في سبيل الله فبلغ مخطئا أو مصيبا فله من الأجر كرقبة أعتقها من ولد إسماعيل و أيما رجل شاب في سبيل الله فهو له نور**) (رواه الطبراني).

4- عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشي الرجل بين الغرضين وتعليم الرجل السباحة**) (رواه النسائي).

أي هذا الأربعة من اللهو المشروع.

5- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**) (رواه مسلم).

6- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينضلون فقال النبي ﷺ: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا**) (رواه البخاري).

7- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**اللهو في ثلاث: تأديب فرسك ، ورميك بقوسك وملاعبتك أهلك**).

8- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من أحسن الرمي ثم تركه فقد ترك نعمة من النعم**).

9- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**عليكم بالرمي فإنه خير لعبكم**) (رواه الطبراني).

10- عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي**) (رواه مسلم).

وهذا الحديث من دلائل النبوة ، لأن الرمي بالسهم في عهد رسول الله ﷺ لم يكن الوسيلة الغالبة في المعارك ، إذا أن معظم أدوات المعارك المستعملة كانت السيف والرمح.

أما اليوم فالرمي هو الوسيلة الغالبة في الحروب الحديثة ابتداء من طلقة المسدس والبندقية ومرورا بالمدفعية والهاون وانتهاء بالصواريخ.

- **فضل الرباط:**

1- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطا في سبيل الله ، ومن علم علما أجري له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له**) (رواه أحمد).

وهذا أجر عظيم ومنزلة رفيعة ، أن يموت المرء وتبقى أعماله جارية عليه إلى يوم القيامة ، فنرجو الله سبحانه ألا يحرمنا من الشهادة في سبيله ، وأن تكون الخاتمة في أرض الرباط إنه سميع قريب مجيب.

وسمي الرباط رباطا لأنهم كانوا يربطون خيولهم بجانبهم انتظارا لمعركة يكرون أو يدفعون بها على الثغور، فسمي المقام بالثغر رباطا وإن يكن فيه خيل.

2- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**رباط شهر خير من صيام دهر ، ومن مات مرابطا في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر ، وغذي عليه برزقه و وريح من الجنة ، ويجري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله**) (رواه الطبراني).

قال ابن العربي: (والأمن من فتنة القبر فضيلة عظيمة لم تعط إلا للشهيد والمرابط).

3- (**رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه ، ومن مات فيه وقي فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة**).

قال أحمد: (ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء دفع عن المسلمين وعن حريمهم ، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو ، فالرباط أصل الجهاد وفرعه ، والجهاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة).

قال القرطبي في الجامع: (وأما سكان الثغور دائما بأهليهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك فهم وإن كانوا حماة فليسوا مرابطين).

قال ابن عطية ، وقال ابن خويز منداد: (وللرباط حالتان: حالة يكون فيها الثغرة مأمونا منيعا يجوز سكناه بالأهل والولد ، وإن كان غير مأمون جاز أن يرابط فيه إذا كان من أهل القتال ولا ينقل إليه والولد).

4- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**كل عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة**) (رواه الطبراني).

قال المناوي: (والرباط وأجره فيمن ذهب للثغر لحراسة المسلمين فيه مدة لا في سكانه أبدا وهم وإن كانوا حماة مرابطين).

قال ابن حجر: (وفيه نظر ، لأن ذلك المكان قد يكون وطنه وينوي الإقامة فيه لدفع العدو).. وكلام ابن حجر: فيمن كان مستعدا لدفع العدو بأن كان مدربا مستعدا وعنده السلاح الذي يدفع به لا من يعيش من أجل راتبه أو وظيفته أو تجارته أو زراعته.

5- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ما رزق عبد خيرا له ولا أوسع من الصبر**).

وقد أوردت حديث الصبر في الرباط لأن الرباط قائم على قاعدة كبير وهي الصبر .

والرباط: هو حبس النفس في الثغور حيث تخيف العدو ويخيفك انتظارا لمعركة والجهاد – القتال – عموده الرباط ، وأن المعارك قليلة والرباط ممتد وطويلة ، والنفس مع طول الانتظار تمل وتسأم ، خاصة حيث تقل الحركة ويقسو الجو ويخشن العيش ، وقد وجدنا أن أعظم مشكلة تواجهنا في الجهاد هي أن الإخوة لا يصبرون على طول الرباط ، فكان الإخوة المرابطون على الحدود لا يستمرون طويلا ولا يطيقون الصبر على الرباط فينزلون من الثغور إلى مدينة بيشاور، وبقاء المجاهد في المدينة يفسد نفسيته ، ويقلل أجره ، وقد يطلق للسانه

العنان فيحبط أجره وقد يرجع مأزورا غير مأجور، كما جاء في الحديث الصحيح: (**لم يرجع بالكفاف**).

6- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي يعمل عليه وأجري عليه رزقه ، وأمن من الفتان ، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع**) (رواه ابن ماجة).

قال بن حبيب: (الرباط شعبة من الجهاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر).

وقال أبو عمرو: (شرع الجهاد لسفك دماء المشركين ، وشرع الرباط لصون دماء المسلمين وصون دماء المسلمين أحب إلي) وهذا يدل على أنه مفضل على الجهاد.

7- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**الإيمان الصبر والسماحة**) (رواه أحمد).

فالصبر : حبس النفس عن شهواتها ، وإلجامها عن نزوتها ، والكرم ، تطهير النفس من أدران شحها.

8- عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤونة ، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء**). (رواه ابن شاهين).

وهذا الحديث هو الذي فسر لي صبر المجاهدين الأفغان هذه السنين العشر ، والبلايا تطحن أعصابهم وتسحق عظامهم ، ورحى الحرب دائرة لا تذر شيئا أتت عليه إلا جعلته كالرميم تحول كل بيت إلى مأتم وميتم ، ومع ذلك فلم تلن لهم قناة ولم تهن لهم عزيمة ، إنه إلقاء الصبر على القلوب المبتلاة.

9- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل**).

وأما الراوية الأخرى: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها**).

قال ابن العربي: وخرج الترمذي عن عثمان صحيحا: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل**) فجعل حسنة الجهاد بألف.

- **(نصوص في) الجهاد والقتال والإعداد:**

1- عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)**

(رواه أبو داوود).

2- عن رسول الله ﷺ أنه قال : **(إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا هم معنا حبسهم العذر)** (رواه البخاري).

وهذا يعني أن النية الصادقة مع العذر المقبول عند الله فيها أجر عظيم، والنية الصادقة تعني أنه لولا العذر لنفذ العمل المطلوب ، ولذ ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان بعمله مقيما صحيحا)**.

3- عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(إنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيم أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية و لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أيا ثم أقتل)** (متفق عليه).

4- عن رسول الله ﷺ أنه قال : **(أطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث)** (رواه الشافعي).

5- عن رسول الله ﷺ أنه قال : **(إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أدخل الله عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم)** (رواه أحمد)

6- (**خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله ، يخيفهم ، ويخيفونه ، أو رجل معتزل في بادية يؤدي حق الله الذي عليه**) (رواه الحاكم).

قال النووي: مذهب الشافعي وأكثر العلماء: أن الاختلاط أفضل (4042/3) بشرط السلامة ، وقال النووي أيضا: فيه فضل العزلة في أيام الفتن إلا أن يكون له قوة على إزالة الفتن فيلزمه السعي في إزالها عينا وكفاية.

وفي الحديث: (**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**).

والمجاهد: يحق الجهتين ، يحقق العزلة ويحقق عبادة الجهاد التي هي ذروة سنام الإسلام.

7- (**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطى رضي ، وإن يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيط فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع**) (رواه البخاري).

قال ابن الحجر في الفتح (83/6): (إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، أي: إن كان في الحراسة كان فيها أو: فهو في ثواب الحراسة، وقيل: هو للتعظيم أي كان في الحراسة فهو في أمر عظيم ، والمراد منه لازمة أي فعليه أن يأتي بلوازمه ، ويكون مشتغلا بخويصة عمله).

وقال ابن الجوزي: أي أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها ، قوله: إن استأذن لم يؤذن له فيه ترك حب الرياسة والشهرة ، وفضل الخمول والتواضع ، و الساقة ، مؤخرة الجيش.

8- عن رسول الله ﷺ أنه قال : **(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه ، فعلم ما عليه فرجع حتى اهريق دمه ، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي حتى اهريق دمه)** (رواه أبو داوود).

وهذا دليل أنه يستحب للمسلم أن يجاهد ولو وحده ، ولو تيقن من القتل إن كان في ذلك مصلحة للمسلمين ورفع لمعنوياتهم أو نكاية بأعدائهم ، وهذا دليل كذلك أنه يستحب للمسلمين أن يقوم بعمليات انتحارية { استشهادية } يتيقن من الموت فيها إن كان في

ذلك مصلحة للإسلام ، وقد ثبت أن بعض الصحابة انغمسوا في صفوف الكفار وكانوا وحدهم.

9- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه: لا يتبعني منكم رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن ينبني بها ولما بين بها ، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنما مخلفات وهو ينظر ولادها ، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه**) (متفق عليه).

وهذا دليل على أنه يجب التفرغ للجهاد ، لأن النفس المرتبطة بالدنيا لا تبذل كل طاقتها ولا تعطي كل إنتاجها ، وأما النبي فهو (يوشع بن نون) وأما القرية فهي بيت المقدس.

10- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها ، والمائدة فيه كالمتشحط في دمه**) (رواه الحاكم).

11- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**) (متفق عليه). **{ وفي رواية } :(خير مما طلعت عليه الشمس وغربت**) (متفق عليه).

وأخر الحديث في البخاري: (**ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما و لملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**).

وقال ابن المهلب: خير من الدنيا أي ثواب هذا الزمن القليل في الجنة من زمن الدنيا كلها.

وكذا ورد في البخاري: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب**).

قاب القوس: طول القوس وهو ذراع (46 سم): أي موضع سوط أحدكم في الجنة ، فأخبر أن قصير الزمان وصغير المكان في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا ، تصغيرا لها وتزهيدا بها وترغيبا في الجهاد.

قال القرطبي: أي الثواب الحاصل على مشية واحد في الجهاد ، خير لصاحبه من الدنيا وما فيها لو جمعت له بحذافيرها.

12- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**الغازي في سبيل الله عز وجل والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه فأعطاهم**) (رواه ابن ماجة).

13- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**الغزو غزوان: فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى وأطاع الإمام وأنفق الكريمة وياسر الشريك ، واجتنب الفساد في الأرض، فإن نومه ونبهه أجر كله ، وأما من غزا فخرا ورياءً وسمعة وعصى الإمام وأفسد في الأرض فإنه لن يرجع بالكفاف**) (رواه **أبو داوود والنسائي**).

14- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**قيام الساعة في الصف للقتال في سبيل الله ، خير من قيام ستين سنة**) (**رواه ابن عدي وابن عساكر**).

15- عن راشد بن سعد رضي الله عنه ، عن رجل من الصحابة ، أن رجلا قال: **يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ فقال:** (**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**) (رواه النسائي).

16- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عن الحجر الأسود**) (رواه ابن ماجة).

17- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول المطر**) (رواه الشافعي).

18- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**كان إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي وأنت نصيري ، بك أجول وبك أصول وبك أقاتل**) (رواه أحمد).

19- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**كان يعجبه أن يلقى العدو عند زال الشمس**) (رواه الطبراني).

20- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، و لقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا و لأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**) (متفق عليه).

21- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لقيد سوط أحدكم من الجنة خي مما بين السماء والأرض**) (رواه أحمد).

22- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**للمائد أجر شهيد وللغريق أجر شهيدين**) (رواه الطبراني).

23- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لن يبرح الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**) (رواه مسلم).

24- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرم عليه النار**) (رواه الأربعة).

25- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل الصائم القائم الدائم الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع ، وتوكل الله تعالى للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة**) (متفق عليه).

والله أعلم بمن يجاهد في سبيله: تنبيه على أهمية الإخلاص والصدق .(5/8156)

قال ابن العربي: (والمعنى فيه أنه بما يدخل على قلب العدو من الهم الدائم والغيظ اللازم يكون عمله دائما وسائر الأعمال تدركها الفترات (الضعف و الإنقطاع).

26- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**مثل المجاهد في سبيل – والله أعلم بمن يجاهد – كمثل الصائم والقائم الخاشع الراكع الساجد**) (رواه النسائي).

27- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه ، ورجل في غنيمة في رأس شعفة من هذا الشعف ، أو بطن واد في هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير**) (رواه مسلم).

28- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**عصابتان من أمتي أحرزها الله من النار ، عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام**) (رواه النسائي).

29- عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها ، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال : (**كذبوا الآن جاء القتال ، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على**

الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة .) (رواه الطبراني).

30- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**موضع سوط أحدكم في الجنة خي من الدنيا وما فيها، وقرأ: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)** (رواه الترمذي).

31- (**من راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة**) (رواه ابن ماجة).

32- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل في سبيل الله من نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لو الزعفران وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خراج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء**) (رواه أبو داوود).

33- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أفضل الجهاد من عقر جواده و اهريق دمه**) (أخرجه أحمد).

34- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**) (أخرجه أحمد).

35- عن رسول الله ﷺ أنه (**كان يأخذ الوبرة من جنب البعير من المغنم فيقول: مالي فيه إلا مثل ما لأحدكم منه ، إياكم و الغلول فإن الغلول خزي على صاحبه يوم القيامة ، أدوا الخيط والمخيط وما فوق ذلك ، وجاهدوا في سبيل الله تعالى القريب والبعيد في الحضر والسفر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، إنه لينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم ، وأقيموا حدود الله في القريب والبعيد ، ولا يأخذكم في الله لومة لائم**) (أخرجه عبد الله بن أحمد).

36- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم ، فقال: المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ قال: فيستفتح لهم ، فيقيلون فيها قبل أن يدخلها الناس**) (أخرجه الحاكم).

37- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**) (أخرجه أبو داوود).

38- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضة التي فيها فقالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوق عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**) (أخرجه البخاري).

39- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك**) (رواه مسلم).

40- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة ، فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى استأذن رسول الله ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة**) (رواه الترمذي) .

41- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الشجر والحجر ، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله ، هذا**

يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود). (رواه سلم) .

42- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لا يجتمعان في النار ، مسلم قتل كافرا ثم سدد وقارب ، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله و فيح جهنم ، ولا يجتمعان في قلب عبد مؤمن الإيمان والحسد**). (رواه النسائي وأحمد) .

43- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا ليستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**) (رواه أحمد وابن ماجة).

44- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف**) (رواه أحمد).

45- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: لا أجده ، قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك**) (رواه البخاري).

46- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره**) (رواه البخاري).

اختلف العلماء في العزلة والبعد عن الاختلاط وأكثر العلماء قالوا: أن الاختلاط أفضل بشرط السلامة من الفتن ، وهذا هو رأي الشافعي ، فقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يختلطون بالناس ، وهذا حال جماهير الصحابة والتابعين والزهاد ، فيحصلون بالاختلاط منافع شهود الجمعة والجماعة وعيادة المرضى وحلق الذكر ، وفي الحديث الصحيح: عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**).

وقال قسم من العلماء: العزلة خير من الاختلاط خاصة في الفتن والحروب بين المسلمين.

47- (عن أم حرام رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: **أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا** ، قالت: قلت: يا رسول الله أنا فيهم ، **قال: أنت فيهم** ، ثم قال النبي ﷺ: **أول جيش من أمتي يغزون قيصر مغفور لهم** ، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: **لا**) (رواه البخاري)

والحديث من معجزات النبوة.

48- (عن البراء قال: جاء رجل من بني النبيت –قبيل من الأنصار – فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل ، فقال النبي ﷺ عمل هذا يسيرا وأجر كثيرا) (رواه مسلم).

49- (عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف ، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى: آنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل) (رواه البخاري).

50- (حدث النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفته فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (التوبة:19)) (رواه مسلم).

51- عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والروم ملصقوا

ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل على العدو ، فقال الناس: مه مه ، لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أمولنا ونصلحها و فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد . قال أبو عمران: (فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية).

وفي الترمذي: فضالة بن عبيد بدل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

(أخرجه أبو داوود).

- **رعاية أسر المجاهدين والشهداء:**

1-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج**) (رواه مسلم). الخارج: الغازي أو المجاهد في سبيل الله

2-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة ، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**) (رواه الطبراني).

3-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو أن تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينا ، أو أن تطرد عنه جوعا ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه يمضيه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل**) (رواه الطبراني).

4-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**) (متفق عليه).

5-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم و المرأة**) (صححه الحاكم)

6-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت موقها فاستقت له به ، فسقته إياه ، فغفر لها به**) (رواه البخاري).

7-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه ، التقوى هاهنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) (رواه الترمذي).

8-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره يوم القيامة**) (متفق عليه)

9-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه دينا ، أو تطرد جوعا ، ولأن امشي مع أخ في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرا ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة تتهيا له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ، وأن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**) (أخرجه الطبراني).

حرمة نساء المجاهدين:

1-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أو كلما نفرنا في سبيل الله تخلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس منح إحداهن الكثبة من اللبن؟!! والله لا أقدر على أحدهم إلا نكلت به**) (رواه أحمد).

2-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في**

أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة ، فقيل له: قد خلفك في أهلك فخذ من حسناته ما شئت ، فيأخذ من عمله ما شاء ، فما ظنكم) (رواه مسلم).

من أنواع الجهاد:

1-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أهج قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل**) (متفق عليه).

2-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**أهج المشركين فإن روح القدس معك قاله لحسان**) (متفق عليه).

3-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائز**) (رواه الترمذي).

لأن مجاهد العدو متردد بين رجاء وخوف ، وصاحب السلطان إذا أمره بمعروف تعرض للعذاب والموت أحيانا ، فهو أفضل من جهة غلبة الخوف ، ولأن ظلم السلطان يسري إلى جم غفير ، فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير ، بخلاف قتل كافر.

والسلطان: من له سلاطة وقهر.

4-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه**) (رواه أحمد).

ومن الجهاد باللسان فتوى العلماء في وجوب الجهاد خاصة عندما تخالف هوى السلطان ، فهنا تكون الفتوى شديدة على النفس ، لأنها قد تكلف العالم وظيفته أو عنقه ، ولذا لا يستفتي في أمور الجهاد إلا الصادقون العالمون العاملون.

قال ابن تيمية في فتاوى الكبرى (185/4): والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم ، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا أي يشترط في الذي يفتي في أمور الجهاد: أن يكون قادرا على الاستنباط مخلصا ، وأن يعرف طبيعة المعركة وأحوال أهلها.

5-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم و ألسنتكم**) (رواه أحمد).

إذا أطلق الجهاد فهو قتال الكفار بالسلاح حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

بأموالكم: بتجهيز الغزاة ، وأنفسكم : بالقتال بالسلاح ، بألسنتكم: بهجو الكافرين والإغلاظ عليهم ، ولا يعارض هذا مطلق النهي عن المشركين لئلا يسبوا المسلمين .

وجاء في الحاشية: بأن تخوفوهم وتوعدوهم بالقتل والأخذ والنهب وغير ذلك ، وبأن تذلوهم وتذلوهن وتسبوهم إذا لم يؤد ذلك إلى سب الله تعالى ، وبأن تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة ، وللمسلمين بالنصر والغنيمة ، وبأن تحرضوا الناس على الغزو ونحو ذلك.

والآن الجهاد باللسان: بأن تظهر الجهاد كذلك بأنصع صورة ، وبدر عنه الحملة الإعلامية مما نراه من الحملات المسعورة على الجهاد الأفغاني ، وأن تقف دون تشويه الجهاد أو حرق شخصياته أو الإساءة إلى رموزه ، وترد على المثبطين والمعوقين والمخذلين والمرجفين.

6-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها**) (رواه النسائي).

سئل ابن تيمية: لو ضاق المال عن إطعام جياع والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياع كما في مسألة التترس (اعتصام

الكافرين ببعض المسلمين عند القتال) وأولى ، فإن هناك نقتلهم بفعلها وهنا يموتون بفعل الله.

7-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**قاتل دون مالك حتى تحوز مالك أو تقتل فتكون من شهداء الآخرة**) (رواه أحمد).

8-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**من أتي عند ماله فقوتل فقاتل فقتل فهو شهيد**) (رواه ابن ماجة).

قال ابن جرير: هذا أبين بيان وأوضح برهان على الإذن لمن أريد ماله ظلما في قتال ظالمه ، والحث عليه كائنا من كان ، لأن مقام الشهادة عظيم ، فقتال اللصوص والقطاع مطلوب ، وتركه من ترك النهي عن المنكر ، ولا منكر أعظم من قتل المؤمن وأخذ ماله ظلما.

9-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها**(وفي رواية:**والراتع فيها – و المداهن فيها –**) **كمثل قوم استهموا من الماء على سفينة – في البحر – فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها و أوعرها ، فكان الذي** وفي رواية – **الذين – في أسفلها إذا استقوا من الماء فمروا على من فوقهم – فتأذوا به** . وفي رواية **فكان الذي في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها ، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا .. فقالوا: لو خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا** (وفي رواية: **ولم نمر**

على أصحابنا فنؤذيهم) فأخذ فأسا فيجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي ، ولا بد من الماء ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (رواه البخاري).

10- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لك بها سبعمائة ناقة مخطوطة في الجنة**) (أخرجه أبو نعيم).

11- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**نعم أن يموت الرجل دون حقه**) (أخرجه أحمد).

فإنه يموت شهيدا كما مر في الأحاديث الماضية وهذا شهيد الآخرة ، أما نحن فنعامله معاملة الميت العادي نغسله ونكفنه ونصلي علي أي كثواب الشهيد مع التفاوت تبين الشهادتين والثوابين.

12-عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**إن من أمتي أقواما يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر**) (أخرجه أحمد)

أي إن الله يثيب جماعة من المسلمين تاتي متأخرة كما يعطي الصحابة الذين نصروا الإسلام وأسسوا مجتمعه.

تعريف الرسول ﷺ الجهاد بأنه القتال:

13-عن عمرو بن عنبسة ﷺ قال: (**قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال إن يسلم قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان ، قال: وما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، قال: فأي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة ، قال: وما الهجرة ، قال: أن تهجر السوء ، قال فأي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد ، قال وما الجهاد؟ قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده و اهريق دمه ، قال رسول الله ﷺ: وثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبروره أو عمرة**)(أخرجه أحمد).]اهـ[1]

- **مبررات القتال ودوافعه:**

عن أبي موسى ﷺ قال، سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (أخرجه الخمسة).

وعن أبي هريرة رضي لله عنه قال: إن رجلا قال يا رسول الله : رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا ، فقال:

---

[1] (الذخائر العظام : ج1- 276/252) .

(لا أجر له ، فأعادها ثلاثا كل ذلك يقول لا أجر له) (رواه أبو داوود).

الآيات:

1- ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ (البقرة: 193).

2- ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (الصف: 9)

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾

(الصف:8)

3- ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾.

4- ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾.

إن هذا الدين جاء إعلانا عاما للبشرية كافة يؤذن المجال عمله هو الإنسان – كل إنسان – في الأرض – كل الأرض – ومن ثم فإن الجهاد ضرورة حتمية تلازمه كلما أردنا أن نبلغه للناس أو ننشره في ربوع العالمين ، لأنه سيقف في وجهه العقبات الكبرى التي يقوم عليها كيان الجاهلية.

سيقف في وجهه عقبات كأداء : سياسية واجتماعية واقتصادية وعرقية وجغرافية ، ولا يمكن لدين جاء لينقذ البشرية أن يقف مكتوف اليدين يبلغ باللسان ويدع للجاهلية السلاح والسنان ، لأن الجاهلية نفسها ستتحرك لتحمي كيانها و تجتث الإسلام من الجذور.

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ...﴾.

وسواء تحركت الجاهلية أم لم تتحرك فلا بد للإسلام أن ينطلق بحركته الذاتية التي لا بد منها لقانون التدافع ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾.

إن قانون التدافع بين الحق والباطل هو الذي يحفظ الحياة الصالحة ، وإلا أسنت الحياة وتعفنت ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ ، يعني إن لم تحصل الموالاة بين المؤمنين ، والجهاد ، والهجرة في سبيل الله يعم الشرك الأرض.

وقانون التدافع : هو التفسير الإسلامي للتاريخ والأحداث ، إن الإسلام لم يأت ليكون دين الجزيرة العربية فحسب ، أو ليكون دين

العرب فقط ، ثم بعد ذلك يقبع في أرجاء الجزيرة يدافع عن حدودها ويحمي أطرافها، إن رسول الله ﷺ بعث للأحمر والأسود.

إن الجهاد ضرورة لحماية الشعائر ، وحفظ الفرائض التعبدية وأماكن أدائها (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره...).

فالتمكين في الأرض ضرورة حتمية وفرض لازم لحماية العبادة (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة..).

لقد بلغت الجرأة بأعداء الله أن يعلن أتاتورك تحويل مسجد أياصوفيا إلى متحف ، ويمنع الأذان بالعربية ، ويمنع الصلاة أمام الناس ، ويفرض السفور على كل امرأة تتعامل الدولة أو تدرس في مدارسها!!

ولقد وصل الصلف بعبد الحكيم عامر أن يوزع على خطباء المساجد أن يمتنعوا عن الكلام على فرعون سيدنا موسى!!

وبلغ الغرور بالنصيري حافظ الأسد { رئيس سوريا } أن يعلن الحكم بالإعدام عقوبة على من ثبت أنه من الإخوان المسلمين!!

ووصل الاستهتار والسخرية بالقيم عند أحدهم أن يؤسس نوادي للعراة يسميها (صفر في الأخلاق!)!!

ويعلن جمال سالم { أحد أعوان الرئيس المصري عبد الناصر } هزأه بالقرآن الكريم ، فيطلب من الأستاذ الهضيبي أن يقرأ الفاتحة معكوسة.

ويصرح حمزة البسيوني { رئيس استخبارات عبد الناصر في مصر } قائلا لمن استغاثوا بالله أثناء التعذيب : (لو جاء الله لوضعته في الزنزانة)!!

إنها مهزلة مضحكة قاتلة أن يقول قائل: إن وظيفة الإسلام أن يقف واعظا لأمثال هؤلاء ينصحهم باللسان ولا شأن له بالسنان ، لأنه لا إكراه في الدين!!

لا بد للإسلام من البيان باللسان ، وإزالة الحواجز أما دعوته بالسنان.

نعم لا إكراه في الدين بعد تحطيم العقبات التي تحول دون وصول الإسلام إلى الناس ، وتمنع دخول الناس في هذا الدين ، وتعبدهم لغير رب العالمين. وإن الحق يأبى الحدود الجغرافية ، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافيا ، فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة ويقول لها: ما بالكم تقولون إن القضية الفلانية في هذا الجانب من الجبل أو النهر ، وهي باطل إذا تعدت هذا الشاطئ الآخر.

إن وظيفة الجهاد الإسلامي تتخلص في ثلاث نقاط:

1-نشر الدعوة الإسلامية – وهذه أهمها وأساسها –.

2-حماية دار الإسلام التي يقيمها لتكون منطلقا لدعوته ومحضنا آمنا لفكرته.

3-إنقاذ المستضعفين في الأرض.

﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ (النساء:75).

إن قيمة الأرض ذاتها ؛ أنها ليس لها قيمة ولا وزن في نظر الإسلام إلا إذا ساد فيها منهج الله ، وحكمتها شريعته ، وهيمن عليها دينه.

يقول الشهيد سيد: (إن الأرض تعتبر قيّمة في المنهج الإسلامي عندما تكون محضنا للعقيدة ، وحقلا للمنهج ، ودارا للإسلام ، ومنطلقا لتحرير الإنسان ، وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج ، ولكنها ليست الهدف النهائي ، وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي ، وإنما هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ، ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها ، وإلى النوع الإنساني هو موضوع هذا الدين ، والأرض هي مجاله الكبير.

إن مكة – وهي التي تضم البيت العتيق ويكن حبها في قلبه صلى الله عليه وسلم ــ تترك إذا أقفرت من أن تنبت خضرة أو تعطي ثمرة ، إن الجهاد في الإسلام لا يمكن أن يكون دفاعا عن بقعة أرض أو عن عرق أو قومية إنه دفاع عن الدعوة والعقيدة التي يجب أن تعم الأرض كلها ، وعن الدين الذي يريد الله أن يظهره على كله ، إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء ، فالإسلام ليس نحلة قوم ولا نظام وطن ،

ولكنه منهج إله ونظام عالم ، ومن حقه أن يتحرك لتحطيم الحواجز بين الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية الإنسان في الاختيار.

إن الإسلام دين واقعي يواجه فساد التصور والمعتقدات بالآيات البينات ، ويقابل قوة الجاهلية والسلطان بالقوة والحركة والسنان).

ولا بد من الانتباه إلى بعض النقاط الهامة على الطريق الجهاد:

الطريق إلى الجهاد:

1-إن الطريق إلى الجهاد لنشر دين الله في ربوع العالمين لا بد أن يبدأ بدعوة صريحة للتوحيد الخالص ، ولتوضيح لا إله إلا الله في النفوس ، وتوحيد الربوبية (المعرفة والإثبات) ، وتوحيد الله بأفعاله بأن نثبت له الوحدانية في الرزق والأجل والإحياء والإماتة والقدرة.

2-توحيد الأسماء والصفات فنثبت لله الأسماء الحسنة والصفات العليا، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، كما ورد في الكتاب والسنة. دون اشتقاق أسماء جديدة لله عز وجل فلا نقول أن الله جابر مع أن اسمه الجبار ، فلا نسمي عبد الجابر ، ولا نقول يا ساتر لأن صفته الواردة في السنة هي (الستير).

وهذه الدعوة هي جماع دعوة الرسل صلوات الله وسلمه عليهم.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:25).

وتبدأ هذه الدعوة إلى التوحيد منذ اللحظة الأولى بتجمع الناس عليها، وعندما يتجمع حولها مجموعة من الناس ، يضحكون من أجلها ، ويعيشون في سبيل إعلائها ، تتحرك الجاهلية من حولهم لسحقها وسحقهم ، فتقوم المعركة بين الحق والباطل ، فيسقط على الطريق أناس ، ويفتن أناس ، ويستشهد أناس ، ويصبر أناس يحملون اللواء والنبراس ، وهؤلاء ينصرهم الله ويمكن لهم في الأرض ، ويجعلهم ستارا وأداة لنصرة شريعته.

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف:110).

لا بد من البحث عن قطعة أرض مناسبة يقام عليها دين الله ، وعلى الدعاة أن يركزوا جهودهم وجهادهم عليها حتى يأذن الله لهم بالنصر ، ويفتح عليهم بالغلبة ، هذه الأرض تكون دارا للإسلام ، ومن طلقا لدعوته، و محضنا لفكرته ، ومناخا صالحا لنبتته ، ولذا لا بد من وضع النقاط على الحروف في هذه القضية:

1 – إن سكوت الجاهلية عن الحق ومهادنته لهو أمر خلاف سنة الله في الحياة ، وعكس قانونه في التدافع ، فإن كان هنالك سكوت فهو أمر عارض ولوقت محدود.

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (البقرة:210).

إنه يستحيل على النفس أن تعيش طويلا في مجتمع فاسد دون أن تتحرك لإزالته وتغييره.

2– إن نصر الله لا يتنزل إلا بعد طول البلاء وشدة المحنة.

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة:215).

فالذين ينتظرون أن يتنزل النصر عليهم وراء مكاتبهم وهم جالسون على مقاعدهم ، هؤلاء لا يدركون سنة الله في المجتمعات ولا قانونه في الدعوات.

إن الأفغانيين قد قدموا حتى الآن بين مليون إلى أكثر من مليون ومائتي ألف شهيد ، ولم يصلوا إلى نصر دين الله بعد ، ولم يتمكنوا من إقامة شرعه في الحياة.

3- إن الصبر الطويل على ظلم الجاهلية وكبت الأنفاس الحارة من أن تخرج من الأعماق ، والزفرات من أن تفرج عن الصدور ، أقول إن الصبر الطويل قد يظنه البعض مفيدا للدعوات ، ولا يعلمون أنه قاتل للنفوس ، خاصة إذا صاحبه هلع شديد ، وحذر بالغ يصل إلى حد الهوس ، وجبن خالع يؤدي إلى الموت البطيء التدريجي.

إن الغير تكبت أولا ، ثم تذوي ، ثم تضمحل ، ثم تموت ، فإذا ماتت تحول الإنسان إلى جثة هامدة لا تنكر منكرا ولا تعرف معروفا ، أو كما جاء في الحديث (إنه لم يتمعر – أي يحمر – وجهه يوما غضبا لله).

يرى الجبناء أن الجبن عقل   وتلك خديعة الطبع اللئيم

إن الصبر الطويل على المنكرات وأنت غارق في سريتك القاتلة يؤدي إلى الإستئناس يوميا بالجاهلية الطاغية، وأخيرا يؤدي إلى الإلفة التي تمسخ الفطرة ، وتعكس النظرة (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا

معروفا) ، إن الإلفة التي تقتل الحس الإسلامي في القلب هو الداء الذي يصيب كثيرا من الدعاة الصامتين ، بل أكثر من ذلك يؤدي إلى اختلاف الدعاة وتمزق العاملين على هذا النهج ، (لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فواكلوهم و شاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم) ، ثم تلا ﷺ الآية ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة 78).

وقال : (**كلا لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ويلعنكم كما لعنهم**).

بل وصل الأمر لأكثر من ذلك ، حيث يوسم الذي يغار على الحرمات ويصدع بالحق بالتهور و الاندفاع ، ويوصف الساكت بالتزام والإتزان !!.

قال لي أحد الدعاة : لقد مكثت في مكتب سنتين مع موظف آخر لم يعرف اتجاهي خلالها، فقلت : إذن لم تتكلم خلال السنتين كلمة واحدة عن الحق الذي تحمله بين جوانحك!!

ترى لو فعل الصحابة كما يفعل كثير من الدعاة السريين اليوم، هل تظنون أن الإسلام خرج من حدود مكة ؟!

لو سكت بلال، وراوغ ياسر وسمية واستسلم ظاهرا عثمان بن مظعون ، وقبل أبو بكر بشرط ابن الدغنة - الذي أجار أبا بكر بشرط ألا يرفع صوته في القرآن لأن صوته مؤثر بابناء الحي من قريش – أقول لو سكت هؤلاء أمام طغيان الجاهلية وجبروتها ، فإن الإسلام لا يمكن أن يخرج من بطحاء مكة ويتجاوز الحروراء.

إن إصبع بلال التي تشير إلى السماء، وهو تحت العذاب الشديد مرددا : أحد.. أحد .. لهو زلزلة للكفر من أعماقه ، وهز لشجرة الجاهلية من جذورها.

إن الدعوات لا تنتصر في مراحلها الأولى إلا (بصوت الروح) لا بصوت العقل كما يقول مالك بن نبي. إن مرحلة العقل هي مرحلة تالية لمرحلة (صوت الروح) التي تدفع للبذل وتحرك التضحية.

إن صوت العقل يقول لبلال : أخدع أمية ابن خلف ، وقل له أنا على دين اللاة والعزى. وفي الليل تعال إلى مُحَّد ﷺ قائدك الحقيقي و واليك ورائدك وقل له: لقد ضحكت على أمية وخدعته فحسبني معه وتركني وشأني.

ولكن الدعوات لا تنتصر بهذه الكياسة والسياسة. إنها تنتكس وتتحطم إذا لم يوجد من يغذيها بالدماء، ويبنيها بالجماجم والأشلاء.

لقد أصبح الدعاة يرددون على ألسنتهم : هذا عاطفي ، وهذا طيب و وهذا مندفع ، وكأن هذه الصفات التي يقوم عليها الجهاد الحقيقي أصبحت معرة وملامة في أنظار الذين لا يعلمون سنن الدعوات ..

لا بد من السرية في بادئ الأمر و ولا بد من الحذر أثناء الطريق، ولا بد من ضبط النفوس أثناء المسيرة. ولكن السرية في دعوة الرسول ﷺ كان لها وقت قصير سرعان ما تجاوزته إلى الإعلان ، والحذر لا بد منه مع النفير ، (**خذوا حذركم فانفروا**) ، ليس الحذر الذي يؤدي إلى الشلل والجزع والموت.

وضبط النفس أثناء المسيرة ليس عن إعلان العقيدة وتوضيح المبدأ، فهذا شيء لم يضبط أحد من الصحابة نفسه عنه.

إن عرض الدعوة وإشهار الدين كان ديدن كل مسلم بعد أن نزل قول الله تعالى : (**قم فأنذر**) ، إن الصبر له حدود ، والصمت له مدى ، و إلا مسخ الفطرة وقتل الغيرة .

4- إن المعركة مع الجاهلية بالسلاح والسنان لا تمكن إلا إذا سبقتها معركة البيان واللسان ، وإن التضحية بالنفس والجود بالروح في أرض القتال لا يكون إلا بعد بذل الوقت والمال.

إن الذين يعجزون أن يسيروا أمتارا ، سيهلكون إذا حاولوا قطع الأميال .

إن الذين ينتظرون من حفنة من الضباط أن يقيموا لهم دين الله في الأرض وهم يصدرون لهم الأوامر لهم أثناء معافسة الأولاد والنساء والانشغال بِعَدِّ الأموال وتسجيل العقارات ، هؤلاء يظنون أن إقامة المجتمعات وتغيير النفوس والأشخاص والقلوب وبناء الأرواح وصقلها يتم بهذه السهولة وبهذا الرخص من التضحية !!

5- إن المعركة والجهاد في سبيل الله هي التي تفرز القيادات، وتبرز الرجال من خلال التضحيات.

إن قدر أبي بكر بين المسلمين بحيث أن انتخابه كان بشبه إجماع ، لم يأت مصادفة ولا اعتباطا ، وإنما أبرزت أبا بكر الأحداث وميزته التضحيات ، ورفعته المواقف والمحن والملمات ، ولذا قال عمر يوم تبوك ، بعد أن جاء بنصف ماله، ورأي أن أبا بكر قد جاء بماله كله، وقال لرسول الله ﷺ عندما سأله : ماذا تركت لأهلك ؟ قال: (تركت لهم الله ورسوله) ! عندها قال عمر : ما تسابقت أنا وأبو بكر في مسألة إلا سبقني أبو بكر .

ولم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية، ولا للاشتراك في قائمة مرشحين ، لأن قدره كان قد برز أثناء المسيرة ، وعلى طول الطريق، فلم يعد بحاجة إلى شراء الضمائر بالأموال ، ولا إلى تضليل النفوس ببريق الإعلام وتلميع الأعمال.

إن المجتمعات الراكدة كالماء الراكد ، لا يطفو عليها إلا العفن والطحالب والأشنات. فقيادة المجتمعات الراكدة التي لا تتحرك للقتال

تطفو متعفنة فاسدة ، وأما المجتمع المجاهد فإنه كالماء المتحرك والنهر الجاري، يأبى أن يحمل العفن أو أن يطفو على وجهه الخبث.

كيف يمكنني أن أسوي بين إنسان عادي تاجر أو صاحب مال ، يأتي من السعودية أو دول البترول ، ليقدم ماله بيده ، ويقدم زكاته بنفسه إلى المجاهدين ويطلع على أحوالهم، كيف أسوي بينه وبين داعية يحضر إلى باكستان لأداء امتحان في جامعة من جامعاتها ، ويمكث شهرا أو شهرين انتظارا لموعد مناقشة الماجستير، أو النظر في أمر تسجيله في الجامعة ؟ دون أن يخصص أسبوعا للمجاهدين !!

أنا أقول في نفسي : إن هذا الداعية لم يعد في نفسه أية حرقة على هذا الدين، وأية غيرة تدفعه للاهتمام بأمر المسلمين، ولا يمكن لقلبي أن يصدق أن هذا من الدعاة . بل إن ذلك الإنسان العادي أفضل بكثير من هذا الداعية الذي طال عليه الأمد فقسى قلبه ، وأرجو أن لا يكون من الفاسقين فإن (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .] اهـ . [1]

---

[1] (الذخائر العظام : ج1/ 653-657) .

انتهى كلام شيخنا الشهيد أكرم الله نزله ، وجمعنا به مع الرفيق الأعلى في عليين . (مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .



الفصل التاسع
وصايا .. وردود .. ومبشرات

- أولا :وصايا ومحاذير:

1-حذار من ترك مراقبة النية والإخلاص والمحاسبة على الدوام .

2-حذار من إهمال زرع العقيدة الجهادية بتفاصيلها في قلوب المجاهدين وعقولهم .

3- حذار من إهمال التربية المتكاملة وخاصة العبادية الشرعية والأخلاقية السلوكية.

4-حذار من تكفير المسلمين بالباطل ، وحذار من الجري وراء تكفير المعيّنين.

5-حذار من الخلط بين مجالات جهاد السلاح والسنان ومجالات جهاد الحجة والبيان.

6-حذار من مواجهة علماء السلطان وضلاّل قيادات الصحوة بغير الحجة والبينة.

7-حذار من عدم الاحتياط الشديد في دماء المسلمين أثناء قتال الكافرين والمرتدين.

8-حذار من إهمال أحكام الجهاد، وآدابه وأخلاقيات الإسلام مع

العدو والصديق.

9-حذار من كل ما يجعل المقاومة والمجاهدين يخسرون الرأي العام للمسلمين.

10-حذار من استهداف المحايدين في هذه المواجهة ولو كانوا كفارا .

11- حذار من تحويل سرايا دعوة المقاومة إلى تنظيمات مركزية هرمية.

12-حذار من إصدار بيانات منهجية أو إعلامية من قبل أي سرية من سرايا المقاومة باسم دعوة المقاومة الإسلامية العالمية . فهذا لمكتب الإرشاد المركزي فقط.

13-حذار من الإنتماء إلى مؤسسات الإحتلال أو الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله ، باسم مصلحة الدعوة ومقاومة الإحتلال أو الطواغيت.

14-حذار من الجهاد المكشوف المتمركز في جبهات مفتوحة ، أو مجالات محددة ، إلا اضطرارا ، ما لم تسقط قوة أمريكا العسكرية وتنتهي هيمنتها ، وخاصة الجوية.

15-حذار من التهاون في أمن الاتصالات بكل أشكالها الهاتفية واللاسلكية والإنترنيت..

16-حذار من حب الإشاعة وإفشاء الأسرار، وإهمال شعار المعرفة على قدر الحاجة.

17-حذار من ترك فريضة القتال وخداع النفس بالتحريض عليها

فقط.

18-**حذار من الانشغال بالجدليات والمعارك الفكرية مع المسلمين . وخاصة خارج دائرة المواجهة.**

19-**وعليكم بتقوى الله تعالى في السر والعلن ، فإن خير الزاد التقوى. وعليكم بحسن التوكل عليه. واللجوء إليه ، ولا تتركوا الذكر فهو الدرع الواقي ، وسبب لمعية الله. ولا تنسوا سلاح الدعاء ، فإنه أمضى أسلحتنا وهو مخ العبادة. واعلموا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.**

ثانيا : استشراف المستقبل والبشائر الواقعية والنصية :

ونحن نختتم هذا الكتاب بآخر فصوله ، نحاول تلمس أسباب النصر ، وتتبع ما يبشرنا بالنصر المحتوم على أعدائنا كما تتابعت به البشائر في كتاب الله تعالى. وفي أحاديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم. وكذلك فيما تدل عليه وقائع السياسة والأحوال في بلاد المسلمين وأعدائهم الكافرين على حد سواء. ونبتدئ بدلائل الواقع ، ونختم باستشراف المستقبل من خلال الأحاديث النبوية والآثار الشريفة مما جاء في أخبار آخر الزمان – الذي أظلنا – وآثار الملاحم والفتن وأشرط اقتراب الساعة.

قال الشيخ عبد الله عزام تحت عنوان :

مبشرات نصر الإسلام :

- **الأدلة الواقعية لانهيار الحضارة الغربية :**

لقد تسلم الرجل الغربي قيادة البشرية بعد أن خاض معركة شرسة مع الكنيسة ، وبعد أن دفع ثمنا غاليا ليحطم القيود الوثيقة التي كبلته بها ، ورأى بأم عينه زهرة ابناء مجتمعات أوروبا تحرق في الشوارع العامة

على يد محاكم التفتيش الكنسية ، ولذا سخط على الكنيسة وإلهها ، ونفض عن كاهله غبار القرون المتراكم ، وانطلق لا يلوي شيء .. لا يقبل وصاية من دين ولا من حزب ، ولا يريد أن يؤمن بشيء يغل يده ويحجر على عقله ، وحارب التفكير الديني والطابع الغيبي.

ولكن الجوعة الروحية التي كانت تشبع – نوعا ما – من خلال تردد هذا الرجل الغربي على الكنيسة ، وإيمانه بالآخرة ، ولقائه برجال الدين.

هذه الجوعة لم يعد يشبعها شيء بعد أن كفر الرجل الغربي بالكنيسة ورجالها ، فحصل الفراغ الروحي الهائل ، وحاولت أوروبا أن تقيم من العقل إلها يسد الفراغ النفسي الرهيب ، ونصبت تمثالا لإله العقل في إحدى المدن الفرنسية وهو صورة أجمل امرأة في باريس ، ودفعت بأمثال (هيجل ونيتشه) لسد الفراغ من خلال المدرسة (العقلية المثالية) ، ولكن هيهات هيهات...

وجاء (كومت) لينصب الطبيعة إلها مقام الكنيسة ، ولكن لم تكن نتيجة محاولته تختلف عن المحاولات السابقة ، وأخيرا جاء (ماركس)

ليقيم من الاقتصاد إلها يسد الفراغ ويفسر التاريخ ويحلل سير الجنس البشري .. كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع.

يقول (ليبولد فلم دانز) في كتابه(الإنسان والضمير المأسوي الممزق): (إن الإنسان المنتمي إلى عصرنا هذا لا يؤمن بشيء ، ولا يفكر ، أو أنه لم يفكر بعد ولكنه يعلم كثيرا .. إن نهاية المسيحية تشكل أيضا نهاية الأيديولوجيات الأخرى كالماركسية التي تجتاز من أجل ذلك أزمة عميقة ، وإن هذه الأزمة ليست أبدا علامة حياة بل علامة موت).

ويقول المفكر (لاموني) :(إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهلاك .. إنه في النزع الأخير ، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء ، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرها إلى الغرق). ومن هنا فإن سبب انهيا الحضارة الغربية واضح بسيط ، هو أنها قامت بلا دين ، واتخذت ربها وراءها ظهريا.

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ* لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (الرعد:33-34) يقول (برجسبون – الفيلسوف الفرنسي) : (إن فصل الدين عن العلم هو

فناء محتوم للاثنين). ويقول (برناردشو): (كنت أعرف دائما أن الحضارة تحتاج إلى دين ، وأن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك). ولقد وضع كذلك الكتاب الإنجليزي (كولن ولسون) في كتابه (اللامنتمي) أي المتمرد يده على الداء فقال: (إن حل القديس بولس يعتبر أمرا غير مقبول بالنسبة لحضارة في منتصف القرن العشرين، حضارة ذات تطور ميكانيكي عال استمر ثلاثة قرون يصاحبه فراغ كبير لا تعرف الحضارة كيف تنفقه) – أي تملأه –] اهـ .[1]

يقول (ألكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): (إن القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، إن البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه لأنها أنشئت دون اعتبار ذات الإنسان).

ويضيف (برتراند رسل) عن شقاء الإنسان فيقول: (إن حيوانات عالمنا يغمرها السرور والفرح ، على حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة ، ولكنهم محرومون من نعمتها في العالم

---

[1] (الذخائر العظام – ج1 : 756) .

الحديث ، واليوم أصبح من المستحيل على هذه النعمة ولا سعادة). ويقول (ما كنيل): (إن الحضارة الغربية في الطور الأخير من أطوار حياتها الأشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه ما هو معنوي ، وبلغ اعتداؤه – على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم – قمته ، ثم أغاص مخالبه في أمعائه فانتزعها وأخذ يموقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفي).

إن الخواء الروحي والفراغ في حياة الغرب ، وعدم وجود غاية كبرى يهدف إليها الإنسان ، والجحود بالإله الذي تفزع إليه وقت الشدة والحزن ، كل هذه أوصلت الغرب إلى المصير المؤلم ، والنهاية الأسيفة المحزنة ، إنه الشقاء والتمزق الداخلي ، والتوتر العصبي ، والفزع وشبح هول الحرب المسيطر على الأخيلة، إنه الهروب من الحياة إلى الكحول ثم المخدرات ، وأخيرا لا بد من وضع حد لهذه الحياة البئيسة التعيسة بالانتحار الذي هو إعلان عام أن الشقاء في النفس لم يعد يحتمل ، كما فعل (جاكوب مارينو ، وآرنست همنغواي ونيتشه ، وغيرهم).] اهـ .[2]

---

[2] (الذخائر العظام – ج1 : 758) .

- **مأساة الفكر الغربي:**

إن المتتبع للكتاب الغربيين ، وخاصة الكتاب الطليعيين أو رواد مسرح اللامعقول من الوجوديين ليرى العجب العجاب من القلق والضنك من خلال أسطرهم التي تفوح بالآلام وتعتصر بالأسى.

إن اليأس ، والقلق ، والاسى ، والألم ، والملل ، والعبث ، والتمزق، والمأساة والشقاء .. هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكتاب ، اقرأ إن شئت للكتاب الفرنسي (وكاميو) في مسرحيات: (الرجل المتمرد ، سوء التفاهم ، حالة الحصار ...) ، يقول (كامي) : (ينبغي ألا نؤمن بشيء في هذه العالم سوى الخمر هي الموت للعالم ، حطموا كل شيء ، يجب أن نلغي كل شيء ، الإلغاء والإطاحة هو إنجيلي). ويقول (آرثر ميللر) الأمريكي في مسرحيته (بعد السقوط): (إن أكثر الأماكن براءة في بلدي هو مصحة الأمراض العقلية ، وكمال البراءة هو الجنون). يقول (سلاكرو – الكتاب الفرنسي) : (إن الآلهة لا عمل لها إلا أن تعبث بحطام الإنسان).

واقرأ إن شئت كذلك مسرحيات (جان بول سارتر) الفرنسي (جلسة سرية ، موتى بلا قبور ، الأيدي القذره ، البغي الفاضلة ، سجناء الطونا) ، واقرأ من كتبه: (موتة الروح ، سبيل العقل ، عصر الحرية الذباب).

يقول (يونسكو) الفرنسي : (الواقع كابوس مؤلم لا يطاق) ، وطالع كتابه: (قاتل بلا أجر) ، والموت هو مشكلة المشاكل في نظر الكتاب الغربيين ، فالموت يثير الرعب لأنه واقعة فظيعة في حد ذاتها.. بل أنه يجعل كل الحياة التي سبقته عبثا وسخفا كما يقول صموئيل بكت في كتابه : (الأيام السعيدة) : فاليأس والعبث والألم والقلق هو عنوان الحياة الغربية .

يرى (هيدجر) : أن الحياة الحقة تكون في اليأس ، أما (سارتر) فيرى أن الحياة الحقة تكون فيما وراء اليأس ، بل يقول سارتر: (الإنسان في صميمه قلق).

أما نيتشه – الفيلسوف الألماني – فيرى أن الإنسان بين التسليم والتمرد ، فوجوده تمزق وسلب ، وهو العالم اللامعقول. ولا يجد

الخلاص إلا بالجنون الذي يخلصه من تعاسته الحاضرة ، ويرى نيتشه أن اليأس والقلق شرطان دائما للعظمة الإنسانية.

أما (كيرك جارد) – رائد الفلسفة الوجودية – فيقول: إن الوجود معناه أن نعاني اليأس والقلق حتما ، وإن من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الأبدية ، ولذا نجده قد حاول الإنتحار مرارا.

إن الوعي يظهر دائما في صورة القلق ، وأما اليأس فهو الحد الذي يفضي إليه ، لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكيرك جارد حتى الموت، وهناك عنوان لأحد كتبه: (الخوف والرعدة) ، وعنوان لبحث له (اليأس أو المرض حتى الموت).

هذه الملامح الرئيسية للعالم اليوم ، والتي تبرز واضحة مجسدة في معطيات كبار الكتاب والأدباء ، فوضى تأخذ بخناق العالم ، تبعثر كل ما تبقى فيه من نظام وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية ، والإنسان اليوم يرى هذا الإعصار الفوضوي المأساوي يحيق بالإنسانية ، ويدمر كيانها ، ويسحق آدميتها ، آلية طاغية عارمة حولت الإنسان إلى آلة ، وسحقت كل تجارب الروح والوجدان ، وجماعية صماء قضت على كل مطمح بالتفرد والنبوغ

والتفوق والإبداع ، واختلال رهيب بين كفي المادة والروح ، وعزلة غربية مضنية إزاء عالم أصم لا يستجيب لتوسلاته ، وسقوط وتهافت في سائر النظم والوضعية السياسية والاجتماعية والعسكرية التي تمسك بزمام العالم اليوم ، بالإضافة إلى الخوف العالمي من الدمار والحروب والقنابل الذرية وميكافيلية تضحي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.

وكلمة أوسبورن الكتاب الإنجليزي في مسرحيته (المسافر) هي خير تعبير عن حالة الإنسان الغربي: (نحن موتى مكدودون مضيعون، نحن سكيرون مجانين ، نحن حمقى ، نحن تافهون).] اهـ .[1]

- **قانون الله في المجتمعات:**

إن ناموس الله للحياة البشرية لا يخيب ولا يخطيء ، وإن قانون الله للإنسان لا يتخلف ولا يكذب ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾ (الشورى:30) ، المصائب تنتج نتيجة البعد عن منهج الله.

---

[1] (الذخائر العظام – ج1 : 759) .

الذنوب مصائب وآلام ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ (مُحَمَّد:38).

هي ثلاثة أطوار مرت بها أوربا وتمر بها كل الحضارات العلمانية المادية:

1-الهرب من الله.

2-فتح أبواب كل شيء عليها: الإنتاج والإبداع في ناحية أو نواح كثيرة.

3-طور الضمور والانحلال فالاستبدال.

لقد كانت كلمات الحرية والديمقراطية ومصلحة الأمة تحرك مشاعر الجماهير في أوروبا ، وتسير الجيوش من أجل استعمار الشعوب وامتصاص خيراتها ودمائها.

ثم حصلت الحرب العالمية الأولى والثانية ، وفقدت أوروبا حوالي ستين مليونا من زهرات شبابها في ميادين الحرب ، وانتهت الحرب ليفقد الشباب كل قيمة كان يتمسك بها ، وانتهت هذه الكلمات ، لم يعد للحياة أي معنى ، وجاء عصر الجاز .. ابتداء من سنة

(1920م) ، واستبدل الشباب بأنهار الدماء التي جرت الحرب أنها الخمر الذي أصبح المهرب الوحيد للشباب من القلق الفارغ ، وانطلق الشباب يريد أن يستمتع ويشبع بهيمية الجنس وسعاره الحيواني ، وأضحى المجتمع بحاجة ماسة إلى مستشفيات الأمراض الجنسية المريعة وبحاجة إلى علوم النفس ، ومستشفيات الأمراض العصبية والعقلية.

مصائب الفراغ الروحي:

نرى أن الفراغ والخواء الروحي أنتج ما يلي:

1-الولوغ في المشروبات الكحولية.

2-الإدمان على المخدرات.

3-الأمراض العصبية والعقلية.

4-التمرد وعدم الإنتماء إلى الحضارة.

5-الجرائم.

6-السعار الجنسي وأمراض الجنس.

7-الانتحار.

وإليك بعض الأرقام المذهلة عن أمراض الحضارة:

1- في أمريكا (في الأربعينات) عدد مدمني الخمر سنويا (42) مليون.

2- الذين يتعاطون المخدرات (سنة 1975م) (19%) من الشعب الأمريكي.

الذين يتعاطون المخدرات (سنة 1978م) (49%) من الشعب الأمريكي.

3-عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقلية في الولايات المتحدة (750) ألفا ، ويشغلون (55%) من جميع أسرة المستشفيات.

عدد من أعفتهم القوات المسلحة الأمريكية في الحرب الثانية لاضطرابات نفسية وعقلية (43%) من المجموع الذي يساوي (980) ألفا. وعدد من رفضوا الامتحانات لاختبار الخدمة العسكرية (960) ألفا).

أما السويد:

وهي من أرقى بلدان العالم من ناحية مستوى دخل الفرد والتأمينات الاجتماعية ففيها أعلى نسبة للأمراض النفسية والعقلية.

فنسبة المرضى عقليا وعصبيا ونفسيا (25%) من سكان السويد ! وتنفق الدولة (30%) من ميزانياتها على علاجهم.

ونسبة الموظفين الذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي (50%) من مجموع المخرجين.

4-أما التمرد فيكفي ما نشاهد من ظواهر (البيتلز والهيبيين).

5-أما الجرائم ففي أمريكا وحسب إحصائيات دوائرها: حصلت سنة (1975م) (110257) جريمة.

6-أما الجنس وأمراضه وسعاره فحدث عنه ولا حرج . ففي نيويورك (120829). عملية إجهاض سنة (1974م) بنسبة 1138 إجهاض ، مقابل كل 1000 ولادة ، و(67%) من المجهضات غير متزوجات.

وفي نيويورك (1.200.000) شاذ جنسيا ، أجريت في جامعة (لو أنجلس/ كاليفورنيا) إحصائية للشاذين جنسيا من الجنسين في الجامعة فكانت النسبة (84%).

وقد كان عدد المستشفيات المخصصة للأمراض الجنسية في الولايات المتحدة (652)، وهذا يفوق جميع المستشفيات لجميع الأمراض عدا السل.

ونقل المودودي رحمه الله عن دائرة المعارف البريطانية أنه في الأربعينات كان (90%) من الشباب الأمريكي مصابا بالزهري ، وقد كنت أحتفظ في جيبي بصورة لأحد الشباب الأمريكي عمره في الحادية والعشرين تزوج جدته وعمرها (77) سنة ، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلس!

وقد صرح الرئيس كندي سنة (1962 م) أن (85.7%) من الشباب الذين يتقدمون للجندية غير صالحين ، لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية.

إن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات ، الأمر الذي سيجعلهم عاجزين عن القيام بالمهام الملقاة على عواتقهم.

- **الانهيار في الشرق الشيوعي:**

أما الشرق الشيوعي الملحد فحدث ولا حرج من حيث:

1- كبت الحريات ، وتكميم الأفواه ، وإحصاء الأنفاس ، وأجهزة المراقبة على البيوت ، وشقاء الإنسان بين فكي الجوع والإرهاب.

2-الإنهيار الاقتصادي وفقد الأقوات من السواق رغم أن جميع دماء الناس وعرقهم يصب في جيوب الطغمة الحاكمة.

فالإتحاد السوفيتي {البائد } كان يستورد من أمريكا سنويا (1508) مليون طن من القمح ، وفي رومانيا كان العجز في الميزانية سنة (1967م) (215) مليون جنيه إسترليني ، وإنتاج العامل في رومانيا بمقدار (33 % –50 %) من إنتاج العامل الإيطالي والفرنسي.

وكانت نتيجة الاستفتاء الذي أجراه (دوبتشك) سكرتير الحزب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا: أن (90%) من الشعب يحبذون إلغاء الحزب الشيوعي من الحكم ، لأن الحزب: أناني ، جبان ، وأصحابه ذوو ضمائر سيئة.

وبعد قرارات لينين سنة (1917م): إخضاع الملكيات الزراعية والصناعية والتجارية والمؤسسات والبنوك والعمال ولجانهم ، حصل التدهور الاقتصادي الكبير ، حيث انهار الإنتاج إلى (20%) مما كان عليه ، وأما العملة فقد وصلت إلى (1%) من قيمتها التي كانت عليها قبل الثورة.

3-هجرة الأدمغة ، وهرب العقول ، رغم الستار الحديدي المضروب على الناس وحرمان الفرد حتى من جواز السفر.

4-الشقاء الذي يعاني منه العمال وجميع الطبقات ما عدا سدنة الحزب الشيوعي وكبار دهاقينهم الذين يستأثرون بالسلطة والمال ، وبقية الأمة محرومون من الحياة البسيطة العادية ، وهذا مما حدا بشعب الشقاء وأمة الضياع في المجتمعات الشيوعية أن تتجه إلى الكحول بنهم عجيب لم يشهد التاريخ له مثيلا ، وذلك تسرية لأحزانهم ونسيانهم لهمومهم وشقائهم .إن شجرة المادية بفرعيها الغربي النفعي العلماني ، والشرقي الإلحادي تتآكل اليوم وينخر بها السوس من كل طرف وجزء من كيانها.

لقد بدأ العفن منذ أيام الأولى لأنها قامت على غير أساس ، بنيت غير هدي. لقد أراد زارعها الغربي أن يتحدى طبيعتها وفطرتها، وظن أنه يستطيع أن يغير صبغتها فيزرعها بلا ري ، وأراد أن يغرس الموز في بلاد الإسكيمو ، والصنوبر والتفاح في خط الاستواء ففشل فشلا ذريعا ، وذهب جده وكده أدراج الرياح ، وراح جهده هباء منثورا ، لأنه تحدى إرادة الله وناموسه فقهر.

لقد زرع الغربي حضارته بعيدا عن الله ، وخنق فيها الروح منذ اللحظة الأولى ، فولت ميتة بلا روح ، مادية بلا حياة ، لا يجري الدم في عروقها.

ولدت الحضارة الغربية مشلولة الدماغ ، وظن الغربي أنه يستطيع علاج هذا الشلل ، ولكن كلما تقدم الزمان ومرت الأيام يبين الشلل في الأعضاء والعطل في جميع الأنحاء.

إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي) ، ولكنني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر ، هذا مع تأكيدي – والله أعلم – أن الشجرة بفرعها ستذوي ، وليس زمن سقوطها نهائيا بعيدا لأنها سنة الله ، ﴿ **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**﴾ (يونس: 13). ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ (يونس:81).

سنة الله وناموسه يمضي على كل حضارة ، إن القانون يجري على المجتمعات والحياة والأحياء : ﴿اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (فاطر:43).

لقد استكبر الإنسان الغربي في الأرض واستعلى ، ومكر السيئات، وأظهر الفساد في البلاد ، فجنى حصاد ما زرعت يداه ، (وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ).

جنى الشوك والشقاء ، والقلق وبالبلاء ، وحصد من بذور الشك شوكا ، وأنتج من بذور الهجر لله ندما و خسارا ، وألما وبوارا ، وضياعا وحيرة وانتحارا.

أقول: إنني ألمح الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سنا وأصغر عمرا ، أراه يلوي على نفسه ويتدلى بسرعة ويفقد بقية الحياة فيه اللحظة تلو اللحظة ، ولذا فإنني أتوقع أن يكون انهيار الشيوعية – الفرع الشرقي – أسرع والله أعلم ، لأن بقية نسمات الحرية في الفرع الغربي ، بقية الأقلام التي ما زالت تنتقد وتحذر ، بقية العقول التي لم توضع في داخل الطوق الحديدي ، مازالت تشير إلى النهاية الرهيبة ، بقية الأفواه المكممة ما زالت تصيح وتنذر من الهوة المهلكة التي ستسقط فيها البشرية.

فأوروبا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير ، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية ؟ ، وأي حضارة هذه

التي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإسلام ، دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجا وإماما. ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة:3) ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران:101) .

يقول شبنجلز:

(إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك ، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية).

وهنالك نصوص في الكتاب والسنة تؤيد هذه النتيجة وتثبت هذه الحقيقة.] اهـ .[1]

- **المبشرات النصية التي تبشر بانتصار الإسلام والمسلمين في الكتاب والسنة :**

هنالك نصوص كثيرة تطمئن النفس وتؤذن أن الإسلام سيتقدم لإنقاذ البشرية كلها إن شاء الله.

---

[1] (الذخائر العظام – ج1 :760).

أ. **ففي الكتاب العزيز:**

1-﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:32- 33).

قال الشافعي: (ليظهرن الله دينه على الأديان حتى لا يدان الله إلا به وذلك متى يشاء الله). فلا بد إن شاء الله أن يعم هذا الدين الأرض ليظهر على الدين كله ، لا بد أن يبدد هذا النور ظلمات الجاهلية التي عمت الأرض ، لا شيء إلا لأنه دين الله الذي يشبع الروح ، وينسجم مع الفطرة ، وترتاح له النفس ، ويستقر به الضمير ، وكما بين الله عز وجل في مبررات سيادته وانتشاره أنه الهدى ودين الحق ، ولذا لا جرم أن الحق ثابت والباطل زاهق.

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:18).

2- والحق أصيل في الأرض والنفس ، والباطل دخيل لصيق في الأرض والنفس كذلك.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم:24- 25).

3-والحق نافع يبقى ، والباطل زبد زائل: ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ** ﴾ (الرعد:-17).

ب. **أما بشارات النبوة فهي كثيرة جدا وإليك بعضها:**

1-روى ثوبان ﷺ قال: قال ﷺ : (**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**) (رواه الترمذي).

2-قال ﷺ: (**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك بيت مدر ولا وبر إلا أخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل . عزا يعز الله به دين الإسلام وذلا يذل به الكفر**) (رواه أحمد).

3-عن أبي قبيل قال: (**كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذا سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: (مدينة هرقل تفتح أولا)، يعني قسطنطينية**) (رواه أحمد).

4-قال ﷺ: (**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت**) .

هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدين سيعود لينقذ الإنسان المعذب ، ويأخذ بيده من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق ، سيطهره ويريحه ويقدم إليه إنسانيته التي فقدها ، سيجد الإنسان أنه ولد من جديد ، يتذوق السعادة والطمأنينة ، ويشعر أنه مخلوق كريم إن شاء الله. وهناك حديث رواه البزار بسند صحيح وهو قريب في لفظه من الحديث الرابع: (**إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله ﷻ . ثم يكون ملكا عضا فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله ﷻ ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض ، يرضي عنها ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئا إلا أخرجته**).

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أن نهاية اليهود في فلسطين ، وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم، حتى يقول الشجر والحجر: (**يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله**).

وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصحيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السابع: (**أنتم شرقي النهر وهم غربيه**) ،

ويعقب رواي الحديث فيقول: ولم نكن نعرف أين الأردن من الأرض يومذاك.

فهذا يعني أن المنطقة قبل المعركة الفاصلة لا بد أن تكون محكومة بالإسلام ، ويهيمن الإسلام على الجندي والقائد والحاكم والمحكوم ، بدليل أن الشجر والحجر سينادي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.

وقد جاء الروايات تشير إلى أن رجوع المسلمين إلى الله ، واستسلامهم لشرعه ، وجهادهم في سبيله ، عندما تكون الفتن تبدأ في الأرض المباركة حيث تكون الجماعة المسلمة، وحيث يقوم فسطاط المسلمين.

ففي رواية الإمام أحمد وأبي داوود: (**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابهم ولا ما أصابهم من لأوائه حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله**: **وأين هم؟ قال**: **ببيت المقدس و أكناف بيت المقدس**). الحديث قسم منه في الصحيحين وبقية الحديث جاء من روايات عديدة في غير الصحيحين.

وقد عقد البيهقي بابا في سننه عنوانه: باب إظهار دين النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأديان (ج9/177) ، وقد قال الشيخ سعيد

حوى (إن هذا الدين سينتصر ، ولا بد أن ينطلق من فوق أرض صلبة يتمثل فوقها هذا الدين حيا واقعيا ، وهذه الأرض التي تمثل شمال أفغانستان مع تركستان الشرقية والغربية إسمها (طوران) وقد أخرجت الأتراك الذين حكموا العالم الإسلامي خمسة قرون بالإسلام، ومن أرض أفغانستان خرج محمود الغزنوي الذي حكم الهند وحطم سامونانا ، ومنها خرج أحمد شاه بابا الذي حكم شرق إيران وأفغانستان والهند.

فهل يبدأ التغير من فلسطين والأرض المباركة (بلاد الشام)؟ أم يبدأ من خراسان (أفغانستان)؟ إنه في علم العليم الحكيم.(...)

وإن الغرب الممزق المعذب فيه صرخات الاستنجاد ، وإصبعه الباقية فوق سطح الماء قبل الغرق الوشيك تتوسل بالشرق أن يتقدم بدينه لينقذها.

<u>يقولا (سولجنستين) – الروائي الروسي –: (إن الطريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربي المعاصر هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة مهيمنة على مصير الإنسان ، وهي التي تحدد له قيمه ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعية ، وكذلك الإيمان بوجود</u>

قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر ، وهي تعلو على كل اعتبارات الحرية الفردية التي لا تحدها حدود)

ألا ترى معي أن سولجنستين يشير إلينا أن نتقدم له هذه الشريعة الربانية التي تنقذه ولو رغم أنفه ، وتجره إلى السعادة كارها أو راضيا؟

وهذا (دياسيكييه) المفكر الفرنسي يرشح الإسلام كمنقذ وحيد للبشرية فيقول: (إن الغرب لم يعرف الإسلام أبدا ، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه ، ولم يكف عن الإفتراء عليه والتنديد به لكي يجد المبررات لقتاله ، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام ، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لا بد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان).] اهـ .[1]

(1) (الذخائر العظام – ج1: 765) .

- **ما أشبه اليوم بالبارحة:**

دين الله يحارب في بلاده ، وتشن عليه معارك يعرفها العام والخاص، والدعاة إلى الله يشردون ويسجنون ويقتلون ويرسفون في الأغلال على يد ابناء جنسهم الذين يلهجون بلغتهم وهم من جلدتهم.

ولكن الغرب يفرق من مستقبل هذا الدين ، الغرب بشقيه الصليبي والإلحادي الشرقي ، أضف إليه الخوف الرعيب الذي ترتجف منه أوصال الصهيونية العالمية من التيار الإسلامي في المنطقة ، وهي تحذر وتنذر وتصرخ وتخطط لمواجهة المد الإسلامي المقبل.

يقول **بن غوريون**: (**نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة ، إنما نخشى الإسلام ، وهذا المارد الذي نام طويلا وبدأ يتململ في المنطقة ، إني أخشى أن يظهر مُحَّد جديد في المنطقة**).

ويقول **جب** في كتابه (wither Islam) (جهة الإسلام) :

(**إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة ، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى**

الإستزابة في أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين).] اهـ .[1]

- **المبشرات الواقعية في الواقع الحياة:**

يتسم النصف الأخير من القرن العشرين برجوع خاشع قانت إلى الله. رجوع النفوس الظامئة لري هذا الدين ، أوبة الذين يئسوا من كل أنظمة الأرض ، فالإنسان أصبح آيسا من كل التجارب البشرية.

لقد فشلت الرأسمالية بديمقراطيتها ، وانهارت الليبرالية بفروعها ، كفر الإنسان بكل ما قدمه الفلاسفة الغربيون ، لم تستطع الطبيعة أن تملأ الفراغ الذي خلفه دين الكنيسة بعد أن نابذته العناد والعداء ، ولم يفلح ماركس في حل لغز الإنسان ، ولم يسد جوعته لمعرفة سره وطياته وأعماقه.

لقد سقطت الأنظمة جميعا لأنها اصطدمت بفطرة الإنسان.

لقد كفر الإنسان بالفلسفة وفلاسفتها ، وبالآراء ومفكريها ، لقد فقد الإنسان الغربي والشرقي أي هدف يتعلق به في الحياة لم يعد

---

[1] (الذخائر العظام – ج1: 767) .

للبشر مثل أعلى يتعلقون به ويبذلون من أجله ، ولم يعد الغربي يردد على لسانه أثناء أزماته وملماته: يا الله ، ولم يعد يفزع لإله ولا كنيسة ولا للمسيح فتراكم الشقاء على قلبه.

ومن هنا فهذا الإنسان الحائر اليائس القلق الذي ليس له هدف ، لا يعرف لماذا يعيش ، كما جاء في إحصائية في أمريكا جوابا على سؤال: ما هدفك في الحياة؟ فأجاب (80%) لا أدري. (20%) قالوا: لجمع المال.

ومن هنا بدأ المفكرون في الغرب ينادون بالرجوع إلى الدين ، لقد ظهر في إحصائية للحزب الشيوعي الإيطالي أن (70%) منهم يترددون على الكنيسة.

الشيوعية الذي أنكر الله والأديان ضغطت عليه مشاعره المكبوته وفطرته المسحوقة المغمورة بالمكابرة والعناد فاضطرته إلى العودة إلى الكنيسة ليردد وراء القسيس ألحانه ، لقد زار الباب يوحنا الثاني في يونيو حزيران سنة (1979م) مسقط رأسه بولونيا التي حكمت بالشيوعية منذ نيف وثلاثين عاما فكتب الصحف الغربية (الأيام التسعة التي هزت العالم) ، لم تعد رحلة الأوديسا التي قام بها على

مدى تسعة أيام مجرد فصل مثير في تاريخ البشرية ، بل أصبحت أكبر مجابهة في الأزمة الحديثة بين القوى الملحدة والمشاعر الإيمانية العارمة.

وتقول عجوز كاثوليكية في فرصوفيا – بولونيا –: (إننا دولة كاثوليكية منذ ألف سنة ، وسنظل هكذا على الدوام).

إن الحنين إلى الله منغرز في أعماق الفطرة البشرية لن تمحوه أدوات إرهاب ولا وسائل إغراء ، إن اللجوء إلى الخالق صبغة الله التي صبغ الناس عليها ، وفطرته التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

أما في العالم الشرقي الذي كان يحكم بالإسلام ، والذي خطط لابنائه أن يظلوا بعيدين عن الله وعن دينه ، والذين رسم لهم أن يكفروا بكل تفكير غيبي خاصة المثقفين منهم ، حيث ظن الغرب أنه سيخرج أجيالا علمانية شهوانية لا أخلاقية ، حتى افتخر (زويمر) في بداية هذا المؤتمر العالمي للتبشير في القدس سنة (1933م) حيث قال:

(إن مهمتكم إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاقية التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، إنكم أعددتم شبابا في بلاد الإسلام لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، وبالتالي جاء

النشء الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار ، لا يهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك).

يقول زويمر: (إن السياسية الاستعمارية لما قضت منذ سنة (1882م) على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام ، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية ، ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا للدين ولا للوطن حرمة).

ويقول (هاملتون جب) المستشرق الإنجليزي في كتابه (جهة الإسلام) سنة (1932م): (إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظاهر حياته).

هذا ما كان الغرب يتوقعه من الأجيال القادمة ، ولقد عادوا يفركون أيديهم فرحا أن رأوا مجموعات من خريجي جامعاتهم لا يعبأون بدين ولا يهتمون بخلق ولا قيمة ، ولكنهم يمكرون ويمكر الله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30) .

﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النمل:50-51) .

لقد أنفقوا أموالهم ، وأحكموا خططهم ، ودبروا مكائدهم لإخراج جيل لا ديني – علماني – ، توقع سادته أن يكون سحق الإسلام في المنطقة على يده وأقاموا الجامعات ، وفرضوا الاختلاط ، وأقصوا الصادقين – حملة القيم والأخلاق – عن كل المراكز الحساسة ، وقربوا دعاة الإباحية والإلحاد والعلمانية والفساد إليهم ، ونصبوهم قضاة وسادة ، وأقاموا حولهم الهالات ، ونفخوا في الأقزام حتى أضحوا عمالقة في أعين الرعاع والدهماء ، ولكن هل كان لهم الذي أرادوا ؟ هل أُقصي الإسلام نهائيا عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع؟ نعم لقد جنوا بعض الثمرات النكدة لجهودهم المضنية ، ولكن إلى حين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:36) .

لقد عادت المدارس التي خططوا لها تدفع بالأفواج إلى الله، عاد الجيل آيبا خاشعا متبتلا صادقا إلى ربه.

لقد أضحت الجامعات التي سهروا على منهاجها و ظنوها مراكز التدمير ، أضحت تقدم نماذج من الشباب الصادق الملتزم الذي يضحي بكل شيء من أجل عقيدته ودينه.

لقد أصبحت الجامعات كبلاط فرعون يربي فيه موسى عليه الصلاة والسلام ليهدم بيده عرش فرعون ، ويسحب البساط من تحت رجليه.

لقد بطل السحر وألقي السحرة سجدا ، وقالوا آمنا برب هارون وموسى ، وقالوا لفرعون بعد تهديدهم بالقتل: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه:272)

لم يعد سحر الحضارة الغربية يخدع الأبصار ويأخذ بالألباب ، فلقد تفتحت أعين الجيل على نور الإسلام ، وانفتحت بصائرهم لتقبل الحق ، وبطل السحر وبان الزيف ، بعد انبلاج الحق وسطوع نوره على القلوب والنفوس.

حيثما تتوجه الآن في الكرة الأرضية تجد رجوعا إلى الله ، ونفوسا متعطشة للدين حتى تستظل بفيئه بعد أن أضناها لفح الهاجرة ، وأرهقها طول المشي في التيه.

أما في الشرق الذي كان دارا للإسلام يتحاكم إلى شريعته ، ثم أقصي عن دينه تدريجيا رغبا ورهبا ، فإنك تجد النفوس الآن مصممة على طريق الله مهما يكن الثمن باهظا ، طالما صفقت هذه النفوس للحضارة المادية الغربية التي أفلست.] اهـ .[1]

لقد كنت في القاهرة أيام إعداد الدكتوراة سنة (1971م) ، وكان في جامعة القاهرة – التي تعد حوالي مائة وعشرين ألفا – طالبة واحدة فقط ترتدي اللباس الشرعي ، اليوم وبعد مضي بضع سنوات نرى العجب العجاب في الجامعة نفسها ، إذ أن عدد اللواتي يرتدين اللباس الشرعي يفوق (15.000) فتاة ، وبينهن مجموعات تعد بالألوف ممن ينتقبن – أي يغطين وجوهن بالنقاب – ، وترى مثل هذه الأعداد في جامعة الإسكندرية ، وسر إلى جامعة أسيوط والمنيا

[1] (الذخائر العظام – ج1 :770).

وهكذا دواليك في أنحاء العالم العربي والإسلامي تجد الشباب الذي يبحث عن تراثه ودينه يتلمس الطريق إلى ربه.

إن الكتاب الإسلامي هو أكثر الكتب رواجا في الأسواق ، لذا فقد أقبل أصحاب المطابع عليه – حتى أصحاب المطابع النصرانية – وقد كان دارجا على ألسنة تجار الكتب في بيروت وغيرها أنه إذا أشرف أحدهم على الإفلاس ينصحه زملاؤه قائلين:

إطبع كمية من (ظلال القرآن) لسيد قطب. لقد اكتسح الكتاب الإسلامي السوق ، وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن .

لقد أضحت مكة المكرمة هي قبلة الشباب فعلا – عدا عن الصلاة – فرحلاتهم ونزهاتهم وقضاء أوقات العطل الرسمية تكون عمرة إلى البت العتيق ، ودعاء عند الحجر الأسود والملتزم وزيارة للمسجد النبوي وقبر الرسول ﷺ.

وكذلك التحول الكبير من الأحزاب القومية والعلمانية الشيوعية إلى الحركة الإسلامية ، كما يحصل الآن في المنطقة المحتلة ، وحيثما أدركك الوقت – ظهرا أو عصرا – في أروقة أية كلية في الجامعات أو

مستشفى من المستشفيات يطرق مسامعك صوت الأذان الذي يدوي بـ (الله أكبر).

لقد أصبح الفكر الإسلامي والصوت الإسلامي حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب ، وأصبح ذوو المناصب والهيئات في العالم الإسلامي يحاولون أن يتلبسون بثياب الإسلام نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإسلامية.

المظاهر الإسلامية .. الشعائر الإسلامية .. الحياة الإسلامية .. في الأفراح والأحزان ، العقيقة – ذبحة تذبح للمولود – ، اللحية ، عزل النساء عن الرجال في قاعة الدرس.

الامتناع عن تقديم الدخان في المأتم والأفراح ، والإعراض عن لبس خواتيم الخطبة خاصة الذهبية منها.

تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة المعلبات والذبح و الحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات...

التدقيق على خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول ...، وانتشار أشرطة القرآن الكريم ..، والندوات الإسلامية أصبحت من الظواهر الاجتماعية.

امتلاء المساجد بالشباب ، والرحلات في نشرة الدعوة الإسلامية، ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة.

الاعتزاز بالفكر الإسلامي ، وانتقال الشباب الملتزم بدينه من دور الدفاع إلى دور التحدي ، ونقل الفكر الإسلامي من مرحلة الاستحياء إلى مرحلة البروز والاعتزاز.

كان الذين يكتبون عن الإسلام يصورون الإسلام كأنه متهم في قفص الاتهام يدفعون عنه ، ويبررون قضايا الطلاق وتعدد الزوجات والجهاد ، فالجهاد عندهم دفاعي – أي دفاع عن حدود الجزيرة العربية وعما حولها –.

ومواجهة هذا الدين لأهل الكتاب كأنها قضية تاريخية مرت وانتهت ، ألا ترى الآن أن الإسلام بدأ يمرغ الصليبية في الوحل؟ أجل فالمسلمون الآن يعتزون بإعلان أن الجهاد إنما شرع لحماية الدعوة ونشرها في كل أجزاء الأرض لإنقاذ الإنسان من عبادة العباد إلى

عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

والجهاد ماض إلى يوم القيامة ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، وأنت تبصر مصداق هذا في الشرق الإسلامي كله كان المسلمون يتلمسون نقاط التشابه بين الإسلام والنظم المعاصرة ، ويخلعون على الإسلام كل يوم اسما جديدا ، ولونا جديد ويصبغونه صبغة تشبه الصبغة الباهتة التي سرعان ما تزول ، ففترة يطلقون على الإسلام بأنه (ديموقراطي) ، وأخرى يسمونه (اشتراكيا) ، بل أيام الغزو الهتلري للعالم كانوا يتشبثون ببعض النقاط في النازية لتلوين الإسلام بها. أما الآن فقد أضحى الشباب المسلم يبرزون الإسلام كحل لقضايا العالم المعاصر ومشكلاته ، وأيقن الشباب تهاوي الأنظمة الغربية ابتداء بالرأسمالية والديمقراطية وانتهاء الإشتراكية والشيوعية.] اهـ .[1]

انتهى النقل عن كتاب شيخنا الشهيد رحمه الله .

---

[1] (الذخائر العظام – ج:771).

مسك الختام

ونختم هذا الكتاب بمسك الختام ..

وننقل فيه طائفة من المختارات مما ورد في أهم كتب السنة من الآثار النبوية في أحوال الناس في آخر الزمان الذي أظلنا ، وأحداثه وما يكون فيه. وما ورد من أخبار الملاحم والفتن مع أعداء هذه الأمة وخاصة الملاحم مع الروم واليهود. وما ورد من الأخبار في خروج المهدي ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملأت ظلما وجورا..، وما يسبقه من إرهاصات وما يعاصره ويتلوه من أحداث. وما ورد من الآثار في علامات الساعة ، وما يسبقها من خروج الدجال ونزول عيس بن مريم عليه السلام ، وخروج يأجوج و مأجوج .. ثم آخر علامات الساعة من خروج الدابة ثم خروج الشمس من مغربها .. ثم الساعة ، نسأل الله حسن الختام في الدنيا والآخرة.

وأقدم لذلك - من أجل حسن الاستفادة من هذه المختارات - بالملاحظات والتنبيهات المهمة التالية :

1- رتبت المختارات بحيث يكون الترتيب مبتدئا بالصحيح من كتب السنة : البخاري فمسلم ، فباقي الكتب الستة ، ثم

باقي المصادر – على أصحابها رحمة الله – . وإذا تكرر الحديث في المصادر ، إكتفيت بالذي ورد في المصدر الأصح والله أعلم.

2- نقلت متن الآثار مكتفيا براويها عن النبي ﷺ ، من غير إيراد السند للاختصار . ويمكن لمن أراد أن يعود للمصادر.

3- معلوم أن الأقل مما ورد في آثار أحاديث الملاحم والفتن وأشراط الساعة في مجموع ما ورد ، هي من مرتبة الحديث الصحيح والحسن. وأن الأكثر منها مما ورد من الأحاديث التي تكلم في صحتها ، أو من الأحاديث الضعيفة. وإنما أوردتها للاستئناس بها ، وخاصة تلك التي أخبرت بأحوال حصلت ، أو تشير إرهاصات أحوالنا إلى إمكانية حصولها ، وذلك للاستئناس بها على ذمة رواتها. ولمن أراد تمحيص تلك الأحاديث أن يعود بها للمختصين بعلوم الحديث.

4- هناك آثار تتحدث عن تفاصيل وعلامات يقترب – والله أعلم – زمانها مثل أحاديث خروج الرايات السود والمهدي وملاحم الروم وقتال اليهود ... وما يسبقها ويرافقها من علامات ، وقد أوردتها ليكون المهتم بذلك على علم بها فيما لو حصلت. هناك العديد من أحاديث علامات الساعة كان مصنفا في الضعيف بحسب ضوابط علم الحديث ، ولكن ثبت

صحتها بحصول ما أخبرت به ، فليس كل حديث ضعيف لا تثبت نسبته للرسول ﷺ ، وليس كل متهم من الرواة ، لم يتفق له أن يرو بعض ما يصح من الحديث ..

5- هناك الكثير من الأحاديث التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم عن أحداث سوف تحصل ، وحصلت فعلا ، كأخبار الفتنة الكبرى ، وبعض أحداث ما تلا من دول وممالك ووقائع، كعلامات بعض الأشخاص أو الملوك وأحوالهم ، وبعض الأحداث مثل طاعون عمواس ، وفتوح الروم والفرس وغيرها ، وقتال أصحاب الوجوه كالمجان المطرقة من الترك و أخبار غزو التتار.. ، وبعض الآيات كخبر خروج النار من بركان في الحجاز ورؤية ضوئها من بصرى الشام (وقد حصلت سنة 654 هجرية وأرخ لها العلماء) ...إلخ . وللاختصار لم أورد تلك الآثار التي حصلت أخبارها فعلا – على جمالها – لكونها من معجزات النبوة ، وهي مما يقوي الإيمان .. واكتفيت بتتبع ما نستقبل حدوثه والله تعالى أعلم بصحة الأخبار وبموعد حصولها لو صحت.

6- الذي لا أشك فيه ختاما – والله أعلم – أننا قد دخلنا زمان الملاحم والفتن ، وإرهاصات الكثير من وقائع تلك الأخبار ، مما يعطي العلم بهذه الآثار أهمية كبرى ، للاستئناس بهديه

ﷺ ، والحرص على النجاة. واللحاق بطائفة الغرباء القابضين على دينهم ، الظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ما يرضيه. والتصبر بما أخبر عنه رسول الله ﷺ من أحوالهم ومآلهم وما يلاقونه ، وما أعد الله لهم من الجزاء ، جعلنا الله وإياكم منه بمنه وفضله وكرمه ، إنه سميع مجيب.

وقد بوبت لتلك المختارات – مع الحفاظ على تقديم ما ورد في الصحاح والسنن في كل باب – بحيث تشتمل على الأبواب التالية :

(1) – فساد الأحوال آخر الزمان.

(2) – فساد أكثر العلماء في آخر الزمان.

(3) – غربة الصالحين في آخر الزمان.

(4) – علامات الساعة.

(5) – خروج المهدي وعلاماته ، وأخبار الرايات السود ، وملك القحطاني.

(6) – الملاحم مع الروم.

(7) – خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام.

(8) – خروج يأجوج مأجوج.

وإلى تلك الأحاديث الشريفة وما يلحق بها من الأخبار والآثار ..

جولة مع مختارات من الأحاديث والأخبار والآثار
الواردة في أحداث آخر الزمان
وما يكون فيه من الملاحم والفتن وعلامات اقتراب الساعة

روى الإمام مسلم في صحيحه عن شقيق عن حذيفة قال : **ثم قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .**

وروى ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن أخطب قال : **ثم صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم صعد المنبر فخطب حتى عملا الظهر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى عملا العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا .**

(1) – فساد الأحوال آخر الزمان وبلاء المؤمنين فيه:

البخاري :

- 6652 عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (ثم يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله أي ما هو قال القتل القتل) .
- 1777 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ثم إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها).

صحيح مسلم :

- 6673 عن حذيفة بن اليمان يقول : (ثم كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم . قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت:

فما تأمرني إن أدركني ذلك . قال: أفطر جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) .

- 6675 عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة قال : (ثم حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان ولا أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما رده على الإسلام وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا) .
- 6696 عن حذيفة بن اليمان قال : (ثم إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون) .
- 6697 عن حذيفة قال : (ثم إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان) .

- 6699 عن سعيد بن المسيب قال أخبرني أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة) وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.
- 2889 عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : (ثم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها وعشرون عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا مُحَّد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم وعشرون عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) .
- 2905 عن نافع عن بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: (ثم ألا إن الفتنة ههنا ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان) .
- 2905 سالم بن عبد الله بن عمر يقول : (ثم يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الفتنة تجيء من ها هنا

وأومأ بيده نحو المشرق حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل له وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) .

- عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء) .
- 2908 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل فقيل كيف يكون ذلك قال الهرج القاتل والمقتول في النار.
- 2948 معاوية بن قرة رده إلى معقل بن يسار رده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثم العبادة في الهرج كهجرة إلي).

سنن الترمذي :

- 2168 عن أبي بكر الصديق أنه قال : (ثم أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) .

- 2177 عن رجل عن طاووس عن أم مالك البهزية قالت : (ثم ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها قالت قلت يا رسول الله من خير الناس فيها قال رجل في ماشيته يؤدي حقها ويعبد ربه ورجل آخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه) .
- 2188 عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .

سنن أبي داوود :

- 4242 عن عمير بن هاني العنسي قال سمعت عبد الله بن عمر ثم يقول : (كنا قعودا ثم رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل يا رسول الله وما فتنة الأحلاس قال هي هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا

نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) .

- 4244 عن نصر بن عاصم عن سبيع بن خالد قال : (ثم أتيت الكوفة في زمن حسنة تستر أجلب منها بغالا فدخلت المسجد فإذا صدع من الرجال وإذا رجل جالس تعرف إذا رأيته أنه من رجال أهل الحجاز قال قلت من هذا فتجهمني القوم وقالوا أما تعرف هذا هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ فقال حذيفة إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر فأحدقه القوم بأبصارهم فقال إني قد أرى الذي تنكرون إني قلت يا رسول الله أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قبله قال نعم قلت فما العصمة من ذلك قال السيف قلت يا رسول الله ثم ماذا يكون قال إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه و إلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال معه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره قال قلت ثم ماذا قال ثم هي قيام الساعة) .

- 4252 عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : (ثم إن الله زوى لي الأرض أو قال إن ربي زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين

الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها وعشرون بعامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال لي يا مُحَمَّد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ولا أهلكهم وعشرون بعامة ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم لو اجتمع عليهم من بين أقطارها أو قال بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وحتى يكون بعضهم يسبي بعضا وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق قال بن عيسى ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

- 4256 عن عثمان الشحام قال حدثني مسلم بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : (ثم إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس والجالس خيرا والقائم خيرا من الماشي والماشي خيرا من الساعي قال يا رسول الله ما تأمرني قال من كانت له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه قال فمن لم يكن له شيء من ذلك قال فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده على حرة ثم لينجو ما استطاع النجاء).

سنن ابن ماجه :

- 3932 عن عبد الله بن عمرو قال : (ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس مُحَمَّد بيده لحرمة المؤمن أعظم ثم الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرا) .
- 3948 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم من قاتل تحت راية عميه يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية) .
- 3949 عن عباد بن كثير الشامي عن امرأة منهم يقال لها فسيلة قالت سمعت أبي يقول : (ثم سألت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه قال لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم) .
- 3961 عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ: (ثم إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم) .

- 3967 عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : (ثم تكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار اللسان فيها أشد من وقع السيف) .

- 3969 عن علقمة بن وقاص قال: (ثم مر به رجل له شرف فقال له علقمة إن لك رحما وإن لك حقا وإني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتتكلم عندهم بما شاء الله أن تتكلم به وإني سمعت بلال بن الحارث المزني صاحب رسول الله ﷺ يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عز وجل عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه قال علقمة فانظر ويحك ماذا تقول وماذا تكلم به فرب كلام قد منعني أن أتكلم به ما سمعت من بلال بن الحارث).

- 3973 عن معاذ بن جبل قال : (ثم كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عظيما وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ النار الماء وصلاة

الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر و عموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى فأخذ بلسانه فقال تكف عليك هذا قلت يا نبي الله وإنا المؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك أمك يا معاذ هل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم) .

• 3977 عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (ثم خير معايش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ويطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه إليها يبتغي الموت أو القتل مظانه ورجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير) .

باب بدأ الإسلام غريبا:

• 3986 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء) .

• 3988 عن أبي الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثم إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قال قيل ومن الغرباء قال النزاع من القبائل) .

باب من ترجى له السلامة من الفتن :

- 3989 عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب: (أنه ثم خرج يوما إلى مسجد رسول الله ﷺ فوجد معاذ بن جبل قاعدا ثم قبر النبي ﷺ يبكي فقال ما يبكيك قال يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول إن يسير الرياء شرك وإن من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة).
- 3990 عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ: (ثم الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة).

باب افتراق الأمم :

- 3992 عن عوف بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : (ثم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة والذي نفس مُحَمَّد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة و ثنتان وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم قال الجماعة) .

- 4001 عن عائشة قالت : (ثم بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخلت امرأة من مزينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي ﷺ يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد).
- 4019 عن عبد الله بن عمر قال : (أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثم يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا الشاة بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) .
- 4020 عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ : (ثم ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير عدا يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير) .

- 4021 عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ : ثم يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال دواب الأرض) .
- 4049 عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها فقال له صلة ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا) .
- 4054 عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : (ثم إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإسلام) .
- 4058 عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : (ثم أمتي على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم إلى

عشرين و مائة سنة أهل تراحم وتواصل ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة سنة أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج الهرج النجا النجا) .

صحيح ابن حبان :

- 6703 عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لتتبعن سنن الذين قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول اليهود والنصارى قال رسول الله ﷺ فمن).
- 6704 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويصبح كافر ويمسي مؤمنا يبيع دينه بعرض من الدنيا).
- 6706 عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ثم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا يظهر النفاق وترفع الأمانة وتقبض الرحمة ويتهم الأمين أناخ بكم الشرف الجون قالوا وما الشرف الجون يا رسول الله قال فتن كقطع الليل المظلم).
- 6715 عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة) .

- 6726 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم ليأتين زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال بحلال أو حرام) .
- 6729 عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ : (ثم خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الله أعلم أذكر الثالث أم لا ثم ينشأ قوم يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويخونون ولا يؤتمنون ويفشو فيهم السمن.
- 6754 أبو عامر وأبو مالك الأشعريان سمعا رسول الله ﷺ يقول : (ثم ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف) .
- 6760 عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد ذكر الإخبار بأن من أمارة آخر الزمان اشتغال الناس بحديث الدنيا في مساجدهم) .
- 6761 عن عبد الله قال رسول الله صلى عليه وسلم : (سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة) .
- 6767 عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لا تقوم الساعة حتى تتسافدوا في الطريق تسافد الحمير قلت إن ذاك لكائن قال نعم ليكونن).
- 6768 عن أنس بن مالك أنه قال يوما ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد بعدي سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله

ﷺ يقول : (ثم لا تقوم الساعة أو من شرائط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنى ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد).

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي :

- 1836 عن جابر عن النبي ﷺ قال : (إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكنه في التحريش بينهم) .
- 1842 عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : (لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول أو يتكلم بحق إذا رآه أو عرفه قال أبو سعيد فما زال بنا البلاء حتى صرنا وإنا لنبلغ في السر) .
- 1845 سمع أبا سعيد الخدري يذكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله جل وعلا يسأل العبد يوم القيامة حتى أنه ليقول له ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته فيقول يا رب وثقت بك وفرقت من الناس أو فرقت من الناس ووثقت بك) .

المستدرك على الصحيحين (أبو عبد الله الحاكم النيسابوري) :

- 8294 عن حذيفة بن اليمان قال : (إني لأعلم أهل دينين من أمة مُحَمَّد ﷺ في النار قوم يقولون إن كان أولنا ضلالا ما بال خمس صلوات في اليوم والليلة إنما هو صلاتان العصر والفجر وقوم يقولون إنما الإيمان كلام وإن زنى وإن قتل) . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8301 عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : (تذاكرنا فتح القسطنطينية والرومية فدعا عبد الله بن عمرو بصندوق ففتحه فقال كنا عند رسول الله ﷺ نكتب فقال رجل أي المدينتين تفتح قبل يا رسول الله قال مدينة هرقل يريد مدينة القسطنطينية) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8302 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة: (أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء قال وما إمارة السفهاء يا رسول الله قال أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي يا كعب بن عجرة الصوم جنة والصدقة تطفئ

الخطيئة والصلاة قربان أو قال برهان يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت أبدا، النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها أو قال فموبقها) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8303 عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال : (بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ورسول الله ﷺ في قبة من آدم إذ مررت فسمع صوتي فقال يا عوف بن مالك ادخل فقلت يا رسول الله أكلي أم بعضي فقال بل كلك قال فدخلت فقال يا عوف اعدد ستا بين يدي الساعة فقلت ما هن يا رسول الله قال موت رسول الله فبكى عوف ثم قال رسول الله ﷺ قل إحدى قلت إحدى ثم قال وفتح بيت المقدس قل اثنين قلت اثنين قال وموت يكون في أمتي كعقاص الغنم قل ثلاث قلت ثلاث قال وتفتح لهم الدنيا حتى يعطى الرجل المائة فيسخطها قل أربع قلت أربع وفتنة لا يبقى أحد من المسلمين إلا دخلت عليه بيته قل خمس قلت خمس وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يأتونكم على ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفا ثم يغدرون بكم حتى حمل امرأة قال فلما كان عام عمواس زعموا أن عوف بن مالك قال لمعاذ بن جبل إن رسول الله ﷺ قال لي اعدد ستا بين يدي الساعة فقد كان منهن الثلاث وبقي الثلاث فقال معاذ إن لهذا مدة ولكن خمس أظللنكم من أدرك منهن شيئا ثم

استطاع أن يموت فليمت أن يظهر التلاعن على المنابر ويعطى مال الله على الكذب والبهتان وسفك الدماء بغير حق وتقطع الأرحام ويصبح العبد لا يدري أضال هو أم مهتد) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8308 عن حذيفة ﷺ قال : (يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغرق) . هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8314 عن عمرو بن وابصة الأسدي عن أبيه قال إني لبالكوفة في داري إذ سمعت على باب الدار السلام عليكم ألج فقلت وعليك السلام فلج فلما دخل إذا هو عبد الله بن مسعود ﷺ فقلت يا أبا عبد الرحمن أية ساعة هذه للزيارة وذلك في نحر الظهيرة قال طال علي النهار فتذكرت من أتحدث إليه فجعل يحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثه قال ثم أنشأ يحدثني فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع والمضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب والراكب خير من المجري قلت يا رسول الله ومتى ذلك قال ذلك أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال اكفف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل على داري قال فادخل بيتك

قال قلت فرأيت إن دخل على بيتي قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض بيمينه على الكوع وقل ربي الله حتى تموت على ذلك) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

- 8325 عن عوف بن مالك ﵁ قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فرقة قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرمون الحلال ويحللون الحرام) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8327 قال عبد الله بن مسعود ﵁ : (إنكم في زمان القائل فيه بالحق خير من الصامت والقائم فيه خير من القاعد وإن بعدكم زمانا الصامت فيه خير من الناطق والقاعد فيه خير من القائم قال فقال رجل يا أبا عبد الرحمن كيف يكون أمر من أخذ به اليوم كان هدى ومن أخذ به بعد اليوم كان ضلالة قال قد فعلتموه اعتبروا ذلك برجلين مرا بقوم يعملون بالمعاصي فأنكرا كلاهما وصمت أحدكما فسلم وتكلم الآخر فقال إنكم تفعلون وتفعلون فأخذوه وذهبوا به إلى ذي سلطانهم فلم يزل أو لم يزالوا به حتى أخذ بأخذه وعمل بعمله) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8331 عن أبي هريرة ﵁ قال : (أيها الناس أظلتكم فتن كأنها قطع الليل المظلم أيها الناس فيها أو قال منها صاحب شاء يأكل من

رأس غنمه ورجل من وراء الدرب آخذ بعنان فرسه يأكل من سيفه) موقوف صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8332 عن سبيع بن خالد قال : قال حذيفة ﷺ : (إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر قال قلت يا رسول الله أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله يكون بعده شر كما كان قبله قال نعم قلت يا رسول الله فما العصمة من ذلك قال السيف قلت وهل للسيف من بقية قال نعم قال قلت ثم ماذا قال ثم هدنة على دخن قال جماعة على فرقة فإن كان لله عز وجل يومئذ خليفة ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع و إلا فمت عاضا بجذل شجرة قال قلت ثم ماذا قال يخرج الدجال ومعه نهر ونار فمن وقع في ناره أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره قلت ثم ماذا قال ثم إنما هي قيام الساعة) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

- 8333 عن حذيفة ﷺ قال : (إن للفتنة وقفات وتعبات فمن استطاع منكم أن يموت في وقفاتها فليفعل) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8337 عن أبي حميد أنه سمع أبا هريرة ﵁ يقول قال رسول الله ﷺ : (لتنتقين كما ينتقي التمر من الجفنة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم فموتوا إن استطعتم) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8343 عن حذيفة ﵁ قال : (لا تزالوا بخير ما لم يكن عليكم أمراء لا يرون لكم حقا إلا إذا شاؤوا) .هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .
- 8344 عبد الله بن رافع مولى أم سلمة قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إن طالت بك مدة يوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر). هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8345 عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه ﵁ قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته يا أيها الناس توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار أو قال خياركم من شراركم فقال رجل من الناس بم يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهود بعضكم على بعض) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8346 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (سيكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف إلعنوهن فإنهن ملعونات لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمهم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم فقلت لأبي وما المياثر قال سروجا عظاما) .هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8348 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه ذكر الفتنة فقال : (إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه شيء منه يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقسم له بالله إنك لذيت و ذيت فيرجع ما خلى من حاجته بشيء وقد أسخط الله عليه) . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
- 8349 عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (والذي بعثني بالحق لا تنقضي هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف قالوا ومتى ذلك يا نبي الله بأبي أنت وأمي قال إذا رأيت النساء قد ركبن السروج وكثرت القينات وشهد شهادات الزور وشرب المسلمون في آنية أهل الشرك الذهب والفضة واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فاستدفروا واستعدوا وقال هكذا بيده وستر وجهه) .

- 8350 عن عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ قال : (جعلت في هذه الأمة خمس فتن فتنة عامة ثم فتنة خاصة ثم فتنة عامة ثم فتنة خاصة ثم تأتي الفتنة العمياء الصماء المطبقة التي تصير الناس فيها كالأنعام). هذا حديث صحيح الإسناد.
- 8351 عن أبي ثور قال دفعت إلى حذيفة وابن مسعود وهما يتحدثان في المسجد فذكروا الفتنة فقال بن مسعود : (ما كنت أرى ترتد على عقبيها لم يهراق فيها محجمة من دم وإن الرجل ليصبح مؤمنا ويمسي كافرا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا يقاتل في الفتنة اليوم ويقتله الله غدا ينكس قبله فتعلوا إسته فقال حذيفة صدقت هكذا حدثنا رسول الله ﷺ في الفتنة) . هذا حديث صحيح الإسناد .
- 8352 عن أبي هريرة ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل بين العجز والفجور فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8360 سمعت أبا موسى الأشعري ﷺ يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي

إليها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال كونوا أحلاس بيوتكم) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهكذا.

- 8365 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (يأتي على الناس زمان يجتمعون في المساجد ليس فيهم مؤمن) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8371 عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تزال الأمة على شريعة ما لم تظهر فيهم ثلاث ما لم يقبض منهم العلم ويكثر فيهم ولد الخبث ويظهر فيهم السقارون قالوا وما السقارون يا رسول الله قال بشر يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن) . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8382 عن عبد الله بن الصامت قال : (وددت أن أهلي حين تعشوا عشاءهم و اغتبقوا غبوقهم أصبحوا موتى على فرشهم قيل يا أبا فلان ألست على غنى قال بلى ولكني سمعت أبا ذر يقول يوشك يا بن أخي إن عشت إلى قريب أن ترى الرجل يغبط بخفة الحال كما يغبط اليوم أبو العشرة الرجال ويوشك إن عشت إلى قريب أن ترى الرجل الذي لا يعرفه السلطان ولا يدنيه ولا يكرمه يغبط كما يغبط اليوم الذي يعرفه السلطان ويدنيه ويكرمه ويوشك يا بن أخي إن عشت إلى قريب أن يمر بالجنازة في السوق فيرفع الرجل رأسه فيقول يا

ليتني على أعوادها قال قلت تدري ما بهم قال على ما كان قلت إن ذلك بين يدي أمر عظيم قال أجل عظيم عظيم عظيم) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8384 عن ثوبان ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لن تقوم الساعة على أمتي حتى تلحق قبائل منها بالمشركين وحتى تعبد قبائل منها الأوثان.

- 8392 عن سليم بن قيس الحنظلي قال خطبنا عمر بن الخطاب ﵁ فقال : (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي أن يؤخذ الرجل منكم البريء فيؤشر كما تؤشر الجزور ويشاط لحمه كما يشاط لحمها ويقال عاص وليس بعاص قال فقال علي بن أبي طالب ﵁ وهو تحت المنبر ومتى ذلك يا أمير المؤمنين وبما تشتد البلية وتظهر الحمية وتسبى الذرية وتدقهم الفتن كما تدق الرحا ثفلها وكما تدق النار الحطب قال ومتى ذلك يا علي قال إذا تفقه المتفقه لغير الدين وتعلم المتعلم لغير العمل والتمست الدنيا بعمل الآخرة . قال أبان وحدثنا الحسن عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال قال النبي ﷺ أخاف عليكم الهرج قالوا وما الهرج يا رسول الله قال القتل قالوا وأكثر مما يقتل اليوم إنا لنقتل في اليوم من المشركين كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس قتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضا قالوا وفينا كتاب الله قال وفيكم كتاب الله عز وجل قالوا ومعنا عقولنا قال إنه

يتنزع عقول عامة ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء) .

- 8424 عن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري قال: (أتى رجل فنادى بن مسعود فأكب عليه فقال يا أبا عبد الرحمن متى أضل وأنا أعلم قال إذا كانت عليك أمراء إذا أطعتهم أدخلوك النار وإذا عصيتهم قتلوك). وهذا موقوف صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8439 عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال تأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيهم الرويبضة قيل يا رسول الله وما الرويبضة قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8441 عن عمير بن هانئ العبسي قال سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : (كنا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن وأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل وما فتنة الأحلاس قال هي فتنة هرب وحرب ثم فتنة السرى أو السراء ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهماء لا تدع من هذه الأمة إلا لطمته لطمة فإذا قيل انقطعت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط

نفاق لا إيمان فيه فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من اليوم أو غد)
هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8443 عن حذيفة ﷺ قال : (إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن كان رأى حلالا كان يراه حراما فقد أصابته الفتنة وإن كان يرى حراما كان يراه حلالا فقد أصابته) .هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8446 عن حذيفة ﷺ قال : (تعرض فتنة على القلوب فأي قلب أنكرها نكتت في قلبه نكتة بيضاء وأي قلب لم ينكرها نكتت في قلبه نكتة سوداء ثم تعرض فتنة أخرى على القلوب فإن أنكرها القلب الذي أنكرها في المرة الأولى نكتت في قلبه نكتة بيضاء وإن لم ينكرها نكتت سوداء ثم تعرض فتنة أخرى على القلوب فإن أنكرها الذي أنكرها في المرتين الأوليين اشتد وأبيض وصفا ولم تضره فتنة أبدا وإن لم ينكرها في المرتين الأوليين أسود وارتد ونكس فلا يعرف حقا ولا ينكر منكرا). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8447 عن إبراهيم عن علقمة قال قال بن مسعود ﷺ قال لنا رسول الله ﷺ: (أحذركم سبع فتن تكون بعدي فتنة تقبل من المدينة وفتنة بمكة وفتنة تقبل من اليمن وفتنة تقبل من الشام وفتنة تقبل من المشرق وفتنة تقبل من المغرب وفتنة من بطن الشام وهي السفياني قال فقال ابن مسعود منكم من يدرك أولها ومن هذه الأمة

من يدرك آخرها قال الوليد بن عياش فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير وفتنة مكة فتنة عبد الله بن الزبير وفتنة الشام من قبل بني أمية وفتنة المشرق من قبل هؤلاء) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8448 عن حذيفة رضي الله عنه قال : (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة وليصلين النساء وهن حيض ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا يخطأنكم حتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة فتقول إحداهما ما بال الصلوات الخمس لقد ضل من كان قبلنا إنما قال الله تبارك وتعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل لا تصلوا إلا ثلاثا وتقول الأخرى إيمان المؤمنين بالله كإيمان الملائكة ما فينا كافر ولا منافق . حق على الله أن يحشرهما مع الدجال) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8459 سالم بن عبد الله بن عمر يحدث عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : (إن الله بدأ هذا الأمر حين بدأ بنبوة ورحمة ثم يعود إلى خلافة ثم يعود إلى سلطان ورحمة ثم يعود ملكا ورحمة ثم يعود جبرية تكادمون تكادم الحمير أيها الناس عليكم بالغزو والجهاد ما كان حلوا خضرا قبل أن يكون مرا عسرا ويكون تماما قبل

أن يكون رماما أو يكون حطاما فإذا أشاطت المغازي وأكلت الغنائم واستحل الحرام فعليكم بالرباط فإنه خير جهادكم).

- 8495 عن أبي الزعراء عن بن مسعود ﵁ قال: (يأتي على الناس زمان يغبط فيه الرجل بخفة حاله كما يغبط الرجل اليوم بالمال والولد قال فقال له رجل أي المال يومئذ خير قال سلاح صالح وفرس صالح يزول معه أينما زال) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8518 عن أبي هريرة ﵁ قال تلا رسول الله ﷺ : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فقال رسول الله ﷺ ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8536 عن بن أبي وائل قال قال عبد الله : (إذا بخس الميزان حبس القطر وإذا كثر الزنا كثر القتل ووقع الطاعون وإذا كثر الكذب كثر الهرج) .هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8539 عن حذيفة ﵁ قال : (يكون عليكم أمراء يعذبونكم ويعذبهم الله). صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8541 عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال : (تعلمن أنكم بحيث تختلف الإنس من بين بابل والحيرة ، تعلمن أن تسعة أعشار من الخير وعشرا من الشر بالشام ، تعلمن أن تسعة أعشار من الشر وعشرا من

الخير بسواها ، والذي نفس بن مسعود بيده ليوشكن أن يكون أحب شيء على ظهر الأرض إلى أحدكم أن تكون له أحمرة تنقل أهله إلى الشام) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8543 عن أبي سعيد ﵁ قال : (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ثم قام خطيبا بعد العصر إلى مغربان الشمس حفظها من حفظها ونسيها من نسيها وأخبر فيها بما هو كائن إلى يوم القيامة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا أن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ألا أن الغضب جمرة توقد في جوف بن آدم ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فليلزق بالأرض ألا أن خير الرجال من كان بطئ الغضب سريع الفيء وشر الرجال من كان سريع الغضب بطئ الفيء فإذا كان الرجل سريع الغضب سريع الفيء فإنها بها وإذا كان الرجل بطئ الغضب بطئ الفيء فإنها بها ألا أن خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب وشر التجار من كان سيء القضاء سيء الطلب فإذا كان الرجال حسن القضاء سيء الطلب فإنها بها وإذا

كان الرجل سيء القضاء حسن الطلب فإنها بها ألا لا يمنعن رجلا مهابة الناس أن يقول بالحق إذا علمه ألا أن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ألا وأن أكبر الغدر غدر إمام عامة ألا وإن الغادر لواؤه عند إسته ألا وأن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فلما كان عند مغربان الشمس قال إن مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها كمثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى) .

- 8548 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (لن تنفكوا بخير ما استغنى أهل بدوكم عن أهل حضركم قال ولتسوقنهم السنين والسنات حتى يكونوا معكم في الديار ولا تمنعوا منهم لكثرة من يستر عليكم منهم قال يقولون طالما جعنا وشبعتم وطالما شقينا ونعمتم فواسونا اليوم ولنستصعبن بكم الأرض حتى يغبط أهل حضركم أهل بدوكم من استصعاب الأرض قال ولتميلن بكم الأرض ميلة يهلك منها من هلك ويبقى من بقي حتى تعتق الرقاب ثم تهدأ بكم الأرض بعد ذلك حتى يندم المعتقون قال ثم تميل بكم الأرض من بعد ذلك ميلة أخرى فيهلك فيها من هلك ويبقى من بقي حتى تعتق الرقاب ثم تهدأ بكم الأرض فيقولون ربنا نعتق ربنا نعتق فيكذبهم الله كذبتم كذبتم أنا أعتق قال وليبتلين أخريات هذه الأمة بالرجف فإن تابوا تاب الله عليهم قال وإن عادوا أعاد الله عليهم بالرجف والقذف والخذف والخسف والمسخ والصواعق

فإذا قيل هلك الناس هلك الناس فقد هلكوا ، ولن يعذب الله تعالى أمة حتى تغدر قالوا وما غدرها قال يعترفون بالذنوب ولا يتوبون ولتطمئن بالقلوب بما فيها من برها وفجورها كما تطمئن الشجرة بما فيها حتى لا يستطيع محسن أن يزداد إحسانا ولا يستطيع مسيء استعتابا وذلك بأن الله عز وجل قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون المطففين) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8554 عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (إني رأيت كأن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فاتبعته بصري فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام) .هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8557 عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لا يدركني زمان أو لا أدرك زمان قوم لا يتبعون العلم ولا يستحيون من الحليم قلوبهم قلوب الأعاجم و ألسنتهم ألسنة العرب) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8566 عبد الله بن عمرو فحدثني حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ففهمته وكتبته بيدي: (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ هذا ما حدث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى لا يحب الفاحش ولا المتفحش ثم قال والذي نفس مُحَمَّد بيده لا تقوم الساعة

حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطيعة الأرحام وحتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن ثم قال إنما مثل المؤمن كمثل النخلة وقعت فأكلت طيبا ثم سقطت ولم تفسد ولم تكسر ومثل المؤمن كمثل قطعة الذهب الأحمر أدخلت النار فنفخ عليها فلم تتغير ووزنت فلم تنقص) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8572 عن عاصم بن عمرو عن أبي أمامة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثم يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قد مسخوا خنازير. وليخسفن بقبائل فيها وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة ببني فلان خسف الليلة بدار بني فلان وأرسلت عليهم حصباء حجارة كما أرسلت على قوم الفاء وأرسلت عليهم الريح العقيم فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطيعتهم الرحم قال وذكر خصلة أخرى فنسيتها) . هذا حديث صحيح على شرط مسلم لجعفر.

- 8575 عن أنس بن مالك ﷺ قال : (ثم دخلت على عائشة ﷺ ورجل معها فقال الرجل يا أم المؤمنين حدثينا حديثا عن الزلزلة فأعرضت عنه بوجهها قال أنس فقلت لها حدثينا يا أم المؤمنين عن الزلزلة فقالت يا أنس إن حدثتك عنها عشت حزينا وبعثت حين تبعث وذلك الحزن في قلبك فقلت يا أماه حدثينا فقالت إن المرأة إذا

خلعت ثيابها بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من حجاب وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها نارا وشنارا فإذا استحلوا الزنا وشربوا الخمور بعد هذا وضربوا المعازف غار الله في سمائه فقال للأرض تزلزلي بهم فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم فقال أنس عقوبة لهم قالت رحمة وبركة وموعظة للمؤمنين و نكالا و سخطة وعذابا للكافرين قال أنس فما سمعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أنا أشد به فرحا مني بهذا الحديث بل أعيش فرحا وأبعث حين أبعث وذلك الفرح في قلبي أو قال في نفسي) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

- 8577 عن أبي هريرة ﷺ قال : (ثم قد رأينا من كل شيء قاله لنا رسول الله أنه قال يقال لرجال يوم القيامة اطرحوا سياطكم وادخلوا جهنم) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8584 عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (ثم يكون عليكم أمراء يتركون من السنة مثل هذا وأشار إلى أصل إصبعه وإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى وأنها لم تكن أمة إلا كان أول ما يتركون من دينهم السنة وآخر ما يدعون الصلاة ولولا أنهم يستحيون ما صلوا). هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8591 عن الأخنف بن قيس قال : (ثم كنت بالمدينة فإذا أنا برجل يفر الناس منه حين يرونه فقلت من أنت قال أنا أبو ذر

صاحب رسول الله ﷺ قلت لما يفر الناس منك قال أنهاهم عن الكنوز بالذي كان ينهاهم رسول الله ﷺ قال قلت فإن أعطياتنا قد ارتفعت اليوم وبلغت هل تخاف علينا شيئا قال أما اليوم فلا ولكنها يوشك أن تكون أثمان دينكم فإذا كانت أثمان دينكم فدعوها وإياكم) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8600 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (ثم كنت جالسا ثم النبي ﷺ فذكر الفتنة أو ذكرت له فقال إذا الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه فقمت إليه فقلت كيف أصنع ثم ذلك يا رسول الله جعلني الله فداك قال أملك عليك لسانك واجلس في بيتك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8660 عن عمرو بن قيس سنان قال : (ثم كنت مع أبي الفوارس وأنا غلام شاب فرأيت الناس مجتمعين على رجل قلت من هذا قالوا عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل ويقرأ بالقوم الشاة ليس فيهم أحد ينكرها قيل وما الشاة قال ما أكتتبت سوى كتاب الله عز وجل. وقد رواه الأوزاعي عن عمرو بن قيس السكوني.

(**مجمع الزوائد**) لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله :

- عن عصمة بن قيس السلمي صاحب رسول الله ﷺ : (أنه كان يتعوذ من فتنة المشرق قيل له فكيف فتنة المغرب قال تلك أعظم وأعظم. رواه الطبراني وفي رواية عنده أيضا أنه كان يتعوذ في صلاته من فتنة المغرب) ورجاله ثقات .
- عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : (إنكم على بينة من ربكم ما لم سكرتان سكرة الجهل وسكرة حب العيش وأنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله فإذا حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون في سبيل الله القائلون يومئذ بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار) . رواه البزار .
- وعن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال : (ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس مرجت عهودهم وخربت أمانتهم فقال قائلنا فكيف بنا يا رسول الله قال تعملون بما تعرفون وتتركون ما تنكرون وتقولون أحد أحد انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا) رواه الطبراني في ا لأوسط وفيه من لم أعرفهم .
- وعن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق ويصدق فيه الكاذب ويخون فيه

الأمين ويؤتمن فيه الخائن ويشهد المرء وإن لم يستشهد ويحلف المرء وإن لم يستحلف ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع لا يؤمن بالله ورسوله) .رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف وقد وثق.

• عن حذيفة قال : (قلت للنبي ﷺ يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما سيدا أعمال أهل البر قال إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل قلت يا رسول الله وما أصاب بني إسرائيل قال إذا داهن خياركم فجاركم وصار الفقه في شراركم وصار الملك في صغاركم فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويكر عليكم) . رواه الطبراني في الأوسط.

• عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان : (كيف بك يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه قال ثوبان بأبي أنت وأمي يا رسول الله أمن قلة بنا قال لا أنتم يومئذ كثير ولكن يلقي في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله قال حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال . رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وإسناد أحمد جيد.

• وعن مروان بن ملحان قال كنا جلوسا في المسجد فمر علينا عمار بن ياسر فقلنا حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يكون بعدي قوم يأخذون الملك يقتل عليه

بعضهم بعضا قال قلنا له لو حدثنا غيرك ما صدقناه قال فإنه سيكون) . رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى ورجاله رجال ثروان وهو ثقة.

• وعن علي بن أبي طالب قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما صلى صلاته ناداه رجل متى الساعة فزجره رسول الله ﷺ وانتهره وقال اسكت حتى إذا أسفر رفع طرفه إلى السماء فقال تبارك رافعها ومدبرها ثم رمى ببصره إلى الأرض فقال تبارك داحيها وخالقها ثم قال أين السائل عن الساعة فجثا رجل على ركبتيه فقال أنا بأبي وأمي سألتك فقال : ذاك ثم حيف الأئمة وتصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر وحتى تتخذ الأمانة مغنما والصدقة مغرما والفاحشة زيادة فعند ذلك هلك قومك) . رواه ا لبزار وفيه من لم أعرفهم.

• وعن أنس بن مالك قال : (كانت أم سليم تداوي الجرحى في عسكر رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله لو دعوت الله لابني قال رسول الله ﷺ أنيس قالت نعم فأقعدني بين يديه ومسح على رأسي وقال يا أنيس إن المسلمين يمصرون بعدي أمصارا مما يمصرون مصرا يقال لها البصرة فإن أنت وردتها فإياك ومقصفها وسوقها وباب سلطانها فإنها سيكون بها خسف ومسخ وقذف آية ذلك أن يموت

العدل ويفشو فيها الجور ويكثر فيها الزنا وتفشوا فيها شهادة الزور).

رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم.

(**المصنف في الأحاديث والآثار**) : لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة الكوفي.

- 37181 عن أبي البختري قال : (كتب عمر إلى أبي موسى إن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياكم ضغائن محمولة ودنيا مؤثرة وأهواء متبعة وإنه ستداعى القبائل وذلك نخوة من الشيطان فإن كان ذلك فالسيف السيف القتل القتل يقولون يا أهل الإسلام يا أهل الإسلام) .
- 37193 عن شهر بن عطية عن أنس بن مالك قال : (إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت).
- 37202 عن سلمان بن ربيعة عن عمر قال : (إنها ستكون أمراء وعمال صحبتهم كفر) .
- 37207 عن يحيى بن وثاب قال قال حذيفة : (والله لا يأتيهم أمر يضجون منه إلا أردفهم أمر يشغلهم عنه) .
- 37237 عن عبادة بن الصامت قال : (أن يقل ماله أو يعجل موته فقالوا ما رأينا متمنيا محبا لحبيبه فقال أخشى إن يدرككم أمراء إن

أطعتموهم أدخلوكم النار وإن عصيتموهم قتلوكم فقال رجل أخبرنا من هم حتى نفقأ أعينهم قال شعبة أو نحثو في وجوههم التراب فقال عسى أن تدركوهم فيكونوا هم الذين يفقأون عينك ويحثون في وجهك التراب) .

- 37281 عن رجاء بن حيوة عن معاذ قال : (إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وسوف تبتلون بفتنة السراء وإن أخوف ما أتخوف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب ولبسن ريط الشام فأتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد) .
- 37347 عن طارق بن شهاب قال : (جلد خالد بن الوليد رجلا حدا فلما كان من الغد جلد رجلا آخر حدا فقال رجل هذه والله الفتنة جلد أمس رجلا في حد وجلد اليوم رجلا في حد فقال خالد ليست هذه بفتنة إنما الفتنة أن تكون في أرض يعمل فيها بالمعاصي فتريد أن تخرج منها إلى أرض لا يعمل فيها بالمعاصي فلا تجدها) .
- 37508 عن شهر بن حوشب قال : (كان عبد الله جالسا وأصحابه فارتفعت أصواتهم قال فجاء حذيفة فقال ما هذه الأصوات يا ابن أم عبد ، قال يا أبا عبد الله ذكروا الدجال و تخوفناه فقال حذيفة والله ما أبالي أهو لقيت أم هذه العنز السوداء ، قال عبد الملك لعنز تأكل النوى في جانب المسجد ، قال فقال له عبد الله لم لله أبوك ؟ قال حذيفة لأنا قوم مؤمنون وهو امرؤ كافر وإن الله

سيعطينا عليه النصر والظفر وأيم الله لا يخرج حتى يكون خروجه أحب إلى المرء المسلم من بردة الشراب على الظماء فقال عبد الله لم لله أبوك فقال حذيفة من شدة البلاء وجنادع الشر) .

- 37547 عن عمران بن مسلم عن يزيد بن عمرو : (قال إن من اقتراب الساعة أن يظهر البناء على وجه الأرض وأن تقطع الأرحام وأن يؤذي الجار جاره).
- 37548 عن أبي وائل عن عبد الله قال : (من أشراط الساعة أن يظهر الفحش والتفحش وسوء الخلق وسوء الجوار).
- 37549 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : (من أشراط الساعة أن يظهر القول ويخزن العمل ويرتفع الأشرار ويوضع الأخيار وتقرأ المثاني عليهم فلا يعيبها أحد منهم قال قلت ما المثاني قال كل كتاب سوى كتاب الله).
- حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن وعشرون بن سحبان عن طريف بن يزيد بن طريف عن أبي موسى قال إن بين يدي الساعة أياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم حتى يقوم الرجل إلى أمه فيضربها بالسيف من الجهل.
- 37569 عن عامر قال : (سئل حذيفة أي الفتنة أشد قال أن يعرض عليك الخير والشر لا تدري أيهما تتبع) .

- 37588 عن مجالد عن الشعبي قال : (لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا والجهل علما) .
- 37591 عن خرشة بن الحر قال قال عمر: (تهلك العرب حين يبلغ ابناء بنات فارس) .
- 37592 حدثنا وكيع عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم ابناء سبايا الأمم فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا .
- 37736 عن زاذان عن عليم قال : (كنا معه على سطح ومعه رجل من أصحاب النبي ﷺ في أيام الطاعون فجعلت الخنازير تمر فقال يا طاعون خذني قال فقال عليم ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت فإنه ثم انقطاع عمله ولا يرد فيستعتبه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول بادروا بالموت ستا إمرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم ونشوءا يتخذون القرآن مزامير يقدمونه ليغنيهم وإن كان أقلهم فقها).
- 37742 عن عبد الله بن عمرو قال : (إنا لنجد في كتاب الله المنزل صنفين في النار قوم يكونون في آخر الزمان معهم سياط كأنها أذناب البقر يضربون بها الناس (بغير) جرم لا يدخلون بطونهم إلا خبيثا . ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) .

- 37743 عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : (إنها ستكون أمراء تعرفون و تنكرون فمن ناوأهم نجا ، ومن اعتزلهم سلم أو كاد ، ومن خالطهم هلك.
- 37744 عن النعمان بن بشير أنه قال : (ابعثوا إلى أمله يذبون عن فساد الأرض فقال له كعب الأحبار مه لا تفعل فإن ذلك في كتاب الله المنزل أن قوما يقال لهم الأمله يحملون بأيديهم سياطا كأنها أذناب البقر لا يريحون ريح الجنة فلا تكن أنت أول من يبعث فيهم قال ففعل فقلت أنا ليحيي ما الأملة قال أنتم تسمونهم بالعراق الشرط) .

(الدر المنثور) للسيوطي :

- خرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتمِ وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه) .
- وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن فرقد السبخي قال قرأت في التوراة التي جاء بها جبريل إلى موسى عليه السلام : (ليكونن مسخ وقذف وخسف في أمة مُحَّد في أهل القبلة. قيل يا أبا يعقوب ما

أعمالهم قال باتخاذهم القينات وضربهم بالدفوف ولباسهم الحرير والذهبِ ولن تغيب حتى ترى أعمالا أزلية فاستيقن واستعد واحذر قيل ما هي قال تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساءِ ورغبت العرب في آنية العجمِ فعند ذلك . ثم قال والله و الرويثة رجال من السماء بالحجارة يشدخون بها في طرقهم وقبائلهم كما فعل بقوم لوطِ وليمسخن آخرون قردة وخنازير كما فعل ببني إسرائيلِ وليخسف بقوم كما خسف بقارون.

السنن الواردة في الفتن : (أبو عمر عثمان بن سعيد المقرئ الداني):

- عن الأوزاعي عن عمير بن هانىء أن رسول الله ﷺ قال: (ستكون فتن لا يستطيع المؤمن أن يغير فيها بيد ولا بلسان قال رجل يا رسول الله وفيهم يومئذ مؤمن قال نعم . قال وكيف بذلك يارسول الله فقال يكرهونها بقلوبهم قال فهل ينقص ذلك من إيمانهم شيئا قال لا إلا كما ينقص القطر من السقاء) .
- عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : (يكون بين يدي الملحمة فتن يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه) .
- عن عبد الرحمن بن زياد عن بعض أشياخهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس أشد ما أتخوف على أمتي الشيطان ولا الدجال ولكن أشد ما أتقي عليهم الأئمة المضلون).

- عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : (يا عبد الله بن عمرو كيف بك في حثالة من الناس إذا مرجت عهودهم ومرجت أمانتهم وكانوا هكذا وشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه قال يا رسول الله فما تأمرني قال آمرك أن تتقي الله وتأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وعليك بخويصتك وإياك والعامة).
- عن عريف الهمداني قال : (قلت لابن عمر إنا إذا دخلنا على الأمراء زكيناهم بما ليس فيهم فإذا خرجنا من عندهم دعونا الله عليهم قال كنا نعد ذلك النفاق) .
- **عن عباد بن كثير يرفعه قال قال رسول الله ﷺ : (بشر الفرارين بدينهم إيمانا واحتسابا من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية إنهم معي أو مع إبراهيم يوم القيامة كهاتين وجمع بين إصبعيه الوسطى والتي تليها).**
- عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال قال رسول الله ﷺ : (سيظهر شرار أمتي على خيارهم حتى يستخفى فيهم المؤمن كما يستخفى فينا المنافق) .
- عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها) .

الفتن لابن حماد :

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (ستكون فتن في أمتي حتى يفارق الرجل فيها أباه وأخاه حتى يعير الرجل ببلائه كما تعير الزانية بزناها) .
- عن ابن عمر رضي الله عنهما : (أنه رأى بنيانا على أبي قبيس فقال يا مجاهد إذا رأيت بيوت مكة قد ظهرت على أخاشبها وجرى الماء في طرقها فخذ حذرك) .
- **قام رجل إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه بالشام وهو يخطب فقال: (إن الفتن قد ظهرت فقال خالد أما وابن الخطاب حي فلا إنما ذاك إذا كان الناس بذي بلاء وذي بلاء وجعل الرجل يتذكر الأرض ليس بها مثل الذي يفر إليها منه فلا يجده فعند ذلك تظهر الفتن) .**
- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إن بين يدي الساعة فتنا كأنها قطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع قوم فيها خلاقهم بعرض من الدنيا يسير أو بعرض من الدنيا قال الحسن فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتهم صورا ولا عقول وأجساما ولا أحلام فراش نار و ذبان طمع يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين يبيع أحدهم دينه بثمن عنز).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (تأتيكم بعدي أربع فتن الأولى يستحل فيها الدماء. والثانية يستحل فيها الدماء والأموال.

والثالثة يستحل فيها الدماء والأموال والفروج . والرابعة صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج في البحر حتى لا يجد أحد من الناس منها ملجأ تطيف بالشام وتغشى العراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها وتعرك الأمة فيها بالبلاء عرك الأديم ثم لا يستطيع أحد من الناس يقول فيها مه مه ثم لا يعرفونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى) .

• عن أرطاة بن المنذر قال : (بلغنا أن رسول الله ﷺ قال تكون في أمتي أربع فتن يصيب أمتي في آخرها فتن مترا دفة فالأولى تصيبهم فيها بلاء حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تنكشف والثانية حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تنكشف والثالثة كلما قيل انقضت تمادت ، والفتنة الرابعة تصيرون فيها إلى الكفر إذا كانت الإمعة مع هذا مرة ومع هذا مرة بلا إمام ولا جماعة . ثم المسيح ثم طلوع الشمس من مغربها ودون الساعة اثنان وسبعون دجالا منهم من لا يتبعه إلا رجل واحد) .

• 93 عن عمير بن هانىء قال قال رسول الله ﷺ : (فتنة الأحلاس فيها حرب وهرب وفتنة السراء يخرج دخنها من تحت قدمي رجل يزعم أنه مني وليس مني إنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل ، ثم يكون فتنة الدهيماء كلما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته يقاتل فيها لا يدرى على حق يقاتل أم على باطل فلا يزالون كذلك حتى يصيروا إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا

نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجال اليوم أو غدا) .

- 115 عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هرجا بين يدي الساعة حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وابن عمه قالوا ومعنا عقولنا يومئذ قال تنزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ويخلف لها دهمياء من الناس يحسب أحدهم أنه على شيء وليس على شيء).
- 124 عن كثير بن مرة قال قال رسول الله ﷺ : (من علامات البلاء وأشراط الساعة أن تعرب العقول وتنقص الأحلام ويكثر الهم وترفع علامات الحق ويظهر الظلم) .
- 154 عن معاذ بن جبل ﵁ قال : (لن تروا من الدنيا إلا بلاء وفتنة ولن يزداد الأمر إلا شدة ولن تروا من الأئمة إلا غلظة ولن تروا أمرا يهولكم إلا حقره بعده أشد منه) .
- 156 عن عمير بن إسحاق قال : (كنا نتحدث أن أول ما يرفع عن الناس الألفة) .
- عن ابن مسعود ﵁ قال : (سمعت رسول الله ﷺ ذكر فتنة فقلت يا رسول الله متى ذلك فقال إذا لم يأمن الرجل جليسه) .

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (إذا رأيتم الدم يسفك بغير حقه والمال يعطى على الكذب وظهر الشك والتلاعن وكانت الردة فمن استطاع أن يموت فليمت).
- 501 قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (يأتي على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الأمة . أكيسهم الذي يروغ بدينه روغان الثعالب).
- 625 عن ابن مسعود قال (تكون علامة في ... ويبتدأ نجم له ذناب) .
- 679 عن عبد الله بن عمرو قال : (تكون بالشام فتنة ترتفع فيها ريساهم وأشرافهم ثم لا يأتي عليها إلا قليل حتى ترتفع فيها سفهاؤهم وسفلتهم حتى يستعبدوا ريساهم وأشرافهم كما كانوا يستعبدونهم من قبل ذلك).

(2) – فساد العلماء في آخر الزمان

البخاري:

- 100– عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ثم إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

سنن أبي داوود :

- 4336 عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : (ثم إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و شريبه و قعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ونصف بن مريم إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم و لتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا) .

- 4337 عن أبي عبيدة عن بن مسعود عن النبي ﷺ : (ثم بنحوه زاد أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم) قال أبو داود رواه المحاربي عن العلاء بن المسيب.
- 4338 عن قيس قال : (قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها موضعها عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال عن خالد : (وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال عمرو عن هشيم وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب) قال أبو داود ورواه كما قال خالد أبو أسامة وجماعة وقال شعبة فيه : (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله) .
- 4339 عن بن جرير عن جرير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ثم ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا) .
- 4341 قال أبو أمية الشعباني : (ثم سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية عليكم أنفسكم قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا

ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك يعني بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وزادني غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم).

- 4344 عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : (قال رسول الله ﷺ ثم أفضل الجهاد كلمة عدل ثم سلطان جائر أو أمير جائر).
- 4345 عن العرس بن عميرة سنان عن النبي ﷺ قال: (ثم إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها وقال مرة أنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها).

سنن ابن ماجة :

- 4006 عن أبي عبيدة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ونصف بن مريم حتى بلغ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا

منهم فاسقون قال وكان رسول الله ﷺ متكئا والحاصل وقال لا حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطرا) .

- 4015 عن مكحول عن أنس بن مالك قال : (قيل ثم يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال إذا ما ظهر في الأمم قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم قال زيد تفسير معنى قول النبي ﷺ والعلم في رذالتكم إذا كان العلم في الفساق) .

- 4016 عن الحسن عن جندب عن حذيفة قال : (قال رسول الله ﷺ ثم لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيقه) .

- 4048 عن زياد بن لبيد قال : (ثم ذكر النبي ﷺ شيئا فقال ذاك ثم أوان ذهاب العلم قلت يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه ابناءنا ويقرئه ابناؤنا ابناءهم إلى يوم القيامة قال ثكلتك أمك زياد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما).

المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم النيسابوري :

- 8356 عن أبي فراس قال عمر بن الخطاب ﵁: (ألا أيها الناس إنا كنا نعرفكم إذ فينا رسول الله ﷺ وإذ ينزل الوحي وإذ يبننا من أخباركم ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق ورفع الوحي وإنما نعرفكم بما أقول لكم ألا ومن يظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ومن يظهر منكم شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه سرائركم فيما بينكم وبين ربكم ألا وقد أتي علي زمان وأنا أحسب من قرأ القرآن يريد به الله تعالى وما عنده ولقد خيل إلي بآخره أن قوما يقرؤونه يريدون ما عند الناس ألا فأريدوا ما عند الله بقراءتكم وبعملكم ألا وإني والله ما أبعث عمالي ليضربوا أبشاركم ويأخذوا أموالكم ولكني أبعثهم ليعلموكم دينكم وسننكم ويعدلوا بينكم ويقسموا فيكم فيئكم ألا من فعل به شيء من ذلك فليرافعه إلي والذي نفس عمر بيده لأقصه منه فوثب عمرو بن العاص ﵁ فقال يا أمير المؤمنين أرأيت لو أن رجلا من المسلمين كان على رعية فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه قال وما لي لا أقصه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ألا لا تضربوهم فتذلوهم ولا تمنعوهم حقهم فتكفروهم ولا تجبروهم فتفتنوهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

- 8412 عن أبي هريرة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: (سيأتي على أمتي زمان تكثر فيه القراء وتقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج قالوا وما الهرج يا رسول الله قال القتل بينكم ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8440 عن معاذ بن جبل ﵁ قال : (تكون فتنة يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والصغير والكبير والرجل و المرأة يقرأه الرجل سرا فلا يتبع عليها فيقول والله لأقرأنه علانية ثم يقرأه علانية فلا يتبع عليها فيتخذ مسجدا ويبتدع كلاما ليس في كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ فإياكم وإياه فإن كل ما ابتدع ضلالة).

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله.

- وعن أبي هريرة قال قال لي رسول الله ﷺ : (يا أبا هريرة لا تدخلن على أمير فإن غلبت على ذلك فلا تجاوز سنتي ولا تخافن سيفه وسوطه أن تأمرهم بتقوى الله وطاعته) . رواه الطبراني في الأوسط.

• وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: (لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه ويذكر بعظيم فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق) . روى الترمذي وابن ماجه طرفا منه رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال شيخ الطبراني .

• وعن جابر وأبي أيوب الأنصاري قالا قال رسول الله ﷺ: (ما من امرئ يخذل مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته). رواه أبو داود رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة الكوفي.

• 37206 أنبأنا هلال بن خباب أبو العلاء قال: (سألت سعيد بن جبير قلت يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس قال : إذا هلك علماؤهم) .

- 37486 عن عبد الله بن نجي عن علي قال : (كنا ثم النبي صلى الله عليه وسلم جلوسا وهو نائم فذكرنا الدجال فاستيقظ محمرا وجهه الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال أئمة مضلون) .
- 37731 عن معاذ قال : (يكون في آخر هذا الزمان قراء فسقة ووزراء فجرة وأمناء ظلمة وأمراء كذبة) .
- 37732 جدي سلمة بن قيس حدثني قال: (لقيت أبا ذر فقال يا سلمة بن قيس ثلاث قد حفظتها لا تجمع بين الضرائر فإنك لن تعدل ولو حرصت ولا تعمل على الصدقة فإن صاحب الصدقة زائد وناقص ولا تَغْشَ ذا سلطان فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا ولو أصابوا من دينك أفضل منه).
- 37733 قال حذيفة: (اتقوا أبواب الأمراء فإنها مواقف الفتن إلا أن الفتنة شبيهة مقبلة وتبين مدبرة).

السنن الواردة في الفتن:

- عن رواد عن ابن أبي صدقة اليماني قال : (يبعث بين يدي الساعة أمراء كذبة ووزراء فجرة وأمناء ظلمة وقراء فسقة أهوائهم مختلفة سيماهم سيما الرهبان ليس لهم دعة ، قلوبهم أنتن من الجيف. يلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة يتهوكون فيها تهوك اليهود الظلمة) .

- قال علي بن أبي طالب ﵁ : (يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم ...) .
- عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله عز وجل وفي كنفه ما لم يمال قراؤُها أمراءَها . ولم يزك صلحاؤها فجارها . وما لم يشتم خيارها أشرارها . فإذا فعلوا ذلك رفع الله الكريم عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفقر والفاقة وملأ قلوبهم رعبا) .
- 376 عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يزال الجهاد حلوا أخضر ما قطر القطر من السماء وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم ليس هذا زمان جهاد فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد قالوا يا رسول الله واحد يقول ذلك فقال نعم من عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

۞۞۞۞۞۞۞

(3) – غربة الصالحين في آخر الزمان:

سنن ابن ماجة :

- 4023 عن سعد بن أبي وقاص قال : (قلت ثم يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة) .
- 4029 عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم أحصوا لي كل من تلفظ بالإسلام قلنا يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة فقال رسول الله ﷺ إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا قال فابتلينا حتى جعل الرجل منا ما يصلي إلا سرا) .
- 4031 عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ثم عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) .
- 4035 عن أبي عبد ربه يقول سمعت معاوية يقول سمعت النبي ﷺ يقول: (ثم لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة).
- 4036 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق

ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة قال الرجل التافه في أمر العامة) .

- 4037 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء) .
- 4038 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لتنتقون كما ينتقى التمر من إغفاله فليذهبن خياركم وليبقين شراركم فموتوا إن استطعتم) .
- 4039 عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم) .

صحيح ابن حبان:

- 6779 عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها) .

المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم النيسابوري :

• **8465 عن أبي الأسود الدئلي سمعت عبد الله بن عمرو يقول : (يوشك أن لا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيل أو أسير يحكم في دمه)** ، فقال زرعة بن ضمرة أتظهر المشركون على الإسلام قال ممن أنت قال من بني عامر بن صعصعة قال لا تقوم الساعة حتى تدافع مناكب نساء بني عامر على ذي الخلصة قال فذكر قوله لعمر بن الخطاب فقال عبد الله أعلم بما يقول ثلاث مرات على شرط البخاري.

(4)– علامات الساعة:

البخاري:

• قال أنس قال النبي ﷺ : (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) .

• 6702 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا).

• 6704 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول

الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) .

صحيح مسلم :

- 2891 عن حذيفة قال: (ثم قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه) .

- 2894 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو) .
- 2901 عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : (ثم يتحقق النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قال نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ﷺ و يأجوج ومأجوج ثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم).
- 2909 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله عز وجل) .
- 2922 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا زفر خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

- 2940 عن عروة بن مسعود الثقفي يقول : (سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال ثم ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال سبحان الله أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوهما لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون و يكون ثم قال قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير لا يعرفون معروفا ولا ينكرون بنو فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤلون قال

ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق) .

باب قصة الجساسة :

• 2942 فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال حدثيني حديثا سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسنديه إلى أحد غيره فقالت لئن شئت لأفعلن فقال لها أجل حدثيني فقالت: .. ثم نكحت بن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ و خطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال من أحبني فليحب أسامة فلما كلمني رسول الله ﷺ قلت أمري بيدك فأنكحني من شئت فقال انتقلي إلى أم شريك وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان فقلت سأفعل فقال لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فأني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلي إلى بن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم

وهو رجل من بنى فهر فهر قريش وهو من البطن الذي هي منه فانتقلت إليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال أتدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم ارفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين

اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أي شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا له نعم قال أما إنه يوشك أن لا تثمر قال أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر قال هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال أخبروني عن عين زغر قالوا عن أي شأنها تستخبر قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة

يحرسونها قالت قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو وأومأ بيده إلى المشرق) قالت فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سنن أبي داوود :

- 4350 عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال : (ثم إني لأرجو أن لا تعجز أمتي ثم ربها أن يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد وكم نصف ذلك اليوم قال خمسمائة سنة) .

ابن ماجة :

- 4066 عن أوس بن خالد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا و تخطم أنف الكافر بالخاتم

حتى أن أهل الحواء ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر).

- 4070 عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله ﷺ : (ثم إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا).

صحيح ابن حبان :

- 6638 عن عمرو بن أخطب قال : (ثم صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم صعد المنبر فخطب حتى عملا الظهر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى عملا العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا) .
- 6700 عن أبيه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : (ثم لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج وحتى فاذا أرض العرب مروجا وأنهارا).
- 6701 عن المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ثم لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخل عليهم كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل) .

- 6842 عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة أو الخوصة).
- 6844 عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ثم والذي نفس مُحَمَّد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن ويهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا يا رسول الله وما الوعول و التحوت قال الوعول وجوه الناس وأشرافهم و التحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم) .
- 6847 عن أبي وائل عن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ثم من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد) .
- 6853 عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (ثم لا تقوم الساعة حتى تبعث ريح حمراء من قبل اليمن فيكفت الله بها كل نفس تؤمن بالله واليوم الآخر وما ينكرها الناس من قلة من يموت فيها مات شيخ في بني فلان وماتت عجوز في بني فلان ويسرى على كتاب الله فيرفع إلى السماء فلا يبقى في الأرض منه آية وتقيء الأرض أفلاذ كبدها من الذهب والفضة ولا ينتفع بها بعد ذلك اليوم ، يمر بها الرجل فيضربها برجله ويقول في هذه كان يقتتل من كان قبلنا وأصبحت اليوم لا

ينتفع بها . قال أبو هريرة وإن أول قبائل العرب فناء قريش والذي نفسي بيده أوشك أن يمر الرجل على النعل وهي ملقاة في الكناسة فيأخذها بيده ثم يقول كانت هذه من نعال قريش في الناس) .

المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم النيسابوري :

- 8309 عن ضمرة بن حبيب أن ابن زغب الأيادي حدثه قال : (نزلت على عبد الله بن حوالة الأزدي فقال لي وإنه لنازل علي في بيتي لا أم لك أما يكفي بن حوالة مائة يجري عليه في كل عام ، ثم قال بعثنا رسول الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لنغنم فرجعنا ولم نغنم وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا خطيبا فقال اللهم لا تكلهم إلي فأضعف عنهم ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم ثم قال لتفتحن الشام وفارس أو الروم وفارس حتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا ومن البقر كذا وكذا حتى يعطي أحدكم مائة دينار فيسخطها ثم وضع يده على رأسي أو على هامتي فقال يا بن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام الساعة يومئذ أقرب للناس من يدي هذه من رأسك هذا) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعبد الرحمن بن زغب الأيادي معروف في تابعي أهل مصر .

- 8317 عن واثلة بن الأسقع ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم فيأجوج و مأجوج والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الذر والنمل) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
- 8373 عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة فيصبح القوم فيقولون من صعق البارحة فيقولون صعق فلان وفلان) .هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- 8375 عن عبد الرحمن بن صحار العبدي عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل من العرب فيقال من بقي من بني فلان قال فعرفت حين قال قبائل أنها العرب لأن العجم تنسب إلى قراها) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8378 عن طارق بن شهاب قال كنا عند عبد الله بن مسعود ﵁ جلوسا فجاء آذنه فقال قد قامت الصلاة فقام وقمنا معه فدخلنا المسجد فرأى الناس ركوعا في مقدم المسجد فكبر وركع ومشى وفعلنا مثل ما فعل قال فمر رجل مسرع فقال السلام عليكم يا أبا عبد الرحمن فقال صدق الله وبلغ رسوله ﷺ. فلما صلينا رجع فولج أهله

وجلسنا في مكانه ننتظره حتى يخرج فقال بعضنا لبعض أيكم يسأله قال طارق أنا أسأله فسأله طارق فقال سلم عليك الرجل فرددت عليه صدق الله وبلغ رسوله ﷺ، فقال عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة و فشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وحتى يخرج الرجل بماله إلى أطراف الأرض فيرجع فيقول لم أربح شيئا).

- 8379 عن خارجة بن الصلت البرجمي قال: (دخلت مع عبد الله يوما المسجد فإذا القوم ركوع فمر رجل فسلم عليه فقال صدق الله ورسوله صدق الله ورسوله فسألته عن ذلك فقال إنه لا تقوم الساعة حتى تتخذ المساجد طرقا وحتى يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة وحتى تتجر المرأة وزوجها وحتى تغلو الخيل والنساء ثم ترخص فلا تغلو إلى يوم القيامة) . هذا حديث صحيح الإسناد .. ولم يخرجاه.
- 8407 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من تقى أو نهى إلا قبضته ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق كما تتناكح البهائم فإذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الأرض فأقام الساعة) .

- 8413 عن عبد الله بن عمرو قال : (يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- 8415 عن أبي غطفان قال : (سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول تخرج معادن مختلفة ، معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من شرار الناس يقال له فرعون فبينما هم يعملون فيه إذ حسر عن الذهب فأعجبهم معتمله ، إذ خسف به وبهم) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8442 عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنسان وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره بما أحدث أهله من بعده) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- 8472 عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال سفيان لا أعلم إلا قد رفعه قال قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- 8490 عن أبي سريحة الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ، ثم يمكث زمانا طويلا بعد ذلك ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة ، فينشر

ذكرها في أهل البادية وينشر ذكرها بمكة ، ثم تكمن زمانا طويلا ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله تعالى ؛ المسجد الحرام ، لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتربو بين الركن الأسود وبين باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك، فيرفض الناس عنها شتى ومعا. ويثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله ، فخرجت عليهم تنفض عن رأسها التراب فبدت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول أي فلان الآن تصلي فيلتفت إليها فتسمه في وجهه ثم تذهب، فيجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف المؤمن الكافر حتى أن الكافر يقول يا مؤمن أقضني حقي ويقول المؤمن يا كافر أقضني حقي) . هذا حديث صحيح الإسناد وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه.

- 8493 عن عطية عن بن عمرو رضي الله عنهما : (في قوله عز وجل وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض قال إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر).

- 8497 عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : (لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية قلت لو خرجت إلى الشام فتنحيت من شر هذه

البيعة فخرجت حتى قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف فجئته فإذا رجل فاسد العينين عليه خميصة وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال له عبد الله حدث بما كنت تحدث به قال أنت أحق بالحديث مني أنت صاحب رسول الله ﷺ قال إن هؤلاء قد منعونا عن الحديث يعني الأمراء قال اعزم عليك ألا ما حدثتنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال سمعته يقول إنها ستكون هجرة بعد هجرة يحتاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم و تقذرهم أنفسهم والله يحشرهم إلى النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل من تخلف قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم).

- 8515 عن ثابت عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله وحتى أن المرأة لتمر بالنعل فترفعها وتقول قد كانت هذه لرجل وحتى يكون في خمسين امرأة القيم الواحد وحتى تمطر السماء ولا تنبت الأرض) . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

• عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد لله فيه حاجة وحتى توجد المرأة نهارا جهارا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد ولا يغيره فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول لو نحيتها عن الطريق قليلا فذاك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله :

• وعن عتي السعدي قال خرجت في طلب العلم حتى قدمت الكوفة فإذا أنا بعبد الله ابن مسعود بين ظهراني أهل الكوفة فسألت عنه فأرشدت إليه فإذا هو في مسجدها الأعظم فأتيته فقلت أبا عبد الرحمن إني جئت إليك أضرب إليك ألتمس منك علما لعل الله أن ينفعنا به بعدك فقال لي ممن الرجل قلت رجل من أهل البصرة قال ممن قلت من هذا الحي من بني سعد فقال يا سعدي أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال يا رسول الله ألا أدلك على قوم كثيرة أموالهم كثيرة شوكتهم تصيب منهم مالا دبرا أو قال كثيرا قال من هم قال هذا الحي من بني سعد من أهل الرمال . فقال رسول الله ﷺ مه فإن بني سعد ثم الله ذوو حظ عظيم سل يا سعدي ، قلت يا أبا عبد الرحمن هل للساعة من علم

تعرف به ؟ قال وكان متكئا فاستوى جالسا فقال يا سعدي سألتني عما سألت عنه رسول الله ﷺ . قلت يا رسول الله هل للساعة من علم تعرف به قال نعم يا ابن مسعود إن للساعة أعلاما وإن للساعة أشراطا ألا وإن من أعلام الساعة وأشراطها :

أن يكون الولد غيظا. وأن يكون المطر قيظا. وأن تفيض الأشرار فيضا. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يؤتمن الخائن وأن يخون الأمين يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تواصل الأطباق. وأن تقطع الأرحام. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يسود كل قبيلة منافقوها وكل سوق فجارها. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أذل من النقد. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة و أشراطها .. ومؤامرة النساء يا ابن مسعود إن من أشراط الساعة وأعلامها أن يعمر خراب الدنيا ويخرب عمرانها . يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تظهر المعازف والكبر وشرب الخمور. يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة

وأشراطها أن يكثر أولاد الزنا ، قلت أبا عبد الرحمن وهم مسلمون قال نعم قلت أبا عبد الرحمن والقرآن بين ظهرانيهم ، قال نعم قلت أبا عبد الرحمن وأنى ذلك قال يأتي على الناس زمان يطلق الرجل المرأة طلاقها فتقيم على طلاقها فهما زانيان ما أقاما) . رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

• وعن عوف بن مالك الأشجعي قال قال رسول الله ﷺ : (كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة و سائرهن في النار؟ قلت ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا الغرماء الشرط. وملكت الإماء. وقعدت الحملان على المنابر. واتخذ القرآن مزامير. وزخرفت المساجد ورفعت المنابر. واتخذ الفيء دولا والزكاة مغرما والأمانة مغنما. وتفقه في الدين لغير الله. وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه. ولعن آخر هذه الأمة أولها. وساد القبيلة فاسقهم. وكان زعيم القوم أرذلهم . وأُكرم الرجل اتقاء شره . فيومئذ يكون ذلك ويفزع الناس إلى الشام وإلى مدينة منها يقال لها دمشق من خير مدن الشام فتحصنهم من عدوهم . قلت وهل تفتح الشام قال نعم وشيكا. ثم تقع الفتن بعد فتحها ، ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضا حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي فإن أدركته فاتبعه وكن من المهديين) .

- وعن أبي موسى قال : (سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد فقال لا يعلمها إلا الله ولا يجليها لوقتها إلا هو ، ولكن سأحدثكم بمشاريطها وما بين يديها ألا إن بين يديها فتنا وهرجا فقيل يا رسول الله أما الفتن فقد عرفناها فما الهرج قال بلسان الحبشة القتل وأن يلقى بين الناس التناكر فلا يعرف أحد أحدا وتجف قلوب الناس وتبقى رجراجة لا تعرف معروفا ولا تنكر ...) .
- وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يكون القرآن عارا ويتقارب الزمان وتنتقض عراه وتنتقص السنون والثمرات ويؤتمن التهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويكثر الهرج قالوا ما الهرج يا رسول الله قال القتل ويظهر البغي والحسد والشح وتختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن ويقبض العلم ويظهر الجهل ويكون الولد غيظا والشتاء قيظا ويجهر بالفحشاء وتروى الأرض دما) ..
- وعن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي ﷺ قال : (إن من أمارات الساعة أن يرى الهلال لليلة فيقال لليلتين وأن تتخذ المساجد طرقا وأن يظهر موت الفجأة) . رواه الطبراني في الصغير والأوسط .
- وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى فاذا أرض العرب مروجا وأنهارا وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

• وعنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يقترب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاحتراق الخرقة) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة الكوفي.

▪ 37232 عن يعلى بن عطاء عن أبيه قال كنت آخذا بلجام دابة عبد الله بن عمرو فقال : (كيف أنتم إذا هدمتم البيت فلم تدعوا حجرا على حجر قالوا ونحن على الإسلام قال وأنتم على الإسلام قال ثم ماذا قال ثم يبنى أحسن ما كان فإذا رأيت مكة كظائم ورأيت البناء يعلو رءوس الجبال فاعلم أن الأمر قد أظلك) .

▪ 37552 حدثنا وكيع عن سفيان عن عثمان بن الحارث عن أبي الوداك قال: (من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة) .

▪ 37556 حدثنا وكيع عن إسماعيل عن قيس قال : (أخبرت أن الساعة لا تقوم حتى تقول الحجر والشجر يا مؤمن هذا زفر هذا نصراني فاقتله) .

■ 37750 حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا حماد عن الجريري عن ابن المثنى عن أبي أمامة قال : (لا تقوم الساعة حتى يتحول شرار أهل الشام إلى العراق وخيار أهل العراق إلى الشام) .

الدر المنثور للسيوطي :

- وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﵁ أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ فقال متى الساعة فقال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال يا رسول الله وكيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر أهله فانتظر الساعة .
- وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ﵁ قال : (أتى رجل فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما السائل بأعلم من المسؤول ، قال فلو علمتنا أشراطها؟ قال تقارب الأسواق. قلت وما تقارب الأسواق قال أن يشكو الناس بعضهم إلى بعض قلة إصابتهمِ. ويكثر ولد البغي. وتفشوا الغيبةِ. ويعظم رب المالِ. وترتفع أصوات الفساق في المساجدِ. ويظهر أهل المنكر ويظهر البغاء.
- وأخرج ابن مردويه و الديلمي عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (**من أشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة الأرحام وأن يعطل السيف من الجهاد وأن ينتحل الدنيا بالدين**).

- وأخرج البيهقي في البعث والنشور عن الحسن قال قال علي: (خرجت في طلب العلم فقدمت الكوفة فإذا أنا بعبد الله بن مسعود ﵁ فقلت يا أبا عبد الرحمن هل للساعة من علم تعرب به قال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال إن من أشراط الساعة أن يكون الولد غيظا والمطر قيظاِ وتفيض الأشرار فيضاِ ويصدق الكاذبِ ويؤتمن الخائنِ ويخون الأمينِ ويسود كل قبيلة وكل سوق فجارهمِ وتزخرف المحاريبِ وتخرب القلوب ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساءِ ويخرب عمران الدنياِ ويعمر خرابهاِ وتظهر الفتنةِ وأكل الربا وتظهر المعازف والكنوز وشرب الخمرِ ويكثر الشرط والغمازون والهمازون) .
- وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال قال رسول الله ﷺ من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذ رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة ، وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، **واستخفوا بالدماء** ، واستعلوا البناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ، ويكون الحكم ضعفا ، والكذب صدقا ، والحرير لباساِ ، وظهر الجور ، **وكثرة الطلاق** ، وموت الفجاءة ، وائتمن الخائن ، وخون الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظا ، والولد غيظا ، وفاض اللئام فيضا، وغاض الكرام غيضا، وكان الأمراء والوزراء كذبة ، والأمناء

خونة ، والعرفاء ظلمة ، **والقراء فسقة إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيف وأمر من الصبر يغشيهم الله تعالى فتنة يتهاركون يمشون باختيال و بطيء فيها تهارك اليهود الظلمة** ، وتظهر الصفراء يعني الدنانير، وتطلب البيضاء ، وتكثر الخطايا ، **ويقل الأمنِ** ، وحليت المصاحف ، وصورت المساجد ، وطولت المنائر ، وخربت القلوب ، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربتها ، وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها في التجارةِ ، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجالِ، وصله بغير اللهِ ، وشهد المؤمن.. أن يستشهد ، وسلم للمعرفةِ ، وتفقه لغير دين اللهِ ، وطلب الدنيا بعمل الآخرةِ ، واتخذ المغنم دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرماِ ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وعق الرجل أباه وجفا أمه وضر صديقه وأطاع امرأته ، وعلت أصوات الفسقة في المساجدِ ، واتخذ القينات والمعازف ، وشربت الخمور في الطرقِ ، واتخذ الظلم فخرا ، وبيع الحكمِ ، وكثرت الشرط ، واتخذ القرآن مزامير خفافا ، ولعن آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا ثم ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات).

- وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حج النبي ﷺ حجة الوداع ثم أخذ بحلقة باب الكعبة قال أيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة فقام إليه سلمان رضي الله عنه فقال أخبرنا فداك أبي

وأمي يا رسول الله ، قال إن من أشراط الساعة إضاعة الصلاةِ والميل مع الهوىِ وتعظيم رب المال فقال سلمان ويكون هذا يا رسول الله قال نعم والذي نفس مُحَّد بيدهِ فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مغرما والفيء مغنماِ ويصدق الكاذبِ ويكذب الصادقِ ويؤتمن الخائنِ ويخون الأمينِ ويتكلم الرويبضة قال وما الروييضة قال يتكلم في الناس من لم يتكلمِ و ينكر الحق تسعة أعشارهمِ ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا اسمهِ ويذهب القرآن فلا يبقى إلا رسمهِ وتحلى المصاحف بالذهب وتتسمن ذكور أمتي وتكون المشورة للإماء ويخطب على وتكون المخاطبة للنساءِ فعند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيعِ وتطول المنائر وتكثر الصفوفِ مع قلوب متباغضة وألسن مختلفة وأهواء جمة قال سلمان ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفس مُحَّد بيدهِ ثم ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيرهِ ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساءِ ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية البكرِ. فعند ذلك يا سلمان يكون أمراء فسقة ووزراء فجرة وأمناء خونة يضيعون الصلوات ويتبعون الشهواتِ فإن أدركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها. ثم ذلك يا سلمان يجيء سبي من المشرق وسبي من المغرب جثاؤهم جثاء الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ، لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون

كبيرا ، ثم ذلك يا سلمان يحج الناس إلى هذا البيت الحرام تحج ملوكهم لهوا وتنزها وأغنياؤهم للتجارة ومساكينهم للمسألة وقراؤهم رياء وسمعة ، قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيدهِ ثم ذلك يا سلمان يفشوا الكذب **ويظهر الكوكب له الذنبِ** وتشارك المرأة زوجها في التجارة وتتقارب الأسواق قال وما تقاربها قال كسادها وقلة أرباحها **ثم ذلك يا سلمان يبعث الله ريحا فيها حيات ... فتلتقط رؤساء العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيروه** قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم والذي بعث مُحَّدا بالحق).

- وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن حذيفة ﷺ قال : (والله لا تقوم الساعة حتى يلي عليكم من لا يزن عشر بعوضة يوم القيامة).
- وأخرج أحمد وابن ماجة والطبراني عن بالإجماع بنت الحر قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي على الناس زمان يقومون ساعة لا يجدون إماما يصلي بهم) .
- وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الزاهرية ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه فيمسخ أحدهما قردا أو خنزيرا فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمشي إلى شأنه ذلك حتى يقضي شهوته ! وحتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه فيخسف بأحدهما فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمضي إلى شأنه ذلك حتى يقضي شهوته منه) .

- وأخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار قال : (بلغني أن ريحا تكون في آخر الزمان وظلمةِ فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا.
- وأخرج الترمذي في نوادر الأصول عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ يكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة أنه قال لتعملن عمل بني إسرائيل فلا يكون فيهم شيء إلا مثله فقال رجل يكون منا قردة وخنازير قال وما يبرئك من ذلك لا أم لك .

السنن الواردة في الفتن :

- عن النزال بن سبرة قال : (صعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني قالها ثلاث مرات فقام إليه صعصعة بن صوحان العبدي فقال يا أمير المؤمنين نبئنا متى خروج الدجال فقال يا ابن صوحان اقعد علم الله مقالتك ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن لها علامات و هنات وأشياء يتلو بعضها بعضا كحذو النعل بالنعل وإن شئت أنبأتك بعلامتها قال عن ذلك سألتك يا أمير المؤمنين قال اعقد بيدك يا صعصعة إذا أمات الناس الصلاة وأضاعوا

الأهلة، واستحلوا الكذب وأكلوا الرباء وأخذوا الرشا وشيدوا البناء واتبعوا الأهواء وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا بالدماء وتقطعت الأرحام وصار الحلم ضعفا والظلم فرحا والأمراء فجرة والوزراء خونة وعرفاؤهم ظلمة وقراؤهم فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة وقول البهتان وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطول المنار وازدحمت الصفوف ونقضت العهود وخربت القلوب وشاركت المرأة زوجها في التجارة حرصا على الدنيا وترك النساء الميازر وتشبهن بالرجال وتشبه الرجال النساء والسلام للمعرفة والشهادة قبل أن يستشهد ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب قلوبهم أمر من الصبر وأنتن من الجيفة والتمسوا الدنيا بعمل الآخرة والتفقه بغير المعرفة فالنجاء فالنجاء الوحا الوحا الحذر الحذر الجد الجد يا صعصعة بن صوحان نعم المسكن يومئذ بيت المقدس وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم يا واردان تبنة في لبنة في سور بيت المقدس بالنساء والسلام للمعرفة والشهادة قبل أن يستشهد ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب قلوبهم أمر من الصبر وأنتن من الجيفة والتمسوا الدنيا بعمل الآخرة والتفقه بغير المعرفة فالنجاء فالنجاء الوحا الوحا الحذر الحذر الجد الجد يا صعصعة بن صوحان نعم المسكن يومئذ بيت المقدس وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم يا واردان تبنة في لبنة في سور بيت المقدس.

- 1874 عن علي قال استكثروا من الطواف بهذا البيت فكأني برجل أصلع أصمع حمش الساقين معه مسحاة يهدمها.
- 1878 عن شريح بن عبيد عن كعب قال تخرج الحبشة خرجة ينتهون فيها إلى البيت ثم يخرج إليهم أهل الشام فيجدونهم قد افترشوا الأرض فيقتلونهم في أودية بني علي وهي المساجد من المدينة حتى إن الحبشي يباع بالشملة قال صفوان وحدثني أبو اليمان عن كعب قال يخربون البيت ويأخذون المقام فيدركون على ذلك فيقتلهم الله تعالى.
- 1879 حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن العريان بن الهيثم سمع عبد الله بن عمرو يقول تخرج الحبشة بعد نزول عيسى بن مريم فيبعث عيسى طليعة فينهزموا.
- 1880 حدثنا ابن وهب عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن سمعان مولى آل فلان سماه ابن وهب قال سمعت أبا هريرة ﷺ يحدث أبا قتادة عن النبي ﷺ قال تأتي الحبشة فيخربون البيت خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه.
- 1887 حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال خرج يوما وردان من ثم مسلمة بن مخلد وهو أمير على مصر فمر على عبد الله بن عمرو مستعجلا فناداه فقال أين تريد يا أبا عبيد قال أرسلني الأمير إلى منف فأحضر له كنز فرعون قال فارجع إليه فأقره

مني السلام وقل له إن كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك إنما هو للحبشة يأتون في سفنهم يريدون الفسطاط فيسيرون حتى ينزلوا منفا فيظهر الله لهم كنز فرعون فيأخذون منه ما شاؤوا فيقولون ما نبتغي غنيمة أفضل من هذه فيرجعون ويخرج المسلمون في آثارهم حتى يدركوهم فيهزم الله الحبش فيقتلهم المسلمون ويأسرونهم حتى يباع الحبشي يومئذ بالكساء.



(5) – المهدي وعلاماته وأخبار السفياني. وخروج القحطاني:

(البخاري) :

- 6700 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه).

صحيح مسلم :

- 2882 عن عبيد الله بن القبطية قال ثم دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا الوقوف على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام بن الزبير فقالت قال رسول الله ﷺ يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقال أبو جعفر هي بيداء المدينة) .
- 2911 عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (ثم لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه) .

سنن أبي داوود :

- 4282 عن زر عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : (ثم لو لم يبق من الدنيا إلا يوم قال زائدة في حديثه لطول الله ذلك اليوم ثم اتفقوا حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي زاد في حديث فطر يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) .
- 4285 عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: (ثم المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين) .
- 4286 عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : (ثم يكون اختلاف ثم موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس وعشرون نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم عليه المسلمون.

• عن هلال بن عمرو قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول قال النبي ﷺ : (يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل مُحَمَّد كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته).

ابن ماجة :

• 4082 عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: (ثم بينما نحن ثم رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا فمن أدرك ذلك ... ولو حبوا على الثلج) .

• 4084 عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يقتتل ثم كنزكم ثلاثة كلهم بن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم ، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ، ثم ذكر شيئا لا

أحفظه فقال فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي) .

- 4085 عن إبراهيم بن مُحَّد بن الحنفية عن أبيه عن علي قال رسول الله ﷺ ثم المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة).
- 4088 عن أبي زرعة عمرو بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال رسول الله ﷺ ثم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه.
- 4094 عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لا تقوم الساعة حتى تكون أدنى مسالح المسلمين ببولاء ثم قال ﷺ يا علي يا علي يا علي قال بأبي وأمي قال إنكم ستقاتلون بني الأصفر ويقاتلهم الذين من بعدكم حتى تخرج إليهم روقة الإسلام أهل الحجاز الذين لا يخافون في الله لومة لائم فيفتتحون القسطنطينية بالتسبيح والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها حتى يقتسموا بالأترسة و يأتي آت فيقول إن المسيح قد خرج في بلادكم ألا وهى كذبة فالآخذ نادم والتارك نادم) .

صحيح ابن حبان :

- عن مجاهد عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ : (ثم يكون اختلاف ثم موت خليفة فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام فيبعثون إليه جيشا من أهل الشام فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم فإذا بلغ الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصابة أهل العراق فيبايعونه . وينشأ رجل من قريش أخواله من كلب فيبعث إليهم جيشا فيهزمونهم ويظهرون عليهم فيقسم بين الناس فيأهم ويعمل فيهم ... نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض يمكث سبع سنين).
- 6823 عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى تمتليء الأرض ظلما وعدوانا ثم يخرج رجل من أهل بيتي أو عترتي فيملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا).

المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم النيسابوري:

- 8328 عن عبد الله بن الحارث عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : (يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدة أهل بدر فيأتيه عصب العراق و أبدال الشام فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ثم يسير إليه رجل من قريش أخواله كلب

فيهزمهم الله قال وكان يقال إن الخائب يومئذ من خاب من غنيمة كلب) .

- 8329 عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : (المحروم من حرم غنيمة كلب ولو عقالا والذي نفسي بيده لتباعن نساءهم على درج دمشق حتى ترد المرأة من كسر يوجد بساقها) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8434 عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشرا يعرف السرور في وجهه فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به ولا سكتنا إلا ابتدأنا حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين فلما رآهم التزمهم و انهملت عيناه فقلنا يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وأنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريدا وتشريدا في البلاد حتى ترتفع رايات سود من المشرق فيسألون الحق فلا يعطونه ثم يسألونه فلا يعطونه ثم يسألونه فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي ولو حبوا على الثلج فإنها رايات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملك الأرض فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) .

- 8438 عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال نبي الله ﷺ : (**ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة وحتى يملأ الأرض جورا وظلما لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم . فيبعث الله عز وجل رجلا من عترتي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدخر الأرض من بذرها شيئا إلا أخرجته ولا السماء من قطرها شيئا إلا صبه الله عليهم مدرارا يعيش فيها سبع سنين أو ثمان أو تسع تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره**) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8530 علي بن أبي طالب ﷺ قال : (يظهر السفياني على الشام ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم ، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان ، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان ويقتلون شيعة آل مُحَمَّد ﷺ بالكوفة ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي) .
- 8531 عن ثوبان ﷺ قال : (إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها ولو حبوا فإن فيها خليفة الله المهدي) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8537 عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : (في ذي القعدة تجاذب القبائل وتغادر فينهب الحاج فتكون ملحمة بمنى يكثر فيها القتلى ويسيل فيها الدماء حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة وحتى يهرب صاحبهم فيأتي بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره يقال له إن أبيت ضربنا عنقك يبايعه مثل عدة أهل بدر يرضى عنهم ساكن السماء وساكن الأرض). قال أبو يوسف فحدثني مُحَمَّد بن عبد الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (يحج الناس معا ويعرفون معا على غير إمام فبينما هم نزول بمنى إذ أخذهم كالكلب فثارت القبائل بعضها إلى بعض واقتتلوا حتى تسيل العقبة دما فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي كأني أنظر إلى دموعه فيقولون هلم فلنبايعك فيقول ويحكم كم عهد قد نقضتموه وكم دم قد سفكتموه . فيبايع كرها فإذا أدركتموه فبايعوه فإنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء).
- 8580 عن بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ثم تكون هدة في شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان ثم تظهر عصابة في شوال ثم معمعة في ذي الحجة ثم تنتهك المحارم في المحرم ثم يكون موت في ... ثم تتنازع القبائل في الربيع ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب ، ثم ناقة مقتبة خير من دسكرة تقل مائة ألف) .

• 8586 عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم) .هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

• 8658 عن علي بن أبي طالب ﵁ يقول : (ثم ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم فإن فيهم الأبدال وسيرسل الله إليهم سيبا من السماء فيغرقهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ثم يبعث الله ثم ذلك رجلا من عترة الرسول ﷺ في اثني عشر ألفا إن قلوا وخمسة عشرة ألفا إن كثروا إمارتهم أو علامتهم أمت أمت على ثلاث رايات يقاتلهم أهل سبع رايات ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك فيقتتلون ويهزمون ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى الناس إلفتهم ونعمتهم فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

• 8659 عن مُحَمَّد بن الحنفية قال : (ثم كنا ثم علي ﵁ فسأله رجل عن المهدي فقال علي ﵁ هيهات ثم عقد بيده سبعا فقال ذاك يخرج

في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل. فيجمع الله تعالى له قوما السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر). قال أبو الطفيل قال بن الحنفية أتريده قلت نعم قال إنه يخرج من بين هذين الخشبتين قلت لا جرم والله لا أريهما حتى أموت فمات بها يعني مكة حرسها الله تعالى. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله .

• عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : (يسير ملك المغرب إلى ملك المشرق فيقتله . فيبعث جيشا إلى المدينة فيخسف بهم ثم يبعث جيشا فينسى ناسا من أهل المدينة فيعود عائد من الحرم فيجتمع الناس إليه كالطير الواردة المتفرقة حتى يجتمع إليه ثلثمائة وأربعة عشر رجلا فيهم نسوة ، فيظهر على كل جبار وابن جبار ويظهر من العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتهم فيحيا سبع سنين ثم ما تحت الأرض خير مما فوقها) رواه الطبراني في الأوسط

• وعنه.. قال حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج إليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق قال قلت وكم يملك قال خمس واثنتين قال قلت ما خمس واثنتين قال لا أدري) رواه أبو يعلى.

مسند الإمام أحمد بن حنبل:

• عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : (ثم أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما..).

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة الكوفي.

• 37201 قال عاصم البجلي: (سلوا بكيليكم يعني نوفا عن الآية في شعبان والحدثان في رمضان والتمييز في شوال والحسن يعني القتل والمعمعة في ذي القعدة والقضاء في ذي الحجة) .

مسند الشاميين:

- 937 عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : (ثم يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي إن هذا المهدي فاتبعوه).

أحاديث الرايات السود في كتاب البداية والنهاية : لابن كثير رحمه الله .

- عن ثوبان قال قال رسول الله : (يقتل ثم كنزكم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير إلى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونهم مقتلة لم يروا مثلها ثم يجيء خليفة الله المهدي فاذا سمعتم فأتوه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي).
- عن ثوبان قال قال رسول الله : (إذا أقبلت الرايات السود من عقب خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي) .
- عن عبد الله بن مسعود: (أن رسول الله ذكر فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه وذكر الرايات قال فمن أدركها فليأتها ولو حبوا على الثلج).
- عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله : (تجيء رايات سود من قبل المشرق تخوض الخيل الدم إلى أن يظهروا

العدل ويطلبون العدل فلا يعطونه فيظهرون فيطلب منهم العدل فلا يعطونه) وهذا إسناد حسن .

- عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال : (يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنصب بإيليا) وقد رواه الترمذي عن قتيبة به وقال غريب ورواه البيهقي والحاكم.
- عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله : (يخرج ثم انقطاع من الزمان وظهور زمن الفتن رجل يقال له السفاح فيكون إعطاؤه المال حثوا).
- فانه قد روى نعيم بن حماد عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري من قدوم الحميري سمع نفيع بن عامر يقول يعيش السفاح أربعين سنة اسمه في التوراة طائر السماء.

(قال ابن كثير) : قلت وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لاقامة العدل ونشر القسط وتكون ، الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي ويكون أول ظهور بيعته بمكة . ثم تكون أنصاره من خراسان كما وقع قديما للسفاح والله تعالى أعلم هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الدر المنثور للسيوطي :

- وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال يكون اختلاف ثم موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل المدينة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقامِ ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاِ فيظهرون عليهم فذلك بعث كلبِ والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلبِ فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبيهم ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سنينِ ثم عليه المسلمون) .
- وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد رضي الله عنه قال حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ: (أن المهدي لا يخرج حتى يقتل النفس الزكية فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض فأتى الناس المهدي فيزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسهاِ وهو يملأ الأرض قسطا وعدلا وتخرج الأرض السماء مطرها وتنعم أمتي في ولايته نعمة لا تنعمها قط) .
- وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي الجلد قال تكون فتنة بعدها فتنة ألا وفي الآخرة كثمرة السوط يتبعها ذباب السيفِ ثم يكون بعد ذلك فتنة

تستحل فيها المحارم كلها ثم يأتي الخلافة خير أهل الأرض وهو قاعد في بيته ههنا.

- وأخرج ابن أبي شيبة عن عاصم بن عمر و البجيلي ﵁ قال: (لينادين باسم رجل من السماء لا ينكره الذليل ولا يمتنع منه الدليل).

السنن الواردة في الفتن :

- عن عبد الله بن زرير الغافقي عن عمار بن ياسر قال : (إذا انسابت عليكم الترك وجهزت الجيوش إليكم ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال ويستخلف من بعده رجل ضعيف فيخلع بعد سنتين ويحالف الروم والترك وتظهر الحروب في الأرض وينادي مناد على سور دمشق ويل للعرب من شر قد اقترب ويخسف بغربي مسجدها حتى يخر حائطها ويخرج ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك رجل أبقع ورجل أصهب ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج بكلب ويحصر الناس بدمشق ويخرج أهل المغرب ينحدرون إلى مصر فإذا دخلوا فتلك إمارة السفياني ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل مُحَّد وتترك الترك الجزيرة وتنزل الروم فلسطين ويقبل صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني) .

- عن ابن الديلمي قال قال رسول الله ﷺ : (يكون في... قالوا يا رسول الله في أوله أو في وسطه أو في آخره قال لا بل في النصف من شهر رمضان إذا كانت ليلة النصف ليلة جمعة من السماء يصعق له سبعون ألفا يتيه سبعون ألفا ويعمى سبعون ألفا ويصم سبعون ألفا ويخرس فيه سبعون ألفا و ينفتق فيه سبعون ألف عذراء قالوا فمن السالم يا رسول الله قال من لزم بيته وتعوذ بالسجود وجهر بالتكبير قال ومعه آخر فالصوت جبريل والصوت الشيطان فالصوت في رمضان والمعمعة في شوال وتمييز القبائل في ذي القعدة ويغار على الحاج في ذي الحجة والمحرم وأما المحرم أوله بلاء و آخره فرج على أمتي راحلة في ذلك الزمان ينجو عليها المؤمن خير من دسكرة تغل مائة ألف) .
- عن قتادة قال : (يجاء إلى المهدي وهو في بيته والناس في فتنة تهراق فيها الدماء فيقال له قم علينا فيأبى حتى يخوف بالقتل فإذا خوف بالقتل قام عليهم فلا يهراق في سببه محجمة دم).
- حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله أن النبي ﷺ قال : (لن تذهب الدنيا حتى يملك الدنيا رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي قلت يا أبا عبد الرحمن :
ما يواطىء قال : يشبه) .

- عن مُحَّد ابن الحنفية قال : (تخرج راية من خراسان ثم تخرج أخرى ثيابهم ... وعثمان على مقدمتهم رجل من بني تميم يوطىء للمهدي سلطانه يكون بين خروجه وبين أن يسلم للمهدي سلطانه اثنان وسبعون شهرا) .
- عن سفيان عن أبي إسحاق عن نوف قال : (راية المهدي فيها مكتوب البيعة لله) .
- حدثنا ضمرة قال قال ابن شوذب: (إنما سمي المهدى لأنه يهدى إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفارا من أسفار التوارة فيحاج بها اليهود فيسلم على يديه جماعة من اليهود).
- 286 عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي قال : قال رسول الله ﷺ : (يكون بعد الجبابرة رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا ثم القحطاني بعده والذي بعثني بالحق ما هو دونه) .
- 625 عن ابن مسعود قال تكون علامة في ... ويبتدأ نجم له ذناب.
- 626 عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ : (في السماء أية لليلتين خلتا ... وفي شوال المهمة وفي ذي القعدة المعمعة وفي ذي الحجة النزائل وفي المحرم وما المحرم) . قال عبد الوهاب بن بخت وبلغني أن رسول الله ﷺ قال : (في رمضان آية في السماء كعمود

ساطع ، وفي شوال البلاء وفي ذي القعدة الفناء وفي ذي الحجة ينتهب الحاج المحرم وما المحرم).

- 630 حدثنا الوليد عن عنبسة القرشي عن سلمة بن أبي سلمة عن شهر بن حوشب قال بلغني أن رسول الله ﷺ قال : (يكون في وفي شوال مهمة وفي ذي القعدة تحارب القبائل وفي ذي الحجة ينتهب الحاج وفي المحرم ينادي منادى من السماء ألا إن صفوة الله من خلقه فلان فاسمعوا له وأطيعوا) .
- 633 عن خالد بن معدان قال : (إنه ستبدوا آية عمودا من نار يطلع من قبل المشرق يراه أهل الأرض كلهم فمن أدرك ذلك فليعد لأهله طعام سنة) .
- 634 عن كثير بن مرة الحضرمي قال : (آية الحدثان في رمضان علامته في السماء بعدها اختلاف في الناس فإن أدركتها فأكثر من الطعام ما استطعت) .
- 635 عن الزهري قال وفي ولاية السفياني الثاني وخروجه علامة ترى في السماء.
- 638 عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : **(إذا كانت صيحة في رمضان فإن يكون معمعة في شوال وتميز القبائل في ذي القعدة وتسفك الدماء في ذي الحجة والمحرم وما المحرم يقولها ثلاثا هيهات هيهات يقتل الناس فيها هرجا هرجا ، قال قلنا وما الصيحة يا رسول الله : قال**

هذه في النصف من رمضان ليلة جمعة فتكون هده توقظ النائم وتخرج العواتق من خدورهن في ليلة جمعة في سنة كثيرة الزلازل فإذا صليتم الفجر من يوم الجمعة فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم وسدوا كواكم ودثروا أنفسكم وسدوا آذانكم فإذا أحسستم بالصيحة فخروا لله سجدا وقولوا سبحان القدوس سبحان القدوس ربنا القدوس فإن من فعل ذلك نجا ومن لم يفعل ذلك هلك) .

- 642 عن كعب أنه قال: (يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذناب). قال وحدثت عن شريك أنه قال (بلغني أنه قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين) .
- 647 عن كثير بن مرة قال : (آية الحدثان في رمضان و الهيش في شوال والنزائل في ذي القعدة والمعمعة في ذي الحجة وآية ذلك عمود ساطع في السماء من نور) .
- 750 حدثنا الوليد بن مسلم سمع رجلا من تجيب سمع ابن المسيب يقول : (لا بد لأهل المغرب من دولة دولة كفر) .
- 751 ... من يحدث عن مُحَّد بن كعب القرظي يقول : (يملك أهل المغرب وهم شر من ملك) .
- 765 عن حذيفة : (أنه قال لأهل مصر إذا جاءكم عبد الله بن عبد الرحمن من المغرب اقتتلتم أنتم وهم عن القنطرة فيكون بينكم سبعون ألفا من القتلى وليخرجنكم من أرض مصر وأرض الشام كفرا

كفرا ولتباعن المرأة العربية على درج دمشق القدرة وعشرين درهما ثم يدخلون أرض حمص فيقيمون ثمانية عشر شهرا يقتسمون فيها الأموال ويقتلون فيها الذكر والأنثى ثم يخرج عليهم رجل شر من أظلته السماء فيقتلهم فهزمهم حتى يدخلهم أرض مصر) .

- 770 حدثنا الوليد عن أبي عبد الله عن مسلم بن الأخيل عن عبد الكريم أبي أمية عن مُحَّمد بن الحنفية قال: (يدخل أوائل أهل المغرب مسجد دمشق فبيناهم كذلك ينظرون في أعاجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربي مسجدها ويخسف بقرية يقال لها حرستا ثم يخرج ثم ذلك السفياني فيقتلهم حتى يدخلهم مصر ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردهم إلى العراق).
- 772 عن الزهري قال : (إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر فيجتمعون في قنطرة أهل مصر فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعا ثم تكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلوا الرملة فيقع بين أهل الشام وأهل المغرب شيء فيغضب أهل المغرب فيقولون إنا جئنا لننصركم ثم تفعلون ما تفعلون والله لنخلين بينكم وبين أهل المشرق فينبهونكم لقلة أهل الشام يومئذ في أعينهم ثم يخرج السفياني ويتبعه أهل الشام فيقاتل أهل المشرق).
- 776 عن كعب قال : (إذا ظهر المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذ خير من ظهرها لأهل الشام ويل للجندين جند فلسطين

والأردن وبلد حمص من بربر يضربون بسيوفهم إلى باب للعطر وصاحب المغرب رجل من كنده أعرج) .

- 778 عن حسان بن عطية قال كان يقال إذا رأيتم الرايات الصفر فبطن الأرض يومئذ خير من ظهرها.
- عن كعب قال : (إذا رأيت الرايات الصفر نزلت الإسكندرية ثم نزلوا سرة الشام فعند ذلك يخسف بقرية من قرى دمشق يقال لها حرستا) .
- 797 حدثنا ابن حمير عن النجيب قال : (يخرج عبد الرحمن بأهل المغرب وقد استولت الروم على الإسكندرية وهم فيها فيقاتلونهم فيهزمونهم وينفونهم عنها) .
- 802 حدثنا الوليد عن أبي عبدة المشجعي عن أبي عن شيخ أدرك الجاهلية قال بدؤ السفياني خروجه من قرية من غرب الشام يقال لها **(أندرا)** في سبعة نفر) .
- 804 عن ابن الحنفية قال : (بين خروج الراية السوداء من خراسان وشعيب بن صالح وخروج المهدي وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهرا) .
- 808 عن كعب قال: (يملك حمل امرأة اسمه عبد الله بن يزيد وهو الأزهر ابن الكلبية أو الزهري بن الكلبية المشوه السفياني).

- 810 عن ارطاة قال : (السفياني الذي يموت الذي يقاتل اول شيء من الرايات السود والرايات الصفر في سره الشام مخرجه من **المندرون** شرقي بيسان على جمل أحمر عليه تاج يهزم الجماعة مرتين ثم يهلك وهو يقبل الجزية ويسبي الذرية ويبقر بطون الحبالى).
- 812 عن مُحَمَّد بن جعفر عن علي قال: (السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه آثار جدري وبعينه نكتة بياض يخرج من ناحية مدينة دمشق في واد يقال له **وادي اليابس** يخرج في سبعة نفر مع رجل منهم لواء معقود يعرفون في لوائه النصر يسير بين يديه على ثلاثين ميلا لا يرى ذلك العلم أحد يريده إلا انهزم) .
- 832 عن أرطاة قال: (في زمان السفياني الثاني تكون الهدة حتى يظن كل قوم أنه قد خرب ما يليهم).
- 844 عن عمار بن ياسر ﵁ قال : (فتخرج ثلاثة نفر كلهم يطلب الملك رجل أبقع ورجل أصهب ورجل من أهل بيت أبي سفيان يخرج بكلب ويحصر الناس بدمشق).
- 845 عن علي قال: (تخرج بالشام ثلاث رايات الأصهب والأبقع والسفياني يخرج السفياني من الشام والأبقع من مصر فيظهر السفياني عليهم) .

- 846 عن ذي قرنات قال : (يختلف الناس في .. ويفترقون على أربعة نفر؛ رجل بمكة العائذ ، ورجلين بالشام أحدهما السفياني، والآخر من ولد الحكم أزرق أصهب ، ورجل من أهل مصر جبار. فذلك أربعة فيغضب رجل من كنده فيخرج إلى الذين بالشام فيأتي الجيش إلى مصر فيقتل ذلك الجبار، ويفت مصر فت البعرة ثم يبعث إلى الذي بمكة) .
- 847 عن حذيفة قال : (إذا دخل السفياني أرض مصر قام فيها أربعة أشهر يقتل ويسبي أهلها فيومئذ تقوم النائحات باكية تبكي على استحلال فروجها وباكية تبكي على قتل أولادها وباكية تبكي على ذلها بعد عزها وباكية تبكي شوقا إلى قبورها) .
- 850 عن كعب قال : (إذا كانت رجفتان في شهر رمضان انتدب لها ثلاثة نفر من أهل بيت واحد أحدهم يطلبها بالجبروت والآخر يطلبها بالنسك و السكينة والوقار والثالث يطلبها بالقتل واسمه **عبد الله** ويكون بناحية الفرات مجتمع عظيم يقتتلون على المال يقتل من كل تسعة سبعة) .
- 851 عن الزهري قال : (إذا التقى أصحاب الرايات السود وأهل الرايات الصفر ثم القنطرة كانت الدبرة على أهل المشرق فيهزمون حتى يأتوا فلسطين فيخرج على أهل المشرق السفياني فإذا نزل أهل المغرب الأردن مات صاحبهم وافترقوا ثلاث فرق فرقة ترجع من حيث جاءت

وفرقة تحج وفرقة تثبت فيقاتلهم السفياني فيهزمهم ويدخلون في طاعته).

- 860 عن الزهري قال : (يبايع السفياني أهل الشام فيقاتل أهل المشرق فيهزمهم من فلسطين حتى ينزلوا مرج الصفر ثم يلتقون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلون مرج الثنية ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يأتوا الحص ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يبلغوا إلى المدينة الخربة يعني قرقيسيا ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينتهوا إلى عاقر قوفا ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق فيحوز السفياني الأموال ثم تخرج في حلق السفياني قرحة ثم يدخل إلى الكوفة غدوة ويخرج منها بالعشي بجيوشه فإذا كان بأفواه الشام توفي وثار أهل الشام فبايعوا ابن الكلبية اسمه عبد الله بن يزيد بن الكلبية غائر العينين مشوه الوجه فيبلغ أهل المشرق وفاة السفياني فيقولون ذهبت دولة أهل الشام فيثورون ويبلغ ابن الكلبية فيثور بمجموعة إليهم فيقتتلون بالألوية فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يدخلوا الكوفة فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية والنساء ثم يخرب الكوفة ثم يبعث منها جيشا إلى الحجاز).
- 867 عن أرطاة قال : (يقتل السفياني كل من عصاه وينشرهم بالمناشير ويطبخهم بالقدور ستة أشهر قال ويلتقي المشرقين والمغربين)

.

- 894 عن مُحَّد بن الحنفية قال : (تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من خراسان أخرى سوادء قلانسهم سود وثيابهم وعثمان على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل ببيت المقدس يوطأ للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين ان يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهرا) .
- 897 عن الحسن قال : (يخرج بالري رجل ربعة أسمر مولى لبني تميم كوسج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف ثيابهم وعثمان وراياتهم سود يكون على مقدمه المهدي لا يلقاه أحد إلا فله) .
- 898 عن علي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (يخرج رجل من أهل بيتي في تسع رايات يعني بمكة).
- 899 عن عمار بن ياسر قال: (المهدي على لوائه شعيب بن صالح).
- 901 عن أبي جعفر قال : (يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمنى خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم) .
- 902 عن كعب بن علقمة عن.. قال : (يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن خفيف اللحية أصفر - ولم يذكر الوليد أصفر- لو قاتل الجبال لهزها وقال الوليد لهدها حتى ينزل إيلياء) .

- 903 عن كعب قال : (إذا ملك رجل الشام وآخر مصر فاقتتل الشامي والمصري وسبى أهل الشام قبائل من مصر وأقبل رجل من المشرق برايات سود صغار قبل صاحب الشام فهو الذي يؤدي الطاعة إلى المهدي . قال أبو قبيل يكون بأفريقية أميرا إثنا عشر سنة ثم تكون بعده فتنة ثم يملك رجل أسمر يملؤها عدلا ثم يسير إلى المهدي فيؤدي إليه).
- 907 عن علي قال: (تخرج رايات سود تقاتل السفياني فيهم شاب من بني هاشم في كتفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من بني تميم يدعا شعيب بن صالح فيهزم أصحابه) .
- 914 عن علي ﷺ قال يلتقي السفياني والرايات السود فيهم شاب من بني هاشم في كفه اليسرى خال وعلى مقدمته رجل من نبي تميم يقال له شعيب بن صالح بباب اصطخر فتكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه) .
- 915 عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا :

(يبعث السفياني خيله وجنوده فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان وأرض فارس فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ويكون بينهم وقعات موضع فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلا من بني هاشم وهو

يومئذ في آخر الشرق فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم مولى لهم أصفر قليل اللحية يخرج إليه في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه فيصيره على مقدمته لو استقبله الجبال الرواسي لهدها فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة ولا يزال يهزمهم من بلدة إلى بلدة حتى يهزمهم إلى العراق ثم يكون بينهم وبين خيل السفياني ثم تكون الغلبة للسفياني ويهرب الهاشمي ويخرج شعيب بن صالح مختفيا إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام) .

- 916 حدثنا الوليد قال: (بلغني أن هذا الهاشمي أخو المهدي لأبيه وقال بعضهم هو ابن عمه).
- 917 قال الوليد وقال بعضهم: (إنه لا يموت ولكنه بعد الهزيمة يخرج إلى مكة فإذا ظهر المهدي خرج معه) .
- 920 عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: (يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت) .
- 912 عن أبي جعفر قال : (تنزل الرايات السود التي تقبل من خراسان الكوفة فإذا ظهر المهدي بمكة بعث بالبيعة إلى المهدي).

• 922 عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (يكتب السفياني إلى الذي دخل الكوفة بخيله بعدما يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمائة رجل ويبقر البطون ويقتل الولدان ويقتل أخوين من قريش رجل وأخته يقال لهما مُحَّد وفاطمة و يصلبهما على باب المسجد بالمدينة).

• 923 عن علي قال : (يبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل مُحَّد صلى الله عليه وسلم ويقتل من بني هاشم رجال ونساء فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض من المدينة إلى مكة فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه).

• 932 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (تكون بالمدينة وقعة تغرق فيها أحجار الزيت ما الحرة عندها إلا كضربة سوط فينتحي عن المدينة قدر بريدين ثم يبايع إلى المهدي).

• 934 ابن عباس رضي الله عنه يقول : (يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشا فيهزموهم فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقعطع إليهم بعثا فيهم ستمائة عريف فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب ويقول يا ويح أهل مكة ما أصابهم فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحدا فإذا هم قد خسف بهم فيقول سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف

بعضها وبعضها على ظهر الأرض فيعالجها فلا يطيقها فيعرف أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره فيقول صاحب مكة الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تخبرون فيسيرون إلى الشام).

- 935 عن مجاهد عن تبيع قال :

(سيعوذ بمكة عائذ فيقتل ثم يمكث الناس برهة من دهرهم ثم يعوذ آخر فإن أدركته فلا تغزونه فإنه جيش الخسف) .

- 937 عن مُحَمَّد بن علي قال : (سيكون عائذ بمكة يبعث إليه سبعون ألفا عليهم رجل من قيس حتى إذا بلغوا الثنية دخل آخرهم ولم يخرج منها أولهم نادى جبريل بيداء يا بيداء يا بيداء يسمع مشارقها ومغاربها خذيهم فلا خير فيهم فلا يظهر على هلاكهم إلا راعي غنم في الجبل ينظر إليهم حين ساخوا فيخبر بهم فإذا سمع العائذ بهم خرج).
- 938 عن ذي قربات قال : (فإذا بلغ السفياني الذي بمصر بعث جيشا إلى الذي بمكة فيخربون المدينة أشد من الحرة حتى إذا بلغوا البيداء خسف بهم) .
- عن أبي جعفر قال: (إذا بلغ السفياني قتل النفس الزكية وهو الذي كتب عليه فهرب عامة المسلمين من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرم الله تعالى بمكة فإذا بلغه ذلك بعث جندا إلى

المدينة عليهم رجل من كلب حتى إذا بلغوا البيداء خسف بهم وينفلت أميرهم وذكروا أنه من مذحج وقال بعضهم من كلب) .

- 947 عن أبي قبيل قال: (لا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير فأما البشير فإنه يأتي المهدي بمكة وأصحابه فيخبرهم بما كان من أمرهم ويكون شاهد ذلك في وجهه قد حول وجهه في قفاه فيصدقونه من تحويل وجهه ويعلمون أن القوم قد خسف بهم . والثاني مثل ذلك قد حول وجهه إلى قفاه يأتي السفياني فيخبره بما أنزل بأصحابه فيصدقه ويعلم أنه حق لما يرى فيه من العلامة وهما رجلان من كلب).
- 951 عن علي بن عبد الله بن عباس قال: (لا يخرج المهدي حتى تطلع الشمس آية).
- 952 عن كعب قال : (علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة).
- 953 عن أبي هريرة ﵁ قال: (يخرج السفياني والمهدي كفرسي رهان فيغلب السفياني على ما يليه والمهدي على ما يليه).
- 956 عن أبي جعفر قال: (لا يخرج السفياني حتى ترقى الظلمة).
- 957 عن مطر الوراق قال : (لا يخرج المهدي حتى يكفر بالله جهرة).
- عن عمار بن ياسر ﵁ قال : (علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال ويستخلف بعده ضعيف

فيخلع بعد سنتين من بيعته ويخسف بغربي مسجد دمشق وخروج ثلاثة نفر بالشام وخروج أهل المغرب إلى مصر وتلك أمارة السفياني).

- 965 عن علي ﵁ قال: (إذا نادى مناد من السماء إن الحق في آل مُحَمَّد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ويشربون حبه ولا يكون لهم ذكر غيره).
- 970 عن أبي هريرة قال : (تدوم الفتنة الرابعة إثنا عشر عاما تنجلي حين تنجلي وقد أحسرت الفرات عن جبل من ذهب فيقتل عليه من كل تسعة سبعة).
- 971 عن كعب قال : (تكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم فيقتتلون على الأموال فيقتل من كل تسعة سبعة ، وذاك بعد الهدة والواهية في شهر رمضان وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه فيهم رجل اسمه **عبد الله**).
- 972 حدثنا يحي بن سعيد عن ضرار بن عمرو عن إسحاق ابن أبي فروة عن أبي هريرة ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: (الفتنة الرابعة ثمانية عشر عاما ثم تنجلي حين تنجلي وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب تكب عليه الأمة فيقتل عليه من كل تسعة سبعة).
- 974 عن أبي جعفر قال : (ينادي مناد من السماء ألا إن الحق في آل مُحَمَّد وينادي مناد من الأرض ألا إن الحق في آل عيسى أو قال

العباس أنا أشك فيه وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس) شك أبو عبد الله نعيم.

- 975 ... قال : (يؤمر من آل أبي سفيان الثاني أمير على الموسم ويبعث معه بعثا فإذا كانوا بالموسم سمعوا مناديا من السماء إلا إن الأمير فلان وينادي مناد من الأرض كذب وينادي مناد من السماء صدق فيطول ذلك فلا يدرون أيهما يتبعون وإنما يصدق من في السماء الصوت الثاني الذي ينادي من السماء أول مرة فإذا سمعتم ذلك فاعلموا أن كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان هي السفلى) .
- 977 عن ابن المسيب قال: (تكون فتنة بالشام كان أولها ثم لا يستقيم أمر الناس على شيء ولا تكون لهم جماعة حتى ينادي منادي من السماء عليكم بفلان وتطلع كف بشير).
- 984 عن الزهري قال : (إذا التقى السفياني والمهدي للقتال يومئذ من السماء ألا إن أولياء الله أصحاب فلان يعني المهدي). قال الزهري : (وقالت أسماء بنت عميس إن أمارة ذلك اليوم أن كفا من السماء مدلاة ينظر إليها الناس) .
- 990 سمع ابن عباس ﵁ يقول : (يبعث الله تعالى المهدي بعد إياس وحتى يقول الناس لا مهدي وأنصاره ناس من أهل الشام عدتهم ثلثمائة وخمسة عشر رجلا عدة أصحاب بدر يسيرون إليه من الشام

حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار ثم الصفا فيبايعونه كرها فيصلي بهم ركعتين صلاة المسافر ثم المقام ثم يصعد المنبر) .

- 991 عن أبي هريرة ﷺ قال: (يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائما ولا يهريق دما) .

- 992 عن الزهري قال : (ينادي تلك السنة مناديان مناد من السماء ألا إن الأمير فلان وينادي مناد من الأرض كذب فيقتتل أنصار الصوت الأسفل حتى أن أصول الشجر ليخضب دما وذلك اليوم الذي قال عبد الله بن عمرو جيش يسمى جيش البرادع يشقون البراذع فيتخذونها مجانا قد فيومئذ لا يبقى من أنصار ذلك الصوت الأعلى إلا عدة أهل بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فينصرون ثم ينصرفون إلى صاحبهم فيجدونه ملصقا ظهره إلى الكعبة ترعد فرائصه يتعوذ بالله من شر ما يدعونه إليه فيكرهونه على البيعة ويرجع أنصار الصوت الأسفل إلى الشام فيقولون قاتلنا قوما ما رأينا مثلهم قط وإنما هم شرذمة قليلة) .

- 993 عن عبد الله بن عمرو قال (أما إنها ستكون فتنة والناس يصلون معا ويحجون معا ويعرفون معا ويضحون معا ثم تهيج فيهم كالكلب فيقتتلون حتى تسيل العقبة دما وحتى يرى البريء أن براءته لن تنجيه ويرى المعتزل أن اعتزاله لن ينفعه ثم يستكرهون رجلا شابا

من المدينة إلى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الكن والمقام وهو كاره).

- 996 عن علي ﷺ قال: (إذا هزمت الرايات السود خيل السفياني التي فيها شعيب بن صالح تمني الناس بالمهدي فيطلبونه فيخرج من مكة ومعه راية النبي ﷺ فيصلي ركعتين بعد أن يئس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال أيها الناس ألح البلاء يا أمة مُحَّد ﷺ ويا أهل بيته خاصة قهرنا وبغي علينا) .
- 997 عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : (يخرج ثلاثة نفر من قريش إلى مكة من جيش السفياني منظور إليهم فإذا بلغهم الخسف اجتمعوا بمكة لأولئك النفر الثلاثة من البلاد فيبايع أحدهم كرها) .
- 999 عن أبي جعفر قال: (ثم يظهر المهدي بمكة ثم العشاء ومعه راية رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلامات ونور وبيان فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدي ربكم فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب وأمركم أن لا تشركوا به شيئا وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله وأن تحيوا ما أحيا القرآن وتميتوا ما أمات وتكونوا أعوانا على الهدى ووزرا على التقوى فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها وأذنت بالوداع فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله والعمل بكتابه وإماتة الباطل وإحياء سنته فيظهر

في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر ميعاد قزعا كقزع الخريف رهبان بالليل أسد بالنهار فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز ويستخرج من كان في السجن من بني هاشم وتنزل الرايات السود الكوفة فيبعث بالبيعة إلى المهدي ويبعث المهدي جنوده في الآفاق ويميت الجور وأهله وتستقيم له البلدان ويفتح الله على يديه القسطنطينية) .

• 1000 عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (إذا انقطعت التجارات والطرق وكثرت الفتن خرج سبعة رجال علماء من أفق شتى ميعاد يبايع لكل رجل منهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا حتى يجتمعوا بمكة فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وحليته فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون له أنت فلان بن فلان فيقول لا بل أنا رجل من الأنصار حتى يفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقال هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيطلبونه بمكة فيصيبونه فيقولون أنت فلان بن فلان وأمك فلانة بنت فلان وفيك آية كذا وكذا وقد أفلت منا مرة فمد يدك نبايعك فيقول لست بصاحبكم أنا فلان بن فلان الأنصاري مروا بنا أدلكم على صاحبكم حتى يفلت منهم فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة ثم الركن فيقولون

إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك هذا عسكر السفياني قد توجه في طلبنا عليهم رجل من جرم فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له ويلقي الله محبته في صدور الناس فيسير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل).

- 1002 عن مُحَمَّد بن علي قال : (إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفا فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيلياء فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيلياء لعمرو الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض إن هذا لعبرة وبصيرة ويؤدي إليه السفياني الطاعة ثم يخرج حتى يلقى كلبا وهم أخواله فيعرونه بما صنع ويقولون كساك الله قميصا فخلعته . فيقول ما ترون أستقيله البيعة فيقولون نعم فيأتيه إلى إيلياء . فيقول أقلني فيقول.. فاعل ، فيقول بلى . فيقول له أتحب أن أقيلك فيقول نعم فيقيله ثم يقول هذا رجل قد خلع طاعتي فيأمر به ثم ذلك فيذبح على بلاطة أيلياء ثم يسير إلى كلب فينهبهم فالخائب من خاب يوم نهب كلب).

- 1008 حدثنا الوليد بن مسلم قال : (حدثني محدث أن المهدي و السفياني وكلب يقتتلون في بيت المقدس حين يستقيله البيعة فيؤتى السفياني أسيرا فيأمر به فيذبح على باب الرجة ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق) .

- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (يبايع المهدي سبعة رجال علماء توجهوا إلى مكة من أفق شتى ميعاد قد بايع لكل رجل منهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فيجتمعون بمكة فيبايعونه ويقذف الله محبته في صدور الناس فيسير بهم وقد توجه إلى الذين بايعوا خيل السفياني عليهم رجل من جرم فإذا خرج من مكة خلف أصحابه ومشى في إزار ورداء حتى يأتي الجرمي فيبايع له فيندمه كلب على بيعته فيأتيه فيستقيله البيعة فيقيله ثم يعبأ جيوشه لقتاله فيهزمه ويهزم الله على يديه الروم ويذهب الله على يديه الفتن وينزل الشام) .
- 1017 عن كعب قال : (إذا رأيت خليفة ببيت المقدس وآخر دونه يعني بدمشق فلا تتبع الذي دونه فإنه أضل من حمار أهله) .
- 1019 حدثنا عبد القدوس عن أبي بكر قال : (حدثني أشياخنا قال السفياني هو الذي يدفع الخلافة إلى المهدي) .
- 1020 حدثنا الحكم بن نافع عن جراح عن أرطاة قال يدخل الصخري الكوفة ثم يبلغه ظهور المهدي بمكة فيبعث إليه من الكوفة بعثا فيخسف به فلا ينجوا منهم إلا بشير إلى المهدي ونذير ينذر الصخري فيقبل المهدي من مكة والصخري من الكوفة نحو الشام كأنهما فرسا رهان فيسبقه الصخري فيقطع بعثا آخر من الشام إلى المهدي فيلقون المهدي بأرض الحجاز فيقيم بها ويقال له أنفذ فيكره المجاز ويقول أكتب إلى ابن عمي فإن يخلع طاعته فأنا صاحبكم فإذا

وصل الكتاب إلى الصخري سلم له وبايع وسار المهدي حتى ينزل بيت المقدس فلا يترك المهدي بيد رجل من الشام فترا من الأرض إلا ردها على أهل الذمة ورد المسلمين جميعا إلى الجهاد فيمكث في ذلك ثلاث سنين ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة بعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري فيقول بايعناك ونصرناك حتى إذا ملكت بايعت عدونا لنخرجن فلنقاتلن فيقول فيمن أخرج فيقول لا يبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك لا يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف فيرحل وترحل معه عامر بأسرها حتى ينزل بيسان ويوجه إليهم المهدي راية وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل فينزلون على فاثور إبراهيم ، فتصف كلب خيلها وإبلها وغنمها فإذا تشامت الخيلان ولت كلب أدبارها وأخذ الصخري فيذبح على الصفا المعترضة على وجه الأرض ثم الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا القنطرة التي على يمين الوادي على الصفا المعترضة على وجه الأرض عليها يذبح كما تذبح الشاة فالخايب من خاب يوم كلب حتى تباع الجارية العذراء بثمانية دراهم).

- 1022 عن كعب قال : (المهدي يبعث بقتال الروم يعطي فقه عشرة يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوارة التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام والإنجيل الذي أنزل الله عز وجل

على عيسى عليه السلام يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم) .

- 1023 عن كعب قال : (إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية) .
- 1030 عن كعب قال : (قادة المهدي خير الناس أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن و أبدال الشام مقدمته جبريل ويتراجع ميكائيل ، محبوب في الخلائق يطفئ الله تعالى الفتنة العمياء و تأمن الأرض حتى إن المرأة لتحج في خمس نسوة ما معهن رجل لا تتقي شيئا إلا الله تعطي الأرض زكاتها والسماء بركتها) .
- 1031 عن طاووس قال : (علامة المهدي أن يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيما بالمساكين).
- 1035 عن كعب قال : (إنما سمي المهدي لأنه يهدى إلى أسفار من أسفار التوراة يستخرجها من جبال الشام يدعو إليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة ثم ذكر نحوا من ثلاثين ألفا).
- 1036 عن مُحَّد بن سيرين : (أنه ذكر فتنة تكون فقال إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قيل يا أبا بكر خير من أبي بكر وعمر قال قد كان يفضل على بعض الأنبياء) .

- 1043 حدثنا الوليد قال سمعت رجلا يحدث قوما فقال: (المهديون ثلاثة مهدي الخير وهو عمر بن عبد العزيز ومهدي الدم وهو الذي يسكن عليه الدماء ومهدي الدين عيسى بن مريم عليه السلام تسلم أمته في زمانه) .
- 1045 عن طاووس قال : (إذا كان المهدي زيد المحسن في إحسانه وتيب على المسيء من إساءته وهو يبذل المال على العمال ويرحم المساكين) .
- 1050 عن سليمان بن عيسى قال : (بلغني أنه على يدي المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلا قليلا منهم ثم يموت المهدي) .
- 1053 علي بن أبي طالب ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (المهدي يصلحه الله تعالى في ليلة واحدة) .
- 1072 عن السقر بن رستم عن أبيه قال : (المهدي رجل أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوي على منبر دمشق وهو ابن ثمان عشرة سنة) .
- 1073 عن علي بن أبي طالب ﵁ قال : (المهدي مولده بالمدينة من أهل بيت النبي ﷺ واسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي و مهاجره بيت المقدس كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال أقنى

أجلى في كتفه علامة النبي يخرج براية النبي ﷺ من مرط مخملة سوداء مربعة فيها حجر لم ينشر منذ توفي رسول الله ﷺ ولا تنشر حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين) .

- 1074 قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (هو فتى من قريش ادم ضرب من الرجال) .
- 1095 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق ولو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقا) .
- 1132 عن الزهري قال : (يعيش المهدي أربع عشرة سنة ثم يموت موتا) .
- 1133 عن علي قال : (يلي المهدي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة) .
- 1138 عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي قال قال رسول الله ﷺ : (ما القحطاني بدون المهدي) .
- 1139 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لا تذهب الأيام والليالي حتى يسوق الناس رجل من قحطان) .

- 1146 عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله ﷺ قال : (سيكون من أهل بيتي رجل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ثم يجيء بعده القحطاني والذي بعثني بالحق ما هو دونه) .
- 1190 عن كعب قال : (يكون بعد المهدي خليفة من أهل اليمن من قحطان أخو المهدي في دينه يعمل بعمله وهو الذي يفتح مدينة الروم ويصيب غنائمها قال كعب ويلي الناس رجل من بني هاشم ببيت المقدس يطفئ سننا كانت معروفة ويبتدع سننا لم تكن حتى لا تجد عالما يحدث بحديث واحد ، وفي زمانه الخسف والمسخ ويعود الإسلام غريبا كما بدأ غريبا فالمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر و كخارط القتاد في ليلة مظلمة ، ويرسل ابنته تخطر في الأسواق معها الشرط عليها بطيطان من ذهب لا توارى مقبلة ولا مدبرة فلو تكلم في ذلك رجل ضربت عنقه).
- 1200 عن مُحَمَّد بن الحنفية قال : (ينزل خليفة من بني هاشم بيت المقدس يملأ الأرض عدلا يبني بيت المقدس بناءا لم يبنى مثله يملك أربعين سنة تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته ثم يغدرون به ثم يجتمعون له بالعمق فيموت فيها غما ثم يلي بعده رجل من نبي هاشم ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنوزها ومائدة سليمان بن

داود عليهما السلام ثم يرجع إلى بيت المقدس فينزلها ويخرج الدجال في زمانه وينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه) .

- 1201 عن أرطاة : (على يدي ذلك الخليفة وهو يمان تكون غزوة الهند التي قال فيها أبو هريرة) .
- 1214 عن أرطاة قال : (بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرين سنة ثم يموت قتلا بالسلاح ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ مهدي حسن السيرة يفتح مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة مُحَمَّد ﷺ ثم يخرج في زمانه الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم عليه السلام) .
- 1215 عن كعب قال : (يبعث ملك في بيت المقدس جيشا إلى الهند فيفتحها و يأخذ كنوزها فيجعله حلية لبيت المقدس ويقدموا علي ملوك الهند مغلوبين يقيم ذلك الجيش في الهند إلى خروج الدجال) .
- 1217 عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليدركن المسيح بن مريم رجال من أمتي هم مثلكم أو خيرهم مثلكم أو أخير) .
- 1238 عن أرطاة قال : (على يدي ذلك الخليفة اليماني الذي تفتح القسطنطينية ورومية على يديه يخرج الدجال و في زمانه ينزل

عيسى ابن مريم عليه السلام في زمانه على يديه تكون غزوة الهند وهو من بني هاشم غزوة الهند التي قال فيها أبو هريرة) .

- 1976 قال علي بن أبي طالب : (يخرج رجل من ولد حسين اسمه اسم نبيكم يفرح بخروجه أهل السماء والأرض فقال له رجل يا أمير المؤمنين فالسفياني ما اسمه . قال هو من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه آثار جدري وبعينه نكتة بياض خروجه خروج المهدي ليس بينهما سلطان هو يدفع الخلافة إلى المهدي يخرج من الشام من وادي من أرض دمشق يقال له **وادي اليابس** يخرج في سبعة نفر مع رجل منهم لواء معقود يعرفون في لوائه النصر يسير بين يديه على ثلاثين ميلا لا يرى ذلك العلم أحد يريده إلا انهزم ، يأتي دمشق فيقعد على منبرها ويدني الفقهاء والقراء ويضع السيف في التجار وأصحاب الأموال ويستصحب القراء ويستعين بهم على أمورهم لا يمتنع عليه منهم أحد إلا قتله ويجهز الجيش إلى المشرق جيشا وآخر إلى المغرب وآخر الى اليمن ، ويولي جيش العراق رجلا من بني حارثة يقال له قمر بن عباد رجل جسيم له غديرتان على مقدمته رجل من قومه قصير أصلع عريض المنكبين يقاتله من بالشام من أهل المشرق وبها يومئذ منهم جند عظيم يقاتلهم فيما بين دمشق وفي موضع يقال له البنية وأهل حمص في حرب أهل المشرق وأنصارهم كل ذلك يهزمهم السفياني ثم ينحاز من بدمشق وحمص مع السفياني

ويلتقون وأهل المشرق في موضع من أرض حمص يقال له البدين إلى جانب سليمة يقتل من الناس نيف وستون ألفا ثلاثة أرباعهم من أهل المشرق ثم تكون الدبرة عليهم وليسير الجيش الذي يوجهه إلى المشرق حتى ينزل الكوفة فيكون بينهم قتال شديد يكثر فيه القتلى ثم تكون الهزيمة على أهل الكوفة فكم من دم مهراق وبطن مبقور ووليد مقتول ومال منهوب وفرج مستحل وتهرب الناس إلى مكة ، ويكتب السفياني إلى صاحب ذلك الجيش أن سر إلى الحجاز فيسير بعد أن يعركها عرك الأديم فينزل المدينة فيضع السيف في قريش فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمائة رجل ويبقر البطون ويقتل الولدان ويقتل أخوين من قريش من بني هاشم و يصلبهما على باب المسجد رجل وأخته يقال لهما مُحَمَّد وفاطمة ، ويهرب الناس منه إلى مكة فيسير بجيشه ذلك إلى مكة يريدها فينزل البيداء فيأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فيصرخ بصوته يا بيداء بيدي بهم فيبادون من ثم آخرهم ويبقى منهم رجلان يلقاهما جبريل عليه السلام فيجعل وجوههما إلى أدبارهما فلكأني أنظر اليهما يمشيان القهقري يخبران الناس ما لقوا) .

۞۞۞۞۞۞۞

(6) – ملاحم الروم:

صحيح مسلم :

• 2897 عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (ثم لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء ثم الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاؤوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته) .

باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس :

• 2898 موسى بن علي عن أبيه قال: (قال المستورد القرشي ثم عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول ثم تقوم الساعة والروم

أكثر الناس فقال له عمرو أبصر ما تقول قال أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ قال لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربعا إنهم لأحلم الناس ثم فتنة وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة و أوشكهم كرة بعد فرة وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك) .

- 2896 عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : (قال رسول الله ﷺ ثم منعت العراق درهمها و قفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه) .

باب إقبال الروم في كثرة القتل ثم خروج الدجال :

- 2899 عن يسير بن جابر قال: (ثم هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجير إلا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة قال فقعد وكان متكئا فقال إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام قلت الروم تعني قال نعم وتكون ثم ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة

للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله ﷺ إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ قال بن أبي شيبة في روايته عن أسير بن جابر) .

● 2913 عن أبي نضرة قال ثم كنا عند جابر بن عبد الله فقال : (يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم قلنا من أين ذاك قال من قبل العجم يمنعون ذاك ثم قال يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدى قلنا من أين ذاك قال من قبل الروم ثم اسكت

هنية ثم قال قال رسول الله ﷺ يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا قال قلت لأبي نضرة وأبي العلاء أتريان أنه عمر بن عبد العزيز فقالا لا) .

- 2920 عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ثم سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا نعم يا رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور لا أعلمه إلا قال الذي في البحر ثم يقولوا الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون) .

سنن أبي داوود :

- 4292 عن جبير بن نفير عن الهدنة قال : (قال جبير انطلق بنا إلى ذي مخبر رجل من أصحاب النبي ﷺ فأتيناه فسأله جبير عن الهدنة فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ثم ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم

ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة) .

- 4293 عن حسان بن عطية ثم بهذا الحديث زاد فيه: (ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة).
- 4294 عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: (ثم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدث أو منكبه ثم قال إن هذا لحق كما أنك هاهنا أو كما أنك قاعد يعني معاذ بن جبل) .

باب في تواتر الملاحم :

- 4295 عن أبي بحرية عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثم الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر).
- 4296 عن بن أبي بلال عن عبد الله بن بسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثم بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج المسيح الدجال في السابعة قال أبو داود هذا أصح من حديث عيسى).
- 298 عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: (ثم إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام).
- 4299 عن نافع عن بن عمر قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح) .
- 4300 عن الزهري قال : (ثم وسلاح قريب من خيبر) .
- 4301 عن عوف بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : (ثم لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين سيفا منها وسيفا من عدوها) .

باب في النهي عن تهييج الترك والحبشة :

- 4302 عن أبي سكينة رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (ثم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم) .

<u>**المستدرك على الصحيحين** أبو عبد الله الحاكم النيسابوري :</u>

- 8298 عن ذي مخمر رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو بن أخي النجاشي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم فتنصرون وتغنمون وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيقول قائل من الروم غلب الصليب ويقول قائل من المسلمين بل الله غلب فيتداولانها بينهم فيثور المسلم إلى صليبهم وهم منهم غير بعيد فيدقه ويثور الروم إلى كاسر صليبهم فيقتلونه ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون فيكرم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين بالشهادة فيقول الروم لصاحب الروم كفيناك جد العرب فيغدرون فيجتمعون للملحمة فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- 8400 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (يوشك أهل العراق أن لا يجيء إليهم درهم ولا قفيز قالوا مم ذاك يا أبا عبد الله قال من قبل العجم يمنعون ذاك ثم سكت هنيهة ثم قال يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مد قالوا مم ذاك قال من قبل الروم يمنعون ذلك ثم قال قال رسول الله ﷺ يكون في أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عدا ثم قال والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ ليعودن كل إيمان إلى المدينة كما بدأ منها حتى يكون كل إيمان بالمدينة ثم قال قال رسول الله ﷺ لا يخرج رجل من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وليسمعن ناس برخص من أسعار وريف فيتبعونه والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
- 8423 عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : (أن رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس يقال له ذو العرف يجمع من قبائل الشرك جمعا عظيما يعرف من بالأندلس أن لا طاقة لهم فيهرب أهل القوة من المسلمين في السفن فيجيزون إلى طنجة ويبقى ضعفة الناس وجماعتهم ليس لهم سفن يجيزون عليها فيبعث الله عز وجل وعلا ويعبر لهم في البحر فيجز الوعل لا يغطي الماء أظلافه فيراه الناس فيقولون الوعل الوعل اتبعوه فيجيز الناس على أثره كلهم ثم يصير البحر على ما كان عليه ويجيز العدو في المراكب فإذا حس بهم أهل

الأفريقية هربوا كلهم من إفريقية ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين حتى يدخلوا الفسطاط ويقبل ذلك العدو حتى ينزلوا فيما بين مربوط إلى الأهرام مسيرة خمس برد فيملؤون ما هنالك شرا فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم فيهزمونهم ويقتلونهم إلى ألولبة مسيرة عشر ليال ويستوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأداتهم سبع سنين وينفلت ذو العرف من القتل ومعه كتاب لا ينظر فيه إلا وهو منهزم فيجد فيه ذكر الإسلام وأنه يؤمر فيه بالدخول في السلم فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام من أصحابه الذين أقبلوا معه فيسلم فيصير من المسلمين ثم يأتي العام الثاني رجل من الحبشة يقال له أسيس وقد جمع جمعا عظيما فيهرب المسلمون منهم من أسوان حتى لا يبقى بها ولا فيها دونها أحد من المسلمين إلا دخل الفسطاط فينزل أسيس بجيشه منف وهو على رأس بريد من الفسطاط فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم فيقتلونهم و يأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة) هذا حديث صحيح موقوف الإسناد على شرط الشيخين وهو أصل في معرفة وقوع الفتن بمصر ولم يخرجاه.

- 8426 عن كعب قال : (إن المعاقل ثلاثة فمعقل الناس يوم الملاحم بدمشق ومعقل الناس يوم الدجال نهر أبي قطرس يمرق من

الناس من يقول بيت المقدس ومعقلهم يوم يأجوج و مأجوج بطور سيناء).

- 8428 عن كعب قال : (الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة ولا تفتح مدينة الكفر حتى تكون الملحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح مدينة الكفر) .
- 8488 عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : (لا تذهب الدنيا يا علي بن أبي طالب قال علي لبيك يا رسول الله قال اعلم أنكم ستقاتلون بني الأصفر أو يقاتلهم من بعدكم من المؤمنين وتخرج إليهم روقة المؤمنين أهل الحجاز الذين يجاهدون في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم حتى يفتح الله عز وجل عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير فينهدم حصنها فيصيبون نبلا عظيما لم يصيبوا مثله قط حتى أنهم يقتسمون بالترس ثم يصرخ صارخ يا أهل الإسلام قد خرج المسيح الدجال في بلادكم و ذراريكم فينفض الناس عن المال فمنهم الآخذ ومنهم التارك فالآخذ نادم والتارك نادم يقولون من هذا الصائح فلا يعلمون من هو فيقولون ابعثوا طليعة إلى لد فإن يكن المسيح قد خرج فيأتونكم بعلمه فيأتون فينظرون فلا يرون شيئا ويرون الناس شاكين فيقولون ما صرخ

الصارخ إلا لنبأ فاعتزموا ثم ارشدوا فيعتزمون أن نخرج بأجمعنا إلى لد فإن يكن بها المسيح الدجال نقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين وإن يكن الأخرى فإنها بلادكم وعشائركم وعساكركم رجعتم إليها) .

- 8496 أبا الدرداء ﵁ يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الفوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8655 عن إسحاق بن عبد الله ثم أن عوف بن مالك الأشجعي أتى رسول الله ﷺ في فتح عليه ثم قال هنيئا لك يا رسول الله قد أعز الله نصرك وأظهر دينك ووضعت الحرب أوزارها بجرانها قال ورسول الله ﷺ في قبة من آدم فقال أدخل يا عوف فقال أدخل كلي أو بعضي فقال أدخل كلك فقال إن الحرب لن تضع أوزارها حتى تكون ست أولهن موتي فبكى عوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إحدى والثانية فتح بيت المقدس والثالثة فتنة تكون في الناس كعقاص الغنم والرابعة فتنة تكون في الناس لا يبقى أهل بيت إلا دخل عليهم نصيبهم منها والخامسة يولد في بني الأصفر غلام من أولاد الملوك يشب في اليوم كما يشب الصبي في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب الصبي في الشهر ويشب في الشهر كما يشب

الصبي في السنة فما بلغ اثنتي عشرة سنة ملكوه عليهم فقام بين أظهرهم فقال إلى متى يغلبنا هؤلاء القوم على مكارم أرضنا إني رأيت أن أسير إليهم حتى أخرجهم منها فقام الخطباء فحسنوا له رأيه فبعث في الجزائر والبرية بصنعة السفن ثم حمل فيها المقاتلة حتى نزل بين أنطاكية والعريش قال بن شريح فسمعت من يقول إنهم اثنا عشر غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا فيجتمع المسلمون إلى صاحبهم ببيت المقدس وأجمعوا في رأيهم أن يسيروا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يكون مسالحهم بالسرح و خيبر قال بن أبي جعفر قال رسول الله ﷺ يخرجوا أمتي من منابت الشيح قال أو قال الحارث بن يزيد إنهم سيقيموا فيها هنالك فيفر منهم الثلث ويقتل منهم الثلث فيهزمهم الله عز وجل بالثلث الصابر وقال خالد بن يزيد يومئذ يضرب والله بسيفه ويطعن برمحه ويتبعه المسلمون حتى يبلغوا المضيق الذي ثم القسطنطينية فيجدونه قد يبس ماؤه فيجيزون إلى المدينة حتى ينزلوا بها فيهدم الله جدرانهم بالتكبير ثم يدخلونها فيقسمون أموالهم بالأترسة وقال أبو قبيل المعافري فبينما هم على ذلك إذا جاءهم راكب فقال أنتم ها هنا والدجال قد خالفكم في أهليكم وإنما كانت كذبة فمن سمع العلماء في ذلك أقام على ما أصابه وأما غيرهم فانفضوا ويكون المسلمون يبنون المساجد في القسطنطينية ويغزون وراء

ذلك حتى يخرج الدجال السادسة) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله .

• وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال أتيت عبد الله بن عمرو في بيته وحوله سماطان من الناس وليس على فراشه أحد فجلست على فراشه مما يلي رجليه فجاء رجل أحمر عظيم البطن والحاصل فقال من الرجل قلت عبد الرحمن بن أبي بكرة فقال ومن أبو بكرة فقال وما تذكر الرجل الذي وثب إلى رسول الله ﷺ من سور الطائف فقال بلى ثم أنشأ يحدثنا فقال : (يوشك أن يخرج ابن حمل الضأن قلت وما حمل الضأن قال رجل أحد أبويه شيطان يملك الروم يجيئ في الف الف من الناس خمسمائة ألف في البر وخمسمائة ألف في البحر ينزلون أرضا يقال لها العميق فيقول لأصحابه إن لي في سفينتكم بقية فيحرقها بالنار ثم يقول لا رومية لكم ولا قسطنطينية لكم من شاء أن يفر. ويستمد المسلمون بعضهم بعضا حتى يمدهم أهل عدن أبين فيقول لهم المسلمون الحقوا بهم فكونوا سلاحا واحدا فيقتتلون شهرا حتى يخوض في سنابكها الدماء وللمؤمن يومئذ كفلان من الأجر على من كان قبله إلا ما كان من أصحاب مُحَمَّد ﷺ . فإذا كان آخر يوم من الشهر قال الله تبارك وتعالى اليوم أسل سيفي وأنصر ديني وأنتقم من

عـدوي فيجعـل الله لهـم الـدائرة علـيهم فيهـزمهم الله حـتى تسـتفتح القسطنطينية فيقول أميرهم لا غلول اليوم فبينما هم كذلك يقسمون بأترستهم الذهب والفضة إذ نودي فيهم أن الدجال قد خلفكم في دياركم فيدعون ما بأيديهم ويقتلون الدجال) . رواه البزار موقوفا وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات.

السنن الواردة في الفتن :

- عـن الأوزاعـي قـال : (إذا دخـل أصـحاب الـرايات الصـفر مصـر فليحفر أهل الشام أسرابا تحت الأرض).
- 477 عن سفيان الثوري قال يخرج عنق من البربر فويل لأهل مصر)

.

- 478 عـن مـولى لشـرحبيل بـن حسـنة أو لعمـرو بـن العـاص قـال : (سمعته يوما واستقبلنا فقال إيهاً لك مصر إذا رميت بالقسي الأربع قوس الأندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم).
- 1263 عن كعب: (قال فتعذر الروم بمن كان فيها فتجتمع و تأتي بجيش في البحر من رومية عليهم صاحب لهم يقال له الجمل أحد أبويه جنية أو قال شيطان فيسير بسفنه حتى ينزل ديرا يقال له عمقا في عكا).

- 1319 قال كعب : (وإن بالمغرب لحمل الضان ملك من ملوكهم يعد لأهل الشام ألف قلع وكلما أعدها بعث الله عليها قاصفا من الريح حتى يأذن الله بخروجها فترسى ما بين عكا والنهر فيشغلوا كل جندان يمد جندا فينبغي أي نهر هو قال مهراق الأرنط نهر حمص ومهراقة ما بين الأقرع إلى المصيصة).
- 1326 عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال: (إذا افتتحتم رومية فادخلوا كنيستها العظمى الشرقية من بابها الشرقي فاعتدوا سبع بلاطات ثم اقتلعوا الثامنة فإن تحتها عصى موسى والإنجيل طرية وحلي بيت المقدس).
- 1333 عن عبد الله بن عمرو قال : (إذا عبدت ذو الخلصة كان ظهور الروم على الشام).
- 1346 عن ابن محيريز قال: (قال رسول الله ﷺ إنما فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد الروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلفهم قرن مكانه أصحاب صخر وبحر هيهات هيهات إلى آخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير) .
- 1347 عن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال: (الذي يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي قال ابن لهيعة ويروي في كتبهم يعني الروم أن اسمه صالح) .

- 1375 عن يونس بن سيف الخولاني قال تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزوا أنتم وهم الترك وكرمان فيفتح الله لكم ، فتقول الروم غلب الصليب فيغضب المسلمون فينحازون وينحازون فيقتتلون قتالا شديدا ثم مرج ذي تلول ثم يفتح الله لكم عليهم ثم تكون الملاحم بعد ذلك.
- 1409 حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول يوشك أن يخرج حمل الضان ثلاث مرات . قلت ما حمل الضان ؟ قال رجل أحد أبويه شيطان يملك الروم يجيء في ألف ألف وخمس مائة ألف ألف . ألف في البر وخمس مائة ألف في البحر حتى ينزل أرضا يقال لها العمق فيقول لأصحابه إن لي في سفنكم طلبة فإذا نزلوا عنها أمر بها فأحرقت ثم يقول لا قسطنطينية لكم ولا رومية فمن شاء فليقم ويستمد المسلمون بعضهم بعضا فذكر الحديث حتى تستفتحوا القسطنطينية الزانية أني لأجدها في كتاب الله تعالى الزانية).
- 1428 عن أرطاة قال : (يكون بين المهدي وبين طاغية الروم صلح بعد قتله السفياني ونهب كلب حتى يختلف تجاركم إليهم وتجارهم إليكم ويأخذون في صنعة سفنهم ثلاث سنين ثم يهلك المهدي فيملك رجل من أهل بيته يعدل قليلا ثم يجور فيقتل قتلا ولا ينطفي ذكره حتى ترسى الروم فيما بين صور إلى عكا فهي الملاحم) .

(7) – خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام:

صحيح البخاري :

- 1780 عن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ثم لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان) .
- 1782 عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: (قال ثم ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق).
- 1783 عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : (حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال ثم يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ينزل بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال أقتله فلا أسلط عليه) .

صحيح مسلم :

- 169 قال سالم قال عبد الله بن عمر: (ثم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال إني لأنذركموه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلموا أنه أعور وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور) .
- 169 قال بن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري إنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ : (أن رسول الله ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال ثم إنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن وقال تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت).
- 2933 عن قتادة قال سمعت أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: (ثم ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه **ك ف ر**) .
- 2934 عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: (ثم لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطيء رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد وإن الدجال

ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) .

- 2937 عن النواس بن سمعان ثم قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل الدجال أخوفني عليكم إن يخرج فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فأثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك

فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل ثم المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال

للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس و اللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس و اللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة) .

- 2938 عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح . مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال فيأمر الدجال به فيشبح فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول أو ما تؤمن بي قال فيقول أنت المسيح الكذاب قال فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما قال ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه

سبيلا قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقى في الجنة فقال رسول الله ﷺ هذا أعظم الناس شهادة ثم رب العالمين) .

- 2943 عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : (ثم ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق .
- 2944 عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله عن عمه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ثم يتبع الدجال من زفر أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة
- 2945 جابر بن عبد الله يقول أخبرتني أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول ثم ليفرن الناس من الدجال في الجبال قالت أم شريك يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم قليل) .

سنن أبي داوود :

- 4319 عمران بن حصين يحدث قال قال رسول الله ﷺ : (ثم من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه

مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات).

- 4321 عن النواس بن سمعان الكلابي قال : (ثم ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال إن يخرج فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته قلنا وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم فقلنا يا رسول الله هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال لا اقدروا له قدره ثم ينزل عيسى بن مريم ثم المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه ثم باب لد فيقتله) .
- 4324 عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثم ليس بيني وبينه نبي يعني عيسى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون) .

ابن ماجة :

- 4072 عن أبي بكر الصديق قال حدثنا رسول الله ﷺ : (ثم أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة) .
- 7075 عن النواس بن سمعان الكلابي يقول : (ثم ذكر رسول الله ﷺ الدجال الغداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل فلما رحنا إلى رسول الله ﷺ عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم فقلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ثم رفعت حتى ظننا أنه في طائفة النخل الدجال أخوفني عليكم إن يخرج فأنا حجيجه دونكم وأن يخرج فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه قائمة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال فاقدروا له قدره قال قلنا فما إسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح قال فيأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون به فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا

وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ما بأيديهم شيء ثم يمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف حصول فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل ثم المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضع كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه ينحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فينطلق حتى يدركه ثم باب لد فيقتله ثم يأتي نبي الله عيسى قوما قد عصمهم الله فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إليه يا عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم وأحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج و مأجوج وهم كما قال الله من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون لقد كان في هذا ماء مرة ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ويهبط نبي الله عيسى وأصحابه فلا يجدون موضع شبر إلا قد ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم فيرغبون إلى الله

سبحانه فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شـار الله ثم يرسـل الله عـليهم مطـرا لا يكـن منـه بيـت مـدر ولا وبـر فيغسـله حتى يتركـه كالزلقة ثم يقـال لـلأرض أنبتي ثمرتـك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسـل حتى إن اللقحـة مـن الإبـل تكفـي الفئـام مـن النـاس و اللقحة من البقر تكفي القبيلة و اللقحة من الغنم تكفي الفخذ فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ويبقى سائر الناس يتهارجون كما تتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة).

- 4077 عـن أبي أمامـة البـاهلي قـال: (ثم خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكـان مـن قولـه أن قـال إنـه لم تكـن فتنـة في الأرض منـذ ذرأ الله ذريـة آدم أعظـم مـن فتنـة الـدجال وإن الله لم يبعـث نبيـا إلا حـذر أمتـه الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو لا محالة وإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسـه والله خليفـتي علـى كـل مسـلم وإنـه يخـرج مـن خلـة بـين الشـام والعـراق فيعيـث يمينـا ويعيـث شمـالا يا عبـاد الله فـاثبتوا فـإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي إنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور

وإن ربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وإن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغيث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم وإن من فتنته أن يقول لأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيري فيبعثه الله ويقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم قال أبو الحسن الطنافسي ... عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله قال المحاربي ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعا وإنه لا يبقى شيء من الأرض

إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من نقاباهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته حتى ينزل ثم الظريب الأحمر ثم منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبي العكر يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف زفر كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك حصول لن تسبقني بها فيدركه ثم باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به زفر إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا دابة إلا الغرقدة فأنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا زفر فتعال اقتله قال رسول الله ﷺ وإن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح

أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي فقيل له يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا قال رسول الله ﷺ فيكون عيسى بن مريم عليه السلام في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفا ثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات قالوا يا رسول الله وما يرخص الفرس قال لا تركب لحرب أبدا قيل له فما يغلي الثور قال تحرث الأرض كلها وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى آت تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر

الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله قيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال التهليل والتكبير والتسبيح و التحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام قال أبو عبد الله سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى في الكتاب).

صحيح ابن حبان :

- 6784 عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال : (ثم لقي نبي الله ﷺ بن صائد ومعه أبو بكر وعمر قال وابن صائد مع الغلمان فقال له رسول الله ﷺ أتشهد أني رسول الله قال أتشهد أني رسول الله فقال نبي الله آمنت بالله وبرسوله قال فقال رسول الله ﷺ ما ترى قال أرى عرشا على الماء فقال ﷺ ترى عرش إبليس على البحر قال انظر ما ترى قال أرى صادقين وكاذبين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس علي نفسه فدعاه ذكر الإخبار عن الوقت الذي ولد فيه الدجال) .
- 6787 عن يحي بن يعمر: (أنه قال لفاطمة بنت قيس حدثيني بشيء سمعتيه من رسول الله ﷺ ولا تحدثيني بشيء لم تسمعيه من

رسول الله ﷺ قالت نعم ثم نودي بالصلاة جامعة فاجتمع الناس وفزعوا قالت فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال إني لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن حديث حدثنيه تميم الداري زعم أنه ركب البحر في ثلاثين رجلا من لخم وجذام قال فلعب بنا البحر وربما قال لعب بنا الموج شهرا ثم قذف بنا السفين إلى جزيرة في البحر قال فخرجنا إليها فلقيتنا جارية تجر شعرها لا ندري مقبلة هي أم مدبرة قلنا ما أنت قالت أنا الجساسة قلنا أخبرينا قالت عليكم بصاحب الدير وهو يخبركم و يستخبركم قال فدخلنا عليه فإذا رجل ذكر من عظمه ما شاء الله وهو موثق إلى حبل بالحديد فقلنا من أنت قال أخبروني عما أسألكم عنه قالوا سلنا قال ما فعل نخل بيسان يطعم قلنا نعم قال يوشك أن لا يطعم ثم قال أخبروني عن عين زغر بها ماء قلنا نعم قال يوشك أن لا يكون بها ماء ثم قال أخبروني عن هذا الرجل هل خرج قالوا نعم قال إنه صادق فاتبعوه فقلنا من أنت قال أنا الدجال قال كهمس فذكر بن بريدة شيئا لم أحفظه إلا أنه قال تطوي له الأرض ويأتي على جميعهن في أربعين صباحا) .

- 6793 عن أيوب وعبيد الله بن عمر عن نافع ثم أن بن عمر رأى بن صائد في سكة من سكك المدينة فسبه بن عمر ووقع فيه فانتفخ حتى سد الطريق فضربه بن عمر بعصا فسكن حتى عاد فانتفخ حتى سد الطريق فضربه بن عمر بعصا معه حتى كسرها عليه فقالت له

حفصة ما شأنك وشأنه ما يولعك به أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها) .

- 6798 أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : (ثم يتبع الدجال سبعون ألفا من زفر أصبهان عليهم الطيالسة) .

المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم النيسابوري :

- 8419 عن بن أبي مليكة قال غدوت على بن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال (ما نمت البارحة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدجال قد طرق هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) .
- 8420 عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (للدجال آيات معلومات إذا غارت العيون ونزفت الأنهار واصفر الريحان وانتقلت مذحج و همدان من العراق فنزلت قنسرين فانتظروا الدجال غاديا أو رائحا) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- 8473 عن أبي نضرة قال : (أتينا عثمان بن أبي العاص يوم الجمعة لنعارض مصحفنا بمصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا وتطيبنا ورحنا إلى المسجد فجلسنا إلى رجل يحدث ثم جاء عثمان بن

أبي العاص فتحولنا إليه فقال عثمان ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالجزيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في عراض جيش فيهزم من قبل المشرق فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين فتصير أهلها ثلاث فرق فرقة تقيم وتقول نشامة وننظر ما هو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ثم يأتي المصر الذي يليهم فيصير أهله ثلاث فرق فرقة تقول نشامه وننظر ما هو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليه ثم يأتي الشام فينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون بسرح لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد حتى أن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك إذ ناداهم مناد من السحر يا أيها الناس أتاكم الغوث فيقول بعضهم لبعض إن هذا لصوت رجل شبعان فينزل عيسى بن مريم ﷺ عند صلاة الفجر فيقول له إمام الناس تقدم يا روح الله فصل بنا فيقول إنكم معشر هذه الأمة أمراء بعضكم على بعض تقدم أنت فصل بنا فيتقدم فيصلي بهم فإذا انصرف أخذ عيسى صلوات الله عليه حربته نحو الدجال فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص فتقع حربته بين ثندوته فيقتله ثم ينهزم أصحابه فليس شيء يومئذ يجبس منهم أحدا حتى أن الحجر يقول يا

مؤمن هذا كافر فاقتله) . هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم بذكر أيوب السختياني ولم يخرجاه.

- 8507 عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال قال رسول الله ﷺ : (أنا أعلم بما مع الدجال منه نهران أحدهما نار تأجج في عين من رآه والآخر ماء أبيض فإن أدركه منكم أحد فليغمض وليشرب من الذي يراه نارا فإنه ماء بارد وإياكم والآخر فإنه الفتنة واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه من يكتب ومن لا يكتب وأن إحدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة أنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن على بيته أفيق وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن وأنه يقتل من المسلمين ثلثا ويهزم ثلثا ويبقى ثلثا ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض ما تنتظرون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربكم من كان عنده فضل طعام فليغد به على أخيه وصلوا حين ينفجر الفجر وعجلوا الصلاة ثم أقبلوا على عدوكم فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم صلوات الله عليه إمامهم فصلى بهم فلما انصرف قال هكذا افرجوا بيني وبين عدو الله قال أبو حازم قال أبو هريرة فيذوب كما تذوب الإهالة في الشمس وقال عبد الله بن عمرو كما يذوب الملح في الماء وسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى أن الشجر والحجر لينادي يا عبد الله يا عبد الرحمن يا مسلم هذا يهودي فاقتله فينفيهم الله ويظهر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ويضعون

الجزية فبينما هم كذلك أخرج الله أهل يأجوج و مأجوج فيشرب أولهم البحيرة ويجئ آخرهم وقد استقوه فما يدعون فيه قطرة فيقولون ظهرنا على أعدائنا قد كان ها هنا أثر ماء فيجئ نبي الله ﷺ وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها لد فيقولون ظهرنا على من في الأرض فتعالوا نقاتل من في السماء فيدعو الله نبيه ﷺ عند ذلك فيبعث الله عليهم قرحة في حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فتؤذي ريحهم المسلمين فيدعو عيسى صلوات الله عليه عليهم فيرسل الله عليهم ريحا فتقذفهم في البحر أجمعين). هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

- 8508 النواس بن سمعان الكلابي يقول: (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إلى رسول الله ﷺ عرف ذلك فينا وقال ما شأنكم فقلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت ورفعت حتى ظنناه في طائفة من النخل قال إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط لحيته قائمة كأنه شبيه العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف ثم قال أراه يخرج ما بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم

كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قال قلنا يا رسول الله فذلك الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله فما إسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح قال فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر و يأمر الأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم ويصبحون ممحلين ما بأيديهم شيء ثم يمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فينطلق وتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا مسلما شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين قطع رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه ويضحك قال فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذ طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه عند باب لد فيقتله الله ثم يأتي عيسى بن مريم عليه السلام نبي الله قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجهه ويحدثهم عن درجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إليه يا عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم حرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج و مأجوج وهم من كل حدب ينسلون ويمر أولهم على بحيرة الطبرية

فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون لقد كان في هذا ماء مرة فيحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم يومئذ خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله ﷺ وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة فيهبط نبي الله ﷺ وأصحابه لا يجدون موضع شبر إلا وقد ملأه الله بزهمهم ونتنهم ودمائهم ويرغب نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الله فيرسل طيرا كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم قال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس و اللقحة من البقر تكفي القبيلة و اللقحة من الغنم تكفي الفخذ فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة تأخذ تحت آباطهم وتقبض روح كل مسلم ويبقى سائر الناس يتهارجون كما تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة).

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8551 عن هشام بن عامر الأنصاري ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن رأس الدجال من ورائه حبك حبك وأنه سيقول أنا ربكم فمن قال أنت ربي افتتن ومن قال كذبت ربي الله وعليه توكلت وإليه

أنيب فلا يضره أو قال فلا فتنة عليه هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- 8561 عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن بن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ سئل عن طعام المؤمنين في زمن الدجال قال طعام الملائكة قالوا وما طعام الملائكة قال طعامهم منطقهم بالتسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس أذهب الله عنه الجوع فلم يخش جوعا) .هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.
- 8614 عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن جده: (ثم أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال إن يخرج فأنا حجيجه وإن يخرج فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ألا وإنه مطموس العين كأنها عين عبد العزى بن قطن الخزاعي ألا فإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأ كل مسلم فمن لقيه منكم فليقرأ بفاتحة الكهف يخرج من بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا ثلاثا فقيل يا رسول الله فما مكثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كالسنة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وسائر أيامه كأيامكم قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بالصلاة يومئذ صلاة يوم أو نقدر قال بل تقدروا). هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

• 8631 عن محجن بن الأدرع ﷺ : (أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال ثم يوم الخلاص وما يوم الخلاص ثلاث مرات فقيل يا رسول الله ما يوم الخلاص فقال يجيء الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من نقابها ملكا مصلتا فيأتي سبحة الجرف فيضرب رواقه المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا محمود ولا فاسقة إلا خرج إليه فتخلص المدينة وذلك يوم الخلاص) . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رحمه الله .

• وعن حذيفة قال : (ذكر الدجال ثم رسول الله ﷺ فقال لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال) . رواه أحمد و البزار ورجاله رجال الصحيح .

• عن راشد بن سعد قال : (... لما حسنة إصطخر إذا مناد ينادي ألا إن الدجال قد خرج قال فلقيهم الصعب بن جثامة فقال لولا ما تقولون لأخبرتكم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يخرج الدجال

حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر) .
رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو وهي صحيحة كما قال ابن معين وبقية رجاله ثقات.

- وعن فاطمة بنت قيس قالت : (سمعت رسول الله ﷺ نادى الصلاة جامعة فخرجت في نسوة من الأنصار حتى أتينا المسجد فصلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر ثم صعد المنبر قالت فاطمة فرأيت رسول الله ﷺ رافعا يديه حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال ألا أخبركم أن هذه طيبة ثلاثا ثم قال ألا أخبركم أن نحو الشام ثم أغمي عليه ساعة ثم أريح ثم سري عنه ثم قال بل في نحو العراق بل هو في نحو العراق يخرج حين يخرج من بلدة يقال لها أصبهان من قرية من قراها يقال لها **رستق أباد** يخرج حين يخرج على مقدمته سبعون ألفا عليهم السيجان معه نهران نهر من ماء ونهر من نار فمن أدرك منكم ذلك فقيل له ادخل الماء فلا يدخل فإنه نار وإذا قيل له ادخل النار فليدخلها فإنها ماء). رواه الطبراني في الكبير والأوسط في حديثها الطويل وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف جدا .

- وعن سليمان بن شهاب قال : (نزل على عبد الله بن معتم وكان من أصحاب النبي ﷺ فحدثني عن النبي ﷺ أنه قال الدجال ليس به خفا إنه يجيء من قبل المشرق فيدعو لي فيتبع وبنصب للناس فيقاتلهم ويظهر عليهم فلا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر

دين الله ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ثم يقول بعد ذلك إني نبي فيفزع من ذلك كل ذي لب ويفارقه فيمكث بعد ذلك حتى يقول أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على كل مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ويكون أصحابه وجنوده المجوس واليهود والنصارى وهذه الأعاجم من المشركين ثم يدعو برجل فيؤمر به فيقتل ثم يقطع أعضاءه كل عضو على حدة فيفرق بينها حتى يراه الناس ثم يجمع بينها ثم يضرب بعصاه فإذا هو قائم فيقول أنا الله أحيي وأميت وذلك كله سحر يسحر به أعين الناس ليس يعمل من ذلك شيئا) . رواه الطبراني وفيه سعيد بن مُحَمَّد الوراق وهو متروك.

- وعن العريان بن الهيثم قال: (دخلت على يزيد بن معاوية فبينا نحن عنده جلوس إذ أتاه رجل فأخذ مرفقته فاتكأ عليها قلنا ما هذا قال بعضهم هذا عبد الله بن عمرو قال بعضنا يا عبد الله بن عمرو إنا لنحدث عنك أحاديث قال إنكم معاشر أهل العراق تأخذون الأحاديث من أسافلها ولا تأخذونها من أعاليها وذكروا الدجال فقالوا بأرضكم أرض يقال لها كوفا ذات سباخ ونخل قلنا نعم قال فإنه يخرج منها) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

• عن أبي هريرة قال ذكر الدجال ثم النبي ﷺ فقال تلده أمه وهي منبوذة في قبرها فإذا ولدته حملت النساء بالخطائين رواه الطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن عبد الرحمن الجمحي قال البخاري مجهول.

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبد الله بن مُحَّد بن أبي شيبة الكوفي.

• 37492 عن ربعي بن حراش قال : (سمعت حذيفة يقول لو خرج الدجال لآمن به قوم في قبورهم).

• 37499 عن سعيد بن المسيب قال : (قال أبو بكر هل بالعراق أرض يقال لها خراسان قالوا نعم قال فإن الدجال يخرج منها)

• 37536 عن أبي الطفيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : (يخرج الدجال على حمار رجس على رجس) .

• 37537 حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليصبحن الدجال قوم يقولون إنا لنصحبه وإنا لنعلم أنه كذاب ولكنا إنما نصحبه لنأكل من الطعام ونرعى من الشجر وإذا نزل غضب الله نزل عليهم كلهم).

- 37538 حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي المقدام عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: (يخرج الدجال من كوثى).
- 37539 حدثنا وكيع عن سفيان عن سلمة عن أبي صادق قال قال عبد الله : (إني لأعلم أول أهل أبيات يقرعهم الدجال أنتم أهل الكوفة) .

الجامع لابن معمر :

- أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: (أخبرني عمرو بن أبي سفيان الثقفي أنه أخبره رجل من الأنصار عن بعض أصحاب مُحَمَّد ﷺ قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال يأتي سباخ المدينة وهو محرم عليه أن يدخل نقابها فتنتفض المدينة بأهلها نفضة أو نفضتين وهي الزلزلة فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة ثم يولي الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم وبقية المسلمين بذروة جبل من جبال الشام فيحاصرهم الدجال نازلا بأصله حتى إذا طال عليهم البلاء قال رجل من المسلمين يا معشر المسلمين حتى متى أنتم هكذا وعدو الله نازل بأرضكم هكذا هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم فيبايعون على الموت بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ثم

تأخذهم ظلمة لا يبصر امرؤ فيها كفه قال فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمته يقولون من أنت يا عبد الله فيقول أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم اختاروا بين إحدى ثلاث بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده وعذابا من السماء أو يخسف بهم الأرض أو يسلط عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم فيقولون هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة فيقومون إليهم فيسلطون عليهم و يذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص حتى يأتيه أويدركه عيسى) .

الفتن لابن حماد :

- 1202 حدثنا الوليد عن صفوان بن عمرو عمن حدثه عن النبي ﷺ قال: (يغزوا قوم من أمتي الهند فيفتح الله عليهم حتى يلقوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل يغفر الله لهم ذنوبهم فينصرفون إلى الشام فيجدون عيسى بن مريم بالشام) .
- 1447 عن كعب الأحبار قال : (كان يقال كلب الساعة الدجال ومن صبر على فتنة الدجال لم يفتن ولم يفتن أبدا حيا ولا ميتا ومن أدركه ولم يتبعه وجبت له الجنة وإذا خلص الرجل وكذب الدجال

مرة واحدة وقال قد علمت من أنت أنت الدجال ثم قرأ عليه بفاتحة سورة الكهف لم يخشه ولا يقدر أن يفتنه وكانت له تلك الآية كالتميمة من الدجال فطوبى لمن نجا بإيمانه قبل فتن الدجال وهوانه وصغاره وليدركن أقواما مثل خيار أصحاب مُحَّمد ﷺ).

- 1479 عن كعب قال : (يخرج الدجال في سنة ثمانين والله أعلم أي الثمانين ثمانين ومائتين أو غيرها).
- 1485 عن أرطاة قال : (تفتح القسطنطينية ثم يأتيهم الخبر بخروج الدجال فيكون باطلا ثم يقيمون ثلث سبع سابوعا فتمسك السماء في تلك السنة ثلث قطرها وفي السنة الثانية ثلثيها وفي الثالثة تمسك قطرها أجمع فلا يبقى ذو ظفر ولا ناب إلا هلك ويقع الجوع فيموتون حتى لا يبقى من كل سبعين عشرة ويهرب الناس إلى جبال الجوف إلى أنطاكية ومن علامات خروج الدجال ريح شرقية ليست بحارة ولا باردة تهدم صنم أسكندرية وتقطع زيتون المغرب والشام من أصولها وتيبس الفرات والعيون والأنهار وينسأ لها مواقيت الأيام والشهور ومواقيت الأهلة) .
- 1494 عن أبي هريرة قال : (يخرج الدجال من قرية هي بالعراق فيفترق الناس ثم خروجه فتقول فرقة منهم هلم إلى الشام هلم إلى إخوانكم) .

- 1495 عن سعيد بن المسيب عن أبي بكر الصديق رضوان الله عليه قال : (يخرج الدجال من مرو من يهوديتها) .
- 1496 حدثنا يزيد بن هارون عن سعيد عن قتادة عن ابن المسيب عن أبي بكر الصديق ﷺ قال : (يخرج الدجال من خراسان) .
- 1497 عن كعب قال : (مولد الدجال بقرية من قرى مصر يقال له قوس وهي بسرى) .
- 1498 عن جبير بن نفير و شريح والمقدام وعمرو بن الأسود وكثير بن مرة قالوا : (ليس هو إنسان إنما هو شيطان) .
- 1499 عن أبيه قال : (هو ابن صائد الذي ولد بالمدينة) .
- 1506 عن شهر بن حوشب سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ يقول: (سيخرج ناس من قبل المشرق و يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدها النبي ﷺ زيادة على عشر مرات كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم) .
- 1518 عن حذيفة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم معه جبل من ثريد ونهر من ماء وإني سأنعت لكم نعته أن يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب كافر يقرأه كل من يحسن الكتاب ومن لا يحسن فجنته نار وناره جنة وهو المسيح

الكذاب ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر آلاف امرأة فرحم رجلا منع سفيهته أن تتبعه والقوة عليه يومئذ بالقرآن فإن شأنه بلاء شديد يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له استعن بنا على ما شئت فيقول لهم انطلقوا فأخبروا الناس أني ربهم وأني قد جئتهم بجنتي وناري فتنطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان فيتمثلون له بصورة والده وولده وإخوته ومواليه ورقيقه فيقولون يا فلان أتعرفنا فيقول لهم الرجل نعم هذا أبي وهذه أمي وهذه أختي وهذا أخي ويقول الرجل ما نبأكم فيقولون بل أنت فأخبرنا ما نبؤك فيقول الرجل إنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج فتقول له الشياطين مهلا لا تقل هذا فإنه ربكم يريد هذه جنته قد جاء بها وناره ومعه الأنهار والطعام فلا طعام إلا ما كان قبله إلا ما شاء الله فيقول الرجل كذبتم ما أنتم إلا شياطين وهو الكذاب قد بلغنا أن رسول الله ﷺ قد حدث حديثكم وحذرنا وأنبأنا به فلا مرحبا بكم أنتم الشياطين وهو عدو الله وليسوقن الله عيسى ابن مريم حتى يقتله فيخسؤا فينقلبوا خائبين ثم قال رسول الله ﷺ إنما أحدثكم هذه لتعقلوه وتفقهوه وتعوه) .

- 1521 عن عبد الله بن عمرو قال : (مقدمة الدجال سبعون ألفا أسرع وأجرأ من النمران فقال رجل من يستطيع هؤلاء فقال لا أحد إلا الله) .

- 1522 عن الهيثم بن مالك الطائي رفع الحديث قال : (يلي الدجال بالعراق سنتين يحمد فيها عدله وتشرأب الناس إليه فيصعد يوما المنبر فيخطب بها ثم يقبل عليهم فيقول لهم ما آن لكم أن تعرفوا ربكم فيقول له قائل ومن ربنا فيقول أنا . فينكر منكر من الناس من عباد الله قوله فيأخذه فيقتله وينزل عليه ملكان من السماء فيقول أحدهما له حين يقول أنا ربكم كذب ويقول له صاحبه صدق مصدقا لصاحبه فمن أراد الله به الهدى ثبته وعلم أن الملك إنما يصدق صاحبه ومن أراد الله ضلالته شبه عليه فقال إن الملك حين يصدق صاحبه إنما يصدق الدجال ترتيبا لضلالته ثم يسير الدجال فمن أجابه أمر السماء فأمطرتهم ومن خالفه أصبحوا وقد تبعت أموالهم كلها الدجال وجل تبعه اليهود والأعراب ويقتر على المسلمين ويضيق عليهم حتى يبلغهم الجهد وحتى أن أهل البيت لهم العدد تعشيهم العنز الواحدة) .
- 1526 عن كعب قال : (الدجال بشر ولدته امرأة ولم ينزل شأنه في التوراة والإنجيل ولكن ذكر في كتب الأنبياء يولد في قرية بمصر يقال لها قوس يكون بين مولده ومخرجه ثلاثون سنة فإذا ظهر خرج إدريس و خنوك يصرخان في المدائن والقرى إن الدجال قد خرج فإذا أقبل أهل الشام لخروجه توجه نحو المشرق ثم ينزل ثم باب دمشق الشرقي ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى ثم المنارة التي ثم نهر الكسوة

ثم يطلب فلا يدري أين سلك فينسى كره ثم يأتي المشرق فيظهر ويعدل ثم يعطى الخلافة فيستخلف وذلك ثم خروج المسيح و يبرئ الأكمه والأبرص حتى يتعجب الناس ثم يظهر السحر ويدعي النبوة فيفترق عنه الناس ويفارقه أهل الشام فيفترق أهل المشرق ثلاث فرق فرقة تلحق بالشام وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق به فيقبل بمن معه قال كعب وهم أربعون ألفا وقال بعض العلماء سبعون ألفا و يأتي الأمم فيستمدهم على أهل الشام فيجيبونه وتجمع إليه اليهود جميعا فيسير نحو الشام مقدمته العصابة المشرقية معهم أعراب جدس عليهم الطيالسة فيفزع أهل الشام فيهربون إلى الجبال إثنا عشر ألفا من الرجال وسبعة آلاف امرأة عامتهم إلى جبل البلقاء قد اعتصموا به لا يجدون ما شجر الملح وتهرب إلى السهل ومنهم من يأتي القسطنطينية فيسكنها ثم يتراسلون فيقبلون سراعا حتى ينزلوا غربي الأردن عن نهر أبي فطرس ينطوي إليهم كل فار من الدجال و يعبؤون مسلحة ثم المنارة التي غربي الأردن ويقبل الدجال فيهبط من عقبة أفيق فينزل شرقي الأردن فيحصرهم أربعين يوما فيأمر نهر أبي فطرس فيسيل إليه ثم يقول ارجع فيرجع إلى مكانه ويقول أيبس فييبس و يأمر جبل ثور وجبل طور زيتا أن ينتطحا فينتطحان و يأمر الريح فتثير السحاب من البحر فتمطر الأرض فتنبت و يأمر ذريته باتباعه فيظهرون له الكنوز فلا يمرون بخربة ولا أرض فيها كنز إلا نبذ إليه كنزه ومعه قبيل من

الجن فيتشبهون بموتاهم فيقول الحميم لحميمه ألم أمت وقد حييت ويخوض البحر في اليوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه فيتميز المؤمنون والمنافقون والكافرون والهرب عنه خير من المقام بين يديه للمتكلم يومئذ بكلمة يخلص بها من الأجر كعدد رمل الدنيا ويقاتل الناس على الكفر فمن قتل منهم أضاءت قبورهم في الليلة المظلمة والليل الدامس قال كعب فإذا رأى المؤمنون أنهم لا يستطيعون قتله ولا أصحابه ساروا غربي الأردن التي ببيت المقدس فيبارك لهم في ثمرها ويشبع الآكل من الشيء اليسير لعظيم بركتها ويشبعون فيها من الخبز والزيت ويتبعهم الدجال ويأتيه ملكان فيقول أنا الرب فيقول له أحدهما كذبت ويقول الآخر لصاحبه صدقت وصفته أنه أفحج أصهب مختلف الحلق مطموس العين اليمنى إحدى يديه أطول من الأخرى يغمس الطويلة منها في البحر فيبلغ قعره فتخرج من الحيتان يسير أقصى الأرض وأدناها في يومين خطوته مد بصره وتسخر له الجبال والأنهار والسحاب ويأتي الجبل فيقوده ويدرك زرعه في يوم ويقول للجبال تنحي عن الطريق فتفعل ويجيء إلى الأرض فيقول أخرجي ما فيك من الذهب فتلفظه كاليعاسيب وكأعين الجراد ومعه نهر ماء ونهر نار وجنة خضراء ونار حمراء فناره جنة وجنته نار وجبل من خبز من ألقاه في ناره لم يحترق يظهر ثم عالية مرة وعلى باب

دمشق مرة وعند نهر أبي فطرس مرة وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام).

(8) – خروج يأجوج ومأجوج:

صحيح مسلم :

• 2880 عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش : (ثم أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج و مأجوج مثل هذه وعقد سفيان بيده عشرة قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث) .

ابن ماجة:

• 4076 النواس بن سمعان يقول قال رسول الله ﷺ: (ثم سيوقد المسلمون من قسي يأجوج و مأجوج و نشابهم و أترستهم سبع سنين).

• 4079 عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (ثم تفتح يأجوج و مأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى وهم من كل حدب ينسلون فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم لقد كان بهذا المكان مرة ماء ويظهرون على

الأرض فيقول قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم و لننازلن أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد فيأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا فيقولون من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط) .

ابن حبان :

- 6832 عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : (ثم ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خرج يأجوج و مأجوج).

تم الكتاب بحمد الله تعالى

ونحن في :

شوال – 1425هـ / (كانون الأول) - 2004م

۞۞۞۞۞۞۞

۞۞۞۞۞۞۞

وأنصح من أراد طباعة الكتاب أن يخرج نسخته بأحد ثلاثة أشكال :

1- أن يطبعه في مجلدين (الجزء الأول) و (الجزء الثاني) إن طبعه بخط صغير.

2- أن يطبعه في خمسة مجلدات إن كان الخط متوسطا. وسيكون زهاء 1300 صفحة. وذلك على الشكل التالي :

- المجلد الأول : وفيه : (الفصل الأول والثاني) . (المقدمات والواقع والأحكام الشرعية فيه).

- المجلد الثاني : وفيه : (الفصل الثالث و الرابع) . (التاريخ وتحليلاته).

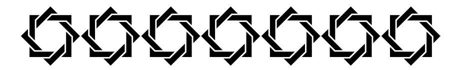
- المجلد الثالث : وفيه : (الفصل الخامس و السادس والسابع) . (تاريخ الصحوة والتيار الجهادي وحصاده) .

- المجلد الرابع : وفيه : (مقدمة الجزء الثاني و الأبواب 1-2-3 من الفصل الثامن) . وهي (المنهج والعقيدة الجهادية والنظرية السياسية ، ونظرية التربية المتكاملة) .

- المجلد الخامس : وفيه : (الأبواب 4-5- 6- 7-8) وهي (النظريات العسكرية والحركية والتنظيمية ، ونظرية التحريض للمقاومة . بالإضافة للفصل التاسع ، المبشرات ومسك الختام).

3- أن يطبعه في 12 رسالة منفصلة بخط واضح وسيكون زهاء 1635 صفحة بمجموعه ، وذلك كما قسمته وهي رسالة المقدمة وأحد عشرة

رسالة كل واحدة منها في موضوعٍ منفصل. وهذا أسهل للتداول وأيسر لمن لم يألف قراءة المطولات.



اللهم هذا الأذان وعليك البلاغ

اللهم اكتب لي في هذا الكتاب الإخلاص والقبول .

و بلغه المشارق والمغارب . وضع له القبول عند عبادك .

وانفع به أهل الإسلام عامة ، وأهل الجهاد خاصة .

واجعل لدعوتي هذه رجالها وتقبل منهم واكتب لي مثل أجورهم .

اللهم أعذني بنور وجهك أن أبتغي في كل حالي ومقالي و ما خط قلمي رضا الناس بسخطك .

وألق عليَّ محبة من عندك. وأعوذ بك أن أكون ممن قلت عنهم :

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾

بل اجعلني ممن قلت عنهم:

﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾

اللهم آمين .. آمين.

وصلي اللهم على نبيك وعبدك سيدنا وقائدنا مُحَّمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

وحق لكاتب مثل هذا الكتاب أن يكتب وصيته **في آخره** ..

فهذه وصيتي ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فهذه وصيتي أنا العبد الفقير إلى رحمة الله :

مصطفى بن عبد القادر ست مريم نصار. المعروف باسم :

(عمر عبد الحكيم / أبو مصعب السوري)

أوصي أهلي وإخواني جميعا بتقوى الله عز وجل ، وبالتمسك بدينه وهدي نبيه مُحَمَّد ﷺ ، فقد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يجر بعضها بعضا ، وأصبحنا في (**أيام الصبر**) التي يكون فيها القابض على دينه كالقابض على الجمر ، في الزمن الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم بأنه : (**يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**) . ولا ينجي من هذه الفتن بعد رحمة الله إلا التمسك

بما أمر الله وصحبة أهل طاعته ، والابتعاد عما نهى الله عنه والابتعاد عن أهل معصيته ، وسؤال الله العافية في الدين والدنيا وحسن الخاتمة.

وأوصيهم جميعا ومن بلغته وصيتي هذه من المسلمين بجهاد أعداء الله من الغزاة الكافرين ومن والاهم وأعانهم من المنافقين بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم ،لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . فهذا اليوم فرض عين كالصلاة والزكاة ..

أخط وصيتي هذه ونحن نتقلب فيما أنعم الله به علينا من البلاء في سبيله. حيث مازلنا نتنقل من مخبئ إلى مخبئ يطاردنا أعداء الله من الكافرين وأعوانهم المرتدين المنافقين. ولذلك أحب أن أنبه إلى أمر مهم جدا في وصيتي هذه. وهو :

أنه إن كتب الله لنا السلامة والعافية إن شاء الله كما نرجوا ، فسنجاهد أعداء الله الكفرة وحلفاءهم المنافقين كما أمر الله تعالى ، سعيا لدحرهم ، ولأن نلقاه شهداء في سبيله وهو راض عنا إن شاء الله. وقد سجلت خلاصة عقيدتي وفكري ومنهجي في آخر ما كتبت في مرحلة المخابئ هذه في كتابي : (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية).

وفيه تفاصيل خلاصة عقيدتي وفكري ، وخلاصة نصيحتي ودعوتي للمسلمين عامة ولشبابهم المجاهد لأعداء الله خاصة. وآخر ما رأيته من فوائد دروس التجربة . أسال الله الهدى والمغفرة.

ولئن كتب الله علي الأسر- وأساله العافية – كما كتبه على كثير من خيرة إخواننا المجاهدين. فأنبه إلى أن السعي لإنقاذ أسرى المسلمين أمانة في عنق جميع المسلمين ، والمجاهدين منهم خاصة. وأنبه إلى أن الأسير إنسان فاقد الإرادة لا إعتبار لأقواله وما أكره عليه شرعا ، ولئن صدر عني إن حصل ذلك - لا قدر الله - ما يتناقض مع ما كتبته في كتابي هذا من الدعوة لجهاد أعداء الله ، أو أي موقف أو تصريح يتناقض مع ما آمنا به ودعونا إليه من الحق..، فأعرضوا عنه واضربوا به عرض الحائط ، وهذا هو الحكم الشرعي فيما يصدر عن أسرى المسلمين تحت ضغط أعداء الله ، ولنا في مثل ما حصل في مصر عبرة.

فقد عشت أكثر عمري ساعيا في جهاد هؤلاء الكفار وأعوانهم من المرتدين والمنافقين ، بنفسي ولساني وقلمي ، وما استطعت ، وأرجو أن يتقبل الله مني ما أحسنت ويتحاوز عن زلاتي وضعفي وما

أسأت برحمته وواسع عفوه ومغفرته. وأن يكتب لي الإخلاص والقبول والشهادة في سبيله ، ويجعلني مع الذين أنعم الله عليهم بفضله وكرمه.

وقد كان بنيتي أن أجمع كل ما سجلت من محاضرات صوتية ، وفيديو ، وأنسخ محتواها كتابيا ، وأضيف إليه مجموع ما كتبته مخطوطا ، بتسلسله التاريخي ، وإخراجه في مجموعة بعنوان الأعمال الكاملة ... ، وقد لا تتيح لي الظروف ذلك. فإن رأى بعض من تتوفر فيهم الأهلية لذلك القيام بهذا العمل ، فإني أرجو أن يكون فيه ما ينفع المسلمين ، وأن يكون لي فيه ما يصلني أجره إذا انقطع عملي ، وأن يكون للعاملين في هذا المشروع شراكة في الأجر ، وليستفيدوا من تجربة نسخ أعمال الشيخ عبد الله عزام وإخراجها في موسوعة كاملة. وقد كتبوا في مقدمتها منهج عملهم. فقد كانت تجربة ناجحة جزى الله من قام عليها خيرا. وبإمكانهم الاعتماد على رسالة (فهرس الإنتاج) التي تحتوي قائمة كاملة بالمواضيع تقريبا . والله الموفق.

وأسال الجميع أن يسامحوني ، ويستغفروا لي ، ويسألوا الله لي المغفرة والعافية في الدنيا والآخرة ومنازل الشهداء.

وقد كان لبعض الإخوة بعض الديون علي ، فإن رأوا أن يسامحوني بها ، فهذا رجائي فيهم. وإن رأوا طلب حقهم ، فليسعوا إلى أهلي ، وأرجوا منهم أن يوفوا ما بذمتي ، والحمد لله الذي شغلنا بالجهاد في سبيله عن طلب الدنيا . وإني أرجو أن ألقى الله وليس في عنقي حق لأحد من الخلق إلا وقد قضي له أو سامحني به ، وأن يتولى الله بفضله ما كان من ذلك وكل أمري بعفوه وكرمه.

وأوصي والديَّ وزوجتي وأولادي وإخوتي وأخواتي ، وإخواني.. بالصبر والاحتساب ، وأن لا يقولوا إذا بلغهم خبر وفاتي أو ما يصيبني إلا الخير وما يرضي الله عز وجل ، ومن خير ذلك أن يقولوا: (**إنا لله وإنا إليه راجعون** لله ما أعطى وله ما أخذ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم اغفر لعبدك المسكين الضعيف ...) .

وأوصي من يقوم على دفني إن أنا مت أو قتلت ، أن يتحروا السنة في أمر جهازي ، وأن لا يرفعوا على قبري بناءُ ،هذا إن ظفرت بقبر.

وأقول في مقام وداع الدنيا واستقبال الآخرة أبياتا نظمتها أثناء كتابة وصيتي هذه مؤملا فيها رحمة الله وهي :

قدمتُ على إلـهٍ كلُ ظَنِـي	بـأنْ أَنْجُـو وأنّـي لا أخيـبُ
فربـي غـافرٌ بـرٌ رحـيمٌ	كـريمٌ محسـنٌ وهـو المجيـبُ
ومـا فـي جُعبتـي إلا رجـاءٌ	وحسـنُ الظَّـنِ فيـهِ لا يخيـبُ
وأنّـي شـاهدٌ أن لا إلــهٌ	سوى الـرحمنِ يرجـوهُ الأريـبُ
وأنَّ محمداً خيـرُ البرايـا	رسـولُ اللهِ للبـاري حبيـبُ

أيها المؤمنون .. أوصيكم بما كان قد أوصى به شهيد الإسلام في سوريا الشام شيخنا مروان حديد.. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته :

أسوتكم رسول الله ﷺ . جاهد في الله حتى أتاه اليقين . فعاملوا أعداء الله بما أمر الله . ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) .

و **اعلموا أنه:** لا غالب إلا الله .. فلا نامت أعين الجبناء ..

أحبائي جميعا :

قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فكل مصيبة بعده جلل..

وغدا إن شاء الله نلقى الأحبة مُحَّمدا وصحبه وصلى الله على سيدنا مُحَّمد وعلى آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن مُحَّمدا رسول الله.

العبد الفقير إلى رحمة الله وعفوه وكرمه:

مصطفى بن عبد القادر ست مريم نصار

(عمر عبد الحكيم / أبو مصعب السوري)

شوال 1425هـ

كانون الأول 2004م

بيت المقدس